

الوقف وسبيل الله

الجزء الثالث

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التزويل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة
ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء الدين علي
ابن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي
المعروف بالخازن تقده الله
برحمته آمين

كتاب قدوم

الحداد قدوم

وقد حلّ هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بدارك التزويل
وحقائق التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات
عبدالله بن احمد بن محمود النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

أوتيتو تفسير حار
دالو تسميه ايدو الم
كتاب سري يفتك دور
بلاو نزه بن خان كيرما
محمد يوسف بن مرحوم نعمت
وقف فيلادوم سكر
سند برقي محله سند
المسليين عياك الدين ايسار
الحداد علا الدين خضر
وقف خاص فيلادوم
عام ١٢١٥
تقد الله نقل به ولساير

* سورة يوسف عليه
السلام وهي مائة واحد
عشرة آية شاهی وإتدنا
عشرة مكي) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
(الر تلك آيات الكتاب
المبين) تلك اشارة الى آيات
هذه السورة والكتاب المبين
السورة أي تلك الآيات
التي أنزلت اليك في هذه
السورة آيات السورة
الظاهر أمرها في عجز
العرب أو التي تبين لمن تدبرها

أنها من عند الله لا من عند
البشر أو الواضحة التي
لا تشبه على العرب معناها
لنزولها المسامحة أو قد آيين
فيها ما سألت عنه اليهود من
قصة يوسف عليه السلام
فقد روي ان علماء اليهود
قالوا للمشركين سلوا محمدا
لم انتقل آل يعقوب من
الشام الى مصر وعن قصة
يوسف عليه السلام (انا
أنزلناه قرآنا عربيا) أي
أنزلناه هذا الكتاب الذي
فيه قصة يوسف عليه السلام
في حال كونه قرآنا عربيا
وسمي بعض القرآن قرآنا
لانه اسم جنس يقع على كله
وبعضه

بسم الله الرحمن الرحيم

* (تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام) *

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحد عشر آية وألف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون
حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قرآن أحد هماروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل
الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب
المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت
اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا احذنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر
تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الر) تقدم تفسيره في أول سورة نونس عليه الصلاة والسلام (تلك) اشارة الى آيات هذه
السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هذه (آيات الكتاب المبين) وهو
القرآن أي المبين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهذا ورشده فهذا من بان
أي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل انه مبين فيه
قصص الاولين وشرح أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) يعني هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أي أنزلناه بلغتكم
لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود اشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر
يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية
لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها واتقوا وانا أنزلناه هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا
فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء
هل يمكن أن يقال في القرآن شيء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فقد

(لعلم تعقلون) لكي تفهموا معانيه ولو جعلناه قرآناً عجباً لقالوا لولا نزلنا آياته (نحن نقص عليك أحسن القصص) نبين لك أحسن البيان والقصص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها من الزجاج وقيل القصص يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث بقصة قصصاً فيكون فعلاً بمعنى مفعول كالتقص والحسب فعلى الأول معناها نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بمأ وأوحينا اليك هذا القرآن) أي بإيحائنا اليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوصاً بانصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان بمأ وأوحينا اليك هذا القرآن معناه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على أبداع طريقته وأعجب أسلوبه فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقاراً بالاقتصاصه في القرآن وان أراد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث (٣) وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي

ليست في غيره والظاهر انه أحسن ما يقص في بابها كما يقال فلان أعلم الناس أي في فنه واشتقاق القصة من قص أو ثور إذا تبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً (وان كنت من قبله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (من الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينهما وبين النافية يعني وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به (اذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذ كراذ قال (يوسف) اسم عربي لا عربي اذ لو كان عربياً لانصرف لخالوه عن سبب آخر سوى التعريف (لايه) يعقوب (ياأبت) أبت سأل وهي تاء تأنيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبها لان كل

قال بغير الحق وأعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا أنزلناه قرآناً عربياً وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان قومه من غير لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لان هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تسكتها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تسكتها وبها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (لعلمكم تعقلون) يعني تفهمون أيها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضاً والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الاثر اذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنسك والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوک والمعالیک والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكر بهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها وقوله تعالى (بمأ وأوحينا اليك) يعني بإيحائنا اليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أي وقد كنت (من قبله) يعني من قبل وحيننا اليك (ان الغافلين) يعني عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال عبد بن أبي وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زماناً فقلوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل انزل الله أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرنا فانزل الله عز وجل أنتم أن تحشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (اذ قال يوسف لاييه) أي اذ كرا يا محمد لقول يوسف لاييه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعالمهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عربي ولذلك لا يجري فيه الاصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الالسف أشد الحزن والالسف العبد واجتمعاني يوسف فسمي به (ياأبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأيت يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان

واحدة منهما رائدة في آخر الاسم ولها ذاقلت هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التأنيث بالمد كرا كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من بابنا واستبق الفتحه قبلها كما فعل من حذف الياء في باغلام (اني رأيت) من الرؤيا من الرؤية (أحد عشر كوكباً) أسماءها بين النبي عليه السلام حريان والذبال والطارق وقابس وعمودان والظليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه وأبوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت بحري العقلاء في (رأيتهم لي ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالخال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال ورفع جوابه كأن أباه قاله كيف رأيتهم فقال رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه أربعون سنة أو ثمانون

أمه راحيل كانت قدمانت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر
وكان يوسف عليه الصلوة والسلام ابن اثني عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد
بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وتبيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما
بينهم السجود فان قلت ان الكواكب سجود لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل
رأيتهم اوقوله ساجدين ولم يقل ساجدات فالتأخير عنها بفعل من يعقل وهو السجود كني عنها بكناية من
يعقل فهو وكقوله يأبى التمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء
نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح فان قلت قد قال اني
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم أعاد لفظ الرؤيا نائبا فقال رأيتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار
قلت معنى الرؤيا الاولى انه رأى أجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية انه أخبر بسجودها
له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكأنه قيل له وكيف رأيت قال
رأيتهم لي ساجدين وانما أفرد الشمس والقمر بالذكور ان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضاهما
وشرفهما على سائر الكواكب قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديدا يحب ليوسف
عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان
تأويلها ان اخوته وأبويه يخضعون له فهذا (قال) يعقوب (بابي) لا نقص رؤياك على اخوتك) يعنى
لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيد والكد كيدا) أى فيجتالوا في اهلاك فامرهم بكتمان
رؤياهم عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحق واللام في فيكيد والكد كيدا أى كيداً كيداً كيداً كيداً كيداً
ونصحت لك وشكرت لك وشكرت لك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يعنى انه بين العداوة لان عداوته
قديمة فهم ان أفرد مواعلي الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت
أرى الرؤيا ترضى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من
الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليقل عن يساره
ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرفا فانها ان تضره (نخ) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها
واذا رأى شيئا يكرهه فانها من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرفا ولا يذكرها الا لحد
فانها ان تضره (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا
يكرهها فليقل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحوّل عن جنبه الذى كان عليه
عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن رؤيا المؤمن من ستة
وأربعين جزءا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث
بها الا لمبيبا أو حبيبا أخرجه الترمذى ولا يبي داود نحوه قال الشيخ يحيى الدين النورى قال المازرى مذهب
أهل السنة فى حقيقة الرؤيا ان الله تعالى يخلق فى قلب النائم اعتقادات كى يخلقها فى قلب اليقظان وهو سبحانه
وتعالى يهمل ما يشاء لا يتعمد نوم ولا يقظة فاذا خالق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها على ما يرضى من غير
فى ثانياً الحال والجميع خالق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التى يجعلها على ما يرضى من غير
السيطان فاذا خلق ما هو علم على ما يرضى يكون محضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل
له فى الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان
يفعل شيئا والرؤيا باسم المحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا المحبوبة الى الله تعالى اضافة
تسرى بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتبديره وارايدته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه
يخضع المكروهة ورضيها فيستحب اذا رأى الرجل فى منامه ما يجب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره
فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرفا وليقل ثلاثا وليتحوّل الى جنبه الا نحو فانما انضره

(قال بابي) بالفتح حث
كان حذص (لا نقص
رؤياك) هى بمعنى الرؤيا الا
انها مختصة بما كان منها فى
المنام دون اليقظة وفسق
بينهما بحرفى التانيث كقافى
القربة والعربى (على
اخوتك فيكيد) ذلك جواب
النهى أى ان قصصتها عليهم
كادوك عرف يعقوب عليه
السلام ان الله يصفيه
للنبوة وينعم عليه بشرف
الدار من خفاف عليه حسد
الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك
كما قال فيكيدونى لانه ضمن
معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع
افادة معنى الفعل المضمن
فيكون أكدوا ببلغ فى
التخويف وذلك نحو فيجتالوا
لك الأثرى الى تأكيده
باصدر وهو (كيدا ان
الشيطان للانسان عدو
مبين) ظاهر العداوة
فيحلمهم على الحسد والتكيد

(وكذلك) ومثل ذلك الاجتناب الذي دلت عليه ابيرو واليك (بجيتيك ريك) بصطفيك والاجتناب والاصطفاء فتعال من جيتيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجيت الماء في الخوض جمعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تاويل الاحاديث) أي تاويل الرؤيا وتأويلها بما عاينها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا أو تأويل أحاديث (٥) الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع

للعديت وليس بجمع
أحد وثمة (ويتم نعمته عليكم
وعلى آل يعقوب) بأن
وصل لهم زمة الدنيا بنعمة
الآخرة أي جعلهم أنبياء
في الدنيا وملاو كانوا نقلهم
عنها إلى الدرجات العلى
في الجنة وآل يعقوب أهله
وهم نسله وغيرهم وأصل
آل أهل بدليل تصغيره على
أهل الاله لا يستعمل الا
فيمر له خطر يقال آل
النبي وآل الملك ولا يقال
آل الجمام ولكن أهله وانما
علم يعقوب ان يوسف يكرن
بنبياء وحوته أنبياء لا لالا
بضوء الكواكب فلذا
قال وعلى آل يعقوب) كما
أراد الجدد وأبا الجدد (ابراهيم
واسحق) عطف بيان
لابويك (ان ربك علم)
بعلم من يحق له الاجتناب
(حكيم) يضع الاشياء
مواضعها (لقد كان في
يوسف واخوته) أي في
قصتهم وحدثينهم (آيات)
علامات ودلالات على قدرة
الله وحكمته في كل شئ آية
مكي (الساثلين) ان سأل
عن قصتهم وعرفها وآيات
على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم للذين سألوه من
اليهود عنها فاخبرهم من

فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكر وكما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء
والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (وكذلك يجتبيك ربك) يعني يقول يعقوب ليوسف عليه الصلاة والسلام أي وكما رفع
منزلتك هذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك ربك يعني بصطفيك ربك واجتناب الله تعالى العبد
تخصيصه بآية بفيض الهي تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك تختص بالانبياء أو ببعض
من يقاربهم من الصديقين والشهداء الصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني به تعبير الرؤيا سمي
تأويل لانه يؤل أمره إلى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يروونه في منامهم وكان يوسف
عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال الزجاج تأويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب
المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليكم) يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب
النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق
دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بآل يعقوب أولاده فلهم كما نوأ أنبياء وهو المراد من
تمام النعمة عليهم (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بأن جعلهما نبيين وهو المراد من تمام
النعمة عليهم أو قيل المراد من تمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بأن خلصه الله من النار واتخذته خليلا
والمراد من تمام النعمة على اسحق بأن خلصه الله من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح
وليس بشئ والقول الأول هو الاصح بان تمام النعمة عليهم بالنبوة لانه لأعظم من منصب النبوة فهو من
أعظم النعم على العبد (ان ربك علم) يعني بصالح خلقه (حكيم) يعني انه تعالى لا يفعل شئ الا بحكمة وقيل
انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا
يوسف هذه وبين تحقيقها عصر واجتماعها بابويه واخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال
الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فاما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسده ووقالوا ماضى أن يسجد
له اخوته حتى يسجد له أبواه ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد كان في يوسف واخوته) يعني في خبره وخذل براخوته
وأسماءهم ورويل وهو أكبرهم وشعمون ولاوى ويهوذا وزبولون وبشير وأمهم ليا بنت ليمان وهى
التي قال يعقوب وولده يعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والآخرى بلهة أربعة أولاد وأسماءهم
دان ونفتالى وجاد وآش ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها را حيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو
يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للساثلين) وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سأله عن سبب انتقال ولده يعقوب من أرض كنعان إلى أرض
مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فجمعوا منه فعلى هذا تكون هذه
القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ويجالس العلماء والاحبار
ولم يأخذ عن أحد منهم شئاً فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أوحاه الله اليه وشرفه به
ومعنى آيات للساثلين أي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والواعظ والحكم
ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسده واخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر
يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه في الحب وبيعته عبداً وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك
ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغبر ذلك
من الآيات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر وانعظ (اذ قالوا) يعني اخوة يوسف (ليوسف) اللام
فيه لام القسم تقديره والله ليوسف (واخوته) يعني بنيامين وهما من أم واحدة (أحب إلى أبنائنا

غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماءهم يهوذا وروين وشعمون ولاوى وزبولون وبشير وأمهم ليا بنت ليمان ودان ونفتالى وجاد
وآش من سريتين زلفة بلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها را حيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا ليوسف واخوته أحب إلى أبنائنا) اللازم
لام الابتداء وفيها تأسيد وتحقيق للضمون الجلية أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا واخوة وهم اخوته أيضا لان أمهما

كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف
وإذا أضيف ساغ الأمران والواو في (٦) ونحن عصبية) للعالم أي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كما به فيها ونحن عشرة

رجال كفاة تقوم بمراقبته
فمن أحق بزيادة المحبة
منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما (ان أبانا
لبي ضلال مبين) غلط في
تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه
بالضلالة في الدين لكفروا
والعصبة العشرة فصاعدا
(اقتلوا يوسف) من جملة
ما حكى به عدوله اذ قالوا
كانهم اطبقوا على ذلك الا
من قال لا تقتلوا يوسف وقيل
الأمر بالقتل شعرون
والباقون كانوا راضين
بفعلوا أمرين (أو أطرحوه
أرضا) منكورة مجهولة
بعيدة عن العمران وهو
معنى تنكبرها واخلالها
عن الوصف ولهذا الإبهام
نصبت نصب الظروف
المههمة (يحل لكم وجه
أبيكم) يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم
الذي غيركم والمراد سلامة
محبته لهم من يشاركم
فيها فكان ذكر الوجه
لتصور معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا قبل على
الشيء قبل بوجهه وجاز
ان يراد بالوجه الذات كما
قال ويبيتي وجسودك
(وتكفونوا) مجزوم عطف
على يحل لكم (من بعده)
من بعد يوسف أي من بعد
كفايته بالقتل أو التغريب

ونحن عصبية) انما قالوا هذه المقالة حسدا منهم ليوسف وأخيه لئلا يأمن ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتهم
عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة قال الفراء العصبية هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى العشرة
وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال بجهاذه هي ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعة عشر وقيل
الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم ببعض يسمون عصبية والعصبة لا واحد لهما من لفظها كالمهبط
والنفر (ان أبانا لبي ضلال مبين) يعني لبي خطابي في ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبية
ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه واصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال
عن الدين اذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفنع
له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته اليه لانا أكبر منه سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم
المقصود الا عظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة
ومحبة القلب ايسر في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان أمه
ماتت وهو صغير وانه رأى فيه من آيات الرشد والتجربة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة
يوسف ويوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم الى الضلال هو محض
العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك فادح في عصمة الانبياء فما الجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت
من اخوة يوسف قبيل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا
وقت هذه الافعال مرهقين غير بالغين ولا تكسب عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال فادحة
في عصمة الانبياء قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضا يحل لكم وجه أبيكم)
لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بدمن تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا
باحد طريقين اما القتل مرة واحدة أو التغريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بابيه بان تفرسه
الاسد والسباع أو يمجوت في تلك الارض البعيدة ثم ذكر والعلة في ذلك وهي قوله يحل لكم وجه أبيكم
والمعنى انه قد شغل حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف قبل يعقوب بوجهه عليكم وصراف محبته اليكم
(وتكفونوا من بعده) يعني من بعد قتل يوسف أو بعباده عن أبيه (قوما صالحين) يعني تائبين فتوبوا الى
الله يعف عنكم فتكفونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبائر قالوا
تتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم أمركم فيما
بينكم وبين أبيكم فان قلت كيف يليق أن تصدر هذه الافعال منهم وهم انبياء قلت الجواب ما تقدم
انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال فادحة في عصمة الانبياء وانما أقدموا على هذه
الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبيا شاوره في ذلك فأشار عليهم بقتله (قال
قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو جهودا وقال قتادة هور وويل وهو ابن خالته
وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه فهامهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح قائل هذه المقالة
هو جهودا لانه كان أقربهم اليه سنا (والقوة في غيابت الجب) يعني القوة في أسفل الجب وطمته والغياية
كل موضع ستر شيئا وغميته عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية تسمى بذلك لانه جب أي قطع ولم يسطو
وأفاد ذكر الغياية مع ذكر الجب ان المشير أشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في
مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الاردن وقال مقاتل هو في أرض
الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عني ذلك الجب للجملة التي ذكر وهوا هي قولهم (يلتقطه
بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا وعليه كثير من المسافرين والانتقاط أخذ الشيء من

أومن بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا أو أطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله عما
جنيتهم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قال قائل منهم) هو جهودا وكان أحسنهم فيهم رأيا (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوة في غيابت
الجب) في قبر البئر وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسبون في الطريق

(ان كنتم فاعلين) به شيئا (قالوا يا ابا نمالك لاتأمناعلى يوسف وانا له لنا محزون) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك المساعزة واعلى كيد يوسف استنزله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه أحسن منهم بما أوجب ان لا يأمنهم عليه (ارسله معنا غد ارتفع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرغبة السعة (ونلعب) بتفرج بما يسباح كالصيد والرمي والرخص باليداء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فهم ما مكى وشأى وأبو عمرو وبكسر العين سحازى من ارتعى يرتعى افتعال من (٧) الرعى (واناله لحافظون) من ان

يناله مكرهه (قال انى يحزننى أن تذهبوا به) أى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) اعتذر الهمم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبيهم (قالوا لئن أكله الذئب اللام موطنه للقسم والقسم محذوف فقد بره والله لئن أكله الذئب والواو فى (ونحن عصبة) أى فرقة بجمعة معتدرة على الدفع للجمال (انا اذا تخاسرون) جواب للقسم مجزئى عن جزاء الشرط أى ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجابوا عن عدوه الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيبهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلاه فى غيابت الحب) أى عزموا على القائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلاوه

الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يأخذها بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فنستر يحزون منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لاتفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوى كانوا يؤمنون بالعين ولم يكونوا أنبياء الا بعدة وقيل لم يكونوا بالعين وليس يصحح دليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوم صالحين وقالوا يا ابا نانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعه الرحم وعقوى الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والتدبر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا يبأس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رجة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله فلما أجمعوا على التفرق بين يوسف وبين والده بضر ب من الخيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (يا ابا نمالك لاتأمناعلى يوسف) بدؤا بالانكار عليه فى ترك ارسال يوسف معهم كتمهم قالوا أنتخافنا عليه اذا أرسلته معنا (واناله لنا محزون) المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى واناله عاطفون عليه قائمون بصالحته وحفظه وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لا بهم أرسله معنا فقال يعقوب انى يحزننى ان تذهبوا به فحينئذ قالوا امالك لاتأمناعلى يوسف وانا له لنا محزون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (رتفع) الارتفاع هو الاتساع فى الملاذيق الارتفاع فى ماله اذا أنفقته فى شهواته والاصل فى الارتفاع أكل البهائم فى الخصب من الربيع ويستعار للارتفاع ان أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا سحبا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يؤمنون أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لخير رضى الله عنه هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وبأضافان لعهم كان الاستباق وهو عرض صحيح مباح لم يفسد من المحاربة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى رتفع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشط (واناله لحافظون) يعنى نجتهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى يحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية انه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعدد من أحسد هما ان ذهابهم به ومفارقة اياه يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثانى قوله (وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبيهم وذلك ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المذام ان ذنبا شدة على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف يجيبين ليعقوب (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أى جماعة عشرة رجال (انا اذا تخاسرون) يعنى مجزئى عن جزاء الشرط وقيل أنهم خافوا ان يذهبوا عليهم يعقوب بالخسار والوارث وقيل معناه انا اذ لم نقدر على حفظ أنفسنا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا تخاسرون قوله عز وجل (فلما ذهبوا به) فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا ان يجعلاه فى غيابت الحب) يعنى وعزموا

ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية أظهر والله العداوة وضربوه وكادوا يقتلوه فنعهم به وذا فلما أرادوا القاءه فى الحب تعلق بتياهم ثم فزعوه هان يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه وتزوعوا قيصة ليلا يطخوه بالدم فحتمتوا به على أبيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى شجرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهودا يأتيه بالطعام وروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حر الجنة فلبسه اياه فدفعه ابراهيم الى الحق واسبق الى يعقوب فجعله يعقوب فى قميصه علقها فى عنق يوسف فاحرجه جبريل وألبسه اياه

علي ان يلقوه في غيابة الجب * (ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام)

قال وهب وغيره من أهل السير والاختبار ان اخوة يوسف قالوا له امانتنا ان تخرج معنا الى مواسينا فنصيد ونسبتق قال بلى قالوا له انسال اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلا فدخلوا بجمعهم على يعقوب فقالوا يا ابا نان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواسينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابي اني اري من اخوتي للين واللطف فاحب ان تاذن لي وكان يعقوب يبكره معارفته ويحب مرضاته فأذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض واظهره واله ما في أنفسهم من العداوة واغظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كل ساجدا الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا ابا نان يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لآخزتك ذلك وأبكاك يا ابا نان ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذوه وروموا جلد به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مه لا يا أحي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لربك انك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهوذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد يقتلي فأدر كتره رحمة الاخوة ورق له فقال يهوذا يا اخوتي ما على هذا عاهدتموني الا اذلكم على ما هو آهون لكم وأرفق به فقالوا او ما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدونه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قيصي لاسه تتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال اني لم ارشء ما ألقاه القوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه ائذ دعوني فيها فريدا وحيدا او قيل جعلوه في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فخل بديه وأخرج له صخرة من البئر فاجلسه عليها وقيل انهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة أدر كته فاجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فجمعهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرجه قيص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين ألقى في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف بالبسة الملك اياه حين ألقى في الجب فاضاه الجب وقال الحسن لما ألقى يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نمض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيئا فقل يا صريح المستصرخين وباعوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شئ من أمري فلما قالها يوسف حقة الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقى يوسف في الجب قال يا شاهد اغيبر عايب ويا قريبا غيبر بعيد ويا غابا غيبر مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه فما بات فيه واختلفوا في قدر عمر يوسف يوم ألقى في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان اخوته يرمون حوله وكان يهوذا ياتيهم بالطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتبينهم بأمرهم هذا) يعني لتخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقه فبعت اليه جبريل يؤنسه ويشره بالخروج ويخبره انه سينبئهم عما فعلوا ويحاز بهم عليه هذا قول طائفة عظامه من المحققين ثم اختلفوا في هذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا الا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبعثه رساله ربه لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه قلت لا يمتنع ان الله بشره بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان اراد من قوله وأوحينا اليه وحيا الهام كفي قوله تعالى وأوحى ربك

(وأوحينا اليه) قيل أوحى اليه في الصغرى أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (لتبينهم بأمرهم هذا) أي لتخبرن اخوتك بما فعلوا به

(وهم لا يشعرون) انك يوسف اهل وشأنك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه فمخار من ذعر فهم وهم له منكرون ودعا بالاصواع فوضعه
على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجمام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم القيتموه في غيابة الجب وقتلم لايه اكله الذئب
ويعتوه ثم ينحس او يتعلق وهم لا يشعرون باو حين اى آسنسا بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء)
للاستتار والتجسس على الاعتذار (يكون) حال عن الاعمش لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل
اصابكم في غنمكم شئ قالوا قال فسا بالكم واين يوسف (قالوا يا اباانا انا ذهبنا نسبتق) اى (9) نتسابق في العدو وافي الرمي والافتعال

والنفاع على يشتر كان
كالارتعاش والترامى وغير
ذلك (وتركلو يوسف عند
متاعنا فاكاه الذئب وما
انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا
(ولو كنا صادقين) ولو كنا
عندك من اهل الصدق
والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سبي الظن
بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا
على قبضه بدم كذب)
ذى كذب ووصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب
وعينه كيقال للكذاب
هو الكذب بعينه والزور
بذاته روى انهم ذبحوا
سخله واطخوا القميص
بدمها وزل عنهم ان يمزقوه
وروى ان يعقوب عليه
السلام لما سمع يخبر يوسف
صاح باعلى صوته وقال ابن
القميص فأخذه وألقاه
على وجهه وبكى حتى خضب
وجهه بدم القميص وقال
ناله ما رأيت كالذيوم ذئبا
أحلم من هذا كل ابني ولم
يمزق عليه قبضه وقيل كان
في قبض يوسف ثلاث آيات
كان دليله على يعقوب على
كذبهم وألقاه على وجهه

الى النخل و اوحينا الى أم موسى والقول الاول اولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعنى بايحاءنا اليك
وانت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فر بما زاد
حسد هم له وقيل ان الله تعالى اوحى الى يوسف لتخبر اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون
بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من
المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصرون تحت أمره وقهره **فقوله تعالى** (وجاؤا اباهم عشاء ليكون) قال
المفسرون لما طرحوا يوسف في الجبر جمعوا الى ابيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجترأ على الاعتذار
بالكذب فلما قرى برامن منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع اصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم
فاماراهم قال بالله سألتم يا بني هل اصابكم شئ في غنمكم قالوا قال فسا بالكم واين يوسف (قالوا يا اباانا
ذهبنا نسبتق) قال ابن عباس يعنى ننضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي
بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى الترامى بذلك يقال تسابقوا اذا فعلوا ذلك ليتبين أيهما أبعدسهما
وقال السدي يعنى نشدة ونعدو والمعنى نسبتق على الاقدام ليتبين أينا أسرع عدوا واخف حركة وقال
مقاتل تنصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركلو يوسف عند متاعنا) يعنى عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعنى
في حال استمافنا وغفلتنا عنه (وما انت بمؤمن لنا) يعنى وما انت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعنى في قولنا
والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولنا لشدة محبتك ليوسف فانك تهتمنا في قولنا هذا وقيل معناه
انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك امارة تدل على صدقنا (وجاؤا على قبضه) يعنى قبض
يوسف (بدم كذب) اى مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخله وجعلوا دمها على قبض يوسف ثم جاؤا
اباهم وفي القصة انهم اطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قبضه
فانهم هم بذلك وقيل انهم اتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب ايهما الذئب انت اكلت ولدى وعرة فتوادى
فأ نطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحمل لنا نأنا كل لحوم الانبياء فقال يعقوب
فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم وهى قرابة لى فاحذوني وآتواي اليك فاطاقه يعقوب
ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملتص بالدم (قال) يعقوب (بل
سولت لكم أنفسكم أمرا) يعنى بل زينت لكم أنفسكم أمرا واصل النسويل تقصد بمعنى فى النفس مع
الطمع فى اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهل من السول وهو الاسترخاء اى سهلت لكم أنفسكم
أمرا عظيم اركبتموه من يوسف وهو تنموه فى أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد القول لهم فأكله
الذئب كانه قال ليس الامر كما تقولون اكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر
جميل) اى فشأ فى صبر جميل وقيل معناه فصبر جميل والصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ولا جرح وقيل
من الصبر ان لا تحدث بصيبتك ولا تركن نفسك (والله المستعان على ما تصفون) يعنى من القول الكذب
وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون **فقوله عز وجل** (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون
سوا سيارة لمسيرهم فى الارض وكانوا رفقة من ملهين يريدون مصر فخطوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب

(3 - خازن - ثالث) فارتد بصيرا ودل على برائة يوسف حين قدم من دبره ومحل على قبضه نصب على الظرف كانه قيل
وجاؤا فوق قبضه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أنفسكم أمرا) عظيم اركبتموه (فصبر جميل) خبر أو
مبتدأ الكونه موصوفاى فصبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو ما لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) اى أستعينه (على) احتمال
(ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزقيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدى الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف
فى الجب فأخطوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب فى قفرة بعد من العمران وكان مأزومها فذئب حين أتى فيه يوسف

(فارسلوا واردهم) هو الذي يرده الماء (١٠) ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي (فأدلى دلوه) أرسل الدلو ليملاها فتشبت يوسف

بالدلو فتزعهو (قال يا بشري) كوفي نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا أولئك غيرهم بشرى على اضافتها الى نفسه أو هو اسم غلامه فتداه مضافا الى نفسه (هذا غلام) قيل ذهب به فلما دان من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وأسروه) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وألاخوة يوسف فانهم قالو الرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف تخافة أن يقتلوه (بضاعة) حال أي أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع (والله عليهم بما يعملون) بما يعمل أخوة يوسف بأبيهم وأخبرهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمان بنحس) مخوس ناقص عن القيمة نقصا ناطها سرا أوزيف (دراهم) بدل من عن (معدودة) قليلة تعددا ولا توزن لانهم كانوا يعدون مادون الاربعين ووزن الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عمافي يده فيبيعهه بالثمن الطفيف أو معني وشروه واشتروه يعني الرفقة من أخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه

الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه لمخافهما ألقى يوسف فيه عذوب فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فارسلوا واردهم فأدلى دلوه) قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشبية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوته اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالجبال وكان يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من العلمان وذكر البغوي بسند متصل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجبال من جدته سارة وكانت قد أعطت سدس الحسن قال محمد بن اسحق ذهب يوسف وأمه بثلاثي الحسن وحتى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خفيض البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضوا حكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورأه مالك بن ذعر كأحسن ما يكون من العلمان (قال) يعني الوارد وهو مالك بن ذعر (يا بشري) يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشري بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشري كما تقول باز يد ويقال ان جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك تخفية أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان أخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعني انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أحالهم بل قالوا هو عبد لنا أبق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توقعوه بالقتل سرا من مالك بن ذعر وأصحابه والقول الاول أصح لان مالك بن ذعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه (والله عليهم بما يعملون) يعني من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيه قاروا به ان يصير ملكا لمصر بعد ان كان عبدا قال أصحاب الاخبار ان بهوذا كان يأتي يوسف بالطعام فأناه فلم يجده في الحب فأخبر أخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر وأصحابه تزولا قر يمان البئر فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى يكتم حاله ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهمم فذلك قوله تعالى (وشروه) أي باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما وجب جعل هذا الشراء على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان أخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن ذعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على باه (بثمان بنحس) قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بنحس أي حرام لان عن الحرام ويسمى الحرام بنحس لانه مخوس الحرام يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بنحس أي زوف ناقصة العيار وقال قتادة بنحس أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بنحس أي قليل وعلى الاقوال كلها فالبنحس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والبنحس والبناحس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه إشارة الى قوله تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أر بعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها عددرا فاذا بلغت أر بعين درهما وهي أوقية وزونها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن عباس وقاتدة كانت عشرين درهما فاقسموه وها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخوا وقال عكرمة كانت أر بعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان أخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهدة قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى أخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا إبعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن

أبق وروى ان أخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الموصول وانما هو بيان كانه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه

(وقال الذي اشتراه من مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد امن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته وورقا وحرا ومساكا وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزر زره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (11) (لامرأته) راعيل اوزليخا والادم متعلقة بقال لاباشتراه

وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيهم من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيهم من الزاهدين كان وجه زهدهم فيما طهاره الرغبة فيه ليستروه بتمنحس قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابقى اظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن دعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيوع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن زوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمض حتى امن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حتى قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن دعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهابا وزنه فضة وزنه مسكا وحرا وكان وزنه اربعمائة نطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة او سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من اهل مصر (لامرأته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أكرمي مثواه) يعني أكرمي مثله ومقامه عندنا كرميا عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أكرمي في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني ان اردنا نابعه بعنا به بجمع أو يكفينا بعض أمورنا وما لنا اذا قوى وبلغ (أو نتخذة ولدا) يعني نتبيناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود اقرس الناس ثلاثة العزيز بن يوسف حيث قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لا تبها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكننا يوسف في الارض) يعني كما مكننا على يوسف بان انقذناه من القتل وأخر جناه من الجب كذلك مكنناه في الارض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكناله في الارض لم ينعلمه من تأويل الاحاديث يعني (الله غالب) والله غالب على أمره) قيل الحكاية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يملكه الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدة وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشر وثلاثون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال السكبي الاشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم (آتيناه حكما وعلما) يعني آتيناه يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابته في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجب العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا يتبني والعلم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك (نجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا المهتمدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف (ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه) يعني ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعتة الى نفسها ليوافقها (وغلقت الابواب) أي أطبقتهما وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وأنها أغلقتها لشد خوفها (وقالت هيت لك) أي هلم وأقبل قال أبو عبيدة كان

متعلقة بقال لاباشتراه (أكرمي مثواه) اجعلني منزلته ومقامه عندنا كرميا أي حسنا مرميا بدليل قوله انه ربي أحسن مثواي وعن الضحاك بطلب معاشه ولين لباسه ووطئ فراشه (عسى أن ينفعنا) لعله اذا ندر بوراض الامور وفهم بجارها ناس مستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أو نتخذة ولدا) أو نتبيناه ونقبه منه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وكذلك) إشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والسكاف منصوب تقدره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مساكا ليوسف) أي كما أنجيناها وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عما شاء وأعلى أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد

قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون (آتيناه حكما وعلما) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عتق وان أمره (ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أين واقعها والمراد بها معالجة من راد برود اذا جاء وذبح وكان المعنى خادعته عن نفسه أي فعالت فعل الخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتمل أن يغلبه عليه أو يأخذه منه وهي عبارة عن التمعل لواقعته اياها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك)

هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيت مبنى بناءه على الضم هت مدني وشاحي واللام للبيان كانه قيل لك أقول هذا كما تقول لهم لك
(قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (انه) أي ان الشأن والحديث (ربني) سيدى وما لى بريد قطفير (أحسن مشواى) حين قال لك أكرمي
متوا فجازوه ان اخونه في أهله (انه لا يفلح الظالمون) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله انه ربني الله تعالى لانه مسبب الاسباب (ولقد همت
به) هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع (١٢) الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد

فيها يخطر بالقلب ولا
مواخذة عليه ولو كان همه
كهمها لما مدحه الله تعالى
بانه من عباده المخلصين وقيل
وهم بها وشارف أن بهم
بها يقال هم بالامر اذا
قصده وعزم عليه وجواب
(لولا أن رأى برهان ربه)
محذوف أي لكان ما كان
وقيل وهم بها جوابه ولا
يصح لأن جواب لولا لا يتقدم
عليه لانه في حكم الشرط
وله صدر الكلام والبرهان
الجزء ويجوز أن يكون وهم
بهاد اخلافي حكم القسم في
قوله ولقد همت به ويجوز
أن يكون خار جار من حق
القارئ اذا قدر خروجه
من حكم القسم وجعله
كلاماً بارأسه أن يقف على
به ويبدئ بقوله وهم بها
وفيه أيضاً اشعار بالفرق
بين الهمين وفسرهم يوسف
بانه حل تسكة سراويله
وقعددين شه بها الاربع
وهي مستلقية على قفاها
وفسر البرهان بانه سمع
صوتاً ابانك وياها مرتين
فسمع ثالثاً عرض عنها فلم
ينجع فيه حتى مثل له يعقوب
عاضاً على أذنيه وهو باطل
ويدل على بطلانه قوله هي

الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة أيضاً بحوران نسبة لهم وقال
بجاهد وغيره هي لغة ربيعة وهي كلمة حث واقبل على الشيء وقيل هي بالعبرانية وأصلها هيتاخ أي تعال
فحربت فقيل هيت لك فن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فتسكمت بها
على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الرومي في القسطاس ولغة العرب القرمن في الثمور ولغة العرب
الترك في الغساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تسكمت بكلمة صارت لغة لها
وقرى هيت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها هيت لك (قال) يعني يوسف (معاذ الله) أي أعوذ بالله
وأعتمض به وألجأ اليه فيما دعوتني اليه (انه ربني) يعني ان العز برقطفير سيدى (أحسن مشواى) أي
أكرم منزلتى فلا أخونه وقيل ان الهاء في انه ربني راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربني أحسن مشواى
يعني انه آوانى ومن بلاء الجب نجاني (انه لا يفلح الظالمون) يعني ان فعات هذا الفعل فأناطلم ولا يفلح
الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)
الآية هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الأول في ذكر
أقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر
هممت بالشيء اذا أردته وحدت لك نفسك به وقاربت به من غير دخول فيه معنى قوله ولقد همت به أي أردته
وقصدته فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصد وعزم عليه قال الشاعر
وهو عمرو بن صابئ البرجعي هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكى حلاله
وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطتهم وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه
محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لمخالطتها قال البغوي وأما همم بها فرى عن ابن عباس انه قال حل
الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال بجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين
منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جريد يوسف وبيده الاخرى
الى جريد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي والقول
ما قاله قدام هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما أرادت
امرأة العز يزمر اودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره بحاسن نفسه وتسوقه الى نفسها فقالت يا يوسف
ما أحسن شعرك قال هو اول ما ينتزعن جسدي قالت ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل على خدي في
فبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحر يربس وسط قم فاقض
حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فمزل تطعمه وتدعوه الى الائمة وهو شاب يجدمن شبق الشباب ما يجده
الرجل وهي امرأة حسنة جميلة حتى لان لها ما يرى من كاهها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف
بالبرهان الذي ذكره وسبأ في الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله
المفسرون في هذه الآية أما المقام الثاني في تزويه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الزينة وبيان
صحة من هذه الخطيئة التي ينسب اليها قال بعض المحققين الهم ههنا فهم ثابت وهو ما كان معه عزم
وقصد وعقيدة رضامثل هم امرأة العز يزمر اودة يوسف وهو عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس
من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فاعبده غير ما أخذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا

راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه أيضاً لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن ما
السوء وعصر وقاعنه وقوله ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الا أن حخص الحق أنار اودته
عن نفسه وانه من الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت ثوبته واستغفاره كما كان لا دم ونوح وذى النون وداد وعليهم السلام وقد سماه
الله مخلصاً فلم يقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه بمجاهدة أولى العزم ناظر في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف في

ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم
 عبدى بسينة فلا تكتبوها علي فان عملها فكتبوها عليه سينة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فكتبوها له
 حسنة فان عملها فكتبوها له عشرة لفظا مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال فيما روي عنه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن
 هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله عشر حسنات الى سبع مائة
 ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسينة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة وان هو هم بها فعملها كتبها الله
 عليه سينة واحدة زاذ في رواية أو مجاهد بن جبر قال على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى
 مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤخذ به وليس سينة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية
 فيهم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سينة
 واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف
 من هذا ويكون قوله وما البرئ بنفسى الآية أى ما أبرئهم من هذا الهم أو يكون ذلك على طريق التواضع
 والاعتراف بخالفه النفس لمازكى قبل ويرئ فكيف وقد حتى أبو حاتم عن أبي عبيدة ان يوسف عليه الصلاة
 والسلام لم يهجم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهمم بها وقال تعالى
 حاكبا عن المرأة ولقد رادته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى
 وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أى بزجرها ووعظها وقيل هم بها
 أى همها امتناعه وقيل هم بها أى نظر اليها وقيل هم بضرها ودفعا وقيل هذا كما كان قبل نبوته وقد ذكر
 بعضهم ما زال النساء يمن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالتقى عليه هيبه النبوة فشدت هيبته كل من
 رآه عن حسنة هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله واما الامام فخر الدين الرازى ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا
 من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان
 الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الآخرة
 المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار
 الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقال في حق داود
 عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من
 ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لا يتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه
 كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا ببراءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء كما نقله أصحاب
 الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب
 اليه وعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن والمولود
 الذي شهد على القميص وشهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا أما بيان ان يوسف ادعى
 براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه وأما بيان ان
 المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف وزنا هته فقوله انارادته عن نفسه فاستعصم وقوله الا ان
 حخص الحق انارادته عن نفسه وانه لمن الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف فقوله
 انه من كيد كن ان كيد كن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وأما
 شهادة المولود ببراءة يوسف فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف
 عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله
 لاغوينهم اجمعين الاعدادك منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ
 بجيده وجيد المرأة حتى جرع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك وأنا ما روى عن ابن عباس انه

(كذلك) نصب أي مثل ذلك التثنية ثناء أو رفع أي الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه سوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادة المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدني وكوفي أي الذين أخلصهم الله اطاعته وبكسر هاء غيرهم أي الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادة بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار واصل الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تصمين استبقا معني ابتدرا ففر منها يوسف فاسرع بريد الباب ليخرج وأسرع وراه لتمنع الحروج ووجد الباب وان كان جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه أراد الباب السرياني الذي هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وقد تقيصه من دبر) اجتذبت من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (وألفيا سيد هالدي الباب) وصادفها فاعطى مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئته ساحتها عند نزولها من الرية ولحقو يف يوسف طمعا في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث

جلس منها مجلس الخائن فاشمى ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض أصحاب القصاص وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره أيضا فإنه لا يكاد يصح بسند صحيح ويطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا أن رأى برهانه به فائدة قلت فيه أعظم الفوائد وبرهانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم يوسف أنه لوهم بدفعها القناتمة فالعلم بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك الوجه الثاني أنه علمه الصلاة والسلام لواشغلت بدفعها عن نفسه لتعلق به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هي الخائنة فالعلم بالله بالبرهان هذا المعنى فلم يستعمل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فأنبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه وأما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهانه به فقال فتادة وأكثر المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أن تعمل عمل السفهاء أنت مكنوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال السدي فودى يا يوسف أتوا فعمها فمماثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوار السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعها كمثلها اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومماثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومماثلك ان واقعها كمثلها اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقيل انه رأى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقر بو الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجريل عليه السلام أدرك عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أن تعمل عمل السفهاء أنت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا في حائط فيه ولا تقر بو الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان في البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترت به ثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا قالت استحييت منه أن يراني على معصية فقال لها يوسف استحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فانا أحق أن استحي من ربى فقرب فذلك قوله لولا أن رأى برهانه به أما المحققون فقد فسروا البرهان بوجه الأول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله تعالى في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الراني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجعلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة تتحجزهم عن فعل ما يليق فعلة (كذلك) يعني كما أرى نياه البرهان كذلك (لنصرف عنه سوء) يعني الاتم (والفحشاء) يعني الزنا وقيل سوء مقدمات الفحشاء وقيل سوء الشناعا القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عبادة المخلصين وهو قوله (انه) يعني يوسف (من عبادة المخلصين) قرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادة الذين اصطفى نياهم بالنبوة واختارناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادة الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا بمبادر الى الباب وتبعته المرأة لئلا تسلك عليه الباب حتى لا يخرج والسابقة طلب سبق فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبتة اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل (وقد تقيصه من دبر) يعني شقته من خلف فغلبا يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا سيد هالدي الباب)

(قالت ماجراء من أراد باهلك سواء الأآن يسجن أو عذاب أليم) مانافية أي ليس جزاؤه الا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم
نصرح بذلك يوسف وانه أراد بها سواء الأناه قصدت العموم أي كل من أراد باهلك سواء أخفه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت
من تخويف يوسف وإيعاضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هي (15) راودتني عن نفسي) ولولا ذلك لكتبت
عليها ولم يفضحها (وشهد

بمعنى فلما خرجوا جازوا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابت
وخافت التهمة فسبق يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ماجزاء من أراد بأهلك سواء) يعني الفاحشة
ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه له فقالت (الأآن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو
عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وإنما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لا يشتهي إيلا من المحبوب
وإنما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف
مقالتها أراد أن يبرهن عن نفسه (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفحشاء
فابت وقررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها
ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي
(وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير
والضحاك كان صبياني المهدي فأنطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال تكلموا ببيعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى بن
مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريح وابن المرأة وقصتهم
مخرجة في الصحيح قبل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم
يكن صبياء ولكنه كان رجلا حكيمًا إذا رأى وقال السدي هو ابن عم المرأة فختم فقال (ان كان قيصة قدم من
قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو
من الصادقين) وإنما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة
والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من
وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا ييسط يديه إلى سيده ومنها أنهم شاهدوا يوسف
بعد وهار بامنها والطالب لا يهرب ومنها أنهم رأوا المرأة قد تزنت بأكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها
أولى ومنها أنهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب أقدامه على مثل هذه الحالة فكان
مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى أي قيصة قدم من دبر) يعني فلما
رأى قطفير زوج المرأة قص يوسف عليه الصلاة والسلام قدم خلفه عرف خيانة امرأته وبراعة يوسف
عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها قطفير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من
حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة
إلى خاق ما هو أعظم منه تخلق الملائكة والسموات والارض والجمال ونحو ذلك وأما عظام كيد النساء
ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد في أتمام مرادهن
ملا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك
أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراعة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف
(أعرض عن هذا) يعني اترك هذا الحديث فلان ذكره لاحد حتى لا يفسد ويشيع وينتشر بين الناس
وقيل معناه يا يوسف لا تكثرت بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراعتك ثم التفت إلى المرأة فقال لها
(واستغفري لذنبك) يعني توبى إلى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو برى عنها وقيل ان هذا من قول

بمعنى فلما خرجوا جازوا زوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابت
وخافت التهمة فسبق يوسف بالقول (قالت) يعني لزوجها (ماجزاء من أراد بأهلك سواء) يعني الفاحشة
ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه له فقالت (الأآن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو
عذاب أليم) يعني الضرب بالسياط وإنما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان المحب لا يشتهي إيلا من المحبوب
وإنما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف
مقالتها أراد أن يبرهن عن نفسه (قال) يعني يوسف (هي راودتني عن نفسي) يعني طلبت مني الفحشاء
فابت وقررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها
ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي
(وشهد شاهد من أهلها) يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير
والضحاك كان صبياني المهدي فأنطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال تكلموا ببيعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى بن
مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريح وابن المرأة وقصتهم
مخرجة في الصحيح قبل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم
يكن صبياء ولكنه كان رجلا حكيمًا إذا رأى وقال السدي هو ابن عم المرأة فختم فقال (ان كان قيصة قدم من
قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو
من الصادقين) وإنما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة
والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من
وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا ييسط يديه إلى سيده ومنها أنهم شاهدوا يوسف
بعد وهار بامنها والطالب لا يهرب ومنها أنهم رأوا المرأة قد تزنت بأكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها
أولى ومنها أنهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب أقدامه على مثل هذه الحالة فكان
مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا (فلما رأى أي قيصة قدم من دبر) يعني فلما
رأى قطفير زوج المرأة قص يوسف عليه الصلاة والسلام قدم خلفه عرف خيانة امرأته وبراعة يوسف
عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها قطفير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من
حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة
إلى خاق ما هو أعظم منه تخلق الملائكة والسموات والارض والجمال ونحو ذلك وأما عظام كيد النساء
ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل والكيد في أتمام مرادهن
ملا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك
أنه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراعة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف
(أعرض عن هذا) يعني اترك هذا الحديث فلان ذكره لاحد حتى لا يفسد ويشيع وينتشر بين الناس
وقيل معناه يا يوسف لا تكثرت بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراعتك ثم التفت إلى المرأة فقال لها
(واستغفري لذنبك) يعني توبى إلى الله مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو برى عنها وقيل ان هذا من قول

بأهلك سواء اراد هذا الامر وهو الاحتيال لتبيل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولا منها (ان كيدكن عظيم) لانهن أطف كيدا وأعظم
حيله وبذلك يغلب الرجال والقصر يات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء أكثر مما أخاف
من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى
قريب مفاطن الحديث وقبه تقرير بيبه وتلطيف لعله (أعرض عن هذا) الامروا كتمه ولا تتحدثن به ثم قال لرا بيل (واستغفري لذنبك)

انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنوب يقال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال بلغظ التذكير تغليبا للذ كور على الاناث
وكان العز بر جلا حليما قبل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء وكن خسا امرأة الساقية وامرأة الخباز
وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأتيها غير حقيقي ولان الم يقل قالت وفيه لغتان
كسر النون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العز يز) بردن قطفير والعز يز الملك بلسان العرب (تراودفتها) غلامها يقال قتاي وقتاني
اي غلامي وجاريتي (عن نفسه) (١٦) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تيمير أي قد شغفها حبه يعني حرق حبه شغاف قلبها

حتى وصل الى القواد
والشغاف سحاب القلب
أو جلدة رقيقة يقال لها
لسان القلب (انالترها في
ضلال مبين) في خطا بعد
عن طريق الصواب (فلما
سمعت) راعيل (بمكرهن)
باغتيا بهن وقولهن امرأة
العز يز عشقت عبدها
الكنعاني ومقتها وسمى
الاغتياب مكر الانه في خفية
وحال غيبة كياخفي الماكر
مكروه وقيل كانت
استكتمتهن سرها فافشينه
عليها (أوسلت اليهن)
دعتهن قيل دعت أربعين
امراة منهن الجنس
المذكورات (وأعدت)
وهيأت افعلت من العتاد
(لهن متكا) ما يتكئن
عليه من عارق قصدت بتلك
الهيئة وهي قعودهن
متكئات والسكا كين في
أيديهن أن يدهشن عند
رؤيته ويشغلن عن نفوسهن
فتقع أيديهن على أيديهن
فيقطعنها لان المتكئي اذا
بهت لشيء وقع يده على
يده (وأت كل واحدة
منهن سكيننا) وكانوا

الشاهد يقول للمرأة سلى زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين)
يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورمت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطئين ولم
يقول من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل
من يفعل هذا الفعل فقد ربه انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله عز وجل
(وقال نسوة في المدينة امرات العز يز تراودفتها عن نفسه) يعني وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل
كن أربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء
فيما بينهن بذلك وهن امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقية وامرأة صاحب
سجنه وقيل نسوة من أشرف مصر امرأة العز يز يعني زليخا وتراودفتها عن نفسه يعني تراودعدها الكنعاني
عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعني قد
علقها حبا والشغاف جلدة تحيط بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب
القلب وقيل ان حبه قد أطأ بقلها كما طأ الشغاف بالقلب قال الكليبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل
شيئا سواه (انالترها في ضلال مبين) يعني في خطابين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من
العفاف والستر وأجبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعني فلما سمعت زليخا يقولن وما تحدثن به وانما
سمى قولهن ذلك مكر لانهن طلبن بذلك روية يوسف وكان وصف لهن حسنه وجاله فقصدن أن
يرينه وقيل ان امرأة العز يز أفتت اليهن سرها واستكتمتهن فافشينه ذلك عليها فلذلك سماه مكر
(أرسلت اليهن) يعني انهن الماسهت بأنهن يلتمهن على خبيتهن يوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال
وهب اتخذت مائة يعني صنعت لهن ولبسة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينة قهين
هؤلاء اللاتي عبرنهن (وأعدت لهن متكا) يعني ووضعت لهن عمارق ومساند يتكئن عليها وقال ابن
عباس وابن جرير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما وانما سمي الطعام متكا لان كل من
دعونه ليطعم عنده فقد أعددت له وساند يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكا على الاستعارة
ويقال اتكا ناعند فلان أي طعمنا عنده والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث
ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكا الأترج
وقيل هو كل شيء يقامع بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة زينت البيت بالوان الطواك والاطعمة
ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي عبرنهن بسبب يوسف (وأت كل واحدة منهن سكيننا) يعني
وأعطت كل واحدة من النساء سكيننا لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين
(وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج
عليهن يوسف وكانت قد زينتته واختبأته في مكان آخر (فلما رأينه) يعني النسوة (أكبرنه) يعني أعظمته
ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد أعطى شطرا الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن
كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروي أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله

يا كاون في ذلك الزمان ابالسكا كين كفعل الاعاجم (وقالت اخرج عليهن) بكسر التاء بصري وعاصم وحزوة وبضمها غيرهم (فلما صلى
وأيناه أكبرنه) أعظمته وهين ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم
السماء وكان اذا سار في أزقة مصر يرى تلاء لوجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه بقره وقيل وراثت الجلال من جدته سارة وقيل أكبرن
يعني حضن والهاء السكت اذا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا حضنت وحققة دخلت في الكبر لانها
بالحيض تخرج من حد الصغر وكان أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله خفي الله واسترذ الجلال يبرقع فان لحظت حاضت في الخدر والعرائق

(وقطعن أيديهن) ورحمها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه فخذشن أيديهن (وقلن حاش الله) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا يدوهي حرف من حرف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فعنى حاشا الله براءة الله وتنزيهه لله وقرعة أي عمر وحاشا لله نحو قولك سعيالك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاشا لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيهه لله من صفات العجز (١٧) والتعجب من قدرته على خلق جبل مثله (ما هذا بشر ان هذا الاملاك

صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فرقة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاً لأوجهه على الجدران ويقال انه ورت حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هاله من أمره وهبتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبره أي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكر أكثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبره تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضننه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الأزهرى ان سحبت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد البكار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا المعنى فان سحبت الرواية عن ابن عباس سلمناها وجعلنا الهاء في قوله أكبره هاء الوقف لاهاء الكناية وقيل ان المرأة اذا حاضت أو فرغت فرجاً سقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فرجاً كان من فرجهن وما هاله من أمر يوسف حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندى أنه يحنم لوجهها آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسماه الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم مقروبا بتلك الهيبة والهيبسة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعنى وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فحاشا حسن الابالم وقال قتادة بن أيديهن حتى أقيمنها والاصح انه كان قطعاً من غير ابانة وقال وهب مات جماعة ممنهن (وقلن) يعنى النسوة (حاشا لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا (ان هذا الاملاك كريم) يعنى على الله والمعصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قدر كزفي النفوس أن لا شئ أحسن من الملاك فلذلك وصفه بكونه ملاك وقيل لما كان الملاك مطهر من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله تعالى (قالت فذلكن الذي لمتني فيه) يعنى قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي لمتني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها افتادها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن الخ بعدما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر فعلم منزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت (واقدر اودته عن نفسه فاستعصم) يعنى فاستعصم من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليهما منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما أمره) يعنى وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (اليسجن) أي ليه ما قبل بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعنى من الذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطمع مولاتك فيما دعوتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال رب) أي يارب (السجن أحب الي مما يدعونني اليه) قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما أضافه اليهن جميعا نحو وامن التصريح الى التعريض

كريم) فنعين عنه البشرية لغرابه بجماله وأثبت له الملكية ونبتت بها الحكم لما ركز في الطباع ان لا أحسن من الملاك كإركز فيها أن لا أقمع من الشيطان (قالت فذلكن الذي لمتني فيه) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه يعنى انكن لم تصورونه حتى صورته والاعذر تنفي في الاقتتان به (واقدر اودته عن نفسه فاستعصم) الاستعصام بقاء المغعة بديل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عهدة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام يرى عمما فسر به أولئك الطريق الهم والبهتان ثم قلن له أطمع مولاتك فقالت راعيل (ولئن لم يفعل ما أمره) الضمير راجع الى ما وهى موصولة والمعنى ما أمره بحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير أو ما صدر به والضمير يرجع الى يوسف أي ولئن لم يفعل أمرى اياه

(٣ - خازن - ثالث) أي موجب أمرى ومقتضاه (ليسجن) ليجس والالف في (وليكونا) بدل من فون التأكيد الحقيقية (من الصاغرين) مع السراق والسفالك والاباق كما سرق قلبي وأبق مني وسفل دمي بالفراق فلا يهنا ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما معنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثل في الحرير على السرير أميرا حصل في الحصر على الحصر حسيرا فلما سمع يوسف خبر يدها (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجت مولاتك أو افتنت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فالتجأ الى

وبه قال رب السجن أحب الي من ركوب المعصية (والان تصرف عني كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن
والصبر والميل الى الهوى ومنه الصبات النفوس تصبو اليها الطيب نسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعله فهو ومن لم يعلم (١٨) سواء أو من السفهاء فلما كان في قوله والان تصرف عني كيدهن معنى طلب الصبر والدعاء

قال (فاستجاب له ربه) أي
أجاب الله دعاءه (فصرف
عنه كيدهن انه هو
السميع) الدعوات الملتجئين
اليه (العليم) بحاله وحالهن
(ثم بداهم) فاعله مظهر
لدلاله ما يفسره عليه وهو
ليسبحننه والمعنى بداهم
بداء أي ظهر لهم - رأي
والضمير في لهم للعزير
وأهله (من بعد ما رآوا
الآيات) وهي الشواهد
على براءته كقد القميص
وقطع الابدى وشهادة
الصبي وغير ذلك (ليسبحننه)
لا بداء عذر الحال وارضاء
الستر على القبول والقال
وما كان ذلك الا باستئصال
المرأة وزوجها وكان مطاوعا
لها وجيلا ذلولا زمامه في
يدها وقد طمعت أن يذله
السجين ويستخرها لها أو
خافت عليه العيون ووطنت
فيه الظنون فالجأها النخل
من الناس والوجس من
الباس الى أن رضيت
بالحجاب فكان خوف
الذهب لتشتقي بخبره اذا
منعت من نظره (حتى حين)
الى زمان كأنها اقترحت
أن يسجن زمانا حتى تبصر
ما يكون منه (ودخل معه
السجين قتيان) عبدان

وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولاتك صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا ولانه
كان بحضورهن قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الي لم يبذل بالسجن والاولى بالعباد أن يسأل الله العافية
(والان تصرف عني كيدهن) يعني ما أردت مني (أصب اليهن) أي أمل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال
اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه
دليل على أن من ارتكب ذنبا فإثم ارتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فاجاب الله تعالى دعاء يوسف
(فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي الآية دليل على أن
يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمه البلية بكيد النساء ومطالبتن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله وفتح الى
الدعاء رغبة الى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بان الله لم يعصمه من المعصية وقع فيها فاذل
ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله واطمأنه به قوله عز وجل (ثم بداهم) يعني
للعزير وأصحابه في الرأي وذلك انهم أرادوا أن يقتصر وامن أمر يوسف على الاعراض وكنتم الحال وذلك ان
المرأة قالت لزوجه ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم بانى قدر او دته عن نفسه فاما ان
تاذن لي فاخرج واعتذرالى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه (من بعد ما رآوا الآيات) يعني الدالة على صدق
يوسف وبرائه من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أي دهن وذهب عقولهن عند رقيته (ليسبحننه)
أي يسبحن يوسف في السجن (حتى حين) يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى أن تمقطع مقالة
الناس وقال بكرمة الى سبع سنين وقال الكلبى خمس سنين فبسه قال السدى جعل الله ذلك الحيس
تطهير اليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن قتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن زوان العمليق ملك
مصر الا كبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليه ما الملك
فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشرف مصر أرادوا المكر بالملك واغتياه وقتله فضمنوا لهذين
الغلامين ما لا على أن يسهما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع عن ذلك وقبيل
الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أي الملك فان الطعام مسموم
وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك
فأبى فاطم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسهما يوسف وكان يوسف لما دخل السجن
جعل ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين لصاحبه هلم فلتجرب هذا الغلام العبراني فترأى
له رؤيا فأسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيئا انما تحالما البحر باليوسف وقال قوم بل
كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فترأى يوسف وهما همومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما غلامان للملك وقد
حبسهما وقد رأيا رؤيا فذمتهما فقال يوسف فصاعلى ما رأيتما فقصا عليه ما رآياه فذلك قوله تعالى (قال
أحد هما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خجرا) يعني عنبا يسمى العنب خجرا باسم ما يؤكل اليه يقال
فلان يطبخ الأجر أى يطبخ اللبن حتى يصير أجرا وقيل اجر العنب بلغة عجمان وذلك انه قال انى رأيت فى المنام
كأنى فى بستان واذا فيه أصل جبله وعلمها ثلاثة عناقيد عنب فغيتها و كان كأنى الملك فى يدي فعصرتها فيه
وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (انى أرانى أجعل فوق رأسى خبزانا كل الطير
منه) وذلك انه قال انى رأيت فى المنام كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز والزوان الاطعمته وسباع الطير
تنهس منها) (نبتنا بتأويله) أى أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤول اليه أمر هذه الرؤيا (اناراك من المحسنين)

للملك خبازه وشرابه بهمة السم فادخل السجن ساعة أدخل يوسف لان مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع
الامير تريد مصاحبه فوجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قال أحدهما) أى شرايبه (انى أرانى) أى فى المنام وهى حكاية حال
ماضية (أعصر خجرا) أى عنبا تسمى للعنب بما يؤول اليه أو اجر بلغة عجمان اسم للعنب (وقال الآخر) أى خبازه (انى أرانى) أى أجعل فوق رأسى
خبزانا كل الطير منه نبتنا بتأويله) بتأويل ما رأينا (اناراك من المحسنين) من الذين يحسنون عبادة الرؤيا ومن المحسنين الى أهل

الشيخ فانك تدوى المررض وتغزى الحزبن وتوسع على الفقير فأحسن البينابن وأبل مارأنا وقيل انهما تحالاه ليه تخناه فقال الشراي
ان رأيت كائى فى بستان فاذا بأصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها (١٩) فى كأس الملك وسقته وقال الحبارانى

رأيت كان فوق رأسى ثلاث
سلال فيها أنواع الاطعمة
فاذا سمع الطير تنهش
منها (قال لا يأتىك طعام
ترزقانه الانبأ تسكبأوبله)
أى ببيان ماهيته وكيفيته
لان ذلك يشبهه نفسه
المشكلى (قبل أن يأتىك)
ولما استعبراه ووصفاه
بالاحسان افترض ذلك
فوصله وصف نفسه بما
هو فوق علم العلماء وهو
الاخبار بالغيب وأنه ينبتهما
بما يحمل اليهما من الطعام
فى السجن قبل أن يأتىها
ويصفه لهما ويقول اليوم
يأتىك طعام من صفته كيت
وكيت فيكون كذلك
وجعل ذلك مخلصا الى أن
يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان
ويزينه لهما ويقب اليهما
الشرك وفيه ان العالم اذا
جهل منزلة فى العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده
وغرضه أن يقبس منهم
يكن من باب التركيبة
(ذلك) اشارة لهم الى
التأويل أى ذلك التأويل
والاخبار بالمغيبات (بما
علمنى ربي) وأوحى به الى
ولم أقله عن تسكن وتنجم
(انى تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون) يجوز أن يكون

يعنى من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا معنى العلم وسئل الضحك ما كان احسانه فقال كان اذا مرض
انسان فى الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شيئا وكان مع هذا
يجهتدى فى العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم
وانقطع رجائهم وطال حزنهم فجعل يسلمهم ويقول اصبروا وأبشروا فقالوا بارك الله فيك يا قى ما أحسن
وجهك وخلقتك وحديتك لقد بورك لنا فى جوارك فن أن أنت قال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح
الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا قى والله لو استطعت خلقت سيديك ولكن سأزفق
بك وأحسن جوارك واختراى بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رأيا يوسف قالانا قد أحبينك منذ
رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد فقط الا أدخل على من حبه بلا لقد
أحبتنى عمى فدخل على من ذلك بلا وأحبنى أبى فألقيت فى الحب وأحبتنى امرأ العزيز فحبست فلما قصا
عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاهما علم ما فى ذلك من المكروه لاحد هما وأعرض عن
سؤالهما وأخذ فى غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين
لهما ان درجته فى العلم أعلى وأعظم مما اعتدافيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شأن هذا العلم مبنى
على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن الغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك بما يعجز
الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن
تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله فى الاسلام ويخلصه من
الكفر ودخول النار فأظهره المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتىك طعام ترزقانه الانبأ تسكبأوبله) قيل
أراد به فى النوم يقول لا يأتىك طعام ترزقانه فى نومكما الآخر تسكبأوبله فى اليقظة أراد به فى اليقظة
يقول لا يأتىك طعام من منازلكما ترزقانه يعنى طعامه وتأكلانه الانبأ تسكبأوبله يعنى أخبر تسكبأوبله
ولونه والوقت الذى يصل اليكما فيه (قبل أن يأتىك) يعنى قبل أن يصل اليكما أى طعام أكلتم وكم أكلتم ومعنى
أكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم
فقال ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فن أن لك هذا العلم فقال ما تأكل ما تأكل
ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذى أخبرهما به (ذلك كما علمنى ربي) يعنى ان هذا الذى
أخبر تسكبأوبه وحى من الله أو ما الى وعلم علميه (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فان قلت طاهر قوله انى
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخل فى هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك
لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وأظهروا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك
فى قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ والاتفات اليه بالمره
وليس من شرطه أن يكون قد كان داخل فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثانى وهو الاقرب ان يوسف عليه
الصلاة والسلام لما كان عند العزيز زوجه وكافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على
التوحيد والايمان الصحيح مع قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك
ملتهم وأعرض عنهم ولم وافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظتهم فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون
للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله (واتبع ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) لما دعى يوسف عليه
السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهره من أهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان ابراهيم
واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسله ولهم الدرجة الاعلى فى الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة فى
الآخرة أظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة اسمعوا قوله ويطيعوا

كلامه تبدا وان يكون تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى به الى لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم
(واتبع ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) وهى الملة الحنيفية وتوسكر بهم للتوكيد ذكر الالباء ليريم ماله من بيت النبوة بعد ان
عرفهم انه نبي ووحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله والمراد به ترك الابتداع لانه كان فيهم تركه

(ما كان لنا) ماصح لنا عشر الانبياء (ان نشرك بالله من شيء) أي شيء كان صنما أو غيره ثم قال (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله فيشركون به ولا ينتهون (يا صاحبي السجن) يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأب متفرقون) (٢٠) خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والذكاء ترى ان تكون أو باب شتى يستعبدكم

هذا ويستعبدكم هذا خيرا كما أم يكون لسكرب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهما وان كان على دينهما من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الاسماء سميتوها) أنتم وأباؤكم (أي سميتهم) ما لا يستحق الالهية لهة ثم طفقتم تعبدونها فإنا كنا لكم لا تعبدون الاسماء لا سميات لها ومعنى سميتوها سميتهم بها يقال سميتهم بزيدا وسميته بزيدا (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) في أمر العباد والدين (الله) ثم بين ما حكمه فقال (أمر) ألا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا أمكن له العلم بظرفه ثم عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي السجن) أما أحدكم (يريد الشراي) (فيسق ربه) سيده (خرا) أي يعود الى عمله (وأما الآخر) أي

أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصاصها قال الواحدى لفظا من في قوله من شيء زائدة وكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ماصح لنا عشر الانبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك أو جنى أو انسى فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الشرك والعلم الذي رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الأدلة الدالة على وحدانيتهم وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الاسلام فقال (يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي في السجن فاضافهم الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروق وقوي بجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأب متفرقون) يعني أآلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعني ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الاحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شيء من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالوعد وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلكه فاستسلم وانقاد وذلكه والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا تستحق فقال (ما تعبدون من دونه) يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد بدأ بالثنائية في مخاطبة لانه أراد جميع من في السجن من المشركين (الاسماء سميتوها) يعني سميتهم بها أو آلهة وأباؤهم هي حجارة جادات خالية عن المعنى لاحقيقة لها (أنتم وأباؤكم) يعني من قبلكم سموها آلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بجموله ما أنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الله) يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك (أمر ألا تعبدوا الاياه) لانه هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي سميتهم بها آلهة (ذلك الدين القيم) يعني عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته وجع الى تعبير رؤياهما فقال (يا صاحبي السجن) أما أحدكم فيسقى ربه خرا) يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزله ويسقى الملك خرا كما كان يسقيه أو لا والعاقبة الثلاثة في ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك ورده الى منزله التي كان عليها (وأما الآخر فيصلب) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاثة ثلاثة أيام ثم يدعوه الملك فيصلبه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما سمعوا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قال ما رأينا شيئا مما كنا نكذب قال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سألتهم عنه ووجب حكم

الخباز (فصلب فتأكل الطير من رأسه) روى انه قال للاول ما رأيت من الكرمه وحسنها هو الملك وحسن حاله الله عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام قضى في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلالة ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئا فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمر كل واحدكما أي ما يجزى الله من العقوبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

(وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشراي
أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذ كرتي عند ربك) صفتي عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرجي ويخلصني من هذه الورطة (فأنساه
الشیطان) فأنسى الشراي (ذ كرتي) ان يذ كرتي به أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذ كرتي حين (٢١) وكل أمره الى غيره وفي الحديث

رحم الله أخى يوسف لولم
يقول اذ كرتي عند ربك لما
لبث في السجن سبعا(فلبث
في السجن بضع سنين) أى
سبعا عند الجهور وروا البضع
ما بين الثلاث الى التسع
(وقال الملك انى أرى سبع
بقرات سمان يأكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر وأخرى يابسات) لما
دنا فرج يوسف رأى ملك
مصر الریان بن الوليد رؤيا
عجيبة هالتة رأى سبع
بقرات سمان خرجن من
عجاف فابتلعت العجاف
السمان ورأى سبع
سنبلات خضر قد انعدت
حدها وسبعا أخر يابسات
قد استحصدت وأدركت
فالتوت اليابسات على
الخضر حتى غلبن عليها
فاستعبرها فلم يجدنى
قومه من يحسن عبارتها
وقيل كان ابتداء بلاء
يوسف فى الرؤيا ثم كان
سبب نجاة أيضا الرؤيا
سمان جمع سمين وسمينة
والعجاف المهازل والعجف
الهزال الذى ليس بعده
سمانة والسبب فى وقوع
عجاف جمع العجفاء أو فعل
وفعلاء لا يجتمعان على
فعال جملة على نقضه وهو

الله عليكم بالذى أخبرتك به وأيتماشياً أم لم تريا (وقال) يعنى يوسف (لذى ظن) يعنى علم وتحقق فالظن
بمعنى العلم (أنه ناج منهما) يعنى ساقى الملك (اذ كرتي عند ربك) يعنى سيدك وهو الملك الا كبر فقل له ان فى
السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأنساه الشيطان ذ كرتي) فى هاء الحكاية فى فأنساه الى من تعود
قولان أحدهما أنها ترجع الى الساقى وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى ان يذ كرتي
يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذ كرتي يوسف أولى من
صرفها الى يوسف والقول الثانى وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الحكاية ترجع الى يوسف والمعنى ان
الشيطان أنسى يوسف ذ كرتي به عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله فى دفع الضرر
وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام
يوسف أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهى منصب النبوة والرسل لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا
القدر فان حسنات الابار سيات المتقر بين * فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذ كرتي
ر به * قلت بشغل خاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم
فاما النسبان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالتة عن القلب بالحكمة فلا يقدر عليه ^ووقوله سبحانه وتعالى
(فلبث فى السجن بضع سنين) اختلفوا فى قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو
ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها فى السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب
أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذ كرتي
عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلاً لا طيلان حبسك فبكى يوسف وقال أيوب انسى قلبى ذ كرتي
كثرة البلوى فقلت لك قال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم لم رحم الله يوسف لولا كليمته التى قالها المبعث فى
السجن ما لبث يعنى قوله اذ كرتي عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فزعمنا الى الناس ذكره
الثعلبي مرسلوا بغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف فى السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف
يا أحم المذنبين ما لى أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر من يقرأ عليك السلام رب العالمين
ويقول لك أما استحييت منى أن استغثت بالأميين فوعزنى وجلالى لا لبس لك فى السجن بضع سنين قال يوسف
وهو فى ذلك عنى راض قال نعم قال اذ الأبالى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك من
خلقت قال الله قال فن رزقك قال الله قال فن حبيبك الى أهلك قال الله قال فن نجاك من كرب البئر قال الله قال
فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت يا دى
مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال السكبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التى كانت قبيل ذلك ودنا
فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالتة وذلك انه رأى
فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبين سبع سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلع
العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم يرمهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سنبلات خضر
قد انعدت حدها وسبع سنبلات أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهم ولم
يبق من خضرها شئ فجمع السكره والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤيا التى رآها فذلك قوله تعالى (وقال
الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات يا أيها الملاء
أفتونى فى رؤياى) يعنى بأهمل الاشراف أخبرونى بتأويل رؤياى (ان كنتم لرؤيا تعبرون) يعنى ان كنتم

سمان ومن دأبهم حمل النظر على النظر والنقيض على النقيض وفى الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان
الكلام مبني على انصابه الى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنبل الخضر فوجب أن يتأول معنى الاخر السبع ويكون قوله
وأخرى يابسات بمعنى وسبعا أخر (يا أيها الملاء) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكام (أفتونى فى رؤياى ان كنتم لرؤيا تعبرون) اللام فى الرؤيا

للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه من مثله اذا تاخر عنه فمضاهم اتقول
عبرت الروي بالروى يعبر أو يكون للروى يا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به من كنهانه وتعبرون خبراً آخر واحال
وحقيقة عبرت الروى اذا كرت عاقبتها وأخرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعتة حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الروى اذا كرت
مآلها وهو مرجعها وعبرت الروى بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم يتكبرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث
أحلام) أى هى أضغاث أحلام أى تخالطها وأيا طيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلاط
النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضغاث بمعنى من أى أضغاث من أحلام وانما جمع وهو حلم واحد ترايدانى
وصف الحلم بالبطلان وجزآن يكون (٢٢) قد تص عليهم مع هذه الروى بارؤ يا غيرها (ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام

المنامات الباطلة فقالوا
ليس لها عندنا تأويل انما
التأويل للمنامات الصحيحة
أو اعترفوا بقصور علمهم
وانهم ليسوا فى تأويل
الاحلام بخابرين (وقال
الذى نجى) من القتل
(منهما) من صاحبي السجن
(واذكر) بالدهو
الفصح وأصله اذ تكسر
فأبدلت الذال دالا والتاء
دالا وأدغمت الولى فى
الثانية لتقارب الحرفين
وعن الحسن اذ كرو وجهه
أنه قلب التاء ذالا وأدغم
أى تذكر يوسف وما شاهد
منه (بعدامة) بعدمه
طويلاً وذلك انه حين
استفتى الملك فى رؤياه
وأعضل على الملك تأويلها
تذكر الناجى يوسف
وتأويله رؤياه ورؤيا
صاحبه وطلبه اليهان
يذكره عند الملك (أنا
أنتنكم بتأويله) أنا
أخبركم به عن عنده علمه

تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الروى واسمى هذا العلم تعبيرا لان المفسر للروى
عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا يخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفى غيره
(قالوا) يعنى قال جماعة الملائكة وهم السحرة والكهنة والمعبرون بمجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعنى أخلاط
مشبهة واحده اضغث وأصله الخزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الروى التى يراها
الانسان فى منامه (ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الروى بأسباب الخلاص يوسف عليه
الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما آرقا فاق واضطرب وذلك لانه قد شاهد الناقص الضعيف قد
استولى على القوى الكامل حتى فهره وغلبه فأراد أن يعرف تأويل ذلك فجمع سحرة وكهنة ومعبريه
وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فاعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه
الروى ومنعهم عن الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله
تعالى (وقال الذى نجى منهن) يعنى وقال الساقى الذى نجى من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز
(واذكر بعدامة) يعنى انه تذكر قول يوسف اذ كرى فى عنقك بك بعدامة يعنى بعد حين وهو سبع سنين وسمى
الحين من الزمان أمة لانه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنتنكم) يعنى أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنتنكم
بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وناطبه بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جنابى بنى الملك وقال ان فى السجن رجلا عالما يعبر الروى
(فارساون) فيه اخنصار تقدره فارساى أيها الملك فارساه فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن فى المدينة
(يوسف) أى يا يوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير
الصدق والذى لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآها فى السجن (أفتنتنى سبع
بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخريا بسان) فان الملك رأى هذه الروى (على
أرجع الى الناس) يعنى أرجع بتأويل هذه الروى الى الملك وجماعته (لعلهم يعلمون) يعنى بتأويل هذه
الروى يا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك فى العلم (قال) يعنى قال يوسف معبر تلك الروى يا أما البقرات السمان
والسنبلات الخضر فسبع سنين خصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة
فذلك قوله تعالى (زرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أى ازرعوا (سبع سنين دأبا) يعنى عادتك فى الزراعة
والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فما حصدتم فذروه فى سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من
الحنطة فى سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقي له على طول الزمان (الاقلياتماتاً كون) يعنى
ادرسوا قليلا من الحنطة للإكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين

(فارساون) وبالياء يعقوب أى فابعثنى اليه لاسأله فارساه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها
البلغى فى الصدق وانما قاله ذلك لانه ذاق وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاءه كالأول (أفتنتنى سبع عجاف
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخريا بسان لعلنى أرجع الى الناس) الى الملك واتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فطلبوا
ويحاصوك من محشك (قال زرعون سبع سنين) هو خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليله قوله فذروه فى
سنبله وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى وجود الأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأبا) بسكون الهمزة وحقص بحركة
وهما مصدر اذ أب فى العمل وهو حال من الأمور أى دائبين (فما حصدتم فذروه فى سنبله) كدأبا كاه السوس (الاقلياتماتاً كون) فى
تلك السنين

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداداً يكن) هو من اسناد المجاز جعل لكلهن مسند اليهن (ما قدمته لهن) أي في السنين المحصبة (الاقليلا
ما تحصنون) تحرزون وتخبطون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه بغاث الناس) من الغوث أي يجاب
مستغيبهم أو من الغيث أي مطرون يقال غيثت البلاد إذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتحذون الاثر به والادهان
يعصرون حمزة فاول البقرات السماء والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والمخاف واليابسات بسنين مجسدة ثم بشرهم بعد الفراغ من
تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجي عمبار كما كثير الخير غز والنعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول) ليخبره من
السجين (قال ارجع الى ربك) أي الملك (فاسأله ما بال النسوة) أي حال النسوة (٢٣) (اللاتي قطعن أيديهن) انما ثبت يوسف

وتأني في اجابة الملك وقدم
سؤال النسوة ليظهر براءة
ساحته عماري به ويحجن
فيه لتلايتسلق به الحاسدون
الى تقبيح أمره عنده
ويجعلوه سلبا الى حط منزلته
لديه ولتلايقولوا ما خلدني
السجين سبع سنين الا
لامر عظيم وجرم كبير وفيه
دليل على ان الاجتهاد في
نفي التهم واجب وجوب
اتقاء الوقوف في موافقتها
وقال عليه السلام لقد
عجبت من يوسف وكرمه
وصبره والله يغفر له حين
سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه
ما أخبرتهم حتى أشترط ان
يخرجوني ولقد عجبت منه
حين آناه الرسول فقال
ارجع الى ربك ولو كنت
مكانه ولبتت في السجن
ما لبثت لاسرعت الاجابة
وبادرت بالجاب ولما ابتغيت
العدران كان لجليهاذ آتاة
ومن كرمه وحسن أدبه
انه لم يذكر سيئته مع
ما صنعت به وتسببت فيه

المجسدة وهو قوله (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المحصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجسدة
محملة شديدة على الناس (يا يكن) يعني يفنين (ما قدمته لهن) يعني يؤكل فيهن كل ما أعددتم وادخرتم لهن
من الطعام وانما أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسيع في الكلام (الاقليلا ما تحصنون) يعني
تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من
بعد ذلك) يعني من بعد هذه السنين المحصبة (عام فيه بغاث الناس) أي يحطرون من الغيث الذي هو المطر
وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فأعانني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب تجرا
والزيتون زيناوا السمسم دهنا وأراده بكثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل
يعصرون معناه يخجون من الكرب والشدة والجذب قوله عز وجل (وقال الملك ائتوني به) وذلك ان
الساقى لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن
لا محالة فقال ائتوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف
وقال له أجب الملك (قال) يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيديك وهو الملك (فاسأله ما بال
النسوة اللاتي قطعن أيديهن) ولم يصرح بذلك كرامرة العزير بأدب واحترامها (ق) عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولبتت في السجن طول لبتت يوسف لاجبت الداعي أخرج
الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن
هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبين قوته صبره وثباته والمراد بالاداعي رسول الملك
الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبت في
السجين وراسل الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على الهينة والبلاء وقوله (ان ربي
بكيد من علم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهم وما احتمل في هذه الواقعة من الخيل العظيمة فرجع الرسول
من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزير زمعهن و (قال) لهن (ما خطبكن)
أي ما سألتكن وأمركن (اذراودن يوسف عن نفسه) انما خطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد
بذلك امرأة العزير بزوجها ليكون أسرتها وقيل ان امرأة العزير زارودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة
أمرهن بطاعتها فذلك خطبهن بهذا الخطاب (قان) يعني النسوة جميعا عجيبات للملك (حاش الله) يعني معاذ
الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانة في شيء من الاشياء (قالت امرأت العزير الا ان حصص الحق)
يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزير فزغرنه ووقيل خافت أن يشهدن عليها
فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلطوا

من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربي بكيد من علم) أي ان كيد من عظيم لا يعلمه الا الله وهو يجازيهم عليه
فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالة فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزير زم (قال) لهن (ما خطبكن)
ما سألتكن (اذراودن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش الله) يعجبنا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه
من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزير الا ان حصص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني
عن نفسي ولا تريد على شهادتهم له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما أقدمت به ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره
بكلام النسوة واقرار امرأة العزير بزوجها فدعا يوسف

وبالغيب حال من الفاعل
 أو المفعول على معنى وأنا
 غائب عنه أو هو غائب عنى
 أو ليعلم الملك أنى لم أخن
 العزير (وان الله) أى
 وليعلم أن الله (لا يهدى
 كيد الخائنين) لاسدده
 وكأنه تعريض بأمر أنه
 فى خيانتها أمانة زوجهام
 أراد أن يتواضع لله ويضم
 نفسه لئلا يكون لها من كيا
 وايبين ان ما فيه من الامانة
 بتوفيق الله وعصمته فقال
 (وما أبرئ نفسى) من
 الزلل وما أشهد لها بالبراءة
 الكافية ولا أذكر كها فى عوم
 الاحوال أو فى هذه الحادثة
 لما ذكرنا من الهم الذى
 هو الخطرة البشرية لاعت
 طريق القصد والعزم (ان
 النفس لامارة بالسوء)
 أراد الجنس أى ان هذا
 الجنس يامر بالسوء
 ويحمل عليه لما فيه من
 الشهوات (الامارح ربي)
 الالبعض الذى رجح ربي
 بالعصمة يجوز أن يكون
 مارحم فى معنى الزمان أى
 الاوقت جترى يعنى انها
 أمارة بالسوء فى كل وقت
 الا وقت العصمة أو هو
 استثناء منقطع أى ولكن
 رجح ربي هى التى تصرف
 الاساءة وقيل هو من كلام
 امرأة العزير أى ذلك
 الذى قلت ليعلم يوسف أنى
 لم أخنه ولم أكذب عليه فى
 حال الغيبة وجئت بالصدق
 فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسى

فى قوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان
 هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أنا وادته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم
 قالت ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم
 أكذب عليه بل قلت أنا وادته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت فى حضرته
 ثم بالغت فى تأكيده هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما أتت على
 هذا الكيد والمكر لاجرم انى اقتضت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول
 يوسف عليه الصلاة والسلام وهذا قول الاكثر من من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد
 وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ
 يوسف قول المرأة أنا وادته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى فعلت من ردى رسول
 الملك اليه ليعلم يعنى العزير أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب يعنى فى حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف
 اتصل بقول امرأة العزير أنا وادته عن نفسه من غيبته يميز بين الكلامين ليعرفا السامعين لذلك مع غموض
 فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى رب
 أن يخرجكم من أرضكم هذا من قول الملائكة اذا تأمرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة
 أهلها أذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقها وعلى هذا القول اختلفوا أين
 كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما انه كان فى السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك
 وهو فى السجن وأخبره بجواب امرأة العزير لملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبى
 صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جرير والقول الثانى انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية
 عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلطفة ذلك وهى اشارة للغائب مع حضوره
 عندهم * قلت قال ابن الانبارى قال الغويون هذا وذلك يصلحان فى هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه فصار
 كالمشهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم أنى لم
 أخنه بالغيب أى لم أخن العزير فى حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدى كيد الخائنين يعنى
 انى لو كنت حائنا لما خصى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لا يهدى أى لا يرشد ولا يوفق كيد
 الخائنين واختلفوا فى قوله (وما أبرئ نفسى) من قول من على قولين أيضا أحدهما انه من قول المرأة وهذا
 التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما أبرئ
 نفسى من مرادى يوسف عن نفسه وكذبى عليه والقول الثانى وهو الاصح وعليه أكثر المفسرين انه من قول
 يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قاله جبريل ولا حين هممت بها
 فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس أيضا وهو قول الاكثر من وقال الحسن ان
 يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسى لان الله تعالى
 قال فلا تزكوا أنفسكم فى قوله وما أبرئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس
 فى مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فإراد الازالة ذلك عن نفسه فان حسنت الابرار سيات المقرين (ان
 النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والاخرى والسيئة
 الفعلية القبيحة واختلفوا فى النفس الامارة بالسوء ما هى فالذى عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم
 ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث
 المراتب هى صفات لنفس واحدة فاذا دعت النفس الى الشهوات وامالت اليها هى النفس الامارة بالسوء
 فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك
 الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا
 تزكيت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة وقوله (الامارح ربي) قال ابن عباس معناه الامن عصم

وأودعته السجن تريد الاعتذار بما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الامار حمري الانفسار جه الله بالعصمة كنفوس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربه ما واسترجه مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل (٢٥) عليه نظائر لان المعنى بقوله وقيل هذا

من تقديم القرآن وتأخير
أى قوله ذلك ليعلم متصل
بقوله فاستله ما بال النسوة
اللاتي قطعن أيديهن (وقال
الملك اتنوني به أستخلصه
لنفسى) فجعله خالصا
لنفسى (فلما كاهمه) وشاهد
منه ما لم يحسب (قال) الملك
ليوسف (انك اليوم لدينا
مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة
أمين مؤتمن على كل شئ
روى أن الرسول جاءه ومعه
سبعون حاجبا وسبعون
مركبا وبعث اليه لباس
الملوك فقال أحب الملك
نخرج من السجن ودعا
لاهله اللهم عطف عليهم
قلوب الاخبار ولا تم عليهم
الاخبار فهم أعلم الناس
بالاخبار في الواقعات وكتب
على باب السجن هذه منازل
البلاء وقبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف
من درن السجن ولبس
ثيابا جودا فلما دخل على
الملك قال اللهم اني أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ
بغيرك من شره ثم سلم
عليه ودعا له بالبرانية
فقال ما هذا الاسان قال
لسان آباءى وكان الملك
يتكلم بسبعين لسانا
فكاهمه بها فاجابه بجمعها
فتعجب منه وقال أيها

ربي فتكون ما يعنى من فهو كقوله ما طاب لكرم من النساء يعنى من طاب لكرم وقيل هذا استثناء منقطع معناه
لكن من رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعنى غفور لذنوب عباده
(رحيم) هم قوله تعالى (وقال الملك اتنوني به أستخلصه لنفسى) وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف
وعرف أماته وعلمه طلب حضوره اليه فقال اتنوني به يعنى بيوسف أستخلصه لنفسى أى أجعله خالصا للنفسى
والاستخلاص طلب خلوص الشئ من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه
لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيرة ولا يشاركونهم فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك
لما عظم اعادة عاقده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه
وثباته على المحن كلها فلها هذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمر ايهما أسبابا فاهم الملك ذلك فقال
اتنوني به أستخلصه لنفسى (فلما كاهمه) فيه اختصار تقديره فلما جاءه الرسول الى يوسف فقال له أحب الملك
الآن بلامعاودة فاجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب
الاخبار ولا تم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على يابه هذا
بيت البلاء وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياى وحسى ربي من خلقه
عزيرك وجل ثناؤك والاله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره
وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعبرية فقال له الملك ما هذا اللسان
قال لسان عمى اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان آباءى قال وهب
وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرفه هذين اللسانين وكان الملك كلما كاهمه بلسان آجابه يوسف
وزاد عليه العبرية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائمه من يوسف عليه السلام
وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كاهمه يعنى فلما كاهم الملك يوسف
لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما
كاهم يوسف الملك قال الساقى أيها الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه
الملك و (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أى منزلة وهى الحالة التى
يمكن بها صاحبها ما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك
مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب فى أمر الدين والدنيا
روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تأويل رؤياى منك شفاها فقال نعم أيها
الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه
تشخب أخلافن لبنا فيبينما أنت تنظر البهن وقد أعجبك حسنهن اذ نصب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه
فخرج من جأته سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا اخلاف ولهن أنياب
وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فافترسن السمان
كافتراس السبع فاكن لحمهن وضرفن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمسن نخهن فيبينما أنت تنظر
وتعجب كيف غابنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذ سبع سنبيلات خضر
طريبات ناعمان تملكت حيا وماء والى جانبنهن سبع أخرس ودياسات فى مثبت واحد ووقهن فى الثرى والماء
فيبينما أنت تقول فى نفسك أى شئ هو لا خضر مثيرات وهو لاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الثرى
والماء اذهب ربح قدرت أوراق اليابسات السود على الخضر المثيرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن

(٤ - (خازن) - ثالث) الصديق اني أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لهنهن وأحوالهن ومكان
خروجهن ووصف السنبيل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك وقال له من حقلك أن تجمع الطعام فى الاهرا فبأنتك الخلق من النواحي
و يتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لا يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه

(قال) يوسف (اجعلني)
 على خزان الارض) ولني
 على خزان ارضك يعني
 مصر (اني حفيظ) أمين
 أحفظ ما استخفظنيه (علمي)
 عالم بوجوه التصرف وصف
 نفسه بالامانة والكفاية
 وهما طلبة الملوك ممن يولونه
 وانما قال ذلك ليتوصل الى
 امضاء أحكام الله واقامة
 الحق وبسط العدل
 والتمكين مما لا جاهد بعث
 الانبياء الى العباد ولعلمه ان
 احدا غيره لا يقوم مقامه في
 ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله
 لا حب الملك والدينا وفي
 الحديث رحم الله اخی
 يوسف لولم يقل اجعلني على
 خزان الارض لاستعمله
 من ساعته ولكنه اخذ ذلك
 سنة قالوا وفيه دليل على انه
 يجوز ان يتولى الانسان
 عماله من يد سلطان جائر
 وقد كان السلف يتولون
 القعاء من جهة الظلمة واذا
 علم النبي أو العالم انه لا سبيل
 الى الحكم بامر الله ودفن
 الظلم الابتمكين الملك الكافر
 أو الفاسق فله ان يستظهر
 به وقيل كان الملك يصدر عن
 رأيه ولا يعترض عليه في كل
 ما رأى وكان في حكم التابع
 له (وكذلك) ومثل ذلك
 التمكين الظاهر (مكنا
 ليوسف في الارض) أرض
 مصر وكانت أربعين فرسخا
 في أربعين والتمكين
 الاقدار واعطاء المكنة
 (يتبوء أمنها حيث يشاء)
 أي كل مكان أراد أن يتخذ منزلا لم يمنع منه لا سبيلاته على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكي

سودا فهدا ما رأيت أيها الملك ثم انتهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فاشان هذه الروايات
 كان عجبا فها هو باعجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل روي أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة
 والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زراعا كثيرا في هذه السنين المحصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام
 في الخزائن بقصبه وسنله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علقا للاداب وتأمر الناس فليرفعوا الخمس
 من زروعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حوله او تأتلك الخلق من سائر النواحي
 للميرة ويجمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه
 ويبيعني ويكفيني العـمل فيه فعند ذلك (قال) يعني يوسف (اجعلني على خزان الارض) يعني على خزان
 الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أي اجعلني على خزان ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن
 أنس اجعلني على خزان خراج مصر ودخلها (اني حفيظ علمي) أي حفيظ للخزائن علمي بوجوه مصالحتها
 وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتني علمي بما وليتني وقيل حفيظ للحساب علمي أعلم لغة
 من يأتيني وقال السكبي حفيظ بتقديره في السنين المحصبة للسنين المحصبة بوقت الجوع حين يقع فقال
 الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك واوله ذلك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضي الله
 عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخی يوسف لولم يقل اجعلني على خزان الارض لاستعمله
 من ساعته ولكنه اخذ ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد
 من النهي عنهما مع كراهية طلبها لما صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أوتيتها عن مسئلة وكنت اليها وان أوتيتها عن غير مسئلة أعنت
 عليها أخرجها في الصحبين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها فاذا تعين عليه طلبها وجب ذلك
 عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى
 والرسول أعلم بمصالح الامم من غيره واذا كان مكافيا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه
 طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل فتح وشدة اما بطريق الوحي من الله أو بغيره وبما أفضى ذلك الى هلاك
 معظم الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المسحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب
 فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ علمي والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم قلت انما يكره
 تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية
 النفس أما اذا قصد به تزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه
 ذلك مثله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول أنا عالم ولما كان الملك قد
 علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا منه يوسف بقوله اني حفيظ علمي على انه عالم
 بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين ﷺ قوله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في
 الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما أنعمنا على يوسف بان أنجينا من الجب وخلصناه من السجن
 وزيناه في عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني أرض مصر ومعنى التمكين هو
 أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله (يتبوء أمنها حيث يشاء) لانه تفسير للتمكين قال
 ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلته بخاتم
 ووضع له سريرا من ذهب مكابا للدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثون
 فراشا وستون ماريبا وضرب له عليه كفة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجلاونه كالثلج ووجهه كالقمر
 يرى الناظر وجهه فيه من صضاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السر يروى ان ليوسف الملوك وقوض
 الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفه برعا كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحاق قال ابن زيد وكان الملك
 مصر خزائن كثيرة فسلها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضائه نافذا في ملكته قالوا ثم هلك
 قطفه عز يز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بزعبدها كما فلهما داخل يوسف عليها قال لها

(نصيب برحمتنا) بعطاشنا في الدين من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نساء) من اقتضت الحكمة أن نساءه ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان ابن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا الآية. يروي أن الملك فوج يوسف وختمه بخاتم ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكالابالدر والياقوت فقال (٢٧) أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فادبره أمرك وأما التاج

فليس من لباسي ولا لباس آباءي فجلس على السرير وذات له الملوك وقوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خير مما طلبت فوجدتها عذراء فولت له ولدين افسرايم وميشاو وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدرهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلى والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماع في الرابعة ثم بالدور والعمارة في الخامسة ثم بالادهم في السادسة ثم بقرانهم في السابعة حتى استرقهم جميعا ثم اعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد من المعتارين أكثر من جل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء

أليس هذا خيرا مما كنت تريدن قالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأ تحسنا عجمة كما ترى في ملك ودينيا وكان صاحبي لا يأتي النساء و كنت كما جعلك الله في حسنك وهيتك فغلبتني نفسي وعصمت الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افسرايم وميشاو هما ابنا يوسف منها واستوتق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدية وأفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المحصبة ودخلت السنين المجدية جهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فباع نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أول أوان القحط فهلك في السنة الأولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة المحصبة فجعل أهل مصر يتناعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الأولى بالثمن ودحتي لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذهم منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس من هاتين وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبيد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعمارة حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة بالادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة بقرانهم حتى لم يبق بمصر حور ولا حرة الا ملكه فصار واجمعهم عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كاليوم ملكا أجلا ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فماترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبسح قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع ويبدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت أنسى الجماع وأمر يوسف طبياخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجماع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام و يتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأمنها حيث يشاء (نصيب برحمتنا من نساء) يعني تختص بنعمتنا وهي النبوة من نساءه يعني من عبادنا (ولا نضيع أجر المحسنين) قال ابن عباس يعني الصابرين (ولأجر الآخرة) يعني ولثواب الآخرة (خير) يعني أفضل من أجر الدنيا (الذين آمنوا كانوا يتقون) يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعده الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ^ع قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي أحدا أكثر من جل بعير وان كان عظيما تقسبطا ومساواة بين الناس ونزل بآل يعقوب ما تزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أيضا يوسف لانه مؤايبه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربيات من أرض فلسطين والعربيات نحو الشام وكانوا أهل بادية وابل وشيخاء فدعاهم يعقوب عليه الصلاة

يوسف فدخلوا عليه فعرفهم) بلا تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة وروى انه لما راهم وكلمه بالعبرانية قال لهم أحبروني من أنتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فقمنا تار فقال لعالمكم جثتم عيوننا ونظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي خزين لمقدان كان أحبنا اليه وقد أمسك أقاله من أمه يستأنس به فقال اتوني به ان صدقتم

(ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حمل
 بغير ورقى بكسر الجيم شاذاً
 (قال أتوني بأخ لكم من
 أيكم الأترون أنى أوفى
 الكيل) أتمه (وأنا خير
 المتزلين) كان قد أحسن
 إنزالهم وضيافتهم رغبتهم
 به هذا الكلام على الرجوع
 إليه (فان لم تأتوني به فلا
 كيل لكم عندي) فلا
 أبيعكم طعاماً (ولا تقر بون)
 أى فان لم تأتوني به تحرموا
 ولا تقر بوافه ودخل في
 حكم الجزاء مجزوم معطوف
 على محل قوله فلا كيل لكم
 أو هو بمعنى النهى (قالوا
 سنراوده عنه أباه) سخاذه
 عنه ونحوه حتى تنزعه من
 يده (وإنالفاعلون) ذلك
 لا محالة لانقرط فيه ولا تنوفاً
 قال فدعوا بعضكم رهناً
 فتركوا عنده شمعون
 وكان أحسنهم رأياً يوسف
 (وقال لفتيانه) كوفى
 غير أبي بكر لفتيته غيرهم
 وهمما جمع فتى كالخوة
 وانخوان في أخ وقوله للفتاة
 وفتلان للكثرة أى العلم نه
 الكيلين (اجعلوا بضاعتهم
 في رحالهم) أو عيبتهم وكانت
 نعلاً أو أداماً أو ورقاً وهو
 ألبس باللس في الرحال
 (لعلهم يعرفونها) يعرفون
 حق ردها وحق التكريم
 باعطاء البدلين (إذا انقلبوا
 إلى آهالهم) ورفرغواظر وفهم
 (لعلهم يرجعون) لعل
 معرفتهم بذلك تدعوهم إلى

والسلام وقال بلغنى أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام فجهزوا له واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون إليه
 من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم - قال ابن عباس وبجهاهد بأول نظرة نظر
 اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعنى لم يعرفوه قال ابن عباس رضى
 الله عنهم ما كان بين أن قد فوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فلذلك أنكره وقال عطاء
 انه لم يعرفوه لانه كان على سر بالملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك
 مصر عليه ثياب حرى وروى عنه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة
 فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب يتخلق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى
 لم يتخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقاً لما أخبر أنه سينبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون
 فكان ذلك محجزة لموسى عليه الصلاة والسلام فلما انظر اليهم يوسف واكلوه بالعبرانية كلهم بلسانهم فقال
 لهم انبروني من أنتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من
 الجهد ما أصاب الناس فثمننا فتمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا والله ما نحن بجواسيس
 انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قال وكم أنتم
 قالوا كئاننى عشر فذهب أخ لنا معنا إلى السيرة فهلك فيها وكان أحبنا إلى أئينا قال فكأنتم الآن قالو
 عشرة قال وأين الآخر قالوا هو عندنا بينا لانه أخو الذى هلك لانه ما فوينا يتسلى به قال فن يعلم ان الذى تقولون
 حق قالوا أيج الملك اننا بلاذغرة لا يعرفنا فيها أحد قال فاتتوني بأخيكم الذى من أيكم ان كنتم صادقين
 فان اراض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفرأقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني
 به فافترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً يوسف فخلطوه عنده فذلك قوله تعالى
 (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزاً اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في
 وجوههم والجهاز بفتح الجيم هى اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثر من أهل اللغة وكسر الجيم لغة
 ليست بجيدة قال ابن عباس حل لكل واحد منهم بعيران الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم
 وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال أتوني بأخ لكم من أيكم) يعنى الذى خلفتموه عنده وهو
 بنيامين (الأترون أنى أوفى الكيل) يعنى انى أتمه ولا أخلص منه شيئاً وأزيدكم حل بعيراً آخر لاجل أخيكم
 أكرمكم بذلك (وأنا خير المتزلين) يعنى خير المضيفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة قامتهم عنده قال
 الامام فخر الدين الرازى هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم
 جواسيس ومن يشافهمهم هذا الكلام فلا يابق به أن يقول لهم الأترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المتزلين
 وأيضاً يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه
 يعرف براعتهم من هذه التهمة لان الهتان لا يلدق بالصدق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعنى بأخيكم
 الذى من أيكم (فلا كيل لكم عندي) يعنى لست أكيل لكم طعاماً (ولا تقر بون) يعنى ولا ترجعوا ولا
 تقر بوبلادى وهذا هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا يحتاجون الى تخصص الطعام ولا يمكنهم
 تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعنى اخوة يوسف (سنراود
 عنه أباه) يعنى سنجهتد ونحوه حتى تنزعه من عنده (وإنالفاعلون) يعنى ما أمرت بانه قوله عز وجل
 (وقال لفتيانه) يعنى وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانهم وأتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أراد بالبضاعة
 ثمن الطعام الذى أعطوه له يوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم
 والرحال جمع رحل وهى الاوعية التى يحمل فيها الطعام وغيره (لعلهم يعرفونها) يعنى يعرفون
 بضاعتهم (إذا انقلبوا الى أهالهم) يعنى اذا رجعوا الى أهالهم (لعلهم يرجعون) البنا واختلغو فى السبب
 الذى من أجله رد يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا
 بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريراً

الرجوع اليه سريراً وبما لا يجدون بضاعتها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة أو لم يرميهم الكرم أن يأخذ

من أبيه واخوته ثمانية فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام واخذوا خبزهم وخبزهم ففعل (فالوايا ابا نامع من الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا
 كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا واجتمع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا احنانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج
 اليه يكتل جزء على أي يكتل اخونا فينضم اكياله الى اكيالنا (واناله لحافظون) عن ان يناله (٢٩) مكرره (قال هل آمنكم عليه الا كما
 آمنتمكم على أخيه من قبل)
 وقيل انه خاف ان لا يكون عند أبيه شيء آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى
 ان أخذ من الطعام من أبيه واخوته لثوم لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجه لا يهتهم
 فيلوم ولا يعيب وقيل أراد ان يريهم بوجه وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى الى العود
 اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم
 لانهم انبياء واولاد انبياء وقيل أراد برد البضاعة اليهم ان يكون ذلك عونا لابيهم ولاخوته على شدة الزمان
 (فلما رجعوا الى أبيهم فالوايا ابا) انما قدمنا على خير رجل اثرنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا
 من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعت الى ملك مصر فافر واعلمه مني السلام
 وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعوك بما اوليتنا ثم قال لهم ان شئتم فقولوا ارثنه ملك مصر عنده
 واخبروه بالقصة ثم فالوايا ابا (منع من الكيل) وفيه قولان أحدهما انهم لما أخبروا يوسف بأخيه من
 أبيهم طلبوا منه الطعام لابيهم وأخيهم المتخلف عند أبيهم فنعهم من ذلك حتى يحضر فقولهم منع من الكيل
 اشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع من الكيل في المستقبل وهو اشارة
 الى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يجمع من الكيل ان لم تحمل
 معنا احنانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (فارسل معنا احنانا) يعني بنيامين (نكتل) قرئ بالياء يعني يكتل
 لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا وياه معنا (واناله لحافظون) يعني زده اليك فلما قالوا ليعقوب
 هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على أخيه من قبل) يعني كيف آمنتمكم على
 ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكروتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي
 حفظه وقلتم واناله لحافظون فما فعلتم فاما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف يحصل ههنا ثم قال (فانله
 خير حفظا) يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له ففيه التنويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع
 الامور (وهو ارحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وانما أرسله معهم وقد شاهد
 ما فعلوا بي يوسف لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحق والجد والاحسان ما كان بينهم وبين يوسف أو ان
 يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فأرسله معهم وأن شدة القحط وضيق الوقت أوجبه الى ذلك
 قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي جأوه من مصر فيحتل ان يكون المراد به الطعام أو اوعية الطعام
 (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم من الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد
 عليهم ودفن في متاعهم (فالوايا ابا نامعني) يعني ما ذابني وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا
 ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا
 بضاعتهم قد ردت اليهم فالوايا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أو في لنا
 الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا وغير آهلنا) يقال
 ما رأه غيرهم مير اذا جعل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى اننا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله
 اليهم (ونحفظ احنانا) يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى زده اليك (وزداد كيل بعير) يعني وزداد لاجل
 أخينا على أحمالنا لاجل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني ان ذلك الحمل الذي زداده من الطعام حين على
 الملك لانه قد أحسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي جئنا به معنا كيل يسير قليل لا يكفيننا
 وآهلنا (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن أرسل معكم حتى تؤثون موثقا من الله) يعني لن أرسل معكم بنيامين
 حتى تؤثوني عهدا لله وميثاقا له والموثق العهد المؤكد باليمين وقيل هو الموثق كدبها شهادة الله عليه (لنا تثنى به)

من أبيه واخوته ثمانية فلما رجعوا الى أبيهم) بالطعام واخذوا خبزهم وخبزهم ففعل (فالوايا ابا نامع من الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا
 كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا واجتمع الكيل فقد منع الكيل (فارسل معنا احنانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج
 اليه يكتل جزء على أي يكتل اخونا فينضم اكياله الى اكيالنا (واناله لحافظون) عن ان يناله (٢٩) مكرره (قال هل آمنكم عليه الا كما
 آمنتمكم على أخيه من قبل)
 يعني انكم قلتم في يوسف
 أرسله معنا غدا يرتع ويلعب
 واناله لحافظون كما تقولونه
 في أخيه ثم ختمت بضمها نكم
 فما يأمنني من مثل ذلك ثم
 قال (فانله خير حفظا)
 كوفي غير أبي بكر فتوكل
 على الله فيه وودعه اليهم
 وهو حال أو تميز ومن قرأ
 حفظا فهو تمييز لا غير (وهو
 ارحم الراحمين) فأرجو انه
 ينعم على بحفظه ولا يجمع
 على مصيبة من قال كعب
 لما قال فانله خير حفظا قاله
 الله تعالى وعزتي ورجلاي
 لاردن عليك كاهما (ولما
 فتحوا متاعهم وجدوا
 بضاعتهم ردت اليهم فالوايا
 يا ابا نامعني) ما للذي أي
 ما نبعني في القول ولا تجاور
 الحق أو ما نبعني شبا ورعنا
 فعمل بنامن الاحسان أو
 ما نرى يدملك بضاعة أخرى
 أو للاستفهام أي أي شيء
 نطالب وراء هذا (هذه
 بضاعتنا ردت الينا) جملة
 مستأنفة موضحة لقوله ما
 نبعني والجل بعد ما عطوفة
 عليها أي ان بضاعتنا ردت
 الينا فتستظهر بها (وتميز
 آهلنا) في رجوعنا الى الله
 أي نجلب لهم مير قوهي
 طعام يحمل من غير بلدك

(ونحفظ احنانا) في ذهابنا وبجسنا في ارضيه شيء مما تخافه (وزداد كيل بعير) وزداد وسق بعير باستحباب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل
 عليه متيسر لا يتعاطمه (قال لن أرسل معكم حتى تؤثون) وبالياء مكي (موثقا) عهدا (من الله) والمعنى حتى تعلموني ما تؤثون به من عند الله
 أي أراد أن يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا لانه الحلف به مما يؤكده العهد وقد أذن الله في ذلك فهو اذن منه (لنا تثنى به)

المثبت وهو قوله لتأتني به
 في تأويل النفي اي لا تمتنعوا
 من الايمان به الا للاحاطة
 بكم يعني لا تمتنعوا منه لعله
 من العسل الاعلى واحدة
 وهي ان يحاط بكم فهو استثناء
 من اعم العام في المفعول له
 والاستثناء من اعم العام
 لا يكون الا في النفي فلا بد
 من تأويله بالنفي (فلما
 اتوه موثقهم) قيل حلفوا
 بالله رب محمد عليه السلام
 (قال) بعضهم يسكت
 عليه لان المعنى قال يعقوب
 (الله على ما تقول) من
 طلب الموثق واعطائه
 (وكيل) رقيب مطلع غير
 ان السكنة تفصل بين القول
 والمقول وذال يجوز فالاولى
 ان يفرق بينهما بالصوت
 فيصعد قوة النعمة باسم
 الله (وقال يابني لا تدخلوا
 من باب واحد وادخلوا
 من ابواب متفرقة) الجمهور
 على انه خاف عليهم العين
 لجبالهم وجماله امرهم ولم
 يأمرهم بالتفرق في الكربة
 الاولى لانهم كانوا مجبولين
 في الكربة الاولى فالعين
 حق عندنا وجوده بان
 يحدث الله تعالى عند النظر
 الى الشيء والاعجاب به نقصانا
 فيه وخلا وكان النبي صلى
 الله عليه وسلم يعود الحسن
 والحسين رضي الله عنهما
 فيقول اعيذك بكلمات
 الله التامة من كل هامة
 ومن كل عين لامة وانكر

دخلت الام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتني به (الان يحاط بكم) قال بجاهد الآن
 تم اكوا جميعا فيكون عذر السك عندى لان العرب تقول احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة
 الان تغلبوا جميعا فلا تقدر واعلى الرجوع (فلما اتوه موثقهم) يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له (قال
 الله على ما تقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما تقول كائن الشاهد وكيل بمعنى انه موكل اليه هذا
 العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالتة خير حفظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي
 لا ردن عليك كايه ما بعد ما توكلت على وقضت امرك الى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت
 وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم متوكلا على الله ومفوضا أمره
 اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب (وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة)
 وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يابني لا تدخلوا بعني مدينة مصر من باب واحد
 وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر ثمانية ابواب وقال السدي اراد الطريق لا الابواب يعني
 من طرق متفرقة وانما أمرهم بذلك لانه خاف عليهم العين لانهم كانوا اقدا اعطوا اجالا وقوة وامنة ادقامة
 وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة للتلاصق بالعين فان العين حق وهذا قول
 ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهو والمفسر بن (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ان العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استسالمت فاعتسلا عن عائشة رضي الله تعالى عنها
 قالت كان يوم العائش فتوضأ ثم يغتسل منه المعين أخرجه أبو داود وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله
 تعالى قال المازري أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المتبعة
 والدليل على فساد عقولهم ان كل معنى يكون مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه
 من مجوزات العقول واذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وقيل لا بد من فرق
 بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الطبائعين المبتئين للعين
 تأثيرا ان العائش تتبع من عينيه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا تمتنع هذا كما لا تمتنع انبعث
 قوة سمية من الاقعي والعقرب تتصل بالمدوغ فيهلك وان كان غير محسوس لئذا كذا العين قال المازري
 وهذا غير مسلم لا يابني في كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبيننا فساد القول بالطبائع وبيننا
 الحديث لا يفعل في غيره شيئا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض
 فباطل أن يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهر لان الجوهر متجانسة فليس بعضها
 بان يكون مفسد البعض باولي من عكسه فبطل ما قالوه واقرب طريقه قالها من يتخلل الاسلام منهم أن قالوا
 لا يبعد أن تتبعت جواهر لطيفة غير مبرمثة من عين العائش لتتصل بالعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله
 عز وجل الهلاك عندها كخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا
 طبيعية الجأ الفعل اليها قال ومذهب أهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العائش بفعل الله تعالى
 أخرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصا آخر وهل ثم جواهر أم لا فهذا من
 مجوزات العقول لا يقطع فيه لواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها واذا فاته الى الله تعالى فن قطع
 من أطباء الاسلام بانبعثت الجواهر فقد أخطأ في قطعه وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول
 وأما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين
 عند اغتساله رواه مالك في الموطأ واما صفة وضوء العائش فذكر في كتب شروح الحديث ومعرفة عند
 العلماء فيطلب من هناك فليس هذا موضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد
 وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف أن يغتالوا المساطير لهم في أرض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه
 وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الان

الجاني العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل اني احب ان لا يفطن بهم اعداؤهم فيجتالوا الاهلاكهم

(وما غنى عنكم من الله من شيء) أي ان كان الله اراد بكم سواء لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما شرت به عليكم من التفريق وهو مصيبكم لا بحاله (ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث امرهم اوههم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم) دخولهم من ابواب متفرقة (من الله من شيء) أي (٣١) شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة

السرة اليهم وافترضهم بذلك واخذ اخيهم بوجودان الصواع في رحله وضاغط المصيبة على ابيهم (الا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتهم عليهم (وانه لذو علم) يعني قوله وما غنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعلمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه آخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا لهذا اخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فآزر لهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكي وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسي معه فقال يوسف بقى اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدة وجعل يواكبه وقال له احب ان اكون احاك بدل اخيك الهالك قال ومن يجد احامتك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني انا اخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا

الله تعالى لم يأذن له في اظهاره ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الحاجة قبل اخوته والقول الاوّل اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجح الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله (وما غنى عنكم من الله من شيء) يعني ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم بجمته معين كستم أو متفرقين فان المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (ان الحكم الا لله) يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في اموري كلها على غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون) ولما دخلوا من حيث امرهم اوههم) يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة القرماة أربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما غنى عنكم من الله من شيء (الحاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا الاستثناء منقطع ليس من الاوّل في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الاباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعني يعقوب (لذو علم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعلمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه انه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل انه لذو حنق لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لاجل جهل وقيل انه ليعلم بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعمل يعقوب لانهم لم يسألوا طريق اصابه العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله اوليائه ﴿قوله تعالى (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه آخاه) قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا أجب الملك هذا اخونا الذي أمرتنا ان نأتبك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكي وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسي معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدة وجعل يواكبه فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينامان على فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشمر ويحتمى حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معناه ان وسأضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روبيل مارا ينامل هذا فذلك قوله آوى اليه آخاه يعني ضموا منزله معه في منزله فلما خالاه قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المشكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لأمك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أنتح أن أكون احاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجسد احامتك أمها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه و (قال) له (اني انا اخوك) يعني يوسف (فلا تبتئس) يعني لا تحزن وقال أهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني فلا تحزن بشيء فعلموه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ونجاننا من الهلاك ورجح بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفاهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لانيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما أعلمتك به ثم انه أوفى لاقوته السكيل وزاد تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فانا لا أقارئك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فان حبستك ازيد انعمه ولا سبيل الى ذلك الا ان أنسبك الى ما لا يحمد قال لا ابالي فافعل ما بدالك قال فاني أدس صاعى في رحلك ثم أنادى عليك بأنك سمرقته ليهيأ لي ودك بعد تيسير يحك معهم فقال افعل

تخزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فانا لا أقارئك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فان حبستك ازيد انعمه ولا سبيل الى ذلك الا ان أنسبك الى ما لا يحمد قال لا ابالي فافعل ما بدالك قال فاني أدس صاعى في رحلك ثم أنادى عليك بأنك سمرقته ليهيأ لي ودك بعد تيسير يحك معهم فقال افعل

(فما جهزهم بجهازهم) هيا أسبابهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) مشربة يسقي بها وهي الصواع قبل كان يسقي بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به اعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناداً ذنه أي أعلمه وأذن أن يقرأ الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وروى أنهم ارتحلوا وأمهاتهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمرهم فادركوا وجلسوا ثم قيل لهم (أيبتها العير) هي الابل التي عليها الاجال لانها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياهن من أبيه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) هو الصاع (ولن جاء به جل بعير وأنبه زعيم) يقوله المؤذن يريدوا بانجعل البعير كفيل أو ديه الى من جاءه وأراد سوق بعير من طعام جعله لمن حصله (قالوا تالله) قسم في معنى التعجب مما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأقوامهم وحلهم مشدودة لثلاثتناول زرعاً أو طعاماً لا أحد من أهل

لكل واحد جل بعير ولبنيا من جل بعير باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي على فاذا حبستك عندي ازادادغمة ولا يمكنني هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فطبيع وأنسبك الى ما لا يحمد قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا أفارقك قال فاني أدم صاع في رحلك ثم نادى عليهم بالسرقة ليتبها أو ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف ميكالاً لئلا يكال بعيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لانا واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهاتهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا متزلاً وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوفيتهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعني نادى منادوا علم معلم والاذان في اللغة الاعلام (أيبتها العير) وهي العاقلة التي فيها الاجال وقال مجاهد العير الجير والبغال وقال أبو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والجير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي تحمل عليها الاجال سميت بذلك لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الجير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيبتها العير أراد أصحاب العير (انكم لسارقون) ففقدوا السرقة أخذ ما ليس له أخذ في خفاء فان قلت هل كان هذا النداء بأمر يوسف أم لا فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواماً وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بعير أمره فهلاً أظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لأخيه انه أخوه قال لست أفارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما يليق قال رضيته بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قدرضى به فلا يكون ذنباً الثاني أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أبيه لانهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى بما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا ذلك بأمر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغضب على ظنهم انهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نسركم وتحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذلك قالوا فقد ناسقنايه الملك ولا تتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أي عطفوا على المؤذن وأصحابه ما ذى ما الذى تفقدون والتفقدان ضد الوجود (قالوا) يعني المؤذن وأصحابه (نفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذي يكال به وجمعها أصوع والصواع لغة فيه وجمعها صيعان (ولن جاءه) بمعنى بالصواع (جل بعير) بمعنى من الطعام (وأنا به زعيم) أي كفيل قال الكبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في قوله الخليل غارم والجيل الكفيل فان قلت كيف نصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيئاً قلت لم يكونوا سراقاتي الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جعله ولعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعني اخوة يوسف (تالله) التناهدل من الواو ولا تدخل الاعلى اسم الله في اليمين خاصة تقدر بروا الله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) قال المفسر ان اخوة يوسف حلطوا على أمر من أحدهما انهم ما جاؤا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم انهم شدوا أفواههم لئلا تؤذى زرع الناس ومن كان هذه

السوق ولا ينهم ردوا بضاعتهم التي رجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة

صفة فالفساد في حقه ممنوع وأما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا رواد البضاعة التي وجدوها
 في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفة فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا القدر علم ما جئنا النفس في
 الارض وما كنا سارقين فلما تبينت براعتهم من هذه التهمة (قالوا) يعني أصحاب يوسف وهو المنادي وأصحابه
 (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعني فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا النفس في الارض وما كنا
 سارقين (قالوا) يعني اخوة يوسف (جزاؤه من وجد في رحله) يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان يسلم
 برقبته الى المسروق منه فيسرقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان
 يضرب السارق ويغرم ضعف قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا
 فاراد يوسف ان يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق ان يستعيد سنة
 جزاءه على حرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك تجزي الظالمين) يعني مثل هذا الجزاء
 وهو ان يسرق السارق سنة تجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقرته كلام اخوة يوسف وقيل هو من كلام
 أصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق ان يسرق سنة قال أصحاب يوسف كذلك
 تجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير ان اخوة
 يوسف لما أقر وان جزاء السارق ان يسرق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى
 يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لزالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم
 واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء الا استغفر الله تائما عما قد فهم به حتى
 لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال اخوته والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه أطيب
 لنفسك وأنه سنا فلما فتح متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) انما
 أنت الحكاية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يذكرو ويؤث فاما أخرج الصواع من رحل بنيامين
 فكس اخوة يوسف رؤسهم من الخبثاء وأقبلوا على بنيامين يأمونوه ويقولون له ما صنعت بنا فضع حشا وسودت
 وجوهنا يا بني را حبل مازال لنا منكم بلاع متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو را حبل مازال لهم
 منكم بلاع ذهبتم يا بني فاحسبوا في البرية ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في
 رحالكم قالوا فاحسب بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين
 استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذه برقبته وردوه الى يوسف (كذلك كدنا ليوسف) يعني ومثل
 ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم الذي ذكره اخوة يوسف باسترقاق السارق أي مثل ذلك
 الحكم الذي ذكره اخوة يوسف حكمناه ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله
 عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد
 يعني كما فعلوا ليوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا
 اخوة يوسف بأن حكموا ان جزاء السارق ان يسرق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل أخيه
 ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى
 كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الانباري كدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف
 معناه في أوصاف المخلوقين فانه اذا أخبر به عن مخلوق كان تحته احتمال وهو في موضع فعل الله معرئ من
 المعاني المذمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيد تدبير ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من
 الله مشيئة بالذي يكون من أجل أن المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمره له من الذي يقع به
 من الكيد فهو من الله تعالى استراذه وما ختم الله به عاقبه والذي وقع باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى
 اليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعام النعمة وحيث جرى الامر على غير ما قدر وامن اهلاكم وخالوص
 أيهم له بعد وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيد لانه أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون
 كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائد الى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير

(قالوا فما جزاؤه) الضمير
 للصواع أي فما جزاء
 سرقته (ان كنتم كاذبين)
 في سجودكم وادعائكم البراءة
 منه (قالوا جزاؤه من
 وجد في رحله) أي جزاء
 سرقته أخذ من وجد في
 رحله وكان حكم السارق
 في آل يعقوب ان يسرق
 سنة فلذلك استفتوا في
 جزائه وقولهم (فهو جزاؤه)
 تقرير للحكم أي فأخذ
 السارق نفسه هو جزاؤه
 لا غير جزاؤه مبتدا والجملة
 الشرطية كإلهي خبره
 (كذلك تجزي الظالمين)
 أي السارق بالاسترقاق
 (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء
 أخيه) فبدأ بتفتيش
 أوعيتهم قبل وعاء بنيامين
 لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه
 فقال ما أظن هذا أخذ شيئا
 فقالوا والله لا نتركه حتى
 تنظر في رحله فانه أطيب
 لنفسك وأنفسنا
 (ثم استخرجها) أي الصواع
 (من وعاء أخيه) ذكر
 ضمير الصواع مرث ثم
 أنه لان التائيت يرجع
 الى السقاية أولان الصواع
 يذكر ويؤث الكاف في
 (كذلك) في محل النصب
 أي مثل ذلك الكيد العظيم
 (كدنا ليوسف) يعني
 علمناه اياه

(ما كان لبأخذ أخاه في دين الملك) تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك أي في سيرته السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لان يستعبد (الا
أن يشاء الله) أي ما كان لبأخذ (٣٤) الابعشية الله و ارادته فيه (نرفع درجات) بالتنوين كوفي (من نساء) أي في العلم كإرفعا لدرجة

يوسف فيه (وفوق كل ذي
علم عليم) فوفقه أرفع درجة
منه في علمه أوفوق العلماء
كلهم عليم هم دونه في العلم
وهو الله عز وجل (قالوا ان
يسرق فقد سرق أخ له من
قبل) أرادوا يوسف قبل
دخول كنيسة فأخذتم لا
صغيرا من ذهب كانوا
يعبدونه فدفنوه وقيل كان
في المنزل دجاجة فأعطاها
لسائل وقيل كانت منطقة
لإبراهيم عليه السلام
يتوارثها كبرولة نورشها
اسحق ثم وقعت الى ابنته
وكانت أكبر اولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة
أمه وكانت لا تصبر عنه فلما
شب أراد يعقوب أن يزرعه
منها فعمدت الى المنطقة
فزرته اعلى يوسف تحت
ثيابه وقالت فقدت منطقة
اسحق فانظر وامن أخذها
فوجدوها مجزومة على
يوسف فقالت انه لي سلم
أفعل به ما شئت منه ففلا
يعقوب عندها حتى ماتت
وروي أنهم لما استخرجوا
الصاع من رحيل بنيامين
نكس اخذونه رؤسهم
حياء وأقبلوا عليه وقالوا له
فضحمتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما زال لنا
منكم بلاعتى أخذت هذا
الصاع فقال بنورا راحيل

اخوته من غير أن يشعر وبذلك وقوله تعالى (ما كان لبأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه
لانه كان في حكم الملك ان السارق يضربو يغرم ضغني قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن
يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالتة تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك (الآن
يشاء الله) يعني أن ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهامان الله ليوسف واخوته حتى
جرى الامر على وفق المراد (نرفع درجات من نساء) يعني بالعلم كإرفعا لدرجة يوسف على اخوته وفي هذه الآية
دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على
اخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الامور كلها (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس
فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فالتة تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي
الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن يتهم العلم نفسه
ويستشعر التواضع لمواهبه به تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة لانه لا يخلو عالم من عالم فوفقه وقوله تعالى
(قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر
الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أحاه الذي هلك كان سارقا أيضا
وكان غرضهم من هذا الكلام ان السماع على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كان اعلى هذه الطريقة
وهذه السيرة لانهم من أم أخرى غير أمناو اختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام
فقال سعيد بن جبيرة قتادة كان لجدته أبي أمه صنم وكان يعبده فأخذ يوسف سر او كسره وألقاه في الطريق
ثلاثا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناروا له وقال سفيان بن عيينة أخذ
دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال وهب كان نجبا الطعام من المائدة للفقراء
وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته
حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه فقال لاخته بأخذه سلمى الى يوسف فوالله
ما أقدر على أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال لها والله ما أتا تاركه عندك فقالت دعه
عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى المنطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها
بالكبر وكانت أكبر اولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير
لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لي سلم لي يعني
يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف
ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها
ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فغيره بها عند الغضب (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) في
هاهنا الكناية لثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكامة التي بعد هارهي قوله تعالى (قال) يعني
يوسف (أنتم شرمكنا) روي هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكامة التي
قالوها في حقه وهي قولهم فندسرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول
يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكامة التي قالوها في حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى
الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم
قال أنتم شرمكنا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخباتكم
حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون وقوله عز وجل (قالوا) يعني اخوة يوسف
(يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له أبا شيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسيران يوسف

الذين لا يزال منكم عليهم بلاذهمم باخر فاهل كتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالي عليه
(فأسرها) أي مقالتم انه سرق كأنه لم يسمعهما (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) قال أنتم شرمكنا) غير أي أنتم شرمكنا في السرقة لانكم سرقتم
أحاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر

(نخذ أحداً مكانه) بدله على وجه الاسترهان أو الاستعداد فان أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (انما نزل من المحسنين) الينا فاقتم احسانك
أومن عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله) اننا نأخذ الامن وجدنا (٣٥) متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذ من
أن نأخذ فاضيف المصدر

عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين نقره وأدناه الى أذنه ثم قال ان صواعي
هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلاً اب واحد وانكم تطلقتم باخ لكم من أبيكم فبعتموه قال بنيامين أيها
الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن
صاحبي وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضبر وبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان
روبيل اذا غضب لم يغم اغضبه شيء وكان اذا صاح ألق كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا
مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن
يعقوب وقيل انه قال لاخوته كعدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكلوني اتم الاسواق وأنا اكل فيكم
الملك أو اكلوني اتم الملك وأنا اكل فيكم الاسواق فندحوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا
أخانا أولاً صيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسده وروبيل حتى
خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فأتى له فلما مسه سكن غضبه
فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصيبك منا أحد فقد ل روبيل ان هذا بنو من بنو يعقوب وقيل انه
غضب نانا فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيه به فوقع على الارض وقال اتم يا معشر العبرانيين
ترعون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها
العززان له أباشيخا كبيراً يعني في السن ويحتمل أن يكون كبيراً في القدر لانه نبي من اولاد الانبياء (نخذ
أحداً مكانه) يعني بدله لانه يحبوه ويتسلى به عن أخيه الهالك (انما نزل من المحسنين) يعني في افعالك
كلها وقيل من المحسنين النباي قومية الكليل وحسن الضافة ورد البضاعة البنا وقيل ان رددت بنيامين
البنوا وأخذت أحداً مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعني قال يوسف أذوب والله معاذاً (أن نأخذ
الامن وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحزرا عن الكذب لانه يعلم ان أخاه ليس بسارق (انما الظالمون)
يعني ان أخذنا ريبنا بذنب غيره فان قلت كيف استبحار يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره
بمكاله وحبس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجدأبيه عليه فقيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة
وكيف يجوز ليووسف مع علمه من النبوة والرسالة ان يزور وعلى اخوته وروج عليهم مثل هذا مع ما فيه
من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كما قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها
وأصحها انه لما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر
على البلاء ويحققه بدرجة آباءه الماضين والله تعالى أسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء
وهو الذي أنخى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم
باحوال عبادته قوله عز وجل (فلما استبأ سوا منه) يعني أي سوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أي سوا
من أخيه أن يرد عليهم وقال أبو عبدة استبأ سوا أي استبقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعني خلا
بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون وليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعني في العقل والعلم لافي السن قال
ابن عباس الكبير هو هودا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة
والسدي والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً في يوسف لانه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا أن
أباكم) يعني يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعني عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعني قصرتم
في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فان أروح الارض) يعني الارض التي أنا فيها وهي أرض مصر والمعنى فلن
أخرج من أرض مصر ولا أفارقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي أبي) يعني في الخروج من أرض مصر
فيدعوني اليه (أو يحكم الله لي) بردأخي على أو بخروجي معكم وترك أخي أو يحكم الله لي بالسيف فاقا تلهم

الى المفقود به وحذف من
(انما الظالمون) اذا جواب
لهم وحزاء لان المعنى ان
أخذنا بدله ظلمنا وهذا لانه
وجب على قضية فتواكم
أخذ من وجد الصاع في
رحله واستعباده فلما أخذنا
غيره كان ذلك ظلمنا في
مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم
انه ظلم (فلما استبأ سوا)
يتساووز زيادة السين والتاء
للمبالغة كما في استعصم
(منه) من يوسف واجابته
اياهم (خلصوا) انفردوا
عن الناس خالصين لا
يخالطهم سواهم (نجيا)
ذوي نجوى أو فوجا نجيا
أي مناجيا لمنجاة بعضهم
بعضاً أو فوجوا تناجيا
لاستجماعهم لذلك وافاضتم
فيه بجدوا اهتمام كانهم في
أنفسهم صورة التناجي
وحقيقةه فالنجي يكون
بمعنى المناجي كالسهم بمعنى
المسامر وبمعنى المصدر الذي
هو التناجي وكان تناجيهم
في تدبير أمرهم على أي
صفة يذهبون وماذا يقولون
لايهم في شأن أخيههم (قال
كبيرهم) في السن وهو
روبيل وفي العقل والرأي
وهو هودا أو رئيسهم وهو
شمعون (ألم تعلموا أن أباكم
قد أخذ عليكم موثقا من الله

ومن قبل ما فرطتم في يوسف) ماصلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحتظوا عهد أبيكم أو مصدرية وبحل المصدر الرفع على الابتداء
وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف (فلن أروح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في
الانصراف اليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم

(وما شهدنا) عليه بالسرقة
(الاجماعنا) من سرقته
وتيقنا اذ الصواع استخرج
من وعائه (وما كلالغيب
حافظين) وما علمنا انه سيسرق
حين اعطيناك الموثق
(واسئل القرية التي كا
فيها) يعني مصر أى أرسل
الى أهلها فاسألهم عن
كنه القصة (والعير التي
أقبلنا فيها) وأصحاب العير
وكافوا قومنا من كنعان من
جيران يعقوب عليه
السلام (وانا الصادقون)
في قولنا فرجعوا الى ابيهم
وقالوا له ما قال لهم أخوهم
(قال بل سولت لكم
أنفسكم أمرا) أردتوه
والا فمن أدري ذلك الرجل
ان السارق يسترق لولا
فتواكم وتعلمكم (فصبر
جليل عسى الله أن يأتيني
بهم جميعا) بيوسف وأخيه
وكبيرهم (انه هو العليم)
بحالى في الحزن والاسف
(الحكيم) الذي لم يتلنى
بذلك الاحكامه (وتولى
عنه) وأعرض عنهم
كراهة لما جازاه (وقال
يا أسفا على يوسف) أضاف
الاسف وهو أشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف
بدل من ياء الاضافة
والجناس بين الاسف
ويوسف غير متكاف ونحوه
انا قلتم الى الارض أرضيتم
وهم يهنون عنه ويتلون

حتى استرد أخى (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى
الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى ابيكم) يعني بقوله الاخ الكبير
الذي عزم على اقامة بصير لاختوته الباقي ارجعوا الى ابيكم يعقوب (فقولوا له) (يا ابا نان ابنك سرق) انما
قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه
سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم
(وما شهدنا الاجماعنا) يعني ولم نقل ذلك الا بعد أن رأينا خروج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه
ما كانت مناشهاده في عمرنا على شئ الاجماعنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق
بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لانا نشهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس والضحاك
سرق بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء أى نسب الى السرقة وانهم هم وهذه القراءة لا تحتاج الى تأويل
ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة لان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بهم الحاجة والقراءة الصحيحة
المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الاجماعنا يعني وما قلنا هذا الاجماعنا فاننا رأينا خروج الصواع من
متاعه وقيل معناه ما كانت مناشهاده في عمرنا على شئ الاجماعنا وليس هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع
ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب هب انه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا بقولكم
قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الاجماعنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب
وبنيه أو ورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه بأنه
يحتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلذا أنكر عليهم اعلام الملك بهذا
الحكم لظنه انه كافر (وما كلالغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعني ما كلالعلم ان ابنك يسرق ويصبراً مرنا
الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظا حاننا بما لنا الى حفظه منه سبل وقال ابن عباس ما كلال
ليله ونهاره وبجيبه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فاعل
الصواع دس في رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التي كلفها) يعني واسئل أهل القرية لانه حذف
المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس هي
قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعير التي أقبلنا فيها) يعني واسأل القافلة
التي كلفها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا الصادقون) يعني فيما قلناه وانما أمرهم
أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة ما بلغت في ازاله التهمة عن أنفسهم عند ابيهم لانهم كانوا منهمين عنده
بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما
جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوا لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت
يعني بل زينت لكم أنفسكم أمر او هو جل أخبكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل قال أمركم الى ما آل وقيل
معناه بل خيبت لكم أنفسكم كانه سرق وما سرق (فصبر جليل) تقدم تفسيره في أول السورة وقوله (عسى
الله أن يأتيني بهم جميعا) يعني بيوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة
لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ونجرا من قريب فقال ذلك على سبيل حسن
الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلاء وعظم كان أمر عالى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجري عليه وعلى
بنيه من أول الامر وهو رؤى يوسف وقوله لا يفتقر رؤى يوسف على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى
الامر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا (انه هو العليم) يعني بخبرني رو جدى عليهم (الحكيم) فيما يديره
ويقضيه وقوله تعالى (وتولى عنهم) يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه
واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) الاسف
أشد الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك

عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبنا بنا وانما تأسف على يوسف دون أخيه وكبيرهم لتماذي أسفه
على يوسف دون الاخرين وفيه دليل على ان الزرع فيه مع تقادم عهده كان فضا عنده طريا

أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبر اجدريدا جرد خزنه على أخيه مالك
يقول أتبتى كل قبر وأيته * لقب نوى بن الووى والد كاذك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله - برمالك

فاجاب بان الحزن يجرد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف
بينيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد خزنه عليه ووجده وجدد خزنه على يوسف لان يوسف كان أصل المصيبة
وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكايه واظهار جرح
فلا ياتى بعلمه نصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة والسلام شكى الى الله
لامنه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يا رب ارحم أسفى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى عن بعض اللغويين
انه قال نداء يعقوب بالاسف فى اللفظ من المجاز يعنى به غير المظهر فى اللفظ والخصيه بالهسى ارحم أسفى أو أنت
رائى أسفى أو هذا أسفى فنادى الاسف فى اللفظ والمنادى سواه فى المعنى ولا مآثم اذ لم ينطق اللسان بكلام
مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير مالم فى شكواه
وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبتة واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى اشكوا الى الله
شدة أسفى على يوسف ولم يشك الى أحد من الخلق بدليل قوله انما اشكوى وحرزنى الى الله (وابيضت
عيناه من الحزن) أى عسى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيأ من سنين وقيل انه ضعف
بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج
من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو الممتلى من الحزن الممسك عليه لا يبته قال قتادة وهو الذى يردد
خزنه فى جوفه ولم يقبل الاخيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيان ثمانون سنة
لم تحف عيناه يعقوب وما على وجه الارض يومئذ كرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه
والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق
قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فإنا أدخلك مدخل
الذين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض
يطهر النبيين وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والمجن وما حوله
يا أطهر الطاهر من وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف فى باسم الصديقين وتعدنى من الصالحين
المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل الذين قال انه لم يفتم قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك
فلذلك سمك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وأحلق بابائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من
يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابته لاله الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهبه الصبر الجليل
قال فما قدر خزنه قال حزن سبعين شكلاء قال فساله من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افتراى لاقية
قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى مما لقيت ان رأيتك قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف
عليه الصلاة والسلام لا بهم (تالله تفتؤا نذ كر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتعن حبه يقال ما فى
يفعل كذا أى ما زال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس
فقلت عين الله أبرح قاعدا * ولو قطعو رأسى لدينك وأوصالى

(وابيضت عيناه) اذا أكثر
الاستعمار وسحقت العبرة
سواد العين وقلبه الى بياض
كدر وقيل قد عى بصره
وقيل كان قد يدرك ادراكا
ضعيفا (من الحزن) لان
الحزن سبب البكاء الذى
حدث منه البياض فكانه
حدث من الحزن قبل
ما حفت عيناه يعقوب من
وقت فراق يوسف الى حين
لقائه ثمانين عاما وما على
وجه الارض أكرم على
انه من يعقوب ويجوز
لنبي عليه السلام أن يبلغ
به الجزع ذلك المبلغ لان
الانسان مجبول على أن لا
يملك نفسه عند الحزن
فذلك حمد صبره ولقد نبى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع
ولا تقول ما يسخط الرب
وانما عليك يا ابراهيم محزونون
وانما المذموم الصباح
والتياحسة ولطم الصدور
والوجوه وتزريق التياب
(فهو كظيم) مملوء من الغيظ
على أولاده ولا يظهر ما
يسوءهم ففعل يعنى مفعول
بدليل قوله اذا نادى وهو
مكظوم من كظم السقاء اذا
شده على ملئه (قالوا تالله
تفتؤا) أى لا تنفأ فحذف
حرف النفي لانه لا يلتبس
اذ لو كان انباءا لم يكن يدمع
اللام والنون ومعنى لا تنفأ
لا تزال (تذكر يوسف حتى
تكون حرضا) مشفيا على
الهالك مرضا (أو تكون من الهالكين قال انما اشكوى

الهالك مرضا (أو تكون من الهالكين قال انما اشكوى

وحزني الى الله) أصل البت اشارة الشيء وتفر يقه وبث النفس ما نطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة
البت أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هماً فاذا ذكره لغيره كان بشاً فالبت أشد الحزن
والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله اليبكم قال ابن الجوزي
روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان
لي يعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي
أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأنا جبريل فقال يا يعقوب
ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي ان تشكو الى غيري فقال انما أشكو نبى وحزني الى الله فقال
جبريل الله أعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب ما لي أراك قد تهشمت بالضعف
وفنت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فقال هشمتي وأذناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه
يا يعقوب ان تشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة أخطأتمها فاغفرها لي قال قد غفرتهم لك فكان بعد ذلك اذا
سئل يقول انما أشكو نبى وحزني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزني وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني
فعند ذلك قال انما أشكو نبى وحزني الى الله ثم قال أرى بامام ترحم الشيخ الكبير اذ هبت بصري وقوت
ظهرى فاررد على ريمحانتى أشهم ماشمة قبل ان أموت ثم اصنع ماشمت فأنا جبريل فقال يا يعقوب ان الله
يقرئك السلام ويقول لك بشر فوعزني لو كانا ميتين لنشرتم هالك أندرى لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة
فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه ومنها شياً وان أحب عبادى الى الانبياء ثم المساكين اصنع
طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائماً فليطعم المساكين عند آله يعقوب وكان بعد ذلك
اذا تغدى أمر من نادى بنادى من أراد ان يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أظفر أمر ان بنادى من أراد ان يطعم
فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتغشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب
أندرى لم عاقبتك وحسبت عندك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عنا قوتت على جارك
وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي أمه وهى تخور فلم يرجها فان قلت هل فى
هذه الروايات ما يقدر فى عصمة الانبياء قلت لا وانما عقب يعقوب به لان حسنات الاراسيات
المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصفهم وشرف ربهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام
من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيائه بمحنة قصير وقوس أمره الى الله
فأبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى فى النار فصبر ولم يشك الى أحد وسمي ابي بالذبح فصبر وقوس أمره
الى الله واسحق ابي بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عى
بعد ذلك أوضع بصره من كثرة البكاء على فقد هما وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيئا مما نزل به وانما
كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكو نبى وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم
والثناء الجليل فى الدنيا والآخرة مع من صاف من أبويه ابراهيم واسحق عليهما الصلاة والسلام
والسلام وأماد مع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذماً ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا
يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بنى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع
وان القلب لحزن وما تقول الامارى ربى بما فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
لا حرج فيه على أحد من الناس **وقوله** (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى أنه تعالى من رجعته واحسانه يأتي
بالفرج من حيث لا يحتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك
الموت رار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريح الحسن صورته الكريمة على ربه هل قبضت روح
ابنى يوسف فى الارواح فقال لا قطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون وقيل
معناه وأعلم ان رؤى يوسف حق وصدق وانى رأته سمعته وقال السدى لما أخبره بنوه بسيرة ملك مصر
وكل حاله فى جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعنى

وحزني الى الله) البت أصعب
الهم الذي لا يصبر عليه
صاحبه فيبته الى الناس أى
ينشره أى لا أشكو الى
أحد منكم ومن غيركم انما
أشكو الى ربى داعياله
ولمجتأ اليه فلو نى وشكائى
وروى انه أوحى الى يعقوب
انما وجدت عليكم لانكم
ذبحتم شاة فوقف بيباكم
مسكين فلم تطعموه وان
أحب خلقى الى الانبياء ثم
المساكين فاصنع طعاما
وادع عليه المساكين وقيل
اشترى جارية مع ولدها
فباع ولدها فبكت حتى
عميت (وأعلم من الله ما لا
تعلمون) وأعلم من رجعته
انه يأتي نى بالفرج من حيث
لا احتسب وروى أنه رأى
ملك الموت فى منامه فسأله
هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله هو حى فاطلبه
وهله هذا الدعاء باذ المعروف
الدائم الذى لا ينقطع معرفه
أبدا ولا يحصيه غيرك فرج
بن

يعقوب (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التحسس
بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب
الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن انباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من
فلان وقال هنان من يوسف وأخيه لانه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبعض ويكون المعنى
تحسسوا خبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن زيد عن أبي فرقة أن يعقوب كتب كتابا الى
يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله الى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى ابراهيم فشدت يداور جلاوه وألقى في
النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما أما أبي فشدت يداور جلاوه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا
فمكنا لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد
أكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أنسلى به وانك حبسته وزعمت
انه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الى والادعوت عايتك دعوة تترك السابع من
ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاءه وعيل صبره وأظهر نفسه لاختوته على ما سئذ كره ان شاء الله تعالى
فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تبأسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله)
يعنى من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يعنى
ان المؤمن على خير برجوه من الله فيه برعد البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر
بضد ذلك قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تعذر به فرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر
فلما دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزى القادر المتعز وكان
العزى لقب ملك مصر يومئذ (مسنوا أهلنا الضرى) أى الشدة والفقر والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم
ومن وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق فى غن الطعام الا بتجوز
من البائع وأصل الأزجاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا والترجية دفع الشئ اليساق كترجية لريح السحاب ومنه
قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القلة الاعتداء بها
وانما وصفوا تلك البضاعة بأنم مزجاة اما نقصانها وألرداءتها ولجموعها ما فذلك اختلطت عبارات
المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة من يوفاد قيل كانت خلق الغرائر
والحيال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال السكلى ومقاتل كانت حبة الخضر اعوقيل
كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من
قولهم فلان زجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان
وليس مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لان امر دودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها
(فأوف لنا الكيل) يعنى اعطنا ما كنت نعطينا من قبل بالثلث الجيد الوافى والمعنى انما يريد أن تقيم لنا الزائد
مقام الناقص والجيد مقام الرديء (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا
تقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن انباري وكان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به
واختلاف العلماء هل كانت الصدقة حلالا لا لانبيا قيل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت
حلالا لا لانبيا قيل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال
الانبيا كلهم واحد فى تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للخصم لوقين والاختدمتهم والصدقة
أوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواء وأجيب عن قوله وتصدق علينا أنهم طلبوا منه أن
يجر بهم على عادتهم من المسامحة وابقاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة
لانفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد أن يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا
من بيتى الثواب وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من

(يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهم او تطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة (ولا تبأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (انه) ان الامر والشأن (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان من آمن يعلم انه متقاب فى رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقبله فى نعمته فييأس من رحمة نخرجوا من عند أبيهم راجعين الى مصر (فلما دخلوا عليه) على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضرى) الهزال من الشدة والجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل ناجر رغبة عنها واحتمار الهامان أريجته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زوفالا تؤخذ الابوضيعة وقيل كانت صفاوسمنا (فأوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والانعاض عن رداءة البضاعة أوردنا على حقنا وأهب لنا أحمنا

(ان الله يجزي المتصدقين) ولما قالوا امسنا وآهنا الضرع واضرعوا اليه وطلبوا منه ان يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتماثلان عرفهم نفسه حيث قال (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) اي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (واخيه اذ انتم جاهلون) لا تعلمون قبحه او اذ انتم في حدد السفة والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن أخيه لا يسه وأمه وايدأوهم له بأنواع الاذى (قالوا أنك) هم مرتين كسوفى وشاى (لائت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ أو يوسف خبره والجملة خبران (قال أنا يوسف وهذا أخى) وانما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان في ذكر أخيه بيان للسألوه عنه (قدمن الله علينا) بالالفة بعد الفرفة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالامامة (انه من يتقى) المتحاشى (ويصبر) عن المعاصى وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الصمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتقى مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره فى دنياه وعقباه (قالوا ان الله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن

يتقى الثواب قل اللهم اعطني وتنفضل على وقال ابن جرير والضحك وتصديق علينا يعنى بردأخينا علينا (ان الله يجزي المتصدقين) يعنى بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن (قال) يعنى قال يوسف لآخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وقد اختلفوا فى السبب الذى من أجله حل يوسف وهججه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكروا انهم لما كلفوه بهذا الكلام أدر كتموهة على آخوته فباح بالذى كان يكتم وقيل انه أخرج لهم نسخة الكتاب الذى كتبوه بيدهم من مالك وفى آخره وكتبه بهودا فلما قرأ الكتاب اعترفوا بعصته وقالوا يا أباهم الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاط ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلهم قال بهودا كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد منكم فكيف اذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بأمعتنالى أينما قانه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدر كتمه الرقة عليهم والرحمة فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب أبيه اليه لم يتما لك أن بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة ومعناها ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعه الرحم وتفر يقه من أبيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد به هذا بنفس الاستفهام ولكنه أراد تفضيح الامر وتعظيمه ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبي ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله ياها من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبينهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذى فعلوه بيوسف مع ما ظهر فما الذى فعلوه بأخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا فى حبسه ولا أرادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين أخيه يوسف فغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له ما اتهم بأخذ الصواع مارأينا منكم يا بنى راحيل خيرا (اذ انتم جاهلون) هذا يجزى بجزي العذر لهم يعنى انكم انما أقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبي وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف قوله عز وجل (قالوا أنك لا أنت يوسف) قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه تبسم فرأوا ثماياه كاللؤلؤ وتشبه ثيابا يوسف فشبوه بيوسف فقالوا استفهاما أنك لا أنت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ما قال ابن عباس أيضا فى رواية أخرى عنه ان أخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولا يحق مثلها لولسارمة مثلها فعرفوه بها وقالوا أنت يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهيم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما أظهر الاسم فى قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما تولى به من ظلم أخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك فكانه قال أنا يوسف المظلوم الذى ظلمتمونى وقصدتم قتلى بان ألقيتهمونى فى الجب ثم بعتمونى بأبغس الاثمان ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهوره الاسم هذه المعانى كلها ولهذا قال (وهذا أخى) وهم يعرفونه لانه قصد به أيضا وهذا أخى المظلوم كما ظلمتمونى ثم صرت أنا وهو الى ماترون وهو قوله (قدمن الله علينا) بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخبر فى الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة فى ديننا ودنيانا (انه من يتقى ويصبر) يعنى يتقى الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال بجاهد يتقى العصبية ويصبر على السجن وقيل يتقى الله بآداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى أجر من كان هذا حاله (قالوا) يعنى قال أخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم فى حقه (نالله لقد آثرك الله علينا) أى اختارك وفضلنا علينا يقال آثر الله آيثارا أى اختارك ويستعار الأثر للفضل والايثار للفضل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضائل التى أعطها الله عز وجل له دون أخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة وأورد على هذا القول بان أخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل فى ذلك وأجيب عنه بأن يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جعل له النبوة والرسالة كان أفضل ممن

(وان كالحاطين) وان شأننا وحالنا انا كالحاطين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعز لنا بالملك واذ لنا بالنسكن بين يديك (قال لا تتريب عليكم) لا تعبير عليكم (اليوم) متعلق بالتريب او يعبر والمعنى لا اترككم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التريب فساطنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال (يعفر الله لكم) فدعاهم يعفر فما فرط منهم يقال يعفر الله لك ويعفرك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يعفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعض ادنى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ماتروني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف لا تريب (٤١) عليكم اليوم وروى ان ابا سفيان لما جاء

ليسلم قاله العباس اذا أتيت رسول الله فاقبل عليه قال لا تريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك وان علمك وروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منافيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكك فيهم فانهم ينتظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم حيث علم الناس انى من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أى اذا رحمتكم وأنا الفقير القنور فساطنكم بالغنى العفور ثم سألهم عن حال أسيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسل اليه فان فيسه ربح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى (فالقوه على وجهه أبى يأت

من خص بالنبوة فقط (وان كالحاطين) يعنى وما كفى صنعة ربك الا حاطين ولهذا الخبير لفظ الحاطى على المخملى والفرق بينهما ان يقال حطى خطأ اذا تعمد وأخطأ اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون آثر لفظا حاطين على سخطين لوافق قرؤس الآتى لان حاطين أشبه بما قبلها (قال) يعنى يوسف (لا تريب عليكم) يعنى لا تعبير ولا توبيح عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يترب أى لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفى محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم التريب والتقرير والتوبيح والانا أفرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أترككم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تريب عليكم اليوم ويبدأ بقوله (يعفر الله لكم) والقول الثانى ان اليوم متعلق بقوله يعفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تريب عليكم ويبدأ باليوم يعفر الله لكم كانه لما نفي عنهم التوبيح والتقرير بعبقوله لا تريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يعفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أسيه فقال ما حال أبى يعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فأعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى فى النار عرياناً ما جبريل بقميص من حر الجنة فالبساه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى قعبه من فضة وسدر أسها وجعلها فى عنق يوسف كالتعويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما أتى يوسف فى البئر عرياناً ما جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامرته أن يرسل هذا القميص الى أسيه لان فيسه ربح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى فى الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فالقوه على وجهه أبى يأت بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجهه يعقوب يوجب رد البصر كان يوحى الله اليه بذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن اياه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه قميصه ليحذر بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك نزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله (واتوني باهلكم أجمعين) قال السكبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثا وتسعين مابين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعنى خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان (قال أبوهم) يعنى قال يعقوب لولدوله (انى لاجدر يح يوسف) قيل ان ربح الصبا استأذنت به انى أن تاتى يعقوب بربح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب بربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ما نون فرسخا وقيل هبت بربح فاحتملت بربح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب بربح الجنة فعلم أنه ايسر فى الارض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص تعلم بذلك انه من ربح يوسف فلذلك قال انى لاجدر يح يوسف (لولا أن تفندون) اصل التفندي من الفند وهو ضعف الراى وقال ابن

(٦ - خازن - ثالث) بصيرا) بصر بصيرا تقول جاء البناء محكما أى صار أو يأت الى وهو بصير قال يهودا أنا اجل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حله وهو حاف حامر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (واتوني باهلكم أجمعين) لينعموا باآثار ملكى كما اغتموا باخباره لى (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاز حيطانه (قال أبوهم) لولدوله ومن حوله من قومه (انى لاجدر يح يوسف) أو جده الله بربح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفندي النسبة الى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هزم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنديكم اياى لصرفتمونى

(قالوا) أي أسباطه (ثالثه انك لفي ضلالك القديم) لفي ذهابك عن الصواب قديما في افراط محبتك ليوسف أو في خطاك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قدمات (فلما آن (٤٢) جاء البشير) أي هوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه

يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعته (قال ألم أقل لكم) يعني قوله اني لاجدر بيج يوسف أو قوله ولا تباؤا من روح الله وقوله (اني أعلم من الله مالا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكو بني وخرني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى انه سال البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا) يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أي سل الله مغفرة ما ارتكبنافي حقت وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطايانا (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت المسح أو الى ليلة الجمعة أوليتعرف حالهم في صدق التوبة أو الى ان يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف وجهه الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليجتاز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماة وأهل مصر بأجمعهم فلقوا يعقوب وهو عيسى يتوكأ على يهوذا

الانباري أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خوف فهو الفئيد والفئيد يكون المعنى لولأن تنفدوني أي تنسبونني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقيل تجهلونني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعني أولاد أولاد يعقوب وأهل الذين عنده لان أولاده لصلبه كانوا غائبين عنه (ثالثه انك لفي ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تتساهلانه كان عندهم ان يوسف كان قدمات وهلك ورون ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا بالله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكره والذلال الذهب عن طريق الصواب (فلما آن جاء البشير) وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطعا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فانا أذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فأفرجه كما أخزته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به حافيا حاسرا يعر ووجهه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (ألقاه على وجهه) يعني فألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعدما كان قد عصى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملكا مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (قالوا) يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا يعني قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأخذوا يعتذرون اليه ما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا عفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعني في صنعنا (قال سوف استغفر لكم ربى) قال أكثر المفسرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت المسح لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت المسح قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي خزي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولادي ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة ثمان وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت المسح من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعني لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراساني طلب الخواص الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاختوته لا تثر يب عليكم الآية وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى قال أصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليوافقهم يعقوب وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابن رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كاه يوسف الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب عيسى وهو يتوكأ على يدا بني يهوذا فلما نظر الى الحبل والناس قال يا يهوذا هذافرعون مصر قال لابل هذابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهم انزلوا وتعانقوا وفضل كما يفعل الوالد بولده والولد بالدهور بيكا وقيل ان يوسف قال لابي يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعني ضم اليه (أبويه) قال أكثر المفسرين

(فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) ضم اليه (أبويه) واعتنقهم ما قبل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج هو أبوه خالته وانحالة أم كان العم أب ومنه قوله واله آباء إبراهيم واسحق ويعقوب ومعنى دخولهم مصر انه حين استقبلهم

أرلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبو به (وقال) لهم بعد ذلك (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجوار من القحط وروى أنه لما قبله قال يعقوب عليه السلام (٤٣) عليك يا مذهب الأحرار وقال له يوسف

يا أبت بكيت على حتى ذهب
بصرك ألم تعلم أن القيامة
تجعدنا فقال بلى وإن كنت
خشيت أن يساب دينك
في حال بيني وبينك وقيل إن
يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنتان وسبعون مابين
رجال ونساء وخرجوا منها
مع موسى ومقاتلتهم
ستمائة ألف وخمسمائة
وبضعة وسبعون رجلا
سوى الزرية والهـرحى
وكانت الزرية ألف ألف
وما تبقى ألف (ورفع أبو به
على العرش وخر والـه
سجدا) قيل لما دخلوا مصر
وجلس في مجلسه مستويا
على سريره واجتمعوا إليه
أكرم أبو به فرفعهم على
السرير وخر والـه يعني
الأخوة الأحد عشر
والأبوين سجدا وكانت
السجدة عندهم جارية
مجرى التوبة والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد وقال الزجاج سنة
التعظيم في ذلك الوقت إن
يعقوب للمعظم وقيل ما
كانت إلا تحننا دون تعفير
الجباه وخرورهم سجدا
باباه وقيل وخر والأجل
يوسف سجدا لله شكرا
وفيه نبوة أيضا واختلف في
استنبأهم (وقال يا أبت
هذا تأويل رؤياي من
قبل قد جعلها) أي الرؤيا

هو أبو يعقوب وخالتـه ليا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبو وهامه وكانت حبة بعد
وقيل إن الله أحياها ونشرها من قبرها حتى تستجد ليوسف تحية قال رؤياه والاول أصح (وقال ادخلوا مصر)
قيل المراد بالدخول الاقل في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر
يعنى البلد وقيل انه أراد بالدخول الاقل ودخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بهم أي ادخلوا
مصر مستوطنين فيها (إن شاء الله آمنين) قيل إن هذا الاستثناء عائد إلى الامن لا إلى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين إن شاء الله وقيل انه عائد إلى الدخول فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره وسوف أستغفر
إن هذا الاستثناء يرجع إلى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير تقديره وسوف أستغفر
لكم ربى إن شاء الله وقيل إن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الجوارهم فقال لهم
يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم إن شاء الله فعلى هذا يكون قوله إن شاء الله التبرك فهو كقوله
صلى الله عليه وسلم وأنا إن شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبو به على العرش) يعنى على
السرير الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل إلى العلو (وخر والـه سجدا) يعنى يعقوب وخالتـه ليا
واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة
على الأرض على سبيل العبادة فان قلت كيف استحاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبو وهام وهو أكبر منه
وأعلى منصباً في النبوة والشيوخه قلت يحتمل أن الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود
قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة
السجود وهو وضع الجبهة على الأرض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى
وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وإنما كان يوسف
كالقابلة كما سجد الملائكة لآدم و يدل على صحة هذا التأويل قوله ورفـع أبو به على العرش وخر والـه سجدا
وظاهر هذا يدل على أنهم لما سعدوا على السرير وخر وسجد لله تعالى ولو كان ليوسف ان كان قبل الصعود
لان ذلك أبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لـ ساجدين وقوله وخر والـه سجدا فان
الضمير يرجع إلى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل أن يكون المعنى وخر والـه
لله سجدا لأجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل أن الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي إن
أخوة يوسف بما احتملهم الأنفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا أن أباهم قد سجده سجدا والـه أيضا
فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لأعلى سبيل العبادة وكان ذلك جازياً في ذلك الزمان فلما جاء
الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (وقال) يعنى وقال يوسف عندما رأى ذلك (يا أبت
هذا تأويل رؤياي من قبل) يعنى هذا تصديق الرؤيا التى رأيت فى حال الصغر (قد جعلها ربي حقاً) يعنى
فى الميعظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسى وعبد الله بن شداد أربعون سنة وقال
أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدى ست وثلاثون سنة وقال
قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حتى هذه
الاقوال كلها ابن الجوزى وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين أتى فى الحب سبع عشرة سنة
وأقام فى العبودية والسجن والملاكمة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة
وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله (وقد أحسن ربي) يعنى انعم على يقال أحسن ربي والمعنى
واحد (أذخر ربي من السجن) انما ذكر انعام الله عليه فى اخراجهم من السجن وان كان الحب أصعب
منه استعمل الالادب والكرم لا ليخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تتريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه فى
اخراجهم من السجن كانت أعظم من اخراجهم من الحب وسبب ذلك ان خروجه من الحب كان سبب حصوله

(ربى حقاً) أى صادقاً وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو اثنتان وعشرون (وقد أحسن ربي) يقال
أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه (أذخر ربي من السجن) ولم يذكر اخرجهم من السجن لانهم لم يتريب عليكم اليوم

(وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب مساكن ينتقلون في المياه والمناجيع (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) اي افسد بيننا واغرى (ان ربي) لطيف لما يشاء) اي لطيف التدبير (انه هو العليم الحكيم) بتأخير الآمال (٤٤)

في العبودية والرق ونحروجه من السجن كان سببها وصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته ودخوله السجن كان لزال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية وأصل البدو هو البسيط من الارض بيد والشخص فيه من بعد يعني بظاهره والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدلهم هذه الآية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كفي الاحسان والنعم والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لاعلى الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسد ما ثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحرش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك (ان ربي لطيف لما يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتهم اقال صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وأن يكون معرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعبادة في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء أي حسن الاستخراج تنبها على ما أوصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفارقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب النفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد أمرا هيباً أسبابه (انه هو العليم) يعني بصالح عباده (الحكيم) في جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعين سنة وعشر من سنة في أمنها عيش وأنعى بال وأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه الحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخي يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدفن في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعين سنة فلما مات يوسف بن يوسف وعمره جمع الى مصر قالوا الما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعم الدنيا بازل سر يبع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والحاتمة الصالحة فقال (رب) أي يارب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يوث ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق اوجده وأبدعه (أنت وليي) يعني معيني ومتولي أمري (في الدنيا والآخرة توفني مسلماً) أي اقضني اليك مسلماً واختلاف واهل هو طلب الوفاة في الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى والقول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يمت في الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يمتني الموت لعملة الدنيا ولذاتهم فان يمتني الله سر بعة الذهب وان نعيم الآخرة باقدا ثم لا نغادله ولا زوال ولا يمتع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يمتن أحدكم الموت لضرب نزل به فان تمتي الموت عند وجود الضر وزوال البلاء مكره وهو الصبر عليه أولى وقوله (وأخفتني بالصلحين) أو اهدبه

الى الآجال أو حرككم بالاختلاف بعد الاختلاف (رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فهم ما للتبعيض اذ لم يوث الا بعض ملك الدنيا وبعض التاويل (فاطر السموات والارض) انتصابه على النداء (أنت وليي في الدنيا والآخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الصافي بالملك الباقي (توفني مسلماً) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن الضحاك تخلصوا عن التسترى مسلماً اليك أمرى وفي عهدة الانبياء انما عاداه يوسف ليعتدي به قومه ومن بعده ممن ليس بمؤمن العاقبة لان طواهر الانبياء لنظر الامم اليهم (وأخفتني بالصلحين) من أبائي أو على العموم روى ان يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابني ما أعقلت عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمانية مراحل فقال أمرني جبريل

قال أو ما تسأله أنت قال أنت أبسط اليه مني فاسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتني بدرجة وروى ان يعقوب أقام معه أربعين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه الحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش

بعد أسبوعه ثلاثة وعشرون سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فمضى الموت وقبل ما تمناه نبي قبله ولا بعده نتوفاه الله طيبا طاهرا افتخاضهم
أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يجب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل
بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكنوا كلهم فيه سر عاخي نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة تالونه إلى بيت المقدس وولده
أفرائيم وميشاو وولد أفرائيم نون ونونون يوشع فمضى موسى ولقد توارثت الفرع من العماليق بعده مصر ولم تزل بنوا إسرائيل تحت أيديهم على
بقيادتين يوسف وآبائه (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله (٤٥) صلى الله عليه وسلم وهو ميتة أ (من أنباء

الغيب نوحيه البك) خبر
ان (وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) عزمو وأعلى ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يكفرون) بيوسف ويعنون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القاء أخيه في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وما تسئلهم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أحر) جعل (ان هو الاذكر) ما هو الامو عظة (للعالمين) وحش على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والارض يعرون عليها) على الآيات وعلى الارض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات

بدرجته آبائه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلوة والسلام قال علماء التار يخ عاش يوسف مائة وعشرون سنة وفي التوراة مائة وعشرون سنة وولد ليوسف من امرأة العز ثلاثة اولاد افرائيم وميشاو ورجة امرأة يوب وقيل عاش بعد أسبوعين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلوة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث تجري الماء عليه وبتشرق عنه وتصل بركته إلى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الايسر فاخصب وأجذب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدره بسلسلة فاخصب الجانبان فبقى إلى ان أخرجه موسى عليه الصلوة والسلام وحمله معه حتى دفنه قرب آبائه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار إلى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه البك) يعني الذي أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أو حينا البك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وانه نشأ بين أمة أمية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأفصح عبارة فعمل بذلك ان الذي أتى به هو وحى الهى ونور قدسى سماوى فهو معجزة له قائمة إلى آخر الدهر وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) يعني حين عزمو على القاء يوسف عليه الصلوة والسلام في البئر (وهم يكفرون) يعني بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وفر يشاسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا فخزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقبل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم ففيه تسلمية له (وما تسئلهم عليه من أحر) يعني على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله من أحر يعني أجزا وجعل على ذلك (ان هو) أى ما هو يعني القرآن (الاذكر) يعني عظة وتذكيرا (للعالمين وكأين من آية) يعني وكما من آية دالة على التوحيد (في السموات والارض يعرون عليها) يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أى لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى يا عجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) يعني ان من إيمانهم أنهم اذا سألوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذ قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس أنهم يعرون ان الله خالقهم فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية أخرى عنه أيضا انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في تليبتهم لبك اميلك لا شريك لك الا شريكك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء (أفأمنوا ان تأتيتهم عاصية من عذاب الله)

(معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهايكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أى وما يؤمن أكثرهم في اقراره بالله وانه خالقه وخالق السموات والارض الا هو مشرك بعبادة الوثن الجهور على انها نزلت في المشركين لانهم مقررون بان الله خالقهم ورازقهم واذا خربهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك لما يقوله القدرة من آيات قدرة الخلق للعباد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو انه لا خالق الا الله (أفأمنوا ان تأتيتهم عاصية من عذاب الله) (من عذاب الله)

أوتأتهم الساعة) القيامة
 (بغمة) حال أي فجأة (وهم
 لا يشعرون) باتيانها (قل
 هذه سبيلي) هذه السبيل
 التي هي الدعوة إلى الإيمان
 والتوحيد سبيلي والسبيل
 والطريق يذكرون
 ويؤمنون ثم فسر سبيله بقوله
 (أدعو إلى الله على بصيرة)
 أي أدعو إلى دينه مع حجة
 واضحة غير عماية (أنا)
 تأكيد للمستتر في ادعو
 (ومن أتبعني) عطف عليه
 أي أدعو إلى سبيل الله أنا
 ويدعو إليهم من أتبعني أو
 أنا مستد أو على بصيرة خبير
 مقدم ومن أتبعني عطف
 على أنا خبير ابتداءً به ومن
 أتبعه على حجة وبرهان لا على
 هوى (وسبحان الله) وأتره
 عن الشركاء (وما أنا من
 المشركين) مع الله غيره (وما
 أرسلنا من قبلك الأرجالا)
 لا ملائكة لانهم كانوا يقولون
 لو ساءر بنا لنزل ملائكة أو
 ليست فيهم امرأة (نوحى)
 بالنون حفص (الهمم من
 أهل القرى) لانهم أعلم
 وأحلم وأهل البوادي فيهم
 الجهل والجهلاء (أفلم يسروا
 في الأرض فينظروا كيف
 كان عاقبة الذين من قبلهم
 ولدار الآخرة) أي ودار
 الساعة الآخرة (خبر
 للذين اتقوا) الشرك وآمنوا
 به (أفلا تعقلون) وبالبايعي
 وأبو عمرو وحزرة على (حتى
 إذا استبأس الرسل) يشعروا
 من إيمان القوم (وظنوا
 أنهم قد كذبوا) وأيقن

يعنى عقوبة مجللة بعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال الضحاك يعنى الصواعق
 والقوارع (أوتأتهم الساعة بغمة) يعنى فجأة (وهم لا يشعرون) يعنى بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة
 بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (هذه سبيلي) يعنى طريق التي (أدعو) إليها
 وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وهي الدين سبيل لانه الطريق المؤدى إلى الله عز وجل وإلى الثواب
 والجنة (إلى الله) يعنى إلى توحيد الله والإيمان به (على بصيرة) يعنى على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي
 يميز بها بين الحق والباطل (أنا ومن أتبعني) يعنى من آمن بي وصدق بما جئت به أيضا يدعو إلى الله وهذا
 قول الكلبي وابن زيد قال حق على من أتبعه وآمن به ان يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام
 عند قوله أدعو إلى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن أتبعني يعنى أنا على بصيرة ومن أتبعني أيضا على بصيرة قال
 ابن عباس ان محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقه وأفضل هداية وهم معدن العلم
 وكثر الإيمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنفا فليست بمن قدمات أولئك أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم كانوا خير هذه الامم وأبرها قالوا بأوامرهم وأعلمها علماء أهلها فكافوا قوم اختارهم الله لحببه نبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتنسبوا بأخلاقهم وطريقهم فهو لأهل الكون على الصراط المستقيم ﴿وقوله
 (وسبحان الله) أي وقيل سبحان الله يعنى تنزيهه عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء
 والاضداد والانداد (وما أنا من المشركين) يعنى وقيل يا محمد وما أنا من المشركين الذين أئتمروا بالله غيره
 ﴿وقوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الأرجالا) يعنى وما أرسلنا قبلك يا محمد الأرجالا مثلك ولم يكونوا
 ملائكة (نوحى الهمم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا لا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا
 اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالكم (من أهل القرى) يعنى انهم من أهل
 الامصار والمدن لان أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادي قال
 الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انهم يبعث الله نبيامن البادية لغلظتهم وجفافهم
 (أفلم يسروا في الأرض) يعنى هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى
 كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلا فإيعتبرهم ولا يعهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين
 اتقوا) يعنى فعلنا هذا بأوليائنا وأهل طاعتنا اذا تجبناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار
 الآخرة خير لهم يعنى الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار إلى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان
 العرب تضيف الشيء إلى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعنى يتفكرون
 ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿وقوله عز وجل (حتى إذا استبأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة
 بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك الأرجالا نوحى الهمم فترأخى نصرهم حتى إذا استبأس
 الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى إذا استبأس
 الرسل من إيمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وحزرة والكسائي كذبوا
 بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به
 من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعد بن جبير ومجاهد وقال
 أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أي لم أصدقك ومثمة قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
 قال أبو يعلى والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة المرسل الهمم والتقدير وطن المرسل الهمم ان الرسل قد
 كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا
 بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمنع حمل الضمير في وظنوا على
 المرسل الهمم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذلك الرسل يدل على ذلك المرسل الهمم وان شئت قلت ان ذكرهم
 جرى في قوله أفلم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أي مكذبي الرسل والظن هنا
 على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى إذا استبأس الرسل من قومهم

الاجابة ووطن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل
 انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان اى وعدوا ان يؤمنوا لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف ووطنوا
 انهم قد كذبوا اى كذبهم انفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون اور جاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء
 كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتعدت
 حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءهم من غير احتساب وعن ابن
 عباس ووطنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا واما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشر او تلاقوه وزلزلوا
 حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد
 اراد بالظن ما يحظر بالبال ويهجم في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه الطبيعة
 البشرية واما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل
 الله الذين هم اعرف الناس بهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدى عن ابن الانبارى انه قال
 هذا غير معقول عليه من جهتين احدهما ان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه
 والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان اهل الكفر ظنوا الامال يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله
 للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتبرئة الانبياء
 وتطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقر وهم نافع وابن كثير وابوعمر وروابن عامر
 ووطنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان قومهم ووطنوا
 يعنى وايقنوا يعنى الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين وهذا معنى
 قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم ووطنوا ان من
 قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارعدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطوا النصر اناهم النصر وعلى
 هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى ووطنوا بالرسول ظن حسبان
 ان ربهم قد كذبهم في وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم وطول البلاء عنهم لا أنهم كذبوهم في كونهم
 رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين لانه لو حصل لسكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت
 بهم ذلك لبطا النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى
 القولين جميعا الكذبية في ووطنوا الرسل (خ) عن عروة بن الزبير انه سأل عائشة عن قوله تعالى حتى اذا
 استياس الرسل ووطنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم
 كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة اجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعائشة قد كذبوا فقالت معاذ الله
 لم تكن الرسل تظن ذلك بها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقوهم فطال
 عليهم البلاء واستأخروهم النصر حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم ووطنوا ان اتباعهم كذبوهم
 جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استياس
 الرسل ووطنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
 الله الا ان نصر الله قريب قال فليقت عروة بن الزبير وذ كرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ الله والله ما وعد
 الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسول حتى خافوا ان يكون معهم من
 قومهم من يكذبوهم فكانت تقررها ووطنوا انهم قد كذبوا متقلة وقوله تعالى (جاءهم نصرنا) يعنى جاء
 نصر الله النبيين (فنجسى من نشاء) من عبادة نابعى عند نزول العذاب بالكفر بن فنجسى المؤمنين المطيعين
 (ولا يردبأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين وقوله تعالى (لقد كان في قصصهم) يعنى
 في قصص يوسف واخوته (عبرة) اى موعظة (لاولى الالباب) يعنى يتعظ بها اولو الالباب والعقول الصحيحة
 ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه
 التأمل والتفكير ووجه الاعتبار بهم هذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف من الحب بعد القائه فيه

الرسل ان قومهم كذبوهم
 وبالتخفيف كوفى اى
 وطن المرسل اليهم
 ان الرسل قد كذبوا
 اى اخلفوا ووطن المرسل
 اليهم انهم كذبوا من جهة
 الرسل اى كذبتهم الرسل
 فى انهم اينصرون عليهم
 ولم يصدقوهم فيه (جاءهم
 نصرنا) للانبياء والمؤمنين
 بهم فجاءهم من غير احتساب
 (فنجسى) بنون واحدة
 وتشديد الجيم وفتح الياء
 شامى وعاصم على لفظ
 الماضى المبني للمفعول
 والقائم مقام الفاعل من
 الباقر فنجسى (من نشاء)
 اى النبي ومن آمن به (ولا
 يردبأسنا) عذابنا (عن
 القوم المجرمين) الكافرين
 (لقد كان في قصصهم) اى
 فى قصص الانبياء واهلهم
 اذ فى قصة يوسف واخوته
 (عبرة لاولى الالباب)
 حيث نقل من غاية الحب
 الى غيبة الحب ومن الحصر
 الى السر وفصارت عاقبة
 الصبر سلامة وكرامة ونهاية
 المكر وخامة وندامة

(ما كان حديثاً يفترى) ما كان القرآن حديثاً يفترى كما زعم الكفار (ولكن تصديق الذي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمته (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس (وهدي) من الضلال (ورحمة) من العذاب (اقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه ومانصب (٤٨) بعد ما يمكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة

يوسف فأبما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاء القوة أن لا يحسد مسلماً قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام واخوته تصير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريب كأنه يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك في الدين أخرى ان تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتاباً الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم

واخراجه من السجن وتخليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة والياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك الذين فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثاً يفترى) يعني ما كان هذا القرآن حديثاً يفترى ويختلف لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتره أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء به القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمتفتر (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه إشارة الى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شيء) يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم وديناهم (وهدي) يعني الى كل خير (ورحمة) يعني أنزلناه رحمة (للقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة الرعد)

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية نزولها أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احدهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم عاصفوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلنا والقول الثاني انها مدنية نزولها عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزولها مكية وهو ما قوله ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوه الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وعثمان ثمانية وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة وأحرف * (بسم الله الرحمن الرحيم)

* (سورة الرعد مكية وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمسة وأربعون آية شامي)

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الاشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كما هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمد يقول من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وبجائبه قدرته ما ينال على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهي الاساطين والدعام التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) فقولنا أحدهما ان الروية ترجع الى السماء يعني وأتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها عماد تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد في العمود بالكتابة قال ابياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (المر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما (تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب) أراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها (والذي أنزل اليك من

ربك) أي القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب القبة الايمان فقال (الله الذي رفع السموات) أي خلقها مرفوعة لأن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدئها والخبر الذي رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد وعمود (ترونها) الضمير يعود الى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة الى البيان أو الى عمد فيكون في موضع جر

على أنه صفة لعدم
 أي غير عمدية (ثم
 استوى على العرش)
 استولى بالافتقار ونفوذ
 السلطان (وسخر الشمس
 والقمر) لمنافع عباده
 ومصالح بلاده (كل يجري
 لاجل مسمى) وهو انقضاء
 الدنيا (يدبر الامر) أمر
 ملكوته وربوبيته (يفصل
 الآيات) يبين آياته في كتبه
 المنزلة (لعلمكم بلقاعكم
 توفنون) لعلمكم توفنون بان
 هذا المدبر والمفصل لا بد لكم
 من الرجوع اليه (وهو
 الذي مد الارض) بسطها
 (وجعل فيها رواسي) جبالا
 ثواب (وأنها را) جارية
 (ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين) أي الاسود
 والابيض والحلو والحامض
 والصغير والكبير وما أشبه
 ذلك (بعشى الليل النهار)
 يلبسه مكانه فصير أسود
 مظلما بعدما كان أبيض
 منيرا بعشى حمرة وعلى وأبو
 بكر (ان في ذلك لايات
 لقوم يتفكرون) فيعلمون
 ان لها صناعاتها كما
 قادرا (وفي الارض قطع
 متجاورات) بقاع مختلفة مع
 كونها متجاورة متلاصقة
 طيبة الى سيئة وكرامة الى
 زهيدة وصلبة الى رخوة و
 ذلك دليل على قادر مدبر
 يريد موقع لافعاله على وجه
 دون وجه (وجنات)
 معطوفة على قطع

القبه وهذا قول الحسن وقتادة وجه المفسر من واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان
 الروية ترجع الى العمدة والمعنى ان لها عمدا وليكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على
 جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبه وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية
 الاخرى عن ابن عباس والقول الاول أصح وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام
 عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما تهووران
 يجريان على ما يريد (كل يجري لاجل مسمى) يعني الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن
 عباس أراد بالاجل المسمى درجاتها ومنزلها ما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان
 اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة
 بمقدار خاص من السرعة والبطء والحركة (يدبر الامر) يعني انه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي ويصرفه
 ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالاجاد والاعدام
 والاحياء والامانة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تديره ورحمته داخلون
 تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعني انه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته
 وقيل ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات
 والارض وما فيها من العجائب واحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني
 الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من
 احوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلمكم بلقاعكم توفنون) يعني انه
 تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توفنوا وتصدقوا بملقائه والمصير اليه بعد الموت لان
 من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاد رواسيها بعد موتها واليقين صفة من صفات العلم وهو
 فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم
 قوله تعالى (وهو الذي مد الارض) لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات
 بغير عمد ودوز كراحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أي
 بسطها على وجه الماء وقيل كانت الارض مجتمعة قد هاهن تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل
 ان الارض منسطة كالأكف وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة
 عظيمة فكل قطعة منها تشهد بمدوة كالسطح الكبير العظيم فصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبرنا
 مد الارض وانه دحاهو بسطها وكل ذلك يدل على التسطیح والله تعالى أصدق قبلا وأبين دليلا من أصحاب
 الهيئة (وجعل فيها) يعني في الارض (رواسي) يعني جبالاتها بقية يقال رسا الشيء رسوا ذابث وأرساه غيره
 أثبتة قال ابن عباس كان أبوقبيس أول جبل وضع على الارض (وأنها را) يعني جعل في الارض أنها را جارية
 لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحر وأصفر وحلو وحامض
 (بعشى الليل النهار) يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعنى الذي تقدم
 ذكره من عجائب صنعه وعرايب قدرته الدالة على وحدانيته (لايات) أي دلالات (لقوم يتفكرون)
 يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال
 صاحب المفردات الفكر قوة مطرفة للعلم الى المعلوم والتفكير حريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك
 للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روى تفكير رافي آلاء الله
 ولا تفكر رافي الله اذ كان الله منزها أن يوصف بصورة وقال بعض ادباء الفكر مقبول عن الفرك لانه
 يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الامور وبجها طلب الوصول الى حقيقتها قوله عز وجل (وفي الارض
 قطع متجاورات) يعني متقاربات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبائع فهذه طيبة تثبت وهذه سجة
 لا تثبت وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع (وجنات) يعني بساتين والجنة كل بساتن ذى شجر من نخيل

(من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) بالرفع مكي وبصرى وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهي الخلة لها رأسان (٥٠) وأصلها واحد وعن حفص يضم الصاد وهما الغتان (تسقى بجمع واحد) وبالياء عاصم وشامى (وتفضل بعضها على بعض) وبالياء حجرة وعلى (في الأكل) في الثمر وبسكون الكاف نافع ومكي (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في آثارها وأزهارها وثمارها (وان تجيب) يا محمد من قولهم في انكار البعث (فجيب قولهم) خير ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتجيب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) في محل الرفع بدل من قولهم قرأعاصم وحجزة كل واحد بهمزتين (أولئك الذين كفروا برهم) أولئك الكافرون المتعادون في كفرهم (وأولئك لاغلال في أعناقهم) وصف لهم بالاصرار ومن جله الوعيد (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكرار أولئك على تعظيم الامر (ويستجلبونك بالسبيته قبل الحسنة) قبل الحسنة بالسبيته بالنقمة قبل العافية وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيتهم بالعذاب

وأعناب وغير ذلك سمى جنسه لانه يستر بأشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي الخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنواً إليه يعني انهم من أصل واحد (وغير صنوان) هي الخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسقى بجمع واحد) يعني أشجار الجنات وزرعها والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح (وتفضل بعضها على بعض في الأكل) يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعص وغير ذلك من الطعام عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وتفضل بعضها على بعض في الأكل قال الدقل والنرسبان والحلو والحامض أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا الكيل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضرب به الله لقلب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها ولحها وخبيثها وكل يسقى بجمع واحد فلو كان الماء قبلاً لاقبل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تدكرة فتفرق قلوب قوم فتخشع وتخشع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقوله تعالى (ان في ذلك) يعني الذى ذكر (لايات لقوم يعقلون) يعني في تدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانية الله وقوله تعالى (وان تجيب قولهم) العجب تبعيد النفس روية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تجيب من تكذيبهم يالك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فحجب أمرهم وقيل معناه وانك يا محمد ان تجيب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدر أوامن قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ما رأوا فحجب قولهم وقيل وانك ان تجيب من انكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فحجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التجيب وهو قولهم (أئذا كنا ترابا) يعني بعد الموت (أئذا لفي خلق جديد) يعني نعيد خلقاً جديداً بعد الموت كما كلفه الله ثم ان الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا برهم) وفي دليل على ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك لاغلال في أعناقهم) يعني يوم القيامة والاعلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاعلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلاً بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (ويستجلبونك بالسبيته قبل الحسنة) الاستجبال طلب تعجيل الامر قبل مجي عوقبه والمراد بالسبيته ههنا هي العقوبة وبالْحسنة العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزأ منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا بحجارة من السماء وأنتنا بعد اذ آلم) وقد دخلت من قائلهم المثلاث) يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضمة الشاء المثلمة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليردع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمة مع ضم الشاء فيها الغتان (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن

استهزأ عنهم بأنداره) وقد دخلت من قبلهم المثلاث) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بالمشركين فلا يستهزؤا بالمثلثة العقوبة ما بين العقاب والمعاقب عليهم من المماثلة وحجزة سبيته مثلهما (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى

المشركين
فلا يستهزؤا بالمثلثة العقوبة ما بين العقاب والمعاقب عليهم من المماثلة وحجزة سبيته مثلهما (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أى

مع طاههم أنفسهم بالذنوب وصحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرحم آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيدها وتزدها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أوها جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمسيئة فيهما أي يغفران يشاء ويعذب من يشاء (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندا فافتروا تحوا آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى (٥١) فقبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (انما

أنت منذر) انما أنت رجل أرسلت منذرا نحو قولهم من سوء العاقبة وما صحح كغيرك من الرسل وما علمك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصله بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بآية تخصهم بالاجابا يريدون ويتحكمون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو ومن ذكره وأثوته وتما وجداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الارحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أي أوما تزداده والمراد عدد الولد فانها تشمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما وتجدجا أو مدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عندنا والى أربع عند الشافعي

المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعني المهر من على الشرك الذي ما تواعل عليه وقال بجاهدانه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ﴿قوله تعالى (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني مثل عصا موسى وناقته صالح وذلك لانهم لم يقنعوا بما رأوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (انما أنت منذر) أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس لك من الآيات شيء (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما عليك الانذار يا محمد والهادي هو الله به سدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحبي الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقنادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي به يهديهم وقال أبو العالمة الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد الى الخير لا الى الشر ﴿قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله عز وجل عن عظام قدرته وكلال علمه وانه عالم بما تحمل كل أنثى يعني من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تغيض) يعني وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الجمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصا ما في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذاء فبنقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فان نقصا نقصان خلقه الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستسالك الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأيت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء في زيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة في مدة الحمل تسعة أشهر وقد يولد له هذه المدة ويميش واختلغو في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحالك ولد لسنتين وقال جماعة أكثر هأر بيع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة انما سمى هرم بن حبان هرما لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده بمقدار) يعني بتقديره وحده لا يجاوز ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفية على أكمل الوجوه وقيل معناه وانه تعالى خصص كل حادثه من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئة الازلية واداته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعو الى معنى كبر قدرته وانه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وقيل ما يدل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدر التامة وتنزيهه عن جميع النقائص ﴿قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي مستؤمنكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلمه والمعنى انه قد أسوى في علم الله تعالى السر بالقول والجهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر بظلمته (وسار بالنهار) أي ذاهب بالنهار في سر به ظاهره والسر بفتح السين وسكون الراء الطريق

والى خمس عند مالك أو صدرية أي يعلم كل أنثى ويعلم غيض الارحام واز يادها (وكل شيء عنده بمقدار) بتقديره وحده لا يجاوز ولا ينقص عنه لقوله انما كل شيء خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعالي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وأعالى عنها وباليساء في الخالين منكم (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي في علمه (ومن هو مستخف بالليل) متوار (وسار بالنهار) ذاهب في سر به أي في طريقه وجهه يقال سرب

وقال القتيبي الساربان المنصرف في حوائجهم قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ريبه مستخف
 بالليل وأذا خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من الأثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت
 الشيء إذا أظهرته وأخفيتها إذا كتمته وساربان النهار أي متواردا دخل في السرب مستخفيا ومعنى
 الآية سواهما أضمرت به القلوب أو نطقت به اللسان وسواهما من أقدم على القبائح مستتر في ظلمات الليل
 أو أتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار
 فاذا سعدت ملائكة الليل عقبته ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدع وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيت
 وان كان الملائكة ذكورا والان واحداهم عقب وجعها معقبته ثم جمع المعقبه معقبات كما قيل ابناوات سعد
 ورجالات بكر (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم
 وهو أعلم بكم كيف تكلمتم كيف بكم وكيف تكلمتم كيف بكم وملائكة بالليل وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد
 من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب
 الحسنات أمين على كتاب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر أمثالها واذا عمل سيئة
 قال صاحب الشمال صاحب اليمين كتبها عليه فيقول أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث
 مرات فان هو تاب منها والاقال كتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بصاحبه العبد فاذا تواضع العبد لله
 عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله عز وجل وضعبها او ملك موكل بعينه يحفظها من الاذى وملك
 موكل بغيره لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه فهو لا حسنة أملاك موكلون بالعبد في ليله
 وخسة غيرهم في نهاره فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكال شفقتك عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى
 (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من
 أمر الله بأمر الله واذنه ما لم يحى القدر فاذا جاءه ما يحى يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له
 قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والهوام فبان شيء يأتيه
 يؤذيه الا قال له الملك وراءك الشيء ياذن الله فيه فيصيه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة
 بذبوت عنكم في مطاعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفنكم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أي يحفظون
 عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدتين عن اليمين وعن الشمال
 يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم
 والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه
 وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن
 ابن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على
 مارواه السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن
 زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف الناس
 لجمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذ عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك
 فقال دعاه فان برد الله به خيرا ثم أقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي ان أسلمت
 قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله تعالى
 يجعله حيث يشاء قال فجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فاجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو
 عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى
 الى اربد بن ربيعة اذ رأيتني أكله فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاضع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويراجعه ودارار بدم خائف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شهران سيقه ثم حبسه الله
 تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يئس اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربدا ماصبع

في الارض سرور باوساربان
 عطف على من هو مستخف
 لا على مستخف أو على
 مستخف غير أن من في معنى
 الاثنين والضمير في (له)
 مردود على من كانه قيل
 لمن أسروا من جهروا من
 استخفي ومن سرب
 (معقبات) جماعات من
 الملائكة تعتقب في حفظه
 والاصل معقبات فادغمت
 التاء في القاف وهو مفعلات
 من عقبه اذا جاء على عقبه
 لان بعضهم يعقب بعضا أو
 لانهم يعقبون ما يتكلم به
 فيكتبونه (من بين يديه ومن
 خلفه) أي قدومه ووراءه
 (يحفظونه من أمر الله)
 هما صفتان جميعا وليس
 من أمر الله بصله للحفظ
 كانه قيل له معقبات من
 أمر الله أو يحفظونه من
 أجل أمر الله أي من أجل
 ان الله تعالى أمرهم بحفظه
 أو يحفظونه من بأمر الله
 ونعمته اذا أذنب بدعائهم له

(ان الله لا يعزب ما يقوم) من

العافية والنعمة (حتى يعيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (واذا اراد الله بقوم سوءا) عذابا (فلا مرد له) فلا يذنبه شيء (وما لهم من دونه من وال) من دون الله ممن يلي امرهم و يدفع عنهم (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) انتصبا على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذخوف وذا طمع او من مخاطبين أي خائفين وطمعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عنددلع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب

فتي كالسحاب الجون يخشى ويرتجى
برجى الحيامنه وتخشى الصواعق
أويخاف المطر من له فيسه ضرر كالسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيله تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقيل (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد المسموع كل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه الملائكة السحابة وقد جاء نفسه في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دية وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد تله الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعد دلاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى

بسمه فقال اللهم اكنفهم ما عشت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو فانطفا حرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لا ملائمة اعليك خيلا جدا وشبا يا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى الله من ذلك وابنا قبيلة يربد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولوية فلما أصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في أصل اذنه أخذ منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء يقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذهم ما برحى فارسل الله اليه ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فأت بالطنين وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأترل الله عز وجل في شأن هذه القصة وسواء منكم من أسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير فقد برهله معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله (ان الله لا يعزب ما يقوم) خطاب لهذين عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة يعني لا يعزب ما يقوم من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم (حتى يعيروا ما بانفسهم) يعني من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويحسدون نعمه عليهم فعند ذلك تحمل نعمتهم وهم وهو قوله تعالى (واذا اراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكا وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد ان يرد ما أنزل الله بهم من قضاة وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم ونصرهم وينزع العذاب عنهم قوله عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبهه النعم من وجهه ويشبهه العذاب من وجهه فقال تعالى هو الذي يعني هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالسافر ومن في حريته يعني يبدره الثمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد اذا أمطرت قطعت واذا لم تخطر أنصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غر بالماء قاله علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحاب الجر وسمى السحاب سحبا بالجر الجري له أو لجره الماء أو لانجراره في سيرة (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه أو ورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغابرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسما للملائكة وانما أفرد بالذكري تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت بهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها سحاب يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جميع مخاريق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء نفسه في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دية وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد تله الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعد دلاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى

بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى تنتهي الى حيث أمر (والملائكة من خيفته) ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله

حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث واعادة الخلاق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم و يدون الواحدانية بالتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والوار للمحال أي فيصيبهم من يشاء في حال جد الهم وذلك ان أربداً حاليدين ربعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بعبدة كعبدة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أم نوحاس هو أم من حديد (وهو شديد المحال) أي الماحلة وهي شدة المماكرة والمكيدة ومنه تحمل لكذا اذا تكلف لا استعمال الحيلة واجتهد فيه وحصل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان والمعنى انه شديد المكر والسكيد لاعدائه يأتهم بالهاكة من حيث لا يحتسبون (له دعوة الحق) أضيفت الى الحق الذي هو ضد الباطل للسدالة على ان الدعوة ملاسة للحق وانها يعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعي فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سواء فكانت دعوة ملاسة للحق لكونه حقيقاً بانه توجه اليه الدعاء في دعوة من الجدوى الكشاف والنفع بخلاف ما لا ينتفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربد بظهور لان اصابته بالصاعقة محال من الله

يقول لو ان عبادي أطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل واطاعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جو يعرض الضعالم عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرقه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في نقرة ابهامه وان يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعند هذا يتزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتفديس عبارة عن تزيه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجوده وجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحاً ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه سبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعواناً من الملائكة وهم خائفون خاضعون طاعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وجعله على العموم أول (و يرسل الصواعق) جميع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيبها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلكها كما أصاب أربد بن ربعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر (وهم يجادلون في الله) يعني يخاضعون في الله وقيل المجادلة المناوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فله زلت في شأن أربد بن ربعة حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم مريبك أمن درأم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله و يرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نقرأ من أحجابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعون اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله مارأيتنا رجلاً كثر قلباً ولا أعنى على الله منه فقال ارجعوا اليه فارجعوا اليه فلم يزد هم على مقالته الاولى شيئاً بل قال أجيبت محمد الى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيئاً بل قال أخذت فقال ارجعوا اليه فارجعوا اليه فينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئاً اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جالوس عنده فرجعوا والخير والنبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمت ذلك قالوا اقدأوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم و يرسل الصواعق فيصيبهم من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الوار فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيبهم من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربد لما جداله في الله بالصاعقة وقيل انها واولا استئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) أي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم يجعل به محلاً اذا أراد به سوء وقيل هو من قولهم يجعل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتحمل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال بأعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من المحول وهو الحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدالهم قوله تعالى (له دعوة الحق) يعني لله دعوة الصادق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله قال صاحب

فهما فكانت الدعوة دعوة
 حق وعلى الاقل وعيد
 للكفرة على مجادلهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 بحلول محاله بهم واجابة
 دعوة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فهم ان
 دعاءهم (والذين يدعون)
 والآلهة الذين يدعوهم
 الكفار (من دونه) من
 دون الله (لا يستجيبون
 لهم بشئ) من طلباتهم
 (الا كاسط كفيه الى الماء
 ليبلغ فاه) الاستثناء من
 المصدر أى من الاستجابة
 التى دل عليها الاستجيبون
 لان الفعل بحروفه يدل على
 المصدر بصيغته على
 الزمان وبالضرورة على
 المكان والحال فجاز استثناء
 كل منهما من الفعل فصار
 التقدير لا يستجيبون
 استجابة الاستجابة كاستجابة
 باسط كفيه الى الماء أى
 كاستجابة الماء لمن بسط كفيه
 اليه يطلب منه ان يبلغ فاه
 والماء جاد لا يشعر ببسط
 كفيه ولا يعطشه وحاجته
 اليه ولا يقدر أن يجيب
 دعاه ويبلغ فاه وكذلك
 ما يدعونه جاد لا يحس
 بدعائهم ولا يستطيع
 اجابتهم ولا يقدر على نفعهم
 واللام فى ليبلغ متعلق
 ببسط كفيه (وما هو
 بالغة) وما الماء يبالغ فاه
 (ومادعاء الكافر من الانبياء)

الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف
 الكامة اليه فى قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملازمة للحق مختصة به وانها بمنزلة من الباطل والمعنى
 ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤلوه ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه
 حقيقيا بان توجه اليه الدعاء فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لانفع فيه ولا جدوى فيردد دعاه الثانى
 ان تضاف الى الحق الذى هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو
 الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قات ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلها ما قلت أما على قصة أريد
 فظاهر لان اصابتها بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعاء عليه وعلى صاحبه
 عامر بن الطفيل فأجيب فيها فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون فى الله فوعيد للكفار
 على مجادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه أن دعاء عليهم وقيل فى معنى الآية الدعاء بالاخلاص
 والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعنى والذين يدعونهم آلهة من دون الله
 وهى الاصنام التى يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشئ) يعنى لا يجيبونهم بشئ يريده من نفع أو دفع ضرر
 ان دعوههم (الا كاسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعنى الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط
 كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر ببسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاه أو
 يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم فى قوة
 جدوى دعائهم لا آلهتهم بن أراد أن يعرف الماء عيديه ليشر به فيبسطه ما ناسرا أصابعه فلم تلق كفاه منه
 شيأ ولم يبلغ طلبته من شره وقيل ان القابض على الماء ناسرا أصابعه لا يكون فى يده منه شئ ولا يبلغ الى فيه
 منه شئ كذلك الذى يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا تنفع ولا يقدره منها شئ وقيل شبه بالرجل العطشان الذى
 يري الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه الى الماء يدعو بلسانه فلا يأتىه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن
 عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يريد يديه الى البئر فلا هو يبلغ الى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء
 يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم
 ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه فى الماء لا يثبته ذلك المالم يعرف به مامن الماء ولا يبلغ الماء
 فاه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا
 بقوله (ومادعاء الكافر من) يعنى أصنامهم (الانبياء ضلال) يعنى يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس
 فى هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا
 وكرها) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على
 الارض ثم على هذا القول فى معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما لان المراد منه
 الخصوص فقوله ولله يسجد من فى السموات يعنى الملائكة ومن فى الارض من الانس يعنى المؤمنين طوعا
 وكرها يعنى من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعنى المنافقين
 الداخلين فى المؤمنين ولا يسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا
 يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثانى هو حمل اللفظ على العموم
 وعلى هذا فى اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم
 من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا الوجه الاشكال والجواب
 عنه ان المعنى انه يجب على كل من فى السموات ومن فى الارض أن يسجد لله فعبر بالوجوب عن الوقوع
 والحصول رجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من فى
 السموات من ملائكة فى الارض من انس ورجن فانهم يقررون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى
 وائى سألهم من خلق السموات والارض ليقوان الله والقول الثانى فى معنى هذا السجود هو الانقياد

ضلال) فى ضاع لا منفعته فيه لانهم ان دعوا لله لم يجبه وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم (وتنه يسجد من فى السموات والارض)
 سجود تعبد وانقياد (طوعا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق

(وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغسق) جمع غداة كقفي وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصل قيل ظل كل شيء يستعد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب (٥٦) السموات والارض لم يكن لهم بدم أن يقولوا الله دليله فقرأه ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو

تلقين أي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفتأخذتم من دونه أولياء) أبعاد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن يفعلوا أو يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق الثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (قل هل يستوى الاعمي والبصير) أي الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوى الظلمات والنور) ملل الكفر والايان يستوى كوني غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل أجمعوا ومعنى الهزلة الانكار (خلقوا تكلفه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء وعبدتهم كما يعبدون ولكنهم اتخذوا

والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون متقادون له ﴿وقوله تعالى﴾ (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالغدو والآصال (الغدوة) الغدوة وهو العشيبة والآصال العشايا جمع عشيبة وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى الظلال عقولا وأفهاما يسجدون أو تخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سجدت لله مع داود وقيل المراد بسجود الظلال ميلانهم من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خاص الغدو والآصال بالذكري لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانها طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

*** (فصل) *** وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقرائي والسمتع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقررون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فامرء الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انه فإجابهم قالوا ذلك أيضا ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفتأخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى قولتم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولاضرا) فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمي والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعني الشرك والايان والمعنى كما لا يستوى الاعمي والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والايان وانما شبه الكافر بالاعمي لان الاعمي لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا تكلفه) يعني خلقوا مثل خلقه وارضين وشمسوا وقرابا ولا يحارون اجنوا واناسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى ربهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا مثل خلق الله فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء وعبدتهم كما يعبدون ولكنهم اتخذوا

شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) عز أي خالق الاجسام والاعراض لخالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوه فاشبه الخلق على قولهم (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه من ربه ومتهور

عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات
والايمان بالنور ضرب لذلك مثلاً فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية
جمع واد وهو المخرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت أودية قيه اتساع وحذف تقدره فسالت
في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في الدلالة السلام عليه بقدرها قال مجاهد
بثلها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما انكر أودية لان المطر اذا نزل
لا يجمع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا
السبب جاء هذا بالتنكير وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرأنا وهذا مثل ضرب به الله تعالى فسالت
أودية بقدرها يريد بالودية القلوب وشبهه نزل القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر
اذا نزل عم نفعه وكذلك نزل القرآن وشبهه القلوب بالودية لان الاودية يستسكن فيها الماء وكذلك القلوب
يستسكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزل القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين انتفعوا بنزول
القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله
به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والشجيرة
الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء نفع الله بها الناس فشرروا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها
أخرى اغماهى فبعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فاعلم وعلم
ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره
في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبالحمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وأما قوله وكان
منها أجادب فبالجيم والذال المهملة والباء الموحدة كذا في الصحاح وهي الارض التي لا تنبت الكلأ جمع
جذب على غير قياس وقياسه أجذب واجذب ضد الحصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه
النضوب وفي رواية الهروي اخذت بالحاء المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي يسلك الماء وقوله
ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخارى وزرعوا زيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر
القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو
المشهور وروى بكسرها ومعناها فهم الاحكام وأمامنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
ضرب مثلاً لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك
الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنتب به العشب فينتفع
الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من
العلم فيحييه قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق بحسب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء
الفهوم النوع الثاني من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امسالك
الماء لغيرها ينتفع به الناس والدواب وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام
ناقة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يحيج المحتاج اليه المتعطل اليه ما عندهم من العلم فيأخذ منهم فينتفع به هو
وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من
الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ناقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينتفعون
غيرهم والله أعلم وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبدا ما يعلى وجه الماء عند زيادة كالحبيب
وكذا لما يعلى القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (رابياً) يعني
عاليها رتفا فوق الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى (ومما توفدرون عليه في النار)
الايقاد جعل الخطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليدوب (ابتغاء حلية) يعني لطالب زينة والضمير
في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطالب الا منهما (أو متاع) يعني

(أنزل) أى الواحد
القهار وهو الله سبحانه (من
السماء) من السحاب (ماء)
مطرا (فسالت أودية)
جمع واد وهو الموضع الذى
يسيل فيه الماء بكثرة وانما
نكر لان المطر لا يأتي الاعلى
طريق المناوبة بين البقاع
فيسيل بعض أودية
الارض دون بعض
(بقدرها) بمقدارها الذى
علم الله انه نافع للمطرور
عليهم غير ضار (فاحتمل
السيل) أى رفع (زبدا)
هو ماء على وجه الماء
من الرغبة والمعنى علاه زيد
(رابياً) متفخما مرتفعا
على وجه السيل (ومما
توفدرون عليه) وبالياء كوفي
غير أبي بكر ومن لا يتبادر
الغاية أى ومنه ينشأ زيد
مثل زيد الماء أو للتبعيض
أى وبعضه زيد (في النار)
حال من الضمير في عليه أى
ومما توفدرون عليه نابتا في
النار (ابتغاء حلية) مبتغين
حلية فهو مصدر في موضع
الحال من الضمير في توفدرون
(أو متاع) من الحديد
والنحاس والرصاص يتخذ
منها الاواني وما يتمتع به في
الحضر والسفر وهو
معطوف على حلية أى
زينة من الذهب والفضة

(زبد) خبت وهو مبتدأ (مثله) نعمته وبما توفد ونحوه أي لهذه الفلزات إذا أعليت بزبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي مثل الحق والباطل (فأما الزبد فيذهب جفاء) حال أي متلاشي وهو ما تقدّمه القدر عند الغلمان والبحر عند الطغمان والجفاء الرمي وجفوت الرجل صرته (وأما ما ينفع الناس) من الماء والحلي والاواني (فيمكث في الأرض) فيثبت الماء في العيون والآبار والجيوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الأرض مدة طويلة (كذلك يضرب الله الأمثال) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل ونحوه فيمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيجربون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه (٥٨) واتخاذ الاواني والالات المختلفة وذلك ما كثرت في الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه

وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به بزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب قال الجهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل قال الماء للابدان والادوية القلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هو اجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد بالاطلاق يبقى صفو الماء كذلك تذهب وساوس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فيمثل للاحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فيمثل للاعمال المعقدة بالاخلاص المعقدة للخلاص فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كان

وأطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع (زبد مثله) يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضاعا بطلا والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقتة والمعنى ان الباطل وان علاني وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب (فيمكث في الأرض) يعني يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يحرقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعال على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصفون من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينظمه الكبير مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علاني وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعة قاده وارتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وحيث اعتمده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لهافي الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شيء فيمن النحاسات والمستقدرات كذلك اذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل طلبة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفءا وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الاخلاق الذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى (الذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل اللام في الذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به ورسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفر يقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله الذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهوا المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به) يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب)

تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرابع والخلل والملل والسكل واللام في قال (الذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهي صفة لصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هم امثال الفر يقين وقوله (لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فتدوا به) كلام مبتدأ في ذكر ما أعدوا غير المستجيبين أي لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها امثالها لبذلوه ليدفعوا عن انفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قدم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ أخبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ أخبره لومع ما في حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة فيه في الحديث من نوقس الحساب عذب

(ومأواههم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (و بنس المهاد) المكان المهد والمذموم مخذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفن يعلم) الانكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (٥٩) (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب

بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (أفن يعلم) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والاورز (انما يتذكر أولو الالباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فظنوا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبي الداركقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم العنة وقيل هو صفة لاولي الالباب والاول أوجه وعهد الله ما عقده على أنفسهم من الشهادة بروبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) مأثوقه على أنفسهم وقبضوه من الايمان بالله وغديره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله أن يصلوا) من الارحام والقربان ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وافشاء السلام عليهم وعبادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم

قال ابراهيم الخنعي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء (ومأواههم) يعني في الآخرة (جهنم و بنس المهاد) يعني و بنس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني و بنس الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى (أفن يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (أفن يعلم) هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو حمزة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالأعمى لان الأعمى لا يهتدي لرشده وبعينه في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (انما يتذكر أولو الالباب) يعني انما يتعذرون والعقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذته على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والا كثرون على أن المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بئنه أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعاه الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسطه في رزقه وان ينسأله في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبررة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وصدقة القطع قوله وأن ينسأله في أثره الاثر هنا الاجل وسعى الاجل أثر الاله تابع الحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وهو على وجهين أحدهما ان يبارك الله في عمره فكأنما قدر زاد فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالساكن في الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلمون ان أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل ومبررة في المال ومنسأة في الأثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما تزل به من الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقضيها العقل أو الشرع أو عما يقضيها حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكره وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قديصه برب ليقال ما أكمل

والجيران والرفقاء في السفر (ويخشون ربهم) أي وعبيده كله (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشايق التكليف (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أصبره وأحمله

وان كان الحرام رزقا عدنا
(سرا وعلانية) يتناول
النوازل لانها في السر أفضل
والفرائض لان المجاهرة بها
أفضل نفيا للثمة (ويدعون
بالحسنة السيئة) ويدعون
بالحسن من الكلام ما ردد
عليهم من سي غيرهم أو اذا
حرموا أعطوا واذا اطلبوا
عفوا واذا قطعوا وصلوا
واذا أذنبوا تابوا واذا
هربوا أمابوا واذا رأوا
منكرا أمروا بتغييره فهذه
ثمانية أعمال تشير إلى
ثمانية أبواب الجنة (أولئك
لهم عقبي الدار) عاقبة
الدنيا وهي الجنة لانها التي
أرادها الله أن تكون عاقبة
الدنيا ومرجع أهلها
(جنات عدن) بدل من
عقبى الدار (يدخلونها
ومن صلح) أي آمن (من
آبائهم وأزواجهم
وذرئتهم) وقري صلح
والفتح أقصم ومن في محل
الرفع بالعطف على الضمير
في يدخلونها وساغ ذلك
وان لم يؤكد لان ضمير
المفعول صار فاصلا وأجاز
الزجاج أن يكون مفعولا
معها ووصفهم بالصلاح
ليعلم ان الانساب لا تنفع
بنفسها والمراد أبو كل واحد
منهم فكانه قيل من آبائهم
وأمهاتهم (والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب)
في قدر كل يوم ليلة ثلاث

صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء
وكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ابتغوا جهر بهم لانها الغيبة التي تعالی
النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طاب الباني ذلك
الصبر ثواب الله مستسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغوا جهر بهم يعني صبروا على ما نزل
بهم تعظيم الله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلوة) يعني الصلاة المفروضة وقيل جعله على العموم أولى
فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام أركانها وهياتها (وأنفقوا مائارا زقتاهم سرا
وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالاولى ان يؤدبها سرا وان
كان متهم بترك أداء الزكاة فالاولى أن يؤدبها علانية وقيل ان المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه
والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وجهه
على العموم أولى (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو
معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحمها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي
بسند عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل
الحسنات كمثل رجل عابه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى
حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون
الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سلف عليهم حلوا والسفاهة السيئة والخلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا
معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا اطلبوا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان
خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عمد خلة بين الواحد واما ذكر الله
عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدهما أعداء العالمين بهامن الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني
من أتى بهذه الاعمال (لهم عقبي الدار) يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من
عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالسكان اذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرئتهم) يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن
عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن
ووجد وعلى قول الزجاج معناه أصح في عمله قال الواحدي والصحیح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب
الطيب سيره بما رآه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للطيب
العامل الآتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للطيب
ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام نضر الدين الرازي قوله تعالى
وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه وروى انه
لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسأله أن لا يفعل ووهبت يومها العائشة فأمسكها رجاء
ان تحشر في جلة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب)
يعنى من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس بر يديه التحية من الله والتحف والهدايا (سلام
عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا دلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم
الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات
الجنة وقيل ان السلام قول الصبر فعل ولا يكون القول ثوبا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من
الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا
ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسند عن أبي

مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذا معني قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق امامة
بمخدوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي تسلم عليكم ونسركم مك بصبركم والاول أوجه

أمانة موقوفة عليه قال ان المؤمن ليكون متمسكاً على أركبته اذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبيوب فيقبل الملائك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملائك يستأذن فيقول الذي يليه ملك يستأذن ويقول الا تخزك ذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم الى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فتم عقبى الدار) يعنى فتم عقبى الدار وقيل معناه فتم عقبى الدار ما أتمت فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله احوال السعداء وما أعد لهم من النكرات والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاة وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعنى خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى ما بينهم وبين المؤمنين من الرحمة والقربان (و يفسدون فى الارض) يعنى بالكفر والمعاصى (أولئك) يعنى من هذه صفته (لهم اللعنة) يعنى الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعنى النار لان منقلب الناس فى العرف الى دورهم ومنازلهم فالؤمنون لهم عقبى الدار وهى الجنة والكفار لهم سوء الدار وهى النار قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضييق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحيوة الدنيا) يعنى مشركى مكة لما بسط الله عليهم الرزق وأسر واد بطر واد الفرح لانه تحصل فى القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحيوه الدنيا فى الآخرة) يعنى بالنسبة الى الآخرة (الا متاع) أى قليل ذاهب قال السكبي المتاع مثل السكر حبه والقصة والقدر ينتفع به فى الدنيا ثم يذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعنى من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعنى هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى (قل) أى قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهد الله عز وجل وهو قوله (ويهدى اليه من أتاب) يعنى ويرشد الى دينه والايان به من أتاب بقلبه ورجع اليه بكلمته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أتاب (وتطمئن قلوبهم) يعنى وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) يعنى بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا فى الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شئ سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى فى أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استسعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما فى حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقول فوجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلاف العلماء فى تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقررة أعين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسن لهم وفى رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عبرية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيراً وقال ابراهيم المتخى خيراً لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء فى الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلاذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الأزهري تقول طوبى لك وطوبى لك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبيرة طوبى اسم الجنة بالخشبية وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة فى الجنة تظلل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى الجنة عدن أصلها فى دار النبي صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله

ما أمر الله به أن يوصل
و يفسدون فى الارض
بالكفر والظلم (أولئك
لهم اللعنة) الابعاد من الرحمة
(ولهم سوء الدار) يحتمل
أن يراد سوء عاقبة الدنيا
لانه فى مقابلة عقبى الدار
وان يراد بالدار جهنم
و بسوءها عذابها (الله
يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر) أى ويضيق لمن
يشاء والمعنى الله وحده هو
يبسط الرزق ويقدر دون
غيره (وفرحوا بالحيوة
الدنيا) بما بسط لهم من
الدنيا فرح بطر وأسر
لا فرح سرور بفضل الله
وانعامه عليهم ولم يقابلوه
بالشكر حتى يؤجروا بنعيم
الآخرة (وما الحيوه الدنيا
فى الآخرة الامتاع) وخفى
عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب
نعيم الآخرة ليس الاشياء
نزيهاً يتبع به كجماله الرابك
وهو ما يتبعه من غير ان أو
شربة سويق (ويقول
الذين كفروا لولا أنزل عليه آية
من ربه) أى الآية المقترحة
(قل ان الله يضل من يشاء)
بافتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات (ويهدى اليه من
أتاب) ويرشد الى دينه من
رجع اليه بقلبه (الذين
آمنوا) هم الذين أرحمهم
النصب بدل من (وتطمئن
قلوبهم) تسكن (بذكر
الله) على الدوام أو بالقرآن

أولوعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبر وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك واللام

لونا ولا زهرة الا وفيها منسب الا السواد ولم يخلق الله فا كهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينسج من اصلها عينان الكافور
والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن ابي سعيد
الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب
أهل الجنة تخرج من أكلها وعن معاوية بن قرة عن ابيه برفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من
روحهم ثبتت الحلى والحلل وان أعصانهم الترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير
سند وروى بسنده موقوفاً عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شتم
وظل يمدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد وان رجلاً
ركب فرساً وحقة أو جذعة ثم دار بأرض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرمان الله غرسها بيده ونفخ فيها
من روحه وان أفنانهم المان ورايسور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي
وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال
ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها فتق ليعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسر وجهه بلجامها
وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة يرحلها ووزمها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب (ق) عن سهل بن سعد
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن ابي
سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد
المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن ابي هريرة روى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤا ان شتم وظل يمدود
وهي الجنة (ق) وقوله تعالى (وحسن ما أب) يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة
وهي الجنة (ق) وقوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة) يعنى كما أرسلناك يا محمد الى هذه
الامة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك الى أمة قد خلت ومضت (لتتو عليهم الذى أوحينا اليك) يعنى لتقرأ على
أمتك الذى أوحينا اليك من القرآن وسرّاع الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جرير
هذه الآية مدينة تزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وانفقوا على ان يكتبوا كتاب
الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابي طالب أكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف
الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب أكتب كما كتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم
يكفرون بالرحمن يعنى أنهم ينكرونها ويحذونها والمعروف ان الآية مكتوبة وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا الرحمن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان
محمد يدعو والهين يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا الرحمن اليمامة فنزلت هذه
الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله ادعوا الرحمن أي امدعوا اقله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن
ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته (هو رب لا اله الا هو عليه توكلت) يعنى
عليه اعتمدت في أمورى كلها (واليه متاب) يعنى واليه توبى وتو جوى (قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال) الآية نزلت في نفر من مشرك قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جالسوا خلف
الكعبة وأرسلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فأناهم وقيل انه مرهمهم وهم جالس فدعاهم الى الله عز وجل
فقال له عبد الله بن أبي أمية ان شرك ان تتبعك فسير جبالمكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تنفخ فانها أرض
ضيقة تزارعنا وجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً ونغرس الأشجار ونزرع ونخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون
على ربك من داود حيث سخزله الجبال تسير معه أو سخز لنا الريح لتركبها الى الشام لم يرتنا وحوانحننا ورجع
في يومنا كما سخزرت لسائمان كما زعمت فلست بأهون على ربك من سليمان أوحى لنا جلدك قصياً أو من شئت
من مونا نالنساءه عن أمرك أحق أو باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فانزل

في لهم للبيان مثلها في سقيا
لثا واواوتى طوبى منقلبة
عن ياء لضمه تما قبلها كوقن
والقراءة في (وحسن
ما أب) مرجع بالرفع
والنصب تلك على محلها
(كذلك أرسلناك) مثل
ذلك الارسال أرسلناك
ارسالاله شأن وفضل على
سائر الارسلات ثم فسركيف
أرسله فقال (في أمة قد خلت
من قبلها أمة) أى أرسلناك
في أمة قد تقدمتها أمة كثيرة
فهى آخر الامم وأنت خاتم
الانبياء (لتتو عليهم الذى
أوحينا اليك) لتقرأ عليهم
الكتاب العظيم الذى
أوحينا اليك (وهم
يكفرون) وحال هؤلاء
انهم يكفرون (بالرحمن)
بالبلغ الرحمة الذى وسعت
رحمته كل شئ (قل هو ربى)
ورب كل شئ (لا اله الا هو)
أى هو ربى الواحد المتعالى
عن الشركاء (عليه توكلت)
في نصرى عليكم (واليه
متاب) مرجع في شئى على
مصاوتكم متابى وعقابى
وما تبنى في الحالين يعقوب
ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال عن مقارها

(أو قطعت به الأرض) حتى تصدع وترابا قطعاً (أو كالم به الموتى) فتسمع وتجيّب المكان هذا القرآن - كونه عاياً في التذكير ونهاية في الأنداز والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرأ أو وقع به تسمير الجبال وتقطيع (٦٣) الأرض وتكليم الموتى وتنبئهم بما

آمنوا به ولما تنبأوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية (بل لله الأمر جميعاً) بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنوات وهذه والله فرية ما فيها مريبة (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبان دارهم) أو تحل القارعة قريبان منهم فيفزعون ويتطار عليهم شرورها ويتعدى إليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أي موثمهم أو القيامة أو لا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا رسول الله من

الله هذه الآية ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعني شققت فجعلت أمهرا وعيوناً (أو كالم به الموتى) فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وإنما حذفوا كتنفيع معرفة السامع مراده وتقديره ولو أن قرأنا فعل به كذا وكذا المكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر
فأقسم لو شئ أن أنا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعاً
أراد لو شئ أن أنا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كالم به الموتى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فهم كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى (بل لله الأمر جميعاً) يعني في هذه الأشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل (أفلم يأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكوفي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد الله لم يأس ألم يعلم واستدلوا هذه اللغة بقول الشاعر

أقول لهم بالشعب أذينا سرونى * ألم يأسوا إلى ابن فارس زهدم
يعني ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضاً بقول شاعر آخر

ألم يأس الأرقام إلى أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشييرة نأبياً

يعني ألم يعلم الأرقام قال تطرب يئس بمعنى علم لغة العرب قالوا وجه هذه اللغة انه وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشيء ويعينك به يتسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع كلام العرب للعلم وإنما قصد ان يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى ان يحصل العلم بانه ناهي فاذا معنى يأسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لان العلم وذلك ان المشركين لما طابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات شراب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليحتموا على الإيمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء وعلموا علمنا يقينا (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) يعني من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء لان الله لو شاء لهدى الناس جميعاً وحاصله ان في معنى الآية قولين أحدهما ان يئس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والأعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلايا أحبا ما مره قبلا جلد ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها إليهم (أو تحل) يعني السرايا أو البلية (قريبان دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبان دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسول من قبلك) وذلك ان كفار مكة إنما سألوا هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فاتزل الله هذه الآية تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم إنما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسول من قبلك فأملت للذين كفروا) يعني فاملتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الامهال فعدبتهم في الدنيا بالحقط

العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغرب حول مكة ويحتطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبان دارهم بحيثك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فخر مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أي لا تخلف في مواعده (ولقد استهزئ برسول من قبلك فأملت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفيض وأمن (ثم أخذتهم)

فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن افتراحهم الايات على رسول الله استزاعه وتسليته (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في
اشراكهم بالله يعني أقاله الذي هو (٦٤) رقيب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره بعد لكل جزاءه كن
ليس كذلك ثم استأنف
فقال (وجعلوا لله شركاء)
أي الاصنام (قل سموهم)
أي سموهم له من هم ونبوه
بأسمائهم ثم قال (أم تنبؤنه
بما لا يعلم في الارض) على
أم المنقطة أي بل أنتبؤنه
بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات
والارض فاذ لم يعلمهم علم
انهم ليسوا بشئ والمراد
في أن يكون له شركاء (أم
بظاهر من القول) بل
أسمونهم شركاء بظاهر من
القول من غير أن يكون
لذلك حقيقة كقوله ذلك
قولهم بأقوالهم ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتوها
(بل زين للذين كفروا
مكرهم) كيدهم للإسلام
بشركهم (وصدوا عن
السييل) عن سبيل الله بضم
الصاد كوفي وبتفتحها غيرهم
ومعناه وصدوا المسلمين عن
سبيل الله (ومن يضل الله
فشاله من هاد) من أحد
يقدر على هدايته (لهم
عذاب في الحياة الدنيا)
بالقتل والاسر وأنواع المحن
(ولعذاب الآخرة أشق)
أشد لدوامه (ومالهم من
الله من واق) من حافظ من
عذابه (مثل الجنة التي
وعد المتقون) صفتها التي
هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف أي

والقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعني فكيف كان عقابي لهم (أفمن هو قائم)
على كل نفس بما كسبت) يعني أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وما عملت من خير أو شر ويجازيها بما
كسبت فيشبهان أحسن وبعاقبها أن أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن
نفسه ومن كان عاجزاً عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء)
يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء (قل سموهم) يعني له وقيل صفوهم بما
يستحقون ثم انظروا هل هي أهل لأن تعبد (أم تنبؤنه) يعني أم تخبرون الله (بما لا يعلم في الارض) يعني انه
لا يعلم لنفسه شريكاً من خلقه وكيف يكون الخلق شريكاً للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو
كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بان يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر
من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لأصله وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقة (بل
زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمز من في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على
الاطلاق لا يقدر أحداث يتصرف في الوجود الا بذنه فتزين الشيطان القاء الوسوسة فقط ولا يقدر على
اضلال أحد وهدايته الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله (ومن يضل الله فشاله من هاد
وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صدوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا
من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم
أي عن الايمان (ومن يضل الله فتن له من هاد) الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر
القراء (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق)
يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق
الذي هو الصدع (ومالهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه ﴿ قوله
تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الأنهار) كلهادائم
لا ينقطع أبداً (وظلها) يعني انه دائم أبداً لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود
لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهنم وأصحابها فانهم يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية
دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار
المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انهم لو كانت مخلوقة لوجب أن تفنى وينقطع
أكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني
لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة فتتمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء
والشهداء وغيرهم على ما روي الآن الذي نذهب اليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل
دليلهم من كتب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا
أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة
مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ﴿ وقوله تعالى (تلك عقبي الذين
اتقوا) يعني ان عقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقبى الكافر من النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل
(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) في المراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذي
أوتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام
والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا

فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثم هادائم الوجود لا ينقطع (وظلها) على
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشهس (تلك عقبي الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة بعقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقبى الكافر من
النار والذين آتيناهم الكتاب) يريد من أسلم من اليهود كابين سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب)

أى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تجزوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب
وأشباعهما (من ينكر بعضه) لأنهم كانوا لا ينكرون إلا قاصيص وبعض (٦٥) الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم

وكانوا ينكرون نبوة محمد
عليه الصلاة والسلام وغير
ذلك مما حرفوه وبدلوه من
الشرائع (قل إنما أمرت
أن أعبد الله ولا أشرك به)
هو جواب للمنكرين أى
قل إنما أمرت فيما أنزل إلى
بأن أعبد الله ولا أشرك به
فإنكاركم له إنكار لعبادة
الله وتوحيده فانظروا ماذا
تتكفرون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وأن
لا يشرك به (إليه أذعو)
خصوصاً لأدعواى غيره
(إليه) لا إلى غيره (ما تب)
مرجعى وأنتم تقولون مثل
ذلك فلا معنى لانكاركم
(وكذلك أنزلناه) ومثل
ذلك الأنزال أنزلناه أمورا
فيه بعبادة الله وتوحيده
والدعوة إليه وإلى دينه
والإنذار بدار الجزاء (حكيا
عربيا) حكمة عربية
مترجمة بلسان العرب
واتصاه على الحال كانوا
يدعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى أمور يشاركونهم
فيها فقبل (ولئن اتبع
أهواءهم بعد ما جاءك
من العلم) أى بعد نبوت العلم
بالحجج القاطعة والبراهين
الساطعة (مالك من الله
من ولى ولا واق) أى
لا ينصرك ناصر ولا يقينك
منه واق وهذا من باب

على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن
وقادة فان قلت ان الاحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كنه فكيف قال ومن
الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن بحماته لانه قد ورد فيه آيات دلالات على توحيد
الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبداً والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة
والانجيل والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من
النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن
لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعنى بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من
ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرجن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل
الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم فلهذا ذكر الرجن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله
تعالى ذكر لفظة الرجن في القرآن فرحوا بذلك فأقر الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما
أنزل اليك ومن الاحزاب يعنى مشركى مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب
الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرجن الا رجن اليمامة يعنون مسيلة
الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرجن قل هو ربي وإنما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لأنهم كانوا
لا ينكرون الله وينكرون الرجن (قل) أى قل يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله) يعنى وحده (ولا أشرك
به) شيئاً (إليه أذعو) أى إلى الله وإلى الأيمان به أذعو الناس (واليه ما تب) يعنى مرجعى يوم القيامة
(وكذلك أنزلناه حكيا عربيا) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغناهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا
الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وإنما سمي القرآن حكيا لان فيه جميع التكليف
والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سبيلا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل
المباغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكيا لذلك المعنى (ولئن
اتبع أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملة آباءهم
فتوعد الله على اتباع أهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آباءهم في الصلاة لبيت المقدس
(بعد ما جاءك من العلم) يعنى بأنك على الحق وان قبلك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حديث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به
ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكافين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره
من هو دونه بطريق الأولى (مالك من الله من ولى ولا واق) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك) روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
ليس له همة الا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا
فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعصا ابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلناهم
أزواجا ذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امرأة حرة وسبع مائة سريية فلم يقدر
ذلك فى نبوته وكان لا يبيدها ود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدر ذلك ايضا فى نبوته فكيف يعيرون
عليك ذلك ويجعلونه قاذفى نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا كلون وبشرون وينكحون وما
جعلناهم ملائكة لا يا كلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) هذا
جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا
عليه أن يريهم المعجزات وتقرر به هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية فى اثبات النبوة وقد آتاهم رسول

(٩ - خازن - ثالث) التمهيج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين وان لا ينزل زال عند الشهة بعد استمساكه بالحق والالا
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات يمكن كانوا يعيرونه بالزواج والولادو يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فتزل
(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا ذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أى ليس فى وسعها آياتان

الله صلى الله عليه وسلم بمجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فإلهم أن يقترحوا عليه شيئاً واتيان الرسول
 بالمجزات ليس اليه بل هو موقوف الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل
 كتاب) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤ اذلك وقد كانوا
 يستجلبون نزوله أخبر الله عز وجل ان لكل قضاء قضاءه فكأفا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى
 ان لكل أجل أجله الله فكأفا قد أثبتته فيه وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى
 ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (بمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك انهم لما اعتراضوا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمد يا امرأ سخاه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا
 انه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله بمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير
 وقتادة يحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فيمنحه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله
 وقال ابن عباس يحو الله ما يشاء ويثبت الالرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل
 ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان وأر بعون
 ليله بعث الله اليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها ووجد لها ولجها وعظامها ثم قال يا رب اذكر أم أنثى
 فيقبض ربلت ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربلت ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب
 رزقه فيقول ربلت ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق)
 عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق
 أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً ثم يكون علقته مثل ذلك ثم يكون مضغته مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً
 بأربع سمع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقياً أو سعيداً ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل
 أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان
 أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل
 الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والارزاق مقدره وكذا السعادة
 والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن يتقلب السعيد
 شقياً أو الشقي سعيداً وقد صرح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه
 الاحاديث وبين قوله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تكررت بالدلائل القطعية ان الله عالم بالآجال
 والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيد يموت في وقت معين استحال
 أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن
 الآجال لا تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من انها تزيد في العمر
 بأجوبة الصحیح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في
 الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في الروح
 المحفوظ ان عمر زيد مثلاً ستون سنة الآن يصل رحمه فان وصلها زيدله أربعون سنة وقد علم الله في الازل
 ما سبق من ذلك وهو معنى قوله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخوفين من تصور
 الزيادة واما انقلاب الشقي سعيداً والسعيد شقياً فتصور في الظاهر أيضاً ان الكافر قد يسلم فينقلب من
 الشقاوة الى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعبيد
 بالله تعالى فيموت على رذته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخطا عند الموت وما
 يختم الله به وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل وانه أعلم وأصل المحو اذهاب أثر الكتابة
 وضد الانبات فن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلها عامية في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله
 ما يشاء في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر
 وابن مسعود فانها ما قالوا يحو السعادة والشقاوة ويحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان

الآيات على ما يقترحه قومه
 واذا ذلك الى الله (لكل أجل
 كتاب) لكل وقت حكم
 يكتب على العباد أي يفرض
 عليهم على ما تقتضيه
 حكمته (محو الله ما يشاء)
 ينسخ ما يشاء نسخه
 (ويثبت) بدله ما يشاء أو
 يتركه غير منسوخ أو يحو
 من ديوان الحفظ ما يشاء
 ويثبت غيره أو يحو كفر
 الثائبين ويثبت ايمانهم
 أو يميت من حان أجله
 وعكسه وهو يثبت مدني
 وشاهي وحزرة وصلي

لاراد الحكمه والمعقب الذي
 يكر على الشيء فيبطئه
 وحقيقته الذي يعقبه أى
 يقضيه بالرد والابطال ومنه
 قيل لصاحب الحق معقب
 لانه يقضي غيره بما لاقتضاء
 والطالب والمعنى انه حكم
 للاسلام بالغلبة والاقبال
 وعلى الكفر بالادبار
 والانتكاس ومحل لامعقب
 حكمه النصب على الحال
 كانه قيل والله يحكم نافذا
 حكمه كما تقول جاءني زيد
 لاعامة على رأسه ولا فتاوسة
 له تريد حاسرا (وهو سريع
 الحساب) فعماقيل يحاسبهم
 في الآخرة بعد عذاب الدنيا
 (وقدمكر الذين من قبلهم)
 أى كفار الامم الخالية
 بانبيائهم والمكر ارادة
 المكره في خفية ثم جعل
 مكرهم كلاما مكر بالاضافة
 الى مكره فقال (قلته المكر
 جميعا) ثم فسر ذلك بقوله
 (يعلم ما تكسب كل نفس
 وسيعلم الكفار لمن عقبى
 الدار) يعنى العاقبة المحمودة
 لان من علم ما تكسب كل
 نفس وأعد لها جزاء فهو
 المكر كانه لانه ياتيهم من
 حيث لا يغولون وهم في غفلة
 عما يرادهم الكافر على
 ارادة الجنس مجازى وأبو
 عمرو (ويقول الذين كفروا
 استمرسلا) المراد بهم
 كعب بن الاشرف ورؤساء
 اليهود قالوا استمرسلا
 وان هذا قال عطاءهى مكبة
 الالهة الآية (قل)

المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهر او خربها كان ذلك نقصا في ديارهم وزيادة في
 دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعزجنده ويظهر دينه ويجز
 له ما وعدة وقيل هو خراب الارض والمعنى أولم يروا انانى الارض فخر بها وبنواها أهلها أذلا يخافون ان تفعل
 بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب
 من الأول وقال عطاء وجساعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو
 ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفى
 رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا
 فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثمة في الاسلام لا يسدها شئ
 ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال سليمان لا يزال
 الناس بخير ما بقى الأول حتى يتعلم الآخرة فاذا هلك الأول ولم يتعلم الآخرة هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير
 ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حتى
 الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللغة بقول الفرزدق

واسأل بناوكم اذا وردت منى * أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الأول أولى لان هذا وان صح فلا يابق بهذا
 الموضوع قال الامام فخر الدين الرازى ويمكن ان يقال أيضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضوع وتقديره ان
 يقال أولم يروا ان كلما حدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز ونقص
 بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذى يؤمنهم ان يقبل الله الامر على هؤلاء
 الكفرة فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز
 ايصال الكلام بـ قوله ﴿وقوله تعالى﴾ (وانه يحكم لامعقب حكمه) يعنى لاراد الحكمه ولا ناقض لقضائه
 والمعقب هو الذى يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يعقب غيره بما لاقتضاء
 والطالب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه مخالبا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره
 بتغيير ولا نقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير
 والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام فى
 معنى سريع الحساب قبل هذا (وقدمكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل مشركى مكة من الامم الماضية الذين
 مكر و بانبيائهم والمكر ايصال المكر وهى الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر فرودى ابراهيم وفرعون
 موسى واليهود يعيسى (قلته المكر جميعا) يعنى عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين
 له ومنه أى هو من خلقه وارادته فلكم جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر
 لا يضر الا بذنه وارادته وفى هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان
 قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضر والامن اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك
 وجب أن لا يكون الخوف الا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعنى ان جميع
 اكتساب العباد وناثير انهم معلومة لله وهو خالقها وخالقها متنوع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم
 وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان متنوع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
 والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا بذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم
 الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى أبا جهل وقيل اراد المستهزئين
 وهم خمسة نفر من كفار مكة (من عقبى الدار) والمعنى انهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة
 الجيدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة فى الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿وقوله تعالى
 (ويقول الذين كفروا استمرسلا) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أى

كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) بما أظهر من الأدلة على رسالتي والباطل على الفاعل وشهيداً تمهيداً (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله وطاقته وقيل هو ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعمتي كتبهم وقال ابن (٦٩) سلام في ثلاث هذه الآية وقيل هو

جبريل عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محمل الجار والمجر وراذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلاً لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا ان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مرت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء (سورة ابراهيم عليه السلام مكة اثنتان وخمسون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (الكتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعنى السورة والجملة التي هي (أترلناه اليك) في موضع الرفع صفة للذكورة (اتخرج الناس) بدعائلك يا هم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (بذنهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يتحقق من التوفيق (الى صراط) بدل من النور بتكرار العامل (العزيز)

قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبياً مرسل من عند الله (ومن عنده علم الكتاب) يعنى ومن عنده علم الكتاب ايضاً يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها واختلافها في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالماً من اليهود والنصارى بالانجيل علم ان محمد اصلى الله عليه وسلم مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيها شاهد بذلك من شهادته وأنكره من أنكروه منهم وقيل انهم مؤمنو أهل الكتاب يشهدون ايضاً على نبوته قال قتادة هو عبدالله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكة وعبدالله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبيرة ومن عنده علم الكتاب أهو عبدالله بن سلام فقال كيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكة وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيداً بيني وبينكم قال الزجاج الاشبهان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائز الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد به من ازيد والفقهاء بل يقال شهد به من ازيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علماً وقيل معناه ان من علم ان القرآن الذي جئتكم به معجزاً ظاهراً وبرهاناً باهراً ما فيه من الفصاحة والبلاغة والاختبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم هذه الصفة كان شهيداً بيني وبينكم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) * وهي مكة سوى آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمته الله كفراً الى آخوال آيتين وهي احدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة واحد وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفاً * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الكتاب أترلناه اليك) يعنى هذا كتاب أترلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (اتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعنى من هذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام نضر الدين الرازى رحمه الله وقيل دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحد الا انه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايان فليس الا واحداً (بذنهم) يعنى بأمرهم وقيل بعلمهم (الى صراط العزيز الحميد) يعنى الى دين الاسلام وهو دينه الذي أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والجديد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر تعال العزيز الحميد وقال أبو عمر وقراءة الخفض على التقديم والتأخير تقدمه الى صراط الله العزيز الحميد (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) يعنى ملكاً وما فيه ما عبيده (وويل للكافرين) يعنى الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذى له ما فى السموات وما فى الارض وعبادوا من لا يملك شيئاً البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة مخلوق الله تعالى ومن جملة ما فى السموات وما فى الارض (من عذاب شديد) يعنى معداهم فى الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون

الغالب بالانتقام (الحميد) المحمود على الاتعام (الله) بالرفع مدنى وسأخى على هو الله بالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقوا ما كانوا كافرين من ظلمات الكفر الى نور الايمان فوعدهم الكافرين بالويل وهو نقيض الوال وهو الحياة وهو اسم كالهلاك فقال (ويل للكافرين من من عذاب شديد) وهو مبتدأ وخبر وصفة (الذين يستحبون) يختارون

وَيُؤْتُونَ (الحياة الدنيا على الآخرة) ويصدقون عن سبيل الله) عن دينه (ويبعثونهم أجمعين) يطالبون لسبيل الله زبغوا ووجوا وأصل
و يبعثون لها الخذف الجار وأصل الفعل الذين مبتدأ خبره (أولئك في ضلال بعيد) عن الحق ووصف الضلال بالبعيد من الأسناد المجازي
والبعيد في الحقيقة للضلال لأنه هو (٧٠) الذي يتباع عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده أو بحر ووصفة للكافر من أو

منصوب على الذم أو مرفوع
على أئني الذين أو هم الذين
(وما أرسلنا من رسول إلا
بلسان قومه) الامتناع
بلغتهم (ليبين لهم) ما هو
مبعوث به وله فلا يكون لهم
حجة على الله ولا يقولون له
لم نفهم ما خوطبنا به فان
قلت ان رسولنا صلى الله
عليه وسلم بعث الى الناس
جميعا بقوله قل يا أيها
الناس اني رسول الله اليكم
جميعا بل الى الثقلين وهم
على السنة مختلفة فان لم
تكن للعرب حجة فاعبرهم
الحجة قلت لا يتخلوا ما ان ينزل
بجميع الاسنة أو بواحد
منها فلا حاجة الى تزوله
بجميع الاسنة لان الترجمة
تنوب عن ذلك وتكفي
التطويل فتعين ان ينزل
بلسان واحد وكان لسان
قومه أولى بالتعيين لانهم
أقرب اليه، ولانه أبعد من
التحريف والتبديل (فضل
الله من يشاء) من آخر
سبب الضلالة (ويهدى
من يشاء) من آخر سبب
الاهتداء (وهو العزيز)
فلا يغالب على مشيئته
(الحكيم) فلا يتخذ الا
أهل الخذلان (ولقد أرسلنا
موسى باياتنا) التسع

الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤتونها على الآخرة (ويصدقون عن سبيل الله)
أي ويؤمنون الناس عن قبول دين الله (ويبعثونهم أجمعين) يعني يطالبون لها زبغوا وسبب الخذف الجار وأصل
الفعل وقيل معناه يطالبون سبيل الله حادين عن القصد وقيل الهافق ويبعثونهم أجمعين الى الدنيا ومعناه
يطالبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام (أولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال بعيد)
يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد ذي بعد أو فيه بعد لان الضلال يبعد عن الطريق قوله تعالى
(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوه اليه وهو قوله تعالى (ليبين
لهم) يعني ما يأتون وما ينزرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث
الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين الجن
والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره انه
مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب و بلسانهم
والناس تبس للعرب فكان مبعوثا الى جميع انطلق لانهم تبس للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف
فبترجون لهم بألسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب
وغير العرب فدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت
دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم في ذلك فاذا فهموه ونقل
عندهم انتشر عنهم علمه وقات التراجيم بيانه وتفهمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهله واذا كان الكتاب
واحد بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم
فوائده وغوامضه وأسرارها وعلاوه وجميع حدوده وأحكامه وقوله (فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء)
يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي الفضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعني
الذي يغلب ولا يغلب (الحكيم) في جميع أفعاله قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى باياتنا) المراد
بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وقلق البحر وغير ذلك من
المعجزات العظيمة الباهرة (ان أخرج قومك من الظلمات الى النور) أي أن أخرج قومك بالدعوة من
ظلمات الكفر الى نور الايمان (وذكرهم بايام الله) قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقناة يعني بنعم
الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم وانما أراد بها كان في
أيام الله من النعمة والنعمة فأخبر بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى
عظهم بالترغيب والترهيب والوعود والوعيد والترغيب والوعيد انذ كرههم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى
من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد انذ كرههم بأس الله وشدة انتقامه ممن
خالف أمره وكذب رسله وقيل بأيام الله في حق موسى أن يذ كرههم بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا
تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب لخالصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا ملوكا (ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور
والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المتفجعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم
بالآيات فكأنهم ليست لغيرهم فهو كونه وهدي للمتعقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن
يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

(ان أخرج قومك) بان أخرج أو أي أخرج لان الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلنا وقلنا
أخرج قومك (من الظلمات الى النور) وذكرهم بايام الله) وأنذرتهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب
ظرونها وملاحمها أو بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وقلق لهم البحر (ان في ذلك لايات لكل صبار)
على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

عليكم اذا تجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف النعمة بمعنى الانعام أي انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من
نعمة الله أي اذ كروا وقت انجائكم (ويذبحون أبناءكم) ذكروا في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا وار وهنماع الواو والحاصل أن
التذبح حيث طرح الواو جعل تفسير العذاب وبيانه له وحيث أثبت الواو جعل التذبح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر
(ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاعمن ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة (٧١) أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبؤكم بالشكر
والخير فنته (واذ تأذن

ربكم) أي آذن ونظير تأذن
وآذن توعد وأوعد ولا بد
في تفعل من زيادة معني
ليس في أفعل كانه قبل
واذ آذن ربكم ايذا نابيغا
تنتفي عنده الشكوك
والشبه وهو من جملة ما قال
موسى لقومه واتصاه
للعطف على نعمة الله عليكم
كانه قبل واذا قال موسى
لقومه اذ كروا نعمة الله
عليكم واذا كروا حين تأذن
ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم
فقال (لئن شكرتم) يابني
اسرائيل ما خولتكم من
نعمة الانجاء وغيرها
(لا يزيدنكم) نعمة الى
نعمة فالشكر قيد الوجود
وصيد المفقود وقيل اذا
سمعت النعمة نعمة الشكر
تأهبت للعز يد وقال ابن
عباس رضي الله عنهم اللين
شكرتم بالجدي الطاعة
لا يزيدنكم بالجدي المثوبة
(ولئن كفرتم) ما أنعمت
به عليكم (ان عذابي لشديد)
لن كفر نعمتي امانى الدنيا
فسلب النعمة وامنى العقبي
فتوا الى النقم (وقال موسى
ان تكفروا ائتم) يابني
اسرائيل (ومن في الارض

عليكم) اما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذكروا قومه بأيام الله ما مثل ذلك الامر وذكروا
بأيام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم (اذ تجاكم من آل فرعون) أي اذ كروا انعام الله عليكم في ذلك
الوقت الذي اتجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فان قلت قال في
سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا يذبحون زيادة واو في الفرق قلت انما حذف الواو في سورة البقرة
لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاء في القوم
زيد وعمر واذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يذبحونهم
بأنواع من العذاب غير التذبح وبالذبح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير للعذاب
(ويستحيون نساءكم) يعني يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاعمن ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل
آل فرعون بلاعمن ربهم قلت تكبيرهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاعمن الله ووجه آخر وهو ان ذلكم
اشارة الى الانجاء وهو بلاع عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والحننة جيعا ومنه قوله ونبؤكم بالشكر
والخير فنته وهذا الوجه أولى لانه موافق لاؤل الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان
تذبح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم
كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل اذكروا نعمة الله
عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معني ليس في أفعل
كانه قبل واذا كروا حين تأذن ربكم ايذا نابيغا تنتفي عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن
شكرتم) يعني يابني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح
(لا يزيدنكم) يعني نعمة الى نعمة ولا ضاعفن لكم ما آتيتكم قبل شكر الوجود صيد المفقود وقيل لئن
شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واطهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم
مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العباد اذا اشتغل بطاعة أقسام نعم الله
عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه البه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك لوجوب المز يد بذلك تتأكد
محبته لعبد الله عز وجل وهو مقام شريف ومقام أعلى منه وهو أن يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم
وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه
وقوله (ولئن كفرتم) المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو بخودها لانه مذكور في مقابلة الشكر
(ان عذابي لشديد) يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها (وقال موسى ان تكفروا) يعني يابني اسرائيل (أتم
ومن في الارض جميعا) يعني والناس كلهم جميعا فاما حاضر ذلك يعود على أنفسكم بحرمانها الخير كله (فان
الله لغني) يعني عن جميع خلقه (حميد) أي محمود في جميع أفعاله لانه منفضل وعادل (ألم يأتكم نبأ) يعني
خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) قال بعض المفسرين يحتمل أن يكون هذا خطابا من موسى
لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام كان يخوفهم به لانه من تقدم من الامم ويحتمل أن يكون خطابا
من الله تعالى على اسنان موسى عليه الصلاة والسلام لقومه والمقصود منه انه عليه الصلاة والسلام يذكروا
بذلك أمر القرون الماضية والامم الخالصة والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم وهلاكهم
(والذين من بعدهم) يعني من بعدهم لواء الامم الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) يعني لا يعلم كنه عقابهم وعددهم

جميعا) والناس كلهم (فان الله لغني) عن شكركم (حميد) وان لم يحمدوا الحامدون وأتم ضررتهم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد
لكم منه (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا وعطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من
الكثيرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان وامم يعيل ثلاثون أبالا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند

تُزول هذه الآية كذب النسابون (جامعهم رسلهم بالبينات) بالمحجزات (فردوا أيديهم في أفواههم) الضمير ان يعودان الى الكهنة أي أخذوا أناملهم باسنانهم تجباً أو عضوا عليها تغيطاً والثاني يعود الى الانبياء أي رد القوم أيديهم في أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وقالوا انا كفرناحما أرسلتم به وانالفي (٧٢) شك مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد (مريب) موقع في الريمة (قالت رسلهم أي في الله شك) أدخلت همزة

الاله لان علمه محيط بكل شئ لا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الله أقوام وأمم ما بلغنا خبرهم أصلاً ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيراً وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرناً لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان لنفسه أباً ابناً الى آدم لانه لا يعلم أولئك إلا بآء الله وقوله تعالى (جامعهم رسلهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمحجزات الباهرات (فردوا أيديهم في أفواههم) وفي معنى الايدي والافواه قولان أحدهما ان المراد بهم ماها نان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيطاً وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبه وقال السكبي يعني ان الامر ردوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندى يد أي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا قلوبهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمروا به وقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالتكذيب وهو ان الامر ردوا على رسلهم (وقالوا انا كفرناحما أرسلتم به) يعني انا كفرناحما زعمتم ان الله أرسلكم به لانهم لم يقرؤا بانهم أرسلوا اليهم لانهم لو قرؤوا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانالفي شك مما تدعوننا اليه مريب) يعني يوجب الريبة أو وقوع في الريبة والتهمة والريمة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم قالوا أولانا كفرناحما أرسلتم به فكيف يقولون ثانياً وانالفي شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت رسلهم) يعني مجيبين لامهم (أي الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار وفي لما اعتقدوه (فاطر السموات والارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيها (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسل (ان أنتم) يعني ما أنتم (الابشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون بقولكم هذا الاصدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا بسلطان مبين) يعني حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا رسلهم ان أنتم الابشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قائم ووصفتهم فنحن بشر مثلكم لانكرد ذلك (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرافنا من

الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانالفي شك (فاطر السموات والارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجئ مع من الا في خطاب الكافر من كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولثلاثا يسوي بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أي القوم (ان أنتم) ما أنتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني الاصنام (فأتونا بسلطان مبين) بحجة بينة وقد

جامعهم رسلهم بالبينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتوا لجاجاً (قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم) تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم (ولكن الله عين على من يشاء من عباده) بالايمان والنبوة كلمن علينا (وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الاتيان بالآية التي قد اقترحوها ليس بينا ولا في استطاعتنا وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى

الرسالة

يشرب به جرعة جرعة (ولا يكاد يسيعه) ولا يقارب أن يسيعه فكيف تكون الاساعة كقوله لم يكذبها أي لم يقرب من رزقيتها فكيف يراها
(ويأتيه الموت من كل مكان) أي (٧٤) أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تنظير لما يصيبه من الآلام أي لو

كان ثمة موت لمكان كل واحد منها ما لها (وما هو بيت) لانه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن يسين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحسبها في الاجساد (مثل الذين) مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفر وابراهيم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابية وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الرياح مدني (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم مطر وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعشق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الايمان بالله تعالى برماط طيرته الريح العاصف (لا يقدر ون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شيء) أي لا يرون له اثر من ثواب كالا يقدر من الرماذ المعابر في

وكرهته ومنته (ولا يكاد يسيعه) أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الخلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيعه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيعه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيعه أي يسيعه بعد ابطاع ان العرب تقول ما كدت أقوم أي قمت بعد ابطاعه على هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معنا لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيعه ويسيعه فيغلي في جوفه عن أبي امامة مرضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميميا فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كاهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساعت من تنفقا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلد رأسه وانما شبهها بالفر وقوله الذي علمها ﴿٧٥﴾ وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني ان الكافر بمجرد ألم الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم النخعي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن عبيد بن عمير وماله وما هو بميت فيسترح وقال ابن جرير تعلق نفسه عند خنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنتفعه الحياة (ومن ورائه) يعني امامه (عذاب غليظ) أي شديد وقيل هو الخلود في النار ﴿٧٦﴾ قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابية وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والغراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم مخذف المضاف اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة يذعرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم يبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم بالعصف والعصف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحر وليلة مطرة لان البرد والحر والمطر فوجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح مخذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يسبق منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة والارحام وفك الاسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمالا لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كهاو قبل المراد بالاعمال عبادتهم الاصلام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرتهم أنهم أنعموا بأبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالاعليم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غابرها فانها لا تنفعهم لانها صارت كالماد الذي ذرته الرياح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدر ون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجع عودها والبعيد هنا الذي لا يرجع عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما الامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع الله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق

الريح على شيء (ذلة هو الضلال البعيد) اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب (ألم تر) ألم تعلم الخطاب السموات لكل أحد (أن الله خلق السموات والارض) خالق مضافا جزءه على (بالحق) بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا (ان يشأ يذهبكم) ويأت بخلق جديد) أي هو قادر على ان يعيد الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على

اعداد الموجود وابتعاد المعدم (وما ذلك على الله بعزيز) بمعذر (وبرزوا لله جميعا) ويرزون يوم القيامة وانما سجدوا بما سجدوا به بلطف الماضي لان ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة وتنادى أصحاب النار وغير ذلك ومعنى برزوا لله والله تعالى لا يشاوري عنه شيء حتى يرزله لهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشف والله عند أنفسهم وعلما والله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا للحساب والله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيمها إلى الواو (للذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصددهم عن الاستماع إلى الانبياء واتباعهم (انا كذالك تبعنا) (٧٥) تابعين جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أو

ذرى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً (فهل أنتم مغنون عننا من عذاب الله من شيء) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الأولى للتيبين والثانية للتبعين كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله أو هما للتبعين أي فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توخيها لهم وعتابا على استغفائهم لانهم علما انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم (قالوا) لهم حبيبين معذرين (لو هدانا الله لهديناكم) أي لو هدانا الله إلى الايمان في الدنيا لهديناكم إليه أي لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لا غنىنا عنكم وسلكناكم طريق النجاة كما سلكناكم طريق الهلكة (سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع

السموات والارض قادر على افناء قوم واما اتهم وابتعاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب الكفار مكة يريدتكم بامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بمنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت وقوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعني خرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى خرجوا من قبورهم وظهروا إلى القضاء وأورد بلطف الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كذالك تبعنا) يعني في الدين والاعتقاد (فهل أنتم) يعني في هذا اليوم (مغنون عنا) يعني دافعون عنا (من عذاب الله من شيء) من هنا للتبعين والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبعون للاتباع (لو هدانا الله لهديناكم) يعني لو أوردنا الله لارشادناكم بدعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان أهل النار يستغيثون بالخرقة كما قال الله وقال الذين في النار خذوا خرقة من الجنة فيصبرون في العذاب فرددت عليهم وقالوا ألم تلك تأتكم رسالكم بالبينات قالوا بلى فرددت الخرقة وقالوا الدعوا ومدعاء الكافرين الا في ضلال فلما يشيرون بما عند الخرقة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألو الموت فلا يحسبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يحسبهم بقوله انكم ما كنتم قلما يشيرون بما عنده قال بعضهم لبعض تعالوا نصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا نصبر وروا طال صبرهم فلم ينفعهم وخرقوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قوله تعالى (وقال الشيطان) يعني ابليس (لما قضى الامر) يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأخذ أهل النار في يوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع عليه أهل النار في يومه فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (ان الله وعدكم وعد الحق) فيه اصهار تقديره فصدق في وعده (ووعدتكم فأخلفتكم) يعني الوعد وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنه ولا نار (وما كان لي عليكم من سلطان) يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة فيما وعدتكم به (الا ان دعوتكم) هذا استثناء منقطع

وانصبروا والهمزة قرأه للتسوية روي انهم يقولون في النار تعالوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا ما هم فيه فقالوا لهم سواء علمنا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا يجتمعون فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كالفائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وقال الشيطان لما قضى الامر) حكم بالجنة والنار لاهلها وقرع من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لاهل النار (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فأخلفتكم) كذبتمكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الا ان دعوتكم)

لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزويني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبتم لي) فامرهم اجابتي (فلا تلوموني) لان من تجرد له رادة لا يلام اذا دعا الى امر فيج مع ان الرحمن قد قال لكم لا يغتنمكم الشيطان كما اخرج ابيكم من الجنة) ولوموا انفسكم) حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله لو هدا نانا الله الى الايمان لهديناكم كما امر (ما انا بمصرخكم وما اتم بمصرخي) لا يخفى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيبه (٧٦) والاصراخ الاغاثة بمصرخي حزمة اتباع الخرافة غير بغتخ البلاء لئلا تجتمع الكسرة والياء آن

بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالبناء الاولي بياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (اني كفرت بما أشركتمون) وبالبناء بصري وما صدر به (من قبل) متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم بأشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بأشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لا دم بالذي أشركتمون به وهو الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزنيه لهم من عبادة الاوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى

معناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم) يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تفتقروا الي ولا تسهموا قولي فلما رجتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى باجابتي ومتابعي من غير حجة ولا دليل (ما انا بمصرخكم) يعني بمغيبكم ولا منقذكم (وما اتم بمصرخي) يعني بمغيبتي ولا منقذي مما أنا فيه (اني كفرت بما أشركتمون من قبل) يعني كفرت بجمعكم اياي شريكاً في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس محمداً يعتقد الكفر فيه من كونه شريكاً لله وتبرأ من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوي بسنده عن عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث ان الله تعالى ان أقوم فيثور من مجاسي اطيب بريح شهما أحد حتى آتني ربي فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعراً أسي الى ظهر قدمي ثم يقول الكفار قد وجدوا مؤمنون من يشفع لهم فينشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي أضلنا فبأثونه فيقولون قد وجدوا المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضلنا فيقوم فيثور من مجلسه أنت بريح شهما أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعداً الحق الآية وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة طالصة دائمة مقرورة بانعظيم والمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (بإذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلاً من الله بانعامه الثاني قوله (تحببهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحبي بعضهم هذه الكلمة أو الملائكة تحببهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحببهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلوا من جميع الآفات لان السلام مشتق من السلامة وقوله عز وجل (ألم تركبوا الله عز وجل احوال الاشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلاً فيهم فقال تعالى ألم ترأي بعين فلبك فتعلم علم يقين باعلاحي اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأيها الانسان كيف ضرب الله مثلاً يعني بين شها والمثل عبارة عن قول في شئ يشبه قولاً في شئ آخر بينهما مشابة لبيتين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر انشبيه شئ بشئ آخر (كشجرة طيبة) هي قول لاله الا الله في قول ابن عباس وجهور المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس وبجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ككعبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يفتح ورفها توثق أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهتا ان أتسكما فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما اقتلقت لعمر يا أبنائه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك

الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) عطف على برزوا (بإذن ربهم) متعلق بادخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره (تحببهم فيها سلام) هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (ألم تركبوا الله مثلاً) أي وصفه وبينه (كلمة طيبة) نصب بضمير أي جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلاً نحو شرف الامير زيداً كسأه حلة وجهه على فرس أو اتصبت مثلاً وكلمة بضر ب أي ضرب كلمة طيبة مثلاً يعني جعلها مثلاً ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة طيبة

(أصلها نبات) أي في الأرض ضارب بعروقها فيها (وفرعها) وأعلىها ورأسها (في السماء) والسكامة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنات وفرعها قرار باللسان وأكلها عمل الأركان وكان الشجرة شجرة وإن لم تكن (٧٧) حاملًا للمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملًا

ولكن الأشجار لا تراد إلا للثمار فما أوقات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت الاخفاف في عهد الأعمار والشجرة كل شجرة معمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فمن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فآخبرني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيًا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم (توتى أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقتته الله لأثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة أفهام وتذكير وتعبير للمعاني (ومثل كلمة الكفر خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث أنها شجرة الحنظل (اجتثت من فوق

إن تتسككتم فقلت لم أركم تتسككتم فكرهت أن أتسككتم أو قول شيبأ فقال عمر لان تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتسككتم ثم قالوا حد ثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه أنها المؤمن ﴿وقوله (أصلها نبات) يعني في الأرض (وفرعها) يعني أعلىها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (توتى أكلها) يعني ثمرها (كل حين باذن ربها) يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفو في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة والحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبيرة وقتادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلوعها إلى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني أن مدة جملها باطننا وظاهرها ثمانية أشهر وقبل أربعة أشهر من حين ظهور رجلها إلى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشبة لأن ثمر النخل يؤكل أبدأ بالليل ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجار والطلع والبلغ والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطرى الرطب فأكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه السكامة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها أن كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كثبوت أصل النخلة في الأرض الوجه الثاني أن هذه السكامة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد السكك الطيب والعمل الصالح برفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث أن ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه السكامة فالؤمن كما قال لاله الا الله صعدت إلى السماء وجاءته بركاتها وثوابها وخبرها ومنعها الوجه الرابع أن النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها إذا قطعت رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه إذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطاع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالايدي ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير المعاني وتذكير كبير او مواضع لمن تذكر واتعظ ﴿وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الحنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضا انها الثوم وعنه أيضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد إلى السماء (اجتثت) يعني استؤصلت وقطعت (من فوق الأرض مالها من قرار) يعني مال هذه الشجرة من ثبات في الأرض لانها ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد له أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتى أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار قال هي الحنظل أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف أصح ﴿وقوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله السكامة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر في هذه الآية انه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت

(الأرض) استؤصلت جنبها وحقبة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهي في مقابلة أصلها ثابت (مالها من قرار) أي استقرار يقال قرار الشيء قرارا كقولك ثبت نباتا شبه بها القول الذي لم يعذب بحجة فهو داحض غير ثابت (يثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لاله الا الله محمد رسول الله

والقول الثابت هي الكرامة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكرامة
الطيبة في الآية المتقدمة بكرامة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكرامة الخبيثة وهي
كرامة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحيوة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة)
يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زادني
رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وان لم يسمع قرع نعالهم اذا
انصرفوا آتاه ملك فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه فبعضه
عبد الله ورسوله فيقول له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم
فيراها مجعبا قال قتادة ذكر لنا انه يفسخ له في قبره ثم يرجع الى حديث أنس وأما المناق في رواية وأما
الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطوقة من حديد
ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ومسلم عنهما زاد في رواية انه يفسخ
له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه نحره الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا القطع ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره آتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال
كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شئ بعدها
فيطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه
فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمناق اذا وضع في قبره آتاه ملك فيمنضه
فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول
كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين
وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم
آتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل
فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك
تقول هذا ثم يفسخ له في قبره سبعون ذراعا ثم يتورقه فيه ثم يقال له نعم فيقول أرجع الى أهلى فأخبرهم
فيقولان نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك
وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت
تقول ذلك فيقال للارض التثمي عليه فتلتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذب حتى يبعثه الله
من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
جنازة رجل من الانصار فانتهمت الى القبر وما لي بخدي بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا
حوله كأنما على رؤسنا الطير ويديه عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا
بالله من عذاب القبر حين أتونا زاد في رواية وقال ان الميت يسمع خف نعالهم اذا ولوا مدبرين حين
يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول
الله ربى فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو
رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وأمنت به وصدقت زاد في رواية ذلك قوله يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق
عبدى فأفرشوا له من الجنة واقتوا له بابا الى الجنة فبأتمه من ربها وطبها و يفسخ له في قبره مد بصره
وان كان الكافر فذ كرموته قال فتعادر ورحمته في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك

(في الحياة الدنيا) حتى
اذا فتنوا في دينهم لم يزالوا كما
ثبت الذين فتنتهم أصحاب
الاخذ ودوغ يرد ذلك (وفي
الآخرة) الجهور على ان
المراذبه في القبر بتلقين
الجواب وتمكين الصواب
فعن البراء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر
قبض روح المؤمن فقال ثم
تعادر ورحمته في جسده فبأتمه
ملكان فيجلسانه في قبره
فيقولان له من ربك وما
دينك ومن نبيك فيقول ربى
الله ودينى الاسلام ونبي
محمد صلى الله عليه وسلم
فينادى مناد من السماء ان
صدق عبدى فذلك قوله
يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت ثم يقول
الملكان عشت سعيدا ومث
جيدا ثم فومة العروس

(ويضلل الله الظالمين) فلا يشبهتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أفضل وأزول (ويضلل الله ما يشاء) فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت (٧٩) الله أي شكر نعمته الله (كفرا) لأن

شكرها الذي وجب عليهم
وضعوها مكانه كفر فكأنهم
غيروا الشكر إلى الكفر
وبدلوه بتديلا وهم أهل مكة
أكرمهم بمحمد عليه
السلام فكفر وانعمة الله
بدل ما لهم من الشكر
(وأحلو قومه) الذين
تابعوهم على الكفر (دار
البوار) دار الهلاك (جهنم)
عطف بيان (بصلواتها)
يدخلونها (وبئس القرار)
وبئس المقر جهنم (وجعلوا
الله أندادا) أمثالا في العبادة
أوفى التسمية (بصلواتها)
سبيله) (وبفق الياعى وأبو
عمرو (قل تمتعوا) في الدنيا
والمراد به الخذلان والخلة
وقال ذوالنون التمتع ان
يقضى العبد ما استطاع من
شهوته (فان مصيركم إلى
النار) مرجعكم إليها (قل
لعبادى الذين آمنوا)
خصهم بالاضافة اليه تشريفا
وبسكون الياء شامى وحزرة
وعلى والاعشى (يقيموا
الصلوة وينفقوا مما
رزقناهم) المقول بخذوف
لان قل تقتضى مقولا وهو
أقيموا أو تقدروه قل لهم
أقيموا الصلاة وأنفقوا
يقيموا الصلاة وينفقوا
وقيل انه أمر وهو المقول
والتقدير يقيموا وينفقوا
فخذف اللام لدلالة قل عامية
ولو قيل يقيموا الصلاة

فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم
فيقول هاهاه لا أدري فينادى مناد من السماء ان قد كذب عبدى فافر شواله من النار والبسوه من النار
وافتحوا له بابا إلى النار فبأية من حروا وهو ما هو بضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه زاد في رواية ثم
يقض له أعشى أبكم أصم معه مرز به من حد يدلو ضرب بها جبلا صار ترابا فضر به بها ضربة يسمةها من بين
المشرق والمغرب الا لتقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا للاخيمك واسألوه التثبيت فانه الا ان
يسئل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهرى قال حضر ناعمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى
بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنة يقول ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما نعدش ههنا ان لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وذكر
الحديث بطوله وفيه فاذا أنامت فلا تصخبى نائحة ولا نار فاذا ذقت موتى فشنوا على التراب شناتم أقيموا حول
قبرى قدر ما تنخر جزور ويقسم لجها حتى استأنس بكم وأنظر ماذا راجع به رسول ربى أخرجه مسلم بزيادة
طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يشبههم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم
على شهادة الحق في الحياة الدنيا وجهم لها فن كانت مواظبته على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في
قلبه أعظم فينبغى للعبد المسلم ان يكون من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالته من قيامه وقعوده ونومه
ويقضاه وجميع حركاته وسكاته فلهذا عز وجل ان يرفقه ببركته مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت
في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن
الجواب وتسهيله بفضل الله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شئ قدير ﴿٧٩﴾ وقوله تعالى (ويضلل الله الظالمين)
يعنى ان الله تعالى لا يهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر (ويضلل الله ما يشاء) يعنى من التوفيق
والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه فى جميع أفعاله لا يستل عما يفعله وهم
يسألون ﴿٧٩﴾ قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) (خ) عن ابن عباس فى قوله ألم تر إلى
الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفى رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة
الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلو قومه دار البوار) قال النار يوم بدر وعن على رضى الله عنه قال
هم كفار قريش فجر وأوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الا لجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية
أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفرا معناه ان
الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فإرساله اليهم وأنزل عليه كتابه ليجز جهنم من ظلمات
الكفر الى نور الايمان واختاروا الكفر على الايمان وغير وانعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر
نعمة الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أو بالاكفر فكأنهم غيروا
الشكر وبدلوه بالكفر وأحلو قومه بهم يعنى من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعنى دار الهلاك ثم
فسرها بقوله تعالى (جهنم بصلواتها وبئس القرار) يعنى المستقر (وجعلوا الله أندادا) يعنى أمثالا وأشباها
من الاصنام وليس لله تعالى ندولا شبيهه ولا مثل تعالى الله عن الندو الشبيهه والمثيل علوا كبيرا (بصلواتها)
سبيله) يعنى ليضلو الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار تمتعوا فى
الدنيا أما قلائل (فان مصيركم إلى النار) يعنى فى الآخرة ﴿٧٩﴾ قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا
الصلاة) يعنى أقيموا أوليكم وقيامها تمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهم
الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق فى جميع وجوه الخير والبر وجهه على العموم أولى
ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق فى جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعنى ينفقون أموالهم فى حال السر

وينفقوا البتداء بخذوف اللام يجوز (سرا وعلانية) انتصبا على الحال أى ذوى سرا وعلانية يعنى مسررا ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سرا
وعلانية أو على المصدر أى انفاق سرا وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب

(من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) أي لا انتفاع فيه بما يباع ولا خلال الخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله به فتحه مامكي
وبصري والباقون بالرفع والتثوين (٨٠) (الله) مبتدأ (الذي خلق السموات والارض) خبره (وأترل من السماء ماء) من السحاب

مطرًا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائبين وهو نال من الشمس والقمر أي يدأبان في سيرهما وانارتهم وادرتهم الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلعة لهما سكر وسباتكم (وآناكم من كل ما سألتموه) من التبعية أي آناكم بعض جميع ما سألتموه أو وآناكم من كل شئ سألتموه وما لم تسألوه فمأموولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرايل بتقيم الحمر من كل عن أبي عمر وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آناكم من جميع ذلك غير سائله أو مأموولة أي وآناكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال (وان تعدوا

وحال العلية وقيل أراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعني لافداء في ذلك اليوم (ولا خلال) يعني ولا خلة وهي المودة والصدقة التي تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شرع ولا مخاللة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبت للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة أحوال مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخاللة لله في محبته وقوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والارض وأترل من السماء ماء فخرج من الثمرات رزقا لكم) اعلم انه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة وقد كرر هنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذي لا يجزئه شئ أراد فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض انما بدأ بذكر خلق السموات والارض لانهم ما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأترل من السماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمار اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا دليل قوله كلوا من ثمره اذا أمر وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لماذا كرر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جاب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم النهار) يعني ذلك الهالك تجر ونها حيث شتمت ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقى الزرع والثمار ولا في الشرب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير النهار وتغيير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دوها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أي في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخير لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخير لهم (وآناكم من كل ما سألتموه) لماذا كرر الله سبحانه وتعالى النعم العظيم التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العدو والحصر والمعنى وآناكم من كل ما سألتموه شيئا فذف شيئا كتفاء بدلالة الكلام على التبعية وقيل هو على التأكيد يعني وآناكم من كل شئ سألتموه وما لم تسألوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عددها اكثرتها (ان الانسان) قال ابن عباس يريد بأب جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلم كفار) يعني ظلموا لنفسه كفارا بنعمة تربه وقيل الظالم الشاكر لغير من أنعم عليه

نعمت الله لا تحصوها) لا تطيقوا عدوها بلوغ آخر هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يعلمه
الان الله (ان الانسان لظالم) يظلم النعمة بافعال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وظلموا في الشدة يشكرو ويجزع كفارا في النعمة
يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه

فضع الشكر في غير موضعه كفر بجود نعم الله عليه وقيل بظلم النعمة باغفال شكرها كفر شديد
الكفران لها وقيل ظلم في الشدة بشكوه ويجزع كفر في النعمة بجمع ويمنع قوله سبحانه وتعالى
(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلداً آمناً) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين
قوله اجعل هذا البلداً آمناً وبين قوله اجعل هذا البلد آمناً قلت الفرق بينهما انه سأل في الأول أن يجعله
من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها
من الخوف الى ضد هان الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً (واجنبي وبني أن نعبد الاصنام)
يعني أبعدي وبني أن نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الأول
ان ابراهيم دعاه أن يجعل مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أعاروا عليها وأخافوا أهلها
الوجه الثاني أن الانبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان
كذلك فالفائدة في قوله اجنبي عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه أيضاً أن يجنب
بنيه عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم
عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوهها الجواب عن الوجه الأول من وجهين أحدهما
أن ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعاه بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب
وهذا ما وجد بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه
بان قوله اجعل هذا البلداً آمناً يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي
السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد جعل أهل هذا البلد آمنين وهذا
الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في بلادهم كما
أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى
مكة آمن على نفسه وماله من ذلك وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت
الحرم أمنت واستأنست لعلها انه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها
وأما الجواب عن الوجه الثاني فن وجوه أيضاً الوجه الأول ان دعاه ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة
والثبوت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه
وتعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعاه بهذا الدعاء هضم للنفس واطهار للعجز والحاجة والفاقة الى فضل
الله تعالى ورجته وان أحد الا يقدر على نفع نفسه بشئ ثم ينفعه الله به فهذا السبب دعاه لنفسه بهذا الدعاء
وأما دعاؤه لابنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الأول أن ابراهيم دعاه لابنيه من صلبه
ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني انه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان
ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعاه ان الله أن يدعو له فكانه قال وبني
الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاه الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون
هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا يختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه انه قال في آخر
الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله
تعالى (وبانهم) يعني الاصنام (أضلل كثير من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وسجادة لا تعقل
شياً حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتمت لهم الدنيا وغرتهم وانما
فتموا بها واغتروا بسببها (فمن تبعني فإنه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فإنه مني يعني المتدينين
بدينى المؤمنين بحبلى كما قال الشاعر اذا حاولت فى أسد فوراً * فاني لست منك ولست منى
أراد ولست من المؤمنين بحبلى وقيل معناه فإنه منى حكمه حكمى جار مجزأى فى القرب والاختصاص (ومن
عصاني) يعني فى غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدى ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل

(واذ قال ابراهيم) واذا كر
اذ قال ابراهيم (رب اجعل
هذا البلد) أى البلد الحرام
(آمناً) ذا أمن والفرق
بين هذه وبين ما فى البقرة
انه قد سأل فيها أن يجعله
من جملة البلدان التى يأمن
أهلها وفى الثانى أن يخرج
من صفة الخوف الى الامن
كأنه قال هو بلد مخوف
فاجعله آمناً (واجنبي)
وبعدنى أى تبئنى وأدمنى
على اجتناب عبادتها كما
قال واجعلنا مسلمين لك أى
تبئنا على الاسلام (وبنى)
أراد ينسبه من صلبه (أن
نعبد الاصنام) من أن نعبد
الاصنام (رب انهم أضللن
كثير من الناس) جعلن
مضلات على طريق التسييب
لان الناس ضلوا بسببهن
فكانهن أضللنهم (فمن
تبعنى) على ملتى وكان
حنيفها مسلماً مشى (فانه
منى) أى هو بعضى لفرط
اختصاصه بى (ومن عصاني)
فيما دون الشرك (فانك
غفور رحيم) أو من عصاني
عصيان شرك فانك غفور

ومن عصاني في ادون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكروا وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف انهما غير مغفور لهما تبرأ منهما والوجه الآخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترجسه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل اخبار عن ابراهيم ﴾ (ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطلقا لتعني أثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وبناتها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما حرا بابيه ثم وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه ائيس ولا شئ فقالت له ذلك مراروا رجعل لا يلتفت اليها فقالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعةننا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلمت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فطم ترأخا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهم فلما أثمرت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسك هاتم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غوات فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال يحناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو يفور بعد ما تعرف وفي رواية قدر ما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء كانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتنا لله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهلَه وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتي به السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من حرمهم أو أهل بيت من حرمهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فقرأوا طائرا عاتقا فقالوا ان هذا الطائر ليرد على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروه وهم قائلوا أو أم اسمعيل عند الماء فقالوا أنا ذنبن لنان نازل عندك قالت نعم ولكن لاحق اسمك في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا أو أرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأسهمهم حين شب فلما أدركه زوجه بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته أخرجته البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية فقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي من للتبعيض أي بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني ليس فيه زرع لانه واديين جبلين جبل أبي قبيس وجبل اجباد وهو وادي مكة عند بيتك المحرم سماه بحر مالانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء عوجم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل محوله محرما لكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وتيسل سمي بحر مالان الزائرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبيل وسمي عتيقا أيضا لانه أعتق من الجبابرة أو من الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه

رحيم ان تاب وآمن (ربنا اني أسكنت من ذريتي) بعض أولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادي مكة (غير ذي زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل محوله محرما لكانه أولانه لم يزل ممنعا به كل جبار أو لانه محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكها أولانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه

وأعلم انه هناك يبتاقد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون
المعنى عند بيتك الذي كان شرف عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق
علمك أنه سيحدث في هذا المكان (ر بنالقيمو الصلاة) اللام في لقيمو متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قومًا من
ذريتي وهم اسمعيل وأولادهم هذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقموا أي لاجل أن يقيموا أوليهم يقيموا
الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوي جمع الوفد (تهوى اليهم) تخن وتشتاق اليهم قال السدي
رحمه الله أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلهذا
جعل جمع فؤاد قال ابن الانباري وانما برعن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد
جارتين وقال الجوهرى الفؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلها جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس
للتبعض قال مجاهد لوقال أفئدة الناس لراحتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبيرة لجت
اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هو
يهوى هو يذا اسقطا من علو الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه
يريدك وقال أيضا تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تخط اليهم وتحد وتزل هذا قول أهل اللغة
في هذا الحرف وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تخن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي
هذا بيان أن حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت
ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينفعون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه
السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والديناما طهر بيانه وعمت بركانه (وارزقهم من الثمرات) يعني بكرزقت
سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قري بقر بمكة لتحصل تلك الثمرات وقيل يحتمل أن
يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يجبي اليه ثمرات كل شئ وقوله
تعالى (لعلهم يشكرون) يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بهم عليهم وقيل معناه لعلهم لو وجدوا
ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بهم على أداء العبادات واقامة الطاعات
(ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا يتفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما
يصح لنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا من انما فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهار العبودية لك وتخشعا
لعظمتك وتذلالا لعزتك واقترارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وانه حيث
اسكنتهم باوادي غير ذى زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن
يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لاراهيم عليه السلام الى من تكلمنا قال الى الله قالت اذا
لا يضيها (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) قيل هذا من تمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على
الله الذي هو عالم الغيب من شئ في كل مكان وقال الاكثرون انه من قول لله تعالى تصديقا لاراهيم فيما قال
فهو كقوله وكذلك يفعلون (الجد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق) قال ابن عباس ولدا اسمعيل
لاراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبيرة بشر
اراهيم باسحق وهو ابن مائة وسبع عشر سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الوالد في هذا السن
من أعظم المن لان سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
اسمعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسمعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما بشر باسحق بعد
اسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عندما بشر باسحق وذلك أنه
لم اعظم المنة على قلبه بهبته وولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة اسمعيل وأمه لان الذي صح في الحديث
أنه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذ اثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي

بذكرتك وعبادتك (فاجعل
أفئدة من الناس) أفئدة
من أفئدة الناس ومن
للتبعض لما روى عن
مجاهد لوقال أفئدة الناس
لراحتكم عليه فارس
والروم والترك والهند أو
للابتداء كقولك القلب
منى سقيم تريد قلبي فكأنه
قيل أفئدة ناس ونكرت
المضاف للمعنى هذا التمثيل
للتكبير أفئدة لانهم اني
الاية تنكرة ليتناول بعض
الأفئدة (تهوى اليهم)
تسرع اليهم من البلاد
الشاسعة وتطير نحوهم شوقا
(وارزقهم من الثمرات)
مع سكاهم واديا ما فيه شئ
منها بان تحلب اليهم من
البلاد الشاسعة (لعلهم
يشكرون) النعمة في
أن يرزقوا أنواع الثمرات
في وادليس فيه شجر ولا ماء
(ربنا) النداء المكرر دليل
التضرع واللجأ الى الله (انك
تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم
السر كما تعلم العلن (وما
يخفى على الله من شئ في
الارض ولا في السماء) من
كلام الله عز وجل تصديقا
لاراهيم عليه السلام أو من
كلام ابراهيم ومن للاستغراق
كأنه قيل وما يخفى على الله
شئ ما الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر) على بمعنى
مع وهو في موضع الحال
أي وهب لي وأنا كبير

(اسمعيل واسحق) روى ان اسمعيل وولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وروى انه وولده اسمعيل
لاربع وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنية هبة الولد فيها أعظم لان حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب

الباس من أجل النعم ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) بحسب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله من جده وكان قد دعاه به وسأله الولد فقال ربه لي من الصالحين فشدكرته ما كرمه به من اجابته وازافة السميع الى الدعاء من (٨٤) اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه في عمالي في جملة ائبنة

وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (ان ربي لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعاه به وسأله الولد به وهر ربه لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه وهبه ما سأله شكر الله على ما كرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها (ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبعية في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يورجده من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي وارادهم المومنين من ذريته (رب بنا وتقبل دعاء) سأل ابراهيم عليه السلام به أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لاراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب بفناوجه طلب المغفرة قلت المقصود منه الاتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطاع الطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والاتكال على رحمة (ولو الذي) فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت اراد انهما ان أسلما ونا بابا وقبل انما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهم من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعاها وقيل اراد بوالديه آدم وحواء (والمومنين) يعني واغفر للمومنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبد ويظهر الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس للحساب فاكفي بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمومنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليه ابراهيم عليه السلام فبه بشارة عظيمة لجميع المومنين بالمغفرة قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعترى الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تاويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظالم فبه وعيد وتهديد وللظالم واعلام له بان لا يعامله معاملته الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسليمة للمظالم وتهديد للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخره كقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي ائبنوا على ما أتمم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الاعلام بانه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملته الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملته الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجمله بعلمه (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يقال شخص بصير الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحين لا يطر ففهما وشخص البصر يدل على الخبرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأحسب سبحانه وتعالى انهم مع شخص

المبالغة العامة عمل الفعل كقولك هذارحيم أباه (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى أن تقوم الساعة (ربنا وتقبل دعاء) بالياء في الوصل والوقف مكي واقفه أبو عمر ووحدة في الوصل الباقون بلاياء أي استجب دعائي أو عبادتي وأعتراكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولو الذي) أي آدم وحواء وأقاله قبل النهي والياس عن ايمان أبويه (والمومنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسليمة للمظالم وتهديد للظالم والمطالب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تشييته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين

ولا تدع مع الله الها آخره وكما جاء في الامرياً أي الذين آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايدان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قبايله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون علم (انما يؤخرهم) أي عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم لا تقر في أما كنهان هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي

(مقنعى رؤسهم) رافعها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظره سم فينظر والى أنفسهم (وأفئدتهم هواه) صفر من الخيل لاني شبان
 الخوف والهوا والحلافة الذي لم تشغله الاحرام فوصف به فقيل قلب فلان دواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا حياء وقيل جوف لاقول لهم
 (وأندر الناس يوم يأتهم العذاب) أي يوم القيامة ويوم مفعول ثان لانذرا لظرف اذا لاندرا لا يكون في ذلك اليوم (فيقول الذين ظلموا)
 أي الكفار (ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك واتباع الرسل) أي ودنا الى الدنيا وأمهلتنا الى أمده وحدث من الزمان قريب تتدارك
 ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي حلفتهم في الدنيا أنكم اذا متم لانزالون
 عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقولهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت وما لكم جواب القسم
 وانما جاء بلفظ الخطاب كقوله أقسمتم ولو حتى لفظ القسمين لقبيل ما لئلا من زوال أو أريد باليوم (٨٥) يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو

يوم موتهم معذبين بشدة
 السكرات وبقاء الملائكة
 بلا بشرى فانهم يسألون
 يومئذ أن يؤخرهم ربهم
 الى أجل قريب يقال سكن
 الدار وسكن فيها ومنه
 (وسكنتم في مساكن الذين
 ظلموا أنفسهم) بالكفر
 لان السكنى من السكنون
 وهو اللبث والاصل تعديته
 بنى نحو فرس في الدار وأقام
 فيها وليكنه لما نقل الى
 سكنون خاص تصرف فيه
 فقيل سكن الدار كما قيل
 تمواها ويجوز أن يكون
 سكنوا من السكنون أي
 قروا فيها واطمأنوا طمئني
 النفوس سائر من سيرة من
 قبلهم في الظلم والفساد لا
 يحسدونهم بما لقي الأولون
 من أيام الله وكيف كان عاقبة
 ظلمهم فيعبروا ويرتدعوا
 (وتبين لكم) بالاختيار
 أو المشاهدة وفاعل تبين
 مضمحل عليه الكلام أي

الابصار يكونون مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساسك (مقنعى
 رؤسهم) الاقتناع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف من صفتهم انهم رافع رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف
 المعتاد لان من يتوقع البلاء فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء
 لا ينظر أحدا الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة الخوف
 فهى شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواه) أي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من
 صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أمانها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية
 فارغة لا تبقى شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواه أي مترددة نهوى في أجوافهم
 ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ نائلة عن أمانها والابصار شاخصة والرؤس
 مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأندر الناس) يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو
 قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا
 أخرنا الى أجل قريب) يعني أمهلتنا مدة تسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينفعهم
 ذلك وهو قوله تعالى (نجب دعوتك واتباع الرسل) فأجيبوا بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار
 الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
 أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي من كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
 (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا يا هم (وضربنا لكم الامثال) يعني
 الامثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبر بها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال
 الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكتها أن يعتبر بهم ويعمل في
 خلاص نفسه من العقاب والهلاك ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وقدمكروا مكروهم) اختلافوا في الضمير الى من
 يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان
 الضمير يجب عوده الى أقرب مدكو روقيل ان المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم ومكروهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذمكروا الذين كفروا والآية والمعنى وأندر الناس
 يا محمد يوم يأتهم العذاب يعني بسبب مكروهم بك ﴿قوله تعالى﴾ (وعند الله مكروهم) يعني جزاء مكروهم وقيل
 ان مكروهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وان كان مكروهم لتزول منه الجبال) يعني وان كان
 مكروهم لضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكروهم لا يزال أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو

تبين لكم حالهم و (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ونما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أي أهالكهم وانتم نعمنا منهم
 (وضربنا لكم الامثال) أي صفات مافعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لسكل ظالم (وقدمكروا مكروهم) أي مكروهم العظيم
 الذي استقر غوا فيه جهدهم وهو مافعلوا من تأييد الكفر وبطلان الاسلام (وعند الله مكروهم) وهو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى
 ومكتوب عند الله مكروهم فهو يجازيهم عليه بمكروه أعظم منه أو الى المفعول أي وعند الله مكروهم الذي يكروهم به وهو عذابهم الذي يأتهم
 من حيث لا يشعرون (وان كان مكروهم لتزول منه الجبال) بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكروهم لزوال أمر النبي صلى
 الله عليه وسلم فعبر عن أمر النبي عليه السلام بالجبال اعظم شأنه وكان نامة أو ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى
 ومحال أن تزول الجبال بمكروهم على ان الجبال مثل آيات الله وشرايعها لانها بمنزلة الجبال الراسية بما نوتها وكادليله قراءة ابن مسعود وما كان
 مكروهم وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية على أي وان كان مكروهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أمانها كنهان خففة من ان

وأضاف تخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسوله والتقدير تخلف رسوله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسوله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسوله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله عزز) غالب لا بما كره (ذواتنقام) لا وليائته من أعدائه وانتصاب (يوم) تبدل الارض غير الارض (والسموات) على الظرف للانتقام أو على اضممار اذ كر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حذف للدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنائروفي الاوصاف كقولك بدلت الخلقه فتلما اذا أذبتها وسويتها فتلما فتلما من شكل الى شكل واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الارض جبلها وتفجر بحارها ونسوي فلاترى فيها جبالا وأمتاوعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتشار

نابت كتبوت الجبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قولا آخر وهو انزلت في غرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال غر ودان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى أربعة أفرخ من النسور فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذن ابواتن من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات أربع في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لجانا حمر وقعدهن في التابوت وأقعدهن رجالا آخر وأمر بالنسور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت النسور كما مرأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى بعثت في الهواء فقال غرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربت منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينهما وبين الطيران فقال غرود لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السماء كهيتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد جل القوس والنشاب وأخذ معه الترس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطحا بدم سمكة قد ذقت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائر أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطحا بالدم قال كيف اتى الله السماء ثم أمر غرود صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور والتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففرغت وطنت انه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أما كنهما فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خير صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسوله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد تخلف ما وعده رسوله من النصر واعلاء الكلمة واطهار الدين فانه ناصر رسوله وأوليائه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله يخلف رسوله وعده (ان الله عزز) أي غالب (ذواتنقام) يعني من أعدائه وقوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسموات لا ذاتها فاما تبديل الارض فتبديل صفتها وهيبتها بما عداها وهما وان تد كدك جبالها وتسوي وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيره الا يبقى على وجهها شئ الا ذهب وغمد الا دم وأما تبديل السماء فهو ان تتشر كواكبها وتطمس شمسها وقرها ويكو ران وكونها نارة كالدخان ونارة كلهم وبهذا القول قال جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد آخر جاء في الصحيحين العفراء العين المهملة وهي البيضاء الى حمرة ولهاذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجسد البياض الفائق المائل الى حمرة كأن النار ميلت بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد بتبديل هيبتها وزوال جبالها وجميع بناها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذات الارض والسموات وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الارض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفل بهم ادم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفونها الجبار بيده كما يتكفون أحدكم خبزته في السفر ترزلا لاهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما التزل فبضم النون

أكوا كبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسموات أخرى وعن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فئعة وسموات من ذهب والراي

(و برزوا) وخرجوا من قبورهم (لله الواحد القهار) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافرين (يومئذ) يوم القيامة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض اومع الشياطين اوقرت ايديهم الى ارجلهم مغليين (في الاصفاذ) متعلق بمقرنين أي يقرون في الاصفاذ او غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاذ القبول والاعلال (سرايلهم) قصهم (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيه ثابيه الابل

الجري فيحرق الحرب
بحدته وحره ومن شأنه أن
يسرع فيه اشتعال النار
وهو اسود اللون منتن الريح
فيطلى به جلود أهل النار
حتى يعود طلاؤه لهم
كالسرايل ليجمع عليهم
لذع القطران وحرقتة
واسراع النار في جلودهم
واللون الوحش ومنتن الريح
على ان التفاوت بين
القطرانين كالتفاوت بين
النارين وكل ما وعد الله
أو أوعده به في الآخرة
فبينه وبين ما شاهد من
جنسه ما لا يقادر قدره
وكأنه ما عندنا منه الا
الاسم والمسميات ثم نعوذ
بالله من سخطه وعذابه من
قطران زيد عن يعقوب
شخص مذاب بلغ حره اناه
(وتعشى وجوههم النار)
تعولها باشتعالها وخص
الوجه لانه أعز موضع في
ظاهر البدن كالقلب في
باطنه ولذا قال تطلع على
الافتدة (ليجزى الله كل
نفس ما كسبت) أي يفعل
بالمجرمين ما يفعل ليجزي
كل نفس مجرمة ما كسبت
أو كل نفس مجرمة أو مطيعة

والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما بعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الطلعة التي توضع في الملة يتكفوها بالهمز بيده أي يملها من يد الى يد حتى تجتمع وتسوي لانها ليست منبسطة كالقافة وقد حقهنا الكلام في البدن في حق الله سبحانه وتعالى وتنازلها مع القطع باستحالة الجارية عليه ليس كمثلها شيء ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالطلعة أي الرغيف العظيم وتكون طعاما نزل الالهل الجنة والله على كل شيء قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكر فكيف يمكن الجمع بينهما وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو ان تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل أو لاصفتها مع بقا ذاتها كما تقدم في يومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل بتدليلنا نانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا يدل على صحة هذا التأويل ما روي عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فابن يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند في هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض نائي مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ وقوله تعالى (و برزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (لله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار) صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا تافى له ولا شريك معه المنزه عن الشبهة والضد والتدوال القهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في باط واحد (في الاصفاذ) يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسله وقال أبو يزيد يقرن ايديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاذ وهي القيود وقال ابن قتبية يقرن بعضهم الى بعض (سرايلهم) يعني قصهم واحدها سرايل وقيل السرايل كل ما ليس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا حربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرايل لانه يباليغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدروا ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة و يعقوب من قطران على كلمتين منونتين فالقطر الخماس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتعشى وجوههم النار) يعني تعولها وتجلها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حسب عباده يوم القيامة (هذابلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا انما هو اله واحد) يعني وليستدلوا بهذه الايات على وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوا الالباب) يعني وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولوا العقول والافهام الصالحة فانه موعظة لمن اتعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسر سورة الحجر) * (مكية باجمعهم وهي تسع وتسعون آية وستائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبع مائة وستون حرفا) * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يشيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحووا لينذروا (وليعلموا انما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما نذروا به دعوتهم الخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كما (وليدكر أولوا الالباب) ذور العقول * (سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وما أهلكنا من قرية إلا وهما كتاب جلة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في وما أهلكنا من قرية إلا وهما منذر ونما توسط لنا كيد صوق الصفة بالموصوف إذا الصفة منصقة بالموصوف بلا واو في عبالواونا كيد ذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حال لقرية لتكون في حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفها وقوله كتاب معلوم أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين الاترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها (وما يستأخرون) أي عنه وحذف لانه معلوم وأنت الأمة أولاً ثم ذكرها آخر اجلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (٨٩) (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) أي القرآن (انك لمجنون)

دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبي طالب إنما أخذشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الاولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأت بهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ (ما تسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ماجاءني من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها انها تفيد التبعض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي أكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وإنما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة وأخرجهما من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال ﴿قوله عز وجل﴾ (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) إنما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشى فظنوا ان ذلك جنون فلهدا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغرا بامن غيره فربما نسبته الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكركر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكركر في زعمهم واعتقاده واعتقاد أصحابه واتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراعلوما ولولا لغتان ومعناه ما هلا يعني هلا (تأتينا باللائكة) يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (مانزل الملائكة بالحق) يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو تزات الملائكة اليهم لم يهولوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذوب في الحال ان لم يؤمنوا وصدقوا (انما نحن نزلنا الذكركر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمدا وإنما قال سبحانه وتعالى انما نحن نزلنا الذكركر جوابا لوقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكركر فأخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذكركر على محمد صلى الله عليه وسلم (واناله لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذكركر يعني وانا للذكركر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتخريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيده أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا اختصاص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التخريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصوناً على الابد محمداً وسامن الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكفاية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون من أرادته بسوء فوهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا

دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبي طالب إنما أخذشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الاولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأت بهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ (ما تسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ماجاءني من أحد يعني أحد وقيل هي على أصلها انها تفيد التبعض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي أكد ومعنى الآية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وإنما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامة وأخرجهما من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال ﴿قوله عز وجل﴾ (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) إنما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشى فظنوا ان ذلك جنون فلهدا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغرا بامن غيره فربما نسبته الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكركر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكركر في زعمهم واعتقاده واعتقاد أصحابه واتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة (لوما) قال الزجاج والفراعلوما ولولا لغتان ومعناه ما هلا يعني هلا (تأتينا باللائكة) يعني يشهدون لك بانك رسول من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (مانزل الملائكة بالحق) يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو تزات الملائكة اليهم لم يهولوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذوب في الحال ان لم يؤمنوا وصدقوا (انما نحن نزلنا الذكركر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمدا وإنما قال سبحانه وتعالى انما نحن نزلنا الذكركر جوابا لوقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكركر فأخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذكركر على محمد صلى الله عليه وسلم (واناله لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذكركر يعني وانا للذكركر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتخريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيده أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا اختصاص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التخريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقى مصوناً على الابد محمداً وسامن الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكفاية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد لحافظون من أرادته بسوء فوهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا

(١٢ - حازن - ثالث) ملتبساً بالحكمة (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين اذا وما آخر عذابهم (انما نحن نزلنا الذكركر) القرآن (واناله لحافظون) وهو دلالة كراههم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكركر ولذلك قال انما نحن نزلنا الذكركر فادعاهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزله بحفظها وانما استحفظها الربانيين والاجبار فاختموا وقت من الزيادة والنقصان والتخريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والاجبار فاختموا فيما بينهم بغيا فوق التخريف ولم يكمل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلاً على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك

(ولقد أرسلنا من قبلك في
 شيع (الأوليين) أي ولقد
 أرسلنا من قبلك رسلا في
 الفرق الأولين والشيع
 الفرقة إذا تفرقتوا على
 مذهب وطريق (وما
 يأتهم) حكاية حال ماضية
 لأن ما لا تدخل على مضارع
 الأوهو في معنى الحال ولا على
 ماض الأوهو قسري بمن
 الحال (من رسول الأنا
 به يستهزئون) يعزى إليه
 عليه السلام (كذلك
 نسلكه في قلوب المجرمين)
 أي كما سلكنا الكفر أو
 الاستهزاء في شيع الأولين
 نسلكه أي الكفر
 أو الاستهزاء في قلوب المجرمين
 من أمثلك من اختار ذلك
 يقال سلك الخيط في الإبرة
 وأسلكته إذا أدخلته فيها
 وهو حجة على المعتزلة في
 الأصل وخلق الأفعال
 (لا يؤمنون به) بالله أو
 بالذكر وهو حال (وقد خلت
 سنة الأولين) مضت
 طريقهم التي سنها الله في
 أهلاكهم حين كذبوا
 رسله وهو وعيد لاهل مكة
 على تكذيبهم (ولو فتحنا
 عليهم بابا من السماء) ولو
 أظهرنا لهم أو وضع آية وهو
 فتح باب من السماء (فظلوا
 فيه يعرجون) يصعدون
 (لقالوا انما سكرت أبصارنا)
 حيرت أو حبست من
 الابصار من السكر أو من
 السكر سكرت مكي أي
 حبست كما يحبس النهر من
 الجري والمعنى ان هؤلاء

القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الأثر والتميز دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن
 صرف الحكاية اليه لكونه أمرا معلوما الان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الأكثر من لانه أشبه بظاهر
 التنزيل ورد الحكاية الى أقرب مذكور وأولى وهو الذكروا قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الأصح
 فاختلفو في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مينا لكلام البشر
 فحجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منهم لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظامه ونظيره ذلك الحكى
 عالم عاقل وعلما ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد
 من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجه من الوجوه فقبض الله له
 العلماء الراسخين يحفظونه ويذوبون عنه الى آخر الدهر لان دعوى جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على
 ابطاله وفساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع
 الأولين) لما تجرأ كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وناطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون
 وأساؤا الأدب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع
 أنبيائهم كذلك فلك يا محمد أسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
 وفي الآية تحذوف وتقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد فخذف ذكر الرسل للدلالة الأرسال عليه وقوله
 تعالى في شيع الأولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كما منهم وقال الهراء الشيعة هم الاتباع وشيعة
 الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الأولين من باب إضافة الصفة الى
 الموصوف (وما يأتهم من رسول الأنا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) السلوك النفاذ في
 الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكنا
 الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني
 مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال
 الواحدى قال اصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك
 منه فن آمن بالقرآن فليس تحسنه وقال الامام فخر الدين الرازى احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى
 يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك نسلك الباطل والضلال
 في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجز للضلال والكفر كرفذ كرفيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون
 الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وما يأتهم من رسول الأنا به يستهزئون فالضمير
 في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله
 كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعنى بحمد صلى الله
 عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الأولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل
 ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسول والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية
 فاحذر ويا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
 يعرجون) يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ماتنا تينا بالملائكة تبايا من السماء فظلوا يقال ظل
 فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعنى في ذلك الباب يعرجون
 يعنى يصعدون والمعارج المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة
 وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار قرأوا بابا من السماء مفتوحا
 والملائكة تصعد فيلما امنوا والقول الثاني أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل
 المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا العنادهم
 وكفرهم وقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سدت أبصارنا مأخوذ
 من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان أبصارهم حارت ووقع بهم من

فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تعبير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه إذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسكورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية أن الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا وشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا لقالوا سحرنا لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولقد جعلنا في السماء بروجا) البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها بروج وهي بروج الفلك الاثنا عشر بوجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل بروج منزلا وثلاث منزلا وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة بؤس وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل بروج منها ثلاثون درجة تقاطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية بر يد بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن وبجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسهيت وأصل هذا كله من الظهور (وزيناها) يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (لناظرين) يعني المعتبرين المستبدلين بها على توحيدها لقصاها وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلقها وصورها (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم) أي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونهم اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فامتهم من أحد يريد أن يسترق السمع الأري بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الأرض حدث فيعشهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن فقالوا هذا والله حدث (الامن استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع (فأتبعه) أي لحقه (شهاب مبین) والشهاب شعله من نار ساطع سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه شهاب النار قال ابن عباس في قوله الامن استرق السمع يريدنا لخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطى أبدانهم من تقطعه ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تجبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فرغ عن قولهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع واسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سبع فيان بكفه فخر فهاو يددين أصابعه فيسمع الكامة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فر بما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكامة التي سمعت من السماء

* (فصل) * اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين أحدهما أنهم لم تكن ترى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساس النبوة صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حبل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على أن هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما مبعث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن المغيرة بن

المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لاحقيقة له (ولقوا بل نحن قوم مسكورون) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار أو ليكفوا مستوحشين لما روي وقال إنما يدل على أنهم يتنون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للإبصار (ولقد جعلنا في السماء) خلقنا فيها (بروجا) نجومها أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وزيناها) أي السماء (لناظرين وحفظناها) أي السماء (من كل شيطان رجيم) ملعون أو مرجوم بالنجوم (الامن استرق السمع) أي المسموع ومن في محل النصب على الاستثناء (فأتبعه شهاب) ينقض فيعود (مبين) ظاهر للمبصرين قبل كانوا لا يحبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من

الاخنس بن شريق قال اول من فزع للري بالنجوم هذا الحى من تعيق وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظر وافان كانت معالم النجوم التي بهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواع من الصيغ والشتاء ما يصلح الناس من معاشهم هي التي برى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجومها غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر أراد الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعدمولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعدمولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذوالرمة كأنه كوكب في اثر عفرية * مسووم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعثت شددو غلظ عليهم قال معمر قلت للزهري أ كان يري بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله وانا كأنك تعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار أنهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ ارمى بمثل هذا قالوا كأنك تقول ولدا لليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها الموت أحد ولا الحياة ولكن رينا تبارك اسمها اذ قضى أمر اسبح حمله العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حمله العرش لحمة العرش ماذا قال ركب فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفونه الى أوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويريدون أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي

فالعير برهقها العجبار وبحشها * ينقض خلفها انقراض الكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي فانقض كالدرى يتبعه * نقع ثور تحتاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثت شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا لاشجار الغيوب والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال انها ادحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتدروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر أن الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة وورد هذا أصحاب التفسير بان الله أخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لآخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الارض (والقينا فيها راسي) يعني جبلا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادته ورجفت فابتتها بالجبال (وأبتنا فيها) أي في الارض لان أنواع النبات المنتقع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها أقرب مدكور ولقوله تعالى (من كل شيء موزون) وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم وأرزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقدار الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيدانه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون

السموات كلها (والارض مددناها) بسطناها من تحت الكعبة قوا الجوهر على انه تعالى مداه على وجه الماء (وألقينا فيها راسي) في الارض جبلا ثوابت (وأبتنا فيها من كل شيء موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء التكبير

الحركات اذا كانت حركاته متناسبة بحسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا بحسنا بعيدا من الخطا والسخر
وقبل ان يجيع ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون
والثاني النبات وبعضه موزون ايضا وبعضه مكبل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمذمقدان بالوزن
(وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب
والمالبس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطيور انتم منتفعون بها ولستم لها
برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في
قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظه من على من لا يعقل
كقوله تعالى فمنهم من عشى على بطنه وقيل ارادهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويهـ دخل معهم
ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزنة وهي اسم للمكان الذي
يخزن فيه الشئ للحفظ يقال خزن الشئ اذا احمره فقبل اراد ما تاج الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه
سبب الارزاق والمعاش لبني آدم والدواب والوحش والطيور ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتديره
﴿ قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر
يقال لا تنزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من
السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا اراد الله بقوم
خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبروي والقفار
والرمال والبخار ونحو ذلك وحتى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش فقال جميع
ما خلق الله في البر والبحر وهو تائب قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وارسلنا الرياح لواقح) قال ابن
عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقمادة واصل هذا من قولهم لقيت الناقية فلعها الفحل اذا لقي بها
الماء فعملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية رسول الله الرياح لتلقي
السحاب فتحمل الماء فتجعم في السحاب ثم تمر به فتدبر كاتبر اللقمة وقال عبد بن عمير رسول الله الرياح المبشرة
فتقم الارض فتأمر رسول الميثرة فتثير السحاب ثم رسول المولفة فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها ركاما
ثم رسول الواقح فتلقي الشجر والاطهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده فانزلنا من السماء ماء
قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الارباع فيها فالصبا تهب السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدبه والديور تفرقه وقال ابو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم
وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان اللمح غير هالان معناها النسبة كما يقال درهم
وازن اى ذوروزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعنى لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات
لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازى عنه بان قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة
ومن افاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اى ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها
لا تقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا اقلت سحابا نقلا اى حملت فعلى هذا
تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقيحت اذا أتت بالخير كما
قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار ان الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الاماها هبت
رياح الجنوب الا وتبعت عينا غدقة (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
قال اللهم انى اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به
وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا اجثا النبي صلى الله عليه وسلم على
ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رايحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب
الله عز وجل انما أرسلنا عليهم ريحا صريرا فلرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الى الرياح لواقح وقال رسول
الرياح مبشرات ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فانزلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا

الى الوزن (وجعلنا لكم فيها معاش) في الارض (معاش) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياصيرحة يختلف الحيوان ونحوها فان تصرح الباء فيها خطأ (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معاش أو على محمل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معاش ولن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والممالك والخدم الذين يظنون أنهم برزقون ويخطون فان الله هو الرزاق برزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون محل من حوا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الاباعادة الجار (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن ثم قيل والمعنى وما من شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على اجباده وتكوينه والانعام به وما نعطيها الا بقدر معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وارسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة اى وارسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانهم تحمل السحاب في حوفها كأنهم اللاقحة من لقيحت الناقية حملت وضدها العقيم الريح جزء (فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه)

فجعلناه لكم سقيا) وما أنتم
 له بخازنين) نفي عنهم
 ما أنتم لنفسه في قوله وان
 من شيء الا عندنا خزائنه
 كأنه قال نحن الخازنون
 للماء على معنى نحن القادرون
 على خلقه في السماء وانزاله
 منها وما أنتم عليه بقادرين
 دلالة عظيمة على قدرته
 وعجزهم (وانالخن نخي
 ونميت) أي نخي بالايجاد
 ونميت بالافناء أو نميت عند
 انقضاء الاجال ونخسي
 الجزاء الاعمال على التقديم
 والتأخير اذ الواو للجمع
 المطلق (ونحن الوارثون)
 الباقون بعد هلاك الخلق
 كلهم وقيل للباقي وارث
 استعارة من وارث الميت
 لانه يبقى بعد فاته (ولقد
 علمنا المستقدمين منكم
 ولقد علمنا المستأخرين)
 من تقدم ولادة وموتهم
 تأخر أو من خرج من
 أصلاب الرجال ومن لم يخرج
 بعد أو من تقدم في الاسلام
 أو في الطاعة أو في صف
 الجماعة أو صف الحرب ومن
 تأخر (وان ربك هو يحشرهم)
 أي هو وحده يقدر على
 حشرهم ويحيط بحشرهم
 (انه حكيم عليم) باهر
 الحكمة واسع العلم (ولقد
 خلقنا الانسان) أي آدم
 (من صلصال) طين يابس
 غير مطبوخ (من جما) صفة
 لصلصال أي خلقه من
 صلصال كائن من جما أي
 طين أسود متغير (مسنون)

لكم المطر سقيا يقال أسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقبت الرجل
 ماء ولبتا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء ليشرب أرضه أو ما شئ به يقال أسقينا (وما أنتم له) يعني للمطر
 (بخازنين) يعني أن المطر في خزائنا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بما عين (وانالخن نخي ونميت) يعني بيدنا
 احياء الخلق وما تمهم لا يقدر على ذلك أحد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله تعالى وانالخن بيده الحصر يعني
 لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيزول ملك كل
 مالك ويبقى جميع ملك المساكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء
 خلقه الذين أمتهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداء منه تعالى فاذا فني
 جميع الخلق رجع الذي كانوا يعملونه في الدنيا على الجبال الى ما كره على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير
 الخلق اليه وقوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) عن ابن عباس قال كانت
 امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في
 الصف الأول للارهاق ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فأمر الله
 عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه
 وقدر روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك
 أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فرما كان من الرجال من في قلبه ريبه فتمتأخر الى آخر
 صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبه فتمتقدم الى أول صف النساء لقرب من الرجال فنزلت هذه الآية
 فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها
 وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من
 لم يخلق الله تعالى بعد وقال بجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
 الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون يعني فيهما وقال الازاعي أراد بالمستقدمين المصلين
 في أول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال
 وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم حرض على الصف الأول فاذا رجوا عليه هو وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبعن دورنا ونشترى
 دورا قريبا من المسجد حتى ندرك الصف المتقدم فنزلت هذه الآية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا
 وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الأول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الآخر
 المستقدم لطاب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم
 ومتأخرهم طافهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه (وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم)
 يعني على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى عبت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ما ماوا عليه
 (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه وقوله سبحانه وتعالى (ولقد
 خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل
 من النسيان لانه عهد اليه فنسى (من صلصال) يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني
 صوتا وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال بجاهد
 هو الطين المنتم واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم اذا أنتن (من جما) يعني من الطين الاسود
 (مسنون) أي متغير قال بجاهد وقتادة هو المنتم المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء
 اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتم جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقوال بل على ما ذكره
 بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض قبلها بالماء حتى
 اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان
 ذلك التراب بله بالماء وجره حتى اسود وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله من جما مسنون ثم ذلك الطين

مصور وفي الاول كان ترابا فجمن بالماء فصار طينا فكفت فصار جانا فخلص فصار سلاله فصورو ييس فصار صلصالا فلا تنساقض الاسود

(والجان) أما الجن كما آدم للناس أو هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر ينسره (خاقناه من قبل) من قبل آدم (من نار السموم) من نار الخمر
الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجان (وإذا قال ربك) وإذا كروفت قوله
للملائكة اني خالق بشر من صصال من حمامسون فاذا سوتيه) آتمت خلقته (٩٥) وهياثم النفخ الروح فيها (ونفخت فيه

الاسود المتغير صورته صورة انسان أجوف فلما جف وبيس كانت تدخل فيه الريح فسمع له صلصلة بمعنى صوتنا
واليه الاشارة بقوله من صصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تفخرف في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا
سواء بقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما
أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون
وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون
الاذامات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له يأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو
بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن
لاشتركا بهم في الاستنار وهو اجنات التوار بهم واستنارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان
هو العاني المترد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ریح حارة تدخل مسام
الانسان من لطفها وقوة حرارها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم والريح الحارة التي
تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء
والجانب فاذا حدثت أمر حرق الجلب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسعون من حرق ذلك الجلب وهذا
على قول أصحاب الهيئة ان الكبرة الاربعة تسمى كبرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن
مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان وتلاهذه الآية وقال ابن عباس
كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخاقت الجن الذين ذكروا في القرآن
من مارح من نار وخلق الملائكة من النور قوله عز وجل (وإذا قال ربك للملائكة) أي واذا كرم يا محمد
اذا قال ربك للملائكة (انني خالق بشر) سمي الآدمي بشرا لانه جسم كسيف ظاهر والبشرة طاهر الجلد (من
صصال من حمامسون) تقدم تفسيره (فاذا سوتيه) يعني عدلت صورته وآتمت خلقه (ونفخت فيه من
روحي) النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله
ونفخت فيه من روعي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال
بيت الله وناقة الله وعبد الله وسبأ في الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويسألونك عن
الروح ان شاء الله تعالى (ففعوه ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشر أمرهم
بالسجود لا دم بقوله ففعوه ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا لسجود عبادة (فسجد الملائكة
كلهم) يعني الذين أمروا بالسجود لا دم (أجمعون) قال سيبويه هذا قو كيد بعد تو كيد وسئل المبرد عن
هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازاله ذلك الاحتمال
فظهر بهذا انهم سجدوا باسره ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة أو في دفعة
واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول
الخليل وسيبويه أجود لان أجمعين معرفة فلا تكون حال روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله سبحانه
وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لا دم فلم يفعلوا فإرسل الله عليهم ناراً فحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى
اسجدوا لا دم فسجدوا (الابليس أبي أن يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين أمروا بالسجود
لا دم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) يعني ابليس (لم أكن
لا سجد لبشر خلقته من صصال من حمامسون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طين الاصل وابليس
ناري الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس في قياسه أفضل من آدم ولم يدرك الحديث ان الفضل فيما

مع روعي) وجعلت فيه
الروح وأحيته وليس غت
نفخ وانما هو تمثيل والاضافة
للتخصيص (ففعوه له
ساجدين) هو أمر من
وقع يقع أي اسقطوا على
الارض يعني اسجدوا له
ودخل الفاء لانه جواب اذا
وهو دليل على أنه يجوز
تقدم الامر عن وقت
الفعل (فسجد الملائكة
كلهم أجمعون) فالملائكة
جمع عام محتمل للتخصيص
فقطع باب التخصيص بقوله
كلهم وذ كر الكل احتمل
تأويل التفرقة فقطعه
بقوله أجمعون (الابليس)
ظاهر الاستثناء يدل على
أنه كان من الملائكة لان
المستثنى يكون من جنس
المستثنى منه وعن الحسن
ان الاستثناء منقطع ولم
يكن هو من الملائكة قلنا
غير المأمور ولا يصبر بالترك
ملعوناً وقال في الكشاف
كان بينهم مأمورا
معهم بالسجود فغلب اسم
الملائكة ثم استثنى بعد
التغليب كقولك رأيتهم
الاهنداء (أبي أن يكون مع
الساجدين) امتنع أن
يكون معهم وأبي استئناف
على تقد بر قول قائل يقول
هلا سجد فقيل أبي ذلك

واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبي (قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك في أن
لا تكون مع الساجدين أي أي غرض لك في ما أتيتك بالسجود (قال لم أكن لا سجد) اللام لتأكيد النفي أي لا يصح مني أن أسجد (لبشر
خلقته من صصال من حمامسون

قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان العنة هو الطرد من الرحمة والابعاد منها (وان عليك العنة الى يوم الدين) ضرب يوم الدين حد اللعنة لانه ابعد غاية يضرب بها الناس في كلامهم والمراد به انك مذموم مدعو عليك بالعنة في السموات والارض (٩٦) الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قال رب

فانظرنى) فاخرنى (الى يوم
يعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم)
يوم الدين ويوم يعثون
ويوم الوقت المعلوم في
معنى واحد ولكن خولف
بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة
وقيل انما سأل الاقنار الى
اليوم الذى فيه يعثون
لثلاث عتوت لانه لا يموت يوم
البعث أحد فلما يجب الى
ذلك وانظر الى آخر أيام
التكليف (قال رب بما
أغويتنى) الباء للقسم وما
مصدرية وجواب القسم
لازين لهم والمعنى أقسم
بأغوائك اباى (لازين
لهم) المعاصى ونحو قوله
بما أغويتنى لازين لهم
فبعتك لاغويتهم في أنه
اقسام الآن أحدهما
اقسام بصفة الذات والثانى
بصفة الفعل وقد فرق
الفقهاء بينهما فقال
العراقيون الحلف بصفة
الذات كالقدرة والعظمة
والعزة وبين والحلف بصفة
الفعل كالرحمة والسخط
ليس بهمين والاصح ان
الامعان مبنية على العرف
فما تعارف الناس الحلف
به يكون يمينا وملا فلا

فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أى طرد يد (وان عليك العنة
الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون فى السموات والارض فان
قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا
الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا
لانقطاعه (قال رب فانظرنى) يعنى آخرنى (الى يوم يعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال انه لا
يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لمن من ذلك انه لا يموت أبدا فهذا السبب
سأل الاقنار الى يوم يعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم)
يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربع سنين وهو
ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال اكراماله بل كان ذلك الامهال زيادة له فى بلائه وشقائه
وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو معلوم عنده
وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الاقنار الى يوم يعثون
اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عينت وسألت الاقنار اليه (قال رب
بما أغويتنى) الباء للقسم فى قوله بما وما مصدر يتوجواب القسم (لازين) والمعنى فباعتك اباى لازين
لهم فى الارض وقيل هى بابه السبب يعنى بسبب كونى غاى بالازين (لهم فى الارض) يعنى لازين لهم حب
الدنيا ومعاصيك (ولاغويتهم) اجعبت يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على
الكفر غير مغفوره حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال (الاعبادك منهم المخلصين)
يعنى المؤمنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فسخ اللام من المخلصين يكون المعنى الامن
أخصه واصطفيته لتوحيده وعبادته وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيد له ووسوسته لا تعمل
فيهم ولا يقبلون منه وحقبة الانحلاص فعل الشئ حالص الله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال
الطاعات فلا يخالوا ما أن يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الامرين أما ما كان الله
تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده بمجموع الامرين فان
ترج جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترج الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله
المثل فيبقى القدر الزائد الى أى الجانبين ترج أخذ به (قال) يعنى قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على
مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يرجع
الى شئ وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طريق التهديد
والوعيد كما يقول الرجل ان يخاصمه طريقك على أى لا تنفقت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان
والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى
ورضوانى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازين لهم فى الارض
ولاغويتهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين أو هم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله
سخطه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عباده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل
المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان
ان تلقهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهو لا عاصته أى الذين هداهم واجتباهاهم من عباده (الامن اتبعك من

والآية بجهة على المعتزلة فى خلق الافعال وجلهم على التسبب عدول عن الظاهر (فى الارض) فى الدنيا التى هى دار
الغرور وأراد انى أقدر على الاحتمال لا كم والترين له الاكل من الشجرة وهو فى السماء فان على التزين لا ولاده فى الارض أقدر (ولاغويتهم
أجمعين الاعبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان كيد له لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه (قال هذا
صراط على مستقيم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من

الغاوين) أي هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون للسلطان على عبادي الأمن اختياراً تبعاً منهم لغوايته وقيل معنى على إلى
على يعقوب بن علي الشرف والفضل (وان جهنم لوعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع إبليس (جزء
مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فعلاها للوحدين يعذبون (٩٧) بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني
للهود والثالث للنصارى

والرابع للصائبين والخامس
للمجوس والسادس
للمشركين والسابع
للمنافقين (ان المتقين في
جنات وعيون) ويضم
العين مدني وبصري
وحطص المتقي على الاطلاق
من يتقى ما يجب اتقاؤه مما
نهى عنه وقال في الشرح
ان دخل أهل الكيثار في
قوله لها سبعة أبواب لكل
باب منهم جزء مقسوم
فالمراد بالمتقين الذين اتقوا
الكبائر والافعال راديه الذين
اتقوا الشرك (ادخلوها)
أي يقال لهم ادخلوها
(بسلام) حال أي سالمين
أو مسلماً عليكم تسلم عليكم
الملائكة (آمنين) من
الخروج منها والآفات فيها
وهو حال أخرى (وزعنا
مافي صدورهم من غل) وهو
الحقد الكامن في القلب
أي ان كان لاحدهم غل
في الدنيا على آخر زرع الله
ذلك في الجنة من قلوبهم
وطيب نفوسهم وعن علي
رضي الله عنه أرجو أن
أكون أنا وعثمان وطلحة
والزبير منهم وقيل معناه
طهر الله قلوبهم من أن
يتحاسدوا على الدرجات في

الغاوين) يعني الامن اتبع إبليس من الغاوين فان له عليهم سلطاناً بسبب كونهم متقدين له فيما يأمرهم به
(وان جهنم لوعدهم أجمعين) يعني موعدا إبليس وأشياعه وأتباعه (لها) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني
سبع طمقات قال علي بن أبي طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الأخرى أي
سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جرير النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم
سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء
وجزأته جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزي أتباع إبليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة
من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلف مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة
الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي
الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون
فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (ان المتقين في جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا
الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار
الجارية في الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا أهل
يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجري هذه العيون من بعضهم إلى بعض وكلا الأمرين محتمل
فيحتمل ان كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص
به من حوره وولداه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم إلى جنات بعض لانهم قد طهر وأمن الحسد والحقد
(ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعني ادخلوا
الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (وزعنا مافي صدورهم من غل) الغل الحقد
الكامن في القلب وبطابق على الشكناع والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذا الحصل المذمومة
داخله في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم
يؤمرهم إلى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (اخوانا) يعني في المحبة والمودة
والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرر قال بعض أهل المعاني السرر مجلس رفيع
عال مهيباً للسرور وهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكاله بالزبرجد
والدر والياقوت والسرر يرمثل صنعاء إلى الجانية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم في قفا
صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلقي أخاه المؤمن سار سرر يركل واحد منهم إلى
صاحبه فليتقيا ويتحدثان (لا يمسهن فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا اعباء (وما هم منها) يعني من
الجنة (يخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلوه بلزوال وبقاء بلا
فناء وكال بلا نقصان وفوز بلا حرمان قوله سبحانه وتعالى (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال ابن
عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون
وبين أيديكم النار فتزل جبريل به - هذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد تم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير
سند (وان عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله

(١٣ - (حازن) - ثالث) الجنة وزرع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (اخوانا) حال (على سرر متقابلين)
كذلك قيل تدور بهم الأسرة حيث سادوا وفيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لا يمسهن فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم
منها يخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم) وأن عذابي هو العذاب الاليم
تقريرا لما ذكره وتمكينه في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لسأور عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لخشع نفسه في العبادة

ولما أؤدب على ذنب وعطف (ونبتهم) وأخبر أمك على نبي عبادي ليخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أى أضيفه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجيء واحد او جمع لانه مصدر ضافه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليكم سلاما أو سلمنا سلاما (قال) أى ابراهيم (انامنكم وجلون) خائفون لامتناعهم من (٩٨) الاكل اولدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا انوجل) لا تخف (انابشرك) استئناف فى معنى

التعليل للنهي عن الوجل أى انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بغلام علم) هو اسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها باسحق (قال) أبشر تخوفى على أن مسنى (الكبر) أى أبشر تخوفى مع مس الكبر بان يولد على أى ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فيم تبشرون) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فبأى أعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد مكى والاصل تبشرون فاذن فون الجمع فى فون العماد ثم حذف الباء بقيت المكسرة دليل عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرون فحذف الباء اجتزاء بالمكسرة وحذف فون الجمع لاجتماع النونين والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون فون الجمع (قالوا) بشرناك بالحق (بالبقين الذى لا لبس فيه) فلا تسكن من القانتين) من الايسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون بصري وعلى (من

لماتورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لخنخ نفسه يعنى اقتل نفسه (خ) عن أى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقه ما تارة رحمة فامسك عنده تسع وتسعين رحمة وادخل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم يبا من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفى الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذى أسرى بعبد ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل فى هذا التشريف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ فى التأكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله أى وثانيها انا وثالثها الدخال الالف واللام فى الغفور الرحيم وهذا يدل على تعليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل انى أنا المعبذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه فى التزام المغفرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ونبتهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أى واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال البيت وزلابك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع فى عامة كلامهم وتدبيح جمع يقال أضياف وضيوف وضييفان وضييف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لبشر ابراهيم بالولد يهلكوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعنى اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أى نسلم سلاما (قال) يعنى ابراهيم (انامنكم وجلون) أى خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعمه (قالوا انوجل) يعنى لا تخف (انابشرك) بغلام علم) يعنى أنهم بشروه بولد كرجلهم فى صغره عليهم فى كبره وقيل عليهم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشره بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشر تخوفى) يعنى بالولد (على أن مسنى الكبر) يعنى على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فيم تبشرون) يعنى فبأى شئ تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعنى بالصدق الذى قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا أكثر ذريته وهو اسحق (فلا تسكن من القانتين) يعنى فلا تسكن من الايسين من الخير والقنوط هو الايمان من الخير (قال) يعنى ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) يعنى من يبا من رحمة ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانتين ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظن الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانتين من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كلام من مكر الله ولا يحصل الا عند من يجهل كون الله تعالى قادر على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعالومات فكل هذه الامور سبب للضلالة (قال) يعنى ابراهيم (فما خطبكم) يعنى فما شأنكم وما الامر الذى جئتم فيه (أيه المرسلون) والمعنى ما الامر الذى جئتم به سوى ما بشر تخوفى به من الولد (قالوا) يعنى الملائكة (اننا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى لهلك قوم مجرمين (الآل لوط) يعنى أشياعه وأتباعه من أهل دينه

رحمة ربه الا الضالون) الا الخاطئون طريق الصواب والالكافرون كقوله انه لا يبا من روح الله الا القوم الكافرون أى لم (انا أسئلكم ذلك قنوطا من رحمة ولكن استبعادا له فى العادة التى أجزاها) (قال فما خطبكم) فما شأنكم (أيها المرسلون) قالوا اننا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (الآل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالاحرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون استثناء من الضمير فى مجرمين كانه قيل الى قوم قد أجزموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناء لان آل لوط مجرمون فى المنقطع من حكم الارسل يعنى أنهم أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم الى القوم

المجرمين كارسال اسهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل لنا اهلكنا قوم مجرمين واسكن آل لوط ائمتناهم واماني المنصلي
فهم داخلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة ارسالوا اليهم جميعا اهلكوا هؤلاء ونجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جرى (ان المنجوه هم اجمعين)
مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن آل لوط منجوت واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما
حال آل لوط فقالوا ان المنجوه هم (الامرأته) مستثنى من الضمير المجرور في المنجوه وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما
يكون فيما اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا آل لوط الامرأته وهنا قد اختلف الحكم لان آل لوط متعلق بارسلنا والمجرمين
والامرأته متعلق بالمنجوه فكيف يكون استثناء من استثناء المنجوه بالتخفيف حمزة وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انهم المن الغابرين)
الباقيين في العذاب قيل لولم تسكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول (٩٩) قدرنا ولو كنه كقوله ولقد علمت الجنة

انهم لمحضرون وانما أسند
الملائكة فعل التقدير الى
أنفسهم ولم يقولوا قدر الله
لقرينهم كما يقول خاصة
الملك أمرنا بكذا والامر
هو الملك (فلما جاء آل لوط
المرسالون قال انكم قوم
منكرون) أي لا أعرفكم
أي ليس عليكم زى السفر
ولا أتم من أهمل الحضر
فاخاف ان تطرقوني بشم
(قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يفترون) أي ما جئناك
بما تشكرونا لاجله بل جئناك
بما فيه سرورك وتشفيك
من أعدائك وهو العذاب
الذي كنت تتوعدهم بنزوله
فيفترون فيه أي يشكرون
ويكذبونك (وأئيناك
بالحق) باليقين من عذابهم
(وانا الصادقون) في الاخبار
بنزوله بهم (فأمرنا بهلك
بقطع من الليل) في آخر
الليل أو بعد ما مضى شيء
صالح من الليل (واتبع

(ان المنجوه هم اجمعين الامرأته) يعني امرأ لوط (قدرنا) يعني قضينا وانما أسند الملائكة القدر الى أنفسهم
وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان
قد فعلوه بامر الملك (انهم المن الغابرين) يعني ان الباقيين في العذاب والاستثناء من انفي اثبات ومن الاثبات
نفي فاستثناء امرأ لوط من الناجين لمحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسالون) وذلك ان الملائكة
عليهم السلام لم يباشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به سار والى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال
انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مردان حسان الوجوه
نخاف أن يهجم عليهم قومه فلماذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم
منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لأي غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعني
الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يفترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكرون فيه (وأئيناك بالحق)
يعني باليقين الذي لا شك فيه (وانا الصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكهم (فأمرنا بهلك بقطع من
الليل) يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه (واتبع أدبارهم) يعني واتبع آثار أهلك ورس
خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع
في السير وترك الالتفات الى وراءه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض أشأناك ولا تعرج على شيء وقيل جعل
ترك الالتفات علامة لمن نجو من آل لوط ولئلا يخلف أحد منهم فينال العذاب (وامضوا حيث تؤمرون)
قال ابن عباس يعني الى الشام وقيل الاردن وقيل الى حيث يامر كجبريل وذلك ان جبريل أمرهم أن
يسيروا الى قرية معينة فاعمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر
الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان ذابروا هؤلاء
مقطوع مصحين) يعني ان هؤلاء القوم يستاصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر
الذي قضاه عليهم أولا وفسره ثانيا لتفخيمه وتعظيم الشأنة (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهى
مدينة قوم لوط (يستشرون) يعني يشترون بعضهم بعضا بضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور
وذلك ان الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا
في غاية الحسن ونهاية الجمال فباع قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه
(ان هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا أظهر
من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني ولا تتخجلون
(قالوا) يعني قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم نهلك عن العالمين) يعني أولم نهلك عن أن تضيف أحد من العالمين

أدبارهم) ورس خلفهم لتكون مطاعا عليهم وعلى أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرتقوا بهم أو جعل
النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لبدله في ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون)
حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالى لانه ضمن معنى أوحينا كانه قيل وأوحينا اليه مقضيا
مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله (أن ذابروا هؤلاء مقطوع) وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وادبرهم آخرهم أي يستاصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم أحد (مصحين) وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم التي ضرب بقاضها المثل في الجور
(يستشرون) بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بغضبة ضيفي لان من أساء الى ضيفي فقد
أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أي ولا تدلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالبايع فيها يعقوب (قالوا أولم نهلك عن العالمين) عن

أن يجبر منهم أحداً أو يدفع عنهم فأنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المعرضة
فأعدوه وقالوا ألم تنته يا لوط لنتكون من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هو لأبناي) فأنكحوهن وكان نكاح المؤمنين من الكفار
جائزاً ولا يتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك
انهم لفي سكرتهم) أي في غوايتهم (١٠٠) التي أذهبت عقولهم وتميزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من

ترك النبي إلى البنات
(يعمهون) يتخبرون
فكيف يقبلون قسواك
ويصغون إلى نصيحتك أو
الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قسم بحياة
وما أقسم بحياة أحد قط
تعظيمه والعمر والعمر
واحد وهو البقاء الانهم
خصوا القسم بالفتوح
اينارا للانخف أكثره دور
الخطاف على ألسنتهم ولذا
حذفوا الخبر وتقديره
لهمرك قسيمي (فأخذتهم
الصيحة) صيحة جبريل
عليه السلام (مشرقين)
داخلين في الشروق وهو
بروز الشمس (فجعلنا
عاليها سافلها) رفعها
جبريل عليه السلام إلى
السماء ثم قلبها والضمير
لقري قوم لوط (وأما رنا
عليهم حجارة من سجيل ان
في ذلك آيات للمتوسمين)
للمتفرسين المتأملين كأنهم
يعرفون باطن الشيء بسمة
ظاهرة (وانها) وان هذه
القري يعني آناها
(لبسبيل مقسيم) ثابت
يسلكه الناس لم يندرس
بعدهم يصرون تلك
الآثار وهو تشبيه لقريش

وقيل معناه أولم نهلك ان تدخل الغرباء إلى بيتك فأنريد أن تركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد
نهيناك أن تكلمنا في أحد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا
أضيافه (هو لأبناي) أزوجكم ايها ان أسلمت فأثوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه
لان النبي كالأدلامته (ان كنتم فاعلين) يعني ما أمر كبه (لعمرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفساً كرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة
أحد الا بحياة والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة تجارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته
قال النورثون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسيمي فقدف الخبر لان في الكلام
دلالة عليه (انهم لفي سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالهم وقيل في غفائهم (يعمهون) يعني يترددون متخبرين
وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي
نزل بهم وقت الصبح وتماه وانتهاه حين أشرقت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها) أو مطرنا عليهم حجارة من
سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (آيات للمتوسمين) قال
ابن عباس الناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمفسرين ويعضد هذا
التأويل ماروي عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر
بنور الله ثم قرأ ان في ذلك آيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم
من قولك تفرست في فلان الخيروهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما وقع الله في قلوب
أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع
الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضاً للناس في علم الفراسة
تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتشبهين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته
وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني
قري قوم لوط (لبسبيل مقسيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس تخفي ولا زائل والمعنى ان آثار
ما نزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقسيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يجرؤ عليهم من الحجاز إلى
الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما نزل بهم (لاية
للمؤمنين) يعني المصدقين بما نزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) يعني
كان أصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين التأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب
غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوماً كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيباً رسلاً
فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتقمنا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم
الحرس سبعة أيام حتى أخذوا بنفاسهم وقرروا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجوا
اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم ناراً فحرقتهم جميعاً (وانهما) يعني مدينة قوم لوط
ومدينة أصحاب الايكة (لبامام مبين) يعني بطريق واضح مستبين ان مريم حاويل الضمير راجع إلى الايكة
ومدين لان شعيباً كان مبعوثاً اليها وانما سمي الطريق اماماً لانه يؤتم ويستمع ولان المسافر يأتيه حتى
يصير إلى الموضع الذي يريد قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم

كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان في ذلك آية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر واد
والشأن كان أصحاب الايكة أي الغيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتقمنا منهم) فاهلكهم لما كذبوا شعيباً
(وانهما) يعني قري قوم لوط والايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطعم البناء لانها مما يؤتم به
(ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم ثمود والحجر وادبهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً لان كل رسول كان يدعو

الى الامان بالرسول جميعا فمن كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا وأراد صالحا ولم يفسد من المؤمنين كما قيل الخبيثيون في ابن الزبير
 وأصحابه (وآياتنا فكانوا عندهم معرضين) أي عرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا يخشون من الجبال بيوتا) أي يقيمون في الجبال
 بيوتا أو يبنون من الحجارة (آمنين) لوناقة البيوت واستحسبوا كماها من ان تهدم ومن نقب الاوصاف والاعداء وآمنين من عذاب الله
 يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)
 من بناء البيوت الوثيقة واقفنا الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض (١٠١) وما بينهما الا بالحق) الاخلاق ملتبس بالحق

لا باطلا وعمشا أو بسبب
 العدل والانصاف يوم الجزاء
 على الاعمال (وان الساعة)
 أي القيامة لتوقعها كل
 ساعة (لا تية) وان الله
 ينتقم لك فيها من أعدائك
 ويجازيك وياهم على
 حسناتك وسيئاتهم فانه
 ما خلق السموات والارض
 وما بينهما الا لذلك (فاصفح
 الصفيح الجبل) فأعرض
 عنهم اعراضا جبلا يحلم
 واغضاء قيل هو منسوخ
 بآية السيف وان أريديه
 المخالفة فلا يكون منسوخا
 (ان ربك هو الخالق) الذي
 خلقك وخلقهم (العليم)
 بحالك وحالهم فلا يخفى
 عليه ما يجري بينكم وهو
 يحكم بينكم (ولقد آتيناك
 سبعا) أي سبع آيات
 وهي الفاتحة أو سبع سور
 وهي الطوال واختلف في
 السابعة فقيل الانفال
 وبراءة لانها في حكم سورة
 بدليل عدم التسمية بينهما
 وقيل سورة نونس أو سبع
 القرآن (من المثاني) هي
 من الثنية وهي التكرار
 لان الفاتحة مما يتكرر في

واد كان يسكنه ثم دوهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية بغير علمها ركب الشام الى
 الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لانهم كذبوه
 وكذبوا من قبله من الرسل (وآياتنا فكانوا آمنين) يعني الناقية وولدها والآيات التي كانت في الناقية ووجهها من
 الصخرة وعظم جنتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل
 اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني نازكين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا
 يخشون من الجبال بيوتا آمنين) يعني خوفان من الخراب أو ان يقع عليهم الجبل أو السقف (فأخذتهم
 الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك
 والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرج قال لا تدخلوا
 مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قطع رأسه وأسرع السير حتى
 جاوز الوادي **قوله** سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق
 والعذاب وهو ان يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لا تية) يعني وان
 القيامة لتاتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائه (فاصفح الصفيح الجبل) الخطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفيح
 والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر
 الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربك هو الخالق العليم)
 يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلمه وما يصلحهم **قوله** عز وجل (ولقد آتيناك سبعا
 من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعان
 ليهود قرظية والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه
 الاموال لنا لتقترب بناها وأنفقناها في سبيل الله فأترل الله هذه الآيات وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي
 خير من هذه السبع القوافل ويدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت
 وهذا القول ضعيف أو لا يصح لان هذه السورة مكتبة باجماع أهل التفسير وليس فيها من المذني شيء ويهود
 قرظية والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة
 حتى تمنها المسلمون فأترل الله هذه الآيات وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل
 والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انهم فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي
 رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبيرة وفي رواية عنه ومجاهد
 وعطاء وقتادة في آخره ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (ق)
 عن أبي سعيد بن المعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني
 والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني

الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحد مدة ثمانية أو مئتيه صفة الآية وأما السور الاسباع فما وقع فيها من تكرر القصص
 والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تنفي على الله واذا جعلت السبع مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فمن للتبعيض
 (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءه ينطلق عليه اسم القرآن لانه
 اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالعنى ولقد آتيناك
 ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين العنتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال رسول

فلانها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها
 تنفي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فمصفاها الامل ثناء على الله
 ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال قول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدك نصفين الحديث مذكور في فضل الفاتحة
 وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثنائة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهـ هذا الصراط
 المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثنائة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة ~~بكتومة~~ بكتومة
 بالمدينة معهما سبعون ألف ملك وقال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثنائها واخرها هذه الامة فلم يعطها
 لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تنفي أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبتت عناني وقال ابن الزجاج
 سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون
 الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكري
 قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سور ولابد
 وأن يكون لاختصاصها بالتشريف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني انها السبع الطوال
 وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبيرة وفي رواية عنه
 السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة
 فقيل الاقوال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل
 السابعة هي سورة نونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
 الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الانجيل وأعطاني مكان
 الزبور المثاني وفضاني نبي بالمفصل أخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال
 مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثبتت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور الطوال
 غالبها مدنيات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكينة وأجيب عن هذا الاراد بان الله سبحانه وتعالى
 حكم في سابق علمه بانزال هذه السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه
 الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني
 وحجة هذا القول الحديث المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن
 كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله تزل أحسن الحديث كتاباً متشابها
 مثاني وسمى القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبتت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن
 في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعاً من المثاني وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
 المثاني فاتحة الكتاب أو السبع الطوال فساروا عن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض
 كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني
 بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمى القرآن
 عظيماً لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم **قوله** (لا تمدن عينيك) الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن عينيك يا محمد (الى ما تمنى به أزواجهم) يعني أصنافاً (منهم) يعني من
 الكفار متمنياً بالهاتمي الله عز وجل وسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا من اجرة أهلها عليها
 والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه مغنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسررك بالالتفات الى الدنيا
 والرغبة فيها وروى ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس ممنان لم يتغن بالقرآن يعني لم
 يستغن بالقرآن فتأول هذه الآية قيل انما يكون ما داعينيه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستحسنه فيحصل
 له من ذلك معنى ذلك الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا
 يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم) يعني ولا تنغم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن

(لا تمدن عينك) أي لا
 تطمح ببصرك طموح
 واطب فيه بمن له (الى
 ما تمنى به أزواجهم)
 أصنافاً من الكفار كاليهود
 والنصارى والمجوس يعني
 قد أوتيت النعمة العظمى
 التي كل نعمة وان عظمت
 فهي البهاقيرة وهي
 القرآن العظيم فعليك ان
 تستغنى به ولا تمدن عينك
 الى متاع الدنيا وفي الحديث
 ليس ممنان لم يتغن بالقرآن
 وحديث أبي بكر من أوتي
 القرآن فرأى أن أحدا
 أوتي من الدنيا أفضل مما
 أوتي فقد صغر عظمها
 وعظم صغيراً (ولا تحزن
 عليهم) أي لا تمن أموالهم
 ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
 فيتقوى بكتابهم الاسلام
 والمسالمون

(واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء (وقل) لهم (ان انا النذير المبين) اذ نذركم
بيمان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم (كما نزلنا) متعلق بقوله ولقد آتيناك اى ازلنا عليك (١٠٣) مثل ما نزلنا (على المقتسمين) وهم
أهل الكتاب (الذين جعلوا

على ايمانهم اذ لم يؤمنوا ففيه النهى عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوى
بسند عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعبطن فاجر بانه نعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد
موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قبل لابن ابي مرجم ما قاتلا لا يموت قال النار (ن) عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نقرأ أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فليستظر الى أسفل منه لفظ
الخارى وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر والى من هو أسفل منك ولا تنظر والى من هو
فوقك فهو أجدد ان لا تزدر وانعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أحب الاغنياء فما كان
أحدأ أكثرهما منى كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثو باخيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت
الفقراء فاسترحمت ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك) يعنى لين جانبك (للمؤمنين) وارتقى
بهم لسانه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء
المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أى وقل لهم يا محمد (ان انا النذير المبين) لساأمر الله تعالى رسوله صلى
الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به اليهم والندارة بتبليغ مع تخويف
والمعنى انى انا النذير بالعقاب ابن عصافى المبين بين الندارة (كما نزلنا على المقتسمين) يعنى اذ نذركم عذابا
كعذاب ازلنا بالمقتسمين قال ابن عباس أراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة
سواء بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فوافق كتبهم آمنوا به وماخالف كتبهم كفروا به
وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى وانما
فعلوا ذلك استنزاعه وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا
منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سواء بذلك لان أقوالهم
تقسمت فى القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال
ابن السائب سواء بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رطبا
من أهل مكة قبل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتنفروا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم
أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضهم انه كاهن وليقل بعضهم انه شاعر وليقل بعضهم انه
ساحر فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب
لا تغتروا بهم هذا الخارج الذى يدعى النبوة منافاه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب
المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوهم عما قال اولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الذين
جعلوا القرآن عضيضين) (خ) عن ابن عباس فى قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضيضين قال هم اليهود
والنصارى جزؤا أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض فبعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيبت الشئ اذا فرقته
وجعلته أجزاء وذلك لانهم جعلوا القرآن أجزاء مفارقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال
بعضهم هو أساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر
يعنى انهم جعلوا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم أجمعين) أقسم الله بنفسه انه يسأل هؤلاء
المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضيضين (عما كانوا يعملون) يعنى عما كانوا يقولون فى القرآن وقيل عما
كانوا يعملون من الكفر والمعاصى وقيل يرجع لضميرى لنسألنهم الى جميع الخلق المؤمن والكافر لان
اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم فى قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذى وقال حديث
غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجنع

القرآن عضيضين) أجزاء جمع
عضة وأصلها عضوة فعلة
من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء حيث قالوا بعنادهم
بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما فاقسموه الى
حق وباطل وعضوه وقيل
كالوا يستهزؤن به فيقول
بعضهم سورة البقرة لى
ويقول الآخرون سورة آل
عمران لى أو أريد بالقرآن
ما يقرونه من كتبهم وقد
اقسموه فاليهود أقرت
ببعض التوراة وكذبت
ببعض والنصارى أقرت
ببعض الانجيل وكذبت
ببعض ويجوز أن يكون
الذين جعلوا القرآن عضيضين
منصوبا بالنذير أى اذ نذر
المعصين الذى يجزؤن
القرآن الى سحر وشعر
وأساطير مثل ما نزلنا على
المقتسمين وهم الاثناعشر
الذين اقتسموا داخل مكة
أيام الموسم فعدوا فى كل
مدخل متفرقين لينفروا
الناس عن الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
بعضهم لا تغتروا بالخارج
منافاه سحرو ويقول
الآخر كذاب والآخر
شاعر فأهلكهم الله ولا
تعدن عينيك على الوجه

الاول اعتراض بينهما لانه لما كان ذلك تساميا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدار على التسليم من
النهى عن الالتفات الى دنياههم والتساف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكتيبتهم على المؤمنين (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا
يعملون) أقسم بذيابه وروية ليه ان يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى القرآن

بين قوله لنسألتهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسألهم هل علمتم لانه أعلم به منهم ولكن يقول علمتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يعني سؤال الاستعلام وقوله لنسألتهم أجمعين سؤال توبيخ وتقرير وجواب آخر وهو مروى عن ابن عباس أيضا انه قال في الايتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسئلون في بعض المواقف ولا يسئلون في بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿١٠٣﴾ قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهور ويروى عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق اى افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من أُرسل اليهم قال عبدالله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أى اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالتك وبك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه وتعالى (انا كفييناك المستهزئين) أكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفييناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرت به ولا تخف أحدا غيرى فانى انا كفييناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن المطلب بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره وانكأه بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن الحرث بن قيس بن طلالة كذا ذكره البغوى وقال ابن الجوزى الحرث بن قيس بن عيطالة وقال الزهرى عيطالة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه وأمه قال المفسرون أتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فبه الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بنس عبدالله فقال قد كفيتموه وأومأ الى ساق الوليد فرأى الوليد من خزاعة نبال بريش نباله وعليه بردى مائى وهو يحجرا زاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فثبته الكبران يباطى رأسه فينزعهما وجعلت تضربه فى ساقه فغدشته ففرض منها فمات ومريمها العاص بن وائل السهمى فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بنس عبدالله فاشار جبريل الى أخفى قدمه وقال قد كفيتموه فخرج العاص على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطى شجرة فدخل منها شوكة فى أخفى رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومريمها الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبدالله فاشار جبريل ببسده الى عينيه وقال قد كفيتموه فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره وجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفى رواية السكبي قال أناه جبريل وهو فاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له وفى رواية فجعل ينطح رأسه فى الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول قتلى محمد ومريمها الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بنس عبدالله على انه خالى فقال جبريل قد كفيتموه وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفى رواية السكبي انه خرج من أهله فأصابه سهم فمات فأسود وجهه حتى صار حبشا يافى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلى رب محمد ومريمها الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبدالله فاشار جبريل الى رأسه وقال قد كفيتموه فامتخط فمات فمات فقوله وقال ابن عباس انه أكل حوتا ما لحاقا فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفييناك المستهزئين يعنى بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله الهاء آخرفسوف

أوفى كتب الله) فاصدع بما تؤمر) فاجه ربه وأظهره يقال صدع بالجمعة اذا تكلم بها جهازا من الصديق وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع في حذف الجوارك قوله أمرتك الخبير فافعل ما أمرت به (وأعرض عن المشركين) هو أمر استهانة بهم (انا كفييناك المستهزئين) الجهور على انها نزلت فى خمسة نفر كانوا يباغون فى ايداع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فأهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة من نبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات والعاص بن وائل دخل فى أخفى شوكة فانتفخت رجله فمات والاسود بن عبد المطب عمى والاسود ابن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والحرث بن قيس امتخط فمات (الذين يجعلون مع الله الهاء آخرفسوف

يعلمون) يعني اذا نزل بهم العذاب فقيهه وعيندهم تهديد **قوله** سبحانه وتعالى (ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعون من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبله البشرية تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحانه الله وحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكر وه فزع الى الصلاة فكانه يقول يارب انما يحب على عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفتيني ما أكره فأنا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشاء **قوله** تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لا يملك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقالك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادته ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكوة مادمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى الى ان سبع بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر والى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيت بين أبيه يغذيانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة ثراها وأقال شريته بما أتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ماترون ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

*** (تفسير سورة النحل) ***

مكية الاقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به الى آخر السورة فانهم انزلت بالمدينة في قتل حنظلة ابن عباس وفي رواية أخرى عنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشركوا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذئب هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا يتوضرب الله مثاقيرهم كانت آمنه مطحشنة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لسكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبع مائة وسبعة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الامر وهو متوقع المحيى بعد ما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستعجلوه) يعني وقوع المراد به مجيء القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شيء قالوا ما ترى شيئا فنزل قوله تعالى اقتراب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما ترى شيئا مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم ووطنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يدهما أخرجه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى ضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل

يعلمون) عاقبة أمرهم يوم القيامة (ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون) الله (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) فافزع فيما نابك الى الله والفرع الى الله هو الذكرا الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة *** (سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية) *** (بسم الله الرحمن الرحيم) كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة وتزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الا في الواقع وان كان منتظرا القرب وقوعه (فلا تستعجلوه

سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأجل وعز عن أن يكون له شريك وعن أشركهم فسامو صولة أو مصدرية أو اتصال هذا باستعمالهم من حيث ان استعمالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخييف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلامهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (١٠٦) (أنه لاله الا أنا فاقنونا) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمتمه والمعنى أعلموا الناس

قولي لاله الا أنا فاقنونا
تغافون وبالبياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وأنه لاله
الاهو عما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله (خلق
السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون) وبالتاء
في الموضعين حمزة وعلى
وخلق الانسان وما يكون
منه وهو قوله (خلق الانسان
من نطفة اذاذا هو خصيم
مبين) أي اذا هو منطبق
مجادل عن نفسه مكافح
لخصومه مبين لخطئه بعدما
كان نطفة لاجس به ولا
حركة اوف اذا هو خصيم لربه
منكر على خالقه قائل من
يجزي العظام وهي رميم
وهو وصف للانسان بالوقاحة
والتعادي في كفران
النعمة وخلق ما لا بد له منه
من خلق الهائم لاكماله
وركوبه وجل أنفاله وسائر
حاجاته وهو قوله (والانعام
خلقها لكم) هي الأزواج
الثمانية أو أكثر ما يقع على
الابل وانتصابها بخصم
يفسر الظاهر كقول
والعمر قدرناه منازل أو
بالعطف على الانسان أي
خلق الانسان والانعام ثم

السموات مبغون الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة
المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك ان النضر من الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستجمل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر
صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعاظمه بالأوصاف الجديدة عما يصفه به المشركون
قوله (سبحانه وتعالى) (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وانما سمى الامر روحا لانه به تحييا
القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والبياء بمعنى مع
يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة
والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق (أن أنذروا) يعني بأن أعلموا (أنه لاله الا أنا فاقنونا) أي تغافون وقيل
معناه مروا بقول لاله الا الله منذرين يعني تخوفين بالقرآن (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما
يشركون) تقدم تفسيره (خلق الانسان من نطفة اذا هو خصيم مبين) يعني انه جدل بالباطل بين
الخصومة تزات في أبي بن خفاف الجمعي وكان ينكر البعث فباع بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ترعم ان الله يجزي هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام
وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وخلقها على العموم أولى
وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة فذرة صار جبارا كثيرا لخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله
الكفار من سجدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله عز وجل (والانعام خلقها لما ذكركم الله سبحانه
وتعالى أنه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكركم خلق الانسان ذكركم بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته
ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ
بذكركم الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والمقر والغنم قال
الواحد في الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها ذر) قال ويجوز أيضا ان
يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها ذر فقال صاحب النظم أحسن الوجهين أن
يكون الوقف عنده قوله خلقها ثم ابتدأ بقوله لكم فيها ذر والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها
جمال والتقدير لكم فيها ذر ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير
ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكركم المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها ذر وهو ما يستدفاه من
اللباس والا كسبية ونحوها المتخذة من الاصواف والادبار والاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل
والذر والر كوب والجل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنهاتاً كاون) يعني من لحومها فان قلت
قوله تعالى ومنهاتاً كاون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت
الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمد منه الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز
وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب وأكله يجزي مجرى التفكه به فخرج ومنها أكلون يخرج
الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخرج منفعة الاكل وقدم
منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل قوله سبحانه
وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جمال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الاراحرة والابل

قال خلقها لكم أي ما خلقها الا لكم باجنس الانسان (فيها ذر) وهو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف بالعثى
أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنهاتاً كاون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لان الاكل منها هو
الاصل الذي يعتمد منه الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير معتد به وكالجاري مجرى التفكه
(ولكم فيها جمال حين تريحون) تردونهم من مراعيها الى مراعيها بالعثى (وحيث تسرحون) ترسلونها بالعدا الى مسارحها من الله تعالى

بالجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي لان الرعيان اذا روجوها بالعشي وسرحوها بالغداة نزلت باراحتها
وتسريحها الاقنية وفرحت أربابها أو أكسبتهم الجاه والحرمه عند الناس وانما قدمت (١٠٧) الاراحة على التسريح لان الجمال في

الاراحة أطهر اذا أقبلت
ملائي البطون حافلة
الضروع (وتحمل أنقالكم)
أجالكم (الى بلدكم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس)
وبفتح الشين أبو جعفر
وهما لغتان في معنى المشقة
وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه شقا وحقيقته
راجعة الى الشق الذي هو
الصدع وأما الشق فالنصف
كأنه يذهب نصف قوته
لما ينال من الجهد والمعنى
وتحمل أنقالكم الى بلدكم
تكونوا بالغيه ولم تخلق
الابل الا للجهد ومشقة فضلا
أن تحملا أنقالكم على
ظهوركم ومعناها تكونوا
بالغيه بها الا بشق الانفس
وقيل أنقالكم أبدانكم
ومنه الثقلان للجن والانس
ومنه وأخرجت الارض
أنقالها أي بني آدم (ان
ربكم لرؤف رحيم) حيث
رحمكم بخلق هذه الحوامل
وتيسير هذه المصالح (والخيل
والبعال والجير لتر كبوها
وزينة) عطف على الانعام
أي وخلق هذه للركوب
والزينة وقد احتج أبو حنيفة
رحمه الله على حرمه أكل لحم
الخيل لانه عسل خلقها
للركوب والزينة ولم يذ كر
الا كل بعد ما ذكره في
الانعام ومنفعة الاكل
أقوى والآية سبقت لبيان

بالعشي الى مراحتها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم بلههم تسريحها اذا أخرجوها بالغداة الى
المرعى قال أهل اللغة وأكثرتا تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاء
وأخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من
بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى
المرعى وروجوها بالعشي الى الاقنية والبيوت يسرع للابل رعا والشاء نعا ويجاب بعضها بعضا فعد ذلك
يفرح أربابها ما وتجمل بها الاقنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على
التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو روجوعها الى البيوت أكثر مما هو وقت التسريح لان النعم تقبل
من المرعى ملائي البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بما يخالف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جماعة
البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل
في الاراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أنقالكم) الانتقال
جمع نقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد
من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثرتجاراتهم
وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخل الكفاية فيه أولى من تخصيصه
ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالغيه) يعني بالغى ذلك البلد الذي تقصدونه (الابشق الانفس) يعني بالمشقة
والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنبهة قوة النفس وذهاب
نصفها (ان ربكم لرؤف رحيم) يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبعال
والجير لتر كبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل
اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعني وجعها هاز ينتمتع بالمنافع التي فيها
* (فصل) * احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلاهذه الآية وقال هذه
للركوب والبيه ذهب الحكيم ومالك وأبو حنيفة فترجمهم الله واستدلوا أيضا بان منفعة الاكل أعظم من
منفعة الركوب فلما لم يذ كر الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى
أولى بالذ كر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب
فقال لتر كبوها فعلمنا انم مخلوقة للركوب لا لالاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو
قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد وأسحق
واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت نخرنا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرساقا كئنا وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن
بالمدينة فآكلناه أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم
الجر الا هلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خيبر لحوم الخيل وسحر الوحش ونهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن الجمار الا هلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبعال
والجير وكأقد أصابتنا منخضة فنار رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عن البعال والجير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب
من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكركم كرو والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما
خص هاتان المنفعتان بالذكركم لانهم معظم المقصود قالوا ولها هذا سكت عن حمل الانتقال على الخيل مع قوله
في الانعام وتحملي أنقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الانتقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من
الآية بيان التحليل والتحرير بل المراد منها تعريف الله عباده وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل
الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل

النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكروا في مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطف على محل لتر كبوها وخلق
مالات تعلمون من أصناف خلقتها وهو قوله

(ومن هاجتر) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالحج ومنها جاتر أمن السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء لهذاكم أجعنين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزل أو خبر لشراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه تسميون) من ساءت الماشية اذ ارعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وفي العلامة لانها توتر بالمرعى علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمران) ولم يقل كل الثمران لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الارض

والبعال والحير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوا ناعنه دار الامر فيه على الاباحة والتحرير فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحير فاخذناهم باجمعين النصين والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو يفهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة ولاهل النار في النار كما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النباتات والدود في الفواكه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا دل إلى مطلوب وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جاتر) يعني ومن السبيل سبيل جاتر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجاتر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جاتر الا هو بالبدع (ولو شاء لهذاكم أجعنين) فيه دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة توفيقه انتفاء الشيء لانتهاء غيره فقوله ولو شاء لهذاكم أجعنين معناه ولو شاء هدايتكم لهذاكم أجعنين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هذاكم ﴿ قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر (اسم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني تشربونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في اللغة ماله ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر أصناف ما جل وعظم وهو الذي يبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما تبقى له أذوحه في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو اسحق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد ناعمها اللحم اذا عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعني الكلاء ومعنى الآية انه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترى الراعي من ورق الشجر لان الابل ترضع كل الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسميون) يعني ترعون مواشيكم يقال أسمت السائمة اذا خلبتها ترضع وسامت هي اذ ارعت حيث شاعت (ينبت لكم) أي ينبت الله لكم وقرئ نبت على التعظيم لكم (به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمران) لما ذكر الله في الحيوان تفضيلا واجالا ذكر في الثمار تفضيلا واجمالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالخنطة والشعير وما أشبههما لان به قوام بدن الانسان ونهى بذكر الزيتون لما فيه من الادوم والدهن والبركة وثالث بذكر الخيل لان غرضها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه الخنطة في المنفعة من التغمك والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ﴿ ثم قال تعالى (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من أنواع الثمار (لاية) يعني علامة تدل على قدرتنا ووجداننا (لقوم يتفكرون) يعني فيما ذكر من دلائل قدرته ووجدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره في سورة الاعراف (مسخرات) يعني مذلات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه مدعى الغلاسة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذلات (بامر) يعني بأمرهم مقهورات تحت قهره يصر فيها كيف يشاء

بعض من كها للتذكير (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) ويستدلون بها على قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) ينصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات

فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شأني على الابتداء والخبر (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) جمع الآية وقد كثر العقل لان
الانوار العلوية تظهر دلالة على القدرة الباهرة ووايين شهادة لا كبر يا عوا العظمة (وما ذرأكم في الارض) معطوف على الليل والنهار اى ما
خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغـ يرد ذلك (مختلفا) حال (ألوانه ان في ذلك لايات لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذي مسخر البحر لتأكلوا
منه لحاطريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد وانما لا يخبث باكله اذا حلف
لاياكل لجمالان مبنى الايمان

على العرف ومن قال اعلامه
اشترى بهذه الدراهم لحيا
فقاء بالسمك كان حقيقا
بالانكار (وتستخر جوا
منه حلية) هي اللؤلؤ
والمرجان (تلبسونها) المراد
بلبسهم لبس نساءهم
ولكنهن انما يتزين بهن
اجلهن فكانهن زينتهن
ولباسهن (وترى الفلك
مواخر) جوارى تجرى
جريا وتشق الماء شقا
والخرشق الماء بحيزومها
(فيه) في البحر (ولتبتغوا
من فضله) هو عطف على
مخدوف اى لتعتبروا
ولتبتغوا ابتغاء الفضل
التجارة (ولعلمكم تشكرون)
الله على ما انعم عليكم به
(والقى في الارض رساى)
جبالا ثواب (ان تميد بكم)
كراهية ان تميل اليكم
وتضطرب اولئلا تميد بكم
لكن حذف المضاف أكثر
قبيل خلق الله الارض
فجعلت تميد فقالت الملائكة
ماهى بمقرأ حد على ظهرها
فاصحت وقد آردت
بالجبال لم تدر الملائكة
مم خلقت (وانهارا) وجعل
فيها أنهارا لان آقى فيه

ويختار وأنهم ليس لها تصرف في نفسها فاضلا عن غيرها وماذا كثر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم
وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) يعنى أن كل من
كان له عقل صحيح سليم علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره
وتسخيره لما أراده منهم (وما ذرأكم في الارض) يعنى وما خلق لكم في الارض وسخر لاجلكم من الدواب
والانعام والاشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعنى في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات
مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية
بقوله تعالى (ان في ذلك لايات لقوم يذكرون) يعنى فيعتبرون بذلك قوله سبحانه وتعالى (وهو الذي
سخر لكم البحر) لماذا كثر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته وحدانيته من خلق السموات
والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك
من آثار قدرته وبجانب صنعته وذكرا انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر
لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب
عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو
الذى سخر البحر (لتأكلوا منه لحاطريا) فبدأ بذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي
ذكر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كما حال ما عرف به من قدرة
الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملع الزعاق الحيوان الطرى الذى لحسه في غاية العذوبة علم
انه انما حدث بقدرة الله وخلة لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على الخراج الضمن الضد المنفعة
الثانية قوله تعالى (وتستخر جوا منه حلية تلبسونها) يعنى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نساءهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة
لهم * المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعنى السفن (مواخر فيه) جوارى فيه قال قتادة مقابلة
ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجرى بريح واحدة وأصل الخرفى الالفة الشق
يقال سخرت السفينة سخر اذا شقت الماء بجوؤه وهو قال مجاهد سخر الرياح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع
لها صوت قال أبو عبيدة يعنى صواتع والخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعنى مواقر اى
ملاوعة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعنى الارياب بالتجارة في البحر (ولعلمكم تشكرون) يعنى انعام الله عليكم اذا
رأيتم نعم الله فيما سخر لكم (والقى في الارض رساى) يعنى جبالا نقلها (ان تميد بكم) يعنى لتلاطم وتضطرب
بكم والميد هو اضطراب الشئ العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور
وتحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقررة أحد ا على ظهرها فاصبحوا وقد آردت بالجبال فلم تدر الملائكة
مم خلقت الجبال (وانهارا) يعنى وجعل فيها أنهارا لان آقى يعنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وانهارا
معطوف على وألقى ولماذا كثر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون
من الجبال (وسبلا) يعنى وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها فى أسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد
ومن مكان الى مكان (لعلمكم تهتدون) يعنى بقاء السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعنى وجعل
فيها علامات تهتدون بها فى أسفاركم قال بعضهم تم السكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ (وبالنجم هم يهتدون)

معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلمكم تهتدون) الى مقاصدكم أو الى توحيدكم بكم (وعلامات) هى معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل
وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون) المراد بالنجم الجنس وهو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون يخرج عن
سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقمهم فيه كانه قيل وبالنجم خصوصاه ولا خصوصاهم يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد قريش اقلهم اهتداء
بالنجوم فى مسابريهم ولهم بذلك علم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصوا

تعالى (كن لا يخلق) أي الاصنام وحي عين الذي هو لولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهتهم وعبدوها فاجروها مجرى أولى العلم أولان المعنى ان من يخلق ليس كن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده وانما لم يقل آئن لا يخلق كن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهرها لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس الخلق وشبهها بما فاكسر عليهم ذلك بقوله آئن يخلق كن لا يخلق وهو حجة على العترة في خلق الافعال (أفلاتد كرون) فتعرفون فساد ما أنتم عليه (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطبقوا القيام بحقوقها مسن أداء الشكر وانما تتبع ذلك ما عدد من نعمه تشبها على ان ما ورأها لا ينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لنفرت بكم (وانه يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعونهم الكفار (من دون الله) وبالتاع غير عاصم (لا يخلقون) شيئا وهم يخلقون

وقال محمد بن كعب والسكبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال بجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقد بن والجدى فهذه يتدى به الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ووجوه المسياطين فن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (أئن يخلق كن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وعجائب صنعته وبديع خلقه مما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المحلوفة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها ذاتها على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء آئن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلاتد كرون) يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل بمجرد التذكريه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقى في الآية سواء لان الاول قوله كن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سمو هذه الاصنام آلهة وعبدوها أحييت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فخطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله آئن يخلق كن لا يخلق المقطوع ومنه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام آئن يخلق كن لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوي بينهم وبين هذه الجادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ان يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشغل بعبادة جادات لا تخلق شيئا البتة والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيها خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبطش الديدن وسعي الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأنعمتم نفوسكم لا تقدرون عليه (ان الله لغفور) يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يكررون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهر من ايدائه فآخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام وذكر بحجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالم بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تدعونها آلهتهم من دون الله (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة آئن يخلق كن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام لا تخلق شيئا بقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فما فائدة التكرار قلت فائدة ان المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وأنهم يخلقون شيئا فكان هذا زيادة في المعنى

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) نفي عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخالق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جازع عليهم الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين (111) أي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم

وفيه تمكيم بالمشركين وان آلهتهم لا يعملون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (الهكم اله واحد) أي ثبت بما صرحت الالهية لا تكون لغير الله وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) لا وحادانية (وهم مستكبرون) عنها وعن الافرار بها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلايتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يجب المستكبرين) عن التوحيد يعني المشركين (واذا قيل لهم) لهؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) ماذا منسوب بانزل أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أي أي شيء أنزل ربكم وأساطير خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المفتسمين الذين اقتسموا ما دخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير

وهو فائدة التكرار (أموات) أي جمادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جازع عليهم الموت لان الاله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يبعثون) يعني متى يبعثون وفيه دليل عن أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله سبحانه وتعالى (الهكم اله واحد) يعني ان الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لاجرم) يعني حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيد عبيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فعنه يخبر عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معنى غمضته أي انتقصته وازدريته قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عاقبها وطرها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (لجملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في لجملوا والام العاقبة وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم بذلك أن يجملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام نضر الدين الرازي وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذلو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعاني هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعاني ضلالة كان عليه من الاجر مثل آ نام من تبعه لا ينقص ذلك من آ نامهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة فجيحة فبعبه علمها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنته الحسنة أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل ويدل عليه قوله تعالى ولا تزوروا زورا وزرا أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدى ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنتقص عن الاتباع بعض الأوزار وذلك غير جازع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آ نامهم شيئا وأركانها للجنس أي ليجملوا من جنس أوزار

الاولين أي أحاديث الاولين وأباطيلهم واحداثها أسطورة واذار أو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونهم بصدقه وأنه نبي فهم الذين قالوا خيرا (لجملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك اضلالا للناس فجملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من الضالون أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال

(الاسماعيليون) محل ما رفع (قدمكر الذين من قبلهم - فاتى الله بنيانهم من القواعد) أى من جهة القواعد وهى الاساطين وهذا تأثيل
يعنى أنهم سورا منصوبات ليمكروا بها (١١٢) رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنو انبيانا وعمدوه بالاساطين
فاتى البنيان من الاساطين

الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على
ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الاسماعيليون) يعنى
الابنيس ما يحملون فيه وعيد وتهديد لهم وقوله سبحانه وتعالى (قدمكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار
قريش وهو عمرو بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من
مكرهاته بنى صرحا يابل ليرصد الى السماء ويقاتل أهلها فى زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح
فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه
فى البحر وخر عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحتها ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفرع فكلوا يومئذ
بثلاثة وسبعين سائنا فذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوى
وفى هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتسكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم حرهم الذى
نشأه عميل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم
وجديس وكل هؤلاء عرب تسكلموا فى قديم الزمان بالعربية ويؤيد على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى والله أعلم وقيل حمل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الآية عامة فى جميع
الساكرين المبطلين الذين يحاولون الخاق الضر والمكر بالغير وقوله سبحانه وتعالى (فاتى الله بنيانهم من
القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان أناهم بريح قصفت بنيانهم من أعلاه وأناهم
برلازل فلبت بنيانهم من قواعدهم وأساسه هذا اذا حملنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان
حملنا تفسير الآية على القول الثانى وهو حملها على العموم كان المعنى أنهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على
أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنو انبيانا وثيقا شديدا
ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن مكر
بآخرة فأهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئر الاخيه أوقعه الله فيه وقوله تعالى
(نخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم لنا كيد لان السقف
لا يخر الامن فوقهم وقيل يحمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا
تحتوه لما خسر عليهم أهلها كما قالوا تحتها (وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى فى أممهم وذلك أنهم
لما اعمدوا على قوة بنيانهم وشدهته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعنى يهينهم
بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان (ويقول)
يعنى ويقول لله لهم يوم القيامة (أين شركائى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى
كنتم تعادون وتخالقون المؤمنين وتخاصمهم ونهم فى شأنهم لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين
فى شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال)
الذين أتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزي) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم
القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا
يستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا
بانواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون ان الخزي اليوم
والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشماتة بهم فىكون أعظم فى الهوان والخزي وقوله
تعالى (الذين تنوفاهم الملائكة) تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (طامى أنفسهم) يعنى
بالكفر (فالتوا السليم) يعنى أنهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذى نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء)

بان ضعفت فسقط عليهم
السقف وما نوا وهلكوا
والجهور على أن المراد به
عمرو بن كنعان حين بنى
الصرح ببابل طوله خمسة
آلاف ذراع وقيل
فرسخان فاهب الله الريح
نخر عليهم وعلى قومه
فهلكوا فاتى الله أى أمره
بالاستصال (نخر عليهم
السقف من فوقهم
وأناهم العذاب من حيث
لا يشعرون) من حيث
لا يحتسبون ولا يتوقعون
(ثم يوم القيامة يخزيهم)
يذلهم بعذاب الخزي سوى
ما عذبوا به فى الدنيا (ويقول
أين شركائى) على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوجههم على طريق
الاستهزاء بهم (الذين كنتم
تشاقون فيهم) تعادون
وتخاصمون المؤمنين فى
شأنهم تشاقون نافع أى
تشاقوننى فيهم لان مشاقة
المؤمنين كأنها مشاقة الله
(قال الذين أتوا العلم)
أى الانبياء والعلماء من
أمتهم الذين كانوا يدعونهم
الى الامعان ويعظونهم فلا
يلفتون اليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم
أوهم الملائكة (ان الخزي
اليوم) الفضيحة (والسوء)

العذاب (على الكافرين الذين تنوفاهم الملائكة) وبالبا حمزة وكذا ما بعده (طامى أنفسهم) بالكفر بالله (فالتوا)
السلم) أى الصلح والاستسلام أى اختبوا واخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) ومجدوا ووجدتهم
من الكفران والعداوة فردد عليهم أولو العلم وقالوا

(بلى ان الله علم بما كنتم تعملون) فهو يحجازكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك (١١٣) (فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبس

منوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل بكم قالوا خيرا) وانما نصب هذا ورفع أساطير لان التقدير هنا أنزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (الذين أحسنوا في هذه الدنيا) أى آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا اله الا الله (حسنة) بالرفع أى ثواب وأمن وغنيمته وهو بدل من خير احكامه بقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسمية خيرا ثم حكاه وهو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قسولهم من جملة احسانهم (ولدار الآخرة خير) أى لهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعلم دار المتقين) دار الآخرة فذوق المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خير ابتداء لمدح أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما شاءون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أى هكذا يكون جوارح المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لانه فى مقابلة طاهرين انفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام

يعنى شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى ان الله علم بما كنتم تعملون) يعنى فلا فائدة لكم فى انكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أى يقال لهم ادخلوا (ابواب جهنم خالدين فيها) يعنى مقبين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فلبس منوى المتكبرين) يعنى عن الايمان قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل بكم قالوا خيرا) وذلك ان أحباء العرب كانوا يعثون الى مكة أيام الموسم من ياتهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءه الوادئ سأل الذين كانوا يعقدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كما هو شاعر كذاب يخون واذا لم تلقه خيرا قالوا ذلك فيقول الوادئ أنا مشر وفدان رجعت الى قومي من دون ان أدخل مكة فالتقاءه فدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل بكم قالوا خيرا يعنى أنزل خيرا فان قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك انهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الأنزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزل ولا سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم يتبعوا وطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفاً معقولا للأنزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (الذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى الذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابهم احسنه مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبع مائة الى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده فى الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعنى ما لهم فى الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خيرا مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعلم دار المتقين) يعنى الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان أى أقام به (يدخلونها) يعنى تلك الجنات لا يدخلونها لانها لا يخرجون منها (تجربى من تحتها الانهار) يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومسكنهم (لهم فيها) يعنى فى الجنات (ما يشاؤون) يعنى ما تشتهى النفس وتلذذ العين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا (كذلك يجزى الله المتقين) أى هكذا يكون جوارح المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زكية أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمهرمات مع الاخلاق الحسنة والحاصل الحيدة والابادة من الاخلاق المذمومة والحاصل المكروهات القبيحة وقيل معناها ان أوقافهم تكون طيبة سهلة لانهم يشرون عند قبض أو واحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أو واحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعنى الملائكة لهم (سلام عليكم) يعنى تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتعدنى الله بفضله ورحمته أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبي هريرة قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله فى شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة قائم لا يثبت

بعمليكم (هل ينظرون)
 ما ينتظر هؤلاء الكفار
 (الأن تأتيتهم الملائكة)
 لقبض أرواحهم وبالبيع على
 وحمة (أوباني أمر ربك)
 أي العذاب المستأصل
 أو القيامة (كذلك)
 مثل ذلك الفعل من الشرك
 والتكذيب (فعل الذين
 من قبلهم وما ظلمهم الله)
 بتدبيرهم (ولكن كانوا
 أنفسهم يظلمون) حيث
 فعلوا ما استحقوا به التدمير
 (فأصابهم سيئات ما عملوا)
 جزاء سيئات أعمالهم
 (وحاق بهم ما كانوا به
 يستهزئون) وأحاط بهم
 جزاء استهزائهم (وقال
 الذين أشركوا لو شاء الله
 ما عبدنا من دونه من شيء
 نحن ولا آباؤنا) هذا كلام
 صدر منهم استهزاء ولو قالوه
 اعتقاد الكفار صوابا (ولا
 حرمنا من دونه من شيء)
 يعني الجيرة والسائبة
 ونحوهما) كذلك فعل
 الذين من قبلهم) أي كذبوا
 الرسل وحرموا الحلال وقالوا
 مثل قولهم استهزاء (فهل
 على الرسل إلا البلاغ المبين)
 الآن يبلغوا الحق ويطلعوا
 على بطلان الشرك وقبحه
 (ولقد بعثنا في كل أمة
 رسولا أن اعبدوا الله)
 بان وحدوه (واجتنبوا
 الطاغوت) الشيطان يعني
 طاعته (فمنهم من هدى
 الله) لاختيارهم الهدى
 (ومنهم من حقت عليه
 الضلالة) أي لزمته
 لاختياره أياها

بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا تثبت هذه الأشياء كلها ولا
 غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدينا
 والا خرة في سلطانه يفعل فيها ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلا
 منه وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافر من وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه
 فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته
 ويعذب الكافر من ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال
 ويوجبون الإصالح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المذيدة لنصوص الشرع وفي ظاهر
 هذا الحديث دلالة لاهل الحق لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة
 بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على أن الأعمال
 الصالحة تدخلها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الأعمال
 والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد
 الحديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده ^ع قوله تعالى
 (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله وحده وانبؤتك يا محمد (الأن تأتيتهم الملائكة) يعني لقبض
 أرواحهم (أوباني أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة
 (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبه إياهم (ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون) يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والأعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيئات
 ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) والمعنى
 ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) يعني ان
 مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء
 الله منا الإيمان لحصل جنت أولم تجئ ولو شاء الله منا الكفر لحصل جنت أولم تجئ وإذا كان كذلك فالكل من
 الله فلا فائدة في بعثة الرسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا ان الكل من الله فكأنت بعثة
 الرسل عبثا كان هذا الاعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في أحكام الله وفي أفعاله وهو باطل
 لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في أحكامه وأفعاله ولا يجوز لاحد
 أن يقول له لم فعات هذا ولم تفعل هذا أو كان في حكم الله وسنته في عبادته ارسال الرسل اليهم ليأمرهم بعبادة
 الله تعالى وينههم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه من هداية فهو المهتدي ومن أضله فهو الضال
 وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء
 إلى الإيمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل إلى الأمم الكافرة
 المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا أن كون
 الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا حرم استحقوا عليه الذم والوعيد وأما قوله تعالى
 (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله رضىها لنا لغير ذلك ولهدانا
 إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الأمم الماضية كانوا
 على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الأمم الخالية (فهل على الرسل إلا
 البلاغ المبين) يعني ليس اليهم هداية أحدنا عليهم تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا في كل
 أمة رسولا) يعني كما بعثنا فيكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولا (ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني ان
 الرسل كانوا يأمرهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم)
 يعني من الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداة الله إلى الإيمان به وتصديق رسوله (ومنهم من
 حقت عليه الضلالة) يعني ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر

(فسير وافي الارض فانظر وا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث اهلكهم الله واخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عماد قريش وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم واعلمه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح اليماء وكسر الدال كوفي الباقي بضم اليماء وفتح الدال والوجه فيه ان من يضل مبتدأ ولا يهدي (110) خبره (وما لهم من ناصرين) بمنعوتهم من

جران حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي اعد لهم (واقسموا بالله جهد ايمانهم) معطوف على وقال الذين اشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو اثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكدا لما دل عليه بلى لان يبعث موعدا من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حقا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان وعده حق وانهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضهير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا الشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) أي فهو يكون وبالترتيب شامخ وعلى جواب كن قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي اذا اردنا وجه وحدث فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة اليجاد يبين ان مراد الاجتماع عليه

والاضلال وفي هذه الآية ابين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فهدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق علمه (فسير وافي الارض فانظر وا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسير وافي الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما ل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك وتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصروتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله سبحانه وتعالى (ان تحرص على هدايتهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص بالجمد على هدى هؤلاء ايمانهم وتجهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح اليماء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل معناه لا يهتدي من اضله الله وقرئ بضم اليماء وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من العذاب (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاناهاه بتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لترعهم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله ان لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الآية قاله ابو العالية وتقر بالشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزائه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناه وعدهم فهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم) (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى يبعثهم بعد الموت لان لفظه بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان واوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية اهلون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حقا لا خلاف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلاف فيه (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا الشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيايتهم وبعثهم انما يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد لانه القادر الذي لا يعجزه شيء اراده (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يسمي ابن آدم وما ينبغي له ان يسمي ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذبه اياي فقله ليس بعدي كاذبني وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك اما تكذبه اياي فقله لئن بعدي كاذبني لئن لم يلد ولم يولد لم يكن له كفوا أحد اعادته واما شتمه اياي فقله اتخذ الله ولدا واما الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد لم يكن له كفوا أحد وقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) يعني اوزار وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهل احدثهم المشركون بمكة ففعلوا بعد نوبهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدون به ويحبسون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتره منهم أبو بكر الصديق واتممه واشترى معه ستة نفر آخرين واما صهيب فقال لهم اني رجل كبير انتم معكم فلن أنفعمكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فخر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيةهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا

وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المأمور المطاع المتمثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات (والذين هاجروا في الله) في حقه ولو جهه (من بعد ما ظلموا) هم رسول الله واصحابه طلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرة بين ومنهم من هاجر

آواهم أهلها ونصروهم
 (ولاجرا لآخرة أكبر)
 الوقف لازم عليه لان
 جواب (لو كانوا يعلمون)
 محذوف والضمير للكفار
 أى لو علموا ذلك لرغبوا فى
 الدين أو للمهاجرين أى
 لو كانوا يعلمون لزدادوا فى
 اجتهادهم وصبرهم (الذين
 صبروا) أى هم الذين
 صبروا وأوعى الذين صبروا
 وكلاهما مدح أى صبروا
 على مفارقة الوطن الذى
 هو حرم الله المحبوب فى كل
 قلب فكيف بقلوب قوم هو
 مستغفور وسهم وعلى المجاهدة
 وبذل الارواح فى سبيل الله
 (وعلى ربهم يتوكلون) أى
 يفوضون الامر الى ربهم
 ورضون بما أصابهم فى
 دين الله ولما قالت قریش
 الله أعظم من أن يكون
 رسوله بشر أنزل (وما
 أرسلنا من قبلك الا رجالا
 نوحى اليهم) على السنة
 الثلاثكة نوحى حذفت
 (فاستأوا أهل الذکر)
 أهل الكتاب ليعلموكم
 ان الله لم يبعث الى الامم
 السالفة الا بشرا وقيل
 للكتاب الذکر لانه موعظة
 وتنبية للغافلین (ان كنتم
 لاتعلمون بالبينات والزبر)
 أى بالمعجزات والكتب
 والباء يتعلق رجالا صفة
 أى رجالا ملتبسین بالبينات
 أو بارسلنا بعضهم ارساها

عنهم وقال فتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق
 طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وحمل لهم أنصارا من
 المؤمنين فآوهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على
 أن الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومن حديث الاعمال
 بالنبات وفيه من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرت الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
 أو امرأة ينسكها فهجرت الى ماهاجر اليه الحديث أخرجه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي وقوله
 تعالى (لنبوتهم فى الدنيا حسنة) يعنى لنبتوتهم تبوتة حسنة وهوانه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم
 دار هجرة والمعنى لنبتوتهم فى الدنيا دار احسنة أو بلدة حسنة وهى المدينة نقرى عن عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى
 الدنيا وما ادخلك فى الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناه ليحسن اليهم فى الدنيا بأن يفتح لهم
 مكة ويمكنهم من أهلها الذين طمؤهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق
 والمغرب وقيل المراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين (ولاجرا لآخرة أكبر) يعنى أعظم
 وأفضل وأشرف مما أعطاهم فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون
 ما لهم فى الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن آجرا لآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا
 فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعاون ما أعد الله لهم فى الآخرة لزدادوا فى الجهد والاجتهاد
 والصبر على ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعنى فى الله على ما نالهم من الأذى والمكروه فهو
 صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس والاموال فى سبيل الله (وعلى
 ربهم يتوكلون) يعنى فى أمورهم كما قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهم مبدء السلوك
 الى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من
 الخلق والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق
 بالكيفية والتوجه الى الحق تعالى بالكيفية فالأول هو مبدء السلوك الى الله تعالى والثانى هو آخر الطريق
 ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية تجوابا للمشركى مكة حيث أنكروا نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فها لا بعث ملكا يما فاجابهم الله
 عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يعنى مثل نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جار يتعم
 أول مبدء الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة متجارية قديمة (فاستأوا أهل الذکر)
 يعنى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا
 يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل
 وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا يدون يخبر وهم بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم
 بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لاتعلمون) الخطاب لاهل مكة يعنى ان كنتم باهؤلاء لاتعلمون
 ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا فى المعنى الجواب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر
 الا رجالا نوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذکر يعنى العلم فى قوله فاستأوا أهل الذکر يعنى أهل
 العلم والمعنى فاستأوا أهل الذکر الذى هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لاتعلمون أنتم ذلك والبينات والزبر
 اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات
 وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأترلنا
 اليك الذکر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وأترلنا عليك يا محمد الذکر الذى هو القرآن وانما
 سماه ذكرا لان فيه مواضع وتنبية للغافلین (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعنى ما أجل اليك من أحكام

قبل ثم أرسل الرسل فقيل بالبينات أى بيوحى أى نوحى اليهم بالبينات أو بلا تعلمون وقوله فاستأوا أهل الذکر اعتراض القرآن
 على الوجوه المتقدمة وقوله (وأترلنا اليك الذکر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فى الذکر ما أمر به ونهى عنه ووعده وابهوا وعدوا

القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك الجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبيناً والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلمهم يتفكرون) يعني فيما نزل اليهم فيعماوا به (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه حذف تقديره المكورات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذيتهن والمكورة عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد به ذا المكور اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكروهم على أنفسهم والصحيح أن المراد به هذا المكور السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات فرود من هو مثله والصحيح أن المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الأرض) يعني كما خسف بقرون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجأة كما هلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تقلبهم) يعني في تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في اقبالهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن يأخذهم في إيلامهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فأما هم يحجزون) يعني بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتبية التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخوته اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه ينقص من أطرافهم وفواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيجتمعه انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولاً بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل انه سبحانه وتعالى يخوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو باتات تحدث دفعية أو باتات تحدث قليلاً قليلاً ان يأتي الهلال على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤف رحيم) يعني انه سبحانه وتعالى لا يجعل بالعقوبة والعذاب قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالي لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الانفس الرؤية التي يكون معها نظر الى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تظفيو ظلاله) يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود في آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى فيء لانه من فاعليء اذا رجح من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال الأزهري تضيؤ الظلال رجوعها بعد ان تصاف النهار فالظفيو لا يكون بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالعداة وهو عالم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن اليمين والشمال) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوتبت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا زالت الشمس الى المغرب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فالقول النهار وأما الشمال فالقول النهار واتنا وحد اليمين وان كان المراد به الجمع لا يجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمال راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع (سجد الله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد العبد اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الجل والمعنى أن جميع الاشياء التي لها ظلال فهي متقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير متمتعة عليه فيما يختره من الظفيو وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل

(ولعلمهم يتفكرون) في تنبيهاته فينتبهوا (أفأمن الذين مكروا السيئات) أي المكورات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (ان يخسف الله بهم الأرض) كما فعل بمن تقدمهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي بغتة (أو يأخذهم في تقلبهم) متقلبين في مسابريهم ومتناحرهم (فأما هم يحجزون أو يأخذهم على تخوف) متخوفين وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يعلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما ارادته تعذيبكم ورحمته تخميك (أولم يروا) وبالتاء جزوعاً وأبو بكر (الى ما خلق الله) ماموصولة بخلق الله وهو مبهمة بيانه (من شيء يتضيؤ ظلاله) أي يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصرى (عن اليمين) أي الايمان (والشمال) جمع شمال (سجد الله) طام من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء

(وهو داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في طلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له نطق وجمع بالواو والنون لان
 الدخور من اوصاف العقلاء اولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها طلال متفتحة عن ايمانها
 وشماؤها أي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله تعالى غير متمتعة عليه فيما سخرها له من التفتيح والاجرام في انفسها اذ اخرة أيضا
 صاغرة منقادة لافعال الله فيها (118) غير متمتعة (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) من بيان لما في السموات وما

في الارض جميعا على أن في
 السموات خلقا يدون فيها
 كما تدب الاناس في الارض
 أو بيان لما في الارض وحده
 والمراد بما في السموات
 ملائكة كمنه وبقوله
 (والملائكة) ملائكة الارض
 من الحفظة وغيرهم قيل
 المراد بسجود المكلفين
 طاعتهم وعبادتهم وسجود
 غيرهم انقيادهم لارادة الله
 ومعنى الانقياد يجمعهما فلم
 يختلفا فلذا جاز أن يعبر
 عنهما بلفظ واحد وحي
 بما اذ هو صالح للعقلاء
 وغيرهم ولو جىء بمن
 لتناول العقلاء خاصة (وهم
 لا يستكبرون يخافون
 ربه) هو حال من الضمير
 في لا يستكبرون أي
 لا يستكبرون خائفين (من
 فوقهم) ان علاقته بخافون
 فعنه يخافونه أن يرسل
 عليهم عذابا من فوقهم وان
 علاقته برهيم حال منه فعناه
 يخافون ربهم غالباهم
 قاهرا كقوله وهو القاهر
 فوق عباده (ويفعلون
 ما يؤمرون) وفيه دليل
 على أن الملائكة مكلفون
 مدارون على الامر والنهي

شيء لله والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض
 فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل نطق كل شيء ساجد لله
 سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أو لا ويقال ان نطق الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهو داخرون) أي
 صاغرون اذلاء والداخرو الصاغر الذي يفعل ما امر به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء منقادة لامر الله
 تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما
 وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لمره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها
 بالواو والنون وهو جمع العقلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) قال
 العاماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود
 الظلال فقوله والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شيء بحسبه
 فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله
 ما في السموات وما في الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في العمد والحكم للاغلب كتغليب
 المذكر على المؤنث ولانه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء
 خاصة فأتى بلفظة ما يشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الديدب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة
 اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد
 الملائكة في قوله (والملائكة) لانهم اولوا أجنحة يطيرون بها أو أفردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في
 السموات لشرفهم وقيل أراد الله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة
 والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقته وسجود ما لا يعقل وسجود الجادات يدل على
 قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني
 الملائكة (يخافون ربه من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويفعلون
 ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن
 السماء وحق لها أن تثط ما فيها موضع أربع أصابع الا ملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم
 لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما لتذتم بالنساء على الفرش ولخرجن من الاصعدات تجارون الى الله تعالى
 قال أبو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد أشججه الترمذي وقال عن أبي ذر موقفا

* (فصل) * وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والسمتع أن يسجد عند قراءتها وسماعها
 قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية المنتقمة ان كل ما في
 السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه
 الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين
 توكيد لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين
 لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى (انما هو اله واحد) لان
 الهين لا يكونان الامتساويين في الوجود والقدم وصفات السكال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية
 وانهم بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فان قلت انما جمعوا بين العدد
 والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان فعدودان فهما
 دلالة على العدد فلا حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنتان قلت الاسم الحامل اعني الافراد والتثنية ذال على شيئين على الجنسية
 والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت
 انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن ونحيل أنك تثبت الالهية لا الالهية

(فاياى فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التسليم وهو من طرف ربيعة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبون وفاقارهبون يعقوب
(وله ما في السموات والارض وله الدين) أى الطاعة (واصبأ) واجبا نابا لتان كل نعمة (119) منه فاطاعة واجبة على كل منعم عليه

وهو حال عمل فيه الضرف
أروله الجزاء دائما يعنى
الثواب والعقاب (أفغير
الله تتقون وما بكم من
نعمة) وأى شئ اتصل
بكم من نعمة عافية وغنى
وخصب (فإن الله) فهو
من الله (ثم إذا مسكم الضر)
المرض والفقر والجذب
(فالبسه تجارون) فما
تضرعون الاليه والجوار
رفع الصوت بالدعاء
والاستغاثة (ثم إذا كشف
الضر عنكم إذا فرق منكم
برهم يشركون) الخطاب
فى وما بكم من نعمة أن كان
عاما فالمراد بالفرق الكفرة
وان كان الخطاب للمشركين
ف قوله منكم البيان لا
للتبعية ض كأنه قال فاذا
فرق كافرهم أنتم ويجوز
أن يكون فيهم من اعتبر
ك قوله فلما تنجاهم الى البر
فهم مقتصد (ليكفروا بما
آتيناهم) من نعمة
الكشف عنهم كأنهم
جعلوا غرضهم فى الشرك
كفران النعمة ثم أوعدهم
فقال (فتمتعوا فسوف
تعلمون) هو عدول الى
الخطاب على التهديد
(ويجعلون لما لا يعلمون
نصيبا مما رزقناهم) أى
لا لهمهم ومعنى لا يعلمون
انهم يسمعون آلهة
ويعتقدون فيها أنها تضر

للا الهية وذلك قوله تعالى انما هو اله واحد يعنى لا يجوز أن يكون فى الوجود الهان اثنان انما هو اله واحد
(فاياى فارهبون) يعنى تخافون والرهيب تخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى الحضور
وهو من طرف ربيعة الالتفات لانه أبلغ فى الترهيب من قوله فاياه فارهبون فهو من بديع الكلام وبلغه وقوله
فاياى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يهرب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه
(وله ما فى السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له فى الالهية
وجب أن يكون جميع الخلق عبيدا له وفى ملكه وتصرفه تحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما فى السموات
والارض يعنى عبيدا وملكها (وله الدين واصبا) يعنى وله العباداة والطاعة واخلص العمل دائما ثابتا
والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقناع ذلك لسبب فى حال الحياة أو بالموت
الا لخلق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة
دائمة أبدا (أفغير الله تتقون) يعنى انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له فى ملكه وعرفتم ان كل ما سواه
يحتاج اليه فبعد هذا المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استنفهام يعنى التمجى وقيل هو
استنفهام على طريق الانكار قوله عز وجل (وما بكم من نعمة فمن الله) يعنى من نعمة الاسلام وصحة
الابدان وسعة الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب
عليكم شكره على جميع انعامه وما بين فى الآية المقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى
بين فى هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكرها الاياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره
عليها (ثم إذا مسكم الضر) أى الشدة والامراض والاسقام (فالبسه تجارون) يعنى اليه تستغيثون
وتصيحون وتصيحون بالدعاء ليكشف عنكم ما تزل بكم من الضر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد
ومنه جوار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضرب فى بعض الاوقات فلا يلجأ الا
اليه ولا يدعى الاياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم إذا كشف الضر عنكم) يعنى
ثم إذا أزال الشدة والبلاء عنكم (إذا فرق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (برهم يشركون) يعنى انهم
يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذى كانوا
عليه وانما قسمهم فرقتين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا
بما آتيناهم) قيل ان هذه الام لا مكر ويكون المعنى على هذا انهم انما أشركوا بالله ليحسدوا نعمة عليهم
فى كشف الضر عنهم وقيل انها الام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا
عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا فى اللذة التى انتم فيها الى المدة
التي ضرب الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة أمركم الى ماذا تصيروا وهو نزول العذاب بكم قوله سبحانه
وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) قيل الضمير فى قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين يعنى ان المشركين
لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعنى ان الاصنام لا تعلم شيئا ابدا لانها جادوا ولا علم لهم ومنهم من رجع
القول الاول لان نفي العلم عن الحى حقيقة وعن الجاد جاز فكان عود الضمير الى المشركين اول ولانه قال لما
لا يعلمون فجمعهم بالواد والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجع القول الثانى قال لانا اذا قلنا انه عائد الى
المشركين احتجنا فيه الى اضممار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمون انه اله ولاه حق نصيبا
واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضممار لان العلم نها ولا فهم وقوله (مما رزقناهم) يعنى ان
المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حوزهم وانعامهم وأموالهم التى رزقهم الله وتقدم تفسيره فى سورة
الانعام (نأله) أقسم بنفسه على ناسه انه بسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون)
يعنى عما كنتم تكذبون فى الدنيا فى قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات

وتنفع وتشفع عند الله وايس كذلك لانها جاد لا تضر ولا تنفع أو الضمير فى لا يعلمون لالهة أى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تضر أجعلوا لها
نصيبا فى انعامهم ورزقهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (نأله لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) أنهم آلهة وانها أهل للتقرب

الها) ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكثيرة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبتها لولدا اليه أو تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز في ما (١٢٠) الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه

أى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدكم بالانثى نفل وجهه مسودا) أى صار فظا وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفي منهم من أجل سوء البشر به ومن أجل تعبيرهم ويحدث نفسه وينظر (أي مسك على هون) أي مسك ما بشر به على هون وذلك (أم يدسه في التراب) أم يدسه (الأساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكرهه الاناث ورأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والزهادة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز) الغالب في تنفيذ ما أراد (الحكيم) في امهال

من الغيبة الى الحضور وهو من يبيع الكلام وبلغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكثيرة قالوا الملائكة بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهم (سبحانه) تزه الله نفسه عن الولد البنات (ولهم ما يشتهون) يعني ويجعلون لانفسهم ما يشتهون يعني البنين (واذا بشر أحدكم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أو فرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر الحزن فصح قوله (واذا بشر أحدكم بالانثى) نفل وجهه مسودا) يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عن هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدكم بالبنات الا ان تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى فظية تكببت لهم وتوبخ ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وهو كظيم) يعني انه ظل ممتلئا غمًا وخزا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعني انه يخفى من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرئت ولادة ذرية لرجل من القوم الى ان يعلم ما ولد له فان كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهروا ان كانت انثى حزن ولم يظهر أيا ما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى (أي مسك على هون) يعني على هوان وانما ذكر الضمير في أي مسك لانه عائد الى ما بشر به في قوله (واذا بشر أحدكم) (أم يدسه في التراب) يعني أم يخفي ذلك الذي بشر به في التراب والدس اخفائه الشيء في الشيء قال أهل النفس يران مضر وخزاعة وتعيما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب في ذلك ما خوف الفقر وكثرة العيال لزوم النفقة أو الجنية فيخافون عليهم من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى أذهب بها الى أجمتها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فاذا بلغها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعتها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم (٢) الفرزدق اذا حس بشئ من ذلك وجهه بابل الى والد البنات حتى يحبسها بذلك فقال الفرزدق يفخر بذلك

وعنى الذى منع الوادات * فاحيا الوئيد فلم يواد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادئة والموؤدة في النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى (الأساء ما يحكمون) يعني بش ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذى خلقهم البنات وهم يستنكفون منهم ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألكم الذكروا الانثى تلك اذا قسمة ضيرى وقيل معناه الأساء ما يحكمون في وآد البنات (الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) بمعنى صفة السوء من احتياجهم الى الولد الذكروا كرهتهم الاناث وقتلن خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) أى الصفة العليا المقدسة وهى أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا اله الا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز) أى الممتنع في كبريائه وجلاله (الحكيم) يعنى في جميع أفعاله ﴿ قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم فبعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية اخرى فمن ظلم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسّمهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان في جنس الناس الانبياء والصلحاء ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم

العباد (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) تكفرهم ومعاصيهم قوله صعصعة كم كذا النسخ يابد بناو الصواب جد وكذا قوله وعنى الذى الصواب وحدى الذى كما هو مقرر في كتب الاديب اه مصحح عظيم

(ماترك عليهما) على الارض (من دابة) قفا ولاهلكها كلاهما بشؤم ظلم الظالمين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الحباري النوفتي وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعليل يهلك في حجره بذب ابن آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشركا بذب (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فأدبهم ساعة ولا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويحجلون لله ما يكرهون) ما يكرهونه لا ففسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف (١٢١) برسلمهم ويجعلون له أزدل أموالمهم

ولا صنماهم - أكرمها
(وتصف ألسنتهم الكذب)
مع ذلك أى ويقولون
الكذب (أن لهم الحسنى)
عند الله وهى الجنة ان
كان البعث حقا كقوله
ولئن رجعت الى ربي انى
عنده للحسنى وأن لهم
الحسنى بدل من الكذب
(لاجرم أن لهم النار وانهم
مفرطون) مفرطون نافع
مفرطون أبو جعفر فافتوح
بمعنى مقدمون الى النار
مجلون اليها من أفرطت
فلانا وفرطته فى طلب الماء
اذا قدمته أو منسبون
متركون من أفرطت فلانا
خلق اذا خلقته ونسبته
والمكسور والخفف من
الافراط فى المعاصى والمشدد
من التقرب بطى الطاعات
أى التقصير فيها (ناله لقد
أرسلنا الى أمم من قبلك)
أى أرسلنا رسلا الى من
تقدمك من الامم (فزين
لهم الشيطان أعمالهم)
من الكفر والتكذيب
بالرسل (فهو وليهم) اليوم
أى قريتهم فى الدنيا وتولى
اضلالهم بالغرور والضمير
لمشركى قريش أى زين
للكفار قلوبهم أعمالهم فهو
ولى هؤلاء لانهم منهم أو هو

عظيم وقوله (ماترك عليهما) يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الاعلى الارض (من دابة) يعنى أن الله سبحانه وتعالى لو يؤخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض قال قتادة وقد فعل الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الامن كان فى السفينة مع نوح عليه السلام وروى ان أباهريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال بس ما قلت ان الحباري تموت هز الا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعليل تعذب فى حجره بذب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل فى معنى الآية ولو يؤخذ الله الاباء الظالمين بسبب ظلمهم لا يقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق فى الارض أحد (ولكن يؤخرهم) يعنى مهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى أجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمالهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذى جعله الله لهم ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولو كان يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى لانفسهم وهى البنات (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعنى ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم واقتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمدا صادقا فى البعث بعد الموت فان لنا الجنة لان على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعنى فى الآخرة لا الجنة (وانهم مفرطون) قري بكسر الراء مع التخفيف يعنى مسرفون وقري بكسر الراء مع التشديد يعنى مضيعون لاص الله وقرائة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أى منسبون فى النار قاله ابن عباس وقال عبد بن جبير ومقاتل متركون وقال قتادة مجبلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض أى متقدمكم (ناله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك) يعنى كما أرسلناك الى هذه الامة لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسولهم التكذيب فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعنى أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزىن فى الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آلة البقاء الوسوسة فى قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدى أحدا وانما له الوسوسة فقط فن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم) أى ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه مناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) يعنى فى أمر الدين والاحكام فتمين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحوال من الحرام (وهدى ورجة) يعنى وما أنزلنا عليك الكتاب الا ليانا وهدى ورجة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفقون به قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعنى المطر (فاحياه) يعنى بالماء (الارض) يعنى بالنبات والزرورع (بعدهم وتها) يعنى يسها وجدوتها (ان فى ذلك لآية) يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعنى سماع انصاف وتدبر وتفكير لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فن سماع آيات الله أى القرآن قلبه وتدبرها وتفكيرها فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه ينتفع بالآيات (وان لكم

(١٦ - (خازن) - نالت) على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (ولهم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) هو البعث لانه كان فيهم من يؤمن به (وهدى ورجة) معطوفان على محمل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما مفعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل الخطاب لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون) والله أنزل من السماء ماء فأدبهم الارض بعد موتهم ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وان لكم

في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه) وبفتح النون نافع وشامى وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واخذت كرسبيويه الانعام في الامماء
الطردة الواردة على افعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونهم في سورة المؤمنین فلان معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة
فقال نسقيكم مما في بطونه (من بين 122) فرب ودم لبنناخالصا) أي يخاق الله اللبن وسبيطابين الفرب والدم يكتبه فانه وبينه وبينهما

في الانعام لعبرة) يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما في بطونه) الضمير عائدا الى
الانعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلاف التحولون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة
الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكور وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره
ضمير الجمع وهو مؤنث فلهاذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنین مما في بطونها وهذا قول أبي
عبيدة والاحفص وقال الكسائي انه رده الى ما ذكره يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكتابة مردودة
الى البعض وقيل ضميرها كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمير اللبن اذ ليس لسكهاه اللبن (من بين فرب)
وهو مما في الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرنا (ودم لبنناخالصا) يعني من الدم والفرب ليس عليه
لون الدم ولا رائحة الفرب قال ابن عباس اذا سكت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله فرنا
وأوسطه لبناوأعلاه دما قال الكبد مسالطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن
في الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعني هنيئا سهلا يجري في الحلق بسهولة قيل انه لم يقص
أحد باللبن قطه ذاقوا للمفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام نقر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك
فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح
ذبيحتها ولها وما رأى أحد في كرشها دما ولا لبنا بل الحلق أن الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى
معده ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه
صافيا تجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما
وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فاما الصفراء فتذهب الى المرارة
وأما السوداء فتذهب الى الطحال وأما المائية فتذهب الى الكبد ومنها الى المثانة وأما الدم فيذهب في الاوردة
وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة
فيمنصب الدم من تلك العروق الى الضرع والحجم غددي رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند
انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الأبيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن
انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الاشياء المائية كقوله الخالص في
الكرش فاللبن تولد اولاً من الفرب ثم من الدم ثانياً ثم صفاه الله سبحانه وتعالى بقدرته فعمله لبنناخالص من بين
فرب ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل بالطيف حكمته في حلة الشدي ثقباصغاراً ومسام
ضيقة فيجعلها كالصفاء للين فكل ما كان لطيفاً من اللبن يخرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفاً احتبس
في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعني من شوائب كدورة الدم والفرب سائغا للشاربين يعني جار ياتي حلو قههم
سهلا لذبا هنيئاً مريئاً قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعني ولكم ابطاءه فيما نسقيكم
وزركم من ثمرات النخيل والاعناب (تتخذون منه) الضمير في منه يرجع الى ما تقدم به ولكم من ثمرات
النخيل والاعناب ما تتخذون منه (سكراورزق احسننا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وبرايم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرًا وسكرا
والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان
قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الانعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن
هذا ان هذه السورة مكية وتحرىم الخمر انما نزل في سورة المائدة وهي مدينة فكان قول هذه الآية في الوقت

يزرع لا ينبغي أحدهما عليه
بلون ولا طعم ولا رائحة قبل
هو خالص من ذلك كله قبل
اذا أكلت البهيمة العلف
فاستقر في كرشها وطبخته
فكان أسفله فرنا وأوسطه
لبناً وأعلاه دما والكبد
مسالطة على هذه الاصناف
الثلاثة تقسمها فنجري
الدم في العروق واللبن في
الضروع ويبقى الفرب في
الكرش ثم يتخذ في ذلك
عبرة ان اعتبروا مثل شقيق
عن الاخلاص فقال تميز
العسل من العيوب كتميز
اللبن من بين فرب ودم
(سائغا للشاربين) سهل
الرزق في الحلق ويقال لم
يقص أحد باللبن قط ومن
الاولى للتبعيض لان اللبن
بعض ما في بطونها والثانية
لابتداء الغاية ويتعلق
(ومن ثمرات النخيل
والاعناب) بمحذوف
تقدمه ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب أي من
عصيرهما وحذف دلالة
نسقيكم قبله عليه وقوله
(تتخذون منه سكرا) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء
أو تتخذون ومنه من تكرير
الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع الى المضاف

المحذوف الذي هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرًا وسكراورزق احسننا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير
أحد هذان الآية سابقة على تحرير الخمر فتكون منسوخة وانها ما أن يجمع بين العناب والمثاقيل السكر النيمذ وهو عصير العناب والزبيب
والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف وجهه ما الله الى حد السكر ويحتاجان بهذه الآية بقوله
عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب ياخذ حمة (ورزق احسننا) هو الخل والزبيب والتمر والزبيب وغير ذلك

الذي كانت الخمرة فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينهما وبين
الرزق الحسن في الذكرو فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن
عباس ان السكر هو الخمر بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد
والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والخمجي ومن يبيع شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية
الاخبار لا الاحلال وأولى الاقوال ان قوله تتخذون منه سكر امنسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال
السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حله قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكر اور وقال الحسن بن علي بن فضال لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة ترى ان هذه
الآية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله تبارك وتعالى حرمها بالدينة فكذلك على هذه الآية انها منسوخة
وقال أبو عبيدة في معنى الآية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من
قولهم سكرت انهر أي سد دنته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة ان السكر الطعم
(ان في ذلك) يعني الذي ذكر من انعامه على عباده (لا آية) بمعنى دلالة واضحة (لقوم يعقلون) يعني
ان من كان عاقلا استدلل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووحدايته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشياء
خالقا ومديرا قادر على ما يريد **قوله** سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النخل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى
دلائل قدرته وبجانب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين قرن ودم واخراج السكر والرزق
الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة
وهي الخلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النخل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد
من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرة الله ووحدايته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها
باطراف حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة السر يعقود ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض
وقد يكون بغيره ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى انبيائه ووحى الى اوليائه الهام وتسخير الطير
لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النخل يعني انه سخرها لما خلقها له وألهما رشدها وقدر في
انفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقل من البشر وذلك ان النخل تبنى بيوتها على شكل مسدس
من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير
ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل وما حصل المقصود فألهما الله سبحانه وتعالى أن تبنىها على هذا
الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة ضالفة ضائعة وألهما الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا
كبيرا نافذا الحكم فيها وهي تطيعه وتمثل أمره ويكون هذا الامير أكبرها حجة وأعظمها خلقا ويسمى
بعسوب النخل يعني ملكها كذا حكاه الجوهري وألهما الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل
خليفة بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهما الله سبحانه وتعالى أيضا ان يخرج من بيوتها قردور
وتربى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على
مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهى فمكنا ذلك شبيهها بالوحى فلذلك قال تبارك وتعالى
وأوحى ربك الى النخل والنخل زنبور والعسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمى هذا الحيوان
نخل لان الله سبحانه وتعالى نخل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني أعطاهم وقال غيره النخل يذكر
ويؤثت وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا أنثها الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتها من الشجر وبما
يعرشون) يعني بينون ويسقفون وذلك ان النخل منه وحشى وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوى الى
الكهوف ومنه أهلى وهو الذي يأوى الى البيوت ويريه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس بينون
للنخل الاما كن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أراد بالذي يعرشون الكروم (ثم كل من كل الثمرات) يعني
من بعض الثمرات لانها لا تأكل كل من جميع الثمار فلفظة كل ههنا ليست لاعموم (فأسلكى سبل ربك) يعني
الطرق التي ألهمك الله أن تسلكها وتدخل فيها لاجل طلب الثمرات (ذلال) قيل انها تعت للسبل يعني انها

(ان في ذلك لا آية لقوم
يعقلون) وأوحى ربك الى
النخل) وألهم (أن اتخذى
من الجبال بيوتها) هي أن
المفسرة لان الايجاء فيه
معنى القول قال الزجاج
واحد النخل نخلة كقنبل
ونخلة والتأنيب باعتبار
هذا ومن في من الجبال
(ومن الشجر وبما يعرشون)
يرفون من سقوف البيت
أو ما بينون للنخل في
الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التي تعسل
فيها للتبعيض لانها لا تبنى
بيوتها في كل جبل وكل
شجر وكل ما يعرش والضمير
في يعرشون للناس وضم
الراء شامى وأبو بكر (ثم
كل من كل الثمرات) أي
ابنى البيوت ثم كل من كل ثمرة
تشبهها فاذا أكلتها (فأسلكى
سبل ربك) فادخل الطرق
التي ألهمك وأنهمك في
عمل العسل أو اذا أكلت
الثمار في المواضع البعيدة
من بيوتك فأسلكى الى
بيوتك راجعة سبل ربك
لا تضل فيها (ذلال) جمع
ذلول وهي حال من السبل
لان الله تعالى ذللها وسهلها
أومن الضمير في فأسلكى
أى وأنت ذلل منقادا لما
أمرت به غير ممنعة

(يخرج من بطونهم شراب)
 يريد العسل لانه مما يشرب
 تلقبه من فيها (مختلف
 ألوانه) منه أبيض وأصفر
 وأحمر من الشباب
 والكهول والشيب أوعلى
 ألوان أغذيتها (فيه شفاء
 للناس) لانه من جملة
 الادوية النافعة وقل معجون
 من المباحين لم يذكر الاطباء
 فيه العسل وليس الغرض
 انه شفاء لكل مريض كما
 ان كل دواء كذلك وتكبيره
 لتعظيم الشفاء لذي فيه
 أولان فيه بعض الشفاء
 لان التكررة في الالباب تخص
 وشكارجل استطلاق طن
 أخيه فقال عليه السلام
 اسقه عسلا فقام وقال زاده
 ثم ا فقال عليه السلام
 صدق الله وكذب بطن
 أخيك اسقه عسلا فسقاه
 فصع وعن ابن مسعود رضى
 الله عنه العسل شفاء من
 كل داء والقرآن شفاء لما
 في الصدور فعليكم بالشفاء من
 القرآن ولعسل ومن بدع
 الروافض ان المراد بالخل
 على وقومه وعن بعضهم ان
 رجلا قال عند المهدي انما
 الخلل بفرهاشم يخرج من
 بطونهم العلم فقال له رجل
 جعل الله طعاما لشرابك
 مما يخرج من بطونهم
 فضحك المهدي وحدث به
 المنصور فاحتذوه وأضحوا

مدللة لانا اطرق مسهولة لك مسالكها قال مجاهد لا يتورع عليها مكان تساهل وقيل الذلل نعت للخل يعني
 انها مدللة مسخرة لار بابها طيبة منقاة لهم حتى انهم يتناولونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤوا وأرادوا
 تستعصى عليهم (يخرج من بطونهم شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) يعني ما بين أبيض وأحمر وأصفر
 وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونهم اسلا بقدرة الله
 تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام خنر الدين الرازي انه رأى في بعض كتب الطب
 أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فتجمعه الخلل فتأكل بعضه
 وتدخر بعضه في بطنها لانفسها تتغذى به فاذا اجتمع في بيوتهم من تلك الاجزاء الطيبة شئ كثير فذلك هو
 العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فاننا شاهدان
 الخلل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونهم بأن كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا
 فقوله يخرج من بطونهم يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا شاهدان به يوجد في طعم العسل
 طعم تلك الازهار التي تأكلها الخلل وكذلك يوجد بطونهم ويحيا وطعمها فيه أيضا بعضه ذلك قول بعض
 أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الریح التي أجد منك قال سقتني حفصة
 شربة عسل قالت حسرت نحلته العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كبريه الرائحة فغني حسرت
 نحلته العرفط أكلت ودعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر
 من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل لونه ويرى بجمه طعم ما يأكله الخلل ولونه ويرى بجمه لاما قاله الاطباء من
 انه طل لانه لو كان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة
 الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس
 في الدرجة الثانية بينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن
 اذا أطلق لم يرده الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم ﴿﴾ وقوله تعالى (فيه) يعني في
 الشراب الذي يخرج من بطون الخلل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا ضمير في قوله
 فيه شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مريض أو على
 الخوص بمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مريض قال ابن مسعود
 العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن
 والعسل وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شئ الا لطح الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من
 بطونهم شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال ان أحمى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال انى سقيته
 عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا
 استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض
 الحديثين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء يجمعون على ان العسل سهل فكيف
 يوصف ابنه الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الخجل الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من
 أنواع كثيرة منها الخحم والهيفاض وقد اجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعالها
 فان احتاجت الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فما حبسها فضرعندهم واستعمال
 مرض فيحتمل أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة وقد واره بترك
 اسهاله على ما هو عليه أو تقويته فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا
 الى ان فئت المادة فوق الاسهال ويكون الخلل الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان
 أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لهما ولنا
 نقصد الاستظهار لتدقيق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوا بكذبناهم وكفراهم بذلك وانما ذكرنا هذا

الجواب الجارى على صناعة الطب دفع هذا المعترض بأنه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بالوحي الالهى ان
العسل الذى أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعنى فيما
وعده به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعنى باستحسانك للشفاء في أول مرة والله أعلم بمراده واسرار رسوله
صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفر او يجمع الحرارة ويضر
بالشباب المحرورين ويغش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس مع انه يضر
باصحاب الصفر او يجمع الحرارة انه خرج مخترج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس
لكل داء ولكنه في الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقيل معجون من المعاجين الاوتمام به والاشربة
المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنفعة كثيرة جدا والقول الثانى انه شفاء
للاوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدى وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعنى القرآن لانه شفاء من
أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول أصح لان الضمير يجب ان يعود
الى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى ان يرجع الضمير
اليه لانه أقرب مذكور وقوله سبحانه وتعالى (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعنى فيعتبرون ويستدلون
بما ذكرنا على وحدانيةنا وقدرتنا وقوله عز وجل (والله خلقكم) يعنى أوجدكم من العدم وأخرجكم
الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) يعنى عند انقضاء آجالكم اما صبيا نا واما شبانا واما كهولا (ومنكم
من بردالى أرذل العمر) يعنى أرذاه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب
أولها من النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد
ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة
الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في التقص لكنه يكون
نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والنحاط من الستين الى آخر العمر وفيها يتبين النقص
ويكون الهرم والخرف وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة
وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من
الجز والسكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات وفي رواية
أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به هذه الدعوات اللهم انى أعوذ بك من الخجل والسكسل
وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الحيا والمات وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعنى ان الانسان
يرجع الى حالة الطفولية بتسديد ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لى يصير كالصبي الذى لا عقل له
وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئا لشدته ربه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى
يذهب عقله خوفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليرىكم الله من قدرته أنه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر
على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولاً عنه ولو قال ليرىكم الله من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم الى
الجهل انه قادر على احياائه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس
ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من
قرأ القرآن لم بردالى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم
الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال
تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى (ان الله عليم) يعنى بما صنع بأوليائه وأعدائه (قد ير)
يعنى على ما يريد وقوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعنى ان الله سبحانه وتعالى بسط على
واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لولا احد وقل على آخر وكذا فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل
بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم

من أصحابكم (ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون) في
عجيب أمرها في علمون ان
الله أودعها علما بذلك
وظننا كما أعطى أولي العقول
عقولهم (والله خلقكم ثم
يتوفاكم) بقبض أرواحكم
من أبدانكم (ومنكم من
يردالى أرذل العمر) الى
أنخسه وأحقره وهو خمس
وسبعون سنة أو ثمانون أو
تسعون (لكيلا يعلم بعد
علم شيئا) لينسى ما يعلم أو
لئلا يعلم زيادة علم على علمه
(ان الله عليم) بحكم التحويل
الى الارذل من الاكمل أو
الى الافناء من الاحياء
(قد ير) على تبدل ما يشاء
كإيشاء من الاشياء (والله
فضل بعضكم على بعض
في الرزق) أى جمعكم
منفاوتين في الرزق فرزقكم
أفضل مما رزق مما ليكم
وهم بشر مثلكم

(فما الذين فضلو) في الرزق يعني المالك (برادى) يعطى (رزقهم على مملكت أيمانهم) فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه وعلمهم حتى
تساووا في الملك والمطعم (فهم فيه سواء) جملة ائمة وقعت في موضع جملة فعليه في موضع النصب لانه جواب النفي بالفاء وتقديره في الذين
فضلوا برادى رزقهم على مملكت أيمانهم فيستووا مع عبدهم في الرزق وهو مثل ضرب به الله الذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لاتسوون
بينكم وبين عبدهم كما انعمت به (١٢٦) عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبدي لى شركاء

(أفبعمه الله سبحانه)
وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك
من جملة تجود النعمة والله
جعل لكم من أنفسكم
أزواجا) اي من جنسكم
(وجعل لكم من أزواجكم
بنين وحفدة) جمع حافد
وهو الذي يحفد أى يسرع
في الطاعة والخدمة ومنه
قول القانت والبن نسي
وتحفد واختلف فيه فقيل
هم الاختان على البنات
وقيل اولاد الاولاد والمعنى
وجعل لكم حفدة أى خدام
يحفدون في مصالحكم
ويعينونكم (ورزقكم من
الطيبات) أى بعضها لان
أكل الطيبات في الجنة
وطيبات الدنيا التخرج منها
(أفبالباطل يؤمنون) هو
ما يعتقدونه من منفعة
الاصنام وشفاعتها
(وبنعمت الله) أى الاسلام
(هم يكفرون) أو الباطل
الشیطان والنعمة محمد صلى
الله عليه وسلم أو الباطل
ما يسؤل لهم الشيطان من
تحريم البحيرة والسائبة
وغيرهما ونعمة الله ما
أحل لهم (ويعبدون من
دون الله ما لا يملك لهم رزقا

متفاوتون ومتباينون في ذلك كما وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فما الذين فضلو
برادى رزقهم على مملكت أيمانهم) يعنى من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبدهم يقول الله سبحانه وتعالى
هم لا يرضون ان يكونوا هم ومالكهم فيماررقتهم سواء وقد جعلوا عبدي شركائى فى ملكى وسلطانى يلزم
به هذه الجملة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضرب به الله عز وجل يقول هل منكم
أحد يرضى ان يشركه بما هو له فى جميع ما له فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل فى معنى الآية ان الموالى
والمماليك الله رزقهم جميعا (فهم فيه) يعنى فى رزقهم (سواء) فلا تحسبن ان الموالى يردون رزقهم على ممالكهم
من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أحراه على أيدي الموالى له ماليك والمقصود منسبه بيان ان الرزق هو الله
سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان الموالى والمماليك فى الرزق سواء وان المالك لا يرزق المالك بل الرزق
للمالك والمالك هو الله سبحانه وتعالى ﴿ وقوله (أفبعمه الله سبحانه) فيه انكار على المشركين حيث
يحمدونانعمة الله وعبدا غيره ﴿ قوله عز وجل (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعنى النساء خلق من آدم
حواء وزوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام بعم الكل فتحصيه بآدم وحواء خلاف
الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافد وهو المسرع فى الخدمة المسارع الى الطاعة
ومنه قوله فى الدعاء والبن نسي وتحفد أى تسرع الى طاعتك فهذا أصله فى اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين
فيهم فقال ابن مسعود والتخى الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا انهم أصهاره فهو
بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية (وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيجعل
لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة قال الضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من
أعانك فقد حفدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهمة الذين يعينون
ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل
على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفى رواية أخرى عنهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه
الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله
سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغابرة (ورزقكم من الطيبات) يعنى النعم التى أنعم بها عليكم من
أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) يعنى
بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل بمعناه يصدقون ان لى شريكا وصاحبة وولد او هذا استفهام انكار أى
ليس لهم ذلك (وبنعمت الله هم يكفرون) يعنى انهم يضيئون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل بمعناه انهم
يحجدون ما أحل الله لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض) يعنى الاصنام
التي لا تقدر على انزال المطر الذي فى السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي فى الارض معدنه
(شياء) يعنى لا يملك من الرزق شياء قليلا ولا كثيرا وقيل بمعناه يعبدون ما لا يرزق شياء (ولا يستطيعون) يعنى ولا
يقدرون على شئ يذك كرمح الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضرر (فلا تضر بوا الله الامثال) يعنى لا تشبهوا الله
بخلقها فانه لا مثل له ولا شبهة ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبده وفى ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق
أو الرزق بالمرزوق والقادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعنى ما أنعم عليه من ضرب الامثاله (وانتم لاتعلمون)

من السموات والارض شياء) أى الصنم وهو جاد لا يملك ان يرزق شياء فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان أردت
المصدر نصبت به شياء أى لا يملك ان يرزق شياء وان أردت المرزوق كان شياء بلا منه أى قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أى
لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفاة ان كان اسما لما يرزق والضمير فى (ولا يستطيعون) لانه فى معنى الالهة بعد ما قال
لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون لرزق ولا يكتمهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضر بوا الله الامثال) فلا تجعلوا الله مثلا لاهل
قلائعوا له شركاء (ان الله يعلم) انه لا مثل له من الخلق (وانتم لاتعلمون) ذلك وان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لاتعلمون ذلك والوجه

الأول ثم ضرب المثل فقال (ضرب الله: لأعبدا) هو بدل من مثلاً (مما لو كالا يقدر على شيء) (١٢٧) ومن رزقناه مناراً فاحسنناه وينفق

منه سرا وجهراً) مصدران
في موضع الحال أي مثلكم
في أشرا ككم بالله الاوتان
مثل من سوى بين عبد
مملوك عاجز عن التصرف
وبين حر مالك قدر رزقه الله
ملا فاهو يتصرف فيه
وينطق منه ماشاء وقيل
بالمملوك ليميزه من الحر
لان اسم العبد يقع عليهما
جميعا ذه من عبادة الله
وبلا يقدر على شيء ليميز من
المكاتب والمأذون فهما
يقدران على التصرف
ومن موصوفة أي وحر
رزقناه ليطابق عبداً أو
موصولة (هل يسترون)
جمع الضمير لارادة الجمع
أي لا يستوي القبيلان
(الجد لله بل أكثرهم
لا يعلمون) بان الجد والعبادة
لله ثم زاد في البيان فقال
(وضرب الله مثلاً رجلين
أحدهما أبكم لا يقدر على
شيء) الابكم الذي ولد أحمس
فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل
على مولاه) أي نقل وعيال
عسى من يلى أمره ويعوله
(أي بما يوجهه لايات بخير)
حيثما يرسله ويصرفه في
مطلب حاجة أو كفاية فهم
لم ينفعه ولم يأت بخير (هل
يستوي هو ومن يأمر بالعدل)
أي ومن هو سليم الخواص
نفاع ذوكفايات مع رشده
وديانة فهو يأمر الناس
بالعدل والخير (وهو) في
نفسه (على صراط مستقيم)

خطأ ما تضر بون له من الامثال ﴿ قوله تعالى (ضرب الله مثلاً عبداً مملاً كالا يقدر على شيء ومن رزقناه مناراً فاحسنناه) لما نهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقوله عليهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه
مثلاً فقال تعالى مثلكم في أشرا ككم بالله الاوتان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين
حر حر مالك قادر قدر رزقه الله ملا فاهو يتصرف فيه وينطق منه كيف يشاء فصريح العقل يشهد بانه
لا تجوز التسوية بينهم في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهم في الخلقة والصورة
البشرية فكيف يجوز للعامل أن يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام
التي لا تملك ولا تقدر على شيء ألبتة وقيل هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي
لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما كان محروماً من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز
الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله ملا فلم يقدم فيه خيراً صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً والمراد
بقوله ومن رزقناه مناراً فاحسنناه المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير
صار كالحرم المالك الذي ينفق سرا وجهراً في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو
ينفق منه سرا وجهراً) فانه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبداً مملاً كالا يقدر على شيء وكل عبده مملوك
وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعاً
لانهم من عبادة الله وقوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك والمأذون في التصرف لانهم
يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئاً (هل يسترون) ولم يقل هل
يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كالا يستوي هذا الفقير البخل والغني السخي كذلك
لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن الطائع وقال عطاف في قوله عبداً مملاً كاهو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه
مناراً فاحسنناه أبو بكر الصديق ﴿ ثم قال تعالى (الجد لله) حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد
لانه النعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التي عبدها هؤلاء فانها لا تستحق
الجد لانهم اجاد عاجزة لا يدلها على أحد ولا معروف فتحمد عليه انما الجد الكامل لله لا غيره فيجب على
جميع العباد حمد الله لانه أهل الجد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني أن الجد
لله لانه الاصنام (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أحمس فكل أبكم أحمس وليس كل
أحمس أبكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو
كل على مولاه) أي تقبل على من يلى أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين
اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه
فقوله وهو كل على مولاه أي غليظ ثقيل على مولاه (أي بما يوجهه) أي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة
أو كفاية مهم (لا يأت بخير) يعني لا يأت بخير لانه أحمس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوي) يعني من هذه
صفتة (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم الخواص نفاع
ذوكفايات نورشده وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة
صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالماً قادراً مستقيماً في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل
وهذا مثل ثاب ضرب به الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ونيماه به من آثار رحمته وأطافه وللانصنام
التي هي أموات جساد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على علمهم لانهم يحتاج الى كفاية
الجل والنقل والخدمه وقيل كالا المثلي للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط
مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فلي هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن
وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم
والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام
وذلك المولى يأمر عثمان بالامسالك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأت بخير وقيل المراد بالابكم
على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثاب ضرب به لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونيماه وللانصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع

على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثاب ضرب به لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونيماه وللانصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع

(ولله غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخلق عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها أو سرعة قيامها (الا كلح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لأنه لا يعرف (١٢٨) زمان أقل منه (أوهو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب ولكن المعنى كونها

في كونها اعلى هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما جزء والهاء مزيدة في أمهات لتوكيد كما زيدت في أرافة ذيل اوراق وشدتز يادتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير عالين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافتدة لعلكم تشكرون) أي وماركب فكم هذه الاشياء الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافتدة في فؤاد كالغربة في غراب وهو من جوع الفلة التي جرت بجري جوع الكثرة لعدم السماع في غيرها (أم يروا) وبالتاء شامى وجزء (الى الطير مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجتهاد والاسباب المراتبة لذلك (في جو

الذي لا يأتي بخير أي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل جزرة وعثمان بن عفان وعثمان بن مغلقون (ولله غيب السموات والارض) أخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا تخفي عليه خافية ولا تخفي عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب (الا كلح البصر) يعني في السرعة ولح البصر هو انطباق جفن العين وفتحها وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني ان لح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لح البصر وهو قوله (ان الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه سبحانه وتعالى مهما أراد شيئا كان أسرع مما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في أقرب من لح البصر ولكنه سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بهم متى شاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) تم الكلام هنا لان الانسان خلق في أول الفطرة ومبسطه احوالها عن العلم والمعرفة لا يمتد سبيلا ثم ابتدأ فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافتدة) يعني ان الله سبحانه وتعالى انما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها بحجاب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الاشياء التي جعلها لائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا وما اعطاكم الله وتبصروا ما أنعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون أمهاتكم الى ان صرتم رجالا وتقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية وانه خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصورتكم ثم أخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما ساعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها أو قول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (أم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جو السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشرا ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسكنهن الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بما اعلى ان لها مسخر اسخرها ومذللاذللها ومسكها مسكها في حال طيرانها وقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما لخص المؤمن بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم وقوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والندر (سكنا) يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الفأ وبيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والاشبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجر والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة

السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمات العلو (ما يسكنهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته من وفيه نفي لما صوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قباب الادم

(تستخفونها) ثم منها خفيفة الحمل في الضرب والنقض والنقل (يوم طعنكم) يسكون العين كوفي وشامى ويقع العين غيرهم والظعن يقع
العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة (١٢٩) عليكم في اوقات السفر والحضر على ان

اليوم بمعنى الوقت (ومن
اصوافها) أى اصواف
الضأن (وأوبارها) وأوبار
الابل (وأشعارها)
وأشعار المعز (أمانا)
متاع البيت (ومتاعا)
وشياً ينتفع به (الى حين)
مدة من الزمان (والله
جعل لكم مما خلق ظلالا)
كلا شجار والسقوف
(وجعل لكم من الجبال
أكنانا) جمع كن وهو ما
ستر من كهف أو غار
(وجعل لكم سراييل)
هى القمصان والنياب من
الصوف والكتان والقطن
(تقيمكم الحر) وهى تقى
البرد أيضاً لانه اكتفى
بأحد الضدين ولان الوقاية
من الحر أهم عندهم
لكون البرد يسراحتملا
(وسراييل تقيمكم بأسكم)
ودروعا من الحديد ترد عنكم
سلاح عدوكم فى قتالكم
واللباس شدة الحرب
والسرايل عام يقع على
ما كان من حديد أو غيره
(كذلك يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون) أى
تنظرون فى نعمته الفاتحة
فتؤمنون به وتنقادون له
(فان تولوا) أعرضوا عن
الاسلام (فإنما عليك البلاغ
المبين) أى فلا تبعه عليك
فى ذلك لان الذى عليك
هو التبليغ الظاهر وقد

من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعنى يخف عليكم جملها (يوم طعنكم) يعنى فى يوم
سيركم ورحيلكم فى أسفاركم ووطن البادية هو طلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعنى وتخف
عليكم أيضاً فى اقامتكم وحضركم والمعنى لا تتقبل عليكم فى الحالتين (ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها)
السكاية عائدة الى الانعام يعنى ومن اصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أمانا) يعنى تتخذون أمانا
الانث متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثرت تكاتف وقيل للمال انث اذا كثرت قال ابن عباس أمانا
يعنى مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الانث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الانث
هو متاع البيت من الفرس والاكسية ونحو ذلك (ومتاعا) يعنى وبلاغا وهو ما يتمتعون به (الى حين) يعنى
الى حين يبلى ذلك الانث وقيل الى حين الموت فان قلت أى فرق بين الانث والمتاع حتى ذكره بواو العطف
والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الانث ما كثر من آلات البيت وحوائجها وغير ذلك فيدخل فيه
جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به فى البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله أعلم (والله جعل لكم
مما خلق ظلالا) يعنى جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهى ظلال الابنية والجدران والاشجار
(وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كلاسراب والغيران
ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقرا فاذا سافر احتاج فى سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما
الغنى فيستحب معه الخيام فى سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
وأما الفقير فيستكن فى ظلال الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم
مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يذفع شدة
وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعانى فى معرض الامتنان عليهم به لان النعمة عليهم فيها ظاهرة
(وجعل لكم سراييل تقيمكم الحر) يعنى وجعل لكم قصاوتيا بامن القطن والكتان والصوف وغـير ذلك
تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعانى والبرد فاكفى بذكر أحدهم ما دلالة الكلام عليه (وسراييل تقيمكم
بأسكم) يعنى الدروع والجاوشن وسائر ما يلبس فى الحرب من السلاح واللباس الحرب يعنى تقيمكم فى بأسكم
السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراسانى انما نزل القرآن على قديم معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال
أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كقال ومن اصوافها وأوبارها
وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكقال تعالى
وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيمكم
الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعنى
كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعنى نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعنى لعلكم بأهل مكة
تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعام الا الله تعالى (فان
تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقك بالحمد وآثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية
فانما وبال ذلك عليهم لعلكم (فإنما عليك البلاغ المبين) يعنى ليس عليكم فى ذلك عتب ولا سمة تعصم بها
عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال السدى
نعمة الله يعنى حمد الله صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام لانه من أعظم النعم
التي أنعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه ووجدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدهم عليه فى
هذه السورة من النعم يعرفون بانها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامتلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون
ورثناها عن آباؤنا وقال السكبي انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاة آلهتنا
وقيل هو قول الرجل لوفلان لكان كذا لوفلان لكان كذا وقيل انهم يعترفون بان الله أنعم بهم هذه النعم

فعلت (يعرفون نعمت الله) التى عدناها باقوالهم فانهم يقولون انهم من
الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو فى الشدة ثم فى الرخاء

(وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله بنوّة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرون ومنها عبادا
وأكثرهم الجاحدون المنكرون ويقولون بقلوبهم وهم يعلمون على أن انكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف
لأن ينكر (ويوم) انتصابه بأذكري (١٣٠) (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب

واسكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها (وأكثرهم الكافرون) انما قال سبحانه وتعالى
وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كافرا بل كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فغيره بالاكثر
عن البايعين وقيل أراد بالاكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان كافرا
وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر وراد به الجمع قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من
كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمة على الكافرين وانكارهم لها وذلك ان أكثرهم كافرون
اتبعد ذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى (ويوم نبعث من كل شئ أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو
يوم القيامة والمراد بالشهداء الانبياء يشهدون على أممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين
كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع الى دار الدنيا
فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم
يستعقبون) الاستعجاب طلب العتاب والمعتبة هي العظيمة والموجدة التي يجدها الانسان في نفسه على غيره
والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموحدة والغضب ويرجع الى الرضا عنه واذا
لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه نابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكفون أن رضوا بهم في ذلك
اليوم لان الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا رضوا بهم فلا يستعجاب
التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسند على الكفار في الآخرة (واذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم
بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولاهم ينظرون) يعني
لا يؤخرون ولا يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا
يعبدونها في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كان دعوى من دونك) يعني أربابا وكان عبدتهم وتخذهم
آلهة (فألقوا) يعني الاصنام (اليهم) يعني الى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعني ان الاصنام
قالت للكفار انكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جاد
لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يعبدان الله سبحانه وتعالى لمبايعتها وأعادها في الآخرة خلق
فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من اعادتها وبعتها أن تكذب الكفار وبراها الكفار
وهي في غاية الذل والخقارة فيزدادون بذلك غمرا وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (الى الله يومئذ السلم)
يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن
المشركين (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم (الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضموا مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله ورسوله
(زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صددهم عن سبيل الله ما يستحقونه
من العذاب على كفرهم الأصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقاب لها
أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبيرة جيات كالبحر وعقارب أمثال البغال تسع احداهن
السعة فيجد صاحبها أمها أو بعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أشهر من صفر مذاب كالنار
تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل أنهم يخرجون من حوائط النار الى
الزهر يرفين بادرون من شدة الزهر يراى النار مستعشرين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعفا بسبب
كفرهم وضعفا بسبب صددهم الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت
لهم بسبب صددهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم

والايمان والكفر (ثم لا
يؤذن للذين كفروا) في
الاعتذار والمعنى لاجتهلهم
فدلل بترك الاذن على أن
لا جتهلهم ولا عذر (ولاهم
يستعقبون) ولا هم
يسترضون أي لا يقال لهم
ارضوا ربكم لان الآخرة
ليس بدار عمل ومعنى ثم
انهم يمنون أي يبتلون بعد
شهادة الانبياء عليهم
السلام بما هو أظلم وأغلب
منها وهو انهم يمتنعون
الكلام فلا يؤذن لهم في
القاء معذرة ولا ادلاء بحجة
(واذا رأى الذين ظلموا)
كفروا (العذاب فلا يخفف
عنهم) أي العذاب بعد
الدخول (ولاهم ينظرون)
يمهلون قبله (واذا رأى
الذين أشركوا شركاءهم)
أوتانهم التي عبدوها (قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي
آلهتنا التي جعلناها شركاء
(الذين) كاندعو من
دونك أي نعبد (فألقوا
اليهم القول انكم لكاذبون)
أي أجابوهم بالتكذيب
لانها كانت جادا لا تعرف
من عبدها ويحتمل أنهم
كذبوهم في تسميتهم شركاء
وآلهة تزجها لله عن الشرك
(وألقوا) يعني الذين ظلموا
(الى الله يومئذ السلم) القاء

السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباع والاستسكار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يفترون) من أن الله شركاء
أنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وجعلوا غيرهم على الكفر
(زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا بصددهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين للناس بالصد (ويوم

نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) يعني نبينهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم (وجنابك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) على أمتك (وتولنا عليك الكتاب تبياناً) بليغاً (الكل شيء) من أمور الدين أماني الأحكام (١٣١) المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة

أو بالاجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع السكلى الى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وخصاله على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه بقوله أطيعواي كالنجوم بأمرهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق الاجتهاد والقياس مع انه أمرنا به بقوله فاعصواي وأطيعواي ابصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين انه كان تبياناً لكل شيء (وهدى ورحمته بشرى للمسلمين) ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (ان الله يأمر بالعدل) بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى حقه (والاحسان) الى من أساء اليكم أوهما الفرض والندب لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفرق يفتيح به الندب (وايتاء ذى القربى) واعطاء ذى القربى وهو

نبعث في كل أمة شهيداً عليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المنصورون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها (من أنفسهم) يعني منهم لأن كل نبي أتى ببعث من قومه الذين بعث الله عليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجنابك) يعني يا محمد (شهيداً على هؤلاء) يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تبارك وتعالى (وتولنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبياناً لكل شيء) تبياناً اسم من البيان قال مجاهد يعني لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبياناً لكل شيء يعني من أمور الدين إما بالنص عليه أو بالأحاطة على ماوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الأمة فهو أيضاً أصل ومفتاح العلوم الدينية (وهدى) يعني من الضلالة (ورحمة) يعني لمن آمن به وصدق به (وبشرى للمسلمين) يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمناً تحب أن يزداد إيماناً وان كان كافراً تحب أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيراً فخير وان شراً فشر والاحسان أن تقابل الخير بما أكثر منهوا الشربان تعفو عنه وقبيل العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف بالمنعم بالنعمة والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك وقيل يأمر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء ذى القربى) يعني ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الا الذين والابعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاهم حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما فجع من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغى) يعني الكبر والظلم وقيل البغى هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصي البغى ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لكان البغى وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سر برته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سر برته وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات ثلاثاً أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابله الفحشاء وهي ما فجع من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو أن تعفو عن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وذكر في مقابله المنكر وهو ان تنكر احسان من أحسن اليك وذكر في مقابله البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابله البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ﴿ثم قال تعالى﴾ (يعظكم لعلكم تتقون) يعني انما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتقوا ورواهتم لولا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود ان أجمع آية في القرآن خير وشر هذه الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى وتولنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فاسم شيء يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعدل على فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له الخلاوة وان عليه

صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغى) طلب التطاول بالظلم والكبر (يعظكم) حال أو مستأنف (لعلكم تتقون) تتعظون وعواظ الله وهذه الآية سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسلمت الا حباً منه عليه السلام أكثر مما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وتوابعها فاستقر الايمان في قلبي

فقرأها على الوليد بن المغيرة فقال والله ان له الحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لثمر وان أسفله لمدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل ان
الله ليأمر بجمارك الاخلاق وهي أجمع أي في القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة
لكل مأمور ومنهسى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
(ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة (١٣٢) (بعد تو كيدها) بعد توثيقها باسم الله وأكذو وكذبتان والاصل الواو والهجرة

بدل منها (وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا) شاهدا
ورقي بالان الكفيل مراد
لحال المكفول به مهيمن
عليه (ان الله يعلم ما تفعلون)
من البر والحنث فيجازيكم
به (ولا تكونوا) في نقض
الايمان (كالتى نقضت
غزلهما من بعد قوة) كالمرأة
التى انحلت على غزلهما بعد
ان أحكمته وأبرمته فجعلته
(أنكنا) جمع نكث وهو
ما ينكث قتله قيل هي ربطة
وكانت جفاعة تغزل هي
وجواربها من الغداة الى
الظهر ثم تأمرهن فينقضن
ما غزلن (تخذون
أيمانكم) حال كانا
(دخلا) أحد مفعولى
تخذ أى ولا تنقضوا أيمانكم
متخذين ادخلا (بينكم)
أى مفسدة وخيانية (أن
تكون أمة) بسبب أن
تكون أمة يعنى جماعة
قريش (هى أرى من أمة)
هى أرى يدعدوا وأفرمالا
من أمة من جماعة المؤمنين
هى أرى مبتدأ وخبر فى
موضع الرفع صفة لامرأة
فاعل تكون وهى أمة
وهى ليست بفضل لوقوعها
بين نكرتين (انما يبايعكم الله

لطلاوة وان أعلاه لثمر وان أسفله لمدق وما هو بقول البشر ﴿قوله عز وجل﴾ (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم)
لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر فى هذه الآية
بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم نزلت فى الذين يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد
منه كل ما يلزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد هنا اليمين قال
العتبي العهد يمين وكفارته كفرارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح أما اذا لم يكن فيه صلاح فلا
يجب الوفاء بقوله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمينا ثم رأى غيرنا خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن
يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذى خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت فى حلف أهل
الجاهلية وشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان فى الجاهلية لم يرد الاسلام الا شدة
(ولا تنقضوا الايمان بعد تو كيدها) يعنى تشديدها فتحتوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين
لانه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيد بالوفاء بالعهد (ان الله يعلم ما تفعلون) يعنى من
وفاء العهد ونقضه ﴿ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى﴾ (ولا تكونوا) يعنى فى
نقض العهد (كالتى نقضت غزلهما من بعد قوة) يعنى من بعد ابرامه واحكامه قال السكبي ومقاتل هذه
امرأة من قريش يقال لها ربطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرفاء جفاعة
وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبغ وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل
الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمر جواربها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
انصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا تأويل المعنى ان هذه المرأ لم تكف عن العمل ولا
حين عملت كفت عن النقص فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفى به (أنكنا) جمع نكث
وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل (تخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعنى دغلا وخيانية وخديعة
والدخيل ما يدخل فى الشئ على سبيل الفساد وقيل الدخيل والدغل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن
نقضه (أن تكون) يعنى لان تكون (أمة هى أرى من أمة) يعنى أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك
انهم كانوا يحالفون الجاهلية فاذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعرضة نقضوا وحلف هؤلاء حالفوا الاكثر
والمعنى انكم طلبتم العرب بنقض العهد لان كانت أمة أى جماعة أكثر من جماعة فهاهم الله عن ذلك
وأمرهم بالوفاء بالعهد لان عاهدوا وحالفوا (انما يبايعكم الله به) يعنى يختبركم كما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو
أعلم بكم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعنى فى الدنيا فيشيب الطابع المحق ويعاقب المسيء
المخالف ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعنى على أمة واحدة ودين واحد وهو دين
الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعنى بخذلان اياه عدلامه (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياه فضلامه وذلك
بما اقتضته الحكمة الالهية لا يستعمل عمى يفعل وهم يستملون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون)
يعنى فى الدنيا فيجازى المحسن باحسانه ويعاقب المسىء عباساءه أو يغفر له ﴿قوله عز وجل﴾ (ولا تتخذوا
أيمانكم دخلا بينكم) يعنى خديعة وفساد بينكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى أيمانكم ويأمنوا اليكم ثم
تنقضونها انما كرر هذا المعنى تأكيدها عليهم واطهار العظم أمر بنقض العهد قال المفسرون وهذا فى نهى

به) الضمير للمصدر أى انما يختبركم بكونهم أرى ليمتظر انتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم
بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار
الضلالة (ويهدى من يشاء) من علم منه اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة فتجوزون به (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم)

كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدها عليهم واطهار العظمة (فتزل قدم بعد نبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد نبوتها
عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء)
في الدنيا (بما صدقتم) بصدوقكم (عن سبيل الله) وخروجكم عن الدين أو بصدق غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لتخذوا نقضها
سنة لغيرهم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشعروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) (١٣٣) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ثمنا قليلا) عرضا من
الدنيا يسيرا كأن قوما
من أسلم بمكة زين لهم
الشيطان لجزعهم مآرا أو
من غلبة قريش واستضعافهم
المسلمين ولما كانوا يعدونهم
ان رجعوا من المواجد
أن ينقضوا ما بايعوا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنبههم الله (ان ما عند الله)
من ثواب الآخرة (هو)
خير لكم ان كنتم تعلمون
ما عندكم) من أعراض
الدنيا (ينفذ وما عند الله)
من خزائن رحمة (باق)
لا ينفذ (وليجزين) وبالنون
مكي وعاصم (الذين صبروا)
على أذى المشركين ومشاق
الاسلام (أجرهم) بأحسن
ما كانوا يعملون من عمل
صالحا من ذكر أو أنثى
من مهم يتناول النوعين
الآن ظاهره للذكور
فبين بقوله من ذكر أو أنثى
ليعم الموعد النوعين جميعا
(وهو مؤمن) شرط الايمان
لان أعمال الكفار غير معتد
بها وهو يدل على ان العمل
ليس من الايمان (فلنجزيه
حياة طيبة) أي في الدنيا
لقوله (ولنجزيهم أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون)

الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام منها هم عن نقض هذه لان الوعيد الذي بعده وهو قوله
سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد نبوتها لا يليق بنقض عهد غيره انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الايمان به وبشر بعته ﷺ وقوله (فتزل قدم بعد نبوتها) مثل يذ كر لسلك من وقع في بلاء ومحنة بعد
عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل
أقدامكم عن محجة الاسلام بعد نبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدقتم عن سبيل الله) يعني
بسبب صدق غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره بنقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك
(ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشعروا) وبعهد الله ثمنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهدهم وتطلبوا
بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بما (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء
بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ﷺ ثم بين ذلك فقال
تبارك وتعالى (ما عندك ينفذ) يعني من متاع الدنيا ولذاتها ينفى ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب
الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزي الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني ثواب
صبرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب
دنياه أضرب آخرة ومن أحب آخرة أضرب دنياه فأثر وما يبق على ما يفتي ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (من
عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا فيد العموم فما فائدة الذكرا والانثى قلت
هو مبهم صالح على الاطلاق للتوعين الا انه اذ ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكور والانثى فعمل من
ذكرا أو أنثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب
والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للثواب (فلنجزيه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير
مؤمن جعل الايمان شرطافي كون العمل الصالح موجبا للثواب (قال سعيد بن جبير
وعطاءه الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي خلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة
وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا
لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدييره وعرف ان الله محسن كريم منفضل لا يفعل
الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بقدره الله ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر
الذي رزقه اياه فاستراح نفسه من السكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول
الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر
بهذا ان عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن
يستريح بالموت من سكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنجزيه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف
عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك
وسعادة بلا شقاء وثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة لقوله في سياق الآية (ولنجزيهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة ﷺ قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبي

وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعسرا ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فامر بالعكس ان
كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدع ان يتنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو خلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع
الله وصدق الوقوف على أمر الله والأعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فمع عن ارادة الفعل
بلفظ الفعل لانها تنب له والفاء للتعقيب اذا لقراءة المصدر بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعني ابليس (الرجيم)

الشیطان الرجیم فقال لی
قل أعوذ بالله من الشیطان
الرجیم هكذا قرأ نبيه
جبریل علیه السلام (انه
لیس له) لا یلیس (سلطان)
تسلط وولاية) علی الذین
آمنوا وعلی ربهم یتوکلون
فالؤمن المتوکل لا یقبل
منه وسواسه (انما سلطانه
علی الذین یتولونه) یتخذونه
ولیاو یتبعونه أو سواسه
(والذین هم به مشرکون)
الضمیر يعود الی ربهم أو
الی الشیطان أی بسببه
(واذا بد لنا آیه مکان آیه)
تبدیل الآیه مکان الآیه
هو النسخ والله تعالی ینسخ
الشرائع بالشرائع لحکمة
رأها وهو معنی قوله (والله
أعلم بما ینزل) وبالتحقیف
مکی وأبو عمرو (قالوا انما
أنت مفتر) هو جواب اذا
وقوله والله أعلم بما ینزل
اعتراض كانوا یقولون ان
تجدد النسخ بأصحابه
یأمرهم الیوم بأمر
وینهاهم عنه غدافیا تبهم
بما هو أھون ولقد افتروا
فقد کان ینسخ الاشقیق
بالاھون والاھون بالاشقیق
(بل أكثرهم لا یعلمون)
الحکمة فی ذلك (قل نزلہ
روح القدس) أی جبریل
علیه السلام أضيف الی
القدس وهو الطھر كما یقال
حاتم الجود والمراد الروح
القدس وحاتم الجواد
والقدس المظھر من الماس

صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمرهم بغيره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا
في القاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبريل بن مطع انه
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي قال الله أكبر كثيرا ثلاثا والحمد
لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكثرة أو أصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من تفتخته ونفتته وهمزته قال
نفتخته الكبر ونفتته السحر وهمزته الموتة أخرج به أبو داود الموتة الجنون والفاعة في قوله فاستعذ بالله
للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو
قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا الان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما او ربما
حصات الوسواس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعذ بعد القراءة اندفعت تلك
الوسواس وبقى الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء
الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن
فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام
اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فتأهب وأيضاً فان الوسوسة انما تحصل في أثناء
القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها
ومذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء
على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة
والاستعاذة الاعتصام بالله والاتجاه اليه من شر الشيطان وسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو
اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله
اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذین آمنوا وعلی ربهم یتوکلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فأزال الله سبحانه
وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان یعنی ليس له قدرة ولا ولاية على الذین آمنوا وعلی ربهم یتوکلون
قال سفيان ليس له سلطان على أن يجعلهم على ذنب لا یغفر (١) ویظهر من هذا ان الاستعاذة انما تنفید اذا
حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشیطان الا بصحة الله ولهذا قال
المحققون لاحول عن معصية الله الا بصحة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالی (انما سلطانه
علی الذین یتولونه) یعنی يطبعونه ویدخلون فی ولايته یقال توليته اذا أطعته وتوليت عنه اذا عرضت عنه
(والذین هم به مشرکون) یعنی بالله وقيل الضمیر فی به راجع الی الشیطان والمعنی هم من أجله مشرکون
بالله ﷻ قوله سبحانه وتعالى (واذا بد لنا آیه مکان آیه والله أعلم بما ینزل) وذلك ان المشرکین من أهل مكة
قالوا ان تجد انسخ بأصحابه یأمرهم الیوم بأمر وینهاهم عنه غدافا ما هو الا مفتر یتقوله من تلقاء نفسه فانزل
الله هذه الآیه والمعنی واذا نسختنا حکم آیه فأبد لنا ما كان حکما آخر والله أعلم بما ینزل اعتراض دخل فی
الكلام والمعنی والله أعلم بما ینزل من النسخ وبما هو أصل خلقه وبما یغیر ویبدل من أحكامه أی هو
أعلم بجمیع ذلك مما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبیخ وتقریح للكفار علی قولهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو قوله تعالی (قالوا انما أنت مفتر) أی تخلفه من عندك والمعنی اذا كان الله تعالی أعلم بما ینزل
فبأهلهم ینسبون تجد الی الافتراء والكذب لاجل التبدیل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الی مصالح العباد
كما یقال ان الطیب یأمر المریض بشرب دواء ثم بعد ذلك ینهاه عنه ویأمره بغيره لما یرى فیهم المصلحة (بل
أكثرهم لا یعلمون) یعنی لا یعلمون فائدة النسخ وتبدیل المنسوخ (قل) أی قل لهم بالحمد (نزله) یعنی
القرآن (روح القدس) یعنی جبریل صلى الله عليه وسلم أضيف الی القدس وهو الطھر كما یقال حاتم الجود

(١) قوله ویظهر من هذا اسم الاشارة تراجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من الفخر فانه لم يذكر في هذا المحل قول وطلمة
سفيان وذكرا ما قبله وما بعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوهم رجوع اسم الاشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اهـ

(من ربك) من عنده وأمره (بالحق) حال أي نزله ملتبساً بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليلبثهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمته وصواب حكم لهم بثبات القدم وحقبة اليقين وطمأنينة القلوب (وهدي و بشري) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تبيينها لهم وإرشادها وبشاعة (للمسلمين) وفيه تعريض (١٣٥) بحصول أصداد هذه الخصال لغيرهم

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) أرادوا به غلاماً كان لحويطب قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر بن غلام روى لعامر بن الحضرمي أو عبدان جبرو يسار كانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلدون إليه) وبتفتح الباء والخاء جزوة على (أعجمي) وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذين يمسكون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير مبين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذوبان وفصاحة قولهم وابطالاً لظنهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلدون إليه أعجمي لا محل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغوي يقال ألد القبر وحده وهو ملحد وملحد إذا مال حفره عن الاستقامة فحفرى شق منه ثم استعير لكل أمالة عن الاستقامة فقالوا ألد فلان في قوله وألد في دينه ومنه المحدث لأنه أمال

وطلحة الخير والمعنى الروح القدس المطهر (من ربك) يعني أن جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق) ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيماناً و يقيناً (وهدي و بشري) يعني وهو هدي و بشري (للمسلمين) قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما زعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بحكمة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام روى نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لهما يسارو ويكنى أبافكهيمة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بحكمة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بحكمة فبما سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذاه الكفار يقعد لهما فيتروح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانياً قد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمياً وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها لنفسه و يزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيباً بهم بالهم فصار موابه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلدون إليه) يعني يمسكون وبشيرة إليه (أعجمي) يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب إلى العجم وان كان فصيحاً بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب وهو منسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء كهم هذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أتم عنوه أتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أو حاه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل إليه و روى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون أنهم من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم المفلتون فقال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش إنما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم إنما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال تبارك وتعالى إنما يفترى الكذب فامعنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو

مذهبه عن الأديان كلها (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي القرآن (لا يهديهم الله) ما داموا ومختار من الكفر (ولهم عذاب أليم) في الآخرة على كفرهم (انما يفترى الكذب) على الله (الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي إنما يلق افتراء الكذب من لا يؤمن لأنه لا يتربق عقاب عليه وهو رد لقولهم إنما أنت مفتر (وأولئك) إشارة إلى الذين لا يؤمنون أي وأولئك (هم الكاذبون) على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب أي وأولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر جوز وأن يكون

الاول قلت قوله سبحانه وتعالى انما يطهرى الكذب اخبار عن حال قولهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعمت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب وفى الآيه دليل على ان الكذب من أخش الذنوب الجبار لان الكاذب المفترى هو الذى لا يؤمن بآيات الله روى البغوى باسناد الثعلبى عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن زنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﷻ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية وصهيبا وباللا وخبايا واسالموا فعدوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية أم عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قلبها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قبيلين قتلا فى الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بالنسائه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمار وخطوه فى بنى تميم وقالوا له اكفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كافر فقال كلان عمار ابنى ايمانا من قرنه الى قدمه واختاط الايمان بالحمة ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذراعتك قال شرب يا رسول الله نالت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعدلهم بما قلت فزت هذه الآيه وقال مجاهد نزلت فى أناس من أهل مكة آمنوا ذكبت اليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجر والينا فانالانرا كم منا حتى تم اخرجوا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش فى الطريق ففتنواهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآيه مكية وكان هذا فى أول الاسلام قبل أن يؤمر ابا الهجيرة وقال مقاتل نزلت فى جبرمولى عامر بن الحضرمي أ كرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبرم وخسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى أن يقال ان الآيه عامة فى كل من أكرهه على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فمعنى هذا الاستثناء فى الامن أكرهه قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما يشابه ما يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم

(من كفر بالله بعد ايمانه) شرطاً مبتدأ وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قبل من كفر بالله فعليهم غضب (الامن) أ كرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) ساكن به

* (فصل فى حكم الآيه) قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذى يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفران يعذب بعذاب لا طاقته به مثل التخريف بالقتل والضرب الشديد والايامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخبايا وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمعه الله من أذى المشركين بعد ما أبى طالب وأما أبو بكر فتمعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أدرع الحديد وأجلسوا فى حر الشمس بمكة فاما بلال فمما كانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خبايا لقد أوقدوا لى ناراً ما أطفاها الا ذلك ظهرى وأجمعوا على ان من أكرهه على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصير محال ياتى بالمعاريض وبما يوهىهم انه كفر فلو أكرهه على التصريح ببياح ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقدا ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان ياسر وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلال اعبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكرهه بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جازته ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء فى طلاق المكره فقال الشافعي رضى الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع بحجة الشافعي ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاربه نفسا واعتقده (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون
 بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضين البديل والمبدل منه والمعنى انما يتبرى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى
 منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعلهم غضب من الله وان يكون بدلا من المبند الذي هو
 أولئك أي ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان
 ينصب على الذم روي ان ناسا من أهل مكة قتموا فارتدوا وكان فهم من أكره فاحرق كفة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار
 وأما أبو ياسر وسيمية فقد قتلوا وهما أول قتيلين في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كذا ان عماري ايمان من
 قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتي عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣٧) وهو يبكي فجعل رسول الله صلى

الله عليه وسلم يمسح عينيه
 وقال مالك ان عادوا لك
 فعد لهم بما قاتل وما فعل
 أبو عمار أفضل لان في
 الصبر على القتل اعزازا
 للاسلام (ذلك) اشارة الى
 الوعيد وهو حقوق الغضب
 والعذاب العظيم (بانهم
 استحبوا) آثروا (الحياة
 الدنيا على الآخرة) أي
 بسبب ايثارهم الدنيا على
 الآخرة (وان الله لا يهدي
 القوم الكافر) ماداموا
 مختارين للكفر (أولئك
 الذين طبع الله على قلوبهم
 وسمعهم وأبصارهم) فلا
 يتدبرون ولا يصغون الى
 المواعظ ولا يبصرون طريق
 الرشاد (وأولئك هم
 الغافلون) أي الكاملون
 في الغفلة لان الغفلة عن
 نذر العواقب هي غاية
 الغفلة ومنتهىها (لاجرم
 أنهم في الآخرة هم
 الخاسرون ثم ان ربك)

لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد في ذاته لان ذاته موجودة فوجب جعله على نفي آثاره والمعنى انه
 لا آثاره ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب (ولكن من
 شرح بالكفر صدرا) يعني فتحه وسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب
 عظيم) يعني في الآخرة (ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يكون ذلك الاقدام على الارتداد
 الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعني
 لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم
 تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعني عمار ابراهيم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لاجرم
 أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار بان
 خسارته وظهر عنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر ﴿قوله عز وجل﴾ (ثم ان
 ربك للذين هاجروا من بعد ما قنتوا) يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فنتهم المشركون (ثم جاهدوا
 وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعني من بعد الفتنة التي قتموها (الغفور
 رحيم) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أخطأ أبي جهل من الرضاة وقيل كان أخاه لأمه وفي أبي
 جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد اللقي فنتهم المشركون
 وعذبوهم فاعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة
 نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستتره الشيطان
 فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه
 لأمه فاجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية
 مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور المبكيات والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿قوله سبحانه
 وتعالى﴾ (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعني تحاصم وتحتج عن نفسها أي بما أسافت من خير وشر
 اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فمعنى قوله
 كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس
 الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها واذناتها أيضا والمعنى يوم يأتي كل
 انسان يجادل عن ذاته ولا يهيمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله بنا ما كنا
 مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفي كل نفس ما عملت) يعني جزاء عملت في الدنيا من خير أو شر

(١٨ - (خازن) - ثالث) ثم يدل على تباعد حاله وولاه من حال أولئك (للاذين هاجروا) من مكة أي انه لهم
 لا عليهم يعني انه وانهم ناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محيما منغوا غير مضرور (من بعد ما قنتوا)
 بالعذاب والاكراه على الكفر فتتواشأ أي بعد ما عذبوا المؤمن ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة (وصبروا) على الجهاد (ان
 ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقيية (رحيم)
 لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكراه (يوم تأتي) منصوب برحيم أو باذ كبر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس
 لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي تقيضه غيره والنفس الجلهة كل هي فالنفس الاولى هي الجلهة والثانية عينها واذناتها فانه قيل يوم يأتي كل
 انسان يجادل عن ذاته لانه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هو لأمنا أو لأمنا أو لأمنا
 وكبراءة الآية والله بنا ما كنا مشركين (وتوفي كل نفس ما عملت) تعطي جزاء عملها أو فإيا

(وهم لا يظلمون) يعني لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون لك كاملا من غير زيادة ولا نقصان
 روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خرو فنا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو
 وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لانت عليك ساعات وانت لا يملك الانفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى
 ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جنا على ركبته حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك الا انفسى وان
 تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عن عمر مة عن ابن عباس في هذه الآية
 قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخصص الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم تكن لي يد أبطش
 بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشب استلي يد أبطش بها
 ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه أبصرت عيني وبه
 مشرت جلاى فضرب الله له ما منلا أعمى ومقعد دخلا حاطا طابعتني بستانافيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد
 لا يناله حمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعلمهما العذاب قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية
 عبارة عن قول في شيء يشبه قولنا في شيء آخر بينهما مشابهة ليعين أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة
 عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أى معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعه للمشابهة قال الامام نضر الدين
 الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أو لم يكن وقد يضرب بشئ
 موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئا مفر وضواو يحتمل أن تكون
 قرية معينة وعلى التقدير الثاني فذلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها
 مكة والقرية بانها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزنخشري في كتابه
 الكشاف وضرب الله مثلا قرية ي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم
 النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز ان تراد قرية مقدره على هذه الصفة وان تكون في قرية
 الاولين قرية كانت هذه حالها فضرب الله مثلا مكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان
 المشبه والمشبه به وهنالك كالمشبه به ولم يذكر المشبه لوضوح عند مخاطبين والآية عند عامة المفسرين
 نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع عبر الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم
 فتقدرا الآية ضرب الله مثلا للقرية يشك أي بين الله لها شيا بها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من
 مثلا لانها هي المثل بها ويجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية تغذف المضاف هذا قول الزجاج
 والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون انه أراد مكة في تخيلها بقرية تصفتها ما ذكر وقال ابن الجوزى
 في هذه القرية قولان أحدهما انها مكة قوله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني انها
 قرية أو سع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية
 نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لان الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات
 ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضرب الله مثلا لاهل المدينة يحذرونهم أن يصيبهم ما مثل
 صنعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف وبشهادة لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الآية في
 قوله فاذا فقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعثها في قول
 جميع المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وانما أمر بالقتال لما هاجر الى المدينة
 فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأما نفس قوله
 تعالى وضرب الله مثلا قرية يعنى مكة (كانت آمنة) يعنى ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة)
 يعنى قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها لالتجاج كما كان يحتاج اليه ساكن العرب (يا تبارك زقها رغدا)
 يعنى واسع (من كل مكان) يعنى يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى لي ينجي
 اليه ثمرات كل شئ وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهله من الثمرات (فكفرت)
 يعنى هذه القرية والمراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها ساكن النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما

(وهم لا يظلمون) في ذلك
 (وضرب الله مثلا قرية)
 أى جعل القرية التي هذه
 حالها مثلا لكل قوم أنعم
 الله عليهم فأبطرتهم النعمة
 فكفروا وتولوا فأنزل الله
 بهم نعمته فيجوز ان تراد
 قرية مقدره على هذه الصفة
 وان تكون في قرية الاولين
 قرية كانت هذه حالها
 فضرب الله مثلا لمكة
 انذارا من مثل عاقبتها
 (كانت آمنة) من القتل
 والسبي (مطمئنة) لانزجها
 خوف لان الطمأنينة مع
 الامن والارتجاع والقلق
 مع الخوف (يا تبارك زقها
 رغدا) واسع (من كل
 مكان) من كل بلد
 (فكفرت) أهلها (بانعم
 الله) جمع نعمة على ترك
 الاعتماد بالثمة كدرع
 وأدرع أو جمع نعم كبؤس
 وأبؤس

(فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون)
الاذاقة واللباس استعارتان
والاذاقة المستعارة موقعة
على اللباس المستعار ووجه
صحته ذلك ان الاذاقة تجارية
عندهم مجرى الحقيقة
لشيوعها في البلايا والشدائد
وما عكس الناص منها فيقولون
ذاق فلان البؤس والضرر
وذاقه العذاب شبه ما يدرك
من أثر الضرر والالام بما
يدرك من طعم المر والبسح
وأما اللباس فقد شبه به
لاشماله على اللابس ما
غشى الانسان والتبس به
من بعض الحوادث وأما
ايقاع الاذاقة على لباس
الجوع والخوف فلانه لما
وقع عبارة عما يغشى منهما
ويلابس فكانت قبل
فأذاقهم ما غشى بهم من
الجوع والخوف (ولقد
جاءهم رسول منهم) أي
محمد صلى الله عليه وسلم
فكذبوه فأخذهم العذاب
وهم ظالمون) أي في حال
التياسسهم بالظلم قالوا انه
القتل بالسيف يوم بدر
روى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجه إلى أهل مكة
في سني القحط بطاعلم ففرق
فهم فقال الله لهم بعد أن
أذاقهم الجوع (فكأوا
ممارزكم الله) على يدي
محمد صلى الله عليه وسلم

قالوا نعم الله التي أنعم بهم عليهم - بالجوع والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فأذاقها الله
لباس الجوع والخوف) وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت
عنهم العرب الميرة. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
والميتة والعهن وهو البريعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه
الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا هبلن عادت
الرجال فيبال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد
مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للذخيرة فكانت
تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحته ايقاعها عليه وهو أن اللباس
لا يذاق بل يلبس فيقال كسأهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع فأت صاحب
الكشف أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما عكس الناس منها
فيقولون ذاق فلان البؤس والضرر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالام ما يدرك من طعم المر
والبسح وأما اللباس فقد شبهه لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما
ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانت قبل فأذاقهم
ما غشى بهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام نجر الدين
الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو
الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كما لا يفار
كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حاله تشبه المذوق
وحاله تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان
التقدير ان الله عرفها أثر لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق
بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول فلانا ذوق ما عنده قال الشاعر

ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها * وسبق اليها عذابها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف
البال كما تقول تعرفت سوء أثار الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز ان تقول ذقت لباس الجوع
والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحتمل لفظ الذوق واللبس على المعاسة فصار التقدير فأذاقها الله
مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى
فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم
أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به
وكذبوه بالغوا في ايدائهم وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة فوسط على أهل مكة
البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجهم
بين أظهرهم ﷺ قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمد صلى الله عليه
وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فأخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف
وقبل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعني كفرون (فكأوا ممارزكم
الله) في المخاطبين بهذا قولان أحدهما أنهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني أنهم هم المشركون
من أهل مكة قال الكلبى لما اشتد الجوع بأهل مكة كلهم رؤسأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك
انما عادت الرجال فيبال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام
اليهم حكاه الواحدى وغيره واقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكأوا يامعشر المؤمنين ممارزكم الله

(حلالا طيبا) بلا عسائركم تأكلونه حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبايا الكسوب (واشكر وانعمت الله ان
 كنتم اياه تعبدون) تطيعون اوان صرتم عنكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن
 تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاذ فان الله غفور رحيم)
 انما الحصر أى المحرم هذادون البحيرة وأخواتها وباقى الآيتة قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) هو منصوب بلا تقولوا أى
 ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم (١٤٠) من البهائم بالحل والحرمه فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على

أزواجنا من غير استناد ذلك
 الوصف الى الوحي أو الى
 القياس المستنبط منه واللام
 مثلها فى قولك لا تقولوا ما
 أحل الله هو حرام وقوله
 (هذا حلال وهذا حرام)
 يدل من الكذب ولك أن
 تنصب الكذب بتصف
 وتجعل ما مصدرية وتعلق
 هذا حلال وهذا حرام بلا
 تقولوا أى ولا تقولوا هذا
 حلال وهذا حرام وهذا
 لوصف ألسنتكم الكذب
 أى ولا تحسروا ولا تحالوا
 لاجل قول تنطق به ألسنتكم
 ويجوز فى أقوالهم لاجل
 حجة وبينه ولكن قول
 ساذج ودعوى بالبرهان
 وقوله تصف ألسنتكم
 الكذب من فصيح الكلام
 جعل قولهم كانه عيب
 الكذب فاذا نطقت به
 ألسنتكم فقد حلت الكذب
 بحالته وصورته بصورته
 كقولك وجهها يصف الجبال
 وعينها تصف الصخور
 واللام فى (لتفتروا على الله
 الكذب) من التعليل الذى
 لا يتضمن معنى الغرض

بريد الغنائم (حلالا طيبا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم له هذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد
 قبلهم (واشكر وانعمت الله) يعنى التى أنعمت عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة
 والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاذ فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه
 الآيتة وأحكامها فى سورة البقرة فلم نعد هنا ﴿ وقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب)
 يعنى ولا تقولوا الاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب
 لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعنى البحيرة
 والسائبة وقال ابن عباس يعنى قولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان
 العرب فى الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو
 قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعنى لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب
 هو افتراء على الله ثم توعد المفتريين الكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب
 لا يفلحون) يعنى لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان
 ما هم فيه من نعيم الدنيا زول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعنى متاعهم فى الدنيا متاع قليل فانه
 لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعنى اليهود (حرمة ما أقصصنا عليكم من
 قبل) يعنى ما سبق ذكره وبيانه فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمتنا كل ذى ظفر الآيتة
 (وما ظلمناهم) يعنى بحرمتهم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى انما حرمنا عليهم ما حرمنا
 بسبب بعثهم وظلمهم أنفسهم وظنيرهم قوله تعالى فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم
 ﴿ وقوله تعالى (ثم انزلنا من السماء السوء بجهالة) المقصود من هذه الآيتة بيان فضل الله وكرمه وسعته
 مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصى وكل ما لا ينبغي وكل
 من عمل السوء فاعمالها يفعلها بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فى صدر عنه فعل قبيح من كفر أو عصية
 فانما يصد عنه بسبب جهالة اما الجهلة بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذان
 فعل السوء انما يفعل بجهالة ثم ان الله تعالى وعده من عمل سوء أجهالة ثم تاب وأصلح العمل فى المستقبل أن
 يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعنى من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعنى
 أصلحوا العمل فى المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (انزلنا من بعدها) يعنى من بعد عمل
 السوء بالجهالة والتوبة منه (اغفور) يعنى لمن تاب وآمن (رحيم) يعنى بجميع المؤمنين والتائبين ﴿ قوله
 سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزى عن ابن الانبارى انه قال هذا مثل قول العرب فلان
 رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون به هذا التائيب قصدا للتنهى فى المعنى الذى يصفونه به والعرب توقع
 الاسماء المهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فمادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده
 وانما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة

(ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم
 عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذاب عظيم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما أقصصنا عليكم من قبل) فى سورة الانعام يعنى وعلى الذين هادوا
 حرمنا كل ذى ظفر الآيتة (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم انزلنا من السماء
 السوء بجهالة) فى موضع الحال أى عمى بالسوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عنهم ومرادهم لسة الهوى لاصعيان المولى
 (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) انزلنا من قبلهم ما وثقوا بعد من
 العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لكاله فى جميع صفات الخير كقوله ليس على الله بمسئسك * أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا وكان أمة بمعنى ما موم يومه الناس لما أخذوا منه الخير (فانتالله) هو القائم بما أمره الله
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان معاذا كان أمة فانتالله فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام (١٤١) فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت

المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة الله فانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) ما اتلا عن الاديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفي عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعيمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحرفه اللين (شاكر الانعمه) روى انه كان لا يتعدى الا مع ضيف فلم يجدد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فقبلوا له ان يهم جدا ما فقال الا ان وجبت مؤا كتمكم شكر الله على انه عاقني وابتلاكم (اجتباها) اختصه واصطفاه للنبوة (وهده الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وا تيناها في الدنيا حسنة) نبوة قوامها الاولاد او تنويه الله بكه فكل أهل دين يتولونه او قوله المصلي منا كصليت على ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم) ان اتبع ملة ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتمكم وستة ايام لصنعتكم فالوا عليه وقالوا انريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام ايضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فانحدروا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبولك لهم فيه (ق) عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفو افيه واوتيناها من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفو افيه فهذا ما اتاه الله لهم لنا فيه تبع فعد لليهود وبعدهم للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فخاف الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلاق قال الشيخ محي الدين انور في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة

ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر ليس على الله بمسئسك * ان يجمع العالم في واحد
ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة اقوال أحدها قول ابن مسعود الامة مع علم الخير يعني انه كان معلما للخير
ياتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا فهذا المعنى كان أمة وحده
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل ببعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد
فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه
وقيل الامة فعله بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله سبحانه
وتعالى اني جاعل للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت أمة ومن تبعه ممتازين
عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق السبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه
السلام أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله (فانتالله) يعني مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله (حنيفا)
مسليا يعني مقبلا على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو اول من اختسني وضحى واقام مناسك الحج (ولم
يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكر الانعمه)
يعني انه كان شاكر الله على أنعمه التي أنعم بها عليه (اجتباها) أي اختاره للنبوة واصطفاه لخلته (وهده
الى صراط مستقيم) يعني هده الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وا تيناها في الدنيا
حسنة) يعني الرسالة والخلقة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله
حبيبه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل
هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كصليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آناه
اولاد ابراهيم الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه
وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من معنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه
السلام بهذه الصفات الشريفة العلية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى
(ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الاصول
كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الامانة نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال ابو جعفر
الطابرى أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسليا (وما كان من
المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم
السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم
يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتمكم وستة ايام
لصنعتكم فالوا عليه وقالوا انريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم
عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام ايضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم
بعد عيدنا يعنون اليهود فانحدروا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبولك لهم فيه (ق)
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا
الكتاب من قبلنا فاختلفو افيه واوتيناها من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفو افيه فهذا ما اتاه الله
لهم لنا فيه تبع فعد لليهود وبعدهم للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول
من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى
يوم الاحد فخاف الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن
الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلاق قال الشيخ محي الدين انور في شرح
مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة

وما كان من المشركين) في ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام واجلال محله والايدان بان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا صلوات
(انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطباذ فيه

(وان ربك المحكم بينهم)
يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون) روى ان
موسى عليه السلام امرهم
أن يجعلوا في الاسبوع
يوماً للعبادة وأن يكون يوم
الجمعة فأبوا عليه وقالوا تريد
اليوم الذي فرغ الله فيه
من خالق السموات والارض
وهو السبت الا سرتة منهم
قد رضوا بالجمعة فهذا
الاختلافهم في السبت لان
بعضهم اختاروه وبعضهم
اختاروا عليه الجمعة فأذن
الله لهم في السبت وابتلاهم
بتحريم الصيد فاطاع أمر
الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون وأعقابهم لم
يصبروا عن الصيد فمسخهم
الله دون أولئك وهو يحكم
بينهم يوم القيامة فيجازي كل
واحد من الفريقين بما هو
أهله (ادع الى سبيل ربك)
الى الاسلام (بالحكمة)
بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو
الدليل الموضح للحق المزيل
للشبهة (والموعظة الحسنة)
وهي التي لا يخفى عليهم أنك
تناصحهم بها وتقصدها
ما ينفعهم فيها أو بالقرآن
أى ادعهم بالكتاب الذي
هو حكمة وموعظة حسنة
والحكمة المعروفة براتب
الافعال والموعظة الحسنة
أن يخلط الرغبة بالرغبة
والانذار بالشارة (وجادلهم
بالتى هي أحسن) بالطريقة
التي هي أحسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير

فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله يهدى الله لهم
فرض عليهم فاختلّفوا فيه فهدانا الله قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير
تعيين وروى الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلّف أخبارهم في تعيينه ولم يهدى الله له وقوله على هذه
الامة مبيّنوا لهم بكلهم الى اجتهادهم فجازوا بهضيلته قال يعنى القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام
أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بغضله فناطروه ان السبت أفضل فقبل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه
لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقولوا لخالقهم قال الشيخ محيى الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمرؤا به
صر يحارون على عينه فاختلّفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام
نفر الدين الرازى في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعنى على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا
السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أى لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان
اليهود اختلفوا فيهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدى على هذا
فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو
اعظام الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى
ابتدأ به بخلق الاشياء وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا يقين في السبت وإنما اختاروا الاحد النصارى بعدهم
بزمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في سبعة
أيام وبدأ بالخلق والتكوير في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ نقات اليهود ونحن
نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بخلق الاشياء
في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدنا وهذا ان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله
أهل الاسلام عيدا فأت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتماثله كان فيه وحصول التمام والكمال
لوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً بهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه
أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب
ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخولهم ولم يختاروا لانفسهم شيأ وكان ما اختاره الله
لهم أفضل مما اختاروا غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم
الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه
وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء معنى الآية قول آخر قال
قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحلّ بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل
السبت أى وبال السبت ولعنتم على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحلّه بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا
ومسخوا فرقة وخنزير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصص في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت
على تحريمه فلم يصطد فيه شيأ وهم الناهون والقول الاوّل أقرب الى الصحة وقوله تعالى (وان ربك المحكم
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين
بالتواب والمبطلين بالعقاب وقوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعنى ادع
الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعنى بالمقالة المحكمة وهي الدليل الموضح للحق المزيل
للشبهة والموعظة الحسنة يعنى وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصدها
ما ينفعهم (وجادلهم بالتى هي أحسن) يعنى بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير
فظاظة ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا واجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب
العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقايقها فهو لاعهم المشار اليهم بقوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعنى ادعهم بالدلائل القاطعة اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقايقها حتى
ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثانى هم أصحاب الفطرة السليمة

فظاظة أو بما يوفق القلوب
ويغبط النفوس ويحبوا
العقول وهو رد على من
يأبى المناظرة في الدين (ان
ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله وهو أعلم بالمهتدين)
أي هو أعلم بهم فمن كان فيه
خبير فكفاه الوعظ القليل ومن
لا خبير فيه فمجزت عنه الخيل
(وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتهم) سمي الفعل
الاول عقوبة والعقوبة هي
الثانية لازدواج الكلام
كقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها فالثانية ليست بسية
والمعنى ان صنع بكم صنع
سوء من قتل أو نحوه فقابله
بمثل ولا تزيدوا عليه روى
ان المشركين مثاوا بالمسلمين
يوم أحد بقروا بطونهم
وقطعوا مذاكيرهم فرأى
النبي عليه السلام حزة
مبقور البطن فقال أما
والذي أحلف به لأمثلن
بسيهين مكانك فترلت
فكفر عن يمينه وكف عما
أراده ولا خلاف في تحريم
المثلة لورد الاخبار بالنهي
عنها حتى بالكاب العقور
(ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين) الضمير في لهو
يرجع الى مصدر صبرتم
والمراد بالصابرين المخاطبون
أي ولئن صبرتم لصبركم خير
لكم فوضع الصابرين موضع
الضمير ثناء من الله عليهم
لانهم صابرون على الشدائد
ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم

والخلة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط
الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والوعظة الحسنة أي ادع هو لاعمال الوعظة الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب
جدال وخصام ومعاندة وهو لاعهم المشار اليهم بقوله وحادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا الى الحق
ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد
بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالوعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجدالهم بالتي هي
أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء
التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعني انما عليك
يا محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعأؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدى فيجازي
كل عامل بعمله ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم) نزلت هذه الآية بالمدينة في
سبب شهادة أحد و ذلك ان المسلمين لمارأوا ما فعل المشركون يقتلوا المسلمين يوم أحد من تقبير البطون والمثلة
السبئية حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر
الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لم نربين
على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه
حزبة بن عبدالمطلب وقد جددوا أنفه وآذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة
من كبده فضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال أما انهم لوأكلتها لم تدخل النار أبدا حزة؟ كرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الافعال للخيرات وصولا للرحم ولولا نحن من بعدك
عليك لسرتي أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى اما والله لئن أظهرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك
فانزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر
وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربع وستون
رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فقتلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا التبرين عليهم قال فلما
كان يوم ففتح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال
رجل لا قبر يش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الأربعة أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به سمي الفعل
الاول باسم الثاني للمزاجية في الكلام والمعنى ان صنع بكم صنع سوء من قتل أو مثله ونحوه فقابله بمثله
ولا تزيدوا عليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب
استيفاء الحقوق يعني ان رغبت في استيفاء القصاص فاقصوا بالممثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم
والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك
بطريق الاشارة والرمز والتعريض بأن الترتك أولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير
زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين) يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا
من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العاقين

* (فصل) * اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة فأمر النبي
صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس
والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز الله الاسلام وكثر أهله أمر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها

(واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك (١٤٤) الابالته) أي بتوفيقه وتشيبته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا على المؤمنين

وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم (ولا تلك في ضيق مما عكروا) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقبيل والقول والمعنى ولا يضيقتك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات قيل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعيشته نصرته في الأمور وعصمته في المحظور

* (سورة نبي اسرائيل مكية) وهي مائة وعشر آيات بصرية واحدى عشرة آية كوفي وشامى

* (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعبادة الرجل وانتصابه بفعله مضمير متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعده) محمد صلى الله عليه وسلم وأسرى لغتان (ليلا) نصب على الظرف وقيدته بالليل والاسراع لا يكون الا بالليل لتأكيده أو لئلا يقلل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراع وأنه

بحكمته وانها نزلت فمن ظلم ظلامه فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والخفي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق في القصص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم بقوله عز وجل (واصبر وما صبرك الابالته) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلم ان صبره بتوفيقه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعنى على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى رحمة الله ورضوانه (ولا تلك في ضيق مما عكروا) يعنى ولا يضيقتك صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وما صبرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسر هاء قبيل هما الغنان وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم وبالسكر الشدة وقال أبو عبد الضيق بالسكر في قلة المعاش وفي المسكن وأماما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولا تلك في أمر ضيق من مكرهم قال الامام غفر الدين الرازي هذا الكلام من المقول لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تلك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أى اتقوا المثلثة والزيادة في القصص وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعنى بالعرف عن الجاني وهذه المعجبة بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أيها الانسان ان تكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خاق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق ونخاق مع الخلق وكال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حبان عند الموت أوص فقال انما الوصية في المال والامالى ولكنى أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* (فصل في نزولها) قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني فروي عن ابن عباس انه قال هي مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليقتنوك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقيل رب أدخلى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين آمنوا والعلم من قبله وقوله ان ربك أحمق بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليقتنوك وقوله تعالى ولولا ان تبنتك والتي تليها وهي مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسة مائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعده ليلا) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره غير سند وقال النخولون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعده فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذى أسرى يقال أسرى به وأسرى به لغتان بعده أجمع المنسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم يختلف أحد من الامة في ذلك وقوله بعده اضافة تشريف وتعظيم وتجبيل وتفهيم وتكريم ومنه قول بعضهم لا تدعى الا يعبدوها * فإنه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفك قال رب حيث نسبني الى نفسك بالعبودية فاقول الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعده ليلا فان قلت الاسراع لا يكون الا بالليل فامعنى ذكر اليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراع وأنه أسرى به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهرا وأكثر فدل تنكير اليل على البعوضة

أسرى به في بعض اليل من مكة الى الشام مسيرة أو بعين ليلة

وعن ابن عباس رضي الله
عنه ما الحرم كله مسجد
وقيل هو المسجد الحرام
بعينه وهو الظاهر فقد
قال عليه السلام بينا أناني
المسجد الحرام في الحجر عند
البيت بين النائم واليقظان
إذا أناني جبريل بالبراق
وقد عرج ج إلى السماء
في تلك الليلة وكان العروج
به من بيت المقدس وقد
أخبر قريشاً عن غيرهم
وعدد بحالها وأحوالها
وأخبرهم أيضاً بما رأى في
السماء من العجايب وأنه
لقى الانبياء عليهم السلام
وباع البيت المعمور وسدرة
المنتهى وكان الإسراء قبل
الهجرة بسنة وكان في
اليقظة وعن عائشة رضي
الله عنها أنها قالت والله ما
فقد جسد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكن عرج
بروحه وعن معاذ بن جبل
وعلى الأول الجهور إذا
فضيلة للحالم ولا مضرة للنائم
(إلى المسجد الأقصى) هو
بيت المقدس لأنه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد (الذي
باركنا حوله) يريد بركات
الدين والدنيا لأنه متعبد
الانبياء عليهم السلام
ومهبط الوحي وهو محفوظ
بالأنهار الجارية والأشجار
المتمرة (لترية) أي محمداً
عليه السلام (من آياتنا)
الدالة على وحدانية الله

(من المسجد الحرام) قيل كان الإسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر وكذا حديث المعراج وسيأتي بكلامه فيما بعد وقيل عرج به
من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام
الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعني إلى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام أولاً لأنه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالأنهار والأشجار الثمارة وقيل سماه مباركاً لأنه مقر الانبياء ومهبط
الملائكة والوحي وقبله الانبياء قبل بينا مسجد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر
الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والآحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف
الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط قد كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد
الأقصى ومنه كان عرجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه صلى الله عليه وسلم
لو أخبر بصعوده إلى السماء فلا شئنا أنكارهم لذلك فلما أخبر به إلى بيت المقدس وبيان لهم
صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقه عليها أخبر بعد ذلك بعرجه إلى السماء فجعل الإسراء
إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لعرجه إلى السماء وقوله تعالى (لترية من آياتنا) يعني من عجائب قدرته فقد
رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فان قلت لفظه من في قوله
من آياتنا تقتضي التبعية وقال في حق إبراهيم عليه السلام وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات
والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فائز به فواجهه قلت
ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضاً والآيات أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه محمداً
صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان
فضل محمد صلى الله عليه وسلم على إبراهيم صلى الله عليه وسلم (أنه هو السميع) لا قوله ودعائه (البصير)
لأفعاله الحافظة في ظلمة الليل وقت أسراته وقيل أنه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم بمسراة إلى
بيت المقدس البصير بما رآه عليه من التكذيب وقيل أنه هو السميع لأقوال جميع خلقه البصير بأفعالهم
فجازى كل عامل بعمله ووجهه على العموم أولى

* (فصل) في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الأحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس
ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم
وربما قال في الحجر مضطجاً وممنهم من قال بين النائم واليقظان إذا أناني أت فقد قال وسبعته يقول فسق ما بين
هذه إلى هذه فقلت للبحار ودوهو إلى جنبي ما يعني به قال من نغرة نحره إلى شعرة وسبعته يقول من قصته إلى
شعرة فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة بما أنا فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيدت ثم أتيت بدابة دون
البغل وفوق الحمار أيضاً فقال له الجارود أهو البراق بأبأجزه قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه
فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به ففتح المجرى فجاء ففتح فلما خلصت فادأ فيها آدم
فقال هذا أولك آدم فسلم عليه وسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم سعد
حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم
قيل مرحباً به ففتح المجرى فجاء ففتح فلما خلصت فادأ فيها آدم فسلم عليه وسلمت عليه فرد السلام ثم سعد
فسلم عليهم ما وسلمت فرداً ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم سعدني إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به ففتح المجرى فجاء ففتح فلما
خلصت فادأ فيها آدم فسلم عليه وسلمت عليه فرداً ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم سعدني
صعدني حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال

نعم قيل مرحباً به فنع المجدى وجاء ففتح فلما اخاصت فاذا ادر يس قال هذا ادر يس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم
 قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدي حتى اتي السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسى اليه قال نعم قيل مرحباً به فنع المجدى وجاء فلما اخاصت فاذا اهرورن قال
 هـ هذا اهرورن فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدي حتى اتي السماء
 السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسى اليه قال نعم قال مرحباً به
 فنع المجدى وجاء فلما اخاصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح
 والنبي الصالح فلما اتجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما
 يدخلها من امتي ثم صعدي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
 محمد قيل وقد ارسى اليه قال نعم قيل مرحباً به فنع المجدى وجاء فلما اخاصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم
 فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت ابي سدرة المنتهى
 فاذا نبيها مثل قلال هجر واذا ورقتها مثل اذن القيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار ونهران باطنان
 ونهران ظاهرات فقات ما هذان يا جبريل قال اما الباطنات فهن ان في الجنة واما الظاهرات فالتيل والفرات
 ثم رفع لي البيت المعمور ثم اتيت بانواع من نجر وانواع من لبن وانواع من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة انت
 عليها وامتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمرت على موسى فقال بم امرت قلت
 امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد حرت الناس قبلك
 وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشر افرجعت
 الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر افرجعت
 الى موسى فقال مثله فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت الى موسى فقال
 بم امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد حرت
 الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى
 استحيت ولسكن ارضي وأسلم قال فاما تجاوزت مادي منادى مضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية
 اخرى واخرى بالحسنة عشر افرجعت الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى
 زمرم ثم ملني ايماناً وحكمة وفيه فرفع الى البيت المعمور فسالت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلى فيه
 كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة اخرى (ق) عن انس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
 ثم جاء بطست من ذهب فملاها من ماء زمزم ثم اطلقه ففرغها في صدري ثم اطلقه ففرغها في صدري ثم اطلقه ففرغها في صدري
 فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك
 احد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فاسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا
 رجل عن يمينه أسود وعن يساره أحمرة قال فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل شماله بكى فقال مرحباً
 بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسود عن يمينه وعن شماله
 نسم بنيه فاهل اليمن اهل الجنة والاسود التي عن شماله اهل النار فاذا نظرت قبل يمينه ضحك واذا نظرت قبل
 شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى اتي السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن
 السماء الدنيا ففتح قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم
 ولم يثبت كيف منازلتهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما
 صر جبريل ورسول الله بادر يس قال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قال ثم مررت على موسى فقال مرحباً
 بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ادر يس قال ثم مررت على موسى قال ثم

مررت بعيسى فقال مرحبا يا نبي الصالح والآخر الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت
 براهيم فقال مرحبا يا نبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني
 ابن خزم ان ابن عباس وأبا جبهة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى
 ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقدام قال ابن خزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ففرض الله على أمي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على
 أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي
 فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان أمتك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي فقال
 هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقالت قد استحيت من
 ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فاذا فيها
 جنازة اللؤلؤ واذا ترابها المسك (ق) عن شريك بن أبي نمران سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله
 صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال
 أولهم أيهم هو فقال أولهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة
 أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى
 احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبعته حتى فرغ من صدره
 وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو اليمان وحكمة
 فغشاه صدره ولغاد يده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فصر بيا من أولها فناداه
 أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا من معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا
 يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم
 عليه السلام فقال له جبريل هذا أولك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا يا نبي نعم الامن أنت
 فاذا هو في السماء الدنيا بنهر ين يطردان فقال ماه ذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات
 عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ ويزجد فضر ببيده فاذا هو مسك أذفر
 قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوكب الذي جبالك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل
 ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا من معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم
 عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج
 به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء
 السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعدت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة
 وأخري في الخامسة ولم أحفظ اسمها وراهيم في السادسة وموسى في السابعة بلهضيل كلام الله فقال موسى
 ربلم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجباروب العزة
 فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فاوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط
 حتى بلغ موسى فاحتبس به موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان
 أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه
 يستشير به في ذلك فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا
 فان أمي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبس به فلم يزل يردد موسى الى ربه
 حتى صارت خمس صلوات ثم احتبس به موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد رادوت بين اسرايل قومي على
 أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا واسما عافار جمع فليخفف
 عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل
 فرفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماهم وأبدانهم تخفف عنا فقال

خلقت السموات والارض فرضت عليه ان وعلى أمته خمسين صلاة فخمسين فقم بها أنت وأمتك
 فعرفت انها أمر الله جرى بقول حتم فلم أرجح

* (فصل) * قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابهم ما شيا لا يحتمل مخرجا
 الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي
 واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بخمسة عشر سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا
 فتدلى وذ كرت عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح
 لان هذا كان رؤيا في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد
 الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة بتحقيق قاله رؤياه التي راها من قبل كما أنه رأى فجع مكة
 في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله
 رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية
 شريك في هذا الحديث أو هام أنكرها عليه لعلها عوقد به مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها
 قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد بعثته صلى الله
 عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحرابي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل
 الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد بعثته صلى الله عليه وسلم بخمسة سنين وقال ابن اسحاق أسرى به
 صلى الله عليه وسلم وقد فسد الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشبهه الاقوال قول الزهري وابن
 اسحاق وأما قوله في رواية شريك وهو ناظم وفي الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين الناظم واليقظان فقد يحج
 به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حاله أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه
 ناظما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها
 قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث
 مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من
 رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء
 جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وناث البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد
 منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي
 المعول عليها

* (فصل) * في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال
 كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس
 في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم
 السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه وجسده
 صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبد له ليل لفظ العبد عبارة عن مجموع
 الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعتها وبحث عنها وحتى
 محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حديثه انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه ما فقد جسده رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وانما أسرى بروحه وحكي هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية بن وهب والصحيح ما عليه جمهور العلماء
 من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للذئب التي ركبها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو أشدة صفائه وبياضه ولعانه وتلالته وفوره
 والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد ببط البراق بالحلقة الاخذ بها الاحتياط في الامور وتعاطي
 الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بنا من نجر وانا
 من لبن فاخترت اللبن فيه اختصارا والتقدير وقال لي اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت القطرة يعني

فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائعا للشاربين وانه سليم العاقبة
 بخلاف الخرفانها أم الحباثت وبالجملة لانواع الشروق له ثم خرج حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل
 فعقل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب بان استأذن وان يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان
 للسماء أبوابا وبوابين وان عابها غير ما يقول بواب السماء وقد أرسل اليه في الرواية الاخرى وقد بعث اليه
 معناه للاسراع وسعوده السماء وليس مراده الاستنهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى
 هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا آدم وذكرا جماعة من الانبياء فيها استحباب لقائه
 أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز
 مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا براهيم مسندا
 ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بي الى
 السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس
 وغيره من المفسرين سميت بذلك لسكونتها ينتهي اليها ما يبسط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله
 وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لسكونتها ينتهي اليها ما يبسط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله
 عز وجل وقوله واذا غرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلبه يضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قريتين
 أو أكثر قوله فرجعت الى ربي قال الشيخ يحيى الدين النووي معناه رجعت الى الموضوع الذي ناجيته فيه أولا
 فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أرل أربيع بين موتي وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل قلت
 وأما الكلام على معنى الرؤيا وما يتعلق بها فانه سياتي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة التجم عند قوله تعالى
 ثم ندنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمي تحسین صلاة الى قوله فوضع شطرها في الرواية الاخرى
 فوضع عنى عشرا وفي الاخرى خمس ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشرط الجزء وهو الجنس وليس
 المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الحسن رواية ثابت البناني وقراءة وهما أثبت
 من شريك فالمراد حط عنى خمس الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني تحسین في الاجراء والثواب لان
 الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث انه شق
 صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند حليلة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق
 الثاني زيادة التطهير لما مراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم منهم انه
 يجوز استعمال اناء الذهب لتناول شرب الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال
 الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله يمتلئ ايماننا وحكمة قافر غها في صدري فان قلت الحكمة
 والامان معان والافراغ صفة الاجسام فامعنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شي يحصل به كمال
 الايمان والحكمة وزيادتهما فسمى ايماننا وحكمة لكونه سببا لها وهذا من أحسن المجاز وقوله في صفة
 آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه
 تسم بنيه يعني أرواح بنيهم وقد اعترض على هذا بان أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الارض
 السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام
 وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فاجبر بما رأى وقوله فاذا انظر عن
 يمينه ضحك واذا انظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسرور وفرح بحسن حال المؤمن منهم
 وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادريس مر حيا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤمنون
 على أن ادريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم
 جد نوح فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب
 عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هناه هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب
 القاضي عياض قال الشيخ يحيى الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أب النبيينا محمد صلى الله عليه وسلم

وان قوله الاخ الصالح حجة مل أن يكون قاله تالفا وتادبا وهو أخ وان كان أبلان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

* (فصل) * في ذكر الايات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياتي في احاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصدوق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بي الى السماء أصبحت بمكة فوضعت بأمرى وعرفت أن الناس يكذبوني فروى انه صلى الله عليه وسلم قدم معتر لاخر ينافر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالسهمزى هل استفتدت من شئ قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن يسكر ذلك مخافة أن يحجده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجباً وارتد أناس ممن كان قد آمن به وصدقوه وسعى رجل من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك بزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لمن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن يصبح قال نعم اني أصدقته بما هو أبعد من ذلك أصدقته بخبر السماء في غدوة أو روضة فلذلك سمي أبو بكر الصدوق قال وكان في القوم من أتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنعت حتى التيس على قال فيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فبعث المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهى أهـم الينا هل لقيت منها شيئاً قال نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالرى وعاء وقد أضلوا بعيرنا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعمطت فاخذته ففشر به ثم وضعته كما كان فسلاوا هل وجدوا الماء في القديح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان را كان يعود الهـمابذى من فففر بعيرهم امني فرمى بفلان فانه كسرت يده فسلاوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فاجبرنا عن بعيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فاعدهتها وأجالها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلته بعدهتها وأجالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جعل أروق عليه غراران مخيطتان تطاع عاميكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشهدون نحو الشية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فعملوا ينظرون متى تطاع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير أروق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذه سحر مبین (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقرش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أيتها فكبرت كربة ما كربت مثلهما قال فرفعه الله لى أنظر اليه ما يسألوني عن شئ إلا أنبأهم به أو قدر أيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوعة واذا عيسى بن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شهاة روية من مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة قائمهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد يا محمد هذا مالك صاحب النار فلم عليه فالتفت اليه فبدانى بالسلام (ن) عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قرش قت الى الحجر فلى الله الى بيت المقدس فطافقت أحسبهم عن آياته وأنا أنظر اليه زاد البخارى في روايته لما كذبني قرش حين أسرى بي الى بيت المقدس وذكر الحديث (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الاجر

(وأتينا موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني إسرائيل أن لا يتخذوا) أي لا يتخذوا وبالباء أبو عمرو وأي لئلا يتخذوا (من دوني وكبلا) ربا تكون اليه أموركم (ذرية من جملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا يتخذوا بالباء على النهي أي قلنا لهم لا يتخذوا من دوني وكبلا يذريه بمن جملنا مع نوح (أنه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) في السر والضره والشكر مقابلة النعمة بالشقاء على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وانتزعه من آمن به وحمل معه فاجلوه اسوتكم كجعله آباؤكم اسوتهم (١٥٢) وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الاباء وقد عرفتم حال الاباء هنالك فكوفوا أيها

الابناء كذلك (وقضينا الي بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض) وأوجنا اليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا بموتنا بانهم يفسدون في الارض لاجماله والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبثوث مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقمنا لتفسدن في الارض (مرتين) أولاهما قتل زكريا عليه السلام وجس أرميا عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والآخرى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولعلن عاوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به النبي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذ جاء وعد أولاهما) أي وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم سلطانا) أي وعد عقاب أولي بأس شديد

فاذ هو قائم يصلي في قبره عن برية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه ففرق به الحجر وشده البراق أخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما صلواته صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس فيحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما سروره بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاخر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلاتهم فيحتمل انه الذي ذكره والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانه اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبرانه رأهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق قوله سبحانه وتعالى (واتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني إسرائيل أن لا يتخذوا) يعني وقلنا لهم لا يتخذوا (من دوني وكبلا) يعني ربا كقبلا (ذرية) يعني يذرية (من جملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل (وقضينا الي بني اسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فإلى معنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولعلن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا) فاذا جاء وعد أولاهما) يعني أولى المرتين قبل افسادهم في المرة الاولى هو ما قالوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعيبا في الشجرة وارتكابهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سخيار يب وهو من أهل يثرب وقيل هو يختصر بالسبلي وهو الاصح (أولى بأس شديد) يعني ذرى بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطالبونكم ليقتلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائن الا لا خلاف فيه (ثم رددناكم الكرة عليهم) يعني رددناكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم عن الفساد والعلوقيل هي قتل ذنوبكم ورجعتكم عن الفساد (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) يعني أكثر عددا (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم) يعني لها نوابها وجزاء احسانها (وان أسأتم فأسأتم) يعني فعلها اسأتمها

في القتال يعني سخيار يب وجنوده أو يختصر أجالوت قتلا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا منهم (فاذا سبعين ألفا) فجاسوا خلال الديار (ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء) وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعد الايدان يفعل (ثم رددناكم الكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتكم عن الفساد والعلوقيل هي قتل يختصر واستنقاذ بني اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قبل اللام يعني على كقوله وعلها ما كتبت والصحيح انه اعلى باه الان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت

(فاذاباه وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى نفاضة الله منهم ورفعها اليه
 وقت - اواز كرياويحي عليهم السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسيبوهم وقتلواهم وهو قوله تعالى
 (ليسوا و اجوهكم) يعني ليجزئوكم وقرئ بالنون أي ليسوا والله وجوهكم (وايدخلوا المسجد) يعني بيت
 القدس ونواحيه (كإدخاله أول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تيميرا) يعني وليهلكوا
 ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلا كما * (ذكر القصة في هذه الآيات) *

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا
 اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك
 بعث معه نبيا ليلسدهه ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون بتابع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك
 صديقة بعث الله معه شعيا وذلك قبل بعث زكريا ويحي وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله
 عليه وسلم فقال أبشري أوورشايم الآن يأتيك واكف الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعني
 صديقة بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا
 فبعث الله سنخار يب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فلم يزل ساورا حتى نزل حول بيت المقدس والملك
 مريض من قرحة كانت في ساقه فباع شعيا النبي اليه وقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنخار يب ملك بابل قد
 نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هاجمهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا بني الله هل
 آتاك من الله وحى فيما حدث فخبيرنا به وكيف يفعل الله بنا وسنخار يب وجنوده فقال شعيا لم يأتي وحى
 في ذلك فينبأهم على ذلك أوحى الله الى شعيا النسبي ان ائت ملك بنى اسرائيل فخره أن يوصى وصيته
 ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى أن
 أمرتك أن توصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك لم تسمت فله قال ذلك شعيا
 لصديقة الملك أتقبل على القبر له فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص اللهم
 رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا مقدس يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذ كرني
 بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سرى وعلايتى لك
 فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فوحي الله الى شعيا أن يخبر صديقه ان ربه قد استجاب له ورجعه وأخرأجله
 خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنخار يب فاتاه شعيا فآخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه
 الحزن وخرساجد الله وقال الهى واله أبائى لك سجدة وسجدة وكبرت وعظمت أنت الذى أعطى الملثمن
 تشاوت وزع الملك من تشاوت وعز من تشاوت وتذل من تشاوت عالم الغيب والشهادة أنت الاول والاخر والظاهر
 والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرب أنت الذى أجبته دعوتى ورجحت تضرعى فلما فرغ رأسه
 أوحى الله الى شعيا أن قل للملك صديقة فبأمر عبد من عبده فيما أتت به أسماء التين فيجعلها على قرحته فيشفى
 فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله
 لشعيا قل له انى قد كفيبتك عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الاستخار يب وخسة نفر من
 كتابه أحدهم يختنصر فلما أصبحوا جاء صاروخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل ان الله قد كفلك
 عدوك فآخرج فان سنخار يب ومن معه هلكوا وخرج الملك والشمس سنخار يب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك
 فى طلبه فادركه الطالب فى مغازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم يختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتواهم الملك
 فلما رأهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنخار يب كيف رأيت فعل ربنا
 بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنخار يب قد أتانى خبر بكم ونصره اياكم ورجته التي
 يروجكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الاقله عقلى ولو سمعت أو عقلت
 ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كرها شاعوانا ربنا لم يجمعك ومن معك
 لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وواكهما

أوسيته يعني ان الاخسان
 والاساءة تختص بأنفسكم
 لا يتعدى النفع والضرر
 الى غيركم وعن على رضى
 الله عنه ما أحسنت الى أحد
 ولا أسأت اليه وتلاها (فاذا
 جاء وعد الآخرة) وعد المرة
 الآخرة بعثناهم (ليسوا و)
 أى هؤلاء (وجوهكم) وحذف
 دلالة ذكره أولا عليه
 أى ليجعلوا بآباده آتار
 المساءة والركابة فيها
 كقوله سيئت وجوه الذين
 كفروا ليسوا شامى وجزرة
 وأبو بكر والضمير لله عز
 وجل وأللوعد وألبعث
 ليسوا على (وليدخلوا
 المسجد) بيت المقدس
 (كإدخاله أول مرة وليتبروا
 ما علوا تيميرا) ما علوا مفعول
 ليتبروا أى ليهلكوا كل
 شئ غلبوه واستولوا عليه أو
 بمعنى مدة علوهم

رأيتهم من فعل ربنا بكم فتذروا من بعدكم ولو لا ذلك لقتلك ومن معك ولدك ودم من معك أهون على الله من
 دم قراد لو قتلت ثم إن ملك بنى اسرائيل أمر أمير حوسه أن يعذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين
 يوماً حول بيت المقدس وإيلياء وكان يرزقهم في كل يوم خبز من من شعير لكل رجل منهم فقال سخاريب
 للملك صديقه القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فامرهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعيب النبي أن قل للملك
 بين اسرائيل يرسل سخاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرههم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ
 ذلك شعيب للملك ففعل وخرج سخاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل
 الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته بملك بابل قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم وأوحى الله إلى نبيهم فلم
 تعلمنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سخاريب تخويف بالنبي اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى
 ذلك تذكرة وعبرة ثم إن سخاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه تختنصر ابن ابنه
 فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله الملك بنى اسرائيل صديقه فرج أمر بنى
 اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً وشعباء نبيهم معهم لا يقاؤون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعباء
 قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحى فقال يا شعيب اسمعنى ويا أرض انصتى فإن
 الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل الذى راهاهم بنعمته واضطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على
 عباده وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فأوى شاردها وجمع ضالتها وجر كسبها وهاوداوى مريضها
 وأسمن مهزولها وحفظ سميتها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت بكاشها فقتل بعضها بعضها حتى لم يبق منها
 عظم صحيح يجبر اليه آخرفويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أى جاءهم الخبير إن البعير مما يذ كر
 وطنه فينتابه وإن الجمار مما يذ كر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وإن الثور مما يذ كر المرج الذى
 سمن فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يذ كرون من حيث جاءهم الخبر وهم أولو الألباب والعقول ليسوا بغير
 ولا جبر وإنى ضارب لهم مثلاً فليس معوه قل كيف ترون فى أرض كانت خراباً ما لا يعمران فيها وكان لها رب
 حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جداراً
 وشيد فيها قصرًا وأنبت فيها نهرًا ووصف فيها غراس من الزيتون والرمان والتخيل والاعناب وألوان الثمار كلها
 وولى ذلك واستحفظه فيما ذار أى وهمه تحفيظاً قواياً أميناً فلما أطلعت جاء طلوعها خرو بافقالوا بنيت الأرض
 هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قنبرها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول
 مرة خراباً ما ولا يعمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار دينى والقصر شربى وإن النهر كفى وإن القيم نبي
 وإن الغراس هم وإن الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على
 أنفسهم وإنه مثل ضربته لهم يتقربون إلى يذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ويدعون أن
 يتقربوا إلى بالقوى والكف عن ذبح الانفس التى حرمتها وأيديهم منحسوبة منها وثيابهم متزملات بدماها
 يشيدون إلى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها ويحسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون إلى
 المساجد ويزنونها ويحرقون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة إلى تشييد البيوت ولست
 أسكنها وأى حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لاذكروا سبح فيها يقولون صمنا
 فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تتور صلواتنا وتصدقنا فلم تزل صدقة تبادعوننا بمن مثل حنين الحمام وبيكيتا بمن مثل عواء
 الذئب فى كل ذلك لا استحباب لنا قال الله فاسألهم ما الذى عنى أنى أستحب لهم ألمت أسمع السامعين
 وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور
 ويتقربون عليه بطعمة الحرام أم كيف أتورص لاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربى ويعدانى وينتهك
 محارمى أم كيف تركوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما أحرع عليها أهلها المعصرون
 أم كيف أستحب لهم دعاءهم وإنما هو قولهم بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وإنما أستحب للداعى اللين
 وإنما أسمع قول المستضعف المستكين وإن من علامه رضائى رضا المساكين يقولون لنا سمعوا كلامى

وبلغتهم رسالتى انما أقاريل منقولة وأحاديث متواترة ونا آليف مما تأولف السحرة والكهنة وزعموا أنهم
 لوشاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلاوا ولوشاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اطلعوا وانى
 قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبتته وحثته على نفسه وجعلت دونه أجلاماً وجلالاً بدانه واقع
 فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو فى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن
 يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها أمضيت قانى مظهره على الدين كاسه ولو كره المشركون وان
 كانوا يقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤون فليؤلفوا مثل هذه الحكمة التى أدبر بها ذلك القضاء كانوا
 صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل النبوة فى الاحراء وان أجعل الملك فى الرعاء
 والعزى فى الازلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى الجهلة والحكمة فى الاميين فسلمهم
 متى هذا ومن القائم بهذا من أعوان هذا الامر وأنصروه ان كانوا يعلمون وانى باعث لذلك نبيا أميا ليس أعشى
 من عيىان ولا ضالما من ضالين وليس بظف ولا غليظ ولا نخابى الاسواق ولا مترين بالفمخش ولا قوال للغنا
 أسدده بكل جبل وأهبله كل خلق كرم أجعل السكينة لباسه والبرشجاره والتقوى ضميره والحكمة
 معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
 امامه والاسلام ملته وأجداسه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخجلة
 وأشهر به بعد النكرة وأكثره بعد القلة وأعنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤاف به بين
 قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خيرامة أخرجت للناس بامرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر توحيدى وإيمانى وإخلاصى يصلون قياما وقودا وركعا وسجودا ويقا تلون فى
 سبلى صفوفا وزحوقا يخرجون من ديارهم وأموا لهم ابتغاء مرضاتى ألهمهم التكبير والتوحيد
 والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتعجيدى فى مسيرهم وبحالسههم ومضاجعهم ومقالمهم
 ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدمون على رؤس الاشراف يطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون
 لى الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم وأبجابههم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه
 من أشاعوا نأذوا الفضل العظيم فلما فرغ شعبياء من مقاتله عدوا عليه ليقبلاه فهرب منهم فلقيته شجرة فأنفلقت
 له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذهم بدمية من ثوبه فاراهم اياها فوضعا المنشار فى وسطها فنشر وهاجتى
 قطعواها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناسه بن أموص وبعث
 لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبطه رون بن عمران وذكر ابن اسحق أنه انحضر واسمه ارمياء سمى
 انحضر لانه جلس على فرور قبضاء فقام عنها وهى تهنن خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده ويرشده
 ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فارحى الله الى ارمياء ان اتت قومك
 من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكركهم نعمى وعرفهم باحداثم فقال ارمياء يا رب انى ضعيف
 ان لم تقوى عاجزان لم تبلغنى فخذول ان لم تنصرنى قال الله تعالى أولم تعمل ان الامور كلها تصدرون عن مشيئتى
 وان القلوب والالسنه بيدي أقفلها كيف شئت انى معك ولن يصل اليك شئى معى فقام ارمياء فيهم ولم يدر
 ما يقول فاهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها
 عن الله عز وجل وانى خلقت بعزى لا يقضن لهم فتنة يتحير فيها الخليم ولا سلطان عليهم جبارا فاسيا ألبسه
 الهيئة وأنزع من صدره الرجة يتبعه عدده مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل
 بياض وياض من أهل بابل فسلط الله عليهم فاختصر فخرج فى ستمائة ألف رايه ودخل بيت المقدس فخنوده
 ووطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه
 ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يحجموا من فى بلدان بيت المقدس كلهم
 فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبى فلما خرجت غنائم جندته وأواد
 أن يقسمها فيهم قالت له المملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان

الذين اخبرتهم من بني اسرائيل فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلّمان
وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق ثلثا افرهم بالسّام وثلثا سبّاهم وثلثا قتلهم وذهب باناث بيت
المقدس وبالصبيان السبعين الفساحتى اقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الاولى التى اترّل الله عز وجل ببني
اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادنا اولى باس شديد يعنى
بختنصر واطحابه ثم ان بختنصر اقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبه اذ رأى شيئا اصابه فانساه الذى
وأى فدعا دانيال وحنانيا وعزرايا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنهما فقالوا اخبرنا بما اخبرك
بتاويلها فقال ما اذكرها واثم لم تخبروني بها وبتاويلها لا نزعن اكلناكم فخر جوامن عنده فذعوا الله
وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألهم عنه فاوزه فقالوا رأيت تمثالا قدما وساقاه من نحاس وركبناه ونقذاه من
نحاس وبطنه من فضة وصدوره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فينبذها أنت تنظر اليه وقد
أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فأتا ويلها قالوا أتا ويلها انك رأيت
الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفخار اضعفه ثم فوقه
النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد
ملكه فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى بعثه الله من السماء فيدق
ذلكم اجمع ويصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا بختنصر رأيت هؤلاء العلامات من بني اسرائيل الذين سألناك
ان تعطيناهم ففعلت فان اقداسك اناسا نام شد كانوا معنا القدر أينا نساء انصرفت وجوههن عنا اليهم
فأخرجهم من بين أظهرنا واقبلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما
قر يوم للقتل بكونوا تضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا أصابنا البلا بذنوب غيرنا فعددهم الله أن يحبسهم
فقتلوا الامن كان منهم مع بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزرايا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى هلاك
بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني اسرائيل أرايتم هذا البيت الذى خربت والناس الذى قتلت منكم وما
هذا البيت قالوا هو بيت الله وهو لاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وفسطت عليهم بذنوبهم
وكان يربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم بكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم وسلط
عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر ووطن أنه يجبرونه فعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لى أن أطلع الى
السماء العليها فاقبل من فيها وأخذها لى ملكا فانى قد فرغت من أهل الارض قالوا ما يقدر عليها أحد من
الخلائق قال لتفعلن أو لا تفعلنكم عن آخركم فيكونوا تضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرة
بعوضة فدخلت مخزعه حتى عضت أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأله رأسه على أم دماغه فلما مات
شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من بني اسرائيل فى
يده وردهم الى السّام فمناو فسوا كثير وراحتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى
أحبنا أولئك الذين قتلوا فلو قتلوا بهم ثم انهم لما دخلوا السّام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد
احترقت وكان عزير من السببا الذين كانوا بابل فلما جمع الى السّام جعل يبكى ليله ونهاره وتخرج عن
الناس فيبينها هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال أبكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين
أظهرنا الذى لا يصلح ديننا وأخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك
ثم موعدك هذا المكان غد افرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عد الى المكان الذى وعده فجلس فيه
فأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فاستقام من ذلك الاناء فمات التوراة فى صدره فرجع
الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه وحبالهم يحبوا حبه شيئا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل
بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعوذ الله عليهم ويبعث فيهم الرسل فصر يبايكونون وقرىبا يقتلون حتى كان
آخر من بعث اليهم من أنبياءهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا مات
وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفع الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى فلما نزلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا

من مملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رؤساء من
 رؤساء جنوده يقال له بيور زاذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت بالهسي لئن انا طهرت على اهل
 بيت المقدس لاقتلهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان لا اجد اهدا اقتله فامرهم ان يقتلهم حتى يبلغ
 ذلك منهم ثم ان بيور زاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما
 يغلي فسألهم عنه فقال يابني اسرائيل ماشان هذا الدم يغلي اخبروني خبره فقالوا هذادم قربان لنا قرب بناه فلم
 يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قرب بنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الاهداف قال ماصدقتموني فقالوا لو كان
 كقول زماننا لتقبل منا ولو لكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيور زاذان منهم على
 ذلك الدم سبع مائة وتسعين رجلا وامرهم فذبحهم فلم يهدأ الدم فامرهم بسبع مائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم
 فلم يهدأ فامرهم بسبع مائة الف من شبيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيور زاذان ان الدم
 لا يهدأ قال لهم يابني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طامس ملككم في الارض تفعلون
 ماشتمت قبل ان لا اترك منكم نافع نار من ذكر ولا انثى الا قتلتها فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر
 فقالوا ان هذادم نبي كان فيها ما عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كنا ارشدنا وكان يخبرنا عن
 امركم فلم نصدقهم فقتلناه فهداه فقال لهم بيور زاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الا نصدقتموني
 لمثل هذا ينتموكم ربكم منكم فلما علم بيور زاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة
 واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلافي بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك
 ما اصاب قومك من اجلك ومن قتل منهم فاهدأ يا ذن ربك قبل ان لا ابقى من قومك اهدا الا قتلتهم فهدأ الدم
 باذن الله تعالى ورفع بيور زاذان عنهم القتل وقال امنت بما امنت به بنو اسرائيل وايقنت انه لا رب غيره وقال
 لبني اسرائيل ان خردوش امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دمازكم في وسط عسكريه واني لا استطيع ان اعصيه
 قالوا له افعل ما امرت به فامرهم ففطر واخذ فامرهم بأموالهم من الخيل والبغال والجرير والابل والبقر
 والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكري وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي فلم
 يظن خردوش الا ان ما في الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكريه ارسل الى بيور زاذان ان ارفع
 عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد اتى بني اسرائيل او كاد ان يقتلهم وهي الوقعة الاخيرة التي اترل الله ببني
 اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرى خردوش
 وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين
 الا ان بقايا بني اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة
 الى ان بدلوا واحداث فسلط الله عليهم ططوس بن اسيدانوس الرومي فخرّب بلادهم وطردهم عنها
 ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فالبشوا في امة الا وعلبهم الصغار والجزية وبقى
 بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل في سبب قتل يحيى عليه السلام ان
 ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدين مجلسه وان الملك الهوي بنت امراته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسأل يحيى
 تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جالس الملك على شرايه فالبستها ثيابا
 وقا حرا وطيبتها ولبستها الحلي وأرسلتها الى الملك وأمرتها ان تسقيه فان هورا ودها عن نفسها ابنت عليه
 حتى يعطها ما سألته فاذا اعطاها ما سألته سألت رأس يحيى بن زكريا وان يؤتى به في طست ففعلت فلما
 راودها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألك قال فأتى بالثوب التي قالت رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال
 ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما ابنت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم
 يقول لا يحل لك فلما أصبح اذامه يغلي فامر بتراب فأتى عليه ففرق الدم يغلي فلا زال يغلي ويلقى عليه التراب
 وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرق ويغلي وسلط الله عليهم ملك بابل فخرّب بيت المقدس وقتل
 سبعين ألفا حتى سكن دمه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (عسى ربكم أن يرجمكم) يعني يابني اسرائيل بعد انتقامه منكم

(عسى ربكم أن يرجمكم)
 بعد المرة الثانية ان تبتم توبة
 أخرى واترجمتم عن المعاصي

(وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النعمة بتسليط الالكاسرة وضرب الاناوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ساط عليهم المؤمنون الى يوم القيامة (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) بحسب ما يقال للسجن محصور وحصير (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم) للجملة التي هي اقوم الحالات واسدها وهي توحيد الله والامان برسوله والعمل بطاعته أو للجملة أو للطريقة (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) ويبشر جزئيا وعلى (ان لهم) اجر كبير (وان الذين) وبان الذين (لا يؤمنون بالاخرة) (عدنا) أى أعدنا فقلت تاء (لهم) (١٥٨) عذابا ألما) يعنى النار والاية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم

والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (ويدع الانسان بالنسردعاه بالخير) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطالب النفع العاجل وان قبل بالضرر الآجل وان جل (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأني المتبصر أو أرى يد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستجمل به كما يدعو بالخير اذا مسسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتية لا محالة فسا هذا الاستجبال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدعى الخطا على موافقة اللفظ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أى الليل والنهار

فبرد الدولة اليكم (وان عدتم) أى الى المعصية (عدنا) أى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سجنا ومحسنا من الحصر الذى هو مجلس الحبس وقيل فراشا من الحصر الذى يبسط ويقترش قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم) أى الى الطريقة التي هي أصوب وقيل الى الحكمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعنى القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا) يعنى الجنة (وان الذين لا يؤمنون بالاخرة) أعدنا لهم عذابا ألما) يعنى النار فى الاخرة (ويدع الانسان) أى على نفسه وولده وماله (بالشر) يعنى قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاه بالخير) أى كدعائه به أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الانسان عجولا) أى بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجر الاصب له على سراء ولا ضراء قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين ذالتين على وحدانيتنا وقد تناوفا معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للحق على مصالح الدنيا والدين أمافى الدين فلا تن كل واحد منهما ماضاد للآخر فمما يرمع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على ان لهم ما يدبره ماو يقدرهما بالمقادير والخصوصة وأمافى الدنيا فلا تن مصالح العباد لا تتم الا بهما فى الليل يحصل السكون والراحة وفى النهار يحصل التصرف فى المعاش والكسب والقول الثانى أن يكون المراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فمحونا آية الليل) أى جعلنا الليل محموا الضوء موهما ظلمة لا يستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ نور القمر كذلك فمعامل نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواكب عن السواد الذى فى القمر فقال هو أثر المحو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بيباض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف فى معاشكم (ولتعلموا) أى باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أى ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعلمت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرك الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المترجلة واعلم ان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الا ربعه لا التكرار (وكل شئ فصلناه تفصيلا) يعنى وكل شئ تقهقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر احوال آيتى الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا حرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلا قوله عز وجل (وكل انسان أزمانا طاره

آيتان فى أنفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار لليتين كاضافة العدد الى المعدود أى فمحونا الآيات التي هي الليل وجعلنا الآيات التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشمع الشمس فترى الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوءها كل شئ (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا بيباض النهار الى التصرف فى معاشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعنى حساب الاحوال ومواهب الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراس المكتسبين والتجار (وكل شئ) مما تقهقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا علككم وماتر كالكلمة عابنا (وكل انسان أزمانا طاره) عله

(في عنقه) يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا يفتل عنه (وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفة الكتابا بلفظ شأى (منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوى ليتمكن قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له (اقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك وكل بيعت قارتا (كفى بنفسك اليوم عليك) الباعزة أمة أى كفى نفسك (حسبنا) تمييزا وهو بمعنى حاسب (109) وعلى متعلق به من قولك حسب عليه

كذا وبمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى مأهله وانما ذكر حسبنا لانه بمنزلة الشهيد والقاضى والامير اذا الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسبنا أو تقول النفس بالشخص (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولا تزر وازرة وزر اخرى) أى كل نفس حاملة وزر فانما تحمل وزر هاللا وزر نفس اخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا ان نعذب قوماعذاب استئصال فى الدنيا الا بعد ان ترسل اليهم رسولا يلزمهم الحجة (واذا أردنا أن نمالك قرية) أى أهل قرية (أمرنا مترفها) متنعمها وجبارتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كتر ناديلها قراءة يعقوب أمرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة أى

فى عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أيما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وقيل أراد بالظائر ما قضى عليه انه عام له وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج بمعنى أزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا يفتل عنه والعنق فى قوله فى عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا فى عنقك أى قلدتك هذا العمل وأزمنتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما تزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الخلى فى العنق وهو مما تزين به وان كان عمله شرا كان له كالغل فى عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للانسان صحيفتان وروك به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه فى عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى يقال له اقرأ كتابك قبل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك حسبنا) أى محاسباً قال الحسن لقد عدل عليك (1) من جعلك حسب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسبنا قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعنى ان ثواب العمل الصالح يختص بفاعله وعقاب الذنب يختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) أى لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يؤخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد يختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجة وقطع العذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعدل قوله سبحانه وتعالى (واذا أردنا أن نمالك قرية أمرنا مترفها) فى معنى الآية يقولان أحدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى بماذا أمرهم فقال أكثر المفسرين من معناه انه تعالى أمرهم بالأعمال الصالحة وهى الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول الثانى أمرنا مترفها أى كترنا فساقها يقال أمر القوم اذا كثر واو أمرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأبورة أى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذى أبطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) أى خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (حقق عليها القول) أى وجب عليها العقاب (فدمرنا هانديرا) أى أهلكتنا هاهنا لانه استئصال والدمار الهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعا يقول لاله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تلبها قالت زينب قلت يا رسول الله أنم لك وفيها الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث أى الشر قوله تعالى (وكم أهلكتنا من القرون) أى المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله بن أبى أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول قرن يزيد بن معاوية فى آخره وقيل القرن مائة سنة وتوروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازنى ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سمعيت هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلتنا نعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يعنى انه عالم بجميع المعلومات راجع لجميع المراتب لا يخفى عليه شئ

كثيرة النسل (حقق عليها القول) فوجب عليها الوعيد (فدمرنا هانديرا) فاهلكتنا هاهنا كالأهلاكا (وكم) مفعول (أهلكتنا من القرون) بيان لاسم (من بعد نوح) يعنى عاد وثمود وغيرهما (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا) وان أخفوه فى الصدور (بصيرا) وان أرتخوا على السطور (1) قوله عدل عليك هكذا فى الاصل الطبع وفى بعض النسخ اليك بدل عليك وفى الخطيب عدل والله فى حقك من الخوفى الكشاف باب ابن آدم أنصفك والله من الخاه مصحح

(من كان يريد العاجلة يجعلها فيها ما شاء) لا ما يشاء (من يريد) يدل من له بأعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذا ضمير يرجع الى من
 أى من كانت العاجلة هـ م ولم يد غيرها كالكفرة بفضلائها من منافعتها بما يشاء لمن يريد فقيد المجلع بمشيتها والمجلع له بأرادته وهكذا
 الحال ترى كثير من هؤلاء يفتنون ما يفتنون ولا يعطون الا بعضا منهم يفتنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر
 الآخرة وأما المؤمن النقي فقد اختار غنى الآخرة فان أوفى حظا من الدنيا فيها والا فربما كان الفقر خيرا له (ثم جعلناه جهنم) في الآخرة
 (بصلاها) يدخلها (مذموما) ممقوتا (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به أو حقه من السعي
 وكفأها من الاعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعدته (فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مما يشاء عليه عن بعض
 السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه (١٦٠) عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وثلا الاية فانه شرط فيها ثلاث

من أحوال الخلق قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أى الدار العاجلة يعنى الدنيا (بجعلناه فيها ما يشاء) أى من البسط أو التقدير (من يريد) ان نفعل به ذلك أو اهلا كه وقيل فى معنى الآيه بجعلناه فيها ما يشاء لمن يريد أى القدر الذى نشاء نجعله له فى الدنيا لا الذى يشاءه وولن يريد أن نجعل له شيا قدرناه له وهذا
 ذم من أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من أرادها لا يدرك منها الا ما قدر له (ثم جعلناه) أى فى الآخرة (جهنم بصلاها) أى يدخلها (مذموما مدحورا) أى مطرودا مبعدا (قوله سبحانه وتعالى (ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها) أى عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أى مقبولا قيل فى الآيه ثلاث شرائط فى كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها موعودا يخافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والتردد والايان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وثلا هذه الآيه (قوله عز وجل) كلا عند هؤلاء وهؤلاء أى عند كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعنى يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بينهما فى المال (وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا عن عباده والمراد بها العطاء العطاء فى الدنيا اذ لاحظ للكافر فى الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) أى فى الرزق والعمل يعنى طالب العاجل وطالب الآخرة (وللاخرة أكبر رجا وأكبر تفضيلا) يعنى ان تفاضل الخلق فى درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم فى درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل فى درجات الآخرة الى التفاضل فى درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتهر رغبته فى طلب الدنيا فلان تقوى وتشهد رغبته فى طلب الآخرة أولى لانها دار المقامة (قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر وهذا أولى (فتقدم مذموما) أى من غير حمد (مخذولا) أى بغير ناصر (قوله سبحانه (وقضى ربك) أى وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم ألقوا بالوا بالصاد فصار قافا وهى قراءة على وابن مسعود قال الامام نضر الدين الرازى فى تفسيره الكبير هذا القول بعبد جلاله يفتح باب ان التعريف والتعبير قد تطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان على القرآن وذلك بخبره عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم فى الدين (ألا تعبدوا الاياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا برب الالهي لا الانعام والافعال على عباده ولا منم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أى وأمر بالوالدين احسانا أى برهما وعطفاهما عليهما واحسانا

شرائط فى كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كلف والايان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (ثم عند هؤلاء) بدل من كلا أى تمتد هؤلاء (وهؤلاء) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنعمته والعطاء اسم للمعطى أى تريد من عطائه وتجعل الاثمن منه مدد للسالف لانقطعه فبرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (انظر) يعين الاعتبار (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى المال والجاه والسعة والكيل (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

روى ان قوم من الاشرف بن ذونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبى سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبل انهم دعوا وادعينا يعنى الى الاسلام فأسرعوا وأبطأوا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعاد الله لهم فى الجنة أكثر (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته (فتقدم مذموما مخذولا) فتصير جامعاعلى نفسك الدم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة محرم وما عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون دليله قوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر امرأه عطفوا به (ألا تعبدوا الاياه) ان مفسرولا تعبدوا وانهم أبى أو بان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بان تحسنوا بالوالدين احسانا

ان الكبرياء لله وب العالمين (ربكم اعلم بما في نفوسكم) بما في ضمائرهم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) فاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى الى اذاهما ثم ائتم الى الله واستغفرتم منها (فانه كان للاقربين عفورا) الاواب (١٦٢) الذي اذا اذنب يادر الى التوبة بخاز ان يكون هذا عامال لكل من فرطت منه جنابة ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على اوبه التائب من جنابته لوروده على اثره (وان ذا القربى) منك (حقه) أى النفقة اذا كانوا محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (ولا تبذر تبريرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل فعن يجاهدوا نفق مدافى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبها لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبرزين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشراة وهى غاية الذمة لانه لا شر من الشياطين أدهم اخوانهم وأصدقاهم لانهم يطيعونهم فيها يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشياطين لربه كفورا) فما ينبغي أن يطاع فانه لا يدعوا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرذ (ابتغاهم من ربحك تجوهما فقل لهم قولا ميسورا) أى وان أعرضت عنهم فلقد رزق من ربحك

قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (ربكم اعلم بما في نفوسكم) أى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أى أبرارا مطيعين فاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم فى القيام بحالكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر وما يتخلونه البشر مما يؤدى الى اذاهما ثم ائتم الى الله واستغفرتم مما فرط منكم (فانه كان للاقربين) للفقيرين (غفورا) قال سعيد بن جبير فى هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى اوبه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاقرب الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاء الى الخير وقال ابن عباس الاقرب الرجاء الى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباة وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاقربين اذا مضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا مضت الفصال يرد ارتفاع الضحى وأن تحمى الرضاة وهو الرمل بجر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقها اخفاها والفصال جمع فصيل وهى اولاد الابل الصغار وقيل الاقرب الذى يصلى بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الاقربين قوله سبحانه وتعالى (وان ذا القربى حقهم والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتى أقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للسكك وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتى حقوقهم من صلته الرحم والوادة والزبارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعصية ونحو ذلك وقيل ان كانوا حجاجا وهو موسر لزمه الانفاق عليهم وهو مذهب أبى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تبريرا) أى لا تنفق مالك فى المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق لم يكن مبدرا ولو أنفق درهما أو مائة فى باطل كان مبدرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وقيل هو انفاق المال فى العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبها لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير (ان المبرزين كانوا اخوان الشياطين) يعنى اولياءهم والمدقاهم لانهم يطيعونهم فيها يأمرونهم به من الاسراف وقيل أمثالهم فى الشر وهذا غاية الذمة لانه لا شر من الشياطين والعرب تقول لسكك من هو لازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى بخود النعمة فما ينبغي أن يطاع لانه يدعو الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرذ (ابتغاهم من ربحك تجوهما فقل لهم قولا ميسورا) أى وان أعرضت عنهم فلقد رزق من ربحك

تربحوا أن يفتح لك قسمى الرزق رحمة قد رزقوا جبارا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقده الرزق مبتغاه فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع السبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا عليهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ميسورا وهو اليسر أى دعاهم بيسر وابتغاء مفعول له أو مصدر فى موضع الحال وترجوهما (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)

ولا تبسها كل البسطة) كل نصب على المصدر لضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحج واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتحة عدم ماوما) فتصير ماوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير أعطى فلانا حرمي ويقول الغني ما يحسن نديرا امر العيشة وعند نفسه ان اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعاً بالشيء عندك من حصره السفر اذا اترفته اترأ بليغاً وعاريا من حصر رأسه وقد خاطرت مسلمة صرتها اليهودية في انه يعني محمد عليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قيمه الذي عليه فدفعه وقد عر بانافا قيم الصلاة فلم يخرج للصلاة فترلت ثم سلى رسول (١٦٣) الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس له وان منك عليه ولا ليجل به

قل له ان أحي تستكسبك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قيمه وأعطاهه وقد عر بانافا ذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عر بانافا تزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مداها (ولا تبسهاها) أي بالعطاء (كل البسط) أي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا التمثيل لمنع الشحج واعطاء المسرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتحة عدم ماوما) أي عند الله لان السرف غير مرضى عنده وقيل ماوما عند نفسك وأصحابك أيضا ليوملك على تضييع المال بالكفاية وقيل يلومك سائلوك على الامساك اذ لم تعطهم (محسورا) أي منقطعاً بالشيء عندك تنفقه وقيل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمري كان ربه قه من الاضاقه بان ذلك ليس له وان منك عليه ولا ليجل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقرر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خبيراً بصيرا) يعني انه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباداه وما يصلحهم فالتمون في أرزاق العباد ليس لاجل الخلل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) أي فاقه وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يبدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينسكوهن لغيرا كفاه لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكيف كانه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيراً) أي اثماً كبيراً (ولا تقر بوزنائه كان فاحشة) أي قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سيلاً) أي بنس طر يقاطر بعه وهو ان تعصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب تمكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفسد منها المعصية ويجب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولدهن هو ولا يقوم أحد بتر بيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الابالحق أي الاباحدي ثلاث كروى عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الاباحدي ثلاث التيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه في الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي قوة ولا يمه على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شاء استقامه وان شاء أخذ بالدية وان شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قاتل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه اذا كان القاتل واحداً فلا يقتل به جماعة بل واحد واحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفاً فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل (انه كان متصوراً) قيل الضمير راجع للمقتول فلما يعني انه

عليك ولكن لان بسط الارزاق وقد رها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أي هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) بمصالحهم فيضياها (بصيراً) بمحوالهم فيقتلهم (ولا تقتلوا اولادكم بناتهم) خشية املاق (نحن نرزقهم واياكم) ان قتلهم كان خطأ كبيراً انما عظم ما يقال خطي خطأ كاتم انما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطأ بالمد والكسر مكي (ولا تقر بوزنائه) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو منسى عن دواعي الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولورأيد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع ولعقل (وساء سيلاً)

وبنس طر يقاطر بعه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) أي بار تكاب ما يبيع الدم (ومن قتل مظلوماً) غير مرتكب ما يبيع الدم (فقد جعلنا لوليه سلطاناً) تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يسرف في القتل) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلثة والضمير للقاتل الاقول فلا تسرف بحجة وعلى على خطاب الولي أو قاتل المظلوم (انه كان متصوراً) الضمير للولي أي حسبه ان الله قد نصره بان أوجب له القصاص فلا يستزعم على ذلك أو المظلوم أي الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالنواب أول الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه كان متصوراً باليجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على ان

القصاص بحري بن الحر والعبد وبين المسلم والذي لان أنفس أهل الذموا العبيد داخله في الآية لسكونها بحرية (ولا تقر بومال اليتيم الا بالتى هي أحسن) بالخصلة والطر بيقا التي هي أحسن وهي حفظه وتمثيره (حتى يبلغ أشده) أى ثمانى عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى ونواهيته (ان العهد كان مسؤلاً) مطابو بايطلب من المعاهدان لا يضعه ويبنى به أو ان صاحب العهد كان مسؤلاً (وأوفوا الكيل اذا كاتم وزنوا بالقسطاس) بكسر القاف حمزة (١٦٤) وعلى وحفظ وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو

القرس طون أى القبان (المستقيم) المعتدل (ذلك خير) فى الدنيا (وأحسن تأويلا) عاقبة وهو تفصيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف مالمس لك به علم) ولا تتبع مالم تعلم أى لا تغر رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنظلية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لان ذلك نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات وأفام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كإفى الشهادات ولنا فى العمل بخبر الواحد اذا ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً) أولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان أولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول حري

منصور فى الدنيا بايحاب القود على قاتله وفى الآخرة يتكفير خطاياها وايحاب النار لعقائله وقيل الضمير راجع الى ولى المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو والديه وقيل فى قوله فلا يسرفى القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغيرا الحق فانه ان فعل ذلك فولى القتل منصور من قبلى عليه باستيفاء القصاص منه (قوله سبحانه وتعالى) (ولا تقر بومال اليتيم الا بالتى هي أحسن) أى بالطريقة التى هي ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والالم ينفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أى الاتيان بما أمر الله به والانهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلترمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤلاً) أى عنه وقيل مطابو باوقيل العهد بسئل فيقال فيم نقضت كما وفؤدة تسئل فيم قتلت (قوله عز وجل) (وأوفوا الكيل اذا كاتم) المراد منه اتمام الكيل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيراً من ميزان الدراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومى وقيل سربانى والاصح انه عربى مأخوذ من القسط وهو العدل أى وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ فى المنع من التطفيف والنقصان سعياً فى ابقاء الاموال على أر بابها (ذلك خير وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه أمره (قوله سبحانه وتعالى) (ولا تقف) أى ولا تتبع (مالمس لك به علم) أى لا تغر رأيت ولم ترو سمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كآفة يقفوا الامور وتتبعها ويتعرفها والمراد انه لا يتكلم فى أحد بالظن (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً) معناه بسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل بسئل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع اشارة فى أولئك الى الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى أربابها عن شكل بن جريد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمنى تعو بذا تعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر فؤادى وشر لسانى وشر قلبى وشر منى قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب قوله وشر منى يعنى ماءه وذكرة (قوله عز وجل) (ولا تمس فى الارض مرحا) أى بطار أو كبر أو خيلاء (انك لن تحرق الارض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وطره شيئا كمن يريد حرق الارض ومطاوله الجبال لا يحصل على شئ وقيل ان الذى يمشى محتالاً يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك عن على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تسكفاً تسكفاً كأنما ينحط من صلب أخرجه الترمذى فى الشمائل قوله تسكفوا تسكفوا التمايل فى المشى الى قدالم وقوله كأنما ينحط من صلب هو قريب من التسكف أى كأنه ينحدر من موضع عال عن أى هر مرة قال ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحداً أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لجهداً نفسنا وانه لغير مكثرت أخرجه الترمذى قوله لغير مكثرت

المعقول والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت الى مالم يحل لك النظر اليه أى ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظرية بعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تآخر عن الفعل فاما اذا تقدم فالا (ولا تمس فى الارض مرحا) هو حال أى ذا مرح (انك لن تحرق الارض) لن تجعل فيها حرقاً قدوسك لها وشدة وطمتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو نكحاً بالخطاى اولن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المعقول

(كل ذلك كان سنة) كوفي وشامي على اضافة سني الى ضمير كل سنة غيرهم (عند ربك مكرها) ذكر مكرها لان السنة في حكم الامم
بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده الا ان قالوا تقول الزنا سنة كما تقول السرقة سنة فان قلت الخصال المذكورة بعضها
سني وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سنة بالاضافة الى ما كان من المذكور سينا كان عند الله مكرها فما وجه قراءته من قرأ سنة قلت كل
ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة بالجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية (بما
أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بجمته وتصلح النفس باسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطروبا
من الرجعة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثمانية عشرة آية كانت في ألواح موسى (١٦٥) عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها
آخر وأخرها مدحورا ولقد

جعت فاتحتها وخاتمها
النهي عن الشرك لان
التوحيد رأس كل حكمة
وملاكمها ومن عدتم
تنفعه حكمة وان يذفها
الحكمة وحلها فوخه
السماء وما أعنت عن
الفلاسفة أسفار الحكم
وهم عن دين الله أضل من
النعم ثم خاطب الذين قالوا
الملائكة بنات الله بقوله
(أفأصفا كبريكم بالبنين)
الهمزة لانكار بعني
أفصمكم ربكم على وجه
الخلوص والصفاء بأفضل
الاولاد وهم البنون (واتخذ
من الملائكة نانا) واتخذ
أدوهم وهي البنات وهذا
خلاف الحكمة وما عليه
مقولكم والعبد لا يؤثرون
بأجود الاشياء وأصلها
ويكون أردوها وأدونها
للسادات (انكم لتقولون
قولا عظيما) حيث أصفتم
اليه الاولاد وهي من
خواص الاجسام ثم فضلت
عليه أنفسكم حيث تجعلون

أى شاق والاكثر الامر الذي يشق على الانسان (كل ذلك كان سنة عند ربك مكرها) أى ما ذكر
من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سنة مع قوله مكرها قلت قيل فيه تقديم وتأخير
تقديره كل ذلك كان مكرها سنة عند ربك وقوله مكرها على التكرير ليعلى الصلوة أى كل ذلك كان
سنة وكان مكرها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السنة الذنب وهو مذكر ﴿ قوله سبحانه
وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الآيات (بما أوحى اليك ربك من
الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والمثل لا تقبل
النسب والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر
بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه
الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في
الاولاح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهي عن
الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكر فيه التوحيد لانه رأس كل
حكمة وملاكمها ومن عدتم بنفسه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى ان الشرك يجب أن
يكون صاحبه مذموما متخذولا وقال في هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا)
والفرق بين المذموم والمؤم اما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنسك
فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي جعلك عليه وهذا هو اليوم والفرق بين
المخذول والمدحوران المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ﴿ قوله
سبحانه وتعالى (أفأصفا كبريكم) يعنى أفصمكم واختاركم فعمل لكم الصفة ولنفسهم مالم يس بصوفة (بالبنين)
يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة نانا) لانهم كانوا يقولون للملائكة بنات الله
مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين
بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطبهم مشركي مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة
بالاجسام ثم انهم يفتخرون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعنى البنات ﴿ قوله سبحانه
وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحج والاعلام والتشديد
في صرفنا للتكثير والتكرير (ليذكروا) أى ليتعظوا ويعتبروا (وما يزيدهم) أى تصريفنا وتذكيرنا
(الانفورا) أى تباعدنا عن الحق (قل) أى قل يا محمد لولا المشركين (لو كان معه آلهة) كما تقولون
اذا لابتغوا) أى لطلبوا يعنى هؤلاء الآلهة (الى ذى العرش سبيلا) أى بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه
كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتقر بواليه وقيل معناه لتعرفوا اليه فضله فابتغوا ما يقر بهم
اليه والاول أصح ثم تارة نفسه يقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك

له ما تكرهون (ولقد صرفنا في هذا القرآن) أى التنزيل والمراد لقد صرفناه أى هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم
(ليذكروا) وبالتخفيف جزوه على أى كررناه ليتعظوا (وما يزيدهم الانفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زاد ذلك خضوعا
زاد أعداءك نفورا (قل لو كان معه) مع الله (آلهة) كما تقولون (وبالياء مكى وحطص) اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى لطلبوا الى
من له الملك والرؤية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقر بواليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واذ
دالة على ان ما بعد هذا وهو لا يتبعوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء لواله (سبحانه وتعالى عما يقولون) وبالتاء جزوه على (علوا) أى تعاليا
والمراد البراعة من ذلك والتزاهة (كبيرا) وصف العلو بالكبر المغنى عن معنى البراءة والبعدهما وصفوه به

(يسبح) وبالتاء عراقي غير أبي بكر (له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده) أي يقول سبحان الله ويحمده عن
السدي قال عليه السلام ما مضى (١٦٦) حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم)
لاختلاف اللغات أو لتعسر
الادراك أو سبب لتسبيح
الناظر اليه والدال على
الخبر كفعاله والوجه الاول
(انه كان حلما) عن جهل
العباد (غفورا) لذنوب
المؤمنين (واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا
مستورا) ذا ستر أو حجابا
لا يرى فهو مستور (وجعلنا
على قلوبهم أكنة) جمع
مكان وهو الذي يستر الشيء
(أن يفقهوه) كراهة أن
يفقهوه (وفي آذانهم
وقرا) ثقلا يمنع عن الاستماع
(واذا ذكرت ربك في
القرآن وحده) يقال وحده
يحد وحدا وحده نحو وعد
يعد وعدا وعدة فهو مصدر
سد مسد الحال أصله يحد
وحده بمعنى واحدا (ولو اعلی
أدبارهم) رجعوا على
أعقابهم (نفورا) مصدر
بمعنى التولية أو جمع نافر
كفاعد وعود أي يجنون
أن تذكر مع آلهتهم
لا أنهم مشركون فاذا سمعوا
بالتوحيد نفروا (نحن أعلم
بما يستمعون به) أي نحن
أعلم بالحال والطريقة
التي يستمعون القرآن به
فالقرآن هو المستمع وهو
محذوف وبه حال وبين لما أي
يستمعون القرآن هازئين

المبالغة في البراءة والبعد عما يصفونه به ﴿ قوله عز وجل ﴾ (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن)
يعني الملائكة والانس والجن (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شيء الا يسبح بحمده
وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يتبل
فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت ترك التسبيح وان الورقة تسبح
مادامت على الشجرة فاذا سقطت ترك التسبيح وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركك ترك التسبيح وان
الثوب يسبح ما دام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير لا تسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت
التسبيح وقيل وان من شيء جاد أو حي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونفض السقف وقيل كل الاشياء
تسبح الله حيوانا كان أو جادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا
نعبد الآيات بركة وأتم تعدونهم نحو يفا كطام رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضله من ماء بغاؤنا بانه فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور
المبارك والبركة من الله فلقدر آيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
بركة شجرة كان يسلم على ليالي بعثت وانى لاعرفه الا أن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحط الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فغن الجذع فأناه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه
وساره بشيء ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجاد يتسكلم وانه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات
والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث يدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول أوضح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن
السلف واعلم ان الله تعالى علما في الجمادات لا يفقه عليه غيره فينبغي ان نكمل علمه اليه ﴿ وقوله تعالى ﴾
(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدان يسبح بلغتكم ولسانكم (انه
كان ذميا غفورا) أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح ﴿ قوله عز وجل ﴾
(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه
والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كجروى عن سعيد بن جبيرة أنه قال لما نزلت تبنت
بداي ليهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم تره فقالت لابي بكر أين
صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فزجعت وهي تقول قد كنت
حسبت هذا الحجر لارضض أسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لا لمزل ملك يني ويدها (وجعلنا على
قلوبهم أكمة) أي أعظمية (أن يفقهوه) أي لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا لئلا يسمعوه (واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني اذا قلت لا اله الا الله وأنت تتلو القرآن (ولو اعلی أدبارهم نفورا)
جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أي من الهزه بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذي
يستمعون به وهو التكذيب (اذ يستمعون اليك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذ هم نجوى) أي وبما
يتناجون به في أمرك وقيل معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم
يقول ساحر أو شاعر (اذ يقول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) أي
مطلبوبا وقيل تخذوا وقيل معناه انه سحر فخن وقيل هو من السحر وهو الرثة ومعناه انه بشر مثلكم يا كل
ويشرب قال الشاعر
أرانا موضعين لا مرغيب * ونسحر بالطعام وبالشراب
أي تغذيهم (انظر كيف ضرب بوالك الامثال) أي الاشياء فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) أي

لاجادين والواجب عليهم ان يستمعوه حادين (اذ يستمعون اليك) نصب باعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
(واذ هم نجوى) وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى (اذ يقول الظالمون) بدل من اذ هم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) سحر فخن (انظر كيف
ضرب بوالك الامثال) مثلولك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا)

فلا يستطيعون سبيلا) أي فضلا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طر يقاسل كما فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع
(وقالوا) أي منكر والبعض (أثذا كنا عظاما ورفانا أننا لمبعوثون خالقنا جديدا) أي محسدا وخلقنا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو
حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والأرض فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون من بعدنا قل) يعيدكم (الذي
فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يا بسطة مع ان العظام بعض أجزاء الخلق
بل هي عود خلقه الذي يبني عليه سائرته فليس يبدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الأولى (١٦٧) ولكن لو كنتم أبعثني من الحياة

وهوان تكونوا حجارة أو
حديدا السكان قادر على أن
يردكم الى حال الحياة
(فسيدغضون اليك رؤسهم)
فسيجر كونها نحوك تجبها
واستهزاء (ويقولون متى
هو) أي البعث استبعادا
له ونظما (قل عسى أن يكون
قريبا) أي هو قريبا
وعسى للوجوب (يوم
يدعوكم) الى المحاسبة وهو
يوم القيامة (فتستحيون
بمحمد) أي تحييون
حامدين والباء للحال عن
سعيد بن جبير ينفذون
التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك
(وتظنون ان لبثتم الا
قليلا) أي لبثنا قليلا أو زمانا
قليلا في الدنيا أو في
القبر (وقل لعبادي)
وقل للمؤمنين (يقولوا)
للمشركين الكرامة (التي
هي أحسن) وألين ولا
يخاشنهم وهي ان يقولوا
يهديك الله (ان الشيطان
ينزع بينهم) يلقى بينهم
الفساد ويغري بعضهم
على بعض ليقوع بينهم

في جميع ذلك وحراروا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا أثذا كنا عظاما) أي بعد الموت
(ورفانا) أي ترابا وقيل الرفات الأجزاء المنفتحة من كل شيء تكسر (أثنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيسهل انهم
استعدوا والاعادة بعد الموت والبلى فقال الله سبحانه وتعالى رداعابهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة)
أي في الشدة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعر وافي قلوبكم انكم
حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والأرض والجبال لانها أعظم
المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لا ميتة لكم
ولا بعثنكم (فسيقولون من بعدنا) أي من بعثنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فن
قدر على الإنشاء قدر على الاعادة (فسيدغضون اليك رؤسهم) أي يجركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما
تقول (و يقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريبا (يوم يدعوكم)
أي من قبوركم الى موقف القيامة (فتستحيون بمحمد) قال ابن عباس بامرهم وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه
خالقهم وابعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين
(وتظنون ان لبثتم) أي في الدنيا وقيل في القبور (الاقبلا) وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر
الوفاء من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقون مدة الدنيا في جنب
القيامة قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين
فشكروا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتزل الله عز وجل وقول لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي
أحسن أي لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يديكم الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل
زلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامر الله بالعمو وقيل أمر الله المؤمنين ان يقولوا
ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لاله الا الله (ان الشيطان ينزع بينهم) أي
يقسدهم يلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة قوله عز وجل
(ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) أي يوفقكم للايمان فتؤمنوا (وان يشأ بعد ذنوبكم) أي يميتكم على الشرك
فتموتوا وقيل معناه ان يشأ ربكم فينجحكم من أهل مكة أو ان يشأ بعد ذنوبكم أي يسلبهم عليكم (وما أرسلناك
عليهم وكيلا) أي حفيظا وكفيلنا قبل نسخها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) يعني ان
علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين
والسموات بعلم حال كل أحد وما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم بأحوالهم واختلاف
صورهم وأخلاقهم وملاهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكام
موسى تكامبا وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زورا وذلك قوله
تعالى (وآتينادود زورا) وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وشئاعلى
الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام فان قلت لم خص داود

المشاقة والنزع ايقاع الشر وفساد ذات البين وقرأ طحة ينزع بالكسر وهما الغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة
أو فسر التي هي أحسن بقوله (ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) بالهداية والتوفيق (وان يشأ بعد ذنوبكم) بالخذلان أي يقولوا لهم هذه الكرامة
ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معدون وما أشبه ذلك مما يغضبهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزع بينهم اعتراض
(وما أرسلناك عليهم وكيلا) حافظ الاعمالهم وموكل بالدين أمرهم وانما أرسلناك بشيرا ونذيرا فادركهم ومرأجا بك بالمدارة (وربك
أعلم بمن في السموات والأرض) وبأحوالهم ويكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه إشارة الى تفضيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينادود زورا) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب في زور داود قال

الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وآمنه ولم يعرف الزبور هذا عرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انما آلهتهم (من دونه) من دون الله وهن الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي ادعواهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولان يحولون من واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعني ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القرية الى الله عز وجل (أبهم) بدل من واو يبتغون وأي موصولة أي (١٦٨) يبتغي من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرضون فكانه قيل يحرضون أبهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (و يرجون رحمة ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقة بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) قيل الهلاك للصالحه والعذاب للطالحه (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدته في كتب الضحاك في تفسيرها اما مكة فخير بها الحبشة وتم تلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبيل بالصواعق والرماح والواحف وأما خراسان فعذابها ضرب وأما بلخ فتصيبهم هدة فهلك أهلها وأما بدخشان فخير بها

في هذه الآية بالذكريون غيرهم من الانبياء قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتيناد اودز بورا وذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكروا آناه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم بالملك والمال الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمد ادعاهم الانبياء وان آفته خير الامم فلما خصه بالذكري الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان لاني بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتيناد اودز بورا ومعنى الآية انكم لن تنسكروا تفضيل النبيين فكيف تنسكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاهم القرآن وان الله آ في موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقرب بتفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار أصابهم قطع شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي الجوع والقحط (ولا تحويلا) أي الى غيركم أو تحويلا الى حال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا آلهة ان نشغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا ذلك الملك الذي عبده تماثلا لصوره قد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعون المشركون آلهة (يبتغون الى ربهم الوسيلة) أي القرية والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه عزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود تزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأزل هذه الآية وقوله تعالى (أبهم أقرب) معناه ينظرون أبهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أبهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله يتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة (و يرجون رحمته) أي جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقة بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق قوله سبحانه وتعالى (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والحرب (أو معذبوها عذابا شديدا) أي بالقتل وأنواع العذاب اذا كفر وادعوا وقيل الاهلاك في حق المؤمنين الامانة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا بامتناع عبادة من الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد

أقوام وأما زبدها فلهما جوتون بالطاعون وأما صغانيان الى واشجر فيقتلون بقتل ذريع وأما عرقة فيغلب عليها بنو قنطرة اخبره فيقتلون أهلها قتلا ذريه وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخاري فهي أرض الجبارة فيموتون فحطارو عاوأما مرفيغلب عليها الرمل ومهلكها العلماء والعباد وأما هارة فيمطارون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها عدو برقي وظلمة فهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما ارمينية واذر فيحان فيها كها سنانك الخيول والخيوش والصواعق والرماح وأما همدان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ربح ساكنة وهنم ينلم فيصبح أهلها فرقة وخنازير ثم يخرج رجل من جهنمة فيدخل مصر فويل لأهلها ولاهل دمشق وويل لأهل افر يقية وويل لأهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما بستان فيصيبهم ربح عاصف أيامهم هدة

تتحرق الحجارة ثم يقول تثبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهو
 السمندر وهو دودة بيضاء الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار وترى
 النعامة تتلع الجرف لا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها الحزاز أن تخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما ترسل نحو بقايا العباد
 وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة بشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (وتخوفهم) أي تخوف الدنيا
 والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الاطعينا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي
 الاسراء والفتنة اترداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في المقظة فسر الرؤيا بالرؤية وانما سمى هارزيا
 على قول المكذبين حيث قالوا له لعلهارزيا رأيتها استبعاد منهم كما سمى أشيا بآسامه عند الكفرة كقوله فراغ الى آلهتهم أين شركائي أو هي
 رؤياها انه سيدخل مكة والفتنة الصد (١٧٠) بالحديبية فان قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها
 وهم الكفرة لانه قال ثم

الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كره به طعامه لعون والفتنة فهان
 أباجهل قال ان ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تثبت فيها شجرة
 وتعملون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبير قال ان حمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم
 الا الزبير فقال أبو جهل يا جارية تعالي فزقينا فأتت بزبد وعمر فقال يا قوم ترقوا فان هذا ما يخوفكم به
 محمد فانزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجر انما جعلناه فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين
 لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن
 وانما وصفت بلعن أصحابها اعلى المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل
 جهنم في أبعدها مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي ياتوى
 على الشجر والشوك فيحفظه (وتخوفهم فما يزيدهم) أي التخويف (الاطعينا كبيرا) أي تمردا وعتوا
 عظيما ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اأسجد لمن خلقت
 طيناً) أي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبه او لمخها فن خلق من العذب فهو سعيد
 ومن خلق من الملح فهو شقي (قال) يعني ابليس (أرايتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني (هذا الذي
 كرمته على) أي فضله على (لئن أخرجتني) أي أهلنتني (الي يوم القيامة لا تحنكن ذريته) أي لا ستأصلنهم
 بالاضلال وقيل معناه لا توذنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاعواء (الاقليلا) يعني المعصومين الذين
 استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لشأنك
 وليس هو من الذهب الذي هو ضد المحيىء (فن تبعل منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤكم وجزاء أتباعك
 (جزاء موفورا) أي مكافؤا له سبحانه وتعالى (واستهفز) أي استخف واستزل واستعجل وازرعج (من
 استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع
 الى معصية الله فهو من جنس ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير والهوا واللعب (وأجلب عليهم
 بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم مكائيدك وحبائلك واحتشهم على الاعواء وقيل معناه استعن عليهم بركبائك
 جنديك ومشاتهم يقال انه خيل اورجلان الجن والانس فكل من قاتل أو مشى في معصية الله فهو من جنس
 ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجدفي الامر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم في الاموال
 والاولاد) أما المشاركة في الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أفق في حرام وقيل هو الرابا وقيل هو ما كانوا

انكم أي الضالون المكذبون
 لا تكون من شجر من
 زقوم فاللون منها البطون
 فوصفت بلعن أهلها على
 المجاز ولان العرب تقول
 لكل طعام مكره وضار
 ملعون ولان اللعن هو
 الابعاد من الرحمة وهي في
 أصل الجحيم في أبعدها مكان
 من الرحمة (واذ قلنا للملائكة
 اسجدوا لآدم فسجدوا
 الا ابليس قال اأسجد لمن
 خلقت طيناً) هو تمييز أو
 حال من الموصول والعامل
 فيه اأسجد على اأسجد له
 وهو طين أي أصله طين
 (قال ارايتك هذا الذي)
 الكاف لا موضع لها لانها
 ذكرت للخطاب تأكيذا
 هذا مفعول به والمعنى اخبرني
 عن هذا الذي (كرمت
 على) أي فضله ثم كرمته
 على وأنا خير منه خلقتني
 من نار وخلقته من طين

يخفف ذلك اختصار الدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ (فقال لئن أخرجتني) و بلاياء كوفي وشام واللام موطئة للقسم المحذوف
 (الي يوم القيامة لا تحنكن ذريته) لا ستأصلنهم باغوائهم (الاقليلا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وانما علم الملعون ذلك بالاعلام أو
 لانه رأى انه خلق شهوانى (قال اذهب) ليس من الذهب الذي هو ضد المحيىء عوائمه معناه امض لشأنك الذي اخترته خذنا وتخليته ثم عقبه
 بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فن تبعل منهم فان جهنم جزاؤكم) والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل
 جزاؤكم وانتص (جزاء موفورا) أي موفرا باضمار تجازون (واستهفز) استزل واستخف استفزه أي استخفه والغز الخفيف (من استطعت
 منهم بصوتك) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزامير (وأجلب عليهم) اجمع وجمعهم من الجلبة وهو الصياح (بخيلك ورجلك) بكل راكب وماش من
 أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصعب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتعب ومعناه
 وسجل الرجل وهذا الان اقصى ما يستطيع في طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجل (وشاركهم في الاموال والاولاد)

يكونه لا لهم - ويحرمونه كالبحيرة والسادية والوصيلة والحام وأما المشاركة في الاولاد فروي عن ابن عباس انها المورثة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امره وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار ان فيكم مغرب بين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأل رجل فقال ان امرأتى استبقت وفي فرجها شاة نار قال ذلك من وطع الجن (وعدهم) اي منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لاجنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد ان يقرر اولانه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعوة انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم يفرغ عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لاجنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عددهم اي شفاعاة الاصنام عند الله واشار العاجل على الاجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يامر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعجلوا ما كنتم تعملون والقائل اجتهد جهادك فسترى ما يتزلزل بك وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) اي زين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاع ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريرة الذهب والانقضاء وينغصها الموت والهزم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني بعباده الانبياء وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغوائهم (وكفى بربك وكيل) اي حافظا والمعنى انه سبحانه وتعالى لما أمكن ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيل اي فالتة سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الاسانان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب اخرجني من الجنة لاجل آدم فسألتني عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فذني قال استغفر زمن استطعت منهم الاية فقال آدم يارب سلطت ابليس على وعلى ذريتي واني لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وركت به من يحفضه قال رب زدني قال الحسن بن بعشر أمثالها والسبعة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضه مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وفي الخبر ان ابليس قال يارب بعثت انبياء وأترلت كتبيا فقراءتني قال الشعر قال فما كتبتني قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال أي شئ مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال وأين مسكني قال الحمامات قال وأين مجلسي قال في الاسواق قال وما حباتي قال النساء قال وما أذاني قال المزمار وقوله سبحانه وتعالى (ربكم الذي يزجي) أي يسوق ويجري (لكم الفلك) أي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) أي اطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها (انه كان بكم رحيم) أي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (واذا مسكم الضر في البحر) أي الشدة وخوف الغرق في البحر (ضل من تدعون) أي ذهب عن أوهاكم ونحوها طرركم كل من تدعون في حوائجكم من الاصنام وغيرها (الاياه) أي الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يحظر ببالكم غيره لانه القادر على اعانتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أي اجاب دعاءكم (عن الاغصان) أي عن هول البحر وشدة وأخرجكم (الى البر اعرضتم) أي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم (النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) أي مجودا (أفأنتم) أي بعد انجائكم (أن يخسف بكم

والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعاة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشرعية بقوا يشار العاجل على الاجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو تزوين الخطا بما يوهبهم انه صواب (ان عبادي) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يتبدل الايمان ولكن بتسويل العصيان (وكفى بربك وكيل) لهم بتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أمرته بتدبير فيعاقبه أو اهانة أي لا يخل ذلك بملكى (ربكم الذي يزجي) يجري ويسير (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) يعني الرزق في التجارة (انه كان بكم رحيم) واذا مسكم الضر في البحر (ضل من تدعون الاياه) ضل من تدعون الاياه) ذهب عن أوهاكم كل من تدعونه في حوائجكم الاياه وحده فانكم لا تذكرون سواه أو ضل ما تدعون من الآلهة عن اعانتكم ولكن الله وحده الذي يرجونه على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم الى البر اعرضتم) عن الاخلاص بعد الاخلاص (وكان الانسان) أي الكافر (كفورا) لتتم (أفأنتم)

الهزيمة لانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأنتم فجماعكم ذلك على الاعراض (أن يخسف بكم

عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته علة فهو شر من البهائم ولأنه خلق السلك لهم وخلقهم لنفسه (يوم ندعوا) منصوب
 يذكر (كل أناس بآمالهم) الباء للعامل والتقدير تخلفين بآمالهم أي بمن اتهموا به من نبي أو مومنين في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع
 فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فمن أوفى) من هو أوفى المدعوين
 (كتابة بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وإنما قيل أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون) (١٧٣) فتبلا ولا ينقصون من ثوابهم أدنى
 شيء ولم يذكروا الكفار وإنما

وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى
 من الملائكة الذين عنده ﴿ قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بأعمالهم) أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل
 عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بآمالهم زمانهم الذي دعاهم في الدنيا ما إلى هدى وما إلى ضلال
 وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقيل بجمعهم وجمع أم يعني بآمالهم
 والحكمة فيبرعاية حق عيسى عليه السلام وأظهر شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ما وان
 لا يقتضيه أولاد الزنا (فمن أوفى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) فان قلت لم يخص أصحاب اليمين بقراءة
 كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه
 مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الحجل والداهشة فلا يقدرون على إقامته حروقه فتكون قراءتهم
 كلقراءة أو أصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة
 وأبينها (ولا يظلمون فتبلا) أي ولا ينقصون من ثواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد عمى
 القلب والبصيرة لا عمى البصر والمبني ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عدها في هذه
 الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه
 ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرته وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد
 عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة أعمى لأنه في
 الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
 إليك) قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فتمسحه فريش وقالوا لا ندعك حتى
 تلم بألحمتنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني أستلم الحجر وقيل
 طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد
 ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطيتنا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نتخفى في
 الصلاة أي لا نتخفى ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وان تمجننا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم لا خير في دين لا ركوع عليه ولا سجودا ما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطائفة يعني
 اللات والعزى فاني غدبرتمكم كما قالوا يا رسول الله انما نحن ان نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان
 خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع
 القوم في سكوتهم أن يعطيتهم ذلك فأنزل الله تعالى وان كادوا أي هموا ليفتنونك أي ليصرفونك عن الذي
 أوحينا إليك (لتفتري) أي لتختلف وتبتعت (علينا غيره) أي ما لم نقله (واذا) أي لو فعلت ما دعوك إليه
 (لا تخذوك خليلا) أي الولد ووافوك ووافقوك (ولو لأن ثبتناك) أي على الحق بعصمتنا إليك (لقد كدت
 تركن) أي تميل (إيهم شيئا قليلا) أي قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما
 فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تسكني إلى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله
 سبحانه وتعالى قال ولو لأن ثبتناك وقد ثبتته الله فلم يركن إليهم (اذلا ذنباك ضعف الحيوة وضعف الامات)

كتبهم بشمالهم اكتفاء
 بقوله (ومن كان في هذه)
 الدنيا (أعمى) فهو في الآخرة
 أعمى) كذلك (وأضل
 سبيلا) من الأعمى أي أضل
 طريقا والأعمى مستعار
 ممن لا يدرك المبصرات
 لفساد حاسته لا يهتدى
 إلى طريق النجاة أما في
 الدنيا فالفقد النظر وأما في
 الآخرة فلأنه لا ينفعه
 الاهتداء إليه وقد جوزوا
 أن يكون الثاني بمعنى
 التفضيل بدل ليل عطف
 وأضل ومن ثم قرأ أبو عمر
 الاوّل مما والاو الثاني مفخما
 لان أفعال التفضيل تمامه
 بمن فكانت ألفه في حكم
 الواقعة في وسط الكامة فلا
 يقبل الامالة وأما الاوّل فلم
 يتعلق به شيء فكانت ألفه
 واقعة في الطرف فقبلت
 الامالة واما الهمزة وعلى
 وفهمه الباقون ولما قالت
 قرين اجعل آية رجعة
 آية عذاب وآية عذاب آية
 رجعة حتى تؤمن بك نزل
 (وان كادوا ليفتنونك)
 ان مخففة من الثقيلة واللام
 فارقة بينها وبين الناقصة

والمعنى ان الشان قار و ان يفتنوك أي يخدعوك فأتين (عن الذي أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهيها وعدنا وعيدنا (لتفتري علينا
 غيره) لتتقول علينا ما لم نقله من تبتعت (ولو لأن ثبتناك) ولولا أن ثبتناك (واذا لا تخذوك خليلا) أي ولو أتبعتم مرادهم لا تخذوك
 خيلا ولا وكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي (ولو لأن ثبتناك) ولولا أن ثبتناك (واذا لا تخذوك خليلا) أي ولو أتبعتم مرادهم لا تخذوك
 (شيا قليلا) ركونا قايلا وهذا تهيج من الله له وفضل تثبيت (اذا) لو قربت تركن إليهم أدنى ركنة (لا ذنباك ضعف الحيوة وضعف الامات)
 لا ذنباك عذاب الآخرة وعذاب الآخرة ضاعف من اعظم ذنباك بشرف منزلتك ونبوته كما قال يانسه النبي من يأت منسكنا بفاحشة الآية وأصل

الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار
والعذاب بوصف بالضعف كقوله فآثمهم عذابا ضعفا من النار أي مضاعفا فكان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في
الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقبل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز ان
يراد بضعف الحياة عذاب الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها
الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف (١٧٤) في الدار بن دليل على ان القبيح يعظم قبحه بقدر اعظم شأن فاعله وما نزلت كان عليه السلام يقول

اللهم لا تتكئني الى نفسي
طرفه عين (ثم لاتحدك
علينا نصيرا) معينك يمنع
عذابنا عنك (وان كادوا)
أي أهل مكة (ليستفزونك)
ليزجونك بعداوتهم ومكرهم
(من الارض) من أرض
مكة (ليخرجوك منها واذ
لا يلبثون) لا يبقون
(خلفك) بعدك أي بعد
اخراجك خلافا كوفي
غير أبي بكر وشاخي بمعناه
(الاقبلا) زمانا قليلا فان
الله مهلكهم وكان كما قال
فقد أهلكوا بيبس بعد
اخراجهم بقليل أو معناه ولو
أخرجوك لاستواصلوا عن
بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل
هاجرا بامر به وقيل من
أرض العرب أو من أرض
المدينة (سنة من قد أرسلنا
قبلك من رسلنا) يعني أن
كل قوم أخرجوا رسولهم
من بين طهر انهم فسنة الله
أن يهلكهم ونصبت نصب
المصدر المؤكد أي سن الله
ذلك سنة (ولاتجدلنا
تحويلا) تبديلا (أقم
الصلاة لدلوك الشمس)

أي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفتلك العذاب في الدنيا
والآخرة (ثم لاتجدلك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعك من عذابنا ﴿قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة فتوذلك حسدا فاقوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان
أرض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت
الشام وانما يمنعك من الخسروج اليها مخافة الروم وان الله سيعنك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي
صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فانزل
الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكبية والمعنى هم المشركون أن
يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر
عن أهل مكة والسورة مكبية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزه ومن أرض العرب باجتماعهم
وتظايرهم عليه ففزع الله رسوله ولم ينالوا منه ما ملوه والاستفزاز الازعاج (واذا يلبثون خلفك الا قليلا) أي
لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا ﴿قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا)
يعني ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام بينهم بينهم فاذا
خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولاتجدلنا تحويلا) أي تبديلا ﴿قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلوة
لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال دلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي
وقال ابن عباس وابن عمر وجابر وزوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين
ومعنى اللفظ يجتمعهم لان أصل دلوك الميل والشمس تميل اذ زالت واذا غربت والجل على الزوال أولى
القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة للمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول
صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أي ظهور ظلته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب
والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمى الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان
مشهودا) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزأ وتجمع ملائكة الليل وملائكة
النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة قرأنا شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام نضر الدين
الرازقي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من
أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل
القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأهم هذه الصلاة في وقت
الاستفزاز فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان
قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل ﴿قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد
به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت

لزلها وعلى هذا الآية جامعة للصلاة والنس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (الى غسق الليل) هو الظلمة صلاة
وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث
زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لاطول قراءتها وهوعطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل
والنهار ينزل هو لا يعصده هو لا يفوقه في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك
بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال في النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن

صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا
 نصفه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقى قيام الليل على الاستحباب
 بدليل قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقى الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى
 (نافلة لك) أي زيادة لك بر يد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله عليك روى عن عائشة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب
 صار منسوخا في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله سبحانه وتعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك
 فان قلت ما معنى التخصيص اذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حقهم صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص
 ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت له نافلة
 وزيادة في رفع الدرجات

* (فصل) * في الاحاديث الواردة في قيام الليل (ق) عن المغيرة بن شعبه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى انتفخت قدماه فقبل له أتتكاف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا
 شكورا (م) عن زيد بن خالد الجهني قال لا ريق من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فتوسدت عينته
 أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون
 اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين
 قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ أبي داود (ق) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة كيف
 كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من
 احدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن
 ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
 (ق) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى
 عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة يسجد ويسجد بقرأ أحدكم خمسين آية قبل
 أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على
 شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة (خ) عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح
 صلاته بركعتين خفيفتين * عن عوف بن مالك الاشجعي قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام
 فقرأ سورة البقرة لا يقرأ بآية رحمة الاوقف وسأل ولا يقرأ بآية عذاب الاوقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول
 في ركوعه سبحان ذي الجبروت والمكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك
 ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي * عن عائشة قالت قام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الاسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أولا ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا أذن
 المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والاتوضأ وخرج * عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأينا ولا نشاء أن نراه نائما الا رأينا اياه أخرجه النسائي زاد في رواية غيره قال
 وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا وقوله عز وجل (عسى
 أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد
 الاطماع ومن أطمع انسانا في شيء ثم أحرمه كان ذلك عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه
 ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمد فيه الاولون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسلك نبي دعوة مستجابة وانى احتبأت دعوتى شفاعة لامتى فهى نافلة
 منك ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على نبي صلى الله عليه وسلم ثم صلوا على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلوا على نبي صلى الله عليه وسلم ثم صلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلوا

(نافلة لك) عبادة زائدة لك
 على الصلوات الخمس وضع
 نافله موضع تهجد الان
 التهجد عبادة زائدة فكان
 التهجد والنافلة يجتمعها
 معنى واحدا والمعنى أن
 التهجد زيد لك على الصلوات
 المفروضة غنيمتك أو
 فريضة عليك خاصة دون
 غيرك لانه تطوع لهم (عسى
 أن يبعثك ربك مقاما
 محمودا) نصب على الظرف
 أى عسى أن يبعثك يوم
 القيامة فيقيمك مقاما
 محمودا وضمن يبعثك معنى
 يقيمك وهو مقام الشفاعة
 عند الجهور ويدل عليه
 الاخبار أو هو مقام يعطى
 فيه لواء الحمد

الله الى الوسيلة فانهم منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة
 حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء
 اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سجدوا الوسيلة والفضيلة وبعثته مقاما محمودا الذي وعدته
 حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة
 فيهمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لواستشفعنا الى ربنا فيرخصنا من مكاننا فيأتون آدم
 فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسما على شئ اشفع
 لنا عند ربك حتى يرحمنا من مكاننا هذا فيقول لست هنا كم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها
 ولكن اتوا نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هنا كم فيذكر خطيئته التي
 أصاب فيستحيي ربه منها ولكن اتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليا فيأتون ابراهيم فيقول لست هنا كم
 ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون
 موسى فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته
 فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هنا كم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن علي ربي تعالي فيؤذن لي فاذا
 أنا رأيتهم وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
 رأسي فاجدر بي بحميد يعلمني ربي ثم اشفع فيحدي حدا فآخر جههم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فارفع
 ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسي
 فاجدر بي بحميد يعلمني ربي ثم اشفع فيحدي حدا فآخر جههم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في
 الثالثة أو في الرابعة قال فاقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية
 للجحاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى
 الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من
 الخير ما وزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن برة ثم يخرج من النار من
 قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان
 مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يارب
 أمي أمي فيقال انطلق فن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من ايمان فآخر جه من النار
 فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند أنس مرنا بالحسن فسامنا عليه فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع
 فقال هبه فقلنا لم نردنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثتكم ثم قال ثم
 أعود في الرابعة فاجده بذلك الحمد ثم أخره ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط
 واشفع تشفع فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك أو قال ليس ذلك البلى ولكن
 وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لا يخرج منهن من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أي يجتمع
 الذهن والرأي * عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
 ويدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم من سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض
 ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعان فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني
 أذنبت ذنبا عظيما فما هبطت به الى الارض ولكن اتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت عالى أهل
 الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حمل بها عن دين الله ولكن اتوا موسى فيأتون
 موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن اتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن اتوا
 محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جردان قال أنس فبكاني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ

(وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أوجاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضموعا في كل أوان (ونزل) وبال تخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتفرج للكروب وتطهير للعبوب وتكفير الذنوب (للمؤمنين) وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله (ولا يزيد الظالمين) الكافر من (الاخسارا) ضللا تكذيبهم به وكفرهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (ونأى بجانبه) تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء أن يولييه عرض وجهه والنأى بالجانب أن يوليى عنه عطفه ويولييه ظهره أو أراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين نأى بالامالة حجة (١٧٨) وبكسر هاء على (واذا مسه الشر) الفقر والمرض أو نازله من النوازل (كان يؤسا) شديد

الياس من روح الله (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد مذهبا وطريقته (وبسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أى من أمر يعلمه ربي الجهور على انه الروح الذي في الحيوان سأله عن حقيقة فاجاب عنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبي هريرة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انقاف الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة في ذلك تعجز العقل عن ادراك معرفة مخلوق بجوارله ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده انه جسم دقيق هواني في كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وعن ابن عباس

الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية ﴿قوله تعالى﴾ (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أى الشرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) أى مضموعا لا غير ثابت وذلك لان الباطل وان كان له دولة وصوله في وقت من الاوقات فهو سر يع الذهب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعن بها بعد في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يدعى الباطل وما يعبد ﴿قوله﴾ سبحانه وتعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى نزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الخيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للاعراض الباطنة والظاهرة وذلك (٣) لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة أما الاعتقادات الباطلة فاسدا فساد الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فنبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انهم ارقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للاعراض الباطنة والظاهرة فهو جد برهان يكون رحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسار للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيبها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يحالس القرآن أحد الا قام عنه زيادة أو نقصان قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴿قوله﴾ سبحانه وتعالى (واذا أنعمنا على الانسان) أى بالصحة والسعة (أعرض) أى عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أى تباعدنا بنفسه وترك التقرب اليها بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أى الشدة والضرر (كان يؤسا) أى آيسا فنوا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يشس فلا ينبغي للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿قوله عز وجل﴾ (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكل الطريفة أى على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريرة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديثة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وبسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لان به حياة القلوب ومن أمر ربي أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروى أن اليهود بعثت الى قريش أن سألوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس نبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح بمعنى أهو مخلوق أم لا وقوله (٣) قوله لانها تنقسم الى نوعين أى الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بغاية التهذيب فليراجع

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه مفر
 ينقر من اليهود فقال بعضهم لبعض سألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسعكم ما تسمعون فقاموا اليه وفي
 رواية فقام اليسر رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام ساعة
 ينتظر الوحي وعرفت أنه لوحي اليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
 وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا الحكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال
 الاعشى هكذا في قراءة ثنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا
 نشأ فينا بالامانة والصدق وما انهم مناه بكتب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا انظر الى اليهود بالمدينة واسألوهم
 عنه فانهم من أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سألوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجب عن
 شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسالوه عن فتيمة فقد وافي الزمن الاول
 ما كان شأنهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما أخبره وعن الروح
 قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتهم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني
 عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا
 بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه
 السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتنة أم حسبت ان أصحاب
 الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في
 الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من ربي واختلطوا في الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس انه
 جبريل وعن علي أنه ملأه سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة
 يسبح الله تعالى بكلماتها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيدي وأرجل ورؤس ليسوا بملائكة ولا ناس
 يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لوشاء أن يتبع السموات
 والارض ومن فيها بلقمة واحدة لعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه
 الآدميين يقوم يوم القيامة على عین العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب
 الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لا حترق
 أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح
 المركب في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم
 ألا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس
 النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتماع فيه النور
 والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات
 واذا خرج منه ذهب الكل وأقرب الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها
 وأولى الاقوال ان يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح
 ملكا مقر با ولا نبيا مسرلا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استأثر به (وما أوتيتم من
 العلم) أي من علم ربي (الا قليلا) أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود فانهم كانوا
 يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وقيل ان القلة والكثرة
 تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى
 الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان الاخبار به كان علم النبوة والقول الاصح هو ان الله
 عز وجل استأثر بعلم الروح ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) ومعناه انا كئمنعنا
 علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرًا بقيت كما
 كنت ما تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده

من أمر ربي دليل خلق
 الروح فكان هذا جوابا
 (وما أوتيتم من العلم الا
 قليلا) الخطاب عام فقد
 روى ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما قال لهم ذلك
 قالوا نحن نخشعون بهذا
 الخطاب أم أنت معنا فبه
 فقال بل نحن وأنت لم تؤت
 من العلم الا قليلا وقيل هو
 خطاب لليهود خاصة لانهم
 قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
 قسدا أوتينا التوراة وفيها
 الحكمة وقد تلوت ومن
 يؤت الحكمة فقد آوتى
 خيرا كثيرا فقيل لهم ان
 علم التوراة قليل في جنب
 علم الله فالقلة والكثرة من
 الامور الاضافية فالحكمة
 التي أوتيتها العبد خبير
 في نفسها الا انهم اذا اضيفت
 الى علم الله تعالى فهى قليلة
 ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه
 بالصبر على أذى الجدال في
 السؤال بقوله (ولئن شئنا
 لنذهبن بالذي أوحينا اليك)
 لنذهبن جواب قسم محذوف
 مع نيابته عن جزء الشرط
 واللام الداخلة على ان
 موشة للقسم والمعنى ان
 شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه
 من الصدور والمصاحف فلم
 نترك له أثرًا (ثم لا تجد لك
 به علينا وكيلا) أي ثم لا
 تجد بعد الذهاب به من يتوكل
 علينا باسترداده واعادته
 محفوظا مسطورا

الاستثناء المنقطع أي ولكن رخمه من ربك تركته غير مذوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنه العظيمة في تنزيله وتخفيفه ونزل جوابا لقول النضر لانشاء لقنامل هذا (قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظامه وتأليفه لمجزوا عن الاتيان بمثله (ولقد صرفنا) ردنا وكررنا (لناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه (فأبي أ كثر الناس الا كفورا) جودا وانما جاز فأبي أ كثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان أبي متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخره لمزمتهم الحجة وغلبوا اقتروا الآيات فعمل المبهوت المحجوج المتعجب (وقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبال تخفيف كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزير من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعل من نبع الماء

عليك واعادته محفوظا. سطورا (الارجمه من ربك) معناه الآن يرجل ربك فبرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رخمه من ربك تركته غير مذوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه نحو ما في المصاحف واذهب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسري عليه ليل ارفع ما في صدورهم فيصحبون لا يحفظون شيئا ولا يجردون مما في المصاحف شيئا ثم تفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النخل فيقول الرب مالك فيقول يارب أتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وبعثك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود قوله سبحانه وتعالى (قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدرون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاختبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لا يأتوا بمثله قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي ردنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأبي أ كثر الناس الا كفورا) أي جودا قوله سبحانه وتعالى (وقالوا ان نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخره وبنيت عليهم وشيئا بنى ربيعة وأبا سفيان من حرب والنضر من الحرث وأبا الجحتر بن هشام والاسود بن عبد المطالب وزمعة بن الاسود والوليد بن الغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأممية بن خلف والعماص ابن وائل ونيهار من بني النجاشي اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلهموه وخاصموه حتى تعذر رفاقه فبعثوا اليه انشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكاملوك في اعينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاوهو يظن انه بدأ لهم في أمره بدأه وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذرك وانا والله لانعلم رجلا من العرب اذ دخل على قومهم ما أدخلت على قومك لقد شمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقى من قبيل الا وقد جئتكم فيما بيننا وبينك فان كنت جئتكم بهذا الحديث تطلب به مالا لعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودنا لك علينا وان كنت تريد ما كملنا لك علينا وان كان هذا الذي بك ريبا تراه فقد غاب عليك لاننا نستطيع رده بذاتنا لك أموالنا في طلب الطم حتى نبرئك منه ونعذركم وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا لشرف عليكم ولا لملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فاجتهدتكم رسالة ربي ونفخت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد أضيق بلادا ولا أشد عيشا منا فاسل لنا ربك الذي بعثك فليسبر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آياتنا وليكن منهم قعي بن كلاب فانه كان شيخا صادقا فانسأ لهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقك صدقنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بانعتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فاسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يعينك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتبس المعاش كأنتمسه فقال ما بعثت

(أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتعجر) والثالث سددها بمجمع عليه (الأنهار خلالها) وسفلها (تفجيرا أو تسقط السماء كإرث
 علينا كسفا) بفتح السين مدني وعاصم أي قطعاً يقال أعطى كسفة من هذا الثواب ويسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدره وسدر يعنون
 قوله أن نساخسف بهم الأرض أو تسقط عليهم كسفا من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) كقبلاً بما تقول شاهداً بصحة والمعنى
 أو تأتي بالله قبيلاً والملائكة قبيلاً كقوله كنت منه والدي بر يا ومقابلاً كالعشير بمعنى المعاشرة ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا
 أو جماعة حالاً من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى في السماء) تصعد إليها (ولن نؤمن لرقبك) لاجل رقبك (حتى
 تنزل علينا) وبالتخفيف أو عمرو (كنايا) أي من السماء فيه تصديقك (نقروه) (١٨١) صفة كتاب (قل) قال مكي وشامي أي

قال الرسول (سبحان ربي)
 تعجب من اقتراحاتهم عليه
 (هل كنت الإبرار رسولا)
 أي أنا رسول كسائر الرسل
 بشيئير مثلهم وكان الرسل
 لا يأتون قومهم إلا بما يظهره
 الله عليهم من الآيات
 فليس أمر الآيات إلى
 انما هو إلى الله فما بالكم
 تخيرونها على (ومانع
 الناس) يعني أهل مكة ومحمل
 (أن يؤمنوا) نصب بانه
 مفعول ثانٍ لمنع (اذ جاءهم
 الهدى) النبي والقرآن
 (الآن قالوا) فاعل منع
 والنقد بروما منعهم الإيمان
 بالقرآن وبنبوته محمد صلى
 الله عليه وسلم الإقوالهم
 (أبعث الله بشرا رسولا)
 أي الأشبهة تمكنت في
 صدورهم وهي انكارهم
 أن يرسل الله البشر والهزمة
 في أبعث الله للانكار وما
 أنكروه ٣ ففي قضية
 حكمته منكر ثم رد الله
 عليهم بقوله (قل لو كان في
 الأرض ملائكة يمشون
 ملائكة يمشون مطمئنين)
 أي مستوطنين مقيمين فيها
 (لنزّلنا عليهم من السماء
 ماء كرسولا) أي من
 جنسهم لأن الجنس إلى الجنس
 أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني
 وبينكم) أي على اني رسوله اليكم
 وانى قد
 باعتم ما أرسلت به اليكم
 وانكم كذبتم وعادتم (انه
 كان بعباده) (يعني المنذر
 بن المنذر بن خبيرا بصيرا) أي

بهذا أو اسكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كإرث ان ربك ان شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا يعرضون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تجعل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أو من لك أبدأ حتى تتخذ إلى السماء مرقى ترقى فيه وأنا نأظر حتى تأتيها فتأتي بنسخة منشورة ومعلل ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وایم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لأصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا لما رأى من مبادئهم فانزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعني أرض مكة ينبوعا أي عينا (أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب) أي بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) أي تشقيقا (أو تسقط السماء كإرث علينا كسفا) أي قطعاً (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) قال ابن عباس كقبلاً أي يكفلون بما تقول رقبك هو جمع القبيلة أي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقبك) أي لاجل رقبك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربي) أمره بتزجهم وتعبيده وفيه معنى التعجب (هل كنت الإبرار رسولا) أي كسائر الرسل لا يمشون ولا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم انما هو إلى الله تعالى ولو أراد أن ينزل ما طلبه الفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا الإبرار وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم ان الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونسج المساء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عادتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل أيؤمنوا وفرد الله تعالى عليهم سؤالهم بقوله عز وجل (ومانع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوته محمد صلى الله عليه وسلم الأشبهة تلجحت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الآن قالوا) أي جهلام منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملائكة كما جاءهم الله بقوله (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أي مستوطنين مقيمين فيها (لنزّلنا عليهم من السماء ماء كرسولا) أي من جنسهم لأن الجنس إلى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي على اني رسوله اليكم وانى قد باعتم ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعادتم (انه كان بعباده) (يعني المنذر بن المنذر بن خبيرا بصيرا) أي

على أقدامهم كما عشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم إلى السماء فيسهو عن أهلها ويعلموا ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أي ساكنين في الأرض قارين (لنزّلنا عليهم من السماء ماء كرسولا) يعلمهم الخبر ويهدوهم المراد فاما الانس فاما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوته فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشراؤم كما حالان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على اني بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعادتم شهيدا تميز أحوال (انه كان بعباده) المنذر بن المنذر بن خبيرا) عالما باحوالهم (بصيرا) بافعا لهم فهو مجاز بهم وهذه تسمية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة

(٢) قوله ففي قضية حكمته منكر عبارة الكشاف وما أنكره ونفلا فهو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا إلى امثاله أو إلى الانبياء اه وهي ظاهرة اه مصححه

(أذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) حال (ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أي
أعرض عنهم فأنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خير امتهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تلى عليهم خروا
سجدا وسجوا الله تعظيما لامره ولا تحازه ما وعد في الكتب المتزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد
الذي كورأن بمعنى أنه وهى تؤكده الفعل كما أن تؤكده الاسم وكذا كدت ان باللام في أنهم لمحضرون أ كدت ان باللام في المفعول (ويخرون
للاذقان يبيكون) ومعنى الخرو للذقن السقوط على الوجه وانما يخص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند السجود الذقن
يقال خر على وجهه وعلى ذقنه خر (١٨٤) لوجهه ولذقنه أمامه على فظاها وأمامه على الام فكله جعل ذقنه ووجهه للخرو واختصه به اذ
اللام للاختصاص وكرر
يخرون للاذقان لاختلاف
الحالين وهم اخروهم
في حال كونهم ساجدين
وخرورهم في حال كونهم
باكين (ويزيدهم) القرآن
(خشوعا) لين قلب وورطوبه
عين (قل ادعوا الله أو
ادعوا الرحمن) لما سمع أبو
جهل يقول يا الله يا رحمن
قال انه نها ان نعبد الهين
وهو يدعو الهها آخر فترات
وقيل ان أهل الكتاب
قالوا انك لتقل ذكر الرحمن
وقد أكثر الله في التوراة هذا
الاسم فترت والدعاء بمعنى
التسمية لا بمعنى النداء أو
للتخير أي سبوا هذا الاسم
أو بهذا أو اذكروا ما هذا
واما هذا والتنوين في (أياما
تدعوا) عوض من المضاف
اليه وما زيدت للتوكيد وأياما
فصب بدعوا وهو مجزوم
بأي أي أي هذين الاسمين
ذكركم وسببتم (فله الاسماء
الحسنى) والضمير في فله
يرجع الى ذات الله تعالى

يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعده مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان
الفارسي وأبي ذر وغيرهم (أذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه
(سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظموا ربنا لاننا لا نحازه ما وعد في
الكتب المتزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي كأننا واقعنا (ويخرون للاذقان
يبيكون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب وورطوبه عين فالبكاء مستحب
عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ النار رجل بكى من خشية الله حتى
يعود الابن في المضرع ولا اجتمع على عبد دعبار في سبيل الله وذخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد
النسائي في مخري مسلم أيد الولوج الدخول والمخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي
وقوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
لجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا يتها من آلها تنادى يدعو الهين فأترل الله هذه
الآية ومعناها انهما اسمان لله تعالى فسمو بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أياما تدعوا) ماصلة ومعناه أي هذين
الاسمين سميتم وذكركم ومن جميع اسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعني اذا حسنت أسماءه كلها فهذان
الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يخفف بكمة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أتراه
ومن جاعبه فقال الله تبارك وتعالى لنبىه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون
فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا
أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والخفي ومجاهد
ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء وقيل كان أعراب من بني تميم
اذ سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا ما لا اولاد يجهرون بذلك فأترل الله عز وجل ولا تجهر
بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءتك ودعائك ولا تخافت بها المخافة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أي
اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال انى أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا
وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت ترفع من صوتك فقال انى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال
اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحمده

والفعل لانه جواب الشرط أي أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت أسماءه
كلها احسن هذان الاسمان لانهم امنوا ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك)
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذا الجهر والمخافة تعقيب على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت
بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافة (سبيلا) وسطا ومعناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين
ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كزعمت اليهود والنصارى
ويؤمنوا به

(ولم يكن له شريك في الملك) كازعم المشركون (ولم يكن له ولي من الذل) أي لم يبدل فيحتاج الى ناصر أولم يوال أحد من أجل مدله به ليدفعها
 بوالائه (وكبره تكبيرا) وعظمه موصوفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي عليه السلام الآية آية العز وكان إذا أفصح
 الغلام من بني عبدالمطلب علمه هذه الآية * (سورة الكهف مائة وحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي) * (بسم الله الرحمن الرحيم)
 الحمد لله الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده وفقهم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجل
 نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي (١٨٥) هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أي

شيئا من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان يقال في ربه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة (قيما) مستقيما وانتصابه بمضمر وتقدير وجهه قيبا لانه اذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخول من أدنى عوج عند التصريح أو قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهد بعجزها (لينذر) أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريب افاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (باسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولى أنذر لان المنذره هو السوق اليه فاقصر عليه (من لده) صاد وان عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم)

على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو عسل جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض نعمه على عبده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الذل) ومعناه انه لم يبدل فيحتاج الى ناصر يتعز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوحيا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السر والعلانية عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكركر لاله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضركم باهم بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* (تفسير سورة الكهف) *
 وهي مكية وآياتها مائة وحدى عشرة آية وكتابتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وحر وفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أننى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكركر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أي لم يجعل له شيئا من العوج فقط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعل له مخلوقا قاروا عن ابن عباس في قوله تعالى قرأنا غير ذي عوج قال غير مخلوق (قيما) أي مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصداقها وانما سألها عن شرعها (لينذر باساشديدا) معناه لينذر الذين كفروا باساشديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لده) أي من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا) يعنى الجنة (ما كتبت فيه) أي مقيمين فيه (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم) أي بالولد واتخاذه يعنى ان قولهم لم يصد عن علم بل عن جهل مفترط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (وللاياتهم) أي وللاسلافهم من قبل (كبرت) أي عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أي هذا الذي يقولونه لاتحكم به عقولهم وفكرهم

(٢٤ - (خازن) - ثالث)
 أي الجنة ويبشر جزء وعلى (ما كتبت) حال من هم في لهم (فيه) في الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذره بعكس الاول استغناء لتقديم ذكره (ما لهم به من علم) أي بالولد أو باتخاذه يعنى ان قولهم هذا لم يصد عن علم ولكن عن جهل مفترط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالتها وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه أو لانه في نفسه محال (وللاياتهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قولهم اتخذ الله ولدا وسيت كلمة كناية عن الغصيدة بها (تخرج من أفواههم)

صفة الكلمة تقيدا استعظاما لاجرائهم على النطق بمواخرجهم ان أفواهم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتم الكون أن يتفهوا به بل يكظمون عليه فكيف يمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أي قولا كذبا (فلعلك بائع نفسك) (١٨٦) قاتل نفسك (على آثارهم) أي آثار الكفار شبهه وياهم حين تولوا عنهم ولم يؤمنوا به وما تداخلهم من الاسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حشرات على آثارهم ويخضع نفسه وجداع عليهم وتلفها على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مقعوله أي لفرط الحزن والاسف المبالغته في الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أي ما يصلح ان يكون زينة لها ولا هلاها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنباؤهم) أي ما يصلح ان يكون زينة لهم زينة الارض وقيل أرابه العلماء والصالحاء وقيل جميع ما في الارض هور زينة لها فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكاف بدليل قوله تعالى (لنباؤهم) فن يباؤهم ان لا يدخل في ذلك ومعنى لنباؤهم تختبرهم (أبهم أحسن عملا) أي أصح عملا وقيل أبهم أترك الدنيا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعيدا حرزا) يعني مثل أرض لنبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيه من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذأوى الفتيمة الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشيايب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رجعة) أي رجعة من خزائن رحمتك وجلالت فضلنا واحسانك ونهب لنا الهداية والنصر والامن من الأعداء (وهي انما) أي أصلح لنا (من أمرنا رشنا) أي حتى نكون بسببها راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

* (ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه) *

قال محمد بن اسحاق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا الطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيدده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملث من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قري الروم فلا يترك في قرية تزله أحد الا فتنة عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها فسوس استخفى منه أهل الايمان وهر بواني كل وجه فالتخضطرط من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أما كتبهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام ففهم من يرغب في الحياة ومنهم من باي أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في

يؤمنوا به وما تداخلهم من الاسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حشرات على آثارهم ويخضع نفسه وجداع عليهم وتلفها على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مقعوله أي لفرط الحزن والاسف المبالغته في الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أي ما يصلح ان يكون زينة لها ولا هلاها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنباؤهم) أي ما يصلح ان يكون زينة لهم زينة الارض وقيل أرابه العلماء والصالحاء وقيل جميع ما في الارض هور زينة لها فان قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكاف بدليل قوله تعالى (لنباؤهم) فن يباؤهم ان لا يدخل في ذلك ومعنى لنباؤهم تختبرهم (أبهم أحسن عملا) أي أصح عملا وقيل أبهم أترك الدنيا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعيدا حرزا) يعني مثل أرض لنبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب آياتنا فان ما خلقنا من السموات والارض وما فيه من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار هو اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذأوى الفتيمة الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشيايب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رجعة) أي رجعة من خزائن رحمتك وجلالت فضلنا واحسانك ونهب لنا الهداية والنصر والامن من الأعداء (وهي انما) أي أصلح لنا (من أمرنا رشنا) أي حتى نكون بسببها راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم واسم كلهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأهم أو اسم الجبل الذي فيه الايمان الكهف (كانوا من آياتنا عجبا) أي كانوا آية عجبا من آياتنا وصفها بالمصدر وعلى ذات عجب (اذ) أي ذكر (أوى الفتيمة الى الكهف) فقالوا ربنا آتنا من لدنك رجعة) أي رجعة من خزائن رحمتك وهي الغفرة والرزق والامن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشنا) حتى نكون بسببها راشدين مهديين واجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا أو يسر لنا طير بقرضك

الاعيان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويحجل ما قطع من اجسادهم على
اسوار المدينة وابوابها فاعظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتيمة حزوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا
بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشرف الروم وهم ثمانية نفر و بكوا وتضرعوا الى الله
عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض ان ندعوك من دونه الها لقد قلنا اذا شططنا انك
عبدك المؤمنين هذه الفتنة وارفغ عنهم البلا حتى يعلنوا عبادتك فيبينماهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم
أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خطبكم عن
أمر الملك ثم انطلقوا الى الملك فأخبروه بحبر الفتنة فبعث اليهم فأتى بهم تقيض أعينهم من الدمع معرفة
وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجدوا انفسكم أسوة
أهل مدينتكم اختاروا اما أن تدبحوا الآلهتنا واما أن أقبلكم فقال مكسبنا وهو أكبرهم ان لنا الهاملاء
السموات والارض عظمت ان ندعو من دونه الها أبدا له الحد والتكبير من أنفسنا الصابدين الياه تعبد وياه
فسأل النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا ما بدالك وقال أصحابه مشيئ ذلك فلما سمع الملك
كلامهم أمر بترع ثيابهم وحلقة كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأ فرغ لكم وأنجز لكم ما وعدتكم
من العقوبة وما ينبغي أن أجعل ذلك لكم الا في أراكم شيئا نحيده أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى
أجعل لكم أجلا تدكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمرهم فخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى
مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتيمة خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكرهم فأمروا
بينهم وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتروذوا بما بقي ثم ينطلقوا الى
كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجيوس فيمكثون فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه
فيصنعهم ما يشاء فلما انفقوا على ذلك عمد كل فتي منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي
معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مررت بالكلب فتبعهم
فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أحب الله عز وجل
فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هر بوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم
وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه لبس لهم عمل الصلاة والصيام
والتسبيح والتحميد ابتغوا وجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتي منهم اسمه تليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم
من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم
يأخذون رقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرايا ويحسب لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشئ ثم
يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظاماء أهلها أن يدبحوا
للطواغيت ففرغ من ذلك أهل الايمان وكان تليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعاما فخرج الى أصحابه وهو
يبكي ومعهم طعام قليل فآخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا واتسوا مع عظاماء المدينة
ففرعوا وقعدوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تليخا يا اخوتاه ارفعوا
رؤسكم وأطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم
جلسوا يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فيبينماهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف
وكانهم باسط ذراعيه بيباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان
من الغد تفقدتهم دقيانوس والتسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظاماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتيمة
الذين ذهبوا القدر ظنوا أن في غضبا عليهم لجهلهم ماجهوا من أمرى ما كنت لاجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا
الهي فقال عظاماء المدينة ما أنت بتحقيق أن ترحم قوما فجررة مرادة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شأوا
لرجعوا في ذلك الاجل وانكهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فأتى بهم فقال
أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعلم فلم تقتلنا بقوم مرده انهم ذهبوا باموالنا

٢ قوله ينجيوس هكذا في
بعض النسخ وفي بعضها
ينجوس وفي حياة الحيوان
متنجوس فليحسرها

مصحف

وأهل الكهوف في أسواق المدينة ثم انطلقوا إلى جبل يدعى بجبلوس فلما قالوا له ذلك نخلي سيبلهم وجعل ما يدري ما
يصنع بالفتية فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم
بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور فرمى قيا نوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم عوتون جوعا وعطشا ويكون
كهفهم الذي اختاروه قبورهم وهو بطن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله عز وجل أرواحهم وفاة
نوم وكابهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيته ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين
مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتبان ايمانهم ما اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر وناس اهتما أن
يكتبوا شأن هؤلاء الفتية وأسماهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من
نحاس ويجعل التابوت في البنيان وقال لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوموا مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم
من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنوا عليهم وبقى دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون
بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك * وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيا ناموا قين مسورين ذوى
ذوائب فرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم آلهمم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب
صيد لهم وكان أحدهم وزير الملك فذف الله سبحانه وتعالى الايمان في قلوبهم فأمنوا وأخفى كل واحد ايمانه
وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لتلاي صيدى عقاب بجرهم ثم فخرج شاب منهم حتى انتهى
إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرحأن يكون على مثل أمره وجلس اليه من غير أن
يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه
من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا الخبز كل فتية فيخلوا ويفس كل واحد سره إلى صاحبه ففعلوا ذلك
فأذا هم جميعاً على الايمان وإذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأروا إلى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمة فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وقد هم
قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان أبناء
ملوك كذا فقد ناهم في شهر كذا في سنة كذا في ملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
ليكون هؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح
يقال له بيدروس فنام ملك بقي ملكه ثمانين سنة فماتت سنة فتخرب الناس في ملكه فكانوا أحراباً منهم من يؤمن
بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى الله وحزن حزناً شديداً
لمرأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لأحياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح
دون الاجساد وجعل بيدروس الملك يرسل إلى من يظن فيهم خيراً وانهم أئمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا
يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوار بين فلان أى ذلك الملك الصالح دخل
بيته وأغلق باب عليه وليس مسجاً وجعل تحته رماداً فجلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله تعالى
ويبكي ويقول رب قدر ترى اختلاف هؤلاء فابعت لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم ان الله سبحانه وتعالى
الرحمن الرحيم الذى يكره لهلكة عباده أراد ان يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم
آية وحنة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبد الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه وان
يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه ذلك
الكهف وكان اسمه أو لياس ان يهدم ذلك البنيان الذى على قم الكهف ويبني به حظيرة لغنمه فاستأجر
غلامين فجعل لا يزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى فرغوا كان على باب الكهف وفتح باب
الكهف وحجبهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلم يفتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذوالقدرة
والسلطان يحيى الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم
وسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم ثم

قاموا الى الصلاة فصاروا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه وانهم كهيبتهم حين
 رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضاوا صلواتهم قالوا التملخا صاحب نفقتهم أنبئنا بما قال الناس
 في شأننا عشيبة أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرددون وقد خيل اليهم
 أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كلبتم نياما قالوا البشايوما أو
 بعض يوم قالوا بكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تملخا قد التستم في المدينة وهو يريد
 أن يوتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم فاشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلبينا يا اخوتاه اعلموا
 أنكم ملاقوا لله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم عدو الله ثم قالوا التملخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال
 لنا بما وما الذي يدكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعربك احدثا وابتغ لنا طعاما فتابه وزنا على الطعام
 الذي جئنا به فقد أصحنا جياعا ففعل تملخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها
 وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت تكفاف الربع فانطلق تملخا خارجا
 فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فحجب منها ثم لم يبال بها حتى أتى باب المدينة
 مستخفيا يصعد الطريق نحو فان رآه أحد من أهلها فبصره ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكوا قبل ذلك
 بثلاثمائة سنة فلما أتى تملخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذ كان
 أمر الايمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب آخر
 فرأى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رأيهم قبل
 ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه
 ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشيبة أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون
 بها اليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى انه ليس بنائم فآخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي
 في أسواقها فسمع ناسيا يخفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى
 جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشيبة أمس فليس كان على الارض
 من يدكر عيسى بن مريم الا قتل واما اليوم فسمع كل انسان يدكر عيسى بن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه
 لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مديتنا فقام كالخيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم
 هذه المدينة يا فتى فقال اسمها فسوس فقال في نفسه لعل بي مسأ وأمر اذهب عقلي والله يحق لي ان أسرع
 الخروح قبل أن بصيني فيها ثم فاهلك فضى الى الذين يتعاونون الطعام فخرج لهم الورق التي كانت معه
 وأعطاهم جلامتهم وقال له بعني هذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فحجب منها
 فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون
 بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كثر اخيبتنا في الارض منذ زمان طويل فلما رأهم تملخا يتحدثون
 فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يردد يظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به
 الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا
 علي قد أخذتم ورقي فامسكوه واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت
 كثر من كنوز الارلين وأنت تريد أن تخفب مننا انطلق معنا وأرنا ه وشاركنا فيه تخفف عليك ما وجدت وانك
 ان لم تفعل نحمالك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت
 احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تملخا ما يدري ما يقول لهم وخاف
 حتى لم يجز على لسانه اليهم شيء فلما رآه لا يتكلم اخذوا كساءه فطرحوه في عنقه وجعلوا يستحبونه في سكان
 المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد اخذ رجل معه كثر فاجتمع عليه اهل المدينة فجعلوا ينظرون اليه ويقولون
 والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة وما رآناه فيها قط وما نعرفه وجعل تملخا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا
 ان اباة واخوته بالمدينة وانه من عظام اهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالخيران ينتظر متى

(فضر بنا على آذانهم في الكهف) أي ضرب بنا عليها بحجابان النوم يعني أغمناهم انما تقيده لا تنبهم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الجباب (سنين عددا) ذات عدد فهو وصفة لسنين قال الزجاج أي تعدد الكثرة لان القليل يعلم مقدارهم غير عدد فاذا كثر عدد فاما دراهم معدودة فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) (١٩١) أي يقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم

من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤه عجبوا وجدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية نزلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وسبحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جالوسا مشرقا وجوههم لم تبيل ثيابهم ففرار يوس وأصحابه سجدوا لله وحدهوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عمل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر رجع عقله اليه وذهب همه وقال أجدهك اللهم رب السموات والارض وأبعدك واسبح لك تطوات على ورجعتي ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبدا الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعنتهم وبكى وهم جالوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيمك ذلك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذا هم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له انالم تخلق من ذهب ولا فضة ولا كحلقتنا من تراب والى التراب نصير فآثر كذا كما كفى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فعملوا فيه وحجهم الله حين خرجوا من عندهم بالعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلي فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يوثق كل سنة وقيل ان تخليجا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وقد كررته خرج أمس أو منذ أيام وقد كرمته وأقواما يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالروح ونظر في أسماءهم فاذا اسمهم مكتوب وكره أسماء الآخرين فقال تخليجناهم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال يتخذ عوني حتى أدخل على أصحابي فابشرهم فانهم ان رأوكمعي أربعتهم وهم فدخل تخليجا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يفتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذا رأى الفتية الى الكهف أي صاروا الى الكهف واسمهم خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهي لنا أي يسر لنا من أمرنا رشا أي ما نلتهم من مرضاك وما فيه رشا وقال ابن عباس أي يخرجنا من الغار في سلامة قوله سبحانه وتعالى (فضر بنا على آذانهم) أي ألقينا عليهم النوم وقيل منعنا نفوذ الأصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (في الكهف سنين عددا) أي أغمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أي من نومهم (لنعلم) أي علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليردادوا ايماننا واعتبارا (أي الحزبين) أي الطائفتين (أحصى لمالبشوا أمدا) أي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعت في مدة لبثهم في الكهف قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أي نقرأ عليك خيرا أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق (انهم فتية) أي شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أي ايماننا وبردصيرة (وربطنا على قلوبهم) أي شددنا على قلوبهم

لانهم لما انتبهوا اختلطوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لنبشوا وما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لمالبشوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأمد ظرف لآحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي تعلم والمعنى أيهم ضبط أمدا لاوقات لبثهم وأحاط علما بأمد لبثهم ومن قال أحصى أفعل من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجردي ليس بقياس وانما قال انعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليردادوا ايماننا واعتبارا وليكون لطفنا لؤمى زمانهم وآية بيينة لكفارهم أو المراد انعلم اختلاف فهمنا وجودا كما علمناه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) جمع

فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المسكارم وقيل الفتى ما لا يدعى قبل الفعل ولا يترك نفسه بعد الفعل (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) يقينوا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا الخذل اثنان اثنان منا فيظهور كلاهما ما يضر لصاحبه ففعلوا فصل اتفاهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقوي بناها بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وحسنناهم على القيام بكامة الحق والتظاهر بالاسلام

(بالوصيد) بالفناء وبالعبية (لواطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لا عرضت عنهم وهرب منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم (ولمئت منهم) وبتشديد اللام تجازي للمبالغة (ربما) تمييز ويضم العين شأى وعلى وهو الخوف الذي يربع الصدر أى علوه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو أطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجزامهم وعن معاوية أنه غزا الروم فر بالكهف فقال أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضى الله عنهم القديليل من هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فاحرقتهم ربح (وكذلك بعثناهم) وكما أمتناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم اظهار اللقمة على الانامة والبعث جميعا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرته ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبستم) كم مدة لبسكم (قالوا البنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بالبيتم) بمدة لبسكم انكار عليهم من بعضهم كانهم قد علموا بالادلة (١٩٣) أو بالهام ان المدة متطاوله وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم

صهيان قيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وجرار بلع (بالوصيد) أى فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ووقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ووقد عليها (لواطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكلاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولمئت منهم ربما) أى خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كانتيقظ الذي يريد أن يسلكهم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فرربنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قدم مع ذلك من هو خير منك فقيل له لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقل اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم ^{وقوله} وسبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعنى كما أمتناهم في الكهف وحقنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلبينا (كم لبستم) أى فى نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم وقيل أنهم راعاهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا البنا يوما) ثم نظر واو جدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بالبيتم) وقيل ان مكسلبينا ما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا للاختلاف ربكم أعلم بالبيتم (فابعثوا أحدكم) يعنى تملينا (بورقكم) هى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هى طرسوس وكان اسمها فى الزمن الاول قبل الاسلام افسوس (فلينظر أيها أركى طعاما) أى أحل طعاما وقيل أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأخصه (فليأتكم برزق منه) أى قوت وطعام تاكونه (وليتلط) أى وليترفق فى الطريق وفى المدينة وليكن فى ستر وكمتمان (ولا يشعرت) أى ولا يعلمن (بكم أحدا) أى من الناس (أنهم ان يظهر واعليكم) أى يعلموا بكم انكم (برجوكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعيدوكم فى ماتهم) أى الكفر (ولن تفلحوا اذا أبدا) أى ان عدم اليه ^{وقوله} عز وجل

دخلووا الكهف غداة وكان اتبهاهم بعد الزوال فظنوا أنهم فى نومهم فلما نظر والى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضى الله عنه - ما على ان الصحاح ان عددهم سبعة لانه قد قال فى الآية قال قائل منهم كم لبستم وهذا واحد وقالوا فى جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم بالبيتم وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فابعثوا أحدكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا فى شئ آخر مما بهمكم فابعثوا أحدكم أى تملينا (بورقكم) هى الفضة مضروبة وبسكون الراء أو عمرو وخسرة وأبو بكر

(٢٥ - خازن) - ثالث (هذه الى المدينة) هى طرسوس وحلهم الورق عند فرارهم دليل على ان جمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتسكين على الاتعافات وعلى مافى أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديدا الحنين الى بيت الله ويقول مال هذا السفر الا شيطان شد الهيمان والتوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أى أهلها فخذف كما فى واسئل القرية وأى مبتدأ وخبره (أركى) أحل وأطيب أو أكثر وأخص (طعاما) تمييز (فليأتكم برزق منه وليتلط) وليتسكف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يعين أوفى أمر الخفى حتى لا يعرف (ولا يشعرت بكم أحدا) ولا يفعل ما يؤدى الى الشعور بنمان غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير فى (أنهم) واجمع الى اهل المتدرفى أيها (ان يظهر واعليكم) يتطلع واعليكم (برجوكم) يقتلوكم أخبث القتل (أو يعيدوكم فى ماتهم) بالاكراه والعود بمعنى الصبر وكثير فى كلامهم (ولن تفلحوا اذا أبدا) اذا يدل على الشرط أى ولن تفلحوا ان دخلتم فى دنيتهم أبدا

(وكذلك أعترا عليهم) وكما أعتراهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) وهو البعث (حق) كأن لان حالهم في نومهم وانبأهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لا ريب فيها) فانهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق باعتبار أي أعتراهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بترتبهم ومحافظتهم عليها كما حفظت ترية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (رهبهم أعلمهم) من كلام المتنازعين كأنهم نذكروا أمرهم وتناقضوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يبتدوا الى حقيقة ذلك قالوا رهبهم أعلمهم أو من كلام الله عز وجل رد قول الخنازير في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملوكهم وكانوا أولي بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى ان أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام وأكروهوا على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فاراد قسمة من أشرف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فانوا الا الشبان على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكل قبعة فطردوه ووافظقه الله تعالى فقال ماتريدون مني اني أحب أجداء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا مع كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملكا مدينتهم وجلس صالح مؤمنا وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاهدين فدخل الملك بيته وأعلق بابه ولبس مستحيا وجلس على رماذ وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالتق الله في نفس (١٩٤) رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه

(وكذلك أعترا عليهم) أي اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا ان وعد الله حق) يعني قوم يدررس الذين انكروا البعث (وان الساعة لا ريب فيها) أي لا شك فيها انها آتية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس في البنيان فقال المسلمون بنبي عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون بنبي بنيانا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله آية وان البعث للارواح والاجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عدددهم (فقالوا بنوا عليهم بنيانا رهبهم أعلمهم) قال الذين غلبوا على أمرهم (يعني يدررس واصحابه) (لنتخذن عليهم مسجدا) قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة اربعهم كذبهم) روى ان السيد والعاقب واصحابهم مامن نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة اربعهم (ويقولون) أي وقال العاقب وكان نسطوريا (خمس سادسهم كلهم رجسا بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلهم)

لا يتباع الطعام وأخرج الورك وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كثراف ذهابه الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصر وهم وجدوا الله على الآية بالله تعالى البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعو الى مضاجعهم وتوفي

الله أنفسهم فالتق الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد ثابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلهم ان الساج وبنى رسول على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة اربعهم كذبهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجسا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلهم) سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوا الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سحري بينهم من اختلافهم في عدددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلهم ويروي ان السيد والعاقب واصحابهم مامن أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة اربعهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم ياخي ومكشينا ومثليينا هؤلاء اصحاب عين الملك وكان عن يساره من نوح ودبر نوح وشاذ نوح وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلهم قطامير وسين الاستقبال وان دخل في الاول دون الاخرين فهم اذ اخلان في حكم السنين كقولك قدأ كرم وانتم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأراد به يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة واربعة كلهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلهم وثامنهم كلهم رجسا بالغيب وميا بالخبر الخفي واتبانابه كقوله ويقذفون بالغيب أي ياتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل طنبا بالغيب لانهم أكثر وأن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للذكر كما تدخل على الواقعة حال على المعرفة في قولك جاءني رجل ومعها خرو ومررت بر يدوفي يده سيف وفأندتها وكيد الصوف بالوصوف والدلالة على ان ثمانية اممر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي أذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجوا بان كان

رجم غيرهم ذابله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجبا بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي اعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بقوله سبحانه وتعالى عنهم كما هم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان من ذلك القليل وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا أهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف (الامرء اظاهرا) الاجد الا ظاهر غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى اليك ففسد ولا تزيمن غير تجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أوردك بان أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزمن عليه) (اني فاعل ذلك) (الشيء غدا) أي فيما يستقبل من (١٩٥) الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا ان يشاء الله) أن تقوله بان يذن لك فيه أو لا تقوله الا بان يشاء الله أي لا تقوله الا بما يشاء الله أي لا تقوله الا بما يشاء الله وهو في موضع الحال أي الا ملتبسا بمشيئة الله فإني ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني أفعل ذلك الا بمشيئة الله تعالى لان قول القائل انا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لا أفعله الا بمشيئة الله وهذا مني تأديب من الله لبيته حين قالت اليهود لقرش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فباطأ عليه الوحي حتى شق عليه (واذ كر ربك) أي مشيئة ربك (وقل ان شاء الله) اذا فرط منك نسيت لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم انتهت عاها فتداركها بالذكر عن الحسن مادام في مجلس الذكر وعن ابن

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أو لا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجبا بالغيب أي ظنا وحده سامن غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المنصوص بالظن هو قول النصارى وان يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجبا بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكانات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا لله تعالى ومن أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ان من اولئك القليل كانوا سبعة وهم (٢) مكسيمناو عليخاوصرطونس وبينونس وسار ينونس وذولوانس وكشفيطونس وهو الراعي واسم كاهنهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تنقل في عددهم وشأنهم (الامرء اظاهرا) أي الا بظاهر ما قصصنا عليك ففقد عند ولا ترد عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع الى قول احد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فابت الوحي يا ما تم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بنى اسرائيل (واذ كر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثنى وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوز الحسن مادام في المجلس وجوز بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الآية (واذ كر ربك اذا غضبت قال وهب) كتوب في التوراة والانجيل ابن آدم اذ كرتي حين تغضب اذ كرتي حين أغضب وقيل الآية في الصلاة قيل عليه ماروي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكري متفق عليه اذ لمسلم أو نام عنها فكفارتم أن يصلها اذا ذكرها (وقل عسى أن يمديني ربي لا قرب من هذا ارشدا) أي يثبتني على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره اذا نسى شيئا وبسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آناه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شيء أمره الله أن يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسب وانسان قوله ان

عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فالاستثناء المغير حكما فلا يصح الامتصلا وحتى أنه بلغ المنصوران بأباحتهم رجح الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره ليدركه ما قال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان أفترض ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن في باخراجه من عنده ومعناه واذا كر ربك بالنسب والاسْتِغْفَار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها أو اذا نسيت شيئا فذكره ليدركك المنسى (وقل عسى أن يمديني ربي لا قرب من هذا ارشدا) يعني اذا نسيت شيئا فذكر ربك عند نسبائه ان تقول عسى ربي ان يمديني لشيء آخر يدل هذا المنسى أقرب منه ارشدا أو ادنى خيرا ومنه ان يمديني ان ترين ان تعلمن متى في الحالين ووافقه أبو عمرو (٢) قوله وهم مكسيمنا الخ وقع اختلاف كبير في أسمائهم وذكر في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع

ومدني في الوصل (ولبشوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبشهم فيه أحياء مضرو بأعلى آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجل في قوله فضر بها على آذانهم في الكهف سنين عدد اوسنين عطف بيان لثلثمائة ثلثمائة سنين بالاضافة حزة وعلى على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالانحسرين أعمالا (وازدادوا تسعا) أي تسع سنين للدلالة ما قبله عليه وتسع مفعول به لان زاد تقتضي مفعولا يفتضى مفعولا واحدا (قل الله أعلم بما لبثوا) أي (١٩٦) هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم مدة لبشهم والحق ما أخبرك به أو حكاية كلام أهل الكتاب

وقل الله أعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا الخبر من الله سبحانه وتعالى انهم لبثوا في كهفهم كذامدة (له غيب السموات والارض) ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السموات والارض وخفي فيها من أحوال أهلها (أبصر به وأسمع) أي وأسمع به والمعنى أبصره بكل موجود ما أسمع له لكل مسموع (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولي) من متول لا مورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا تشرك على النهي شامحا كانوا يقولون له انت بقرآن غير هذا أو بدله فقبيل له (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أي من القرآن ولا تسمع لما يهزون به من طلب التبديل فانه (لا تبدل لك آياته) أي لا يقدر أحد على تبديلها أو تعيبرها انما يقدر على ذلك هو وحده (وان تجدد من دونه ملتحدا) ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخر هؤلاء المولى

شأن الله فتوبت به من ذلك أن يقول مع قوله ان شاء الله عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبشوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) قبل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبشهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه وان كان الله رد قولا لهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والاصح أنه اخبار من الله تعالى عن قدر لبشهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعني ان نازعوك في مدة لبشهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر مدة لبشهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلم الا الله فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قبل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما وشهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجل في قوله فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عدد اوزادوا تسعا وقيل قالت نصارى تجران أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل ان عند أهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلثمائة سنة وتسع سنين قرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قرية (له غيب السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى لا يخفي عليه شيء من أحوال أهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفي عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود ما أسمع به بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدركه البواطن كما يدرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا يخفي عليه خافية (مالهم) أي ما لاهل السموات والارض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضائه سبحانه وتعالى (واتل) أي واقرا يا محمد (ما أوحى اليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتسع ما فيه واعمل به (لا تبدل لك آياته) أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق اليه بتغيير أو تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغافر فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما أوعده الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أي من دون الله ان لم تتبع القرآن (ملتحدا) أي ملجأ وحرز تعدل اليه قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أي النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقهاء منهم سلمان وعليه صلاة صوف قد عرف فيها ويده خوص بشة وهو ينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأمر أفعالنا أسلمنا أسلم الناس وما نحن من اتباعك الا هؤلاء فخرجهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون وجهه ان لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعة ما تخرج رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا صرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت ان اصبر نفسي معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عينك عنهم) الى غيرهم (تريدون الحياة الدنيا) أي تطلب بحالسة

وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى تجالسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) الاغنياء واجسدهم وهم وثبتها (بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت أو بالغداة طلب التوفيق والتيسير والعشي طلب عفو التقصير وأهما صلاة الفجر والعصر بالغداة شامحا (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عينك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى بعن عدمعني نيا في قولك نبت منه عينه وفائدة التضمن اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى فذ (تريدون الحياة الدنيا) في موضع الحال

(ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكرو وهو دليل لنا على انه تعالى خالق افعال العباد (واتبع هواه وكان أمره
فرطاً) مجاوزاً عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)
أى جاء الحق وزاغت العال فلم يبق الاختيار لكم لانفسكم ما شئتم من الاخذ بى طريق النجاة أو بى طريق الهلاك وحيى بلفظ الامر والتخيير لانه
لما يمكن من اختيار أيهما شاء فكانه تخيراً مأثور بان يتخير ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا أعتدنا) هيباً لنا (للظالمين)
للكافرين فقيده بالسياق كما تركت حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله انا أعتدنا للظالمين (١٩٧) (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه

ما يحيط بهم من النار
بالسرادق وهى الحجره التى
تكون حول الفسطاط
أوهو دخان يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار وهو
حائط من نار يطيف بهم
(وان يستغيثوا) من
العطش (بغاثوبماء كالمهل)
هو دردى الزيت أو ما أذيب
من جواهر الارض وفيه
نهمهم (يشوى الوجوه)
اذ قدم ليشرب انشوى
الوجه من حرارته (بشس
الشراب) ذلك (وساعت)
النار (مرتفقاً) متسكاً
من الرقيق وهذ المشاكلة
قوله وحسنت مرتفقاً والا
فلا ارتفاق لاهل النار وبين
جزاء من اختار الايمان
فقال (ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لانضيق
أجرهم أحسن عملاً أولئك
لهم جنات عدن) كلام
مستأنف بيان للاجر المبهم
ولك أن تجعل انا لانضيق
وأولئك خبرين معاً المراد
من أحسن منهم عملاً كقولنا
السهن ممنون بدرهم ولان
من أحسن عملاً والذين آمنوا

الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا) (ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا
يعنى عمية بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أى فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطاً) ضياعاً
ضياع أمره وعطل أيامه وقيل ندماً وقيل سرفاً وباطلاً وقيل مخالفاً للحق (وقل الحق من ربكم) أى قل بالحمد
لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبسببه الهدى والضلال ليس
الى من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هـ ذاعلى طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم
وقبل معنى الآية وقيل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين لهوا كما فن شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا
فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من
شاء الله الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر (انا أعتدنا) أى هيباً لنا من العناد وهو العدة (للظالمين) أى
الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجره التى تطيف بالفساطيط عن أبى سعيد الخدرى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربع جدران بعون سنة أخرجه الترمذى قال ابن
عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار
(وان يستغيثوا) أى من شدة العطش (بغاثوبماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى جاء كالمهل قال كعكر
الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذى وقال رشدين أحد رواة الحديث قد تكلم فيه
من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفير المذاب (يشوى الوجوه)
أى ينضح الوجوه من حره (بشس الشراب) أى ذلك الذى يغاثون به (وساعت) أى النار (مرتفقاً) قال ابن
عباس رضى الله عنهما متراً وقيل مجتمعا أصل المرتفق المتسكاً وانما جاء كذلك المشاكلة قوله وحسنت مرتفقاً
والافلار تفاق لاهل النار ولا متسكاً ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيق أجرهم
أحسن عملاً) أى لا نترك أجرهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم بما عملهم الصالحة وقيل ان قوله انا لانضيق أجر
من أحسن عملاً كلام معترض وقد بره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أى دار
اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجربى من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان يجرى فيه
الماء (يجلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور وسوار من ذهب لهذه الآية
وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير (ويلبسون
ثياباً خضراً من سندس) هو الديباج الرقيق (واستبرق) هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس
المسوج بالذهب (متسكئين) خص الاتسكع لانه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أى فى الجنة (على الارائك)
جمع اريكة وهى السرور فى الجمال ﴿ وليا وصف الله سبحانه وتعالى هذه الاشياء قال (نعم الثواب) أى نعم
الجزاء (وحسنت) أى الجنات (مرتفقاً) أى مقرراً ومجلساً والمراد بقوله وحسنت مرتفقاً مقابله ما تقدم
ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساعت مرتفقاً ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم مثلاً رجلين) قيل زلت فى

وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فاقام من أحسن مقام الضمير (تجربى من تحتهم الانهار) يجلون فيها من أساور) من لا ابتداءً تكبير
أساور وهى جمع أسورة التى هى جمع سوار لابهام أمره فى الحسن (من ذهب) من اللاتيين (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس) مارق من
الديباج (واستبرق) ما غلظ منه أى يجمعون بين النوعين (متسكئين فيها على الارائك) خص الاتسكع لانه هيئة المتنعمين والملوك على أسرهم
(نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الجنة والارائك (مرتفقاً) متسكاً (واضرب لهم مثلاً رجلين) مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا
أخوين فى بنى اسرائيل أحدهما كافراً اسمه قطرس والأخر مؤمناً اسمه يهودا وقيل هم المذكوران فى الصافات فى قوله قال قائل منهم
انى كان لى قريبن زورنا من أبهيهما ثمانية آلاف دينار فجعلها شطرين فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار فقال المؤمن اللهم ان أخى اشترى

أرضاً بالف دينار وأنا أشتري منك أرضاً الجنة بالف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بالف فقال اللهم انى أشتري منك داراً فى الجنة بالف فتصدق به
ثم تزوج أخوه امرأة بالف فقال اللهم انى جعلت الف الفاصد قال العور ثم اشتري أخوه خدماً ومات عاباً بالف دينار فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان
المخدين بالف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لآخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطردوه وبخه على التصديق بحاله (جعلنا لأحدكما
جنتين من أعناب) بساتين من كرم (وحفظناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطاً بالجنة وبينهما داران من الجنة وفى دار واحدة من الجنة
موزة بالشجر المثرمة يقال حفوه (١٩٨) إذا طافوا به وحفظته بهم أى جعلتهم حافدين حوله وهو متعدى إلى مفعول واحد فتزده الباء
مفعولاً ثانياً (وجعلنا بينهما
زرعاً) جعلناهما أرضاً جامعة
للأقوات والقوا كه ووصف
العمارة بأنها متواصلة
متشابكة لم يتوسطها ما
يقطعها مع الشكل الحسن
والترتيب الانيق (كلتا
الجنة آتت) أعطت
جبل على اللفظ لان لفظ
كلتا مفرد ولو قيل آتت على
المعنى لجاز (أكلها) ثمها
(ولم تنقص منه) ولم تنقص
من أكلها (شياً وخبرنا
خلالهما نهرًا) نعمت بما نواف
الثمار وتمم الأكل من غير
نقص ثم عاها أصل الخير
ومادته من أمر الشرب
نحوه أفضل ما يسقى به وهو
النهر الجارى فيها (وكان
له) لصاحب الجنة (ثم)
أنواع من المال من ثماله
إذا كثره أى كانت له الى
الجنة الموصوفتين الاموال
الكثيرة من الذهب والفضة
وغيرهما ثم وأحيط بثمره
بفض المسيم والشاء عاصم
وبضم الشاء وسكون الميم
أو عرو وبضمها غيرهما
(فقال لصاحبه وهو يحاوره)
يراجعه الكلام من حار

أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد البليل وكان مؤمناً وأخوه
الاسود بن عبد الأسد وكان كافراً وقيل هذا مثل ابيينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين
من بنى اسرائيل اخوين أحدهما مؤمن واسمه هوذا فى قول ابن عباس وقيل بلخاوالاخر كافر واسمه
قطرس وهما الإذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى سورة واصافات وكانت قصته مع ابي ماذ كره عطاء
الخراسانى قال كان رجلاً شريفاً كان له ما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين وورثا من أبيهما ثمانية
آلاف دينار فاقسمها فاشترى أحدهما أرضاً بالف دينار فقال لصاحبه اللهم ان فلانا قد اشتري أرضاً
بالف دينار وانى قد اشتريت منك أرضاً فى الجنة بالف دينار فتصدق به ثم ان صاحبها بنى داراً بالف دينار
فقال اللهم ان فلانا بنى داراً بالف دينار وانى اشتريت منك داراً فى الجنة بالف دينار فتصدق به ثم تزوج
صاحبه امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار
فتصدق به ثم ان صاحبه اشتري خدماً ومات عاباً بالف دينار فقال هذا اللهم انى اشتري منك خدماً ومات عاباً بالف
دينار فى الجنة فتصدق به ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعل ينالنى منه معروف فجلس على
طريقه حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه صاحبه ففرقه فقال فلان قال نعم قال ماشأئتك قال
أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتعطينى بخير قال فما فعلت بك مالك وقدر قاسمك ما لا وأخذت شطره فقضى عليه
قصته فقال وانك لمن المصدقين به هذا اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده فقضى لهما فتوفيما فنزل فيهما قوله فاقبل
بعضهم على بعض يتساعلون قال قائل منهم انى كان لى قرين وروى انه لما أتاه أخذ يديه وجعل يطوف به
ويريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهما مثلاً رجلين (جعلنا لأحدكما جنتين) أى بساتين (من أعناب
وحفظناهما) أى أطقناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بين النخل والأعناب
الزرع وقيل بينهما أى بين الجنة يعنى لم يكن بين الجنة خراب بغير زرع (كلتا الجنة آتت) أى
أعطت كل واحدة من الجنة (أكلها) أى ثمها تماماً (ولم تنقص منه شيئاً) أى ولم تنقص منه شيئاً (وخبرنا
خلالهما) شققنا وسطهما (نهرًا وكان له) أى لصاحب البستان (ثم) قرى بالفتح جمع ثمرة وقرى بالضم
وهو الاموال الكثيرة المثرمة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعنى صاحب البستان
(لصاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) أى يخاطبه (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) أى عشيرة ورهطا
وقيل خدماً وحشماً (ودخل جنته) يعنى الكافر أخذ يدي أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه اياها (وهو
ظالم لنفسه) أى بكفره (قال ما أظن أن تبدي) أى تهلك (هذه) يعنى جنته (أبداً) وذلك أنه راقه حسنها
وغيرته زهرتها فتوهم أنها لا تبدي أبداً وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة (ولئن رددت
الى ربى) فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكرب للبعث قلت معناه ولئن رددت الى ربى على ما تزعم
من أن الساعة آتية (لا جدن خير منها منقلباً) أى يعطينى هنالك خير منها لانه لم يعطينى الجنة فى الدنيا
الابى عطيتى فى الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو يحاوره) أى كفرت بالذى خلقتك من

يحور اذا رجع يعنى قهر وس أخذ يدي المسلم يطوف به فى الجنة ويريه ما فيها ويخبره بما لك من المال دونه (أنا أكثر منك تراب)
مالاً وأعز نفراً) انصاراً وحشماً وأولاداً ذكورا لانهم ينفرون مع مدون الاناث (ودخل جنته) احدى جنتيه أو سماها جنة لاتحاد الحائط
وجنتين للنهر الجارى بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالاكفر (قال ما أظن أن تبدي هذه أبداً) أى أن تهلك هذه الجنة شك فى بيوددة جنته
لعل أولامه وتمادى غفلته واعتراه بالمهملة وترى أكثر الاغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة
(ولئن رددت الى ربى لا جدن خير منها منقلباً) أقسام منه على أنه ان رددت الى ربى على سبيل الفرض كما تزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خير من
جنته فى الدنيا دعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلباً تعبير أى مرجعاً واخبرته (قال له صاحبه وهو يحاوره) أى كفرت بالذى خلقتك من

تراب) أي خلق أصلك لان خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقه (ثم من نطفة) أي خلفك من نطفة (ثم سوالك رجلا) عدلك
 انسانا ذكرا بالغ الرجال جعله كافر بالله لشكته في البعث (لكنك) بالالف في الوصل شامى الباقون بغير ألف وبالالف في الوقف اتفاق
 وأصله لكن أنا حذف الهمزة وألقت حركتها على فون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الاولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي)
 هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبرنا والراجع منها اليه المضمير وهو استدراك لقوله أ كفرت قال لانيه أنت كافر بالله لكني
 مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمر حاضر وفيه حذف أي أقول هو الله بدل عطف (ولأشرك ربي أحد اولوا) وهلا (اذ دخلت
 جنتك قلت ماشاء الله) ماموصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ماشاء الله أو شرطية منصوبة بالموضع والجزاء
 محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخوليها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها مما حصل
 بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عاهرة وان شاء تحريمها (لا قوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتبدير أمرها هو بمعونته
 وتأنيده من قرأ (ان ترني أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا
 نائب الترتي وفي قوله (ولدا) نصره لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعرظرا (فعمسى ربي) (٢٩٩) أن يؤتيني خبرا من جنتك في الدنيا

أوفى العقبى (ويرسل عليها
 حسبنا) عذابا (من السماء
 فتصيح صعيدا زلعا) أرضا
 يضاء بزاق عليها ملاستها
 (أو يصيح ماؤها غورا)
 غائرا أي ذاهبا في الارض
 (فلن نستطيع له طلبا)
 فلا يتأتى منك طلبه فضلا
 عن الوجود والمعنى ان
 نون أقرمك فأنا أوقع
 من صنع الله أن يقلب ما بي
 وما بك من الفقر والغنى
 فيرزقني لا يماني جنة خيرا
 من جنتك ويسلبك الكفر
 نعمته ويحرب بساتيتك
 (وأحيط بقره) هو عبارة
 عن اهلا كه وأصله من
 أحاط به العدو لانه اذا أحاط
 به فقد ملكه واستولى
 عليه ثم استعمل في كل

تراب) أي خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه (ثم من نطفة ثم سوالك رجلا)
 أي عدلك بشر اسو يلو ذلك انسانا ذكرا بالغ الرجال (لكنك هو الله ربي) مجازة لكن أنا هو الله ربي (ولا
 أشرك ربي أحد اولوا) أي هلا (اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخوليها والنظر الى
 ما رزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها مما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وان
 ان شاء تركها عاهرة وان شاء تركها حراما (لا قوة الا بالله) أي وقت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على
 عمارتها وتبدير أمرها هو بمعونته وتأنيده من قرأ (ان ترني أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا
 نائب الترتي وفي قوله (ولدا) نصره لمن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعرظرا (فعمسى ربي) (٢٩٩) أن يؤتيني خبرا من جنتك في الدنيا
 (ان ترني أنا أقل منك مالا وولدا) أي لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعمسى ربي) أي فعلل ربي
 (أن يؤتيني) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسبنا) قال
 ابن عباس نارا وقيل مراعى (من السماء) وهي الصواعق فتهاكها (فتصيح صعيدا زلعا) أي أرضا جرداء
 ملساء لان نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملها نلا (أو يصيح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لانه لا يتناهى الايدي
 ولا الدلاء (فلن نستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بقره) يعني أحاط العذاب بقره جنته وذلك
 ان الله تعالى أرسل عليهم من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فاصبح) يعني صاحبها الكافر (يقلب كفيه)
 يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهر البطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) المعنى فاصبح يندم على
 ما أنفق في عمارتها (وهي حاوية على عروشها) أي ساقطة سقوفها وقيل ان كروها المعرشة سقطت عروشها
 على الارض (ويقول يا ليتني لم أشرك ربي أحدا) يعني أنه تذكروا عظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة
 شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فتنة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي بمعونته من
 عذاب الله (وما كان منتصرا) أي ممنوعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه
 قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة (لله الحق) وقرئ بفتحها

اهلاك (فاصبح) أي الكافر (يقلب كفيه) يضرب احداهما على الاخرى ندمًا وتحسرا وانما صار يقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر
 لان الندم يقلب كفيه ظهر البطن كما كفى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح
 يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي حاوية على عروشها) يعني ان كروها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها
 الكروم (ويقول يا ليتني لم أشرك ربي أحدا) تذكروا عظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله
 بسنانه حين لم ينفعه التمني ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فتنة) أي بمعونته من
 على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا انه لم ينصره الحكمة (وما كان منتصرا) وما كان
 ممنوعا بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يكن بالياء والولاية بكسر الواو جزءة على فهمي بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان
 والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقر بالقوله ولم تكن له فتنة
 ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب وفي مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني
 لم أشرك ربي أحدا كلمة الخبيث الموافقا لما حرامها من شره وكفره ولولا ذلك لم يقاها وهذا الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة

ويأتيهم لهم يعني انه نصر في اهل الكافر اذ المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يوتيخيرا من جنسك ورسول علمها حسبنا من السماء
ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لا ولياته أو هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع
أبو عمرو وعلى صفة اللولية أو خير مستأجذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة الله عقبا يسكون القاف عاصم وحزوة وبضمهما
غيرهما وفي الشواذ عقي على وزن فعلي وكها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من السماء) أي هو كما أنزلناه
(فاختلط به نبات الارض) فالتف (٢٠٠) بسببه وتكاتف حتى خالط بعضه بعضا أو ترفى النبات الماء فاختلفه حتى روى (فأصبح

هشيمًا) يا يسامتكسرا
الواحدة هشيمة (تذروه
الرياح) تنسفه وتطيره
الريح جزوة على (وكان الله
على كل شيء) من الانشاء
والافناء (مقتدرا) قادرا
شبه حال الدنيا في نصرتها
وبهتها وما يتبع عقبا من
الهلاك والافناء بحال
النبات يكون أخضر ثم يهيج
قطيره الريح كأن لم يكن
(المدل والبنون زينة
الحيوة الدنيا) لآزال القبر
وعدة العقبى (والباقيات
الصالحات) أعمال الخير
التي تبقى ثمرة للانسان أو
الصلوات الخمس أو سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر (خير عند ربك
ثوابا) جزاء (وخيرا أملا)
لانه وعد صادق وأكثر
الامال كاذبة يعني ان
صاحبها يأمل في الدنيا ثواب
الله ويصيبه في الآخرة
(ويوم) واذكروم (نسيب
الجبال) تسير الجبال مكي
وشامى وأبو عمر وأي تسير
في الجب أو يذهب بها بان
تجعل هباء منثورا منثبا

من الموالاة والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرون مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا)
أي أفضل جزاء لاهل طاعته ولو كان غيره يثيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير
اثابة وعاقبة ﴿ قوله عز وجل (واضرب لهم) أي ضرب بالجمد لقومك (مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من
السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الارض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قرب (هشيمًا)
قال ابن عباس يا بسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه (وكان الله على كل شيء
مقتدرا) أي قادرا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يتفخر بها عبيدته وأصحابه الاغنياء (زينة
الحيوة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة وقد يجمعها الاقوام (والباقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم أن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثر وان قول الباقيات الصالحات
قبل وما هن يار رسول الله قال التكبير والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله * عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرتتم برياض الجنة فارتعوا فارتعوا فارتعوا فارتعوا فارتعوا
الجنة قال المساجد قلت وما الريع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * عن سعد بن المسيب ان الباقيات الصالحات هي قول العبد الله
أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ وقوله عليه * وعن ابن عباس
ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحات (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير
أملا) أي ما يؤمله الانسان ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء
منثورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز
مافي بطنها من الموتي وغيرهم فبصير باطن الارض ظاهرها (وحشيرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم
تغادر منهم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا ووفوا جافوا جالانهم صفا
واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صفا ثم يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء
وقيل حفنة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون
الى الله حفنة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلم ان الان أول الخلاق يكسب يوم
القيامة ابراهيم عليه السلام الا وانه سيجاء برجال من أمي فيؤخذ منهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابي
فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكتبت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله
العزير الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا منيدين علي أعقابهم منذ فرقتهم زاد في رواية فأقول سحقا سحقا

(وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسيرها مما كان عليها من الجبال والشجر (وحشيرناهم) أي الموتي (فلم تغادر منهم
أحدا) أي فلم تترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدر ما عاذه السيل (وعرضوا على ربك صفا) معصفين ظاهرين ترى جماعتهم
كما ترى كل واحد لا يعجب أحد أحد اشبهت حالهم بحال الجن الماعر وضين على السلطان (لقد جئتمونا) أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا
المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما نشأناكم أول مرة واجتتمونا عراة لا شيء معكم كما
خلقناكم أولا وانما قال وحشيرناهم ماضيا بعد نسيب وترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاحوال كانه قيل
وحشيرناهم قبل ذلك (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقيل لا يجوز ما وعدت على السنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد المحاسبة

(وضع الكتاب) أى صحف
الاعمال (فترى المجرمين
مشفقين) خائفين (بما
فيه) من الذنوب (ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة)
أى لا يترك شيأ من المعاصي
(الأحصاها) حصرها
وضبطها (ووجدوا ما عملوا
حاضرا) فى الصحف عتيدا
أو جزاء ما عملوا (ولا يظلم
ربك أحدا) فيكتب
عليه ما لم يعمل أو يزيد في
عقابه أو يعدبه بغير حرم
(واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لا آدم) سجود تحية أو
سجود انقياد (فسجدوا الا
ابليس كان من الجن) وهو
مستأنف كان قائلا قال ماله
لم يسجد فقبل كان من
الجن (فسق عن أمر ربه)
خرج عما أمره به به من
السجود وهو دليل على انه
كان مأمورا بالسجود مع
الملائكة (أفتخذونه
وذريته) الهمزة للانكار
والتعجب كأنه قبل أعقيب
ما وجد منه تتخذونه
وذريته (أولياء من دوني)
وتستبدلونهم بي ومن ذريته
لا يقس موسوس الصلاة
والاعور صاحب الزنا وبتير
صاحب المصائب ومطوس
صاحب الاراجيف وداسم
يدخل ويأكل مع من لم
يسم الله تعالى (وهم لكم
عدو) أعداء

قوله غير لآى قلنا والغرة القلفة التى تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا أى بعدا قال بعض
العلماء ان المراد به ولاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ف) عن عائشة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر
بعضهم الى بعض قال لا من أشد من ان يهجمهم ذلك زاد النساء فى روايه له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه
﴿ قوله عز وجل (ووضع الكتاب) (يعنى صحائف أعمال العباد توضع فى أيدي الناس فى أيامهم وشملنا لهم
وقبل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أى خائفين (بما فيه) يعنى من الاعمال السيئة
(ويقولون) يعنى اذا رآها (يا ويلتنا) أى يا هلا كنا وكل من وقع فى هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب
لا يغادر) أى لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أى من ذنوبنا (الأحصاها) أى عدوها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها
قال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة اللحم واللحم والقبلة
والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل
محقرات الذنوب مثل قوم تزولوا فى نطن واد فباع هذا بعود وبع هذا بعود وبع هذا بعود فانضجوا خبزهم وان
محقرات الذنوب لم يبق الحقيير الشئ الصغير التافه وقوله لم يبق أى مهلكات (ووجدوا ما عملوا
حاضرا) أى مكتوبا بامتنافى كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أى لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤخذ أحد
بجريم لم يعمل * عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة
ثلاث عرضات فأما عرضتان فإدخال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدي فأخذ
بيمينه وأخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد
رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا) أى واذا ذكر يا محمد اذ قلنا (للملائكة
اسجدوا لا آدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن
خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كان آدم أصل الانس
وكونه من الملائكة لا يتنافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا وذلك ان
قر يشا قالت الملائكة بنات الله فهـ ذابدل على ان الملك يسمى جنا وبعضه اللغته لان الجن مأخوذ من
الاجتنان وهو الستر فعلى هـ ذاندخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستئثارهم وليس كل جن ملائكة
ووجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد اخراج مالوا لا يدخل
ويصح دخوله وذلك بوجوب كونه من الملائكة ووجه من قال انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان
من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتخذونه وذريته فثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم
وأجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور فى كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى واذا قال ابراهيم
لاييه وقومها نبى براهما تعب دون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسعون فيها لغوا الا ما قبل انه كان من
الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغـ ير وطرد ولعن ﴿ وقوله تعالى (فسق عن أمر ربه) أى خرج عن طاعة
ربه (أفتخذونه) يعنى يا بنى آدم أفتخذون ابليس (وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) يعنى أعداء
روى مجاهد عن الشعبي قال انى لقاعد يوما اذا قبل رجل فقال اخبرنى هل لا بليس زوجة قلت ان ذلك
العرس ما شهدت ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتخذونه وذريته أولياء من دوني فعملت انه لا تكون ذرية
الامن زوجة فقلت نعم قيل يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتفتلق البيضة
عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لا يقس ولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهاقاف
ومرة وبه يكنى وزنبيور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومذح السلع وبتير وهو صاحب
المصائب يزين خمس الوجوه لطم الخدود ووشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى اخيليل الرجل
وعجيرة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس ليحسدون لها أصلا وداسم وهو
الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذا أكل ولم يسلم

الامبرين ومنذرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم - هم للرسول ما أنتم الا بشئ مما نزلنا ولو شاء الله لازل
ملائكته ونحو ذلك (ليدحضوا به الحق) ليزيلوا ويطلوا بالجدال النبوة (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من
الصلة محذوف أي وما أنذروهم من العقاب أو مصدرية أي وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة جزوة وابدال الهمزة
واوحفص وبضم الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم من ذلك) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكري قوله ان يفقهوه
(فاعرض عنها) فلم يتذكر حين ذلك ولم يتدبر (ونسى ما قدمت يدها) عاقبة (٢٠٣) ما قدمت يدها من الكفر والمعاصي
غير متفكر فيها ولا ناظر في

ان المسمى والمحسن لا بد لهما
من جزاء ثم على اعراضهم
ونسبهم - م بأنهم مطبوع
على قلوبهم - بم بقوله (انا
جعلنا على قلوبهم أكنة)
أغطية - جمع كنان وهو
الغطاء (ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا) نفا عن
استماع الحق وجمع بعد
الافراد حلا على لفظ من
ومعناه (وان ندعهم) يا محمد
(الى الهدى) الى الامان
(فلن يهتدوا) فلا يكون
منهم اهتداء البتة (اذا)
جزاء وجواب فذل على انتفاء
اهتدائهم للدعوة الرسول
بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن
يكون سبب وجود الاهتداء
سببا في انتفائه وعلى انه
جواب للرسول على تقدير
قوله مالي لا ادعوهم حرضا
على اسلامهم فتقبل وان
ندعهم الى الهدى فلن
يهتدوا (اذا) مدة
التكليف كلها (وربك
الغفور) البليغ المغفرة
(ذوالرجة) الموصوف
بالرجة (لويؤخذهم بما
كسبوا) المجل لهم العذاب
أي ومن رحمة ترسلوا واخذته

الامبرين) أي بالثواب على الطاعة (ومنذرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو
قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسول ما أنتم الا بشئ مما نزلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أي ليلطوا (به الحق)
ويزيلوه (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعني اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء
﴿قوله عز وجل﴾ (ومن أظلم من ذلك) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أي تولى عنها وتركها ولم
يؤمن بها (ونسى ما قدمت يدها) أي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية
(ان يفقهوه) يريد لئلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي نفلنا وصمنا (وان ندعهم) يا محمد (الى الهدى)
أي الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أي
البليغ المغفرة (ذوالرجة) أي الموصوف بالرجة (لويؤخذهم) أي يعاقب الكفار (بما كسبوا) من
الذنوب (لجعل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعني البعث والحساب (لن يجدوا من دونه
موتلا) أي ملجأ (وتلك القرى) يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا)
أي كفروا (وجعلناهم لکم موعدا) أي أجلا لا الهلاكهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (واذ قال موسى
لفتاه) الآيات أكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوي
ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميشان من اولاد
يوسف بن يعقوب وكان قد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر
في كتابه العزيز موسى الأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم لوجب الانصراف اليه ولو أراد شخصا
آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران
صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد
وفاته وقيل أنه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي
وليقول فتاهي وقتاتي (ق) عن سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوفل البكالي زعم ان موسى صاحب
الخصر ليس هو موسى بن اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فاستل أي الناس اعلم فقال أنا فتاه
الله عليه اذ لم ير العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبد اجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى
يارب فكيف لي به قال فخدمك حوتا فاجعله في مكمل فحشما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فاجعله في مكمل
ثم اطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رءسهما فناما فاضطرب الحوت في المكمل
فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سر باوأمسك الله عن الحوت جريه الماعفصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما ولبتما حتى اذا كانا من الغد قال موسى
لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به
فقال له فتاه أرايت اذا وينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله
في البحر عجا قال فكان للحوت سر باو موسى ولفتاه عجا فقال موسى ذلك ما كان ينبغي فارتد على آثارهما قصصا

أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موتلا) متجاوزا لمجأ يقال
وأل اذا تجاوز وأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أو تلك
القرى نصب باضمار أهل كمال على شريطة التفسير والمعنى وتلك أصحاب القرى أهل كمالهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل ظلم أهل
مكة (وجعلناهم لکم موعدا) وضر بنا الهلاكهم وقتنا معلوما لا يتأخرون عنه كحاضر بنا أهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلك وقتهم بفتح
الهم وكسر اللام حفص وفتحهما ما بوبكر أي لوقت هلاكهم أو هلاكهم والموعود وقت أو مصدر (واذ كراذ) قال موسى لفتاه) هو يوشع

ابن نون وانما قيل فذالانه كان يخدمه ويتبعه وتأخذ منه العلم (لا أبرح) لا أزال وقد حذف الخبر دلالة الحال والاسلام عليه أما الاولى فلانها كانت حال سفره وأما الثاني فلان قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غاية مضر وبه تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي (٢٠٤) وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتحق بحرف فارس والروم وسمي خضرا لانه

قال رجعا فقصا آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بأرضك السلام فقال أما موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني عما علمت وشد قال انك ان تستطيع معي صبرا يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لتعلمه وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقال له الخضر فان اتبعته فإني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا عشرين على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكاهوهم ان يحملوهم فعرقوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يتفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم جلونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا أرم قال ألم أقل انك ان تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاءه عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص على وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما عشرين على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقامه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا كية بغير نفس اقد جئت شيئا نكر قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعد هذا فلن تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجروا فيها جدارا يريد أن ينقض أى ما نالا فقال الخضر بيده هكذا فأقامه فقال موسى قوم أتيتناهم فلم يطيعونا ولم يضيفونا ولو شئت لاتخذت عليه أجر قال هذا فراق بيني وبينك سأنتبئك بما ويل مالم تستطيع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم الله موسى لو ددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافر او كان أنوأم مؤمنا وفي رواية عن أبي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون وورقت القلوب ولى فأذكرهم رجل فقال أى رسول الله هل فى الارض أحد أعلم منك قال لا نعمت الله عليه اذ لم ير العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أى رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتنا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتنا لما حله فانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من ما نهائى الاحيى فأصاب الحوت من ماء تلك العين فحرك وانسل من المكمل فدخل البحر ورجعنا الى التفسير ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لا أبرح) أى لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قبل اراد بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (أو أمضى حقبيا) يعنى أو أسير دهرها طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبرا وسهكة مالحفة فى المكمل وهو الزنيل الذى يسبح خمسة عشر صاعا ووضيا حتى انتهيا الى الصخرة التى عند مجمع البحرين وعند هاهنا عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيئا الا حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضاربت فى المكمل وهاجت ودخلت فى البحر (فلما بلغا) يعنى موسى وقتناه (مجمع بينهما) أى بين البحرين (نسبا) أى تركا (حوتهما) وانما كان الحوت مع بوشع بن نون وهو الذى نسيه وانما أضاف النسيان اليهما لانهم تزودا لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيان حوتهما أى نسيان كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أى الحوت (سبيله فى البحر سرا) أى سلكا وروى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصاركوه فلم يلبثتم فدخل

أيتنا يصل بخضر ما حوله (أو أمضى حقبيا) أو أسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بنى اسرائيل واستقر رايها بعد هلاك القبط سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكركنى ولا ينساني قال فأى عبادك أفضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علم عسى يصيب كلمة تدله على هدى أو تزده عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو أعلم منى فدنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال تأخذ حوتنا فى مكمل حيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا عشرين فرقه موسى فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طاب موسى الحوت فاخبره قتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرقه نفسه

فقال يا موسى أما على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا (فلما اجتمع بينهما) مجمع البحرين موسى (نسيان حوتهما) أى نسيان أحدهما وهو بوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فانى نسبت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينسأه متعهد الزاد قيل كان الحوت سهكة بلوحة فتزلا ليله على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت فى الماء (فاتخذ سبيله فى البحر) أى اتخذ طر يقا له من البرالى البحر (سرا) نصب على المصدر أى سرب فيه سرا يعنى دخل فيه واستتر به

(فلما جاوزا) فجمع البحر من ثم نزل وقد سار ما شاء الله (قال) موسى (لفتهاء) تناغداً ما أتد لقيمان سفرنا هذا انصبا) تعبوا ولم يشعب ولا جاع قبل ذلك (قال) أرايت أذأ وينالى الصخرة) هي موضع الموعود (فانى نسيت الخوت) ثم اعتذر فقال (وما أنسانيه) وبضم الهاء حذف (ال الشيطان) بالقاء الخواطر فى القلب (أن أذ كره) بدل من الهاء فى أنسانيه أى وما أنساني (٢٠٥) ذكره الا الشيطان) واتخذ سبيله

فى البحر عجبا) وهو ان أثره بقى الى حيث سار (قال) ذلك ما كنا نبغ) نطلب وبالياء مكى وافقه أبو عمرو وعلى ومضى فى الوصل وبغير ياء فيها غيرهما اتباعا لحط المحقق وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا أى ذلك الذى كنا نطلب لان ذهاب الخوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتد على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جا آتية (قصصا) بقصصا قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الأثر (فوجد عبدا من عبادنا) أى الخضر واقدا تحت ثوب أوجالسافى البحر (آتيناه رجعة من عندنا) هى الوحي والنبوة والعلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعنى الاخبار بالغيب وقيل العلم اللدنى ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال) له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى علما إذا رشد أو رشده فى دينى رشدا أو عوروه وهم الغتات كالجنج والجنج وفيه دليل على انه لا ينبغى لاحد أن يترك

موسى الكوة على أثر الخوت فاذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الخوت لايحس شيئا من البحر الا ليس حتى صار صخرة وقدر وينا ثم مال الى الصخرة وضعا رأسهما فناما واضطرب الخوت فخرج فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سر با فأسك الله عن الخوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعنى ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعنى موسى (لفتهاء) تناغداً ما أى طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أى تعبوا وشدة وذلك انه أتى على موسى الجوع بعدما جاوزا الصخرة ليمتد كرا الخوت ويرجع فى طلبه (قال) يعنى يوشع (أرايت أذأ وينالى الصخرة) وهى صخرة كانت بالموضع الموعود (فانى نسيت الخوت) أى تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الخوت ذلك قام ليدرك موسى فيخبره فنسى أن يخبره فكنا يومها حتى صابما الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذ كره) أى وما أنساني أن أذ كره لك أمر الخوت الا الشيطان قبل المراد من التسيان شغل قلب الانسان بوسواس الشيطان التى هى من فعله دون التسيان الذى يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعنى وقع الخوت فى البحر فاتخذ سبيله فيه مسلما وروى فى الخبر كان الخوت سرى با ولموسى وافتهاء عجبا وقيل أى شئ أعجب من خوت يوكل منه دهر ثم صار حيا بعدما كل بعضه قوله عز وجل (قال) يعنى موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتد على آثارهما قصصا) أى رجعا بقصصان الذى جا آتية ويتبعانه (فوجد عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى التواريخ انه الخضر واسمه بليان ملكا وكنيته أبو العباس قيل كان من بنى اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهوا وتركو الدنيا والخضر لقب له سمي به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى اسمى خضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تمزجت تحت خضراء الفروة قطعت نباتا بجمعة يابسة وقيل سمي خضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى بيان موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر وانى بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب أى مغطى بثوب وقوله وانى بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التى أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجد عبدا من عبادنا (آتيناه رجعة) أى نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أى علم الباطن الهام ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم فان قلت طاهر هذه الآيات بدل على ان الخضر كان أعلى شأن من موسى وكان موسى يظهر التواضع والتأدب معه قلت لا يخفى لو امان يكون الخضر من بنى اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بنى اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جأثر أن يكون أحد الامة أفضل من نبيا وأعلى شأن منه وان كان من غير بنى اسرائيل فقد قال الله تعالى لبنى اسرائيل وانى فضلتمكم على العالمين أى على عالمي زمانكم (قال) له موسى هل أتبعك (على أن تعلمن مما علمت رشدا) أى صوابا وقيل علما ترشدنى به وفى بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علم او بينى اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله أمرنى بما هذا فنبذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معى صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أموراً منكورة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره فى ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى علما (قال) موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم

طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه (قال) انك لن تستطيع معى) وبفتح الياء حذف وكذا ما بعده فى هذه السور (صبرا) أى عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) تمييز فى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيدي وعمل ذلك بانه يتولى أموراهى فى ظاهرها منا كبير والرجل الصالح لا يتمالك أن لا يخرج اذا رأى ذلك فكيف اذا كان نبيا (قال) ستجدنى ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض

(ولا أعصى لك أمرا) في حمل النصب عطف على صواب أو أي سجدني صابرا وغير عاص وهو عطف على سجدني ولا يحمل له (قال فان اتبعني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون ومدني وشاحي ويسكون اللام وبخفيف النون غيرهما والباء نابتة فيهما اجتماعا (عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) أي فن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفتحنى بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذار بكافي السفينة خرقها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبها قال أهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى وجوه الانبياء في ملوهما يغير نول قلما لجموا أخذوا الخضر الفاس (٢٠٦) فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى بسدا لخرق شبيهة

ثم (قال آخرتها تغرق أهلها) ليغرق خرقه وعلى من غرق (لقد حدثت شيئا امرا) أثبت شيئا عظيما من أمر الامراء اعظم (قال) أي الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لا تؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيت به أو بشئ نسيت به أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي أو أراد بالنسيان الترتك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني من أمرى عسرا) رهقه اذا غشبه وأرهقه اباه أي ولا تغشني عسرا من أمرى وهو اتباعه اباه أي ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالأعضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذال قباغلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الخائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزءا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزءاء لقاء الغلام (زكية) زكية عجزى وأبو عمرو وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنت أو لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا فقتص منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتبت اليه كيف جاز قتله وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكاتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامران قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئا أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تداركه بالقتل (قال ألم أقل انك ان تستطيع معي صبرا) زاد لك هذا الان المنكر فيه

يثق من نفسه بالصبر (ولا أعصى لك أمرا) أي لا أنال الفل فيما نامر به (قال فان اتبعني) أي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني عن شيء) أي مما عمله مما ينكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدى بذكركه فابن لك شأنه قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أي يمضيان على الساحل يطلبان سفينة تركلها فوجدا سفينة فركبها فقال أهل السفينة (ولا لصوص وأمر وهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فركبوا وهم أن يحملوهم ففرقوا الخضر فحم لوهم يغير نول أي يغير عوض ولا عطاء فلما لجموا في البحر أخذوا الخضر فاسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذار بكافي السفينة خرقها قال) يعني موسى له (آخرتها تغرق أهلها لقد حدثت شيئا امرا) أي أثبت شيئا عظيما منكراروى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ نوبه فخشابه الخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريف الكلام فكأنه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترتك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسبانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمرى عسرا) والمعنى لا تعسر علي متابعتك وسبها بالاعضاء وترك المناقشة وقيل لا تكافني مشقة ولا تضيق علي أمرى (فانطلقا حتى اذال قباغلاما فقتله) في القصة انهم ما خرجا من البحر يمضيان فربما علمان يلعبون فاخذ الخضر غلاما نظريا فواضى الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتاعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضع رأسه بحجر وقيل ضرب برأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقنلت نفسا زكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حبسور وقيل كان فقي يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويبلغ إلى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافر او لو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفر الفظ مسلم (قال) يعني موسى (أقنلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهى التي أذنت ثم تاب (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أي منكر اعظيما وقيل المنكر أعظم من الامران لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا أنكر من الاول لان ذلك كان خوقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه (قال) يعني الخضر (ألم أقل انك ان تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه الالفة تو كيد لتو بيج فعند

هذا (قال قتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركب وقد تعقب القتل هذا لقاء الغلام (زكية) زكية عجزى وأبو عمرو وهى الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد أذنت أو لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا فقتص منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان نجدة الحرورى كتبت اليه كيف جاز قتله وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكاتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامران قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئا أنكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تداركه بالقتل (قال ألم أقل انك ان تستطيع معي صبرا) زاد لك هذا الان المنكر فيه

أكثر (قال ان سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه السكرة أو المسئلة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أعذرت فيما بيني وبينك في الفراق
ولدي بتخفيف النون مسدني وأبو بكر (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هي انطاكية أو الابله وهي أبعد أرض الله من السماء (استطعما
أهلها) استضافا (فاوبا أن يضيفوهم) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية لنا وما قيل شر القرى التي تبخل بالقرى
(فوجد فيها) في القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط (٢٠٧) استعيرت الارادة للمدانة والمشاركة كما
استعير الهم والعزم لذلك

(قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يابني الله اذ كر
العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني
(قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في
مفارقة والبعني انه مدحهم هذه الطريقة من حيث انه احبهم مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن
أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء
بدأ بنفسه لولا انه يحل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة فهو بذال مججمة أي حياء وشفاق من الذم
واللوم يقال ذمته ذمامة يعني انه ملام متوب يشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك ^{قوله} سجانه وتعالى
(فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابله وهي أبعد الارض من السماء
وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فاوبا أن يضيفوهم) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
أتيا أهل قرية لنا ما نطافا في المجالس فاستطعما أهلها فاوبا أن يضيفوهم وروى انه ما طافا في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهم ما واستضافوهم فلم يضيفوهم وعن أبي هريرة قال أطمعتم ما امرت من أهل برب
بعد ان طلبنا من الرجال فلم يطعموهم ما فدعنا نسائمهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف
الضيف (فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض) أي بسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار ارادة له
وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما
استعير الجدار ارادة (فاقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر
بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينيه (قال) يعني موسى (لوشئت لا تخذت عليه أجرا) يعني
على اصلاح الجدار جعلوا والمعنى انك قد علمت ان جميع وان أهل القرية لم يطعموهم وانا فلوا تخذت على عملك أجرا
(قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك
أخذ الاجر وهو المفرق بيننا (سأنتك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا) وقيل ان موسى
أخذ شوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبيل ان تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زماني وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكتسبون بها
وفيه دليل على ان المسكين وان كان ملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة اذ لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال
الفقر في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون
تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقيل خلفهم وكان
رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح (ياخذ كل سفينة قصبا) أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبها
حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجندى الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدور وروى ان
الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي تعربه ان
يدعها لعبها فاذا جاوز وأصلحوها وانتفعوا بها ^{قوله} عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا)
أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلنا (ان

هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يابني الله اذ كر
العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني
(قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في
مفارقة والمعنى انه مدحهم هذه الطريقة من حيث انه احبهم مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة (ق) عن
أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء
بدأ بنفسه لولا انه يحل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة فهو بذال مججمة أي حياء وشفاق من الذم
واللوم يقال ذمته ذمامة يعني انه ملام متوب يشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك ^{قوله} سجانه وتعالى
(فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقيل الابله وهي أبعد الارض من السماء
وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فاوبا أن يضيفوهم) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
أتيا أهل قرية لنا ما نطافا في المجالس فاستطعما أهلها فاوبا أن يضيفوهم وروى انه ما طافا في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهم ما واستضافوهم فلم يضيفوهم وعن أبي هريرة قال أطمعتم ما امرت من أهل برب
بعد ان طلبنا من الرجال فلم يطعموهم ما فدعنا نسائمهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف
الضيف (فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض) أي بسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار ارادة له
وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما
استعير الجدار ارادة (فاقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر
بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينيه (قال) يعني موسى (لوشئت لا تخذت عليه أجرا) يعني
على اصلاح الجدار جعلوا والمعنى انك قد علمت ان جميع وان أهل القرية لم يطعموهم وانا فلوا تخذت على عملك أجرا
(قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك
أخذ الاجر وهو المفرق بيننا (سأنتك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا) وقيل ان موسى
أخذ شوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبيل ان تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زماني وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكتسبون بها
وفيه دليل على ان المسكين وان كان ملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة اذ لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال
الفقر في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون
تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقيل خلفهم وكان
رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح (ياخذ كل سفينة قصبا) أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبها
حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجندى الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدور وروى ان
الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي تعربه ان
يدعها لعبها فاذا جاوز وأصلحوها وانتفعوا بها ^{قوله} عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا)
أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلنا (ان

به) (سأنتك) بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زماني وخمسة
يعملون في البحر (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) امامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان
عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جندى (ياخذ كل سفينة قصبا) أي ياخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها عيبا وان كانت مجيبة تركها
وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فات المراد به التأخير
وانما أقدم للعناية (وأما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أن

برههما بدنه ويضلها بضلاله فترتد بسببه وهو من كلام الخضر وانما خشى الخضر منه ذلك لانه تعالى اعلم بحاله واطعمه على سر امره
وان كان من قول الله تعالى فعني فخشيتنا فعلمنا ان عاش ان يصير سيد الكفر والديه (فأردنا أن يبدلهما ربهما) يبدلهما ربهما مدني وأبو
عمر (خير امنه زكاة) طهارة وتقاء (٢٠٨) من الذنوب (وأقرب رحما) رحمة وعطفوا زكاة ورحمة تميز زوى انه ولدت لهما جارية
ترزقها نبي فولدت نبياً أو
سبعين نبياً أو بدهما ابناً
مؤمناً لهما رجلاً شامياً
وهما الغنم (وأما الجدار
فكان لعلامين) أصرم
وصريم (يتيمين في المدينة)
هي القرية المذكورة
(وكان تحتها كنز لهما)
أي لوح من ذهب مكتوب
فيه عيبان يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالوفا
كيف يفرح وعجبت من
يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت من يعرف الدنيا
وتقلها بأهلها كيف يطمن
الهالاه الا الله محمد رسول
الله أو مال مدفون من ذهب
وفضة أو صحف فيها علم والأول
أظهر وعن قتادة أحسن
الكنز لمن قبلنا وحرم علينا
وحرم الغنم تعليمهم
وأحلت لنا (وكان أبوهما)
قيل جدهما السابع
(صالحاً) ممن يصحبنى وعن
الحسين بن علي رضي الله
عنه ما انه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى
بينهما حفظ الله الغلامين
قال بصلاح أبيهما قال فاني
وجدت نبياً مني (فاراد

برههما) أي يعشيهما وقيل يكافيهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فخشيتنا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه
على دينه (فأردنا أن يبدلهما ربهما) الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه (خير امنه زكاة) أي صلاحاً
وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى أنزلت نفساً زكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خير امنه زكاة
(وأقرب رحما) أي ويكون المبدل منه أقرب عطفاً ورحمة بأبويه بان يرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما
جارية فتزوجهما من الانبياء فولدت له نبياً فهدي الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبياً وقيل
أبدلهما بعلامة مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولدوا وخرنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه
هلا كهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضاءه فيما
يجب قوله سبحانه وتعالى (وأما الجدار فكان لعلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم
(وكان تحتها كنز لهما) روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهباً وفضة أخرى
الترمذي وقيل كان الكنز صحف فيها علم وقال ابن عباس كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه عجبان أي يقن بالوفا
كيف يغفل عجبان أي يقن بالرزق كيف يتعب عجبان أي يقن بالحساب
كيف يغفل عجبان أي يقن بزوال الدنيا وتقلها بأهلها كيف يطمن الهالاه الا الله محمد رسول الله وفي
الجانب الآخر مكتوب أما الله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخبير والشرفطوني ان خلقته للخير
وأجر يتعلم يديه والويل كل الويل لمن خلقت له الشر وأجر يشه على يديه وقيل الكنز اذا أطلق براديه المال
ومع التقييد براديه غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جاءه عالهما (وكان أبوهما صالحاً) قيل كان
اسمه كاشع وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظنا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة
آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرة وأهل دو ورات
حواله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لاصلى فاذا كرت ولدي فأز يد في صلاتي
(فاراد ربك أن يبدلنا أشدهما) أي يدركا ويعقلا قوتهم ما زهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة فان قلت كيف
قال في الاولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأرد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما
ذكر العيب أضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فأردت ان أعينها ولما ذكر القتل عبر عن
نفسه بلفظ الجمع تدبيراً على انه من العلماء العظام في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا
القتل الا بحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله سبحانه وتعالى
لان حفظ الابناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس الله سبحانه وتعالى فلا جعل ذلك اضافة الى الله
تعالى (ويستخرجا كنزهما) يعني اذا باعوا عقلا وقويا (رحمة من ربك) أي نعمته من ربك (وما فعلته عن
أمرى) أي باختياري وروايت بل فعلته بامر الله والهامة اباي لان تنقيص أموال الناس وارقة دماهم وتغيير
أحوالهم لا يكون الا بالنص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى على
ان الخضر كان نبياً لان هذا يدل على الوحي وذلك للانبياء والصحيح انه ولي لله وليس نبياً وأجيب عن قوله
سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمرى انه الهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الاولياء وقيل
معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معننى واحد وهو تحمل
الضرر والادنى لدفع الضرر الاعلى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً) أي لم تطاق ان تصبر عليه مروى

ربك أن يبلغنا أشدهما) أي الخلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رجهما ان
(من ربك وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن أمرى) من اجتهادى وانما فعلته بامر الله والهامة يعود الى الكل أو الى الجدار (ذلك) أي
الاجوبة الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه صبراً) حذف التاء تخفيفاً وقد زل أقدام أقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كمن جلى
حيث قالوا أمر موسى بالنسب بالعلم من الخضر وهو ولي والجواب ان الخضر نبي وان لم يكن كما زعم البعض فهذا الاعتلاء في حق موسى عليه السلام

على ان أهل الكتاب يقولون ان موسى هذا البص موسى بن عمران انما هو موسى بن مائان ومن المحال أن يكون الولي وليا بآيمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي ولا غصاصة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر أولا (٢٠٩) فاردت لانه افساد في الظاهر وهو فعله

ونالنا فاراد بل لانه انعام محض وغير مقدور والبشر ونانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل وقال الزجاج معني فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير (ويستلونك) أي اليهود على جهة الامتحان أو أبو جهل وأشباعه (عن ذي القرنين) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قبل ما كها مؤمنان وذو القرنين وسليمان وكافران غرودو تختصر وكان بعد غرود وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا حضر على قرنه الايمن في طاعة الله فبات ثم بعثه الله فغضب على قرنه الايسر فبات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فقتلونه فيحسبه الله تعالى وقال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبا مشرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضمير نان أو انقرض في وقته قرنان

ان موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحديث به واطلب العلم لتعمل به واختلاف العلماء في ان الخضر أحي أم ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثر من من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة والحكايات في رويته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاواه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامه هذا آخر كلامه وقيل ان الخضر واليا من حيان يلمتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوق الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكر الله تعالى وأخطأ ذوا القرنين الطريق فرجع وذهب آخر وروى ان انه ميت لقوله سبحانه وتعالى وما جعلنا للبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلية أرايتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبق ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده وقوله عز وجل (ويستلونك عن ذي القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس كذا صح الروي وكان ولد لبحر ز ليس لها ولد غيره ونقل الامام نضر الدين في تفسيره عن أبي الريحان السروري المتجهم في كتابه المسمى بالانوار الباقية عن القرون الخالية انه من جبر واسمه أبو كروب سمي بن عير بن بن افرقيس الجيري وهو الذي افتخر به أحد شعراء جبر حيث يقول

قد كان ذوا القرنين جدي مسلما * ملكا على الارض غير مفند * بلغ المشارق والمغرب يتسنى أسباب ملك من كريم مرشد * فرأى ما أب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثا طاعة محمد قوله فرأى ما أب الشمس أي ذهب الشمس وقوله في عين ذي خلب أي حياء والثا طاعة الحياء أيضا والجمع ناط والحرم الطين الاسود وقيل سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها وغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وقيل لانه كان له ذواتان حسنتان وقيل كان له قرنان نوار بهما العمامة وروى عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فغضبوه على قرنه الايمن فحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فغضبوه على قرنه الايسر فحياه الله واختلوا في نبوته فقيل كان نبيا ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطغليل شغل على عن ذي القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فاحبه الله وناصره الله فناصره الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لا تخربا ذا القرنين فقال تسميتهم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتهم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الاكثر ان كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبو جرح ملك الروم بعد ان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسمها بابا باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية ووبى الابواب وبنى السدود وانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزى الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلد اعلى وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويستلونك عن ذي القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خبرا يتضمن حاله وقوله سبحانه وتعالى (انا مكثاه في الارض) أي وطأ ناله والتمكين تهديد الاسباب قال علي سخر الله له السحاب فجعل عليه ومده في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طريقها

(٢٧ - خازن) - ثالث) من الناس أولانه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أو أوما كان من الروم (قل سأتلوا عليكم منه) من ذي القرنين (ذكرا انا مكثاه في الارض) جعلناه فيها مكانة واعتلاء

(وآتيناه من كل شيء) أرادهم من أغراضه ومقامه في ملكه (سبيا) طريقه واصله اليه (فاتبع سبيا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم
أوقدره فأراد بلوغ المغرب فاتبع سبيا ووصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سبيا وأراد بلوغ السدين فاتبع سبيا فاتبع ثم أتبع كوفي
وشأى الباقر لوصول الألف وتشديد التاء عن الأصمعي أتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يتحقق (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أى انتهى العمارة
نحو المغرب وكذا المطلع قال صلى الله عليه وسلم بدء أمره انه وجد في الكتب ان أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها
والخضرو ز يروا من حالته فظفر فشرى ولم يظفر ذو القرنين (وجد هاتر في عين حنثة) ذات حنثة من حنث البئر اذا صارن فيها الحماة طامة
شأى وكوفي غير حفص بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال أندري يا بأذر
أين تغرب هذه قالت الله ورسوله أعلم قال (٢١٠) فانها تغرب في عين حنثة وكان ابن عباس رضى الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية طامة

فقال ابن عباس حنثة فقال معاوية اعبد الله بن عمر كيف تقرؤها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجرد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك تجرد في التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما ولا تنافي بخازن تسكون العين جامعة للوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عسرة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ الحمر وكانوا كشارا (قلنا يا ذا القرنين امان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا ولا فقد أوحى الى نبي قاهر النبي به أو كان الهاما خير بين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع

(وآتيناه من كل شيء) مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به المولى على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سبيا) أى علميا يتسبب به الى كل ما يريد يسيره في أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قربنا له أقطار الارض (فاتبع سبيا) أى سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجد هاتر في عين حنثة) أى ذات حنثة وهى الطينة السوداء وقرئ طامة أى حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجرد في التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال تجرد في التوراة أنهم اتعرب في ماء وطين وقيل يجوز ان يكون معنى في عين حنثة أى عندها عين حنثة أو في رأى العين وذلك انه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شيء من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب في البحر (ووجد عندها قوما) أى عند العين أمة قال ابن جرير مدينة لها ثمان عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسر يانتم بحسب ما سكنها قوم من نسل نوح الذين آمنوا بالصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجرد أى تغيب (قلنا يا ذا القرنين) يستدل به زمان زعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره (امان تعذب) يعنى تعقل من لم يدخل في الاسلام (وامان تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين الامرين (قال امان ظلم) أى كفر (فسوف نعذبه) أى نقتله (ثم رد الى ربه) أى فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى منكرا يعنى بالنار لانها أنكر من القتل (وامان آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له القول ونعام له باليسر من أمرنا (ثم اتبع سبيا) أى سلك طريقه وواصله (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجد هاتر تطلع على قوم لم يجعل لهم من دنونهم ستر) قيل انهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معابشهم وحرورهم وقيل انهم كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهاائم وقيل هم قوم عراة يفترش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالآخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسر يانتم مرقيسيا وهم مجاورون بأجوج وما جوج قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الاصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى علمنا بما عنده ومن معهن الجنود والعدة والآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره

فقال ابن عباس حنثة فقال معاوية اعبد الله بن عمر كيف تقرؤها فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجرد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك تجرد في التوراة فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما ولا تنافي بخازن تسكون العين جامعة للوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عسرة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ الحمر وكانوا كشارا (قلنا يا ذا القرنين امان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا) ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا ولا فقد أوحى الى نبي قاهر النبي به أو كان الهاما خير بين ان يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع

ان آمنوا أو التعذيب القتل واتخذ الحسن الاسر لانه بالمطر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين (امان ظلم فسوف قوله نعذبه) بالقتل (ثم رد الى ربه) يعنى امان دعوته الى الاسلام فابى الالبقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذلك هو الذنب فى الدارين (وامان آمن وعمل صالحا) أى عمل ما يقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) فله جزاء الفعل الحسنى التى هى كلمة الشهادة جزاء الحسنى فى غير أبى بكر أى فله الفعل الحسنى جزاء (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى اذا يسر أى لان امره بالاصعب الشاق ولكن بالسهل التيسر من الزكاة والخراج وغـ ير ذلك (ثم أتبع سبيا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجد هاتر تطلع على قوم) هم الزنج (لم يجعل لهم من دنونها) من دنون الشمس (ستر) أى ابنية عن كعب أرضهم لانه لا تسمى الابنية وبعها أسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معابشهم أو الستر لباس عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض (كذلك) أى أمر ذو القرنين كذلك أى كلوه ففناه تعظيما لامره (وقد أحطنا بما لديه خبرا) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) نصب على المصدر لان

الذي تغرب عليهم يعني
 أنهم كفره ثلثهم وحكمهم
 مثل حكمهم في تعذيبه ان
 يق منهم على الكفر واحسانه
 الى من آمن منهم (ثم
 اتبع سببا حتى اذا بلغ بين
 السدين) بين الجبلين
 وهما جبلان سد ذوالقرنين
 ما بينهما السدين وسد امكي
 وأبو عمر ووحقن السدين
 وسد اجرة وعلى وبضمهما
 غيرهم قبيل ما كان
 مسدودا خلقة فهو مضموم
 وما كان من عمل العباد فهو
 مفتوح وانصب بين على
 انه مفعول به لبلغ كما تجر
 بالاضافة في هذا افرأق بيني
 وبينك وكما ترفع في القصد
 تقطع بينكم لانه من الظروف
 التي تستعمل أسماء ظرفا
 وهذا المكان في منقطع
 أرض الترك بمالي المشرق
 (وجد من دونهما) من
 درائهما (قوما) هم الترك
 (لا يكادون يفقهون قولا)
 أي لا يكادون يفهمونه
 الاجهد ومشقة من اشارة
 ونحوها يفقهون حجة وعلى
 أي لا يفهمون السامع
 كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم
 غريبة تجهولة (قالوا اذا
 القرنين ان يأجوج
 وماجوج) هم ما سمنا
 أعجميان بدليل منع الصرف
 وهم مزها ما عاصم فقط
 وهما من ولد يافث أو
 يا جوج من الترك ويا جوج
 من الجبل والديلم

ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) هما هاجبلان في ناحية الشمال في منقطع
 أرض الترك حتى ان الواثق بعث بعض من يتق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب
 حتى وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناع من لبن حديد مسدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد
 من دونهما قوما) أي امام السدين قبل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون
 كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا اذا القرنين) فان قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون
 قلت تكلم عنهم مترجم من هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا الاجهد
 ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم الخرس (ان يأجوج وماجوج) أصلها من أجيح النار وهو موضوعها
 وشرها شبه هو ابه لكثرة تم وشدة تم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم
 خرجت تغير فضرب ذوالقرنين السد فبقوا خارجا فسموا الترك لذلك لانهم تركوا خارجين قال أهل
 التواريخ أولاد نوح ثلاثة سالم وحام ويافث فسام أبو العرب والمجهم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة
 ويافث أبو الترك والخزرو الصقالبة وياجوج وماجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء
 وروى حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة وماجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى
 ينظر ألف ذكرا من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم بسيرون الى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة
 أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله
 سوا عشرون ومائة ذراع وهو لا يعاينهم جيل واحد وصنف منهم يقترش أحدهم أذنه ويأخف
 بالاخري لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم
 بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول
 وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم ٢ احتلم ذات يوم وامترجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك
 الماء يأجوج وماجوج فهم متصلون بنامن جهة الاب دون الاموذ كروهب بن منبه ان ذال القرنين كان
 رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى له اني باعك الى امة مختلفة ألسنتهم
 منهم أمتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخري عند مطالعها يقال
 لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاول وياجوج والاخري في قطر الارض
 الايسر يقال لها تار وياجوج في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذوالقرنين باي
 قوة أكابدهم وياي جمع أكابدهم وياي لسان اناطقة هم فقال الله سبحانه وتعالى اني سأقويك وأبسط
 لسانك وأشد عضدك فلا هو ولك شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأخزلك النور والظلمة وأجعلها من
 جنودك فالنور يهديك من أمالك والظلمة تحو طلك من روائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمع
 وعدد الايصمهم الله تعالى فكانهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته
 فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم
 فدخلوا في دعوته فخدم من أهل المغرب جند اعظيها وانطلق بقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاول
 ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين ووجد منهم جندا عظيما ثم
 أخذ ناحية اليسرى فأتى تار وياجوج ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمدا الى الامم التي في وسط الارض فلما كان
 فيما يلي منقطع الترك بمالي المشرق قالت له أمة صالحه من الانس باذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا
 أشباه الهائم يقترسون الدواب والوحوش والسباع وياكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في
 الارض وانيس يزاد خلق كز يادتهم فلا شك أنهم يتمسكون الارض ويظهرون علمها ويفسدون فيها
 فهل تجعل لك خراجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه رب خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد
 والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم
 مثل نصف الرجل المربوع عنالهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم شعر يوارى أجسادهم ويتقون به

(مفسدون في الارض) قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا كلوه ولا يابس الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد جل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفروط الطول وقصار مفروط القصر (فهل نجعل لك خراجا) خراج حزة وعلى أي جعل الخرج حبه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنتي) بالادغام وبفكهم مكى (فيمر بي خير) أي ما جعلني فيه مكنتي من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه (فأعينوني بقوة) بفعله وتصناع يحسنون البناء (٢١٢) والعمل وبالالات (أجعل بينكم وبينهم ردما) جدارا وحاجزا حصينا موثقوا والردم أكبر

من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والخماس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافع حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلد اصلدا وقيل بعد ما بين السدين ماء فترسخ (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتحين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان الصدفين مكي وبصري وشاحي الصدفين أبو بكر (قال انفخوا) أي قال ذو القرنين للعملة انفخوا في الحديد (حتى اذا جعله) أي المنطوق فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني) أعطوني (أفرغ) أصب (عليه) قطرا) نحاسا مذابا لانه

من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيמתان يفترش احدهما ويلتحف بالآخرى يصيف في واحدة وبشقي في واحدة يتساقدون تساقدا البهائم حيث التقوا فلما عان ذوا القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين فمما ما بينهم ما وحفره الأساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج ومأجوج (مفسدون في الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر الا كلوه ولا يابس الا يحولوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم انهم كانوا ياكلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خراجا) أي جعلوا حراما من الاموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا فلا يصلون اليها (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنتي فيهم بي خير) أي ما قواني به ربي خير من جعلكم (فأعينوني بقوة) يعني لأريد منكم المال بل أعينوني بابدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعله وتصناع يحسنون البناء والالة قالوا وما تلك الالة قال (آتوني) أي أعطوني ٢ وقيل جيوتني (زبر الحديد) أي قطع الحديد فاقوه بها وبالخطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعني في النار (حتى اذا جعله نارا) أي صار نارا (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل ان السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل ان عرضه نحسون ذراعوا وارتفاعه ما تذر ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا السد محجرة عظيمة طاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا انفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فسكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناقلين حتى لا يكتنوا من العمل فيه (فما استطاعوا أن يظهره) أي يعاونه عليه لعاونه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي من أسفله لشده وصلابته (قال) يعني ذوا القرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فاذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعلهم دكاء) أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الارض (وكان وعد ربي حقا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها الاخلل يسير وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فاستحفرونه غدا قال فيعبده الله كاشدا ما كان حتى اذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى ان يعذبهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فاستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيخدره على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفرغ منهم الناس وفي رواية تخصص الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخصبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلاونا من في السماء فيزدادون قسوة وعموا فيبعث الله عليهم نعما فيرقاهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده ان

يقطر وهو منصوب بافرغ وتقدره آتوني قطرا أفرغ عليه قطر الخذف الاول دلالة الثاني عليه قال اتوني بوصول الالف جزء دواب واذا ابتداء كسر الالف أي جيوتني (فما استطاعوا) بخذف التاء للخفة لان التاء مقر بية المنخرج من الطاء (أن يظهرهم) أن يعاونه (وما استطاعوا له نقبا) أي لاجله لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب اصلا بته (قال هذا رحمة من ربي) أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الاقدار والتمكين من تسويتهم (فاذا جاء وعد ربي) فاذا انجى يوم القيامة وتشرف أن يأتي (جعلهم دكاء) أي مدكوكا كبسوطا مسوي بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك دكاء كوفي أي أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر قول ذي القرنين قوله وقيل جيوتني طاهره أنه تفسيره لا آتوني مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسيره الآتوني بموصولها فليست أملا اه

(وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يومئذ يوح) يختلط (في بعض) أي يضطربون ويختلطون أنفسهم وجنهم حباري ويجوز أن يكون الضمير ليا جوج وما جوج وانهم يوجون حين يخرجون مما وراء السد من دجين في البلاد دورى انهم يأتون البحر فيشر بون ماءه ويا كلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدر ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعافى أفعالهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (بجمعناهم) أي جمع (٢١٣) الخلاق للشواب والعقاب (جمعاً) تأكيد (وعرضنا جهنم يومئذ

دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكر أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعتوا أي غلظة وفظاظة وتكبروا والتعف ودويكون في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكر اذا م تلاء ضرعها البناء والمعنى انها تملئ أجسادها بالجموات تسمن (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمر بعد خروج يا جوج وما جوج قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يوح في بعض) قيل هذا عند فتح السيد يقول تركنا يا جوج وما جوج يوح أي يدخل بعضهم في بعض كوج الماعو يختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط انهم يحتم حباري (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج يا جوج وما جوج من علامات قرب الساعة (بجمعناهم جمعاً) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) ليشهدوا عاباناً (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وستر (عن ذكرى) أي عن الايمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكأنوا لا يستطيعون سماعاً) أي سمع قبول للايمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عدوتهم له (فأفسب) أي أظن (الذين كفروا) أي اتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني أرباباً يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أظن الذين كفروا ان يتخذوا غيري أولياء واني لأغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء (انا أعتدنا) أي هبنا (جهنم للكافرين نزل) أي منزلاً قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف (فوله تعالى) (قل هل ينسبكم بالانحسرين أعمالاً) يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونوا لافنوا اهلاً كما هو ارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (انهم يحسنون صنعا) أي عملاتهم وصنعهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني أنهم يجدوا دلائل توحيد وقدرته وكفروا بالبعث والشواب والعتاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافر من هذه الاشياء فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) قيل لان قيم لهم ميزان لان الميزان انما توضع لاهل الحسنة والسيئات من الموحدين ليعتد مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدري يأتى أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظام كجبال تمامة فاذا وزنوها لم تنز شيئاً فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وقيل معناه نردى بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا وزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (ذلك) إشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسرة قدرهم ثم ابتدأ فقال تعالى (جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا ابائهم ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء (قوله تعالى) (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تهب زواجر الجنة قال كعب بن لبيد في الجنات مفرد التنوع الا هو اعوهم أهل الكباب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين (في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار (ذلك جزاؤهم جهنم) هي عطف بيان لجزاؤهم (بما كفروا واتخذوا ابائهم ورسلي هزوا) أي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً

خالدين فيها) حال (لا يبعون عنها حولاً) تحوّلوا الى غير هارضا بما أعطوا يقال حال من مكانه حولاً أي لا امر يذعها حتى تنازعهم أنفسهم الى
 أجمع لا غرضهم وأمانتهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع مائل الطرف الى ارفع منه والمراد في التحول
 وتنا كيد الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (مداد الكلمات ربي) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أي لو كتب كلمات علم الله وحكمته
 وكان البحر مدادها والمراد بالبحر (٢١٤) الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله) بمثل البحر (مداداً) لنفد أيضاً
 والكلمات غير نافذة ومداداً

حجة أعلى من حجة الفردوس فيها الا عمرو بن العرف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس روضة الجنة
 وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالأشجار
 التي تنبت ضرور بامن النبات وقيل الفردوس البستان بالر ومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية
 نزلاً هو ما يهب بالانزال على معنى كانت لهم غار جنات الفردوس وتعيها نزلاً وقيل في معنى كانت لهم أي في علم
 الله تعالى قبل ان يخلقوا (خالدين فيها لا يبعون) أي لا يطلعون (عنها حولاً) أي تحوّلوا الى غيرها قال ابن
 عباس لا يريدون ان يتحوّلوا عنها كما ينقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى ﴿ قوله تعالى (قل لو
 كان البحر مداد الكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك
 ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلاً فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل
 لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلاً قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله تعالى قل لو كان
 البحر مداد الكلمات ربي أي ما يستعمله الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر
 مداد القلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفد البحر) أي لنفد ماؤه (قبل أن تنفذ كلمات ربي) أي
 علمه وحكمه (ولو جئنا بمثل ماء البحر في أكثره مدد او زيادة) ﴿ قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) قال ابن
 عباس علم الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التواضع للنازهي على خلقه فامر به ان يقر فيقول أنا آدمي
 مثلكم الا أني خصصت بالوحي وأكرمني الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الهكم الله واحد) لا شريك له في
 ملكه (فن كان يرجو لقاءه) أي يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه (فليعمل عملاً صالحاً) أي من
 حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح (ولا يشرك بعبادته أحداً)
 أي لا يرائي بعمله ولما كان العمل الصالح قد برأه وجه الله سبحانه وتعالى وقد برأه الرياء والسمعة اعتبر
 فيه قيدان أحدهما ان برأه الله سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق)
 عن جناب من عبد الله الجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الله به ومن برأى رآى الله به
 قوله من سمع الله به أي من عمل عملاً صالحاً قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى
 يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركه وشركه ما غير مسلم فأنا منه بريء
 هو والذي عمله عن سعيد بن أبي فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع
 الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عملاً لله أحد افليط ب ثوابه فان الله أغنى
 الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذي وقال حديث شريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف
 ما أخاف عليكم الشرك الا صغير قالوا وما الشرك الا صغير قال الرياء (م) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله
 أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة مريم عليها السلام) *
 هي مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبع مائة كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة حرف
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

تميز تحوّلوا مثلهم جلا ومداد
 مثل المداد وهو ما عده
 ينفد جزوة على وقيل قال
 حبي بن أخطب في كتابكم
 ومن يؤت الحكمة فقد
 أوتي خيراً كثيراً ثم تقرر
 وما أوتيتم من العلم الا قليلاً
 فنزلت بمعنى ان ذلك خير
 كثير واكتنه قطرة من بحر
 كلمات الله (قل انما أنا بشر
 مثلكم يوحى الى انما الهكم
 الله واحد فن كان يرجو
 لقاءه) فن كان يأمل
 حسن لقاءه وان يلقاه
 لقاء رضوا وقبول أو فن كان
 يخاف سوء لقاءه به والمراد
 باللقاء القدوم عليه وقيل
 رؤيته كما هو حقيقة اللفظ
 والرجاء على هذا يجري على
 حقيقته (فليعمل عملاً
 صالحاً) خالص الا يريده الا
 وجه ربه ولا يخلط به غيره
 وعن يحيى بن معاذ هو مالا
 يشقى منه (ولا يشرك
 بعبادته أحد) هو توحى
 عن الشرك أو عن الرياء
 قال صلى الله عليه وسلم
 اتقوا الشرك الا صغير قالوا
 وما الشرك الا صغير قال الرياء
 قال صلى الله عليه وسلم من
 قرأ سورة الكهف فهو

معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر قوله
 مثلكم يوحى الى آل آخرها عند مضجعه كان له نور يتلأأ من مضجعه الى مكة حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه
 وان كان مضجعه بمكة فنلاها كان له نور يتلأأ من مضجعه الى البيت المعمور حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى
 يستبقب * (سورة مريم عليها السلام) * مكية وهي ثمان وتسعون آية ومدني وشامى * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يازكريا اننا نبشرك بكلاما مسميا) لم يسم احد يحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبهها ولم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يسم بمصيبة وانه ولد بين شيخ وعجوز وانه كان حصورا فلما بشرته الملائكة به (قال رب انى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون اوهب له وهو وامر انه بتلك الحال ام يحولان شاين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت من الكبر عتيا وهو اليبس والجساسة فى المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن فى السن العالية عتيا وصيدا وجشيا وكبا بكسر الهمزة والواو مثل حمزة وعلى وحفص الا فى بكاء (قال

يازكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاه فقال يازكريا (انا نبشرك بغلام) أى يولد ذكرا (اسمه يحيى) لم يجعل له من قبل سميا) أى لم يسم احد قبله يحيى وقيل معنا لم يجعل له شها ومثلا وذلك لانه لم يعص الله ولم يسم بمصيبة قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها يحيى وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب انى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام) وكانت امرأتى عاقرا) أى وامرأتى عاقرا (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى ياسا يري بذلك تحول الجسم ودقة العظم وتحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى يسير (وقد خلقتك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) أى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) أى علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليل سويا) أى صححاسلميا من غير ما بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليل متتابعات والاول اصم قبل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله انطلق لسانه ﴿ قوله عز وجل (نخرج على قومهم من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا بامتعير الونه فأنكر واذلك علمه وقالوا له مالك (فأوحى) أى فأوحى ما ظهر على قومهم بكرة وعشيا فأمروهم بالصلاة فإشارة ﴿ قوله عز وجل (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجهد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صيبا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفتنة والنبوة حال الصبا قلت لان أصل النبوة مبنى على تحرف العادات اذ اثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو بمن أوتى الحكم صيبا (وحنا من لدنا) أى رحمة من عندنا قال الخطيبه يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

أونصب بقال وذلك إشارة الى مهمهم يفسره (هو على هين) أى خلق يحيى من كبيرين سهل (وقد خلقتك من قبل) أى وجدتك من قبل يحيى خلقناك حمزة وعلى (ولم تك شيئا) لان المعدوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها حمل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليل سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه مؤنت سليم الجوارح مما يلبس خرس ولا يكلم ودل ذلك اللبالي هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام وليالهن اذ ذكر الايام يتناول ما بارزتها من اللبالي وكذا ذكر اللبالي يتناول ما بارزتها من الايام عسفا (نخرج على قومهم من المحراب) من موضع

تحنن على هذا الملك * فان لكل مقام مقالا

أى ترحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى يازكاة اطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعتهم وعمل الصالحات فى اخلاصه (وكان تقيا) أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يسم بمصيبة (وبرأوالديه) أى بار الطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى ووفى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) نيسل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين

صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هى المنسرة (بكرة وعشيا) صلاة العجبر والعصر (يا يحيى) أى وهناله يحيى وقتلناه بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجهد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدس (صيبا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا (وحنا) شفقة ورحمة لآبويه وغيرهما عطفنا على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلاح فلم يعمد بذب (وكان تقيا) مسلما مطيعا (وبرأوالديه) وباراهم مالا يعصهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه

(وسلام عليه) أمان من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتاى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها وحش المواطن (واذكر) يا محمد (في الكتاب) القرآن (مريم) أى اقرأ عليهم فى القرآن قصة مريم ليقطوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم بدل اشتمال اذا الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انبتت من أهلها) أى اعترلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أى تحلت للعبادة فى مكان مما يلي شرقى بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل تعدت فى مشرقه لا غنسال من الحيض (فانخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يستترها لتغتسل وراءه (فأرسلنا اليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين بحيايه (٢١٧) وبوجبه (فتمثل لها بشرا) أى فتمثل لها جبريل فى صورة آدمى شاب

أمر دوى الوجه جعد الشعر (سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها فى صورة الانسان امتسا أنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بد الهافى صورة الملائكة لتفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت انى أعود بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى ان كان برحى منك ان تتقى الله فانى عاقبة منك (قال) جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك) أمهما ما خافت وأخذ بر أنه ليس بأدى بل هو رسول من استعادت به (لا هلك) باذن الله تعالى أو لا كون سببا فى هبة الغلام بالنفخ فى الدرع ليهب لك أى الله أبو عمرو ونافع (غلاما كيا) طاهر من الذنوب أو ناميا على الخير والبركة (قالت انى) كيف (يكون لى) غلام) ابن (ولم يمسنى بشر) زوج بالنسكاح (ولم ألبغيا) فاجرة تبغى الرجال

(وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أو وحش ما يكون الخلق فى ثلاثه مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوم ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يحيى فى هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها **قوله** عز وجل (واذكر فى الكتاب) أى فى القرآن (مريم اذا انبتت) أى تحنت واعرلت (من أهلها) أى من قومها (مكانا شرقيا) أى مكانا فى الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديدا البرد فحاست فى مشرقه تفلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قبيل واهذا المبنى انخذت اللصارى المشرق قبله (فانخذت) أى فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أى ستر وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون فى المسجد فاذا حاضت تحوالت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمر دوى الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أى سوى الخلق لم ينقص من الصورة الا تسمية شيئا وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بد الهافى صورة الملائكة لتفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح عيسى جاء فى صورة بشر فملت به والقول الاول أصح فلما أت مريم جبريل عليه السلام يقصد دخولها بدارته من بعيد (قالت انى أعود بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مؤمنا بطبع الله تعالى دل تعودها من تلك الصورة الحسنة على صفتها وورعها فان قلت انما يستعاض من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا نظمانى أى ينبغى أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغى أن تكون تقواك مانعا لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لا هب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لغلاما كيا) قال ابن عباس ولد اصابا لظاهر من الذنوب (قالت) مريم (انى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام ولم يمسنى بشر) أى ولم يقربنى زوج (ولم ألبغيا) أى فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نسكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحدا منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أى هكذا قال ربك (هو على هين) أى خلق ولدك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أى ونعمة من تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أى محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل **قوله** عز وجل (فماتته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبه فملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب وقيل نفخ فى كها وقيل فى ذيلها وقيل فى فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فملت بعيسى عليه السلام فى الحال (فانبتت به) أى فلما حملته تحنت بالحمل وانفردت

(٢٨ - (خازن) - ثالث) أى تطلب الشهوة من أى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من أحد هذين والبغى فعول عند البرد بغوى فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت العين اتباعا ولذا لم تلحق بآء التأنيث كالم تلحق فى امرأة صبور وشكور وعند غيره هى فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبهه مثل ان رجلة الله قريب (قال) جبريل (كذلك) أى الامر كما قلت لم يمسنك رجل نسكاحا أو سفاحا (قال ربك هو على هين) أى اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليل بمعله محذوف أى ولنجعله آية للناس فعلا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمرا أى لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أى عبرة وورعنا على قدرتنا (ورحمة منا) ان آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدر امسطورا فى اللوح فلما اطمانت الى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فماتته) أى الموهوب وكان سنه ثلاث عشرة سنة أو عشر أو عشرين (فانبتت به) اعترلت وهو فى بطنها والجارو المجرور

في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كحلمته بنذته وقبل سنة أشهر وقبل سبعة وقيل ثمانية ولم يعرف مولود وضع لثمانية إلا عيسى وقيل جلسته في ساعة ووضعته في ساعة (مكافصيا) بعد من أهلها وراة الجبل وذلك لانهم لما أحست بالجبل هر من قومها مخافة الالامة (فأجاءها) جاءهم وقيل ألبأها وهو منقول من جاءه الأت استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء الا تراك لا تقول جئت المسكن وأجاءني يزيد (المخاض) وجمع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها و كانت يابسة وكان الوقت شتاء وتغير يقها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كانه تعالى أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسه النخساع أي طعامها (قالت) جزعنا ما أصابها (٢١٨) (بالتنبي مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات يموت ومات يمات (وكنت نسيما نسيما) شيأ متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حمزة وحذف وبالكسر غيرهما ومعناها واحد وهو الشيء الذي حقته أن يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) أي الذي تحتها فن فاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان مكان مخفض عنها أو عيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت سلمت بقوله (أن لا تحزني) لانه انتهى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى أي (فقد جعل ركب تحتك) بقر بك أو تحت أمرك ان أمرته أن يحسري حري وان أمرته أن يقف وقف (سريا) نهرا صغيرا عند الجهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن سيدي

(مكافصيا) أي بعد من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم قرارا من أهلها وقومها أن يعبر وهما ولادتهم غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل جلسته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى لانه لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد السنة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حين قبل ان تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بينة جبل صهيون وكانا يتحلمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهادا منها أو أول من علم بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في أمرها كلها أراد أن يتمها ذكر عبادتهم وأصلاحها وانهم لم تغب عنه وإذا أراد ان يبرئها أي ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به ان قال انه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانها فغلبني ذلك فأريت ان أن تكلم به أشقى صدرى فقالت قل قولاً جيلا قال أخبرني مريم هل ينبت زرع بغير بذور هل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد لمن غير ذكركر قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذور ألم تر ان الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولو لا ذلك لم يقدر على انبائها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكرو ولا أنبي فعد ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليه باسباب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى فاتينذت به مكافصيا ﴿ قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) أي ألبأها وجاءها والمخاض وجمع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التبت اليها تستند اليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت بالتنبي مت قبل هذا) تمت الموت استحياء من الناس وخوفامن الفضيحة (وكنت نسيما نسيما) يعني شيأ حقيرا متروكا لم يذ كر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمت انهم لم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وتجريل وراء الأكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني ف قد جعل ركب تحتك سريا) أي نهرا قال ابن عباس رضي الله عنه ما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الارض فظهرت عين ماء عذبة وحررت وقيل كان هناك نهرا يابس فحري فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحنن النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك ان أمرته أن يحسري حري وان أمرته بالامسك أمسك وقيل معنى سريا أي عيسى وكان عبدا سريا رفيعا (وهزي البك) أي حركي البك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجنى الذي بلغ الغاية وجاء أو ان اجتمائه قال الربيع بن خيثم ما لالنفساء عند مدني خير من

كريمها يعني عيسى عليه السلام وروى ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سريا فقال الحسن صدقت ورجع الى الرطب قوله وقال ابن عباس رضي الله عنه ما ضرب عيسى أو جبريل عليهم السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فحري النهر اليابس فاحضرت النخلة وأثمرت وأينعت غرتها فسيل لها (وهزي) حركي (البك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة أي وهزي جذع النخلة (تساقط عليك) يادغام التاء الاولى في الثانية مكي وطني وشامي وبونجرو وعلي وأبو بكر والاصل تساقط باظهار التاء من وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة وتساقط بفتح الباء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحاد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقطوا بسنة طارت سقطوا بسقط التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراآت (رطبا) تمييزا ومفعول به على حسب القراءة (جنيا)

طرايا وقالوا انهم انفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خبير من الرطب ولا العر بضع من العسل (فكلى) من الجنى (واشربي) من السمري (وقرى عيننا) بالولد الرضى وعينا تميز أى طبي نفسا بعيسى وارضى عنك ما أوزنك (فاما) صلوات ما فضحت ان الشريطة الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر) أحد اقوالى انى نذرت للرجن صوما) أى فان رأيت آدميا سألك عن حالك فقولى انى نذرت للرجن صوما واما كما عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة (٢١٩) وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخا فبينما وانما أمرت أن تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفها الكلام بما يرى به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه دليل على ان السكوت عن السفه واجب وما قدع سفهه بمثل الاعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض وانما أخبرتهم بأنهم نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا الأثرى الى قول الشاعر فى وصف القبور وتكلمت عن أوجه تبلى وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوغ لها هذا القدر بالنطق (فلن أكلهم اليوم انسيا) آدميا (فأنت به) بعيسى (قومها) بعد ما ظهرت من نفاسها (تحمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حامله اياه فلما رآه معها (قالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا) بدعا عجيبا والنرى القطع كأنه يقطع العادة (يا أخت هرون) وكان اخاه من أبها ومن أفضل بنى اسرائيل أو هو أخو

الرطب ولا العر بضع من العسل (فكلى واشربي) أى يا مريم كلى من الرطب واشربي من النهر (وقرى عيننا) أى طبي نفسا بعيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فنقر عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر أحدا) معناه يسألك عن ولدك (فقولى انى نذرت للرجن صوما) أى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد أن يتحدث صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول لفظا ثم سلمت عن الكلام بعده وانما منع من الكلام لأميرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لختها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تقوى بضع الكلام الى الأفضل أولى الثانى كراهة تجادل السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب (فلن أكلهم اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم الملايكة ولا تكلم الانس ﴿ قوله تعالى ﴾ (فأنت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته فى الحمال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فكثرت فيه أر بعين يوما حتى ظهرت من نفاسها ثم حتمت الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أمه ابشري فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وجزوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا) أى عظيما منكر او قيل معناه جئت بامر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون قيل كان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شتهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات أر بعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبه قال لما قدمت خراسان سألتنى فقالوا لى انكم تقرأون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم وقيل كان هرون أحامريم لابيها وقيل كان من أمثل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أحاموسى لانها كانت من نسله كما يقال للتمهي يا أختهم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشهروه به (ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانبا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى زانية فى بنى اسرائيل لهذا الولد (فأشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى ان كلهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا (قالوا كيف نسلك من كان فى المهد صبيا) قيل أراد بالهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمنه و (قال انى عبد الله) قال وهب أباها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بهما فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوما وقيل بل يوم ولدانى عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم لئلا يتخذ لها فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم انما تكلم باعترافة على نفسه بالعبودية ليخلص ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيم مة من ولد فى زانبا والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه

موسى عليه السلام وكانت من اعقابيه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخاهم دان أى با واحد منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شهوه به فى الصلاح أو شهوه به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) زانبا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) زانية (فأشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تخزنى وأجيبى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتجبوا و (قالوا كيف نسلك من كان) حدث و وجد (فى المهد) المهد (صبيا) حال (قال انى عبد الله) ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق

أُتفق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم روى أنه أشار بسببته وقال بصوت رفيع انى عبد الله
وفيه رد لقول النصارى (آ تانى الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا) روى عن الحسن انه كان فى المهدي نبيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك
سبق فى قضائه أو جعل الاتى لا محلة كائنه وجد (وجعلنى مباركا أيضا كنت) نفاعا حيث كنت أو معلما للخير (وأوصانى) وأمرنى
(بالصلاة والزكاة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر أو طهر البدن ويحتمل وأوصانى بأمر أمركم بالصلاة والزكاة (مادمت حيا) نصب
على الضarf أى مدة حياتى (وبرابو الذى) عطف على مباركا أى بارها كرمها وأعظمها (ولم يجعلنى جبارا) متكبرا (شقيا) عاقا (والسلام
على يوم ولدت) يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو على (ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أى ذلك السلام الموجه الى يحيى فى الموطن الثلاثة موجه
الى ان كان حرف التعريف للعهد (٢٢٠) وان كان للجنس فالعنى وجنس السلام على وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنه لانه

إذا قال وجنس السلام على
فقد عرض بان ضده عايك
اذ المقام مقام مناكرة
وعناد فكان متمثل هذا
التعريض (ذلك) مبتدأ
(عيسى) خبره (ابن مريم)
نعمه أو خبر ثان أى ذلك
الذى قال انى كذا وكذا
عيسى ابن مريم لا كما قالت
النصارى انه اله وابن الله
(قول الحق) كلمة الله
فالقول الكلمة والحق الله
وقيل له كلمة الله لانه ولد
بقوله كن بلا واسطة أب
وارتفاعه على انه خير بعد
خبر أو خبر مبتدأ محذوف
أو بدل من عيسى ونصبه
شامى وعاصم على المدح أو
على المصدر أى أقول قول
الحق هو ابن مريم وليس
بأله كما يدعونه (الذى فيه
يبترون) يشكون من
المرية الشك أو يختلفون
من المراء فقالت اليهود
ساحر كذاب وقالت النصارى

وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آ تانى الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتىنى الكتاب
وهو الانجيل وهذا الخبر عما كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا
قال كنت نبيا وأدم بين الروح والجسد وقال الا كثرون انه أوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل
الرجال الكمل وعن الحسن انه ألهم التوراة وهو فى بطن أمه (وجعلنى مباركا أيضا كنت) معناه انى
نفاع أيضا توجهت وقيل معلما للخير أى أدعو الى الله والى توحيد عبادة وقيل مباركا على من يتبعنى
(وأوصانى بالصلاة والزكاة) أى أمرنى به ما وكفى فعلهما ماتت قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال
طفولته وقد قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصانى
بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بادائه ما فى الحال بل المراد أوصاه بادائه ما فى الوقت المعين
لهم وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صبره حين انفض عن أمه بالغابا وهذا القول أظهر فى سياق قوله
(مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع
الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه (وبرابو الذى) أى جعلنى برابو الذى (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى
عاصيا الرب متكبرا على الخلق بل أنا خاضع ومتواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى قال بعض
العلماء لا تجرد العاقب الاجبار شقيا وتلاهذه الآية وقيل الشق الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم
ولدت) أى السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أى عند الموت من الشرك (ويوم أبعث
حيا) أى من أهوال يوم القيامة فلما تكلمهم عيسى بذلك علموا براعة مريم ثم سكت عيسى بعد فلم يتكلم حتى
بلغ المدة التى يتكلم فيها الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى بن مريم
(قول الحق) أى هذا الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك
عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذى فيه يبترون) أى يشكون ويختلفون فقائل يقول هو
ابن الله وقائل يقول لله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ
الولد ونزهه عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك
(سبحانه اذا قضى أمرا) أى اذا أراد ان يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) أى لا يتعذر عليه اتخاذ
على الوجه الذى أراد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا الخبر عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى
وربكم لا رب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أخبركم به ان الله أمرنى به هو الصراط
المستقيم الذى يؤدى الى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى سموا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث

ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغي له (أن يتخذ من ولد) حتى يمتد لنا كيد النقي (سبحانه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذا
قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) بالنصب شامى أى كما قال عيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفا بهذا كان منزلها أن يشبه الحيوان
الولد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بالسكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما أنا عبده فأنتم عبده على وعليكم ان نعبد
ومن فقع عطف على الصلاة أى وأوصانى بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربى وربكم فاعبدوه (هذا) الذى
ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا (فاختلف الأحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأى من غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية
ويعقوبية ومملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا فى عيسى حين رفع ثم اتفقوا على
ان يرجعوا الى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهو يعقوب ونسطور ومم كان فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى
السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبد الله مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم

(فويل للذين كفروا) من الأحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة أو من شهدوهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من شهدوا ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانباء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها والمراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيمًا للاعتراف ما شهدوا به في عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يا توننا) الجمهور على ان لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد ان اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب (٢٢١) منهما بعدما كانوا صاموا وعبأ في الدنيا

قال قتادة ان عموا وصموا
عن الحق في الدنيا فاسمعهم
وما أبصرهم بالبصيرة
يوم لا ينفعهم وهم مرفوع
المحل على القاعلية كما كرم
يريد فمعناه كرم زيد
جدا (لكن الظالمون
اليوم) أقيم الظاهر مقام
المضمر أي لكنهم اليوم في
الدنيا يظلمهم أنفسهم
حيث تركوا الاستماع
ولنظر حين يجدي عليهم
ووضعوا العبادة في غير
موضعها (في ضلال) عن
الحق (مبين) ظاهر وهو
اعتقادهم عيسى الهام عبودا
مع ظهور آثار الحدت فيه
اشعرا بان لا ظلم أشد من
ظلمهم (وأنذرهم)
خوفهم (يوم الحسرة) يوم
القيامة لانه يقع فيه الندم
على ما فات وفي الحديث
اذاروا وسنازلهم في الجنة ان
لو آمنوا (اذ) بدل من يوم
الحسرة أو ظرف للحسرة
وهو مصدر (قضى الامر)
فرغ من الحساب وتعذر
الفريقان الى الجنة والنار
(وهم في غفلة) هناعن
الاهتمام لذلك المقام (وهم
لا يؤمنون) لا يصدقون

فرق في أمر عيسى النسطورية والملائكة ويعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم
القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر
انهم يسمعون ويصرون في الآخرة ثم يسمعون ويبصرون في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون
ويصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يا توننا) أي يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعني انهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن
الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ^{وقوله تعالى} (وأنذرهم يوم الحسرة) يعني
خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسمى يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا زاد في
الاحسان يدل عليه ما روى أبوهريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد
يموت الا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازاد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون
ترزع أخرجه الترمذي قوله ان لا يكون ترزع النزاع عن الشيء الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني يوم
الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوفى بالموت كهيشة
كبش أمخ فينادى مناديا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت
وكاهم قدراه ثم ينادى مناد آخر يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم
هذا الموت وكاهم قدراه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خذوا بلوا بالموت ويا أهل النار خذوا بلوا
بموت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد
الترمذي فيه فلوان أهدامات فرحل مات أهل الجنة ولوان أهدامات خزالمات أهل النار قوله كهيشة كبش
أمخ الامخ المختلط بالابيض والسواد قوله فيشرفون يقال اشرف الى الشيء اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه
نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول
الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيه ذبح فيموت فلا يبقى برحله حياة ولا وجود
وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فبهما لا يزال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار حتى يجعل
بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناديا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى
فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
أحد الا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا رأى مقعده من الجنة لو أحسن
ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري ^{وقوله تعالى} (اذ قضى الامر) أي فرغ من الحساب وأدخل أهل
الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما يراهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي
لا يصدقون (ان نحن نرث الارض ومن عليها) أي نمت سكان الارض جميعا ويوق الله سبحانه وتعالى وحده
فيرثهم (واليناير جمعون) فتجز بهم باعمالهم ^{وقوله عز وجل} (واذ كرفي الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
نبييا) أي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في
وحدانيته وصدق انبياءه ورسوله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاامر فعمل بهما فهو صديق ولما قربت

به وهم حالان أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (ان نحن نرث الارض ومن عليها) أي تنفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك
والفناء وذكروا من تغليب العقلاء (واليناير جمعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أي يردون فيجازون جزاء وفاقا (واذ كرفي
لقومك) (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبييا) بغير همز وهمزة نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصدق
المستقيم في الاحوال فالصديق من ائبته المبالغة و نظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسوله أي كان
مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبييا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بدل منه وهو

(اذ قال) وجازان يتعلق اذ كان أو بصديقه نبياً أي كان جامعاً لخاصة الصديقين والانبيا ع حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياههم كقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم والافالته عز وجل وهذا كره ومورد في تنزيهه (لايه يا أبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاعوض من اياه الاضافة ولا يقال يا أبتى لثلاث جمع بين شئ وشئ والمعووض منه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) المقبول فيه ما منسى غير منوى ويجوز ان يقدر أي لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (ولا يغني عنك شيئاً) يحتمل أن يكون شيئاً موضع المصدر أي شيئاً من الاغنياء وان يكون مفعولاً به من قولك أغنى عنى وجهك أي بعد (يا أبت انى قد جاءنى من العلم) الوحي أو معرفة الرب (مالم يأتك) مافى ما لا يسمع ولم يأتك يجوز ان تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعنى أهدك) أو شدك (صراطاً سوياً) مستقيماً (يا أبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سؤل من عبادة الضم (ان الشيطان كان للرحن عصياً) أي عاصياً (يا أبت انى لأخاف) قيل أعلم (أن يسلك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) قرى بنافى (٢٢٦) النار تليه ويملك فانظر في نصيحتة كيف راعى الجمال والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث أوحى الى ابراهيم انك تخلي

رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقاً الى ذكر كونه نبياً والنبي العالى فى الرتبة بارسال الله اياه وأى رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لايه) يعنى آزر وهو يعبد الاصنام (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) يعنى صوناً (ولا يبصر) ولا ينظر شيئاً (ولا يغني عنك) أى يكفيك (شيئاً) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها فادخ فى الالهية وذلك أن العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (يا أبت انى قد جاءنى من العلم) يعنى بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعنى) أى على دينى (أهدك صراطاً سوياً) أى مستقيماً (يا أبت لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فيما يزين لك من المكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحن عصياً) أى عاصياً (يا أبت انى أخاف) أى أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصير على الكفر فيكون من أهل النار فعمل الخوف على ظاهره أولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرراً وبالانطاف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبيه أولاً على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره باتباعه فى الامان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله انى أخاف (أن يمسك) أى يصيبك (عذاب من الرحمن) أى ان أمت على الكفر (فتكون للشيطان ولياً) أى قرى بنافى النار وقيل صديقاً فى النار و انما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع ابيه لانه لا مورا أحد هال الشدة تعلق قلبه بصلاحيته ابيه وأدع حق الابوة والرفق به وثانها أن النبي الهادى الى الحق لا بد أن يكون رفيقاً لطيفاً حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل أحد فالاب أولى (قال) يعنى اياه مجيباً له (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى اتركها أنت وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أى ترجع وتسكت عن عبيد آلهتنا وشتمك اياها (لا رجعتك) قال ابن عباس معناه لا ضرر ينك وقيل لا تقتلنك بالحجارة وقيل لا شتمنك وقيل لا بعدنك عنى بالقول القبيح والقول الاول هو الصحيح (واهجرتنى) أى اجتنبتنى قال ابن عباس اعترفتنى سالماً لا يصيبك منى معرفة (ملياً) أى دهرها طويلاً (قال) يعنى ابراهيم (سلام عليك) أى سلمت منى لا أصيبك بمكره وذلك لانه لم يؤمر بمقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفاوكة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الخليم للسفيه (سا ستغفر للثوبى)

حسن خلقك ولومع الكفار بدخل مداخل الارار فطالب منه أولاً العلة فى خطئه طلب منه على تعاديه موقظاً لفرطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوما عليه بالنفى المبين فكيف بمن يعبد حجراً أو شجر الا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيات عبادته ولا يرفع عنه بلاه ولا يقضى له حاجة ثم نبى بدعوته الى الحق مترفقاً به متطافاً فلم يسم اياه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق واكنه قال ان معنى شيئاً من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فهب انى واياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعنى أنتك من أن تضل وتبته ثم ثاب بنبيه عما كان عليه

بان الشيطان الذى عصى الرحمن الذى جيع النعم منه أو عكف فى عبادة الضموز ينهالك فانت عابده فى الحقيقة ثم قيل ريع بتخريفه سوء العاقبة وما يجرمها هو فيه من التبغمة والوبال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال انى أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه وأاياته أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب فى نفسه و صدر كل نصيحة بقوله يا أبت توسلاً اليه واستعطافاً وا شعيراً فوجوب احترام الاب وان كان كافراً ثم (قال) آزر تو بخاً (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيانياً وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لا رجعتك) لا تقتلنك بالرجام أو لا ضرر ينك منى حتى تتباعد أو لا شتمنك (واهجرتنى) عطف على محذوف يدل عليه لا رجعتك تقد رفا حذرتنى واهجرتنى (ملياً) ظرف أى زماناً طويلاً من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومفاوكة أو تقرييب وملاطفة ولذا وعد بالاستغفار بقوله (سا ستغفر للثوبى) سا سال الله ان يجعلك من أهل المغفرة بان يهديك للاسلام

(انه كان في حقيقا) ملطفا بعموم النعم أو رحيميا أو مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة (واعتراسكم) أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض
 بابل الى الشام (ومات دعون من دون الله) أي مات عبدون من أصنامكم (وأدعو) واعبد (ربي) ثم قال تواضعوا وهضموا للنفس ومعرضات بشقاوتهم
 بدعاء آلهتهم (عسى أن لا تكون بدعا في شقيا) أي كما شقيتم أتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار
 ومعبودهم (وهبناله اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكل) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه
 عوضه أولاد مؤمنين أنبياء (وهبناله من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلنا لهم) (٢٢٣) لسان صدق) ثناء حسنا وهو الصلاة

على ابراهيم وآل ابراهيم
 في الصلوات وعبر بالأسنان
 كعبر باليد عما يطلق باليد
 وهي العطية (عليا) رفيعا
 مشهورا (واذ كرفي
 الكتاب موسى انه كان
 كوفي غيرا بفضل
 أي أخلصه الله واصطفاه
 وخلصا بالكسر غيرهم
 أي أخلص هو والعبادة
 لله تعالى فهو تخلص بماله
 من السعادة باصل الفطرة
 وتخلص فيما عليه من
 العبادة بصدق المهمة (وكان
 رسولان نبيا) الرسول لذي
 معه كتاب من الانبياء
 والنبى الذى ينهى عن الله
 عز وجل وان لم يكن معه
 كتاب كبروشع (ونادىناه)
 دعواناه وكلمناه ليلة الجمعة
 (من جانب الطور) هو
 جبل بين مصر ومدين
 (الايمن) من اليمن أي
 من ناحية اليمن والجهور على
 أن المراد أين موسى عليه
 السلام لان الجبل لا يمين له
 والمعنى انه حين أقبل من
 مدين يريد مصر نودى من
 الشجيرة وكانت في جانب
 الجبل على يمين موسى عليه

قيل انه لما أعياه أمره وعده ان يراجع الله فيه فبسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأ سأل
 للثربى توبة تنالها المغفرة (انه كان في حقيقا) أي بالطيقا والمراد انه يستجيب لى اذا دعوته لانه عودنى
 الاجابة لدعائى (واعتراسكم و مات دعون من دون الله) أي أقار قكم وأفارقكم مات عبدون من دون الله وذلك انه
 فأرقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وأدعو ربي) أي أعبد ربي الذى خلقنى وأنعم على (عسى أن لا تكون
 بدعا في شقيا) أي أرجوان لا أشق بدعا في وعبدته كما تشقون أتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع
 التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجرا (وهبناله)
 أي بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) أي أنسنا وحششته من فراقهم بأولاد أكرم على الله من أيه (وكل
 جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهم بما بالنبوة (وهبناله من رحمتنا) أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبناله المال
 والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء حسنا
 رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويتنون عليهم قوله عز وجل (واذ كرفي
 في الكتاب موسى انه كان مخلصا) كرفي بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراع قرفى بالغفخ
 أي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولان نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول
 نبى ولا عكس (ونادىناه من جانب الطور الايمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر
 ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنادى بموسى انى أما الله رب العالمين
 (وقر بناه) قال ابن عباس قر به وكلم ومعنى التقرب باسماءه كلامه وقيل رفعه على الحب حتى سمع صرير
 الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومزنته أي وشرفناه بانجابا وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجيا (وهبناله من
 رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعاه به فقال واجعل لى وزرا من أهلى هرون أخى فأجاب الله
 دعوته وارسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى قوله عز وجل (واذ كرفي
 الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل
 انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد جلالان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام
 للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به ف وصفه الله بهذا الخلق الحسن
 الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى أي وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده
 ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة أخرى (وكان
 رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن تزوا على هاجر أم اسمعيل بوادى مكة حين خلفهم ابراهيم وجرهم
 هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي تخبر عن الله تعالى (وكان يامر
 أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكوة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهي الخنيفية
 التي افترضت على ناول قبل كان يبدأ بأهلها في الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة ان سواهم (وكان عنده
 مرضيا) أي قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز

السلام (وقر بناه) تقر ب منزلته ومكانه لا منزل ومكان (نجيا) حال أي مناجيا كندم بمعنى منادم (وهبناله من رحمتنا) من أجل رحمتنا
 له ونزونا عليه (أخاه) مفعول (هرون) بدل منه (نبيا) حال أي وهبناله نبوة أخيه والافهر ون كان أكبر سننا منه (واذ كرفي الكتاب
 اسمعيل) هو ابن ابراهيم في الاصح (انه كان صادق الوعد) وافيه وعد رجلا أن يقم مكانه حتى يعود اليه فانظر سنة في مكانه حتى عاد ونهاين
 انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى وتيل لم يعد ربه موعد الانجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تسرى بما
 له وكان المشهور من خصاله (وكان رسولا) الى جرهم (نبيا) تخبر من ذرا (وكان يامر أهله) أمته لان النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على
 انه لم يدهن غيره (بالصلاة والزكوة) محتمل انه انما خصت هاتان العبادتان لانهم ما اما العبادات البدنية والمالية (وكان عنده مرضيا)

اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمى به لكثرة دراسته كتب الله لايصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجة (انه كان صديقا بيا) انزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزاني عند الله وقيل معناه ورفعه الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشي اعلى من الجنة وذلك انه حبيب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال ملك الموت اذقني الموت يهن على ففعل ذلك باذن الله فحي وقال ادخلني النار اردد رهبة ففعل ثم قال ادخلني الجنة اردد رغبة ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فانا انا اخرج من الجنة فقال الله عز وجل يا ذني فعل ويا ذني دخل فدعه (اولئك) اشارة الى المذكورين في السورة ومن ذكر ياء الى ادر يس (الذين انعم الله عليهم من النبيين) من اليبان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) من للتبعيض وكان ادر يس

في كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل (واذ كرفي الكتاب ادر يس) هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمى ادر يس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خط الثياب وليس الخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب (انه كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قبل هي الرفعة بعلا المرتبة في الدنيا وقيل لانه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادر يس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادر يس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلقتني لحر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدك ادر يس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبتة قال يارب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذا له حتى اتى ادر يس فكان ادر يس يسأله فكان مما ساله ان قال اني اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي لعلني ازيد شكري وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها وانما كانه فرعه الى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال له اليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس لي ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في دوانه فقال انك كذبت في اناس ما اراه يموت ابدأ قال وكيف ذلك فقال لا اجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني ايتك وزكته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقدمان فوالله ما بقي من عمر ادر يس شي فرجع الملك فوجد جده ميتا وقال وهب كان يرفع لادر يس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فحجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذنه به في زيارته فاذا نزل فأنه في صورة بني آدم وكان ادر يس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فآبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادر يس وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انما ملك الموت استأذنت ربي ان اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فأرحني الله اليه ان قبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤال قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت وغمه فأكون أشدا استعدادا له ثم قال له ادر يس لي اليك حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذا نزل الله فرفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال اريد ان أسأل ما لساكن رفع ابوابها فأرددها ففعل قال فكما اريدتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت ابوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الاواردها فأوردتهما وقال وما هم منها بخبر حين فلسنت اخرج فأوحى الله تعالى الى ملك الموت يا ذني دخل الجنة فبأمرى لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا في انه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنتان في الارض وهما الخضر والياس واثنتان في السماء وهما ادر يس وعيسى قوله عز وجل (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين) اولئك اشارة الى المذكورين في هذه السورة انعم الله عليهم بالنبوة وغيرهما مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني ادر يس ونوحا (ومن حملناهم نوح) أي ومن ذرية من حملناهم نوح في السفينة يريد ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسماعيل ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وكراباو يحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين

من ذرية آدم لقرنه منه لانه جد ابي نوح (ومن حملناهم نوح) ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب وهم موسى وهرون وكراباو يحيى

ذكرهم

وعيسى لان مريم من ذريته (ومن) يحتمل العطف على من الاولى والثانية (هدينا) محاسن الاسلام (واجتبتنا) من الانام اولسرح
 الشريعة وكشف الحقيقة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن) أي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبروا اولئك
 وان جعلته صفة له كان خبرا يتلى بالياء فتيقنوا جود الفاصل مع ان التائيت غير حقيقي (خروا سجدا) سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة
 (وبكيا) باكين رهبة جمع بالك سجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث اتلوا القرآن وابتكروا وان لم تبكوا فابتكبا كوا عن صالح المري
 قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فابن البكاء يقول في سجود التلاوة سبحان رب الاعلى
 ثلاثا (خلف من بعدهم) فقام من بعدهم هؤلاء المفضلين (خلف) اولادهم وبنوهم (اللام ٢٢٥) العقب الخير عن ابن عباس هم اليهود

(أضاعوا الصلوة) تركوا
 الصلوة المفروضة (واتبعوا
 الشهوات) ملاذ النفوس
 وعن علي رضي الله عنه من
 بني الشديد وركب المنظور
 ولبس المشهور وعن قتادة
 رضي الله عنه هو في هذه
 الامة (فسوف يلقون غيا)
 حزامي وكل شر عند العرب
 غي وكل خير رشاد عن ابن
 عباس وابن مسعود هو
 وادفي جهنم أعد للمصرين
 على الزنا وشارب الخمر وآكل
 الربا والعاق وشاهد الزور
 (الامن تاب) رجع عن
 كفره (وآمن) بشرطه
 (وعمل صالحا) بعد إيمانه
 (فأولئك يدخلون الجنة)
 بضم الباء وفتح الخاء مكي
 وبصري وأبو بكر (ولا
 يطلبون شيئا) أي لا
 ينقصون شيئا من جزاء
 أعمالهم ولا يمنعون بل
 يضاعف لهم أولا يظلمون
 شيئا من الظلم (جنات) بدل
 من الجنة لان الجنة تشتمل
 على جنات عدن لانها جنس
 أو نصب على المدح (عدن)

ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كاشروا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (ومن هدينا
 واجتبتنا) أي هؤلاء ممن أرشدنا واصطفيانا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبتنا على الانام (اذا تتلى عليهم
 آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع بالك أحيى الله تعالى ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
 كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا واخضوا وخشعوا وخوفوا وحذروا والمراد من الآيات ما خصهم به من
 الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعود والوعيد ففيه استحباب البكاء
 وخشوع القلب عند سماع القرآن
 * (فصل) * وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه
 السجدة وقيل يستحب ان قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان قال
 اللهم اجعلني من الباكين اليك والناشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم
 الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين
 لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك ﴿ قوله تعالى ﴾ (خلف من
 بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل
 هم في هذه الامة (أضاعوا الصلوة) أي تركوا الصلوة المفروضة وقيل آخرها عن وقتها وهو ان لا يصل
 الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا الشهوات أنفسم على
 طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزرو بعضهم
 على بعض في الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي وادفي جهنم وان أودية جهنم
 لتستعين حره أعد للزاني المصر عليه وشارب الخمر المدمن له ولا تكل الربا الذي لا ينزع عنه ولا هل
 العتوق وشاهد الزور وقيل هو وادفي جهنم بعد قعر مغيب طعمه يسيل فيحلو دما وقيل هو وادفي جهنم
 أبعد هاقرا أو أشدها حرافيه بترسمي الهيم كلما حبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى
 غيا خسرا نا وقيل هلا كوعذابا وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية
 ﴿ قوله تعالى ﴾ (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعني الامن تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من
 الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا وصف
 الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساكنة اقامة موصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي
 وعد الرحمن عباده بالغيب) أي انهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده ما تبيا) أي
 آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة ما آتيا أي يأتيه أو يلبه الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها الغوا)
 أي باطلا وغشا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لانه
 يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليما وقيل هو تسليم

معرفة لانها علم المعنى العدن وهو الإقامة أو علم لارض الجنة لكونها
 (٢٩ - حازن - ثالث)
 مقام اقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه أضافهم اليه وهو الاختصاص
 هؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة وأهم غائبون عنها لانها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير
 الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (ما تبيا) أي هم ياتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (الغوا) غشا أو كذبا أو مالا طائل تحته من
 الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب الغوا واتقائه حيث نزل الله عنه دارة التي لا تكليف فيها (الاسلاما) أي لكن يسمعون
 سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الاذوا لا يسمعون فيها من العيب والنيقصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل

معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الأكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا ذليل ولانهار ثم لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائهم او الرزق بالبركة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراثا أعمالهم يعني ثمرتها ووعاقبتها وقيل يرثون المساكين التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكا (من كان تقيا) عن الشرك * عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام قال يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل (وما ننزل إلا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فاني لنا أن نتقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فابنت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود وواصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أي لتمسك من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) سميها ومثلا أو هل يسمي أحد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق أي اذا صح

وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) أي له ما قد امنوا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نملك أن نتقل من مكان الى مكان الا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فاني لنا أن نتقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله لما عرفت انه متصف بهذه الصفات (فاعبده) فابنت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود وواصبر على المشاق لاجل عبادة الخلاق أي لتمسك من الاتيان بها (هل تعلم له سميا) سميها ومثلا أو هل يسمي أحد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق أي اذا صح

بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البركة والعشى بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كما عادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه فاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق ولا تقنير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق الذي يؤتيه بالبركة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك ﴿ وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وننزل وقيل يرث عباده المؤمنين المساكين التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده ﴿ قوله عز وجل (وما ننزل إلا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما منعك ان تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل واني كنت أشوق اليك ولكني عبد مأمور واذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما ننزل إلا بأمر ربك وانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ﴿ وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل أ ك ذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لتفاني كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من امر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت الى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين الفختين وهو مقدار أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما سبق من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسيا) أي ناسيا أي ما نسيتك ربك وما تركك (رب السموات والارض وما بينهما) أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض فكان لله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) أي اصبر على أمره ونهيته (هل تعلم له سميا) قال ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحد باسم الله غيره الله ﴿ قوله تعالى (ويقول الانسان) أي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبي بن خلف الجحفي وكان منكر للبعث (أنذا ما مت لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى (أولاد كرا الانسان) أي يتذكروا ويتفكر بعني

أن لا معبود توجبه اليه العباد العباد الا هو وحده لم يكن يدمن عبادته والاصطبر على مشاقها فت أي من خلف عظماء وقال منكر أتبع بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الانسان أنذا ما مت لسوف أخرج حيا) والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو ابعث أي اذا ما مت ابعث وانتصابه باخرج ممنوع لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جمعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد وواضح معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكأنه قال أحقا اناسخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكروة ومنعها انكارهم (أولاد كرا الانسان) خطيف شامى ونافع وعاصم من الذكروالساثر بتشديد الذاو والكاف وأصله يتذكركم فاعترضت التاء في الذاو أي ولا يتسدر والواو عطف لايدكرك على يقول وسط همزة الانكار بين العطاوف عليه وحرف العطف يعني أي يقول ذلك ولا يتذكركم حال النشأة الاولى حتى لا ينكر النشأة الاخرى فان تلك أدل على قدرة الخالق حيث

أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود واما الثانية فليس فيها الا ناليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه بمجموعة بعد التفريق (انا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حاله بقاءه (ولم يك شيئا) هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشئ بخلاف المعتزلة (فور يك لنحشرنهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف وبمعنى مع أوقع أي يحشرون مع قرانهم من الشياطين الذين أغروهم يقرون كل كافر مع شيطان في سلسله وفي اقسام الله باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لسان رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جنيا) حال جمع جاث أي بارك على الركب ووزنه فعول لان أصله جثو وكسجود وساجداى يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم مثلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدمهم (ثم لننزعن من كل شيعة) طائفة شاعت اى تبعت غاويامن الغواية (أيهم اشد على الرحمن عتيا) حجارة أو فجوراى لنحرجن من كل طائفة من طوائف النجى اعنائهم فاعتناهم فاذا اجتمعوا طرحتناهم في النار على الترتيب تقدم اولاهم بالعذاب فالواهم وقيل المراد باشدهم عتيا الرؤساء لتضاعف جرهم (٢٢٧) لكونهم ضالا ومضلين قال سيبويه

أيهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو اشد حتى لو جى معه لا عارب بالنصب وقيل أيهم هو اشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كمان المضاف اليه بوضع المضاف ويخصه فكما ان حذف المضاف اليه في من قبل بوجوب بناء المضاف وجب ان يكون حذف الصلة او شئ منها موجبا للبناء وموضعها نصب بنزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اى لننزعن بعض كل شيعة فكما قالنا قال من هم فقيل أيهم اشد

منكر البعث (انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى اولا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدر واعليه اذلا شك ان الاعادة ثانيا أهون من الابداد اولا ﴿ ثم اقسامه بنفسه فقال تعالى (فور يك) وفيه تشرىف للنبي صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أي لجمعهم في المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جنيا) قال ابن عباس جسات وقيل جاثين على الركب لضمق المسكان وقيل ان البارك على ركبته صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للسكيل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية قلت ووصفوا بالجنوع على العادة اليهودية في مواقف المناقلات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحشرون على ركبهم جثوا (ثم لننزعن) أي لنحرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم اشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعنى حجارة وقيل فجورا وتعدوا وقيل قائدهم ورتيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعنى فالاعنى ممن هو أكبر جرما اشد كفرة اوفى بعض الاخبار انهم يحشرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الا كفرة فالاكفرة من كان اشد منهم ثم ردوا في كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل واجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولي بها صالبا) ولا يقال اولي الامع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار ﴿ قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) أي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمرة أي والله ما منكم من أحد الا واردها والورود هو موافاة المسكان واختافوا في معنى الورد ههنا وفيما تنصرف اليه السكائية في قوله واردها فقال ابن عباس والاكثر من معنى الورد ههنا الدخول والسكائية راجعة الى النار فيدخلها البر والقاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها يدل عليه ما روى أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورد الدخول فقصر ابن عباس انكم وما تعب دون من دون الله حسب جهنم أنتم لها واردون ادخلها هؤلاء ام لا ثم قال يا نافع والله انا وأنت سزدها وأنا أرى جو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بة كذبيك فن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم

عتيا وعلى يتعلق بافعل اى عتوهم اشد على الرحمن (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولي بها) أحق بالنار (صليا) تمييز اى دخولها والباء تتعلق باولى (وان منكم) احد (الواردها) داخلها والمراد النار والورد الدخول عند على وابن عباس رضى الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى فأوردتهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء ا لهما ورودها ولقوله ثم نجي الذين اتقوا اذ النجاة انما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورد الدخول لا يبقى برولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين برودا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن خرابا مؤمن فان نورك أطقألهي وقيل الورد بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورد الحضور لقوله تعالى ولما ورد ما من دين وقوله أولئك عناهم بعدون وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورد المرور على الصراط لان الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورد المؤمن النار هو مس الحى جسده في الدنيا بقوله عليه السلام الحى حظ كل مؤمن من النار وقال جل من الصحابة لا تحرا يقنت بالور ود قال نعم قال ويقنت بالصدر قال قال

انهم لا يحزنهم الفزع الا كبير فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى
يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة
والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام
وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار
قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل
النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم ياقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على
الكفار صار ذلك سبباً لزيد التذاد منهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل
النار مؤمن أبداً قوله تعالى ان الذين سبق لهم من الحسن اولئك عنهم بغير حساب لا يسمعون حسيسها فعلى
هذا يكون المراد من الورود الحضور والروية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور
وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم
الواردها يعني القيامة والكناية بترجعة اليها والقول الاول أصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار
ثم يخرج الله منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما
تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من
المؤمنين ثلاثة من الولد قسمه النار الا تحمله القسم وفي رواية فيلج النار الا تحمله القسم أخرجه في الصحيحين أراد
بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها (م) عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة احدهم من الذين بايعوا تحتها قالت بلى
يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم قد قال الله تعالى ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثثا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم بعد نار بنان ترد النار فيقال
بلى ولكنكم مسرتهم وهي خالدة وفي الجسد يث تقول النار للمؤمن من جرم ما مؤمن فقد أطفا نورك لهي
وروى عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد ورددها وفي الخبر الحكي كبير
من جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكي من فجع جهنم
فأوردوها بالماء قوله فجع جهنم أي وهجه وجرها وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان
ورود جهنم قضاء لازما قضاءه الله تعالى عليهم وأوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها
جثثا) أي جيعا وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في ان صاحب الكبيرة
والفاسق يتخذ في النار بدليل ان الله بين ان الكفر بدونها ثم بين صفته من يخوم منها وهم المشركون والفاسق
لا يكون متقياً في النار أبداً وأجيب عنه بان المتقي هو الذي يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد بحجة
ذلك ان من آمن بالله ورسوله صح ان يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه
متق لان المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد ثبت ان صاحب الكبيرة
متق واذا ثبت ذلك وجب ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي
توهمها دليلاً لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت
أحاديث تدل على اخراج المؤمن الموحده من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه
وزن برقة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرقة من خير وفي رواية من ايمان (ق)
عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل ترى بنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر
ليلة البدر ليس دونه سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سبحانه قالوا لا يا رسول
الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شياً فليتبسح فتم من يتبسح
الشمس ومنهم من يتبسح القمر ومنهم من يتبسح الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فبأيتها الله فيقول

فقيم الضحك وفيه التناقل
(كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودهم
واجبا كما نمتحتوما والحنم
مصدر حتم الامر اذا أوجبه
فسمى به الموجب كقولهم
ضرب الامير (ثم ننجي) وعلى
بالتحفيف (الذين اتقوا)
عن الشرك وهم المؤمنون
(ونذر الظالمين فيها جثثا)
فيه دليل على دخول الكفار
لانه قال ونذروهم يقل ويدخل
والمسذهب ان صاحب
الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه
ثم ينجسوا لا بحالة وقالت
المرجئة الحديث لا يعاقب
لان المعصية لا تضر مع
الاسلام عندهم وقالت
المعتزلة يتخذ

أناو بكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتي نار بنا فاذا جاهر بنا عر فناه فيأ تبهم الله فيقول أناو بكم فيقولون أنت
ر بنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بابعته ولا يتسكلم يومئذ
الارسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيت شوك السعدان
قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمتها الا الله تعالى تحطف الناس بابعالم فهم من
يوق ببعمله ومنهم من يتجدل ثم يتجوح حتى اذا اراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا
من كان يعبد الله فيخرجونهم ويرفونهم بانار السجود وحرم الله على النار أن تاكل أعضاء السجود
فيخرجون من النار وقد امتحشوا فصب عليهم ماء الحياة فينبثون كما تنبت الحبة في جميل السيل ثم يفرغ من
القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول
يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قسيتني ريحها وأحرقني ذكؤها فيقول هل عسيت أن أفعل ذلك بك أن
تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به
على الجنة رأى نكهتها وابتهاج بها سكت ماشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول
الله أليس قد أعطيت الموأنيق والعهد وأن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك
فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى به ماشاء من عهد
وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من المنفعة والسرور فيسكت ماشاء الله أن
يسكت فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرتك أليس قد أعطيت
العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله هز وجل منه ثم
يوذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيه قال الله تمن كذا وكذا أقبل يدك مر به
حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدرى لابي هريرة عشرة أمثلة قال
أبو هريرة قلم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضى الله تعالى
عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثلة وفي رواية للبخاري قال فيأ تبهم الله في غير الصورة التي يعرفونها
فيقول أناو بكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتي نار بنا فاذا أنا عر فناه فيأ تبهم الله في الصورة التي
يعرفونها فيقول أناو بكم فيقولون أنت ربنا فينبثون به * قلت أما ما يتعلق به على الحديث والكلام على
الرواية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيمة وتساكلم ههنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك
السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعى الابل وقوله فهم من يوق ببعمله يقال أبو بقرته
الذئب أي أهلكتهم والمنجدل المرعى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاب الصراط حتى يقع
في النار قوله وقد امتحشوا أي اخترقوا وقيل هو ان تذهب النار الجلود وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة في
جميل السيل الحبة بكسر الخاء وهي البرورات جميعا وجميل السيل هو الزبد وما يليقه الماء على شاطئه قوله قسيتني
ريحها أي آذاني والقشب السم فسكانه قال قد سميت ريحها قوله وأحرقني ذكؤها أي اشتعالها ولها بقوله
رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لا علم آخر أهل النار خروجها ثم آخر أهل الجنة دخولها الجنة يخرج من النار جبروا فيقول الله له اذهب
فادخل الجنة فيأ تبها فيخيل اليه انها ملائمة فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائمة فيقول الله تعالى له اذهب
فادخل الجنة قال فيأ تبها فيخيل اليه انها ملائمة فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائمة فيقول الله تعالى له اذهب
فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أنت سخر بي وأنت الملك
فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله
حتى بدت نواجذه أي اضر اسنانه وقيل هي آخر الاسنان * عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا جمما ثم تدر كهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب
الجنة قال فيرسل عليهم أهل الجنة من الماء فينبثون كما تنبت الحبة في جملة السيل أخرجه الترمذي الحمم

(وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (بينات) ظاهرات الإعجاز وأجساد براهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصداق آيات الله لا تكون الا واضحة وخبجا (قال الذين كفروا) أي مشركو قريش وقد رجوا لشعورهم وتكلموا في زهمهم (الذين آمنوا) للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة (أي الفريقتين) نحن أم أمت (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل (وأحسن ندبا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلالة وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبين لاهمها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) في محل النصب صفة لكم ان ترى انما لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أنا) هو متاع البيت أو ما جسد من الفرش (ورثيا) منظر أو هيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورياب غيرهم من مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسارا مقبلها ثم الادغام أو من الرى الذي هو النعمة (قل من كان في الضلالة) الكفر (فليمدد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أي من كفر مدله الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما نغلي لهم ليزدادوا انما وانما أخرج على (٢٣٠) لفظ الامر ايدان بالوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كما لمؤر به المحتمل ليقطع معاذير الضلال

(حتى اذا رأو ما يوعدون) هي متصلة بقوله خير مقاما وأحسن ندبا وما بينهما اعتراض أي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود أي عسرين (اما العذاب) في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر (واما الساعة) أي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فهما بدلان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وانصارا أي فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن ندبا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجزان متصل بما يليها

الطمع والجمالة كل ما جاء به السبيل فدلّت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون ﴿قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (الذين آمنوا) يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قسافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم زنا ثم كانوا المشركون برجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أغفر ثيابهم (أي الفريقتين خير مقاما) أي منزلا ومسكوا وهو موضع الإقامة (وأحسن ندبا) أي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أنا) أي متاعا وأموا الا و قبل أحسن ثيابا ولباسا (ورثيا) أي منظرنا من الرؤية (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويجهله في كفره (حتى اذا رأو ما يوعدون اما العذاب) أي الاسر والقتل في الدنيا (واما الساعة) يعني القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أي عند ذلك (من هو شر مكانا) أي منزلا (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خيروهم في النار أم المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قوله هم أي الفريقتين خير مقاما وأحسن ندبا ﴿قوله عز وجل (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي ايمانانا وبقائنا على يقينهم (والباقيات الصالحات) أي الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أي عاقبة ومرجعا ﴿قوله تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فأتيتهم أتقاضاه وفي رواية فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفا فحتمته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بحمد فقلت لا أ كفر حتى يمتك الله ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيت فترلت أفرأيت الذي كفر بآياتنا (وقال لاوتين مالا وولدا) الى قوله فردا للذين اهدوا الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر في اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن

والمعنى ان الذين في الضلالة يمددوهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يعاينوا نصر الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هي التي يحكى بعدها الجبل الأخرى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأو ما يوعدون فسيعلمون (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمددو وقوعه موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا ويمدله الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال يتخذ لانه ويزيد المهتمدين أي المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كالأموال الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) بما يفخر به الكفار (وخير مردا) أي مرجع عاقبة تمسك بالكفر لانهم قالوا للمؤمنين أي الفريقتين خير مقاما وأحسن ندبا (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) ثم وضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع ههنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلى جمع ولد كاسد في أسد أو بمعنى الولد كالعرب في العرب ولما كانت رؤية الاشياء طر يقاالى العلم واصحة الخبر عنها استعمالوا رأيت في معنى أخبروا الفاء أفادت التعقيب كانه قال أخبروا أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمر (أطلع الغيب) من قولهم أطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي أنظر في اللوح المحفوظ فرأيت منيته (أم اتخذ عند

الرجح عهدا) موثقان يؤتية ذلك أو العهد كحمة الشهادة وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انهما في العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليفا فتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهابا وفضة فانا افضيك ثم فاني اوفى مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبه على الخطا وهو مخطئ فيما نصوره لنفسه فليردع عنه (سنكتب ما يقول) اي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم نلد في لثمة اي علم وتبين بالانتساب اني لست بآب لثمة (ومدله من العذاب) تزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجترار من المدد يقال مدده وامده بمعنى (مدا) أكد بالصدر لفرط غضبه تعالى (وزنه ما يقول) اي تروى عنه ما زعم انه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حال اي بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جنتهم وانفرادي في ما يجدي عليه غنيمه (٢٣١) وتاليه (واتخذوا من دون الله آلهة)

اي اتخذوا لاهل المشركون أصناما يعبدونها ليكنوا لهم عزا) اي ليعتروا بالآلهتهم ويكونوا لهم شفعا وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكفرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأتم كاذبون أولئك المشركين أي ينكفرون ان يكونوا قد عبدوا الله كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون) أي المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما لان الله تعالى ينطقهم فنعول يارب عذب هؤلاء الذين عبدوا من دونك والضد يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزو المراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضدا لما قصده أي

عهدا) يعني قال لاله الا الله محمد رسول الله وقيل يعني عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة (كلا) ردع عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب ما يقول) أي سنحفظ عليه ما يقول فنجاز به في الآخرة وقيل يأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (ومدله من العذاب مدا) أي تزيده عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (وزنه ما يقول) معناه أي ما عنده من المال والولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا ذلك قوله (و يأتينا) يعني يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يعث في الآخرة بمال وولد ﴿قوله تعالى﴾ (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعمة يعني يكونوا شفعا يمنعونهم من العذاب (كلا) أي ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعني تجعد الاصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرون منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ (لم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي سلطانهم عليهم (توزهم أزا) أي تزعمهم ازعاجا من الطاعة الى العصية والمعنى تخنهم وتخرضهم على المعاصي تخرب يضاد يد في الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات فلا تجمل عليهم) أي لا تجمل بطلب عقوبتهم (انما تعدلهم عدا) يعني اللبالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي أجل لهم ﴿قوله تعالى﴾ (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أي اذ كرههم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيهم من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنته وفدا أي جماعات قال ابن عباس ركانا قال أبوهريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم واسكن على نوق رحالهم من الذهب ونجائب سرور وجهه اواقبت ان هم واهم اسارت وان هم واهم اطارت (ونسوق المجرمين) أي الكافرين (الى جهنم وردا) أي مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كما أنهم نعم عطاش تساق الى الماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثبات على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار ثقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصيح معهم حيث أصبحوا وتسمى معهم حيث مسوا قوله ثقيل معهم حيث قالوا من القبولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف ماشاة وصنف أركبنا وصنف اعلى وجوههم قيل

يكونون عليهم لاهم عزوان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالعنى ويكونون عليهم أي أعداؤهم ضدا أي كفرتهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم يجب تنبيه عليه السلام بقوله (لم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خيلناهم وياهم من أرسلت البعير أطلقته أو سلطانهم عليهم بالاعواء (توزهم أزا) تغربهم على المعاصي اغراء والاز والهز اخوان ومعناهما التهيج وشدة الازعاج (فلا تجمل عليهم) بالعذاب (انما تعدلهم عدا) اي اعمالهم للجزع وانفساهم للفناء وقرأها ابن السمك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فأسرع ما تنفذ (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سرورها يا قوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من برد الماء لردة الالعاش وحقيقة الورد المسير الى الماء فيسمى به الواردون فالورد جمع وافد كركب رركب والورد جمع وارد ونصب يوم تحشر أي يوم نحشر ونسوق بالظن يقين مالا يوصف أي اذ كر يوم تحشر ذكرا المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي غرهم برحمته كما يهد الوافد على الملوك تحيلا لهم والكافرون بانهم مساقون

الى النار كما قاتلهم نعم عظام يساقون الى الماء استخفافهم (لا يملكون الشفاعة) حال والواوان جعل ضمير فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين
 والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كقاي في أ كلو في البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ
 رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقد ر حذف المضاف أي الاشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الا
 من اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر
 السموات والارض علم الغيب والشهادة اني أعهد اليك اني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك انت
 تكفي الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وانى لا أتق الا بربك فاجعل لي عهدا توفيني به يوم القيامة فانك لا تتخلف الميعاد فاذا قال
 ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فميدخلون الجنة أو يكون من عهد
 الامير الى فلان بكذا اذا أمر به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي النصاري واليهود ومن زعم أن
 الملائكة بنات الله (لقد جنتم شيئا عدا) (٢٣٢) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات أو أمر نبيه عليه السلام بأنه يقول لهم ذلك

بارسول الله كيف عشون على وجوههم قال ان الذي أمسأهم على أقدامهم قادر على أن يشبههم على
 وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حسب وشوك أخرجه الترمذي قوله عز وجل (لا يملكون
 الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل
 لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أي لا يشفع الا للمؤمنين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن
 زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جنتم شيئا عدا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم
 قولوا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أي تحسف بهم
 (وتنخر الجبال هدا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أي من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت
 ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض ونحر الجبال ومن أين توثر هذه الكرامة في هذه الجبال قلت
 فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كذبت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه
 الكرامة غضبا مني على من تفوهوا بالوحلي وانى لا أعجل بالعقوبة الثانية ان يكون استعظاما للكامة
 ونحوه يلا من فظاعتها وتصو بالأثر في الدين وهدمها لركانه وقوا عده قال ابن عباس فزرعت السموات
 والارض والجبال وجميع الخلائق الاثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا
 اتخذ الله ولدا ثم زعم الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي
 ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد ان يكون شبيها بالوالد ولا يشبهه الله تعالى ولان اتخاذ الولد انما
 يكون لا غرض لانص في الله تعالى من سرور به واستعانة وذ كرجيل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى
 (ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) أي آتية يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان
 الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من
 أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي وحيدا ليس معه من أحوال
 الدنيا شيء قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قبل يحبهم الله

والاد الجب أو العظيم
 المنكر والادة الشدة وأدنى
 الامر أنقلني وعظم على
 اذا (تكاد السموات)
 تقربو بالياء نافع وعلى
 (يتفطرن) وبالنون بصري
 وشاحى وجزء وخلف وأبو
 بكر الانفطار من فطره اذا
 شقه والتفطر من فطره اذا
 شققه (منه) من عظم هذا
 القول (وتنشق الارض)
 تحسف وتنفصل أجزاءها
 (وتنخر الجبال) تسقط
 (هدا) كسرا أو قطعاً أو
 هدما والهدنة صوت الصاعقة
 من السماء وهو مصدر رأى
 تهددا من سماع قولهم
 أو مفعول له أو حال أي
 مهدودة (أن دعوا) لان
 سموا ومحل جر بدل من

الهة في منه أو نصب مفعول له علل الخرو بالهد والهد يدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أي هدا هداؤهم
 (للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع يعنى اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلالانه محال غير داخل
 تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد الحاجة وبجانبه وهو منزعه عنهم وفي اختصاص الرحمن وتذكر بركات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا
 الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك عطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فن أضاف اليه الولد فقد جعله كبعض
 خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نكرة موصوفة صفتها (في السموات والارض) وخبر كل (الا آت الرحمن) ووجد
 آتى وآتية جملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من آتى وهو مستقبل أي يأتيه (عبدا) حال أي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات
 والارض من الملائكة والناس الا هو يأتي الله يوم القيامة مقرا بالعبودية والعبودية والنموة تتناقبان حتى لو ملك الاب ابنه يعق عليه ونسبة
 الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم
 وعدهم عدا) أي حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلا مال ولا ولد أو بلا
 معين ولا ناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم ويحبهم الى الناس وفي

الحديث يعطى المؤمن معق في قلوب الارزومهاية في قلوب الفجار وعن فتادة وهم ما قبل العبد الى الله الا قبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر بعد ثناء في الارض حتى يستقر في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغت حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذره قومالدا) شدا في الخصومة بالباطل أي الذين ياخذون في كل ليد أي شق من (٢٣٣) المرء والجدال جمع الذي يريده أهل مكة (وكم أهلنا كما قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادرنال بالحاسة (أو تسمع لهم وكزا) صوتا خفيا ومنه الر كزا أي لما آتاهم عذابنا لم يبق شخص يري ولا صوت يسمع يعني هل كوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهالك فليهن عليك أمرهم والله أعلم * (سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي) *

تعالى ويحبهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبد ادع جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاجبه فيجبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فاجبه فيجبه أهل السماء في الأرض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دع جبريل فقال اني أحب فلانا فاجبه فيجبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاجبه فيجبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض واذا أبغض الله عبدا دع جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضه ثم يوضع له البغض في الأرض قال هرير بن حبان ما قبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا قبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا تحب في الأرض حتى يكون ابتداء من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض وتصدق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذره) أي بالقرآن (قومالدا) أي شدا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل اللد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدي الباطل (وكم أهلنا كما قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بوعظة بليغة لانهم اذا علموا أو يقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحد من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم وكزا) أي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تعالى ويحبهم الى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبد ادع جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاجبه فيجبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فاجبه فيجبه أهل السماء في الأرض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبدا دع جبريل فقال اني أحب فلانا فاجبه فيجبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاجبه فيجبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض واذا أبغض الله عبدا دع جبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فابغضه ثم يوضع له البغض في الأرض قال هرير بن حبان ما قبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا قبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا تحب في الأرض حتى يكون ابتداء من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض وتصدق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذره) أي بالقرآن (قومالدا) أي شدا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل اللد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدي الباطل (وكم أهلنا كما قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بوعظة بليغة لانهم اذا علموا أو يقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحد من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم وكزا) أي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

* (تفسير سورة طه) *

* (وهي مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية وألف وستمائة واحد وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا) *

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكراول وأعطيت طه والطوا سين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافله النافله الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يانسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالعبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يانسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه ط الأرض بقديمك يريده في التهجيد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي) أي لتعني وتتعب (الاتد كره لمن يخشى) أي لسن أنزلناه عظمتان

(٣٠ - خازن) - ثالث) ظاهر اوقع موقع المظهر لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم (لتشقي) لتتعب لفرط تأسفتك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى ثورت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الاتد كره) استثناء منقطع أي لئلا يكون أنزلناه تد كره أو حال (لمن يخشى) ان خاف الله أول من يؤل أمره الى الخشية

(تنزيلاً) بدل من تذكرة إذا جعل حالاً ويجوز أن ينتصب بنزل مفعول أو على المدح أو يخشى منه ولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل
الله (من خلق الأرض والسموات) من يتعلق بتنزيلاً صله له (العلي) جمع العلياء تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلي دليل ظاهر على عظم
قدرته خالقها (الرحمن) رفع على المدح أي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ محذوف (استوى) استولى عن الزجاج وتنبه بذكر العرش وهو
أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعله كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على
العرش أي ملك وان لم يقعد على السرير (٢٣٤) البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأساً والمذهب قول

على رضى الله عنه الاستواء
غير مجهول والتكليف غير
معقول والإيمان به واجب
والسؤال عنه بدعة لأنه
تعالى كان ولا مكان فهو على
ما كان قبل خلق المكان لم
يتغير عما كان (له ماني
السموات وماني الأرض)
خبر ومبتدأ ومعطوف
(وما بينهما) أي ذلك كله
ملكه (وما تحت الترى)
ما تحت سبع الأرضين أو
هو الصخرة التي تحت
الأرض السابعة (وان
تجهر بالقول) ترفع صوتك
(فانه يعلم السر) ما أسررت
إلى غيرك (وأخفى) منه
وهو ما أخطرت به ببالك أو
ما أسررت في نفسك وما
استسره فيها (الله لا اله الا
هو له الاسماء الحسنى) أي
هو واحد بذاته وان افرقت
عبادات صفاته رد لقولهم
انك تدعوا آلهة حين دعوا
اسماءه تعالى والحسنى
تأنيث الاحسن (وهل)
أي وقد (أناك حديث
موسى) خبره ففاه بقصة
موسى عليه السلام ليتأني

يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتهجون بها (تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى)
أي من الله الذي خلق الأرض والسموات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظامها وعلاها الا الله تعالى
(الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له ماني السموات وماني
الأرض وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الترى) أي انه مالك الجميع ماني الاربع الاقسام والنبرى هو
التراب الندى وقيل معناه ما وراء الترى من شئ وقال ابن عباس ان الأرضين على ظهر الثور والثور على بحر
ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها
الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الترى ولا يعلم ما تحت ذلك الترى الا الله تعالى
وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بجزر او احدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يست
قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أي تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما أسررت في نفسك
وأخفى من السر ما يليقه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم
ما أسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما أسر به غدا وعنه ان السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو
فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسر الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه وقيل السر هو العمل
الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من
عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبايح الظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في
الطاعات الظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاختفاء على ما فيه ثواب أو عقاب
فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاختفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد
نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذي فضلت به أسماءه في الحسن
دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتعظيم والروبية والافعال التي هي النهاية
في الحسن قوله عز وجل (وهل أناك حديث موسى) أي وقد أناك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأني به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والاصبر
على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى ناراً) وذلك ان موسى استأذن
شعيباً في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأطاف فاذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء
فاخذ على غير الطريق بخفاة ملوك الشام وامر أنه حامل في شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهار افسار في البرية
غير عارف بطريقها فأجاء المسير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلمجة شاتية شديدة البرد
لما أراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر ناراً من بعيد عن يسار
الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكنوا) أي أقموا (اني آنست ناراً) أي أبصرت ناراً (لعل آت بكم
منها بقبس) أي شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على
الطريق (فلما أناها) أي أتى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تتقد

به في تحمل اعباء النبوة فالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما ناله موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أي
حين رأى (ناراً) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيباً في الخروج الى أمه وخرج بأهله فولد
له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلمجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقد حفر فصلد زنده فرأى عند ذلك ناراً في زعمه وكان نوراً
(فقال لاهله امكنوا) أقموا في مكانكم (اني آنست) أبصرت (ناراً) والابناس رؤية شئ يؤنس به (لعل آت بكم منها) بنى الامر على الرجاء
لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به (بقبس) نار مقتبس في رأس عود أو فتيلة (أو أجد على النار هدى) ذوى هدى أو قوم ما جسدوني الطريق
ومعنى الاستعلاء في على النار ان أهل النار يستعملون المكان القريب منها (فلما أناها) أي النار وجد ناراً بيضاء تتقد في شجرة خضراء من

من أسفها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحد ورؤى انه كلما طمها بعدت عنه فاذا رگاها فرث منه فثم (نودي)
 موسى (ياموسى انى) بكسر الهمزة أى نودي فقبل ياموسى انى أولان النداء ضرب من القول فهو عمل معاملة وبالفتح مكي وأبو عير وأى نودي
 بآنى (أنار بك) أنامبتدأ أو تآ كيد أو فصل وكررا الضمير لتحقيق المعرفة فوامطة الشهير وى انه لما نودي ياموسى قال من التمسك فقال الله
 عز وجل أنار بك فعرف انه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه (فاخلع نعليك) انزعهما نصيب
 قدميك بركة الوادى المقدس أولانها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ أولان الخنوق فواضع (٢٣٥) لله ومن ثم طلف السلف بالكعبة

حافين والقرآن يدل على
 أن ذلك احترام للبقعة
 وتعظيم لها فخلعها
 وألقاهما من وراء الوادى
 (انك بالواد المقدس) المطهر
 أو المبارك (طوى) حيث
 كان متون شامى وكوفى
 لانه اسم علم للوادى وهو
 بدل منه وغيرهم بغير
 تنوين بتأويل البقعة
 وقرأ أبو زيد بكسر الطاء
 بلا تنوين (وأنا اخترتك)
 اصطفيتك للنبوّة وأنا
 اخترتك حجة (فاستمع
 لما وصى) اليك الذى يوصى
 أولوحي واللام يتعلق
 باستمع أو باخترتك (انى
 أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)
 وحيدنى وأطعنى (وأقم
 الصلوة لذ كرى) لتذ كرى
 فيها لا شممال الصلاة على
 الأذكار أولان ذ كرى
 فى الكتب وأمرت بها أو
 لان أذ كرك بالمذبح والثناء
 أولاد كرى خاصة لا تشوبه
 بذ كرى - يرى أولئك يكون
 لى ذا كرى - ناس أو
 لاوقات كرى وهى مواقيت
 الصلاة بقوله ان الصلاة
 كانت على المؤمنيين كتابا

كأضواء ما يكون فلا ضوء النار بغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة بغير ضوء النار قيل كانت الشجرة
 غرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن
 ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى نارابل كان نوراذ كرى بلفظ النار لان موسى عليه
 الصلاة والسلام حسب ما قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى
 حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبى موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جابه
 النار لو كشفها لاهلكت سموات وجهها انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قبل ان موسى أخذ شيئا
 من الخشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كما نادى نأت عنه واذ نأى نأت منه فوقف متخيرا وسمع تسبيح
 الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودي ياموسى انى أنار بك) قال وهب نودي من الشجرة فقيل
 ياموسى فاجاب سر يعاومايدرى من دعاه فقال انى أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأمن أنت فقال أنا فوقك
 ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فلم اس ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فابقن به وقيل انه سمعه بكل أجزائه
 حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا لله وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود مروعا
 فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت و يروى غير مدبوغ وانما أمر بخلعهما ماصبانه للوادى
 المقدس وقيل أمر بخلعهما ليمسها بقدميه تراب الارض المقدسة لثقله بركتها فانها قد ست مرتين فخلعهما
 موسى فالتقاهما من وراء الوادى (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) اسم الوادى الذى حصل فيه
 وقيل طوى واد مستدير عيق مثل الطوى فى استدارته (وأنا اخترتك) اصطفيتك رسالانى وبكلامى (فاستمع
 لما وصى) فيه نهاية الهيبة والجلال له كانه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأمله (انى أنا الله لا اله الا أنا
 فاعبدنى) ولا تعد غيرى (وأقم الصلوة لذ كرى) أى لتذ كرى فى مواقيت الصلاة خاصة لا تشوبه بذ كرى
 غيرى وقيل لا خلاص ذ كرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولا تصدبها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت
 صلاة ثم ذكرت فالتقها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسى صلاة فليصل
 اذا ذكرها لا ككفارة لها الا ذلك وتلا فتادة وأقم الصلوة لذ كرى وفى رواية اذا قرأ أحدكم عن الصلاة أو غفل
 عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلوة لذ كرى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال
 أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لك إذ كره ذلك على عادة
 العرب اذا باب الغوا فى السكتمان للشئ يقولون كتمت سرى فى نفسى أى أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى
 عليه شئ والمعنى فى اخفائها التحويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل
 وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى
 الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا
 لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت مخافة معاجلة
 الاجل وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنهما) لا يؤمن
 بها) أى فلا يصدك عن الايمان بالساعة ومحبتهم من لا يؤمن بها (واتبع هواه) أى مراده وخالف أمر الله

موقوتاً وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها او اذا أصبح يتقدم بحدف المضاف أى لذ كرى صلاتى وهذا دليل على انه لا فرق بينة بعد التوحيد أعظم
 منها (ان الساعة آتية لا محالة) (أ كاد) ار يد عن الاخفش وقيل صله (اخفيها) قيل هو من الاضداد أى أظهرها أو أسترها عن العباد فلا
 أقول هى آتية لا رادنى اخفائها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها
 فى كل وقت لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنهما) فلا يصدك عن العمل
 للساعة أو عن اقامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) فى مخالفة أمره

(فتردى) فتهلك (وماتك) بيمينك يا موسى) ما مبدأ أو تلك شجرة وهي بمعنى هذه وبيمينك حال عمل فهماعنى الإشارة أى قارة أو مأخوذة بيمينك
أوتلك موصول صلته بيمينك والسؤال للنبية لتقع المعجزة بها بعد التثبث أو لانه وطين للتلابول انقلابها حية أو لانه يناس ورفع الهيمة للمكاملة
(قال هي عصا أتو كأعليها) أعتمد عليها إذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمي) انخطب ورق الشجر على
غنمي لتأكل (ولي فيها) حفص (ما رب) جمع ماربة بالحر كالتلث وهي الحاجة (أخرى) والقياس آخر وإنما قال أخرى ردا الى الجماعة
أولسقى الآتى وكذا الكبرى ولما (٢٣٦) ذكر بعضها شكر أجل الباقي حيا عن التطويل أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام

(فتردى) أى فتهلك قوله عز وجل (وماتك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه
على انه اصاح حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصا) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها
سنان ولها محجن واسمها نبعة (أو كأعليها) أى أعتمد عليها اذا مشيت واذا أعيت وعند الوتية (وأهش بها
على غنمي) أى أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها ما رب أخرى) أى حاجة
ومنافع أخرى وأراد بالما رب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحملها الزاد ويشدهم بالجليل
ويستقيهم الماء من البئر ويقتلهم بالحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا نعدور وروى عن ابن عباس
ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحذره وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل كل
يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتبهى ثم ركزها فتنصير غصن تلك الشجرة وتورق
وتثمر واذا أراد الا استقام من البئر اذ لاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كدلو حتى يستقي وكانت
تضئ بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أى
انبذها واطرحها قال وهب بن موسى أنه يقول ارفضها (فألقها) أى فطرحها على وجه الرفض ثم حانت
منه نظرة (فاذا هي حية) صفرا من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) أى تسمى بسرعة على بطنها وقال في
موضع آخر كأنها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كأنها ثعبان وهو أكبر
ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن
ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل
انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العاصية من أعظم ما يكون
من الحيات وصارت شعبتها شديقا لها والمحجن عنقا وعرفهم بتر كالبنازل وعينها هينة قدان كالنار تمر
بالصخرة العظيمة مثل الخلق من الابل فتلقمها وتصف الشجرة العظيمة بانباها ويسمع لانباها صريرها
عظيما فلما عين ذلك موسى ولي مدبرا وهرب ثم ذكر به فوقف استحيا منه ثم نودي يا موسى أقبل وارجع
حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) أى بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما بقي
آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده في فمها وأخذ
بلحيتها (سنعدها سيرتها الاولى) أى الى هيئتها فتردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف
قد دخلها بعد فلما قال الله تعالى له خذها ف طرف المدرعة على يده فامر الله تعالى أن يكشف يده فكشفها
وذكر بعضهم انه لمالف كم المدرعة على يده قال له ملك أ رأيت لو أمر الله بما تحاذره أ كانت المدرعة
تغني عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي
عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا تو كما قال المفسرون أراد الله تعالى أن
يرى موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر علم الخلق ولثلا يفر عن منها اذا ألقها عند فرعون قوله

والمأرب الاخر انها
كانت تماشيه وتحذره
وتحارب العدو والسباع
وتصير شاء فتطول بطول
البئر وتصير شعبتها دلو
وتكونان شعبتين بالليل
وتحمل زاده ويركزها فتمر
غمرة يشتهيها ويركزها
فينبع الماء فاذا رفعها تنضب
وكانت تقيه الهوام والزيادة
على الجواب لتعداد النعم
شكرا أو لانها جواب
سؤال آخر لانه لما قال هي
عصا قيل له ما تصنع بها
فاخذ ابعدها منافعها (قال
ألقها يا موسى) اطرح
عصاك لتفزع مما تتكى
عليه فلا تسكن الابنا وترى
فيها كنه ما فيها من المأرب
فتعتمد على سنان المطالب
(فألقها) فطرحها (فاذا
هي حية تسمى) تسمى سر يعا
قيل انقلب ثعبانا يبتلع
الصخر والشجر لماراها
تبتلع كل شئ تخاف وانما
وصف بالحية هنا بالثعبان
وهو العظيم من الحيات
وبالجان وهو الدقيق في
غيرها لان الحية اسم جنس

يقع على الذكر والانثى والغير والكبير وجزان تنقلب حية صفرا قدوة ثم يترابجر مها حتى تصير ثعبانا فافرد بالجان أول
حالهوا بالثعبان ما ألقها أولانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحيها أو بعون ذراعا ولما (قال) له ربه (خذها ولا تخف)
بلغ من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها (سنعدها) سيرتها (اولى) ثانياً الاول والسيرة الحالة التي يكون عليها
الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهى في الاصل فعله من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانصبت على
الغارف أى سنعيدها في طريقها الاولى أى في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وارى ذلك موسى عند مخاطبة لثلا يفر عن منها اذا
انقلب حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال

(واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد وجناخا الانسان جنباه والاصل المسماة بجناخ الطائر مما جناحين لانه يجنحهما أي
 عليهما عند الطيران والمعنى ادخلهما تحت عضدك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس يعشى البصر (من غير سوء) برص (آية
 أخرى) النبوة بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء صله بيضاء كقولك ابيضت من غير سوء وجاز ان ينصب آية بفعل تحذف يتعلق به الامر
 (لنريك من آياتنا الكبرى) أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك من آياتنا الكبرى العظمى أو لنريك من آياتنا
 الكبرى من آياتنا والمعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى (اذهب الى فرعون انه طغي) جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية ولما
 أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى وعرف انه كاف أمر اعظيما يحتاج الى صدر فسيح (قال رب اشرح لي صدري) وسعه ليحتمل الوحي والمشاق
 وردى الاخلاق من فرعون وجنده (ويسرلى أمرى) وسهل على ما أمرتني به من تبليغ (٢٣٧) الرسالة الى فرعون وشرح لي صدري
 أكد من اشرح صدري

لانه تكرير للمعنى الواحد
 من طريق الاجمال
 والتفصيل لانه يقول اشرح
 لي ويسرلى علم ان ثمة
 مشروحا وميسرا ثم رفع
 الابهام بذكر الصدر
 والامر (واحلل) افتح
 (عقدة من لساني) وكان
 في لسانه زنة للجحمة التي
 وضعها على لسانه في صباه
 وذلك ان موسى أخذ الحبة
 فرعون ولطمه لطمه
 شديدة في صغره فاراد قتله
 فقالت آسية أم الملك انه
 صغير لا يعقل فجعلت في
 طشت نارا وفي طشت
 يواقيت ووضعتهما لدى
 موسى فقصد اليواقيت
 فمال الملك يده الى النار
 فرقع جرة فوضعها على
 لسانه فاحترق لسانه فصار
 لكنته منها وروى أن يده
 احترقت واجتهد فرعون
 في علاجها فلم تبرأ ولم ادعاه

تعالى (واضمم يدك الى جناحك) أي الى ابطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة
 (من غير سوء) أي من غيب وبعيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليد له نور ساطع يضيء بالليل
 والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدق سوي العصا (لنريك من آياتنا
 الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغي) أي جاوز
 الحد في العصيان والتمرّد وانما خص فرعون بالذكرة مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية
 وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق
 برسالتى وانك تبعى وسعوى وان معك يدي وبصرى وانى ألبسك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في
 أمرى بعينك الى خلق ضعيف من خلق بطر نعمتى وأمن مكبرى حتى تجد حقي وأنكر ربوبيتى وانى أقسم
 بعزى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني فبلغه
 رسالتى وادعاه الى عبادتى وحذرة قمتى وقوله لا لبنا لا يعتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يتنفس الا
 بعلمى قال فسكت موسى فغاب عنه قال له أجبز بك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لي صدري) أي وسعه
 للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا الشدة شوكته
 وكثرة جنوده فكان يضيق بما كاف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان
 أحد الايقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر
 لي أمرى) أي سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك ان
 موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمه وأخذ بالحبة فقال فرعون لامرأته آسية ان
 هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردتة الى فرعون
 فنشأ في حجره وجر امرأته بريدانه واتخذاه ولدافينة ما هو يلعب بين يدي فرعون ويده فضيب اذ رفعه
 فضر به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم يقتله فقالت آسية أم الملك انه صبي لا يعقل حربه
 ان شئت فجاءت بطشتين في أحدهما حجر وفي الآخر جوهر فوضعهما بين يدي موسى فاراد أن يأخذ الجواهر
 فأخذ حجر بل يده موسى فوضعها على الحجر فأخذ جرة فوضعها فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يقهوا
 قولى) أي احل العقدة كي يفهموا قولى (واجعل لي رزقاً من أهلى) أي معينا يظهر اولوز بر من يوزرك
 ويحتمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لسانا
 وأجل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أفنى جعدا (أشد دبه أزرى) أي قوبه طهرى (وأشركه
 في أمرى) أي في أمر النبوة وتبليغ الرسالة (كى نسجك كثيرا) أي نصلى لك كثيرا (ونذرك كثيرا) أي

قال الى أي رب تدعوني قال الى الذى أرى يدي وقد عجزت عنها ومن لساني صفة العقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بأنه لم تزل
 العقدة بكما لها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي رزقا) ظهيرا أعتمد عليه من الوزر النقل لانه يتحمل
 عن الملك أوزاره وموثته أو من الوزر المجلألان الملك يعتم برأيه ويلتجئ اليه فى أمور أو معينان الموازنة وهى المعاونة فوزيرامفجول أول
 لاجعل والثانى (من أهلى) أولوزيرامفجولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزيراقوله (أخى) بدل أو عطف بيان آخر ووزيراهرون
 مفعولاه وقدم ثابتهما على أولهما عناية بامر الوزارة (أشد دبه أزرى) قوبه طهرى وقيل الازرق القوة (وأشركه فى
 النبوة والرسالة واشددوا شركه على حكاية النفس شامى على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كى نسجك) نصلى لك ونترهك تسبىحا
 (كثيرا ونذرك كثيرا) فى الصلوات ونارحها

(انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قد اوتيت سؤلك يا موسى) اعطيت مسؤلك فالسؤل الطلبة فعل ماضي
 مفعول كبر معني محبوب سؤلك بلا همزا او عمرو (واقدمنا) انعمنا (عليك مرة) كرامة (أخرى) قبل هذه ثم فسر هاقال (اذ اوحينا الى
 أمك ما وحي) الهاما أو مناما حين ولدت وكان فرعون يقتل أمك واظرف لنا ثم فسر ما وحي بقوله (ان اقد فيه) القبه (في التابوت)
 وان مفسره لان الوحي بمعنى القول (فاقد فيه في اليم) النيل (فيلقيه اليم بالساحل) الجانب ويسمى ساحلا لان الماء يسحله أي يقشره
 والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الاخبار أي يلقيه اليم بالساحل (ياخذ عذوق وعذوقه) يعني فرعون والضمائر كلها راجعة الى موسى
 ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت يفضي الى تناثر النظم والمقدوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في
 جوف التابوت روي أنها جعلت في التابوت قطنا محلو جاقوضعة فيه وقبرته ثم اقمته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فيبينما
 هو جالس على رأس بركة مع آسية (٢٣٨) اذ ابالتابوت فامر به فانخرج ففتح فاذا بصي أصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا

فذلك قوله (واقبت عليك) فحمدك ونسني عليك بما أوليتنا من جميل نعمك (انك كنت بنا بصيرا) أي تخبير اعلمها (قال) الله تعالى (قد
 اوتيت سؤلك يا موسى) أي اعطيت جميع ما سألته (واقدمنا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه المرة ثم بين
 تلك المنية بقوله تعالى (اذ اوحينا الى أمك ما وحي) أي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (ان
 اقد فيه في التابوت) أي ألهناها أن اجعليه في التابوت (فاقد فيه في اليم) يعني نهر النيل (فيلقيه اليم
 بالساحل) يعني شاطئ البحر (ياخذ عذوق وعذوقه) يعني فرعون فاخذت تابوتنا وجعلت فيه قطنا ووضع
 فيه موسى وقبرته رأسه وشقة وقعه ثم اقمته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فيبينما فرعون
 جالس على البركة مع امرأته آسية اذ اهو بتابوت يحيى به الماء فامر الغلمان والجوارى بان يخرجه فاخرجوه
 وفتحوا رأسه فاذا بصي من أصبح الناس وجها فاماراه فرعون أحبه بحيث لم يقالك نفسه وعقله فذلك قوله
 تعالى (واقبت عليك بحببة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه فقبل ماراه أحبا لأحبه ملاحظة كانت
 في عيني موسى (ولتصنع على عيني) لترى ويحسن اليك وانما امر عليك كما راى الرجل الشيء
 بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشى أخذك) واسمها مريم معتر فتخبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله)
 أي على امرأة ترضعه ونضغه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أحتم ذلك قالوا نعم فجاءت
 بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك كي تقر عينها) أي بلقائك وورثتك (ولا تحزن)
 أي وليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذلك اثنى
 عشرة سنة (فحيثك من الغم) أي من غم القتل وكرهه (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا
 وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الذنون وقوعه في محنة به مدح محنة وخاصة الله تعالى منها وأنها ان أمه
 حملته في السمعة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الامن
 ثدي أمه ثم أخذته بالحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الجوهره ثم قتله القبطي وخروجه
 الى مدين خافقا (فلبثت) أي مكثت (سنين في أهل مدين) هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب
 اليها موسى قال وهب لبت موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة شعيب من مدينتي شعيب من مدينتي شعيب
 صفورا ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثني عشرة سنة
 هاربا (ثم جئت على قدير يا موسى) أي جئت على القدر الذي قدرت أن تجي عنده قبل على رأس أربعين
 سنة وهو القدر الذي وحي الى الانبياء فيه (واصطنعك لنفسي) أي اخترتك واصطنعتك لوحي ورسالتى

فذلك قوله (واقبت عليك بحببة مني) يتعلق مني بالحب
 يعني اني أحببتك ومن
 أحبه الله أحبته القلوب
 فمراة أحد الأوجه قال
 قتادة كان في عيني موسى
 ملاحظة ماراه أحد الأوجه
 (ولتصنع) معطوف على
 محذوف تقديره واقبت
 عليك بحبة لتحب وتضع
 (على عيني) أي لترى
 برأي مني وأصله من صنع
 الفرس أي أحسن القيام
 عليه يعني أمار عينك
 ومراقبتك كما راى الرجل
 الشيء بعينه اذا اعتنى به
 ولتصنع بسكون اللام
 والجزم زيد على أنه أمر
 منه (اذ تمشى) بدل من اذ
 اوحينا لان مشى أحتمه كان
 منته عليه (أخذك فتقول
 هل أدلكم على من يكفله)
 روي ان أحتمه من جماعات
 معروفة خبره فصادفتم

يطالبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيريه وأرادت بذلك لتصرف
 المرضعة الام وتذ كبر الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فردتاك (الى أمك) كإعوانها بقولنا نا
 رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقلت نفسا) قبطيا ككفرا (فحيثك من الغم) من القود قبل الغم القتل بلغة
 قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فعقر الله به باستغفاره قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاء
 من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بما يقا عليك في المحن وتخلصك منها والمطون صدر كما تعود أو جمع
 فتنة أي فتناك ضرور يا من الفن والفننة المحن وكل ما يبتلى الله به عباده فتنة وتبليوك بالشروا والخير فتنة (فلبثت سنين في أهل مدين) هي بلدة
 شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبت موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة شعيب من مدينتي شعيب من مدينتي شعيب
 صفورا ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده ثمان عشرة
 سنة بهد حاجتي ولده أولاد (ثم جئت على قدر يا موسى) أي موعدوم مقدار لارسالة وهو أربعون سنة (واصطنعك لنفسي) اخترتك واصطنعتك

لوحى ورسالتى لتصرف على ارادتي ومحبتى قال الزجاج اخترت لك لامرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقى كما في آيت عليهم الحجة
وخطابتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتي) بمحجزاتي (ولاتيا) تفتر من الونى وهو الفتور والتقصير (في ذكري) أي اتخذاذ كرى جناحا
تطيران به أو أريد بالذ كرى تبليغ الرسالة فالذ كرى يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهب إلى فرعون) كمرلان الأول
مطلق والثاني مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية فقوله قولنا (الطغى في القول له) من حق تربيته موسى أو كنيته وهو من ذوى
الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة أو عدها شببا بالاهرم بعده وما كالا ينزع عنه الاباوت وهو قوله هل لك إلى أن تزكى وأهديك
إلى ربك فتحشى فظاهر الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أي يتعظ ويتأمل فيذعن (٢٣٩) للحق (أو يحشى) أي يخاف أن يكون
الامر كما تصفان فيجرحه انكاره

الامر كما تصفان فيجرحه انكاره
الى الهلكة وانما قال لعله
يتذكر مع علمه انه لا يتذكر
لان الترحى لهما أي اذها
على رجائكما وطمعكما وباشرا
الامر مباشرة من يطمع أن
يشترجه ويجدوى ارسالها
اليه مع العلم بانه لن يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل
معناه لعله يتذكر متذكر
أو يحشى خاش وقد كان ذلك
من كثير من الناس وقيل
لعل من الله تعالى واجب
وقد تدكر ولو كان حين لم
ينفعه التذكر وقيل تدكر
فرعون وحشى وأراد اتباع
موسى فنفسه همامان وكان
لا يقطع أمرادونه وتليت
عند يحيى بن معاذ فبكى وقال
هذا رفقتك بن يقول أنا له
فكيف بمن قال أنت الاله
وهذا رفقتك بمن قال أنا
ربكم الاعلى فكيف بمن قال
سبحان ربى الاعلى (فالار بنا
اننا نخاف أن يفرط علينا)
يعجل علينا بالعقوبة ومنه
الغارط يقال فرط عليه أي
بجمل (أو أن يطغى) يجوز

لتصرف على ارادتي ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترت لك
لامرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقى كما في الذى آيت عليهم الحجة وخطابتهم (اذهب
أنت وأخوك بآياتي) أي بدلائلي قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التي بعثت بها موسى عليه السلام (ولا
تنبأ) أي لا تضعف وقيل لا تفتر ولا تقصرا (في ذكري) أي لا تقصر في ذكري بالاحسان اليكما والانعام
عليكما ومن ذكرا النعمة شكرها (اذهب إلى فرعون انه طغى فقوله قولنا (الطغى في القول له) من حق تربيته موسى وقيل
عباس لا تعنفا في قواكما وقيل كنيته فقوله يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أريد بالقول الذين قوله
هل لك إلى ان تزكى الآية وقيل انما أمرهما بالاطاعة له من حق تربيته موسى وقيل عدها على قبول الايمان
شببا بالاهرم وما كالا ينزع عنه الاباوت وتبقى عليه لذة الطعام والشرب والمنسكج الى حين موته واذا مات
دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمراده وهامان وكان غائبا فلما قدم أخبره
بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا وأيا أنت رب تريد
أن تكون مربوباً وأنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فقل لي على رأيه وكان هرون بمصر
فأمر الله موسى أن يأتي هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلقاه الى مرحلة وأخبره بما
أوحى اليه ﴿وقوله تعالى﴾ (لعله يتذكر أو يحشى) أي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر
وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذها على رجاء منك وطمع وقضاء الله وراء امر كما وقيل
هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أن أهل كاهنهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لو لا أرسلت لنا
وسولا فنسب آياتك وقيل هو يصرف الى غير فرعون بجار لعله يتذكر متذكر كرا أو يحشى خاش اذا رأى
بترى والطائفي بن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تدكر فرعون وحشى
حين لم تنفعه الذكري والحشمة وذلك حين أجه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقوله قولنا
لينا الآية فبكى يحيى وقال الهسى هذا رفقتك بن يقول أنا الاله فكيف رفقتك بمن يقول أنت الاله (قالا) يعنى
موسى وهرون (ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يجعل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى)
أي يجاوز الحد في الاساءة لنا (قال) الله تعالى (لاننا نخاف اننى معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما
فأجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهنما (فأتياه فقولا انار سولار بك) أي أرسلنا اليك
ربك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تعذبهم في العمل
وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك
بآية من ربك) قال فرعون وماهى فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة
وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعينا من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام
التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انافد أوحى اليك ان العذاب على من كذب وتولى) أي انما

الحد في الاساءة لنا (قال لاننا نخاف اننى معكما) أي حافظكما وناصركما (أسمع) أقوالكم (وأرى) أفعالكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أسمع
دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهنما (فأتياه) أي فرعون (فقولا انار سولار بك) اليك (فأرسل معنا بنى
اسرائيل) أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق (ولا تعذبهم) بتكليف المشاق (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادعينا
وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهى انار سولار بك مجرى البيان والتفسير والتفصيل لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينتها وهى المحي
بالآية فقال فرعون وماهى فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) أي سلم من العذاب من أسلم وليس تحية
وقيل وسلام الاثمة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين (انافد أوحى اليك ان العذاب على من كذب وتولى) (وتولى)

أعرض عن الايمان وهي أرحى آي القرآن لانه جعل جنس لسلام المؤمن و جنس العذاب على المكذب و ليس و راء الجنس شي فانيه
 وأديا الرسالة و قاله ما أمر به (قال فن ربك يا موسى) خاطبهم ما ثم نادى أحدهم الان موسى هو الاصل في النبوة و هرون تابعه (قال ربنا
 الذي أعطى كل شي خلقه) خلقه أول مغفولى أعطى أي أعطى خلقه كل شي يحتاجون اليه و يرتفقون به أو ناهبها أي أعطى كل شي
 صورته و شكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار و الاذن الشكل الذي يوافق الاستماع و كذلك الانف
 و الرجل و اليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها و قرأ أنه من خلقه صفة للمضاف أو المضاف اليه أي أعطى كل شي مخلوق عطاء (ثم
 هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا و السعادة في العقبى (قال فبال القرون الاولى) فاحال الامم الخالية و الرمم البالية
 سأله عن حال من تقدم من القرون و عن شعاع من شقي منهم و سعادة من سعد (قال موسى محببا) (علمها عندي) مبتدأ و خبر (في كتاب) أي
 اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب و قد استأثر الله به لا يعلمه الا هو و ما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به بعلام الغيوب و علم
 أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيأ يقال ضللت الشي اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي
 لا يخطئ في سعادة الناس و شقاوتهم (٢٤٠) (ولا ينسى) ثوابهم و عقابهم و قيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب و لكن ليعلم الملائكة ان

بعذب الله من كذب بما جشناه و أعرض عنه (قال) يعني فرعون (فن ربك يا موسى) أي فن الهك الذي
 أرسلك (قال ربنا الذي أعطى كل شي خلقه ثم هدى) أي كل شي يحتاجون اليه و يرتفقون به و قيل أعطى
 كل شي صلاحه و هداه و قيل أعطى كل شي صورته و نفاق اليد لا يمشي و الرجل لا يمشي و اللسان لا ينطق
 و العين لا تنظر و الاذن لا يسمع ثم هداه الى منافعه من الطعام و المشرب و المنكح و قيل يعني جعل زوجة الرجل
 المرأة و البعير الناقة و الفرس الركبة وهي الحجرة و الجار الاثنان ثم هدى آلهمه كيف يأتي الذكر الاثني
 (قال) يعني فرعون (فبال القرون الاولى) أي فاحال القرون الماضية و الامم الخالية مثل قوم نوح و عاد
 و ثمود فانها كانت تعبد الاوثان و تنكر البعث و انما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم
 الخالية فيبتدأ قال فرعون فبال القرون الاولى (قال) يعني موسى (علمها عندي) أي أعمالهم بحفوفة
 عند الله يجازي بها و قيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد ذلك
 فرعون و قومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ و قيل لا يعيب عنه شي (ولا ينسى)
 أي فيبتدأ و قيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الارض مهادا) أي فراشا
 و قيل مهدها لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أي أدخل في الارض لاجلكم طرقا و سهلا لكم لتسلكوها و أنزل
 من السماء ماء) يعني المطر ثم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فاخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي
 أصنافا (من نبات شتى) أي مختلف الالوان و الطعوم و المنافع فيها ما هو للناس و منها ما هو للدواب (كلوا
 و ارعوا أنعامكم) أي أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالاكل و الرعي (ان في ذلك) أي الذي ذكر
 (آيات لاولي النهى) أي لذوي العقول قس لهم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من
 الارض خلقنا آدم و قيل ان الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب
 و من النطفة (و فيها نعبدكم) أي عند الموت و الدفن (و منها نخرجكم نارة أخرى) أي يوم القيامة للبعث
 و الحساب (و لقد أريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع التي أعطاه الله

معمول الخلق و وافق معلومه
 (الذي) مرفوع صفة
 لربي أو خبر مبتدأ محذوف
 أو منصوب على المدح
 (جعل لكم الارض مهادا)
 كوفي و غيرهم مهادا و هما
 لغتان لما يبسط و يفرش
 (وسلك) أي جعل (لكم
 فيها سبلا) طرقا (و أنزل
 من السماء ماء) أي مطرا
 (فاخرجنا به) بالماء نقل
 الكلام من الغيبة الى لفظ
 التكميل المطاع للاقتناع
 و قيل تم كلام موسى ثم
 أخبر الله تعالى عن نفسه
 بقوله فاخرجنا به و قيل
 هذا كلام موسى أي
 فاخرجنا نحن بالحراسة
 و الغرس (أزواجا) أصنافا
 (من نبات) هو مصدر سمي

به النبات فاستوى فيه الواحد و الجمع (شتى) صفة للارواح و للنبات جمع شتيت كريض و مرضى أي انها مختلفة النفع موسى
 و الطعم و اللون و الرائحة و الشكل بعضها للناس و بعضها للبهائم و من نعمه الله تعالى ان أرواقها تحصل بعمل الانعام و قد جعل الله علفها مما
 يفضل عن حاجتنا مما لا تقدر على آكله قائلين (كلوا و ارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فاخرجنا و المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين
 في الانتفاع بهما بحيثين أن تأكلوا بعضها و تعلقوا بعضها (ان في ذلك) في الذي ذكرت (لايات) لدلالات (لاولى النهى) لذوي العقول
 و احدها نهيبة لانها تنهى عن المحذور أو ينتهي اليها في الامور (منها) من الارض (خلقناكم) أي أبأكم آدم عليه السلام و قيل يعجن كل نطفة
 بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب و النطفة معا و لان النطفة من الاغذية وهي من الارض (و فيها نعبدكم) اذا تم فدنتم (و منها
 نخرجكم) نارة أخرى (مرة أخرى) المراد باخراجهم أنه يؤلف أجزأهم المنفردة المختلطة بالتراب و يردهم كما كانوا أحياء
 و يخرجهم الى المحشر عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا و مهادا يتقبلون عليها سوى لهم فيها مسالك
 يترددون فيها كيف شاؤوا و أنبت فيها أصناف النبات التي منها أفوانهم و علفانهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا و أمهم التي منها ولدوا
 وهي كفانهم اذا ماتوا (و لقد أريناه) أي فرعون (آياتنا كلها) وهي تسع آيات العجايب و فلق البحر و الحجر و الجراد و القمل و الضفادع

والدم ونتق الجبل (فكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجبتنا الخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك يا موسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا ووقاه بسحرك تعال والافاقى ساحر يقدر أن يخرج ما كان أرضه (فلما تبينك بسحرك مثله) فلنعارضك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أى مكان موعدا والضمير فى (لا تخلفه) للموعدا قرأ يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعدا (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا تخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالسكسرحجازى وأوعرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت مكانا أى منصف بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدا يوم الزينة) مبتدا وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون فى مكان لا يحال فذكر الزمان علم للمكان وعلى الثانى تقدمه وعدهم يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى تجمعهم فى موضع رفع أو جرح عطف على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتسكون أبعدهن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع فى جميع أهل الور والمدر (فتولى فرعون) أذبر عن موسى معرضا (جمع كيدته) مكروه وسحرته وكانوا اثنين (٢٤١) وسبعين أو أربعمائة وسبعين الفا ثم

أبى للموعدا (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) لا تدعو آياته ومجراته سحرا (فيسحبتكم) كوفى غير ابى بكر يهلككم وبتفتح الباء والحاء غيرهم والسحت والاسحات بمعنى الاعداء وانتصب على جواب النهى (بعذاب عظيم) وقد خاب من افتري من كذب على الله (فتنازعوا) اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تفتروا على الله كذبا الآية (أمرهم بينهم واسروا النجوى) أى تشاوروا فى السرور والسرو قالوا ان كان ساحرا فسننقلبه وان كان من

موسى (فكذب وأبى) يعنى فرعون وزعم انه ساحر وأبى أن يسلم (قال) يعنى فرعون (أجبتنا الخرجنا من أرضنا) يعنى مصر (بسحرك يا موسى) تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلما تبينك بسحرك مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى اضرب أجلا ومقايما (لا تخلفه) لا تجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أى مكانا عدلا وقال ابن عباس نصفا تستوى مسافة الفرقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدا يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجمعون فى كل سنة وقيل هو يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نهار اجهار اليكون أبعدهن الريبة (فتولى فرعون جمع) يعنى فرعون (كيدته) يعنى مكروه وسحره وحيله (ثم أبى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر جبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحبتكم بعذاب) أى فيها يهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افتري) أى خسرت من ادعى مع الله الها آخره وقيل معناه خسرت من كذب على الله تعالى وقوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا وتشاوروا يعنى السحرة فى أمر موسى سرامن فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (واسروا النجوى) أى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجنا من أرضكم) يعنى من مصر (بسحرك ما يذهبنا بطر يقتكم المثلى) قال ابن عباس يعنى بسرة قومكم وراشرافكم وقيل معناه يصرقان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طر يقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبناهم لانفسهم ما وقيل معناه يذهبنا بسنتكم وبيد يهلككم الذى أتم عليه (فاجعوا كيدكم) أى لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جتبه به وقيل معناه اعزموا كما هم على كيدته مجتمعين له ولا تخففوا فيحتل أمركم (ثم اتوا صفا) أى جمعوا مصطفين ليكون أشد لهيبتهم وقيل معناه ثم اتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة

(٢٤١ - (خازن) - ثالث)

السماء فله أمر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه يخالف للامام وابن كثير وحفص والحليل وهو اعرف بالتحول واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيدان من بلاد كذا واللام هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقبلة وقيل هى بمعنى ما واللام بمعنى الا أى ما هذان الاسحار دليله قراءة أى ان هذان الاسحار وغيرهم ان هذان لساحران قيل هى لغة بلخارت بن كعب وختم ومراد كنانة فالتثنية فى لغتهم بالالف ابدافلم يقبلوها ياء فى الجر والنصب كعصا وسعدى قال ان أباهما وأبأ أباهما * قد بلغا فى الجدى غاباها وقال الزجاج ان معنى نعم قال الشاعر ويقان شيب قد علا * وقد كبرت فقلت انه أى نعم والهاء للوقف وهذان مبتدا وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخله على المبتدا المحذوف تقدمه هذان لهم اسحار فيكون دخولها فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر كما يدخل فى المبتدا أقال * خالى لانت ومن جري نطاه قال فعرضته على المبرد فزيهه وقد ز يفه أبو على (يريدان أن يخرجنا من أرضكم) مصر (بسحرك ما يذهبنا بطر يقتكم المثلى) بدنيكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الامثل وهو الافضل (فاجعوا) فاحكموا أى اجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا فاجعوا أبو عمرو ويعضده جمع كيدته (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم اتوا صفا) مصطفين حال أمر و أبان يا توأما لانه أهميب فى صدور الرائيين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أى السحرة

(ياموسى اما أنت تلقى) عصاك أولاً (واما أنت تكون أول من ألقى) مامعنا وموضع أن مع ما بعده فهم ما نصب بفعل ضمير أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر القاروك أو القاروا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكانه تعالى الهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بركنه وعلم موسى اختيار القائم أولاً حتى (قال بل ألقوا) أتم أولاً ليرزوا معهم من مكاييد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المجرزة على السحر فتحققه فبصير آية نيرة للنظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) يقال فى اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنات بمعنى الوقت الطالبة ناصبها واجله تضاف اليها وخصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة واجله ابتداء ثبوتها لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأة حبالهم وعصيهم بخيلة اليه السعى (بخيل) وبالتعابن زكوان (اليه) الى موسى (من سحرهم انها تسمى) رفع بدل اشتمال من الضمير فى تخيل أى تخيل الملقى روى انهم لظفوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهترزت فغفلت ذلك (فاوحس فى نفسه خيفة موسى) اضمر فى نفسه خوفا ظن انمنه انها مقصده للعجالة البشرية أو خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) الغالب القاهر وفى ذكر ان وأنت وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (والق مافى يمينك تلقف) بسكون اللام والقاف وتخفيف القاف حذف وتلقف ابن ذكوان بالقون تلقف (٢٤٢) (ما صنعوا) زورا وافتعلوا أى اطرح عصاك تتباع عصيهم وحبالهم ولم يقل عصاك تعظيما

(ياموسى اما أنت تلقى) أى عصاك (واما أنت تكون أول من ألقى) أى عصينا (قال) يعنى موسى (بل القوا) يعنى أتم أولاً (فاذا حبالهم) فيه اضمار أى فالقوا فاذا حبالهم (وعصيهم بخيل اليهم من سحرهم انها تسمى) قبل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كان الارض امتلأت حبات وكانت قد أخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورأها كأنها تسمى (فاوحس) أضمروا وقيل وحدث (فى نفسه خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها مقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيسكروا فى أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) أى قال الله تعالى لموسى لا تخف (انك أنت الاعلى) أى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (ألق مافى يمينك) أى عصاك والمعنى لا تخيفك كثرة حبالهم وعصيهم فان فى يمينك شيأ أعظم منها كلها (تلقف) أى تتلقم وتتبع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أى من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقى السحرة سجدا قالوا آمناب هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والخود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فبنا أعظم الفرق بين الالقاعين وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل انهم لم يسجدوا وأراههم الله تعالى فى سجودهم منازل لهم التى يصيرون اليها فى الجنة (قال) يعنى فرعون (أمنت له قبل ان أذن لك انه اكبيركم) أى لو تبسك وعظيمكم يعنى انه أسحركم وأعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم الذى علمكم السحر (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولا صلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل (ولتعلمن أينما أشد عذابا) أى على ايمانكم به أنا ورب موسى على ترك الايمان به (وأبقي) أى أدوم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثر) أى لن نختارك (على ما جاءنا من بينات) يعنى الدلالات الواضحات قبل هى اليد البيضاء والعصا

لها أى لا تخفل بما صنعوا فان مافى يمينك أعظم منها أو تحقيرا أى لا تبالك بكثرة حبالهم وعصيهم والى العويد الفرد الذى فى يمينك فانه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها انما صنعوا كيد ساحر) كوفى غير عاصم سحر يعنى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم لتوغلهم فى السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما موصولة أو مصدرية وانما وحد ساحر وليجمع لان المقصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية الى معنى العدد فلو جمع تخيل ان المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) اينما كان فالتى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلغظم مارا ومن الآيه وقعوا الى السجود فذلك قوله (فألقى وقيل السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعنا سجدوا كأنهم ألقوا فبنا أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والخود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فبنا أعظم الفرق بين الالقاعين روى انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا آمناب هرون وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخرى الشعر اعجابا لظاهرة لان الواو لا تجوز ترتيبا (قال أمنت) بغير مدح حصص وهمزة تمدد بصرى وشامى وحجازى وهم مرتين غيرهم (له قبل ان أذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو لعلمكم تقول أهل مكة لا معلم أمرنى كبيرى (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذلك رجل وهذا يمين وذلك شمال ومن لا يتدأ الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ويحل الجار والمجرور والنصب على الحال يعنى لا قطعنم اختلافنا لانهم اذا خالف بعضها بعضا فقد انصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع يتمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولا صلبنكم فى جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أينما أشد عذابا) اناعلى ايمانكم بى أو رب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله أمنت له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأبقي) أدوم (قالوا لن نؤثر) لن نختارك (على ما جاءنا من بينات)

الجنس (حيث أتى) اينما كان فالتى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلغظم مارا ومن الآيه وقعوا الى السجود فذلك قوله (فألقى وقيل السحرة سجدا) قال الاخفش من سرعنا سجدوا كأنهم ألقوا فبنا أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والخود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فبنا أعظم الفرق بين الالقاعين روى انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها فى السجود فرفعوا رؤسهم ثم قالوا آمناب هرون وموسى) وانما قدم هرون هنا وأخرى الشعر اعجابا لظاهرة لان الواو لا تجوز ترتيبا (قال أمنت) بغير مدح حصص وهمزة تمدد بصرى وشامى وحجازى وهم مرتين غيرهم (له قبل ان أذن لكم) أى لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو لعلمكم تقول أهل مكة لا معلم أمرنى كبيرى (فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذلك رجل وهذا يمين وذلك شمال ومن لا يتدأ الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ويحل الجار والمجرور والنصب على الحال يعنى لا قطعنم اختلافنا لانهم اذا خالف بعضها بعضا فقد انصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب فى الجذع يتمكن المظروف فى الظرف فلهذا قال (ولا صلبنكم فى جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أينما أشد عذابا) اناعلى ايمانكم بى أو رب موسى على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله أمنت له واللام مع الايمان فى كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأبقي) أدوم (قالوا لن نؤثر) لن نختارك (على ما جاءنا من بينات)

القاطعة الدالة على صدق موسى (والذي فطرنا) عطف على ما جاء على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا أو قسمه وجوابه ان نوثرلك
 مقدم على القسم (فاقض ما انت قاض) فاصنع ما انت صانع من القتل واصلب قال * وعليه ما مسرود فان قضاها ما أي صنعها ما واحكم ما
 أنت حاكم (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) أي في هذه الحياة الدنيا. نيا فانتصب على الظرف أي انما تحكم فينا مدة حياتنا (انا آمناب بناليعفر لنا
 خطايانا وما أكرهتنا عليه) ماموصولة منصوبة بالعطف على خطايانا (من السحر) حال من ماروي انهم قالوا الفرعون أرناموسى نأتمافعل
 فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذ انام بطل سحره ففكر هو اعمارضته خوف الفضيحة فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر
 وضر فرعون جهله به ونفعهم عليهم بالسحر فكيف يعلم الشرع (والله خير) ثوابا ان أطاعه (وأبى) عقابا ان عصاه وهو رد لقول فرعون
 ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبى (انه) هو ضمير الشأن (من يأت به مجرما) كافرا (٢٤٣) (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها)

فيسترجح بالموت (ولا يحيى)
 حياة ينتفع بها (ومن يأت به
 مؤمنا) مات على الايمان
 (قد عمل الصالحات) بعد
 الايمان (فاولئك لهم
 الدرجات العلى) جمع العلية
 (جنات عدن) بدل من
 الدرجات (تجري من تحتها)
 الانهار خالدن فيها) دائمين
 (وذلك جزاء من ترك)
 تطهر من الشرك بقول
 لا اله الا الله قبل هذه الايات
 الثلاث حكاية قولهم وقيل
 خبر من الله تعالى لا على
 وجه الحكاية وهو أظهر
 (ولقد أوحينا الى موسى
 أن أسر بعبدى) لما أراد
 الله تعالى اهلاك فرعون
 وقومه أمر موسى ان يخرج
 بهم من مصر ليلا ويأخذ
 بهم طريق البحر (فاضرب
 لهم طريقا فى البحر)
 اجعل لهم من قولهم
 ضربه فى ماله سهما
 (يبسا) أي يابس وهو
 مصدر وصف به يقال يبس

وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فان جبالنا وعصيانا وقيل انهم لما سجدوا أو الجنة والنار
 ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نوثرلك على ما جاءنا من اليبينات (والذي فطرنا) قيل هو قسم وقيل
 معناه لن نوثرلك على الله الذى فطرنا (فاقض ما انت قاض) أي فاصنع ما انت صانع (انما تقضى هذه الحيوة
 الدنيا) أي انما أمرك وسلطانك فى الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمناب بناليعفر لنا خطايانا وما أكرهتنا
 عليه من السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا واختارن غير مكرهين قلت كان فرعون أكرههم فى
 الابتداء على تعلمهم السحر لئلا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنتين وسبعين اثنان من القبط وسبعون
 من بنى اسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون
 أرناموسى اذا هو نام فاراهم موسى نأتمافعل تحرسه فقالوا الفرعون هذا ليس بساحر انام بطل
 سحره فابى عليهم فاكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبى)
 أي خير منك ثوابا وأبى عقابا وقيل خبر منك ان أطيع وأبى عذابا ان عصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن
 أينا أشد عذابا وأبى (انه من يأت به مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول
 السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فبسترجح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (ومن
 يأت به مؤمنا) أي من مات على الايمان (قد عمل الصالحات) فاولئك لهم الدرجات العلى) أي الرفعة العلمية
 ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدن فيها وذلك جزاء من ترك) أي تطهر من
 الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لاله الا الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كاترون النجم الطالع فى أفق السماء وان أبابكر
 وعمر منهم وانعما أخرجه الترمذى قوله وانعما يقال أحسن فلان الى فلان وانعم أي أفضل وزاد فى الاحسان
 والمعنى انهم ما منهم وزادوا وتناهيا الى غايته ﴿ قوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبدى) أي أسر
 بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) أي اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (يبسا)
 أي يابس ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى أيسس لهم الطريق فى البحر (لاتخاف دركا ولا تخشى) قيل
 معناه لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر امامك (فاتبعهم) أي فلحقهم
 (فرعون بجنوده فغشيهم) أي أصابهم (من اليم ما غشيهم) وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم
 يعلم كنهه الا الله تعالى فغرق فرعون وبنوه ونجم موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) أي وما
 أراشدهم وهو تكذيب الفرعون فى قوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد ﴿ قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل

يبسا ويبسا) (لاتخاف) حال من الضمير فى فاضرب أي اضر ب لهم طريقا غير خائف لاتخف جزفة على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أي
 لا يدركك فرعون وبنوه ولا يلحقونك (ولاتخشى) الغرق وعلى قراة جزفة ولا تخشى استئناف أي وأنت لاتخشى أو يكون الالف للاطلاق
 كفى وتظنون بالله الظنونا فخرجهم موسى من أول الليل وكافوا سبعين ألفا وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى ستمائة ألف من القبط
 فقص انهم فذلك قوله (فاتبعهم فرعون بجنوده) وهو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ما غشيهم)
 هو من جوامع السكام التى تستقل مع قلمها بالمعنى الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (وأضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد
 (وما هدى) وما أراشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر
 وأهلك فرعون وقومه بقوله (يا بنى اسرائيل) أي أوحينا الى موسى أن أسر بعبدى وقلنا يا بنى اسرائيل

قد أئجيناكم من عدوكم) أي فرعون (وواعدناكم) بإيتاء الكتاب (جانب الطور اليمين) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبينهم ونقبائهم واليه رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم واليمين نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجزم على الجوار (وتزانا عليكم المن والسلوى) في التيه وقتلناكم (كوا من طبيان) حلالات (مارزقناكم) أئجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا والنعمة وتنفقوها في المعاصي أولا يظلم بعضكم بعضا (فيحل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوطا لا ينقض بعده وأصله ان يسقط من جبل فهلك وتحقيقه سقط من شرف الى حافة من حفر النيران قرأ على فيحل ويحلل الباقون بكسرهما فالسكور في معنى الوجوب (٢٤٤) من حل الدين يحل اذا وجب أداءه والمضموم في معنى النزول (واني لغفار لمن تاب) عن

قد أئجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور اليمين وتزانا عليكم المن والسلوى ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وانما قال وواعدناكم لاننا اتصلت بهم حيث كانت لنبينهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كوا من طبيان مارزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا والنعمة فتكونوا طامعين وقيل لا تتقوا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيحل عليكم غضبي) أي يجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (واني لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحده الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) أي أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة قوله عز وجل (وما أمحلك) أي وما أمحلك على الجملة (عن قومك يا موسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أمحلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه (فقال لهم أولا على أئري) أي هم بالقرب مني يأثون على أئري من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأل عن سبب الجملة فعديل عن الجواب فقال لهم أولا على أئري قلت كانهم موسى بسط العذر وتهميد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بانه لم يوجد منه الاتقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وجعلت اليل رب لترضى) أي لتزاد رضا (قال فانا قد فتننا قومك) أن فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا اسمائة ألف فافتنوا بالجملة غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد انطلاقتك الى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصر فهم الى الضلال وهو عبادة العجل وانما أضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المشائت تصاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هذا وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يافا يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جار موسى وآمن به وقيل كان عجلمان علوج كرماني رقع الى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أي خزينا جزعا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقانه بعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم ان تفعلوا فعلا لا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فاخلفتم موعدى) يعني ما وعدوه من الاقامة على دينه الى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل

الشرك (وآمن) وحده الله تعالى وصدقته فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح (وما أمحلك) أي وأي شيء عجل بك (عن قومك يا موسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أمحلك أي أي شيء أوجب عجلت استفهام انكار وما مبدأ وأمحلك الخبر (قال لهم أولا على أئري) أي هم خائفون يلقون بي وليس بيني وبينهم الامسافة بسيرة ثم ذكرهم وجب الجملة فقال (وجعلت اليل رب) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لترداد عنى رضا وهذا دليل على جواز

الاجتهاد (قال فانا قد فتننا قومك) ألقيناهم في فتنه (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم باختيارنا مع هرون (وأضلهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان عجلمان كرماني فاتخذ بحالوا اسمه موسى بن ظفرو وكان منافقا (فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسفا) شديدا غضبا أو خزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جلا ولا وعدا أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدى بك أي طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا لا يجب عليكم الغضب من ربكم (فاخلفتم موعدى) وعدوه ان يقيموا على أمرهم وتمررتهم عليهم من الايات فاختلفوا موعدهم باختداد العجل (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بفتح الميم مدنى وعاصم وبضمها جزع وعلى وكسرهما غيرهم أي ما أنطقنا موعدك بان ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا ما أسأخلفناك موعدك

ولكننا غلبنا من جهة السامري وكيدته (ولكننا حملنا) بالضم والشديد بحاروى وشامى وحفص وفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم (أوزاراً
من زينة القوم) أنفالا من حلى القبط أو أرادوا بالاوزار انها آتام وتبعات لانهم قد استعاروا هالبلة الخروج من مصر بعله ان لنا عند ايدا
فقال السامري انما حجب موسى لشؤم حرمها لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على
أن الغنائم لم تكن تحمل حينئذ فحرقوها نجفأى حفرة النار قالب عمل فانصاغت بحلما بحجوا (٢٤٥) فخار بدخول الريح في بحار منه أشباه
العروق وقيل نفع فيه ترابا

من موضع قوائم فرس
جبريل عليه السلام يوم
الغرق وهو فرس حياة فخي
فخار ومالت طباعهم الى
الذهب فعبده (فقدفناها)
في نار السامري التي
أوقدها في الحفرة وأمرنا
أن نطرح فيها الحلى
(فكذلك ألقى السامري)
مامعه من الحلى في النار أو
مامعه من التراب الذي
أخذ من أثر حرق فرس
جبريل عليه السلام
(فأخرج لهم) السامري
من الحفرة (عجلا) خلقه الله
تعالى من الحلى التي سبكتها
النار ابتلاء (جسدا) بحسدا
(له خوار) صوت وكان
يخور كما تخور الحجاجيل
(فقالوا) أى السامري
واتباعه (هذا الهكم واله
موسى) فاجاب عامتهم الا
اثنى عشر ألفا (ففسى) أى
ففسى موسى ربه هنا وذهب
يطلبه عند الطور أو هو
ابتداء كلام من الله تعالى
أى نسى السامري ربه
وترك ما كان عليه من
الايمان الظاهر وأوسى
السامري الاستدلال على

باختيارنا وذلك ان المراد اذ وقع في الفتنة لم يملك نفسه (ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم) أى حملنا مع
أنفسنا ما كنا قد استعبرناهم من قوم فرعون والاوزار الاتقال سميت أوزار الكثرة أو ثقلاها وقيل الاوزار
الاتام أى حملنا آتاماً وذلك أن بنى اسرائيل استعاروا حيا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين
خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حيا لهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة
ولم تكن الغنائم تحمل لهم (فقدفناها) أى ألقيناها قسبل ان السامري قال لهم احفر واحفيرة والقوها
فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري)
أى ما كان معه من الحلى فيها قال ابن عباس أوقده هرون ناراً وقال اذ فو امامكم فيها وقيل ان هرون مر
على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم اعطه
ما سألك على ما في نفسه فألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن بحلما
يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسداً خوار) اختلفوا هل كان
الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لانه لا يجوز ان يظهر خرق العادة على بدال بل السامري صور
صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ونخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني انه
صار حيا وناورا كخوار العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعنى قال ذلك السامري ومن تابعه بمن افتن
به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حيا لم يحبوا شيئا قط مثله (ففسى) قيل هو اخبار عن قول السامري أى
ان موسى نسى الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه
في طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري انه نسى
الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحمل في شئ ولا يحمل فيه شئ ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي
يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا) أى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه
ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا ينفع من
عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل وقوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل)
أى من قبل رجوع موسى (يا قوم انما افنتم به) أى ابتليتكم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني
في عبادة الله (وأطيعوا أمرى) أى في ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ
أحسن الوجوه لانه زجرهم أولاعن الباطل بقوله انما افنتم به ثم دعاه الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم
الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذه
الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهي ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم
النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فنقص هذا الموضوع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل
الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقبلا هذا القول بالاصرار والخود (قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه)
أى على عبادة العجل (عاكفين) أى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كأنهم قالوا لن نقبل محبتك ولا نقبل
الاقول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعيدوا العجل فلما رجوع موسى سمع الصياح
والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر

ان العجل لا يكون الهانديل قوله (أفلا يرون ان لا يرجع) أى انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة (اليهم قولا) أى لا يجيبهم (ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعاً) أى هو عاجز عن الخطاب والضرو والنفع فكيف تتخذونه الهوا وقيل انه ما خارا الامرة (ولقد قال لهم) ان عبدوا العجل (هرون
من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما افنتم به) ابتليتكم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني) كونوا على ديني
الذي هو الحق (وأطيعوا أمرى) في ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عاكفين) أى لن نزال مقيمين على العجل وعبادته (حتى يرجع
الينا موسى) فنظروا هل يعبدوه كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا فلما رجوع موسى

(قال باهرون مامعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (الاتبعني) بالباء في الوصل والوقف حتى وافقه أبو عمر و نافع في الوصل وغيرهم بلاياء أي مادعك الى ان لا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أي شئ منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتحققي وتخبرني أو مامعك ان تتبعني في الغضب لله وهه الاقالت من كفر عن أمن ومالك لم تباشرا الامر كما كنت أباشره انالو كنت شاهدا (أفصيت أمرى) أي الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه وحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة في الله ملكته (قال يا ابن أم) وبخفض الميم شامى وكوفي غير حفص وكان لابيه وأمه عند الجمهور ولكنهم ذكرا الام استعظافا وترفيقا (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى) ثم ذكر عذره فقال (اني خشيت أن تقول) ان قالت بعضهم ببعض (فرقت بين بني اسرائيل) أو خفت أن تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحقني (٢٤٦) فريق وتسبع السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ (قولي) الخلفني في

قومي واصح وفيه دليل على جواز الاجتهاد ثم قبل موسى على السامري منكر اعليه حيث قال (فاخطبك) ما أمرت الذي تخاطب عليه (يا سامري) قال بصرت بما لم يبصروا به) وبالثناء جزوه على قال الزجاج بصرعلم وإبصر نظر أي علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذلك قال رأيت جبريل على فرس الحياة القالي في نفسي ان أقبض من أثر فما ألقيته على شئ الا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) القبضة المرة من القبض واطلاؤها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرئ فقبضت قبضة فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع (من أثر الرسول) أي من أثر فرس الرسول وقرئ بها (فنبذتها) فطرحتها في

رأسه بيمينه وحيته بشماله (قال) له (باهرون مامعك اذ رأيتهم ضلوا) أي اشركوا (الاتبعني) أي تتبع أمرى ووصيتي وهلاقاتكم وقد علمت اني لو كنت فيهم لغالنتهم على كفرهم وقيل معناه مامعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فتكون مفارقتك اياهم جزاهم عما أوه (أفصيت أمرى) أي خالفت أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى) أي بشعر رأسى وكان قد أخذ بذواتيه (اني خشيت ان تقول) أي لو أتكرت عليهم لصاروا آخرين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا حزبا فينتقلون فتقول فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب قولي) أي لم تحفظ وصيتي حين قلت لك الخلفني في قومي وأصل وارق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فاخطبك) أي فما أمرتك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به) فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من تراب خافر فرس جبريل (فنبذتها) أي فقد فنتها في فم العجل فخاف ان قلت كيف عرف السامري جبريل ورواه من بين سائر الناس قلت ذكر وافيه وجهين أحدهما ان أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعت في كهف حذر اعليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليبريئه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامري من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشئ ناقبض القبضة من أصل تربة أثر موطنه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء لاميعاد وقيل رآه يوم فاق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما رى بدالله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وذلك سؤلت) أي زينت (لى نفسي) وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعني الى فعله غيرى واتبعته فيه هو اى (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحيوة) أي مادمت حيا (ان تقول لامساس) أي لا تخاطب أحدا ولا يتخاطبك أحد فنعوقب في الدنيا بعقوبة ولا شئ أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى أمر بني اسرائيل ان لا يتخاطبوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسماع لا مس أحد ولا معه أحد وقيل كان اذا مس أحد أو مسه أحد جبا جميعا فتحيا الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) أي يا سامري (موعدا) أي بعد ذلك في الآخرة (لن تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفه كما الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهلك) أي الذي تزعم (الذي ظلت عليه عاكفا) أي دمت عليه مقبىا تبعد (لخرقته) بالنار (ثم لنسفته) أي لنذرينه (في اليم) أي في البحر (نسفا) روى ان موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه

جوف العجل (وذلك سؤلت) زينت (لى نفسي) ان أفعله ففعلته اتباع الهوى وهو اعتراف بالخطا واعتذار (قال) له موسى لخرقته (فاذهب) من بيننا طريدا (فان لك في الحيوة) ما عشت (ان تقول) ان أراد تخاطبك جاهلا بحالك (لامساس) أي لا يمسن أحد ولا أمسه فنع من مخالطة الناس متعاطيا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن عباس أحد احتم الماس والممسوس وكان يهيم في البرية يصيح لامساس ويقال ان ذلك موجود في اولاده الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله فنع الله تعالى منه سبحانه (وان لك موعدا لن تخلفه) أي لن يخلفك الله موعدة الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض يجره لك في الآخرة بعد ما عاقبتك بذلك في الدنيا لن تخلفه مكى وأبو عمر وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا (وانظر الى الهلك الذي ظلت عليه) وأصله طالت فخذف اللام الاولى تخفيفا (عاكفا) مقبىا (لخرقته) بالنار (ثم لنسفته) لنذرينه (في اليم نسفا) فخرقه وذراه في البحر فشرى بعضهم من مائه بحاله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب

(انما الهك الله الذي لاله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز أى وسع علمه كل شئ ويجعل الكافي في (كذلك) نصب أى مثل ما اقتضى صناعيتك قصة موسى وفرعون (نقص علمك من أنباء ما قد سبق) من أخبار الامم الماضية بتكثير البيناتك وزيادة في معجزاتك (وقد آتيناك) أى أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرنا) قرأناه هو ذلك كعظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمله يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالجل الثقل الذي ينقض ظهره ويلقى عليه بهمة أولانها اجزاء الوزر وهو الائم (خالد بن) حال من الضمير في يحمله وانما جتمع على المعنى ووجد في فانه جلا على لفظ من (فيه) في الوزر أى في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة جلا) ساء في حكم كئيب وفيه ضمير مبهم يفسره جلا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كافي هيتك والمخصوص بالذم محذوف للدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الجلا الوزرهم (يوم ينفخ) بدل من يوم القيامة ينفخ أبو عمرو (في الصور) القرن أو هو جمع صورة أى ينفخ الارواح فيها دليله قراءة فتادة الصور ينفخ الواو جمع صورة (وتحشر الجرمين يومئذ زرقا) حال أى عجا (٢٤٧) كقالب ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عجا وهو هذان

لنحرقه أى لنهزبه فعلى هذا التأويل لم ينقلب الجاود ما فان ذلك لا يمكن أن يبردها لبردو يمكن ان يقال صار الجاود ما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل (انما الهك الله) أى المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لاله الا هو وسع كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ وقيل يعلم من يعبده قوله عز وجل (كذلك نقص علمك من أنباء) يعنى من أخبار (ما قد سبق) يعنى الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرنا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمله يوم القيامة وزرا) أى جلا ثقيلا من الائم (خالد بن) أى مقيم في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة جلا) أى بش ما جلا أو أنفسهم من الائم (يوم ينفخ في الصور) قبل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للتحشر والمراد بهذه النفخة الثانية لانه أتبعه بقوله (وتحشر الجرمين يومئذ زرقا) أى تحشر الجرمين زرق العيون سودا لوجه وقيل عجا وقيل عطا (يتحشرون) أى يتساورون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبئتم) أى مكنتم في الدنيا (الاعشرا) أى عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصر وامدة لبئتم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى يتساورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أوفاهم عقلا وأعدلهم قولا (ان لبئتم الا يوما) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبئتم لشدة ما دههم قوله عز وجل (ويستلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سألت رجلا من تعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أى يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيذرها) أى يدع أماكن الجبال من الارض (فأعاصفها) أى أرضا ملساء مستوية لانبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا انخفاض ولا ارتفاع أى لا ترى وادي ولا رابية (يومئذ تبعون الداعي) أى صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها

حدقة من يذهب نور بصره
تزرق (يتحاشون)
يتسارون (بينهم) أى
يقول بعضهم لبعض سرا
لهول ذلك اليوم (ان
لبئتم) ما لبئتم في الدنيا (الا
عشرا) أى عشر ليال
يستقصر و مدة لبئتم في
القبور أوفى الدنيا لما
يعاينون من الشدائد التي
تذكرهم أيام النعمة
والسرور فيتأسفون عليها
ويصفون بالانحسار أيام
السرور قصار أولانها
ذهبت عنهم والذهب وان
طالت مدته قصير بالانتهاء
أولاستطاعتهم الآخرة
لانها أبدأ بسعة قصر البهاجر
الدنيا يتقال لبئتم أهلها
فيها بالقياس الى لبئتم في

الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالما منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) اعد لهم قولا (ان لبئتم الا يوما) وهو كقوله قالوا البئنا وما وما بعض يوم فاسأل العادين (ويستلونك عن الجبال) سألو النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقد يران سألوك (فقل) ولذا قرنت بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويستلونك عن الجبال من الجبال وقوله ويستلونك عن البيتاي قل اصلاح لهم خير يستلونك عن الجرم والميسر قل فيها ثم كبير يستلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي ويستلونك عن الروح قس الروح ويستلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا انهم سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء (ينسفها ربي نسفا) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفترقها كإحدى الطعام وقال الخليل يقلعها (فيذرها) فيذمر مقارها أو يجعل الضمير للارض للعلمها كقوله ما ترك على ظهرها (فأعاصفها) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاض (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسروان كان في المعاني كان المفتوح في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها عوجا وجبوجها وان دقت الحيلة واطفت جرت مجرى المعاني (يومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال أى يوم اذ نسفت وجاز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أى صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادى على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية

(وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (ولقد عهدنا إلى آدم) أي أوحيينا إليه ان لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى اليه وعزم عليه وعهد إليه فغطف قصة آدم على وصر فنا فيه من الوعيد والمعنى واقسم قسمي لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناها ان لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم فغالف إلى ما نهى عنه كما أنهم يخالفون يعني ان أساس أمر بني آدم على ذلك وعرف فهم راسخ فيه (فنتسى) العهد أي النهي والانبيا عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا الحفظوه (ولم نجده عزيمة) قصد إلى الخلاف لاسره أولم يكن آدم من أولى العزم والوجود بمعنى العلم ومفعوله عزيمة أو بمعنى نقيض العدم أي وعدمنا له عزمه أو لم نعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب بأذ كر (للملائكة) (٢٤٩) اسجدوا لا دم) قيل هو السجود الغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالمقبلة لضرب تعظيم له فيه (فسجدوا والابليس) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة تلبس الخليفة من الارواح ولا يتناسلون وابليس من نار السموم وانما صرح استثناءه منهم لانه كان يصحهم ويعبد الله معهم (أي) جملة مستأنفة كانه جواب لمن قال لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الالباب وتوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك (فلا يخرجنك من الجنة) فلا يخرجنك من الجنة (فلا يكون سببا لاجراجك) فتشقي) فتتعب في طلب القوت ولم يقبل فتشقي امر اعاد لرؤس الآتي أو دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفسه والمرأة

جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقره ولا تحب ولا تحب ولا تحب (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وایمانا ویقینا ﴿ قوله عز وجل (ولقد عهدنا إلى آدم) يعني أمرنا أو وحيينا إليه ان لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركو الامان بي وهم الذين ذكروهم الله تعالى في قوله تعالى اعلمهم بتقون (فنتسى) أي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد ان نسيان الذي هو ضد الدكر (ولم نجده عزيمة) أي صبر اعمانه عنه وحفظ ما أمر به وقيل معناه لم نجده رأيا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده واني ان يسجد له وقيل معناه لم نجده عزيمة على انما علم على العصبية فيكون إلى المدح أقرب ﴿ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لا آدم فسجدوا الا ابليس أي) ان يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) أي ابليس (عدو لك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من ان نار عمة الله على آدم حسده فصار عدوا له (فلا يخرجنك من الجنة فتشقي) أسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقي تتعب وتنصب ويكون عيشك من كديمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطنح والخبر قيل اهبط إلى آدم ثورا حرا فكان يحرق عليه ويسمع العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعاده سعاده لان القيم عليهم الثاني أنه أريد الشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على زوجته (ان لك الاتجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعري وانك لا تطمأ فيها) أي تعطش (ولا تضحي) أي تبرز الشمس فيؤذيك حره لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والسكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) أي انتهى اليه الوسوسة كسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يتبدل ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبة ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابلليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقهم وربهم ومولاهم وناصرهم وابلليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد الخالفه ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه ﴿ وقوله تعالى (فا كلامها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما سواهما) أي عريهما من الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عورتاهما (وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة) أي

(٢٢ - (خازن) - ثالث) وروى انه اهبط إلى آدم ثورا حرا وكان يحرق عليه ويسمع العرق من جبينه (ان لك الاتجوع فيها) في الجنة (ولا تعري) عن الملابس لانهم معدة أبدانها (وانك) بالكسر نابع وأبو بكر عطفها على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفها على أن لاتجوع ويحمله نصب بان وجاز للفصل كما قول ان في علمي انك جالس (لا تطمأ فيها) لا تعطش لو جود الا شربة فيها (ولا تضحي) لا يبصيك خرا الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل ممدود (فوسوس اليه الشيطان) أي انتهى اليه الوسوسة كسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) اضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلد لان من أكل منها خلد يزرع ولا يموت (وملك لا يبلى) لا يفنى (فا كلامها) أي آدم وحواء (منها فبدت لهما سواهما) عورتاهما (وطفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كذا في وقوع الخبر فعلا مضارعا لانه للشروع في أول الامر وكالد نومنه (بخضفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان الورق بسواهما للتستر وهو ورق التين

يلزقان بسوا آتهمامن ورق التنين (وعصى آدم ربه) أي باكل الشجرة (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل
 انخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العزالي الذل ومن
 الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال لمن اعتاد
 فعل المعصية كالرجل يخطئ ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خاط حتى يعاد ذلك مرارا ويعتاده (ق) عن
 أبي هريرة يرضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم موسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا
 أخرجننا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفىك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلو مني على أمر
 قدره الله تعالى على قبل ان يتخلفني باربعين عام فخرج آدم مرسي وفي رواية سلم قال آدم يكوم وجدت الله كتب
 التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها عصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل
 تلو مني على ان علمت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يتخلفني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

* (الكلام على معنى الحديث وشرحه) *

فخرج آدم موسى

قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاجبت فلانا فحججته أي جادلته فغلبته قال أبو سليمان
 الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للبعد على
 ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فخرج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم
 الله بما يكون من أفعال العبادوا كسابهم وصدورها عن تقديره وخلق لها خبرها ونورها والقدر اسم لما
 صدر مقدر عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله
 فيهم أفعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملاستهم اياها عن قصد وعمد وتقدم ارادة واختيار فالجحة
 انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان
 أحدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء في رام الفصل بينهما فقدرام هدم البناء ونقضه وانما موضع
 الجحة لا آدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويا كل منها فكيف يمكنه أن يرد
 علم الله فيه وأن يبغله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا لتزوله الى الارض التي خاق لها وانما أدلى آدم
 بالجنة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه، ولذلك قال أتلو مني على أمر قدره الله على من قبل ان يتخلفني
 * (فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك) * قال الامام نضر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة
 الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر
 والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتهت الامم على كونهم معصومين عن
 الكذب مواظبين على التبليغ والتخريص والا لارتفع الوثوق بالاداء وانفقوا على أن ذلك لا يجوز
 وقوعه منهم عمد ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق
 بالفتيا فاجعوا على انه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمد وأجازها بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع
 في أفعالهم فقد اختلفت الامم فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم التكبير الثاني قول من
 منع من التكبير وجوز الصغار على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا
 كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الاعلى جهة السهو والخطا
 الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لاعلى سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو
 قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون
 من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول
 أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي
 الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين
 جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الامم وذلك غير
 جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان

(وعصى آدم ربه فغوى)

ضلل عن الرأى وعن
 ابن عيسى خاب والحاصل
 ان العيبان وقوع
 الفعل على خلاف الامر
 والنهي وقد يكون عمدا
 فيكون ذنبا وقد لا يكون
 عمدا فيكون زلة ولما وصف
 فعله بالعصيان خرج فعله
 من أن يكون رشدا فكان
 في الان التي خلاف الرشد
 وفي التصريح بقوله وعصى
 آدم ربه فغوى والعهد
 عن قوله وزل آدم من جرة
 بليغته وموعظة كافة للمكافين
 كانه قيل لهم انظروا
 واعتبروا كيف نعتت على
 النبي المعصوم حبيب الله
 ولتميم هذه الغلظة فلا تتهاونوا
 بما يفرض منكم من الصغائر
 فضلا عن الكبائر

أقل حالاً من عدول الأمة وذلك غير جائز أيضاً لان معنى النبوة والرسل هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضاً فإنه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بيد مهة العقل أنه لا شيء أقبح من رفع الله درجته وأتمنه على وجهه وجهه خليفته في عبادته وبإلاديه يسمعه ربه يتناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحاً للغرض واجتمعت الأمة على ان الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلولم يطيعوه لدخلوا تحت قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنها كمنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات وانفذه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا فاعلين لكل خير وتار كين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى ان الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ان الله يصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى وقال تعالى واذ كرعبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الابدى والابصار انا اخلصناهم بخاصة تذكري الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بآيات منها قصة آدم وهذه الجواب عنها أن تقول ان كلامهم انما يتم ان لو يدنو بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان آدم حال ماصدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبياً وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرقه بالنبوة والرسله وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أى جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً أى نسي عداوة ابليس له وما عهدنا الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استعمالاً لها واكتنه اغتر بخلف ابليس له اني اكلم لمن الناس حين وتوهم ان أحد الايخلف بالله كذا باوقيل نسي ولم يخو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزماً أى قصد المخالفة وقيل بل أكل من الشجرة مما تأولوه ولا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نفيتم عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكأنهم على ماسلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عبادته وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحماهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمر واجها وأتوا على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أو أخذوا عليها وعوتوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بما فهم حائضون وجاؤن وهي ذنوب بالاضافة الى علومهم ومعاصيهم بالنسبة الى كمال طاعتهم لانهم ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كقيل حسنة الارباب سيات المقرين أى يرونهم بالاضافة الى أحوالهم كالسيئات وسند كرفي كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى قوله عز وجل (ثم اجتباه ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أى عاد عليه بالعمو والمغفرة (وهدى) أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعاً) قيل الخطاب لآدم ومعذريته ولا بليس ومعذريته فصحه قوله اهبطا لاشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهم ما أصل البشر فجعلنا كأنهم ما البشر فخطوا طباً بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدواً (فاما يا آتيناكم هدى) أى كتاب ورسول (فن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة

(ثم اجتباه ربه) قربه اليه واصطفاه وقرى به وأصل الحكامة الجمع يقال جبي الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعاً) يعنى آدم وحواء (بعضكم) باذرية آدم (بعض عدو) بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين (فاما يا آتيناكم هدى) كتاب وشريرة (فن اتبع هداى فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في العقبى قال ابن عباس رضى الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجح من الضلال ومن عقابه

(ومن أعرض عن ذكرى) عن القرآن (فإن له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث عن ابن جبر
يسلمه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فبعيشه ضنك وحاله
مظلمة كما قال بعض المتوفقة لا يعرض أحدكم عن ذكره إلا أظلم عليه وقته ونشوش عليه رزقه (ومحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجته عن
ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيانا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا
(قال كذلك) أي مثل ذلك فعلمت أنت ثم فسر فقال (أتمك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أي أتمك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين
الاعتبار وتركتها وعييت عنها فكذلك (٢٥٢) اليوم نتركك على عمال ولا نزيل غطاء عن عينيك (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بايات

ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) لما توعد العارض
عن ذكره بعقوبتين
المعيشة الضنك في الدنيا
وحشره أعمى في العقبى
ختم آيات الوعيد بقوله
ولعذاب الآخرة أشد
وأبقى أي للعشر على العمى
الذي لا يزول أبداً من
ضيق العيش المنقضى (أفلم
يهدلهم) أي الله بديل
قسرة زيد عن يعقوب
بالنون (كم أهلكتنا قبلهم
من القرون يمشون) حال
من الضمير المجرور في لهم
(في مساكنهم) يريدان
قريشاً يمشون في مساكن
عاد وثمود وقوم لوط
ويعاينون آثارها لا وهم
(ان في ذلك لايات لاولى
النهى) لذوى العقول اذا
تفكروا وعلوا ان استصالحهم
لكفرهم فلا يفعلون مثل
ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت
من ربك) أي الحكم
بتأخير العذاب عن أمة

محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على
كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالألم الماضية الكافرة
(فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بمحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد ربك على ان وفقت للتسبيح وأعانك عليه (قبل طلوع
الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لانها واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها
(ومن آنا الليل فسبح) أي وتعد آنا الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصا بالعبادة لا تلك وقد تناول التسبيح في آنا الليل
صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وإنما
يجمع وأطراف النهار وهما طرفان من الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أي اذ كررته في هذه الاوقات جاء ان

قال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وأبو بكر أرى رضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطول به وأن لا يكاد رده استحسانا للمنظور إليه ومحبا به وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك ان يبادر الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنة الظلمة وعدد الفسقة في ملابستهم ومرا كبتهم حتى قال الحسن لا تنظر والى دقة ههنا الحج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء ليعيون النظارة فالناظر اليها يحصل لغرضهم ومغرلهم على اتخاذها (الى مامتعتها أز واجامتهم) أصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حال من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كأنه قال الى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحيوه الدنيا) زينتها وبهجتها (٢٥٣) وانتصب على النعم أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواج

على تقديري ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لتعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي (خبر وأبقي) مسمارزقوا (وأمر أهلك) أمثلك أو أهل بيتك (بالصلاة واصطبر) أنت دأوم (عليها) لا تستلثك رزقا) أي لا تسالك ان رزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) وياهم فلا تنتم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة ورحمك الله وكان بكر من عبد الله المزني اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فاصلوا به هذا أمر الله رسوله وعن

لا تضاهون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيتهم وروى بتشديد الميم من الاضمام والازدحام اي لا يزدحم ولا ينضم بعضهم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كالف التثنية للرؤية لا للمرئى وهى فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤيته يتزاح معهما الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترياون فيه ولا تشكون ﴿ قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف في معنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى الى هلال رجب فأنتبه فقلت له ذلك فقال والله لا أبيععه ولا أسلفه الا برهن فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخبرته فقال والله لئن لم يأتني ما عني أو أسلفنى لقضيت به وانى لا ميني في السماء وأمين في الارض اذهب يدري الحديدي اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظرا تكاد تردده استحسانا للمنظور اليه ومحبا به وتمنياله (الى مامتعتها) أي اعطينا (أز واجا) أي اصنافا (منهم زهرة الحيوه الدنيا) أي زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بان يزيد لهم النعمة فيزيدوا كفر وطغيانا (ورزق ربك) أي في المعاد في الجنة (خير وأبقي) أي ادوم وقال ابي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن اتبع بصره ما في ايدي الناس بطل حزنه ومن ظن ان نعمة الله عليه في مطعمه ومشر به وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه ﴿ قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) أي بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فانه انتهى عن الفعشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول (لا تستلثك رزقا) أي لا تكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل تكلفك عملا (نحن نرزقك) أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أي الخصلة المحموده لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوا واتبعوا وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (لولا يا نبينا آية من ربه) أي بالآية المقترحة فانه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) أي بيان ما فيها وهو القرآن لانه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف ما في التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الايات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فجلنا لهم العذاب والهلاك فبايؤم منهم ان اتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولوا نأهلككم بعذاب من قبله) أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينارسولا) أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينارسولا يدعوننا (فتتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متر بص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتر بص بمحمد ريب المتون وحوادث

مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد انه عليه السلام كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي وحسن العاقبة لاهل التقوى بخلاف المضائق (وقالوا) أي الكافرون (لولا يا نبينا آية من ربه) هلا يا نبينا محمدا آية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم تأتهم) أولم تأتهم مدني وحفص وبصري (بينة ما في الصحف الاولى) أي الكتب المتقدمة بمعنى انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقبل لهم أولم تأتهم أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المترلة ودليل صحته لانه محجزة وتلك ليست محجزات فهى مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها (ولوا نأهلككم بعذاب من قبله) من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا) هـ لا (أرسلت الينارسولا فتتبع) بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء (آياتك من قبل أن نذل) بتزول العذاب (ونخزى) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متر بص) منتظر للعاقبة وتلا يقول اليه أمرنا وأمركم

(فتر بصوا) أنتم (فستعلمون) إذا جاءت القيامة (من أحساب) مبتدأ وخبر وحملها ما نصب (الصرط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) (الي) النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه وبس والله أعلم بالصواب * (سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنان عشرين آية كوفي واحدى عشرة آية مدني وبصري) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اقرب) (دنا) (للناس) اللام صلة لا قرب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت تحاسبة الله اياهم وبجازاته على أعمالهم يعنى يوم القيامة وانما وصفه بالاقتراب لقلته ما بقى بالاضافة الى ما مضى ولان كل آت قريب (وهم في غفلة) عن حسابهم وعميا يفعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فلا اقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لا تستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لا يستهلكه في مولاه واعراضه عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب (٢٥٤) وتتنبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز

بلقارب العالمين (ماياتهم من ذكر) شئ من القرآن (من ربه) محدث في التنزيل آياته مبتدأة تسالوته قريب عهده باسماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدودها (الا استعوه) من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون أو وهم يلعبون ولاهية حالات من الضمير في استعوه ومن قرأ الأهية بالرفع يكون خيرا بعد خبر لقوله وهم ارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها قال ابو بكر الوراق القاب اللاهية المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة واهوالها (واسروا) وبالغوا

الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتر بصوا) أى فانظروا (فستعلمون) أى اذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أحساب الصراط السوي) أى المستقيم (ومن اهتدى) أى من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام) * وهي مكية وعدد آياتها مائة واثنان عشرة آية والف ومائة وعثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وعثمان مائة وتسعون حرفا * (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله عز وجل (اقرب للناس حسابهم) أى وقت تحاسبة الله اياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت في منكرى البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون اقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم في غفلة معرضون) أى عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم اذا نهوا من سنة الغفلة بما يتلى عليهم من الآيات والنداء عرضوا عنه (ماياتهم من ذكر من ربه) محدث يعنى ما يحدث الله من تنزيل شئ من القرآن يذكروهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة وفي وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرهما من الامور والوقائع وقيل المذكور الحديث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى نوحى (الا استعوه وهم يلعبون) أى لا عيبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية قلوبهم) أى ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسر والنجوى الذين ظلموا) أى بالغوا في اخفاء التماجي وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذى تناجوا به فقال تعالى تخبرنا عنهم (هل هذا الا بشرة مثلكم) يعنى انهم أنكروا الرسال البشر وطلبوا الرسال الملائكية والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من أشكاله اقرب (أفتأتون السحر) أى أتحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) أى تعلمون أنه سحر (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول فى السماء والارض) أى لا يخفى عليه شئ (وهو السميع) لا قوالهم (العليم) بافعالهم قوله عز وجل (بل قالوا أضغاث أحلام) يعنى أباطيل وأهواو بل رأها في النوم (بل افتراه) أى اختلقه (بل هو شاعر) وذلك ان المشركين اقتسموا القول فى النبي صلى الله عليه وسلم وفيما

في اخفاء (النجوى) وهى اسم من التماجي ثم ابدل (الذين ظلموا) من واو واسروا ايدا بانهم الموسومون بالظلم فيما يقوله أسروا به أو جاء على لغته من قال أكونى البراغيت أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلا من الناس أو هو منصوب المحل على الزم أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى فقدم عليه أى والذين ظلموا أسروا النجوى (هل هذا الا بشرة مثلكم) افتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله فى محل النصب بدل من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقوالهم ضميرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الاملا وكذا ان كل من ادعى الرسالة من البشر جاء بالمعجزه فهو ساحر ومجربته سحر فلذلك قالوا على سبيل النكار افتحضرون السحر وأنتم تشهدون وتعيانون انه سحر (فالربي) حزة وعلى وحفص أى قال محمد وغيرهم قل ربي اى قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يعلم القول فى السماء والارض) أى يعلم قول كل قائل هو فى السماء أو الارض سرا كان أوجهرا (وهو السميع) لا قوالهم (العليم) بما فى ضمائرهم (بل قالوا أضغاث أحلام) بل افتراه بل هو شاعر) اضربوا عن قلوبهم هو سحر الى انه تخالط أحلام رأها في نومه فوهمها وحيا من الله اليه ثم انه كلام مغترى من

عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والباطل رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر كما بينا
 (باية) بمجزة (كما أرسل الأتولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وبراءة الاكهم واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الأتولون
 من حيث انه في معنى كما أتى الأتولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للآيات ألا ترى أنه لا فرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى
 محمد بالمجزة فقد الله عليهم قولهم بقوله (ما آمنت قباهم من قرية) من أهل قرية (أهلكها) صفة لقرية عند سحبي الآيات المقترحة لانهم
 طلبوها تعنتا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لآياتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم
 والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلم اجاءتهم نكثوا واخلفوا فاهلكهم الله فلما أعطينا هؤلاء
 ما يقترحون لنكثوا أيضا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) يوحى حفص (فاسئلوا أهل
 الذكرك) العلماء بالكتاب فانهم يعرفون أن الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم
 لاتعلمون) ذلك ثم بين انه كن تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وخذ الجسد (٢٥٥) لارادة الجنس (لايا كون الطعام)
 صفة لجسد اي وما جعلنا

يقوله فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو قرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءه كبه شعر (فلا أتينا)
 يعني النبي صلى الله عليه وسلم (باية) أي بمجزة ان كان صادقا (كما أرسل الأتولون) أي من الرسل بالآيات
 قال الله تعالى في محيبيهم (ما آمنت قباهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية أتتهم الآيات
 (أهلكها) أي بالتكذيب (أفهم يؤمنون) أي ان جاءتهم سم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما
 جاءتهم أفيؤمن هؤلاء ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما أرسلنا قبلك الا رجالا فلوحى اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا
 الا بشر مثلكم والمعنى ان لم ترسل الملائكة الى الأتولين انما أرسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك (فاسئلوا أهل الذكرك)
 يعني أهل التوراة والانجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله ان ينكرون به وقال أهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق
 من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكرك القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن
 (ان كنتم لاتعلمون) ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا لا يكون الطعام) هذا رد لقولهم
 ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا
 خالدين) أي في الدنيا بل يموتون = غيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدناهم باهلاك أعدائهم
 (فانجيئناهم ومن نشاء) أي من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أي المشركين لان المشرك
 مسرف على نفسه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (لقد أنزلنا اليكم) أي بامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم
 ونفركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكركم ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل
 فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكركم بمعنى الوعد والوعد (أفلات تعلمون) فيه بعث على التدبر لان الخوف
 من لوازم العقل ﴿ قوله تعالى ﴾ (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أي كافترة المراد أهل
 القرية (وأنشأنا بعدهم) أي أحد ثنائيا بعد هلاك أهلها (قوما آخريين فلما أحسوا بأسنا) أي عذابنا
 بحاسة البصر (إذا هم منها يركضون) أي يسرعون هاربين من قريبتهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا)
 أي قبل لهم لانه يركضون (وارجعوا الى ما ترفتم فيه) أي تعتمتم فيه من العيش (ومسا كنتم لعلكم تأسلون)

صفة لجسد اي وما جعلنا
 الانبياء قبله ذوى جسد
 غير طامعين (وما كانوا
 خالدين) كانوا قلوبا هلا
 كان ملاكلا يطعم ويخلد
 امام معتقدين أن الملائكة
 لا يموتون أو مسمين بقاءهم
 الممتد وحياتهم المتطاوله
 خلودا (ثم صدقناهم الوعد)
 بانجائهم والاصل في الوعد
 مثل واختار موسى قومه
 أي من قومه (فانجيئناهم)
 مما حل بقومهم (ومن نشاء)
 هم أو من (وأهلكنا
 المسرفين) الجاوزين الحد
 بالكفر ودل الاخبار
 بأهل الكفر المسرفين على أن
 من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا
 اليكم) بامعشر قريش
 (كتابا فيه ذكركم) شرفكم
 ان عبادته أولانه بالسانكم
 أوفيه موغظتكم أوفيه

ذكركم ودينكم ودنياكم والجملة أي فيه ذكركم صفة لكتابا (أفلات تعلمون) ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنوا (وكم) نصب بقوله (قصمنا) أي
 أهلكنا (من قرية) أي أهلها بدليل قوله (كانت ظالمة) كافترة وهي وارده عن غضب شديد ويخطو عظيم لان القصم أقطع الكسر وهو
 الكسر الذي بين ثلاثين الاجزاء بخلاف القصم فانه كسر بلا ياءه (وأنشأنا) خلقنا (بعدها قوما آخريين) فسكنوا مساكنهم (فلما أحسوا)
 أي المهايكون (بأسنا) عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة (إذا هم منها) من القرية وإذا للمفاجأة وهم مبتدأ والخبر (يركضون) يهربون
 مسرعين والر كض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركضوا ويهربون يركضون هاربين من قريبتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا في سرعة
 عدوهم على أرجلهم بالر كض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركضوا ويهربون يركضون هاربين من قريبتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب أو شبهوا في سرعة
 من الدنيا ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه (ومسا كنتم لعلكم تأسلون) أي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا
 الى نعيمكم ومسا كنتم لعلكم تأسلون غدا عا جارى عليكم ونزل باموالكم فحسبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في
 مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ به أمركم ونهيكم ويقولوا لكم تأسرون وكيف نأتى ونذكر عبادتنا للنعيم الخمد من أو يسألكم الناس
 في أئديتكم المعاونة في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطامع ويستطرون سحبا كلكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا

وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعالم تستلون ما لا خراجا فلا تقتلون فنودي من السماء بالثارات الانبياء وأخذتهم السيوف فشم قالوا يا ويلنا اننا كنا ظالمين اعترفهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف (فما زالت تلك) هي اشارة الى يا ويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أى الزرع المحصول ولم يجمع كالم يجمع المقدر (خامدين) ميتين نجوم النار وحصيدنا حامدين مفعول ثان جعل أى جعلناهم جامعين لمائة الحصد والنجد كقولك جعلته حادوا حامضاً أى جعلته جامعا للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عينين) اللعب فعل يروق وأوله ولا نبات له ولا عين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد (٢٥٦) الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب وانما سويها ما يستدل به على قدره مدبرها

ولنجازى المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته عن سمات الحدث بقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أى ولدا أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لتخذناه من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كما فاعلين) أى ان كما من يفعل ذلك ولستنا من يفعله لاستحالة في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان أدري أى ما كنا فاعلين (بل نقذف) بل اضرب عن اتخاذ الهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحانه أن نتخذ الهو بل من يستنمنا أن نقذف أى نرى ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) ويكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان أصل استعمال القذف

قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل زلت هذه الآية في أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم يختصر قتلهم وسببهم فلما استقر فيهم القتل هر يوافق الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعالم تستلون شيئا من دنياكم فتعطون من شتم وتمنعون من شتم فأنكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم يختصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جوار السماء بالثارات الانبياء فلما رآوا ذلك اقر وبالذنوب حين لم ينفعهم (قالوا يا ويلنا اننا كنا ظالمين) أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) أى تلك السكاهة وهى قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أى بالسيوف كالحصد الزرع (خامدين) أى ميتين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عينين) معناه ما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب والهو وانما سويها ما انفرد منها التفكير في خلقها وما فيها من العجائب والمنافع التى لا تعد ولا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لها) قال ابن عباس الهو والمرأة وعنه انه الولد (لتخذناه من لدنا) أى من عندنا من الحور العين لان عندكم من أهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جأتر فى حقنا لم نتخذ به بحيث يظهر لكم بل نسترد ذلك حتى لا تطاعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا فى المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (ان كنا فاعلين) أى ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل) أى دع ذلك الذى قالوه فانه كذب وباطل (نقذف) أى نرى ونسلط (بالحق) أى بالايمان (على الباطل) أى على الكفر والمعنى اننا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضعف ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يا معشر الكفار (بما تصفون) الله بما لا يليق به من صاحبة والولد (وله من فى السموات والارض) أى عبيدا وملكاهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم (ومن عنده) يعنى الملائكة وانما يخص الملائكة وان كانوا داخلين فى جملة من فى السموات اكرامهم ومزيد الاعتراف بهم (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستخسرون) أى لا يعبون ولا يتعبون وقيل لا يقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أى لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتري في جميع أوقاتهم لا تتخله فترة بفراغ أو شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعنى الأصنام من الحجار والحشب وغيرهما من المعادن وهى من الارض (هم ينشرون) أى يحبون الاموات اذ لا يستحق الالهة الا من يقدر على الاحياء والايجاد

والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف ليراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل فالاستعارة منه حسى والاستعارة عقلية من فكانه قبل بل نور الحق الشبيه بالجسم القوى على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيطاله ابطال الجسم القوى الضعيف (فاذاهو) أى الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل بما تصفون) انه من الولد ونحوه (وله من فى السموات والارض) خلقا وما كفا فى يكون شئ منه وولده وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزل ولا مكانا يعنى الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستخسرون) ولا يعبون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أى تسبيحهم متصل دائم فى جميع أوقاتهم لا تتخله فترة بفراغ أو شغل آخر فتسبيحهم حاو مجرى النفس منام اضرب عن المشركين منكر عليهم ومو بخالفاء بأى التى يعنى بل والهزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحبون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر

الارض كالذهب والفضة والخبر وتعد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني أو متعلق بالخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان أصنامهم تحي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموتى لانه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الانشار لان العاخر عنه لا يصح أن يكون الهاذا (٢٥٧) لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة

من العدم والانعام بالبع وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة الا الله) أي غير الله (لفسدتا) أي لخربتا وهلك من فيهما لو جود التمانع من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنينين فما كثر لم يجز على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالا وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك يدوتسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يتجمع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنع المرادان معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادرا على الا انهاء لعله امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحتم أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيتها انه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لا مكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلا بالاجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكونه حاصلهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجها اليهما معا وذلك محال وهذه حجة نامية في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور الواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً أو نقول لو قدرنا الهين فاما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه معهما وهو محال وان اختلفا فاما أن يقع المرادان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلالة التمانع ففسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول بالهيتها عبدة الأصنام لزم فساد العالم لانها جادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به ﷻ وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) أي لا يسئل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يسئلون) أي والناس يسئلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدي واضلال واسعاد واسقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لانهم عبدي يجب عليهم امتثال أمر مولا هم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعلتم لم فعلتم ﷻ قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه

المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الباء وهما لثنتان أنشرا لله الموتى ونشرها أي أحيهاها (لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصفت آلهة بالا كذا وصفت بغير لوقيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البديل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام معه موجب والبديل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقولهم تعالى ولا يلتفت منكم أحد الامرأتك ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكر الا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه لا يعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى ولا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (لفسدتا) لخربتا لو جود التمانع وقد قرره في أصول الكلام ثم زهذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يسئل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض عبده مع وجود

(٢٣ - خازن) - ثالث) التخانس وجواز الخطا عليه وعدم الملك الحقيقي لاستحقاق ذلك وعدسفا فن هو مالك المولود ورب الارباب وفعله صواب كماه أولى بان لا يعترض عليه (وهم يسئلون) لانهم مملوكون خطاؤون فسا خلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسئلون يرجع الى المسبح والملائكة أي هم مسؤولون فكيف يكونون آلهة والالوهية تنافي الجنسية والمسؤولية (أم اتخذوا من دونه آلهة) الاعادة لزيادة الافادة فالاول لا ينكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل أي وصفتهم الله تعالى بان يكون له شريك فقبل لمحمد

(أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالاً ثابتة (أن نمد بهم) لئلا تضطرب بهم فذوقوا
واللام وانما جاز حذف لعدم الالتباس كما زاد ذلك في ثلاثية علم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجاً) أي طرقاً واسعة جمع فيج وهو الطريق
الواسع ونصب على الحال من (سبلاً) متقدمتان قلت أي فرق بين قوله تعالى تسلسلوا منها سبلاً فجاجاً وبين هذه قلت الأولى للاعلام بأنه جعل
فيها طرقاً واسعة والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقتها على تلك الصفة فهو بيان لما بهم ثم (لعلهم يهتدون) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وجعلنا
السماء سقفا محفوظاً) في موضعه عن السقوط كقوله تعالى والسماء السابعة سقفا محفوظاً (أي من أن يسقط
وحفظنا ما من كل شيطان رجيم) وهم أي الكفار (عن آياتها) عن الأدلة التي فيها كالشمس (٢٥٩) والقمر والنجوم (معرضون) غير
متفكرين فيها فيؤمنون

(وهو الذي خلق الليل)
لتسكنوا فيه (والنهار)
لتتصرفوا فيه (والشمس)
لتسكنوا سراج النهار
(والقمر) ليكون سراج
الليل (كل التنوير)
فيه عوض عن المضاف إليه
أي كلهم والضمير للشمس
والقمر والمراد بهما جنس
الطوالع وجمع جمع العقلاء
لوصف بقولهم وهو
السباحة (في ذلك) عن ابن
عباس رضي الله عنهما
الفلك السماء والجوهر على
أن الفلك سراج مكفوف
تحت السماء تجري فيه
الشمس والقمر والنجوم
وكل مبتدأ خبره (يسبحون)
يسبرون أي يدورون والجلة
في محل نصب على الحال
من الشمس والقمر (وما
جعلنا البشر من قبل الخلد)
البقاء الدائم (أفان مت)
بكسر الميم مدني وكوفي غير
أبي بكر (فهم الخالدون)
والفقاء الأول لعطف جملة
على جملة والثاني لجزء

هذا اللفظ مخرج الأغلب والاكثر يعني أن أكثر ما على وجه الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا
يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً ثابتة (أن نمد بهم) أي لئلا نمد بهم
قبل أن الأرض بسطت على الماء فكانت تحرك كما تحرك السفينة في الماء فإرساها الله وأثبتها بالجبال
(وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فجاجاً) أي طرقاً ومسالكاً والفجاج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلاً) هو
تقسيم الفجاج (لعلهم يهتدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) أي من أن يسقط
ويقع وقيل محظوظاً من الشياطين بالشهب (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) أي عما خلق الله
فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها - والترتيب العجيب الدال
على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس
والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون ويسبرون بمرعة كالسباح في الماء وانما قال يسبحون ولم يقل تسبح
على ما يقال للملايعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضيئها
وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمع أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريدان الذي
تجري فيه النجوم مستدير كما ستادارة الرجي وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجري
في السماء الذي قدر فيه وقيل الفلك استدارة السماء وقيل الفلك مروج مكفوف دون السماء تجري فيه
الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الأفلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للحرق والالتئام
والنمو والذبول والحق أنه لا سبيل إلى معرفة فصطة السموات إلا بأخبار الصادق فسبحان الخالق المبدئ الخالق
بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية ﴿قوله عز وجل﴾ (وما جعلنا البشر من قبل الخلد) يعني الدوام والبقاء
في الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتر بص بمحمد ذريب المنون نشئت بموته فنفي
الله الشبهة عنهم ذوا المعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشر إلا أنت ولا هم فان مت أنت أفيبقى
هو لاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بما أفيقوا * سلبق الشامتون كلقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فان الله
تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله
(وبلواكم) أي تخبركم (بالشر والخير) أي بالشد والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما
تكرهون (فتنة) أي ابتلاء لنظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والبنات رجعون) أي
لحساب والجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (وإذ آراك الذين كفروا) أي ما يتخذونك (الأهزوا) أي سخر يا قيل
نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبدمناف (أهذا الذي يذكر
آلهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آلهتكم والذي يذبح على المدح والذم مع القرينة
(وهم يذكروا الرجمن هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرجمن إلا رجمن اليمامة وهو مسيلة
الشرط كانوا يقدرون أنه سموت فنفي الله عنه الشبهة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشر فان مت أنت أفيبقى هو لاء (كل نفس ذائقة
الموت ونبأواكم) ونخبركم سمي ابتلاء وان كان عالماً سبكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر
(والخير) الغنى والنفق (فتنة) مصدر مؤن كدلتبواكم من غير لفظه (والبنات رجعون) فنجازيكم على حسب ما لو جدمنكم من الصبر والشكر
وعن ابن ذكوان توجعون (وإذ آراك الذين كفروا) ان يتخذونك (ما يتخذونك) (الأهزوا) معقول ثان ليتخذونك نزلت في أبي جهل مر به النبي
صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبدمناف (أهذا الذي يذكر) يعيب (آلهتكم) والذي يذبح يكون بخير وبخلافه فان كان الذكرك
صديقاً فهو نناء وان كان عدواً فذم (وهم يذكروا الرجمن) أي يذكروا الله وما يجب أن يذكروه من الوحدا نية (هم كفرون) لا يصدقون به أصلاً

فهم أحق ان يتخذوا هزواً وامنك فانك بحق وهم مبطلون وقيل يدكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كاذبون جاحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزء والسخر به رضى الكفر بالله تعالى وكرهم لنا كيداً ولأن الصلة طالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعمل بالعذاب والعجل والجملة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه الجملة فكانه خلق من العجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول ان يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولادهم الانسان على افراط الجملة وأنه مطبوع عليها ثم منع وزجره كأنه قال ليس يبدع منه أن يستعمل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حير قال شاعرهم * النخل ينبت بين الماء والعجل * وانما منع عن الاستعمال وهو مطبوع عليه (٢٦٠) كما أمره بقمع الشهوة وقدر كبرها فيه لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك الجملة

ومن عجل حال أي عجل
(سأريكم آياتي) نعماني
(فلا تستعجلون) بالآيات
بما هو بالياء عند يعقوب
واقفه سهل وعياش في
الوصل (ويقولون متى هذا
الوعد) آيات العذاب أو
القيامة (ان كنتم صادقين)
قيل هو أحد وجهي
استعمالهم (لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون)
جواب لو محذوف وحين
مفعول به ليعلم أي لو يعلمون
الوقت الذي يستعجلونه
بقولهم متى هذا الوعد وهو
وقت تحيط بهم فيه النار من
وراء وقدام فلا يقدر ان
على دفعها ومنعها من
أنفسهم ولا يجدون ناصرًا
ينصروهم لما كانوا تلك الصفة
من الكفر والاستعجال ولكن جهلهم
به هو الذي هوته عندهم

الكذب قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقه من الجملة وعليها طبع وقيل لما
دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظرا الى شمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتوى الطعام فوثب قبل ان تباع
الروح الى رجليه عجل الى شمار الجنة فوقع ففعل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه الجملة وقيل معناه خلق
الانسان من عجل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل
مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل
على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقه ثم من مضغ أطوارا وطورا بعد طور وقيل معنى
خلق الانسان من عجل أي من طين قال الشاعر * والنخل ينبت بين الماء والعجل * أي بين الماء والطين وقيل
أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا
يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم يأتي أي مواعيدى فلا تطلبوا العذاب
قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة لذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فقيل تعالى أنهم إنما
يقولون ذلك لجهلهم وغفاتهم ثم بين ما هو لهؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون)
أي لا يدعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السباط (ولاهم ينصرون) أي لا يجتمعون من
العذاب والمعنى لو علموا ما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
(بل تأتيمهم) يعني الساعة (بغتة) أي فجأة (فتبتهم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها
عنهم (ولاهم ينظرون) أي لا يجهلون للتوبة والمغفرة (ولقد استهزئوا برسول من قبلك) أي بما جحد كما استهزأ بك
فومك (فحاق) أي نزل وأحاط (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي عقوبة استهزأهم وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم أي فكذلك يحق بهم ولأعقاب استهزأهم قوله تعالى (قل من يكأؤم) أي
يحفظكم (بالليل) اذا تختم (والنهار) اذا انصرفتم في معاشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم
من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواظبه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها
(أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) معناه آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال
(لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يقدر ان على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدتهم (ولاهم منا
يصحبون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بحير (بل متعنا
هؤلاء) يعني الكفار (وآبأهم) أي في الدنيا بأن أعمناع عليهم وأملناهم (حتى طال عليهم العمر) أي

(بل تأتيمهم) الساعة (بغتة) فجأة (فتبتهم) فتحيرهم أي لا يكفونهم بل فجأهم فتعابهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يقدر ان على امتد
دفعها (ولاهم ينظرون) يجهلون (ولقد استهزئوا برسول من قبلك فحاق) فخل ونزل (بالذين سخروا منهم) جزاء (ما كانوا يستهزئون) سلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزأهم به بان له في الانبياء أسوة وان ما يفعلونه به يحق بهم كما حق بالمشتهزين بالانبياء مما فعلوا (قل من يكأؤم)
يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه ان أنما كليلاً أو نهاراً (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا
يخطر ونه بيا لهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذار رفقوا الكلاءة منه عرفوا من الكلى وصلحوا للسؤال عنه والمعنى انه أمر رسوله بسؤالهم عن
الكلى ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لعارضهم عن ذكر من يكأؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) لسانى أم من معنى
بل فقال لهم آلهة تمنعهم من العذاب تجاوزت معننا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين ان ما ليس
بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا يصحبون من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل متعنا هؤلاء وآبأهم حتى طال عليهم العمر)

أي ما فهم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو من الأمان مانع بمنعهم من اهلا كنا وما كلاً ناهم وآباءهم المناصين التي جعلها لهم بالحياة الدنيا وما هالا
كلمة تغايرهم من الكفار ومهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم ووطنوا اثمهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أن أناتني
الارض تنقصهما من أطرافها) أي تنقص أرض الكفر ونحف أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام وذكر
بأنني يشير بان انه يجريه على أيدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين (٢٦١) وتأتيها غالبية علمها ناقصة من أطرافها

(أفهم الغالبون) أفكفار
مكة تغلبون بعد ان نقصنا
من أطراف أرضهم أي
ليس كذلك بل يعلمهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه بنصرتنا (قل إنما
أندركم بالوحي) أخوفكم
من العذاب بالقرآن (ولا
يسمع الصم الدعاء) يفتح
الياء والميم ورفع الصم ولا
تسمع الصم شأى على
خطاب النبي صلى الله عليه
وسلم (إذا ما ينذرون)
يخوفون واللام في الصم
للعهد وهو إشارة الى هؤلاء
المنذرين والاصل ولا يسمعون
إذا ما ينذرون فوضع
الظاهر موضع المضمحل للدلالة
على تصامهم وسددهم
أسماعهم إذا ما أندروا
(ولئن مستهم نفحة) دفعة
يسيرة (من عذاب ربك)
صفة لنفحة (ليقولن يا ويلنا
إنما كنا ظالمين) أي ولئن
مسهم من هذا الذي ينذرون
به أدنى شئ لذوا ودعوا
بالويل على أنفسهم وأقربوا
أنهم ظلوا أنفسهم حين
تصاموا وأعرضوا وقد بولغ
حيث ذكر المس والنفحة
لان النفخ يدل على القلة يقال

امتد بهم الزمان فاعتروا (أفلا يرون) يعني هؤلاء المشركين (إن أناتني الارض تنقصهما من أطرافها) يعني
تنقص من أطراف المشركين وتزيدني أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتح
ديار الشرك أرضاً فأرضوا قومه فقربه والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستجلبون بالعذاب أن انا قد رتنا
في آيات الارض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وادخالها في ملك
محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المنتعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم ويعلموا أنهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن ارادتنا فهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام
بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (إنما أندركم بالوحي) أي أخوفكم
بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) أي يخوفون (ولئن مستهم) أي أصابتهم (نفحة) من عذاب
ربك قال ابن عباس طرف وقيل شئ قليل (ليقولن يا ويلنا إننا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعد
ما اقرروا على أنفسهم بالظلم والشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل وصفها
بذلك لان الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه فيبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى
وضعها احضارها (ليوم القيامة) أي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فن
أحاطت حسناته بسببها فاز ونجاو بالعكس ذلك وخسر والصحيح الذي عليه آفة السافان الله سبحانه وتعالى
يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الاقوال أنه
ميزان واحد وإنما جاع لاعتبار تعدد الاعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأله ربه عز
وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة متما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال الهى من الذى
يقدر ان يعلل كفته حسنات قال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملائمتها بقره فعلى هذا فى كيفية وزن
الاعمال مع انها اعراض طريقتان أحدهما ان توزن بحائث الاعمال فتوضع بحائث الحسنات فى كفة
وحائث السيئات فى كفة والثانى أن يجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقه وفى كفة السيئات جواهر
سود مظلمة فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولا نقيم لهم يوم القيامة وزناً قلت هذه
فى حق الكفار لانهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر ﴿ وقوله تعالى ﴾ (فلا تطلم نفس شيئاً) أى لا تبخس مما
لهوا ما عليها من خير وشراً شيئاً (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) معناه انه لا ينقص من احسان
بحسن ولا يزداد فى اساءة مسمى وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتيناها أى أحضرناها الخجازى
هم اعم عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخص رجلاً من أمتى
على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشره تسعة وتسعين سجلاً كل سجلاً مد البصر ثم يقول أتسکر من هذا
شئاً أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك
عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تطلم فتوضع السجلات فى
كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا ينقل مع اسم الله شئاً أخرجه الترمذى السجل
الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لانه يجمع أحكامها والبطاقة ورقة صغيرة تجعل فى طى الثوب يكتب

نفحة بعبطية رخصتها مع ان بناءها المرهونة فى المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفخ فى معنى القلة والنزارة يقال نفخته الدابة وهو مرجح لين
ونفحه بعبطية رخصه والبناء للمرهونة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشئ فتعرف كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان
وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما فى قوله يا أيها الرسل والوزن اصحائفة الاعمال فى قول (القسط) وصفت الموازين بالقسط وهو العدل
مبالغة كلتها فى نفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أى لاجلهم (فلا تطلم نفس شيئاً) من
الظلم (وان كان مثقال حبة) وان كان الشئ مثقال حبة مثقال بالرفع مدنى وكذا فى ايمان على كان التامة (من خردل) صفة لحبة (أتيناها)

أخضرناها وأنت ضمير المثل لاضافته الى الخيمة كقولهم ذهب بعض أصابعه (وكفي بناحاسين) عاين حافظين عن ابن عباس رضى الله
 عنهم لان من حفظ شيئا حسبه وعلمه (واقداً تيناموسى وهرون الفرقان وضيا عوذ كرا) قيل هذه الثلاثة هي التوراة فهى فرقان بين الحق
 والباطل وضيا يستضاه به ويتوصل به الى سبيل النجاة ووذ كراى شرف أو وعظ وتبنيه أو ذ كرا يحتاج الناس اليه فى مصالح دينهم ودخلت
 الواو على الصفات كما فى قوله وسيدوا وحضورا ونبيا وتقول مررت بزيد الكرىم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله (للمتقين)
 ومحمل (الذين) جرح على الوصفية أو (٢٦٢) نصب على المدح أو رفع عليه (بخشون ربهم) بخافونه (بالغيب) حال أى يخافونه فى الخلاء

(وهم من الساعة) القيامة
 وأهوالها (مشفقون)
 خائفون (وهذا) القرآن
 (ذ كرا مبارك) كثير الخير
 غزى بالرفع (أزولناه) على
 محمد (أفأنتم له منكرون)
 استفهام توبخ أى جاحدون
 انه مهزل من عند الله (ولقد
 آتينا ابراهيم رسده) هداه
 (من قبل) من قبل موسى
 وهرون أو من قبل محمد عليه
 السلام (وكلبه) باراهيم
 أو برشده (عالمين) أى علمنا
 انه أهل لما آتيناها (اذ) اما
 أن تتعلق بآتينا أو برشده
 (قال لا يسهو وقومه ما هذه
 التماثيل) أى الاصنام
 المصورة على صورة السباع
 والطيور والانسان وفيه
 تجاهل لهم ليحقر آلهتهم
 مع علمه بتعظيمهم لها (التي
 أنتم لها عاكفون) أى
 لاجل عبادتها مقيمون
 فلما يحجز واعتن الاتيان
 بالدليل على ذلك (قالوا
 وجدنا آباءنا لها عاكفين)
 فقلنا لهم (قال) ابراهيم
 (لقد كنتم آتيم وآبؤكم كفى
 ضلال مبين) أرادان المقلدين
 والمقلدين منخرطون فى

فيها غنمها والطمس الخفة قلت فى الحديث دليل على ان صحائف الاعمال هى التى توزن لأن الاعمال تنجسد
 جواهر فتوزن والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (وكفى بناحاسين) قال ابن عباس معناه كفى بناعالمين حافظين لان
 من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان فى العلم بحيث لا يمكن ان يشبهه
 عليه شئ وفى القدرة بحيث لا يعجز عن شئ فحقيق بالعقل أن يكون بأشد الخوف منه و يروى عن الشبلى انه
 روى فى المنام فقبل له ما فعل الله بلك فقال

حاسبونا فقد تقوا * ثم منوا فاعتقوا هكذا سمية الملوك * بالمعالميك يرفقوا

﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعنى الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة
 وقيل الفرقان لنصر على الاعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعنى التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل
 الواو زائدة فى وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة وضياء (وذ كرا للمتقين) يعنى يتذكرون ويوعظونها
 ويعملون بما فيها (الذين بخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه فى الخلاء اذا غابوا عن
 أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أى خائفون (وهذا ذ كرا مبارك أزولناه) أى كما آتينا موسى
 التوراة فكذلك آتينا القرآن ذ كرا مباركا أى هو ذ كرا لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير
 (أفأنتم) يا أهل مكة (له منكرون) أى جاحدون ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد آتينا ابراهيم رسده) أى صلاحه
 وهداه (من قبل) أى من قبل موسى وهرون وقيل من قبل الباع وهو حين خرج من السرب وهو صغير
 (وكلبه عالمين) أى انه من أهل الهداية والنبوة (اذ قال لا يسهو وقومه ما هذه التماثيل) يعنى الصور والاصنام
 (التي أنتم لها عاكفون) أى مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عاكفين) أى فاقدمت بناهم (قال)
 يعنى ابراهيم (لقد كنتم آتيم وآبؤكم كفى ضلال مبين) أى فى خطاين بعبادتك آياها (قالوا أجنبتنا بالحق)
 أى بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم أنت لاعب (قال بل ربكم رب السموات
 والارض الذى فطرهن) أى خلقهن (وأناعلى ذلكم من الشاهدين) أى على انه الاله الذى يستحق العبادة
 وقيل شاهد على انه خالق السموات والارض (وتالله لا كيدن أصنامكم) أى لا مكرن بها (بعدان تولوا
 مدبرين) أى منطلقين الى عيدكم قيل إنما قال ابراهيم هذا القول سرا فى نفسه ولم يسمع ذلك الارجل واحد
 من قومه فأفشاء عليه وهو القائل أنا سمعنا قتي يدكرهم وقيل كان لهم فى كل سنة مجمع وعباد فكانوا اذا
 رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا والهائم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم
 يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه الى
 الارض وقال انى سقيم أستسكى رجلى فتر كوه ومضوا فنادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لا كيدن
 أصنامكم فسمعوه هانم ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهن فى بهو عظيم ومسدت قبل باب البهو صنم عظيم
 الى جنبه صنم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض كل صنم الذى يليه أصغر منه وهكذا الى باب البهو
 واذاهم قد جعلوا طعاما بين يدي الالهة وقالوا اذار جمعنا وقد تركت الالهة عليه آكنا منه فلما نظر ابراهيم
 اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الالهة انما آكون فلما لم يجيبوه قال ما أسكم

سلك ضلال ظاهرا لا يخفى على عامل وأكذب انتم ليصع العطف لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل تمتنع (قالوا أجنبتنا بالحق) لا
 بالجد (أم أنت من اللاعبين) أى اجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظما منهم انكاره عليهم واستبعاد الان يكون ما هم عليه ضلالا ثم أضرب
 عنهم مخبرا بان جاد فيما قال غير لاعب مثبتا لربوبية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن)
 أى التماثيل فانى بعد المخلوق ويترك الخالق (وأناعلى ذلكم) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفى البناء
 معنى التجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطته ثم رد (لا كيدن أصنامكم) لا كسرتم (بعدان تولوا مدبرين) بعد

ذهبكم عنها الى عبدكم قال ذلك سر من قومه فسمعهم رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم اى ساقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام (فعلهم جذ اذا) قطع من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذيد اى مجزود تخفيف وخفاف (الالكبير لهم) للاصنام اول الكفار اى فكسرها كما هبنا في يده الا كبيرها فعلق الفاس في عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كسرها فيبين لهم عجزه اى الى ابراهيم ليخرج عليهم ثم اى الى الله اى اعجز آلهتهم (قالوا) اى الكفار حين رجعوا من عيدهم وراوا ذلك (من فعل هذا) لهننا انه لمن الظالمين اى ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرأته على الآلهة الحقيقية عندهم بالتوقيع والتعظيم (قالوا) سمعنا قتيذ كرههم يقال له ابراهيم) الجملتان صفتان لغتي الا ان الاول وهو يذكرهم اى يعيبهم لادبهم لا سمع لانك لا تقول سمعت يداوتسكت حتى تذكري شيئا مما يسمع بخلاف الثانى وارتفاع ابراهيم بانه فاعل يقال (٢٦٣) فالمراد الاسم لا المسمى اى الذى يقال له هذا الاسم (قالوا)

أى غرود وأشرف قومه
 (فتأوبه) أحضر و ابراهيم
 (على أعين الناس) فى
 محل الحال بمعنى معاينا
 مشاهدا اى عرأى منهم
 ومنظر (لعلهم يشهدون)
 عليه بما سمع منه أو بما
 فعله كأنهم كرهوا عتابه
 بلا بينة أو يحضرون
 عقوبتنا له فلما أحضروه
 (قالوا) أنت فعلت هذا
 يا لهتنا يا ابراهيم قال
 ابراهيم (بل فعله) عن
 الكسائى انه يقف عليه
 اى فعله من فعله وفيه حذف
 الفاعل وانه لا يجوز جاز
 أن يكون الفاعل مسندا
 الى الفتى المذكور فى قوله
 سمعنا قتيذ كرههم اى
 ابراهيم فى قوله يا ابراهيم ثم
 قال (كبيرهم هذا) وهو
 مبتدأ وخبره والاكثر انه
 لاوقف والفاعل كبيرهم
 وهذا وصف أو بدل ونسب
 الفعل الى كبيرهم وقصده

لا تنطقون فراغ عليهم ضمير بابا يمين وجعل يكسرها بنفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق
 الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (فعلهم جذ اذا) اى كسروا قطعاً (الالكبير لهم)
 اى تركه ولم يكسروه ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثني عشر وسبعين صنماً بعضها من
 ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورمصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير
 من الذهب مكلابا لجواهر في عينيه يا قوتتان تتقدان وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون
 الى ابراهيم والى دينه وما يده وهو اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم
 فيسألونه ما هؤلاء تكسروا وانت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم
 وراوا صنمهم مكسراً (قالوا) من فعل هذا يا لهتنا انه لمن الظالمين اى فى تكسرها واجترائه عليها (قالوا)
 سمعنا قتيذ كرههم اى يسبهم ويعيبهم (يقال له ابراهيم) اى هو الذى نطن أنه صنع هذا فبلغ ذلك غرود
 الجبار وأشرف قومه (قالوا) فتأوبه على أعين الناس اى جئوا به طاهرا بمرأى من الناس وانما قاله غرود
 (لعلهم يشهدون) اى عليه بانه الذى فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون
 عتابه وما يصنع به فلما تأوبه (قالوا) له (أأنت فعلت هذا يا لهتنا يا ابراهيم قال) يعنى ابراهيم (بل فعله
 كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها وأراد ابراهيم بذلك اقامة الحججة
 عليهم فذلك قوله (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) اى حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدر واعلى
 النطق قدر واعلى الفعل فأراههم عجزهم عن النطق وفى ضمنه أن أفاعت ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ننتين منهن فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله
 كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لعظ الترمذى قيل فى قوله انى سقيم اى ساقم وقيل سقيم القلب معتم
 بضلاتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعل على
 طريق التبيكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختى اى فى الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل
 هذه الالفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم
 يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام
 صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم طاهرها خلاف باطنها
 أشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها و أخذته بها قال البغوى وهذه التأويلات نقي الكذب عن
 ابراهيم والاولى هو الاول للعديت ويجوز أن يكون الله أذن له فى ذلك لقصد الصلاح وتوبخهم والاحتجاج
 عليهم كما أذن ليوסף حين أمر مناديه فقال أيتها امير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين

تقرر به لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريض تبيكيتهم والزما للحنة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وانه
 لا يصلح الها وهذا كقولك صاحبك وقد كتبت كتابا بخاطر شيق أتيتك أنت كتبت هذا وصاحبك اى فقلت له بل كتبتك أنت كان قصدك
 بهذا الجواب تقرر به لادمع الاستزاعه لانفيه عنك واثباته لادى لان اثباته للعاجز منك والامر كأن بينكما استزاعه واثبات للقادر ويمكن
 أن يقال غاطته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة وكان غمظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تظلمهم له فاستدل الفعل اليه لان الفعل كما يستند
 الى مباشرة يستند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجوز مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من
 حق من يعبدو يدعى الهان بقدر على هذا ويحكى أنه قال غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرها أو هو متعلق بشرط
 لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيها للعجز عنه اى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاسألوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه
 وانما أضاف نفسه اليهم لاستراحتهم فى الحضور (فاسألوهم) عن حالهم (ان كانوا ينطقون) وأنت تعلمون عجزهم عنه

(فرجعوا الى أنفسهم) فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقولهم لما أخذوا بحجبتهم (فقالوا انكم أنتم الظالمون) على الحقيقة بعبادة مالا ينطق لامن ظلمت جهوه حين قلتم من فعل هذا بابا لهتنا انه ان الظالمين فان من لا يدفع عن رأسه الفاس كيف يدفع عن عابديه الباس (ثم نسكوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الاول ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا الى الكفر بعد ان أقر واعلى أنفسهم بالظلم يقال نسكستهم قلبته (٢٦٤) فجعلت أسفله أعلى استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجرأوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا

الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب الصلحة ويأذن الله فيه فلنحجز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها والحدِيث محمول على المعارض فان فيها مندوحة عن الكذب وقوله (فرجعوا الى أنفسهم) أي تفكروا وبقولهم ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما تراه الا كما قال (انكم أنتم الظالمون) يعني بعبادتك ما لا ينسلكم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذا آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نسكوا على رؤسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على ألسنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم نسكوا على رؤسهم أي ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي فكيف نسألهم فلما التحت الحجة لاراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا) أي ان عبدتموه (ولا يضركم) أي ان تركتم عبادته (أف انكم) أي تبالكم (ولما تعبدون من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أي أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما لم يمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) يعني انكم لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيها ويطعن فيها (ان كنتم فاعلمين) أي ناصرين آلهتكم قال ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هير بن نفسف الله به الارض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة وقيل قاله عمرو بن كنعان بن سنجار بن عمرو بن كوش بن حام بن نوح

*** (ذكر القصة في ذلك) ***

فلما اجتمع عمرو ودوقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثي ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل عرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لاراهيم وكانت المرأة تنذري بعض ما تطلب لئن أصابته لطحين في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراعا الحطب من ماله لاراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير ليحمرها فيحترق من شدة وهجها وحرها وقد واعلها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقبل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيده ورفعه على رأس البنيان ورضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فانك انما في نصرته فقال الله تعالى انه خليلي ليس في خليل غيره وأنا اله ليس له اله غيره فان استغاث باحد منكم أودعاه فلينصره فتدأذنت له في ذلك وان لم يدع غيره فانا أعلم به وأنا وليه فجلوا بني وبيته فلما أرادوا القاءه في النار أناه خازن المياه وقال ان أردت أن تحذت النار وأناه خازن الهواء وقال ان شئت طهرت النار في الهواء فقال ابراهيم لاجه في اليك حسبي الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رواه في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علم بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم

عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مغعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم (قال) محتج عليهم (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا) هو في موضع المصدر أي نفعاً (ولا يضركم) ان لم تعبدوه (أف لكم) ولم تعبدون من دون الله (أف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجر مآر أي من تباتهم على عبادتها بعد انقطاع عندهم وبعد وضوح الحق فتأذف بهم واللام لبيان التأذف به أي لكم ولا آلهتكم هذا التأذف أف مدني وحسن أف مكي وشام أي غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها فلما لم يمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حرقوه) بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأنظع (وانصروا آلهتكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلمين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم

نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول العقاب وهو الاحراق بالنار والافرط في نصرته والذى أشار باحراقه عمرو ورجل من اكراد فارس وقيل انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوني وجمعوا شهورا أصناف الخشب ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسأل ربك قال حسبي من سؤالي علم بحالي وروى عن ابن عباس انما سبحانه بقوله حسبي الله ونعم الوكيل

حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفى عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على ابراهيم (قلنا) أي قال الله عز وجل (يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لولم يقل سلاما لابراهيم من بردها وفي بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طففت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولولم يقل على ابراهيم بقيت ذات بردا وبقيل أخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحر وزوجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وناقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو وقال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني من الايام التي كنت في النار قبيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعده الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حر والجنة وطفنفة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر احبائي ثم نظر ثم رددوا وشرف على ابراهيم من صرح له فرأه الساني روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقت ان تضرك قال لا قال فقم فخرج منها فقام ابراهيم عشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعد الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قر يا المارأت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الاعبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك مادمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها ثم ردد وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه ﴿قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) أي أرادوا أن يكتبوه (فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا والسعي والنفقة لم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فاكثرت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته ﴿قوله تعالى (ونجيناها ولوطا) يعني من نمرود وقومه (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي بييت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي قتادة ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لكعب الانتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب انى وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام أكثر الله من أرضه ووجها أكثره من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة تغيير أهل الارض أزمهم مهاجر ابراهيم أخرجه أبوداود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام رغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذلك بأرسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي عن هز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ههنا ونجبا بده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملكهم وأمنت به سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو أزر فخرج ابراهيم من كوفى من أرض العراق مهاجرا الى ربه ومع لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فكثبها ما شاء الله ثم خرج مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالموثفة وهى على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب منه فذلك قوله تعالى ونجيناها ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ﴿قوله تعالى (ووهبنا له اسحق

(قلنا) يا نار كوني بردا (وسلاما) أى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام (على ابراهيم) أراد ابردى فيسلم منك ابراهيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما لولم يقل ذلك لاهلكته ببردها وانعنى ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شئ قدير (وأرادوا به كيدا) احراقا (فجعلناهم الاخسرين) فارسل على نمرود وقومه البعوض فاكثرت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فاهلكته (ونجيناها) أى ابراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) أى أرض الشام وبركتها ان أكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهى أرض خصب يطيب فيها عيش الغنى والفقير وقبل ما من ماء عذب فى الارض الا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس روى انه نزل بفلسطين ولوط بالموثفة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه السلام انها ستكون هجرة بعد هجرة تغيير الناس الى مهاجر ابراهيم (ووهبنا له اسحق

ويعقوب نافله) قيل هو مصدر كالعاقبة من غير لفظ الفعل السابق أي وهبنا هبة وقيل هي ولد الولد وقد سأل ولدا فأعطيه وأعطى يعقوب نافله أي زيادة وفضل من غير سؤال وهي حال من يعقوب (وكلا) أي إبراهيم واسحق ويعقوب وهو المغول الأول لقوله (جعلنا) والثاني (صالحين) في الدين والنبوة (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في الدين (يهودون) الناس (بامرنا) بوحينا (وأوحينا إليهم فعل الخبرات) وهي جميع الأعمال الصالحة وأصله ان تفعل (٢٦٦) الخبرات ثم فعلا الخبرات ثم فعل الخبرات وكذلك قوله (واقام الصلوة واتباه لذكوة) والأصل واقامة الصلاة الا

ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء (وكانوا الناعابدين) لا للاصنام فانتم يامعشر العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك (ولو طأ) انتصب بفعل يفسره (آتيناه حكما) حكمة وهي ما يجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلمنا) فقها (ونجيناه من القرية) من أهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبائث) اللواط والاضراط وحذف المارة بالخصى وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وادخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا أو في الجنة (انه من الصالحين) أي خذله على صلاحه كما أهلكتنا قومهم عقابا على فسادهم (ونوحا) أي واذا كر نوحا (اذ نادى) أي دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجيبنا له) أي دعاه (فجيبناه وأهلكنا) أي المؤمنين من ولده وقومه (من الكبر العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من

ويعقوب نافله) أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافله هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافله وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم أئمة) أي قدوة يقتدى بهم في الخير (يهودون) أي يدعون الناس الى ديننا بامرنا (وأوحينا إليهم فعل الخبرات) أي العمل بالشرائع (واقام الصلوة) أي المحافظة عليها (وايتناه الزكوة) أي الواجبة وخصه بالان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكرك الله والزكوة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا الناعابدين) أي موحدون وقوله عز وجل (ولو طأ آتيناه حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلمنا ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث آيات الذكوة في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملون من المنكرات (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) وأدخلناه في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بهم الثواب (انه من الصالحين) يعني الانبياء وقوله تعالى (ونوحا اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم ولو ط (فاستجيبنا له) أي أجبتنا دعاه (فجيبناه وأهلكنا من الكبر العظيم) قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاعا الكبر أشد الغم (ونصرناه) أي منغناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) أي جعنين وقوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرت) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرت كرم ما قد نلت عن ابيه وقيل كان زرع وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت فيه غنم القوم) أي رعيته ليلافسدهه وكانت بلاراع (وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى من الايتحي علينا عمله وفيه دليل لمن يقول بان أقل الجمع اثنتان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلتا على داود أحدهما صاحب حرت والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلافسدهه فافسدهه فلم يتبق منه شيئا فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخر جافرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فاجابراه فقال سليمان لو وليت أمركما قضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالفريقين فاجاب بذلك داود فدعا وقال كيف تقضى وروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرني بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرت يتبذرع بذرهما ونسلها وصوفها ومنافعهما وزرع صاحب الغنم لصاحب الحرت مثل حرتها فاذا صار الحرت كهيته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء قضيت وحكم بذلك فقيل كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدهه المشاشية المرسله من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربه وما أفسدهه بالليل ضمنه ربه لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشى تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محبصة ان ناقة لبراء بن عازب دخلت حائط رجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشى حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل المشاشية ما أصاب ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسل وذهب أصحاب الراى أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما ألفت ليليا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (فنهمنها سليمان) أي علمناه وألهمناه حكم

القوم الذين كذبوا بآياتنا) منغناه منهم أي من اذاهم (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) صغيرهم وكبيرهم ذكروهم واتاهم (وداود وسليمان) أي واذا كرهما (اذ) بدل منهما (يحكمان في الحرت) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفشت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلافسدهم وأفسدهه والنفس انتشار الغنم ليل بالاراع (وكنا لحكمهم) أرادهم والمتحامين اليهم (ما) شاهدين أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا (التي كانت تعمل الخبائث) أي الحكوة أو الفتوى (سليمان) وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه

وهذه ان الغنم رعت الحرت وأفسدته بالاراع ليلافحها كما الى داود فحك بالغنم لاهل الحرت وقد استوت قيمتها ما أي قيمة الغنم كانت على قدر
النعصان من الحرت فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالقرين فعزم عليه ليحكم فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل
الحرت ينفعون بالبنائها وأولادها وأصوافها والحرت الى رب الغنم حتى يصلح الحرت ويعود كهيشته يوم أفسد ثم يتراد ان فقال القضاء ما قضيت
وأمضى الحكم بذلك وكان ذلك باجتهادهم ما وهذا كان في شرعهم فاما في شرعنا فلا ضمان (٢٦٧) عند أبي حنيفة وأصحابه رضی

الفضية (وكلا) يعني داود وسليمان (آتيناهما حكما) أي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن
لولا هذه الآية لرايت الحكم قد هلك واولاكن الله جده هذا صوابه وأنتى على هذا باجتهاده واختلف العلماء
في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد
للا نبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذ لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا
أخطأوا فلا تلام عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم
فاجتهد فاصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فخطأ فله أجر وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان
حكم سليمان ناصحا للحكم داود ومن قال به هذا يقول لا يجوز للا نبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه
بالوحي واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد على
الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيب بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين
في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا
اجتهد فخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لان اجتهاده عبادة
والاثم في الخطأ عنه موضوع اذ لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر في الحرت
فكان مساويا بقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب في ذلك الضرر في الحرت قيمة المثل فلا حرم سلم الغنم الى
المجنى عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة
الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرت فحك به ومن أحكام
داود وسليمان علمهما السلام ماروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احدهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك
وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحكما الى داود فقضى به للابن كبرى فخر جتنا على سليمان بن داود فاخبرناه
فقال ابنونى بالسكين أشق بينهما ما فقالت الصغرى لا تفعل برجل الله هو ابنا فقضى به للصغرى أخرجاه
في الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود اذ أصبح قال ابن
عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن
يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا قرأ بسم الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويستاق اليه
(وكفاه عليلين) يعنى ما ذكر من التنهيم وايضا الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي صنعة
الدروع التي تلبس في الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح
قالوا ان الله لأن الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كأنه طين والدرع يجمع بين الخفسة والحصانة وهو قوله
تعالى (لتخصنكم) أي تمنعكم (من باسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليخصنكم الله به
(فهل أتم شاكرون) أي يقول ذلك لداود وأهل بيته قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أي وسخرنا
لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف متنوع بلطفه من القبض عليه بظهور اللحم بحركته ويخفى عن البصر
باطفه (عاصفة) أي شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالريح وهى الريح الينفة قلت كانت الريح تحت
أمره ان أراد أن تشتد اشتدت وان أراد أن تلين تلتين لان (تجرى بامرهم) الى الارض التي باركنا فيها) يعنى الشام

الله عنهم بالليل أو بالنهار الا
أن يكون مع البهية سابق
أو قائد وعند الشافعي رحمه
الله يجب الضمان بالليل
وقال الجصاص انما ضمنوا
لانهم أرسلوها أو نسخ
الضمان بقوله عليه السلام
الجماء جبار وقال مجاهد
كان هذا الصلحا وما فعله داود
كان حكما والصلح خير
(وكلا) من داود وسليمان
(آتيناهما حكما) نبوة (وعلمنا)
معرفسة بموجب الحكم
(وسخرنا) وذلكنا (مع داود
الجبال يسبحن) وهو حال
بمعنى مسبحات أو استئناف
كأن قائلا قال كيف
سخرهن فقال يسبحن
(والطير) معطوف على
الجبال أو مفصول مع
وقدمت الجبال على الطير
لان تسخيرها وتسبيحها
أعجب وأغرب وأدخل في
الاستحسان لانها جاد روى انه
كان يمر بالجبال مسبحا وهى
تجاوبه وقيل كانت تسير
معها حيث سار (وكفاه عليلين)
بالانبياء مثل ذلك وان كان
سجدا عندكم (وعلمناه صنعة
لبوس لكم) أي عمل
اللبوس والدروع واللبوس

اللباس والمراد الدرع (لتخصنكم) شامى وحفص أي الصنعة وبالنون أبو بكر وجمادى الله عز وجل وبالياء غيرهم أي اللبوس والله
عز وجل (من باسكم) من حرب عدوكم (فهل أتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أي فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أي
وسخرنا الريح (عاصفة) حال أي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت في وقت رخاء وفي وقت
عاصفة لهبوبها على حكم ارادته (تجرى بامرهم) الى الارض التي باركنا فيها) بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام
وكان منزلهم يوم فتح مكة الريح من نواحي الارض اليها

وذلك لانها كانت تجرى بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكما بكل شئ عالمين) أي بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلق عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امر أغزاء قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا أنه حتى يذله وكان فيما يزعون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب به بخشب ثم نصبه على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به أمر الرعاء فمرت به شهر في روحته وشهر في غدونه الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرعاء وبالمرزعة فيا تخر كما ولا تسير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر كرى ان منزلا بنا حمة قد حله مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس أو من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبينا وجدناه غمدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايتون منه ان شاء الله فنزلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبيا في يريسم وكان يوضع له منه بر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الزواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فغمر الخيل فابده الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجرى بامر كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه بينابل وروى ان سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ مختللا بالاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف بمنعة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسركم ثم راح الى الشام وكان مستقرا بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوهاله بالصالح والعمد والرحام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الاسليمان اذ قال الميسله * قم في البرية فاحدد هاهن الفند
وجيش الجن اني قد أدنت لهم * يبنون تدمر بالصفا فاح والعمد

توله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخر ناله من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصناعات العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وعمائم الآتية ويتجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كالتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكالهم حافظين) أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حدثناهم من أن يفسدوا ماء عمالوا ذلك انهم كانوا اذا عملوا عمال في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخر به قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمله له عمالا قاله اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لا يفسد ما عمل ويخر به ﴿قوله تعالى﴾ (وأيوب اذا نادى ربه) أي دعاه به * (ذكر قصة أيوب عليه السلام) *

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه وبناه وبسط له الدنيا وكانت له البنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والخيبر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسة مائة فدان يتبعها خمسة مائة عبد لكل عبد امرأة وولد وولد يحمل له آله كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة وأربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان يرتقيار حيا بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكر الأنعم الله مؤديا

(وكما بكل شئ عالمين) وقد أحاط علمنا بكل شئ فتجسرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا (ومن الشياطين) أي وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار بامرهم لاستخراج الدر وما يكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتمائيل والقصور والقدر والجنان (وكالهم حافظين) ان يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد في ما هم مسخرون فيه (وأيوب) أي واذا كرأيوب (اذ نادى ربه

لحق الله قدامت من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن
 أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر
 وقيل غير وررجلان من أهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء اعمال وكان ابليس لا يحب
 عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله عيسى فحسب عن أربع فلما بعث محمد صلى
 الله عليه وسلم لم يحب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب
 وذلك حين ذكره الله وثني عليه فأدرك ابليس الحسد والبغى فصعد سر يعا حتى وقف من السماء حيث كان
 يقف وقال الهى فظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشاكرك وعافيتك فمدك ولو
 ابتليت به بنزع ما أعطيت له لخال عمها هو عليه من شاكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق
 فقد سلطت على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الأرض فجمع غفاريات الجن ومردة الشياطين
 وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها
 الرجال فقال عفر يت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى
 عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤسها وورعت فلم يشعر الناس حتى نار من
 تحت الأرض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قديم
 كانوا عليها على فعود الى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت اباك وأحرقتها ومن فيها
 غيري فقال أيوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وانما مال الله أعارنيها وهو أولى
 بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيا أو ما كان
 الا في غير روم منهم من يقول لو كان الله أيوب يقدر على أن يصنع شيا يمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل
 ما فعل ليشتم به عدوه ويجمع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا حتى جثت من
 بطن أمي وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك
 وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك بما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا النقل روحك مع تلك
 الأرواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاحرك فرجع ابليس الى أصحابه خاصة اذ لا يقال ما عندكم من
 القوة فأتى لم أكلم قلبه قال عفر يت من الجن عندي من القوة ما اذا شئت صحت صحتها لا يسمعها ذوروح
 الاخر جثت روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى نوسطها ثم صاح صيحة فثمت أمواتا من عند
 آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بهرمان الرعاة الى أيوب فوجده يصلي فقال له مثل القول الاول فرد
 عليه أيوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلب أيوب فقال
 عفر يت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ويحيا صفة تنسف كل شئ تأتي عليه قال فات الفدادين
 في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعر واحد حتى هبت ريح
 عاصفة فسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بهرمانهم الى أيوب وهو قائم يصلي
 فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله بالامالا حتى مر على أخوه
 كلما انتهى الى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضي عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
 والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم يتنج منه بشئ صعد سر يعا حتى وقف في الموقف
 الذي يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى انك ما تمتعه بولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلط على ولده
 فانهم المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطت على ولده فانقض عدو الله
 حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها
 بعضها ويهيم بالحطب والحجارة فلما مثل بهم كل مثله رفع القصر وقلبه عليهم وصار وانسكسين وانطلق الى
 أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جرح ممدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت
 بئيل كيف عدوا وكيف انقلبوا منك وسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت

بطونهم فتنازرت أعمارهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رث أئوب وبكى وقبض قبضة من
 التراب فوضعه على رأسه وقال يا ليت أحي لم تلدني فأغتمت إلي ليس ذلك فصعد سر يعا بالذي كان من خزع أئوب
 مسرورا به ثم لم يلبث أئوب أن فاع وأبصر واستغفر فصعد قراؤه من الملائكة بتوبته فسبقته توبته إلى الله
 وهو أعلم فوقه إليس خاسئا ذليلا وقال الهسي انما هو ن على أئوب المال والولدانه يرى الما ماعته بنفسه
 فأنت تعيدله المال والولد فهل أنت مسلط على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطت على جسده
 ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقابه وعقله وكان الله أعلم به ولم يساطه عليه الا رجعة ليه ظم له الثواب
 ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعابدين في كل بلاء ينزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عتق
 الله إليس سر يعا إليه فوجد أئوب ساجدا فمجل قبل أن يرفع رأسه فانه من قبل وجهه فنفخ في منخريه
 نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه إلى قدمه نائل مثل البات الغنم ووقعت فيه حكة فثك باطفاؤه
 حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشن حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشن فلم يزل يحك حتى قرح
 لحمه وتقطع وتغير وأنت فآخرجه أهل القرية فخلوه على كاسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم
 غير امرأته وهي رجعة بنت افراتيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تحتاف اليه بما يصح له وتزومه فلما رأى
 الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به انهموه ورفضوه من غير أن يتركواد بنه فلما طال به البلاء انطلق اليه
 أصحابه فبكتوا ولا موه وقالوا تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم حتى حديث السن قد
 آمن به وصدقته فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لسانكم ولكن تركتم
 من القول ما هو أحسن من الذي قاتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم
 وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرن أيها الكهول حق من انتقصتم
 وحرمة من انتصمتم ومن الرجل الذي عبتم وانتم متم ألم تعلموا ان أئوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل
 الارض إلى يومكم هذا فلم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه مخطئ شيئا من أمره منذ آناه الله ما آناه إلى يومكم هذا
 ولا على انه تزعم منه شيئا من الكرامة التي أكرمها الله بها اولاد أئوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه
 إلى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يتلى
 المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه ولا وليكذبه الا على مخطئه عليهم ولا هو انهم عليه
 ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أئوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أحييتوه على وجه العجبة لكان
 لا يجمل بالحليم ان يعذل أحاه عند البلاء ولا يعبره بما يصيبه ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكر وبخزين ولكنه برحه
 ويكفي ويستغفره ويحزن لحزنه ويده على مرأشده امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فاقته الله أيها
 الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكري الموت ما يقطع السننكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان الله عبادا
 أسهكتهم الخشمية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء الباغاء النبلاء الالباء العلون بالله ولكنهم اذا
 ذكروا عظمة الله انقطع السننهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر
 الله واجلالا فاذا اشتافوا من ذلك استبقوا إلى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والظالمين
 وانهم لا يراون مع المعصرين المفرطين وانهم لا يكاسقوا يا قال أئوب عليه السلام ان الله يزرع
 الحكمة بالرجة في قلب الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة
 من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيم في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون
 من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أئوب على الثلاثة وقال أتبتتموني غضا بارهبتهم قبل ان
 تسترهم واوبكتهم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله ان يخلصني أوفر بواعني
 قربا لعل الله ان يقبله ورضي عني وانكم قد أحببتكم أنفسكم وطنتم انكم قد دعوتهم باحسانكم ولو
 نظرتهم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لو جدتم انكم عيوب باقدس سره الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم
 فيما خالوا قورونني وأنا مسموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا

كلام معكم فأنتم كنتم أشد على من مصيبتى ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه
 فقال يا رب لاى شئ خلقتنى لبيتى اذ كرهتنى لم تخلقنى بالبيتى عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى عملت
 فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتى فالحقنى بأى فاموت كان أجمل بي ألم أكن للغرب دارا
 وللمسكين فرارا ولليتيم وليا ولا لرملة قهرا الهى انا عبد ذليل ان أحسنت فالن لك وان أسأت فبيدك
 عقوبتى جعلتني للبلاء غرضا وللهمنة نصيبا وقد وقع على من البلاء عموما وسلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف
 يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى أذنبت وان سلطتك هو الذى أسس قمتنى وانحل جسمى ولو ان ربى نزع
 الهيبة التى فى صدرى وأطاق لسانى حتى أتسكلم على فى فأدلى بعذرى وأتسكلم ببراءتى وأحاصم عن نفسى
 لرجوت ان يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه القانى وتعالى عنى فهو برانى ولا أراه ويسمع عنى ولا أسمعه فلما قال
 ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله ثم قام حتى ظن أصحابه انه عذاب ثم تودى بأيوب ان الله يقول لها أنا قد نوت
 منك ولم أزل منك قريبا فم فادل بعذرك وتسكلم ببراءتك وخاصمك عن نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار
 يخاصم جبار ان استطعت فانه لا ينبغى ان يخاصمك فى الاجبار مثلى لقد ممتك نفسك يا أيوب أم ا ما يبلغ مثله
 مثلك أين أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معى عندما طرأ بها هل علمت باى مقدار
 قدرتها على أى شئ وضعتا كفافها ابطاعتك جل الماء الارض أم يحكمك كانت الارض للماء غطاء
 أين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقاها بدعم من تحتها هل يبلغ من
 حكمته ان تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين كنت منى يوم أتبعنا الانهار
 وسكنت البحار ا بسطتك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها
 أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أى شئ أرسيتها أم باى مقال
 وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذى أنزلت من السماء أم هل تدري من
 أى شئ أنشأت السحاب أم هل تدري أين خزانه الثلج أم أين جبال البرد ام أين خزانه الليل بالنهار وخزانه
 النهار بالليل وأين خزانه الريح وباى لغة تتسكلم الاشجار ومن جعل العقول فى اجواف الرجال وشق
 الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بعبودته وقسم الارزاق بحكمته فى كلام كثير
 يدل على آثار قدرته ذكرها لاوب فقال أيوب صغرتانى وكل لسانى وعقلى ورأى وضعفت قوتى عن هذا
 الامر الذى يعرض على الهى قد علمت ان كل الذى قد ذكرت صنع يدك وتديبر حكمتك وأعظم من ذلك
 وأعجب لو شئت علمت ولا يجزئك شئ ولا تخفى عليك خافية الهى أو تفتى البلاء فتكلمت ولم أملك نفسى
 فكان البلاء هو الذى انطقنى لبت الارض انشقت بى فذهبت فيها ولم أتسكلم بشئ يستخطك ربى وليتني مت
 بغمى فى أشد بلائى قبل ذلك انما تسكلمت حين تسكلمت بعذرى وسكت حين سكت لترجنى فكلمت منى فلن
 أعود وقد وضعت يدي على فى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى أعود بك اليوم منك واستجير
 بك من جهد البلاء فأجرنى واستغيت بك من عقابك فأغنى واستعينك على أمرى فأعنى وأتوكل عليك
 فأكفنى وأعتصم بك فأعصمنى واستغفرك فأغفر لى فلن أعود لى تكبره منى قال الله تعالى يا أيوب نفذ
 فيك علمى وسبقت رحمتى غضبى فقد عرفت لك ورددت عليك أهالك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
 آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فأركض برجلك هذا مغتسل باردا وشرب فغنى تناول وقرب عن
 أصحابك قربانا أو استغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روى عن انس رفعه ان أيوب لبث يبلا ثم ثمانى عشرة
 سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب بمطر وعا على كفاة
 لبني اسرائيل سبع سنين وأشهرها يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه
 بالطعام وتحمده الله معه اذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبير على بلائه فصرخ ايليس
 صرخة جع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أ حزبك قال أعيانى هذا العبد الذى لم
 أدعه مالا ولا ولدا ولم يزد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته فترحمه ملائكة على كفاة لا تقربه الامرانة

فاسمعنت بكم لتعينو في عليه فقالوا له فان مكرتك الذي اهلكك به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب
فاشير واعلى قالوا من اين اتيت آدم حين اخرجه من الجنة قال من قبل امرائه قالوا فاشأناك يا ايوب من قبل
امرائه فانه لا يستطيع ان يعصها وليس يقرب به احد غيرهما قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امرأة
ايوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رقة جل وقال لها ائني بعلك يا امه الله قالت هو ذلك يحك قروحه ويتردد
الديدان في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة خرج فوسوس اليها واذكرها ما كانت فيه من النعم
والمال واذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فعلم انها قد
خرجت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك ائني المال
اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذ يبع هذه السخلة واسترح قال ايوب اناك عدو
الله فنفخ فيك وبلك ارايت ماتت كين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال كم تمنعنا به قالت
ثمانين سنة قال فخذ كما ابتلانا فالت منذ سبع سنين واشهر قال وبلك ما انصفت ربك الا صبرت في البلاء
ثمانين سنة كما كافي الرضا ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله
طعاما وشرا بلك الذي تاتي به علي حرام ان اذوق منه شيئا اعزبني دعيني فلا ارالي فطردتها فذهبت فلما
نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرسا جده الله وقال رب (اني مسنى الضر وانت ارحم
الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغسل منها فم
يبق عليه من درنه ودائه شيئا ظاهرا لا يبق في جوفه داء الا خرج فقام يحيا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان
عليه وما كان له من اهل ومال الا وقد ضعفه الله له وذكرك لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا
من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب ألم اعطتك قال بلى ولكنها بركتك فن سبب منها قال فخرج
حتى جاس على مكان مشرف ثم ان امرائه قالت ارايت ان كان طردني الى من اكله اذ يموت جوعا ويضيع
قتنا كله السباع لا رجعت اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحلة التي كانت تعرف راذا الامور قد
تغيرت فجمعت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتبه ففسأله
عن ايوب فدعاها وقال ما تريد بئني يا امه الله فيك وقالت اردت ذلك المبتلى الذي كان منبوا على الكناسة
لا ادري اضع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فيك وقالت بعلي فقال هل تعرفينه اذ ارايت به قالت وهل
يخفي علي احد رآه ثم جمعت تنظر اليه وهي تمهاه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان يحيا قال فاني انا
ايوب الذي امرتني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين
وقال وهب لبت ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرائه في هيئة
ليست كهيئة بني آدم في العظام والجسم والجمال على مركب ليس من مركب الناص له عظم وبهاء فقال
لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا له الارض وانا الذي صنعت
بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة ترددت عليك وعليه كل
ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم اراها اياه يبطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس
قال لها اجد لي سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعاني زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال
لهما وما اراها قال لقد اناك عدو الله ليقنتك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنهما مائة جلدة وقال عند ذلك
مسنى الضر من طمع ابليس في سجود حرمته وادعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحمة امرأة
ايوب بصبرها معه على البلاء وحنف عليها واراد ان يبرئ ايوب فامر ان يأخذ صغائرا يشتمل على مائة عود
صغير فيضرب به ضربة واحدة وقيل انما قال مسنى الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فغشى ان يفتر عن
الذكر والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدثها ما قيل في حقهم لو كان لك
عند الله منزلة ما اصابتك هذا والثاني ان امرائه طلبت طعاما فلم يجد ما تطعمه فباعت ذوابها فاتته بطعام

(اني) اي دعا باني (مسنى
الضر) الضر بالتع الضر
في كل شي وبالضم الضر
في النفس من مرض او
هزال (وانت ارحم
الراحمين) العطف في السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة وذكروا به بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطوب
فكانه قال انت اهل ان
ترحموا وايوب اهل ان يرحم
فارحمه واكشف عنه الضر
الذي مسه عن انس رضى
الله عنه اخبر عن ضعفه
حين لم يقدر على النهوض
الى الصلاة ولم يشتمل وكيف
يشكوه من قيل له انا وجدناه
صابرا نعم العبد وقيل انما
شكك اليه تلذذ بالنجوى
لان منه تضمر وبالشكوى
والشكاية اليه غاية القرب كما
ان الشكاية منه غاية البعد

(فاستجبنا له) أجبنا دعاه
 (فكشفتنا ما به من ضر)
 فكشفتنا ضره انعاما عليه
 (وآتيناه أهله ومثلهم
 معهم) روى ان أيوب عليه
 السلام كان روميا من ولد
 اسحق بن ابراهيم عليه
 السلام وله سبعة بنين وسبع
 بنات وثلاثة آلاف بعير
 وسبعة آلاف شاة
 وخمسمائة قدان يتبعها
 خمسمائة عبد لكل عبد امرأة
 وولدون يخيل فابتلاه الله
 تعالى بذهاب ولده وماله
 وبمرض في بدنه ثماني عشرة
 سنة أو ثلاث عشرة سنة أو
 ثلاث سنين وقالت له امرأته
 يومالودعوت الله عز وجل
 فقال كم كانت مدة الرخاء
 فقالت ثمانين سنة فقال أنا
 أستحي من الله أن أدعوه
 وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي
 فلما كشف الله عنه أحيا
 ولده بأعيانهم ورزقهم مثلهم
 معهم (رحمة من عندنا)
 هو مؤتمن على الله (وذكري
 للعابدين) يعني رحمة أيوب
 وتذكره لغيره من العابدين
 ليصبروا كصبره فيشربوا
 كثوابه (واسمعيل) بن
 ابراهيم (وادر يس) بن
 شيث بن آدم (وذا الكفل)
 أي اذ كرههم وهو لباس
 أوز كريا ويوشع بن نون
 وسمي به لانه ذوا الحظ من
 الله والكفل الحظ (كل من
 الصابرين) أي هؤلاء
 المذكورون كاهم
 موصوفون بالصبر

والثالث قول ابل يس اني اداويه على ان يقول أنت شفيتني وقيل مسنى الضراى من شماتة الاعداء حتى
 روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عابك في بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا
 وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية
 وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب
 انما أشكوا بنى وخرنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله
 تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال
 كيف تجدك قال أجدنى مغمو ما وأجدنى مكروا وقال لعائشة حين قالت وارا أساه بل أنا وارا أساه ^ع قوله
 تعالى (فاستجبنا له) اي اجبنا دعاه (فكشفتنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله
 فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب
 برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بار دفا مره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه
 فصار كاصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسر من رد الله اليه
 أهله واولاده بأعيانهم احياهم الله واعطاهم مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى ان الله
 رد الى المرأة شيها ما فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس رفعه انه كان
 له أندران أندرا للقمح واندرالاشعير فبعث الله سبحانه فيهما فأنفرت احداهما على أندرا القمح الذهب وأنفرت
 الاخرى على أندرا الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى بعث اليه ما كوا قال له ان ربك يقرئك السلام
 بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعتها وردتها الى
 أندره فقال له الملك مايكفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركانه (خ) عن أبي
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريا ناخر عليه جرادا من ذهب فجعل أيوب يحثي
 في ثوبه فناداه ربه يا أيوب الم اكن اغنيتكم عما ترى قال بلى يارب وليكني لاغنى لى عن بركتك وقيل آتى الله
 أيوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لا يوب ان اهالك في الآخرة فان شئت بحلناهم لك في الدنيا وان
 شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناه اهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا)
 اي نعمه (وذكري للعابدين) أي عظة وعبرة لهم ^ع قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليه
 وسلم (وادر يس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء
 أتبعه يذكره هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه
 صبر على الانقياد الى الذبح وأما ادر يس فقد تقدمت قصته وأما ذوالكفل فاختلغو ابيه فقيل ان نبيا من بنى
 اسرائيل وكان ماسكا أوحى الله اليه اني أريد قبض روحك فاعرض ملكا على بنى اسرائيل فن تكفل انه
 يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام
 شاب فقال أنا تكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى
 استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا
 استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام ذلك الرجل فقال أنا فادفعه ذلك اليوم وقال
 مثله في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فانه ابل يس في صورة شيخ ضعيف
 حين أخذ مضجعه للعائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فذق الباب فقال من هذا فقال شيخ
 كبير مطول ففحق الباب فقال ان ابني وبين قومي خصومة وتوانهم ظلموني وفعلوا وفعلا ووجع لي طول عليه
 حتى ذهبت انقائه فقال اذارحت فانتنى حتى أخذ حقل فانطلق وراح فكان في مجاسه ينظر هل يرى الشيخ
 فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القاتلة
 وقال وأخذ مضجعه ذق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المطول ففحق له وقال له ألم أقل اذا قدمت فانتنى قال

أي اذ كرم صاحب الحوت والنون الحوت فاضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مرانما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمخارقتهم لخواصهم خلول العنقاب عليهم عندها روى انه يوم يقوم اطول ما ذكرهم فلم يعظوا وأقلموا على كفرهم فرأىهم وطن أن ذلك يسوغ حيث لم يعمل الا غضبا لله وبغضا للاكفر وأهله وكان عليه أن يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت (فظن أن لن نقدر) تضيق (عليه) وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل يوما على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القران بالبراحة ففرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا الآية فقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لان القدرة (فنادى في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر و بطن الحوت (أن) أي بأنه (الاله الأنت) أو بمعنى أي (سبحانك انى كنت من الظالمين) لنفسى في خروجي من قومي قبل أن تاذن لي

انهم أحبث قوم اذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقلك و اذا قت محمد وفي قال فانطلق فاذا جلست فأتى وفاتته القتالة فلما اجلس جعل ينظر فلا يراه و شق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام بخفا فلم يأت له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستبى فظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلى فلم توت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو معلق كالأغلقه و اذا الرجل معه في البيت فقال أتنام والخصوم يبوابك فنظر اليه فعرفه فقال أعدو لله قال نعم أعييتني وفعلت ما فعلت لا غضبك فعصمك الله فسمي ذا الكفل لانه تكفل بالمر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا لم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) أي واذ كرم صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس في روايه عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصموا بقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيب النبي أن سر الى خزير الملك وقل له بوجه نبيما قويا فاني ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معي بنى اسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك بالخروجي قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فهنا غيرى انبياء اقربا فأوحى عليه فخرج مغاضبا للنبي ولله الملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اما كشف عنهم العذاب بعدما وعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيبهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذبا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب تخشى أن يقتلوه مالم ياتهم العذاب اليه بعد ذهاب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فأندروهم فقال التمس دابة الامر فحمل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربيع تحت الحمل الثقيل ففقد فهمان يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله (فظن أن لن نذرك عليه) أي ان لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس في روايه عنه وقيل معناه فظن أن لن تضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يمجز به فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واسترله الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبي الله أن يده للشيطان ففقد في بطن الحوت فمكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لاله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) أي حيث عصيتك وما صنعت من شئ فلم أعبد غيرك فاخرج الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة عن رسول الله قال أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لجاولا تكسره عظما فاخذه ثم أهوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبحه فقالوا يا بونا سمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتاه ورفان مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصاني فحسبته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فسقوا والله عند ذلك فامر الحوت ففقد في الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجيبنا له ونجيناها من الغم) أي من تلك الظلمات (وكذلك ننجي المؤمنين) أي من الكروب اذا دعوا واستغاثوا

في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله الا قراره على نفسه بالظلم (فاستجيبنا بنا ونجيناها من الغم) غم الرلة والوحشة والوحدة (وكذلك ننجي المؤمنين) اذا دعوا واستغاثوا بنا نجي شأى وأبو بكر بادغام النون في الجيم عند

البعث لان النون لا تدغم في الجيم وقيل تقد رهجي الخاء المؤمن فسكن الياء تخفيفا واصله الفعل الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء وابه الضرورات وقيل اصله نجي من النجيبه تخذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما خذفت احدى التاءين في تنزل الملائكة (وزكر يا نادى ربه رب لا تدنني فردا) سأل ربه ان يرزقه مولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بل وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال (وانت خير الوارثين) أي فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث أي باق (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنه له زوجه) جعلنا لها صاحبة للولادة بعد العقار أي (٢٧٥) بعد عقرها وحسنه وكانت سبئة الخلق (انهم) أي الانبياء

الذي كورين (كانوا يسارعون في الخيرات) أي انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم ابواب الخير ومسايرتهم في تحصيلها (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا كقوله يحذر الا نخوة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول أي للرغبة فينا والرغبة منا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أي واذا كررتي (أحصنت فسرجهما) حفظته من الحلال والحرام (ففنقنا فيها من روحنا) أحرينا فيها روح المسيح أو امرنا جبريل فنفتح في جيب درعها فأخذتنا بذلك المنفخ عيسى في بطنها واطراف الروح اليه تعالى لتشرىف عيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما مجتمع عليهما آية واحدة وهي ولادتها ليامن غير فحل أو التقدر وجعلناها

بنافان قلت قد تمسك بوضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن أن لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلبي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرج الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز بعضهم عليهم الصغار قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلي لقوله اذ ذهب مغاضبا فعمله على انه لقومه أولئك أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أي لن نضيق عليه وذلك أن بونس ظن انه مخير ان شاء أقام وان شاء أخرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختباره وقيل هو من القدر لان القدرة وأما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو وضعه عما حله أو لبعثه بالعذاب على قومه وفي هذه الاشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظمنا وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان بونس ان المرسلين اذ أيق الى الفلك المشعرون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم ﴿وقوله عز وجل (وزكر يا نادى ربه) أي دعار به فقال (رب لا تدنني فردا) أي وحيدا والوالدي بساعتني وارزقني وارثا (وانت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله (وانت خير الرازقين) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أي ولدا (وأصلحنه له زوجه) أي جعلنا لها ولدا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سبئة الخلق فاصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) يعني الانبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسايرة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعني انهم ضحوا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفرع الى الله لكان الرغبة في ثوبه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الخذر الذي لا ييسر في الأمور خوفا من الوقوع في الاثم ﴿قوله تعالى (والتي أحصنت فرجهما) أي احصانا كليهما من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسسني بشر ولم أنغيها وهي مريم بنت عمران (ففنقنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفتح في جيب درعها فخلقنا بذلك المنفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشرىف عيسى كبيت الله وناقته الله (وجعلناها وابنها آية) أي دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها ليامن غير أب آية ﴿قوله تعالى (ان هذه أمتمكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي ديننا واحد وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان والامة الجامعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا أو أحرابا حتى لعن بعضهم بعضا تبرأ بعضهم من بعض (كل البنا را جعون) فنجز بهم بأعمالهم (فن

آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتمكم أمة واحدة) الامة الملة وهذا إشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبياء وأمة واحدة حال أي متوحد غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تخرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ببيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم الان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعوا وصاروا فرقا أو أحرابا ثم وعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة كل البنا را جعون) فنجز بهم على أعمالهم (فن

يعمل من الصالحات) شيئاً (وهو (٢٧٦) مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه) أي فان سعيه مشكور ومقبول والكفران

مثل في حرمان الثواب كان الشكر مثل في اعطائه وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ (واناه) للسعي أي الحفظه بامرنا (كاتبون) في صيغة عمله فثنيته به (وحرام) وحرم كوفي غير حنفي وخاف وهـ ما لعنان كل وحلال وزنا وضده معني والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلها كها) أنهم لا يرجعون) والمعنى ومنتع على مهلك غير يمكن ان لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهلها كها أي قدرنا اهـ لا كهـم أو حكمننا باهـ لا كهـم ذلك وهو المذكور في الآيات المقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور وغير المشكور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعني (إذا) وما في خبرها (فتحت) يأجوج ومأجوج) أي فتح سد ما خلف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شام وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد

يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) أي عمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿ قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلها كها) أي لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلها كهاهم أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمتناهم لا كهـم أن يقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ﴿ قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله فتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بنى آدم (وهم من كل حذب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الحكاية وجهان أحدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدل ما روى عن النواص بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فنفخ فيه وزفح حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رجعنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذات كرت الدجال الغداة نفخت فيه ورفعت حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخو في علمكم ان يخرج وأنافكم فانا نحججه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ يحجج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عيتمه طائفة كافي أشبهه بعبد العزى بن قطان فمن أدر كه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاتب يينا وعاش شهابا يعباد الله فابتوا قلنا يا رسول الله وما لبثت في الأرض قال أربعمائة يوم كسنة ويوم كشهرو ويوم كهجرة وسائر أيامه كما يكلم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنته أتتك فينا فيه صلاة يوم قال لا قدر والله قدره قلنا يا رسول الله وما سر اعني في الأرض قال كالغيث استدرته الريح فيأتي على القوم فيسد عوهم فيؤمنون به ويستجيون له فيأمرهم السماء فتمطر والأرض فتبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دراوا سبغهم ضروراً وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محملين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كما يسب الخيل ثم يدور جلائمنا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فيبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ طأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جنان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر به نفسه الامات ونفسه ينهت الى حيث ينهت طرفه فيطلبه حتى يدركه بيباب التدقيقه ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصه الله منهم فيمسح على وجوههم ويحدتهم بدرجاتهم في الجنة فيبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي الى ابدان لاحد ان يقاتلهم فخر زعبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيمروا وائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بينكم وبينهم ماء فبصرني الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النعف في رفاقهم فيصبحون فرسي كوت نفس واحدة ثم يهب نبي الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجحدون في الأرض موضع شبر الا ملأه زهمهم وفتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كالعماق الجحش فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلف ثم يقال للأرض اني غمرتك ودرى بركتك فيومئذ تأكل العصاة من الرمانة ويستظلمون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقمة من الابل لتكفي القمام من الناس واللقمة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقمة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فيبينما هم كذلك اذ بعث الله رجلا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الجرف عابهم تقوم الساعة آخر جهنم مسلم* (شرح غريب ألفاظ الحديث) * قوله حتى ظننا انه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله خفض فيه ورفع أي خفض صوته ورفع من شدة ما تكلم به في أمره وقيل انه خفض من أمره فهو يناله ورفع من شدة قننته والتخويف من أمره قوله انه شاب

(واقترب الود الحق) أي القيامة وجواب إذا (فأذاهي) وهي إذا الملقاة ذوهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقولها إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها ناعا على وصل الجزاء بالشرط فيتم كد ولو قيل فهي شائعة أو إذا هي شائعة كان سديا وهي ضمير مهمم بوجهه الإصدار ويفسر (شائعة) بأبصار الذين كفروا) أي مرتفعة الإحتمال لا تكاد تطرف من هول ما هم (٢٧٧) فيه (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون أي جعل الشعر وقوله طائفة أي خارجة عن حدها قوله أنه خارج خلة أي أنه يخرج قصدا وطر يقا بين جهتين والتخل الدخول في الشيء قوله فعث أي أفسد قوله أقدروا له قدره أي قدره وأقدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيتهم وقوله فيصحبون محلبين أي مقحوبين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كيماسب الخيل جمع يعسوب وهو غفل الخيل ورثتها قوله فيقطعها جزلتين رمسة الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهر ودتين رويت بالمدال المهمة وبالجمجمة أي شققتين وقيل حلقتين وقيل الهرد الصبيخ الأصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدره ولا قوة لا حد بقتالهم والغنم دود يكون في أنوف الأبل والغنم قرسي جمع فريس وهو القميل قوله زههم أي يجهم المنتنة قوله كالزفة أي كالمراة أو جمعها زلف وروي بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصاة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللين واللحمة الناقاة ذات اللين والغنام الجماعة من الناس والغنخدون القبيلة وقوله يتهاجون أي يتخلفون والتهاج الاختلاف وأصله القتل * (الوجه الثاني) * في تفسير قوله تعالى وهم من كل حذب ينساون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال إنما إن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابرة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وبأجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم وقوله عز وجل (واقترب الود الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا قطن في بلادنا ثم خرجنا فوجدنا رجلا من بلادنا قد مات فقلنا ما فعله قال أتت به القيامة هي شائعة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية إن القيامة إذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا ومن شدة الأهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقتلناه غير كأننا (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها وقوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الأصنام (حصب جهنم) أي حطماها وقودها وقيل يرمي بهم في النار كما يرمي بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ما وردوها) أي ما دخل الأصنام النار وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبودون (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان غلا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقى في النار من يتخذ فيها جعلا في توابع من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابع آخر ثم توابت آخر ثم توابت آخر عليهم أسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار أحد يعذب غيره وقوله تعالى (ان الذين سبق لهم منّا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الأسمى الذين سبق لهم منّا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقته من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو الله طامع وله عبادة من بعده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قرئش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فحكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضحه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبير يرضى السهمى فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم

قطط أي جعل الشعر وقوله طائفة أي خارجة عن حدها قوله أنه خارج خلة أي أنه يخرج قصدا وطر يقا بين جهتين والتخل الدخول في الشيء قوله فعث أي أفسد قوله أقدروا له قدره أي قدره وأقدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيتهم وقوله فيصحبون محلبين أي مقحوبين قد أجدبت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كيماسب الخيل جمع يعسوب وهو غفل الخيل ورثتها قوله فيقطعها جزلتين رمسة الغرض أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهر ودتين رويت بالمدال المهمة وبالجمجمة أي شققتين وقيل حلقتين وقيل الهرد الصبيخ الأصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم أي لا قدره ولا قوة لا حد بقتالهم والغنم دود يكون في أنوف الأبل والغنم قرسي جمع فريس وهو القميل قوله زههم أي يجهم المنتنة قوله كالزفة أي كالمراة أو جمعها زلف وروي بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصاة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللين واللحمة الناقاة ذات اللين والغنام الجماعة من الناس والغنخدون القبيلة وقوله يتهاجون أي يتخلفون والتهاج الاختلاف وأصله القتل * (الوجه الثاني) * في تفسير قوله تعالى وهم من كل حذب ينساون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال إنما إن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابرة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وبأجوج وماجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وأخذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم وقوله عز وجل (واقترب الود الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا قطن في بلادنا ثم خرجنا فوجدنا رجلا من بلادنا قد مات فقلنا ما فعله قال أتت به القيامة هي شائعة أبصار الذين كفروا) قيل معنى الآية إن القيامة إذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا ومن شدة الأهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقتلناه غير كأننا (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها وقوله عز وجل (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الأصنام (حصب جهنم) أي حطماها وقودها وقيل يرمي بهم في النار كما يرمي بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ما وردوها) أي ما دخل الأصنام النار وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبودون (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان غلا الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقى في النار من يتخذ فيها جعلا في توابع من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابع آخر ثم توابت آخر ثم توابت آخر عليهم أسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار أحد يعذب غيره وقوله تعالى (ان الذين سبق لهم منّا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الأسمى الذين سبق لهم منّا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقته من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو الله طامع وله عبادة من بعده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قرئش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فحكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفضحه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبير يرضى السهمى فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم

ما جع الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لا يعقل الا انهم أهل عناد فز يدني البيان (أولئك) يعني عزير والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبق لهم منّا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أما منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبق لهم منّا

ما جع الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لا يعقل الا انهم أهل عناد فز يدني البيان (أولئك) يعني عزير والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبق لهم منّا الحسنى جميع المؤمنين لما روى ان عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أما منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيد رحمه الله سبق لهم منّا

العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية (لا يسمعون حسيستها) صوتها الذي يحسن وحركة تلها او هذمه بالعبادة في الابدية اعلمها أي لا يقر بونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت من فيها (وهم فيما شئت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقببون والشهوة طلب النفس الازدية (لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة المهتئين على أبواب الجنة يقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم به في الدنيا العامل في (يوم تطوى السماء) لا يحزنهم أو تعلقهم تطوى السماء يزيد وطياتكم ويرنجوها ويجورسوها وهو ضد النشر مجعها ونطوها (كطى السجل) أي الصحيفة (لا كتب) حزة وعلى وحفص أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من (٢٧٨) المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة أي لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يقع على

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبيري أما والله لو وجدته لخصمه فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبيري انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزرا والنصارى تعبد المسيح وبنو ملاح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقتم لولم منا الحسنى يعني عزرا والمسيح والملائكة أولئك عناهم يعبدون وأنزل في ابن الزبيري ماضر بوه لك الاجدلال هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصل انهم لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من ان يعقل والمثل لا يعقل (لا يسمعون حسيستها) يعني صوتها وحركة تلها الا انزلوا نازلهم في الجنة (وهم فيما شئت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقببون قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا أهل النار خلود بلامون وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منهن من يريد ان يخرجهم (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة مؤمنهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا قوله عز وجل (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذ رفعت اليه والمعنى تطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم (كابدأنا أول خلق نعيده) أي كابدأنا هم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كابدأنا أول خلق نعيده قوله غرلا أي قلفا وقوله تعالى (وعدا علينا انا كفافا لعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكركر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكركر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب نسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكركر أي بعدما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكركر الكتاب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكركر هو القرآن وبعدها يعني قيل (ان الارض برهما عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة برهما أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة برهما من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان أرض الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة برهما الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغ) أي وصولا الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجون من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون أحدا من

المصدر كالبناء ثم يقع على المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذ رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كابدأنا أول خلق نعيده) انتصب الكاف بضم ن مضمرة يفسره نعيده وما موصولة أي نعيده مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أحوال من ضمير الموصول الساكن من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق ايحاده أي فكما أوجده أولا يعيده فانما تشبها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء والتشكير في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال واكتنك وحدته ونكرته ارادة تفضيلهم رجلا رجلا فكذلك معني أول خلق

أول الخلق بمعنى أول الخلاق لان الخلاق مصدر لا يجمع (وعدا) مصدر مؤن كدان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أي دون وعدا كائننا لبحالة (انا كفافا لعلين) ذلك أي محققين هذا الوعدا فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من هذه الالهوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتب داود عليه السلام (من بعد الذكركر) التوراة (ان الارض) أي الشام (برهما عبادي) ساكنة البلاء حزة غيره بفتح الباء (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكركر أم الكتاب ومعنى اللوح لان الكل أخذوا منه دليله قراءة حزة وخالف بضم الزاي على جمع الزبور يعني الزبور والارض أرض الجنة (ان في هذا) أي القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعود والوعيد والمواعظ (لبلاغ) أي كفاية واصله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) مؤمنين

وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك إلا رحمة) وقال عليه السلام إنما أنا راحة مهداة (للعالمين) لأنه جاء بما يسعدهم إن تبعوه ومن لم يتبع
 فأتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة
 للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسح والخسف ورحمة مفعول له أو حال أي ذارحة (قل إنما أنا نذير للحكم على
 شيء أو ليعصم الشئ على حكم نحو إنما زيد فاعل (يوحى إلى إنما الحكم اله واحد) والتقدير يوحى إلى وحدانية الهى
 ويجوز أن يكون المعنى إن الذي يوحى إلى فتكون ماموصولة (فهل أنتم مسلمون) استفهام بمعنى الأمر أى أسلموا (فإن تولوا) عن الإسلام
 (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أى مستويين في الاعلام به ولم أخصص بكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية
 (وان أدري أقر يب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى (٢٧٩) لم يطلعني عليه ولا كفى أعلم بأنه كائن
 لاحتمال أول أدري مستق

دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس
 عالمين وقيل هم العالمون العاملون ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل
 كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواريخهم ووقوع
 الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب
 فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الأحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى
 وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن
 ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب
 عنه ورفع المسح والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا راحة مهداة (قل إنما يوحى
 إلى إنما الحكم اله واحد فهل أنتم مسلمون) أى منقادون لما يوحى إلى من إخلاص الإلهية والتوحيد لله
 والمراد بهذا الالتهام الأمر أى أسلموا (فإن تولوا) أى أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) أى أعلمتكم
 بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أى إنذارا بيننا نستوى في عمله لا أستبدأ به دونكم لتتأهبوا المايراد بكم
 والمعنى آذنتكم على وجه نستوى ونحن وأنتم في العلم به وقيل معناه تستوون في الإيمان به وأعلمتكم بما هو
 الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أى وما أعلم (أقر يب أم بعيد ما توعدون) يعنى يوم القيامة
 لا يعلمه إلا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أى لا يغيب عن علمه شئ منكم فى عدا لآئيتكم
 وسركم (وان أدري لعله فتنه لكم) أى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنعكم وهو أعلم
 بكم (ومتاع إلى حين) أى تمتعون إلى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أى افضل بينى وبين من كذبى
 (بالحق) أى بالعذاب كأنه استعجل العذاب ليقومه فعدوا يوم بدر وقيل معناه افضل بينى وبينهم بما يظهر
 الحق للجميع وهو أن تنصرفي عليهم والله يحكم بالحق طلب أولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من
 الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أى من الشرك والكفر والكذب والباطل كأنه
 سبحانه وتعالى قال قل داعيا إلى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
 والله أعلم بمراده وأسرار كتابه * (تفسير سورة الحج) *

وهي مكة غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان إلى قوله وهروا إلى ضراط الجسد وهى ثمان
 وسبعون آية وألف ومائتان واحد وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفا
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أى احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شئ عظيم)

خلقها (المستعان) الطالب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطعمون
 أن تكون الشوكه لهم وانغلبة كذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أى الكفار وهو
 المستعان على ما تصفون * (سورة الحج مكتوبة وهى ثمان وسبعون آية) * * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أمر بنى
 آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهل صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) لينظر والى تلك الصفة بوضوحهم
 ويتصور وهاب عقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ورجوعهم من شدائد ذلك اليوم بامثال ما أمرهم به ربه من التردى بلباسين التقوى الذى
 يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة العجز والازعاج وازدواج الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هى التى تزلزل الارض على
 الجواز الحكيمى أو الى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار وقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة

فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئا فان هذا السم لها حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة بتره (تذهل) تغفل والذهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها ترعته عن فيه لما يلحقهما من الدهشة اذ المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تتأثر الارضاع في حال وصفها (٢٨٠) به (وتضع كل ذات حمل) أي حبلها (ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة

الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة و وصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أسراط الساعة قيل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أي نسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغبير فطام وتضع الحامل مافي بطنها الغبير تمام على هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتوهمه لانه لا على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تر يديه شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكنه من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادني رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فينثذتضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زادني رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي رواية كل رقعة في ذراع الجار وفي لارجوان تكون نار أربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطرا أهل الجنة فكبرنا لفظ البخاري وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلت في غزوة بني المصطلق ليل فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يقرأ أكثر بما يكمن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضر بوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين ياك وجالس خزيم منقذ كرفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لا آدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمي سبعون ألفا الجنة بغبير حساب فقال عمر سبعة وعشرون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدول وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صارت ربا (ويتبع) أي في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) أي المتمرد المستمر في الشروفيه وجهان أحدهما أنهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر والثاني انه ابليس وجنوده (كتب عليه) أي قضى على الشيطان (انه من تولاه) أي اتبعه (فانه) يعني الشيطان (يضله) أي يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال ثم الزم الحجة منكري البعث فقال

عن ولدها الغبير فطام وتضع الحامل مافي بطنها الغبير تمام (وترى الناس) أيها الناظر (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وساطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتميزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة جرة وعلى وهو كعطشى في عطشان روى انه نزلت الآيتان ليل في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يقرأ أكثر بما يكمن تلك الليلة (ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من

بلى أو هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مرید) عان مستمر في الشر ولا وقف (يا أيها على مرید لان ما بعدة صفة) (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه) ان الامر والشان وهو فاعل (كتب) من تولاه) تبعه أي تبع الشيطان (فانه) فان الشيطان (يضله) عن سواء السبيل (ويهديه الى عذاب السعير) لئلا قال لزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة لتأكيده عليه أبو يعلى وقال ان من ان كان للشرط فالفاعد دخل بجزء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير فالا مرامه بضله قال والعطف والتأكيده يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه وهدايمه الى النار ثم الزم الحجة على منكري البعث

فقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث) يعني ان اربتم في البعث فزبل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وما
 وليس سبب انكاركم البعث الا هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وما (فانا خلقناكم) أي اباكم (من تراب ثم) خلقتم (من نطفة ثم من علقة)
 أي قطعة دم جامدة (ثم من مضغة) أي لحمية صغيرة قدر ما مضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة المساء من نقصان والعيب كان الله عز وجل
 يخلق المضع متفاوتة منها ما هو كامل المخلقة أمس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك (٢٨١) فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في

خلقهم وصورهم وطولهم
 وقصرهم وتماهم ونقصانهم
 وانما نقلناكم من حال الى
 حال ومن خلقة الى خلقة
 (لنبين لكم) بهذا التدرج
 كمال قدرتنا وحكمتنا وان
 من قدر على خلق البشر
 من تراب أولا ثم نطفة ثانيا
 ولا مناسبة بين التراب والماء
 وقدرة ان يجعل النطفة علقة
 والعلقمة مضغة والمضغة
 عظما ما قدر على اعادتها بآه
 (ونقر) بالرفع عند غير
 المفضل مستأنف بعد وقف
 أي نحن نبئت (في الارحام
 ما نشاء) ثبوته (الى أجل
 مسمى) أي وقت الولادة
 وما لم نشأ ثبوته أسقطته
 الارحام (ثم نخر جكم) من
 الرحم (طفلا) حال وأريد
 به الجنس فلذا لم يجمع أو
 أريده ثم نخرج كل واحد
 منكم طفلا (ثم لتبلغوا)
 ثم زريكم لتبلغوا (أشدكم)
 كمال عقلكم وقوتكم وهو
 من ألقاظ الجوع التي لا
 يستعمل لها واحد (ومنكم
 من يتوفى) عند بلوغ الأشد
 أو قبله أو بعده (ومنكم من
 رد الى أرذل العمر)
 أخسه يعني الهرم والخرف

(يا أيها الناس ان كنتم في ريب) أي شك (من البعث) أي بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني اباكم
 آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذر يته من المني وأصلها الماء القليل (ثم من علقة) أي من دم
 جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دماغا غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمية قليلة قدر ما مضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال
 ابن عباس أي نامة الخلق وغير نامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي
 به المرأة ولقوته وغير المخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة والحواس
 والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الاحوال كها وروى عن عاقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه
 قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة
 قد ذفها في الرحم وما لم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب اذ كرام أني أشقى أم سعيد ما الاجل
 ما العمل ما الرزق باي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجد هاتي أم
 الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجه في الصحيحين عنه قال خذ نارسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أر بعين يومان نطفة ثم يكون علقة
 مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح
 فوالذي لا اله غيره ان أحدكم يعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينهما الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
 فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا
 في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما ناتون وما
 تدرزون وما تتحتمون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم ان تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فان
 القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر في الارحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا تجسه (الى
 أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخر جكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم
 (طفلا) أي صغارا وانما وحده الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة
 والعقل والتميز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من رد الى أرذل العمر) أي الهرم
 والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول
 طفولته ضعيف البنية سخييف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى
 الارض هامدة) أي يابسة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات
 (وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وأبنت) وهو مجاز لان الله تعالى هو المبت وأضيف
 الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نصبر والهيج هو المهيج وهو الشيء المشرق
 الجليل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهم ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك
 لتعوا (بان الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبعد
 منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات (وانه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان

(٣٦ - (خازن) - ثالث)
 بعدما كان يعلمه أولكيبلا يستفيد علما وينسى ما كان عالميا به ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميمت يابسة فاذا
 أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت ووربات حيث كان يزيد ارتفعت (وأبنت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن
 سار للناظر من اليه (ذلك) ميمتد أخبره (بان الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من
 أصناف الحكيم حاصل بهم ذاهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما أحيا الارض (وانه على كل شيء قدير) قادر

(وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي أنه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في صفاته فضله وغير ما هو له تولت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لأنه يهدي إلى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحى والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لا يانع عن طاعة الله كبر أو خيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه إلى غيره (ليضل) تعليل للجدالة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي جمع له عذاب الدارين (ذلك بما قدمت يدك) أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكفى عنها بما يدلان اليد آلة الكسب (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يأخذ أحد بغير ذنب ولا يذنب غيره وهو عطف (٢٨٢) على بما أي وبأن الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لا فترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولأن قليل الظلم

منه مع علمه بفتحها واستغنائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لاني وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قاق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال أي مضطربا (فان أصابه خير) حكة في جسمه وسعة في معيشته (اطمان) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتدور جمع إلى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحسن بظفر وغنيمته فر واطمان والآخر وطار على وجهه قالوا زارت في أعاريب قدموا المدينة متهاجرين وكان أحدهم اذا صح بدنه ونجت فرسه مهراسوا وولدت امرأته غلاما سوا

قادر على جميع الممكنات (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق ﴿قوله تعالى﴾ (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني الضرب من الحرف (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لا يرى جنبه وعطفه متبخر التنكيره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو ان قتل يوم بدر صبراهو وعقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك (بما قدمت يدك) وأن الله ليس بظلام للعبيد أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده في حكمه عدل وهو غير ظالم ﴿قوله عز وجل﴾ (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية تولت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة متهاجرين من ياديهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصحبها بحسبه ونجت فرسه مهرأ وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا من حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمان له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقول ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شيئا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فقبل للشك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينه وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المناق بعباد الله بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) أي حكة في جسمه وسعة في معيشته (اطمان به) أي رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتدور جمع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبق دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة يذهب الدين والخالود في النار (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعون دون الله ما لا يضره) ان عصاه لم يعبدته (ومالا ينفعه) أي ان أطاعه وعبده (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعون ضرة أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى في الآية الاولى يدعون من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الآية يدعون ضرة أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الآية الاولى ما لا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أي ضره عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سقه الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو

وكرمه وما شئته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شيئا يعتقد وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدرة دليله قراءه وروح ووزيد خسر الدنيا والآخرة والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخالود في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد (يدعون دون الله) يعني الصنم فانه بعد الردة يفعل كذلك (ملا يضره) ان لم يعبدته (ومالا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعون ضرة أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتها لها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سقه الكافر بانه يعبد جادا لا يضر ولا ينعف وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصرخ حين يرى انضراة بالاصنام ولا يرى لها اثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه

(لبئس المولى) أى الناصر صاحب (لبئس العشير) المصاحب وكرر يدعو كأنه قال يدعو يدعون دون الله ما لا يضروه وما لا ينفعه ثم قال
لن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل
ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله
في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فلا يمد بسبب) بحبل (الى السماء) الى السماء (٢٨٣) بيته (ثم ليقطع) ثم ليختمق به وسمى
الاختناق قطعان المختنق

يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفرعون اليهم لانه يصح
منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين في الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه
الآية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعافلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء
بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أى الناصر والمصاحب المعاصر قوله عز وجل (ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) أى بوليائه وأهل طاعته
من الكرامة وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعنى بنيه محمد صلى
الله عليه وسلم (في الدنيا) أى باعلاء كلمته واطهار دينه (والآخرة) أى وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام
من كذبه (فلا يمد بسبب) أى بحبل (الى السماء) أى سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليسدد حجلا
في سقف بيته فليختمق به حتى يموت (ثم ليقطع) أى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت
مختنقا (فليظن هل يذهب كيدته) أى صنيعه وحيلته (ما يعظي) أى فليختمق غيظا وليس هذا على سبيل الختم
لانه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد تمت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء
المعروفة والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله
في السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذى يأتيه فليظن
هل يتبأله الوصول الى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممتمعا كان غيظه
عديم الفائدة وفى الآية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه وروى ان الآية نزلت في قوم من أسد وغططان
دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكننا ان نسلم لاننا نخاف ان
لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتقطع مخالفة بيننا وبين اليهود فلا غير واولا يؤثروا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى
الآية من كان يظن ان لن يرفقه الله في الدنيا والآخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله
مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله أى من يعطينى أعطاه الله (وكذلك أترلناه) يعنى القرآن (آيات
بينات وان الله يهدى من يريد ان آمنوا والذين آمنوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا)
يعنى عبدة الاوثان قبل الاديان ستة واحدته وهو الاسلام وخمسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام (ان الله
يفصل بينهم) أى يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والا ما كن جميعا فلا يجاز بهم جزاء
واحد بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شئ شهيد) أى انه عالم بما يستحقه كل واحد
منهم فلا يجزى فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية فى تفسير سورة
البقرة قوله عز وجل (ألم تر) أى ألم تعلم وقيل ألم تر قبلك أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض
والشمس والقمر والنجوم والجمال والشجر والادواب) قيل سجد هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما فى السماء
نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيما أخذ ذات اليمين حتى يرجع الى
مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جاد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسجد كما وصفهم بالخشية
والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهوان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التى خلقها الله تعالى
فيها من غير امتناع البتة أشبهت بعبادتها افعال المكاف وهو السجود الذى كل خضوع ودونه فان قلت هذا

يقطع نفسه بحبس مجار به
وبكسر اللام بصرى وشاى
فليظن هل يذهب كيدته
ما يعظي أى الذى يعيظه
أواما صدره أى غيظه
والمعنى فليصور فى نفسه انه
ان فعل ذلك هل يذهب نصر
الله الذى يعيظه وسمى
فعله كيداعلى سبيل
الاستهزاء لانه لم يكذب
محسوده انما كاد به نفسه
والمراد ليس فى يده الاماليس
بذهب ليعظي (وكذلك
أترلناه) ومثل ذلك الانزال
أترل القرآن كله (آيات
بينات) واضحات (وان
الله يهدى من يريد) أى
ولان الله يهدى به الذين
يعلم انهم مؤمنون أو يثبت
الذين آمنوا ويزيدهم
هدى أترله كذلك مبينا
(ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين أشركوا)
قبل الاديان خمسة أربعة
للسيطان واحد للرجن
والصابئون نوع من
النصارى فلا تكون ستة
(ان الله يفصل بينهم يوم
القيامة) فى الاحوال

والا ما كن فلا يجاز بهم جزاء واحد ولا يجمعهم فى موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيد ان أباه قائم (ان الله
على كل شئ شهيد) عالم به حافظه فليظن كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان (أن الله
يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجمال والشجر والادواب) قيل ان السك يسجد له ولكلا لا تقف عليه كما
لا تقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سمي مطاوعة غير المكاف له فيما يحدث فيه
من أفعاله وتسخيره له يسجد له تشبها بالمطاوعة بسجود المكاف الذى كل خضوع ودونه

التأويل بطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كهم فاستداه الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق السجود الا ان بعضهم توردوا تكبير وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا ابتداء لكنه متروك بظاهره وأما المؤمن فانه ساجد ابتداء و بظاهره أيضا فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكرو قيل معنى الآية والله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فبين ان كثير من الناس يسجدون طوعا ودون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد طلالهم لله عز وجل (ومن بين الله فخاله من مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويبين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب

* (فصل) * هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها وقوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم قسمان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حجة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجا في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجحوا للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عباد فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر على وحجرة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فقتل من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنة الحرث وأمه عمار وعبيد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رط من الانصار فقالوا حين انتسبوا كفاء كرام ثم نادى مناد بهم يا محمد اخرج المينا كفاء من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حجرة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلدنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم كفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حجرة وشيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حجرة فلم يجهل ان قتل شيبة وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما مضربان كلاهما أثبت صاحبه ففكر حجرة وعلي بأسيا ففهما علي عتبة فذفعا عليه واحتمل عبيدة الى أعجمية وقد قطع رجله ونجها سبيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألسنت شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم اننا أحق بما قال منه حيث يقول ونسلم حتى نصر عحوه * ونذهل عن أبنائنا والحائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منك كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آ منابينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبعثنا نزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتخبرين وقالت الجنة فيالي لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وعزأتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحتي أرجم لمن أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي اعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما لئوها فاما النار فلا تمنلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قط قط فهنالك تمنلي و برزى بعضها الى بعض ولا يظلم بك من خلقه أحدا أو أما الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا وللجنارى اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والاقوال الاولى أولى بالحجة لان حمل السلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالأشارة الى سبب تقدم

(وكثير من الناس) أي ويسجد له كثير من الناس يسجد طاعة وعبادة أو هو مسرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفرة وآياته السجود (ومن بين الله) بالشقاوة (فخاله من مكرم) بالسعادة (ان الله يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء (هذان خصمان) أي فريقان تختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله (اختصموا) للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى أهل الاديان المذكورة فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم (في ربهم) في دينه وصلواته ثم بين جزاء كل خصم بقوله

(فالذين كفروا) وهو فصل الخصومة المعنى بقوله ان الله يفضل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم ثياب من نار) كان الله يعذر لهم بغير ان اعلى
 مقدار جنتهم تشمل عليهم كاتقطع الثياب الملبوسة واختير لفظ الماضي لانه كان لا محالة فهو كالثابت المتحقق (يصب من فوق رؤسهم)
 بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حجازة وعلى وخلف وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (الجيم) الماء الحار عن ابن عباس رضى الله عنهما وسقطت
 منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها (بصهر) يذاب (به) بالجيم (مافي بطونهم والجلود) أى يذيب امعاهم واحشاهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في
 الظاهر والباطن (ولهم مقامع) سباط تختص بهم (من حديد) يضر بون بها (كما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتغال
 من منها باعادة الجار أو الاولى لا ابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعني كما أرادوا (٢٨٥) الخروج من النار من أجل غم يلحقهم
 نخرجوا (أعيدوا فيها)

بالمقامع ومعنى الخروج
 عند الحسن ان النار تضرمهم
 بلهبها فتلقيهم الى أعلاها
 فضر بها بالمقامع فهو وا فيها
 سبعين خريفا والمسراد
 اعادتهم الى معظم النار لا
 انهم يتفصلون عنها بالسكينة
 ثم يعودون اليها (وذوقوا)
 أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب
 الحريق) هو الغليظ من
 النار المنتشر العظيم الالهلاك
 ثم ذكر جزاء الخضم الآخر
 فقال (ان الله يدخل الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات
 جنات تجري من تحتها
 الانهار يحلون فيها من
 أساور) جمع اسورة جمع
 سوار (من ذهب ولؤلؤا)
 بالنصب مدني وعاصم على
 ويؤتون لؤلؤا وبالجر
 غيرهم عطفاعلى من ذهب
 وبترك الهمزة الاولى فى كل
 القرآن أبو بكر وجماد
 (ولباسهم فيها خري)
 ابريسم (وهذوا الى الطيب
 من القول وهذوا الى صراط
 الحميد) أى أرسدهم لوعلى

ذ كره وهو أهل الاديان الستة وأيضا فانه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما آل الخصمين
 فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من
 الآتية شئ اذا حى أشد حرمانه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار
 مقطعات من نار (يصب من فوق رؤسهم الجيم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته (بصهر به) أى يذاب
 بالجيم الذى يصب من فوق رؤسهم (مافي بطونهم) من الشحوم والاحشاء (والجلود) عن أبي هريرة ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجيم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلت
 مافي جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح
 (ولهم مقامع من حديد) أى سباط من حديد وهى الجز من الحديد وفى الخبر لو وقع مقمع من حديد فى
 الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أفلوه من الارض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أى كلما حاولوا
 الخروج من النار ليلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بانفاسهم (أعيدوا فيها) أى رددوا اليها بالمقامع
 قيل ان جهنم تحبس بهم فتلقيهم الى أعلاها فيردون الخروج منها تضرمهم الزبانية بمقامع الحديد
 فيهرون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أى تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا
 وصف حال أحد الخضمين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف الخضم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
 فيها خري) وهو الابريس الذى حرم لبسه على الرجال فى الدنيا عن معاوية هو جدهزين حكيم عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر تشقق الانهار بعد أخرجه
 الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آتيتهما
 وما فهم ما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فهم ما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الازدراء الكبرياء على
 وجهه فى جنة عدن عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم النيجان أدنى لؤلؤة منها
 اتقى عما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من لبس الحر فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة قوله تعالى (وهذوا) من الهداية أى أرسدوا
 (الى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله
 وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذى صدقنا وعده (وهذوا الى صراط الحميد)
 أى الى دين الله وهو الاسلام والحمد لله المحمود فى أفعاله قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أى بما جاء
 به محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أى بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام (والمسجد
 الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام (الذى جعلناه للناس) أى قبله لتصلاتهم ومنسكاومتعبدوا (سواء
 العاكف) أى المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغرب اذا جار وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أى

الدنيا الى كلمة التوحيد والى صراط الحميد أى الاسلام أو هداهم الله فى الآخرة أو لهمم ان يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهذا هم
 الى طريق الجنة والحمد لله المحمود بكل لسان (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون عن الدخول فى الاسلام ويصدون حال
 من فاعل كفر وأى وهم يصدون أى الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان منه فى
 الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أى ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه (الذى جعلناه للناس) مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد
 فان أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على انه لا يتباع دو ومكة وان أريد به البيت فالمعنى انه قبله لجميع الناس (سواء) بالنصب جفص
 مفعول ثان لجعلناه أى جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) أى المقيم بالبياعمى واقفه أبو عمر وفى الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدأ

مترادفان ومفعول برد
مترادفان ومفعول برد
متروكاً ليتناول كل متناول
كانه قال ومن يرد فيه مراداً
تعادلاً عن القصد ظالمها
فلا لحاد العدول عن القصد
(نذقه من عذاب أليم) في
الآخرة وخبران محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه
تقديره ان الذين كفروا
ويصدون عن المسجد
الحرام نذيقهم من عذاب
أليم وكل من ارتكب فيه
ذنبا فهو كذلك (واذبوأنا
لإبراهيم مكان البيت)
واذ كثر يا محمد حين جعلنا
لإبراهيم مكان البيت مبعاة
أى مرجعاً يرجع إليه
للعجارة والعبادة وقدر
البيت إلى السماء أيام
الطوفان وكان من ياقوتة
جزءاً فعلم الله إبراهيم
مكانه بريح أرسلها فكشفت
مكان البيت فبناه على اسمه
القديم (أن) هي المفسرة
للقول المقدر أى قائلين له
(لا تشرك بى شيئاً) وطهر
بيتي) من الاصنام والافذار
ويفتح الباعض في وحفص
(للطائفين) ان يطوف به
(والقائمين) والمقيمين بمكة
(والركع السجود) المصلين
جعاراً كعب وساجد) وأذن
في الناس بالحج نادفهم
والحج هو القصد البليغ إلى
مقصد منبوع وروى انه
صعد أباقبيس فقال يا أيها
الناس حجوا بيت ربكم

الطرائى المنتاب اليه من غيره واختلفه وفى معنى الآية فقبل سواء العاكف فيه والبادى فى تعظيم حرمته
وقضاء النسك به واليه ذهب بجاهدوا الحسن وجماعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية
هو التسوية فى تعظيم الكعبة وفى فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يا بنى عبدمناف لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه
الترمذى وأبو داود والنسائى وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية ان المقيم والبادى سواء فى النزول
به ليس أحدهما أحق بالنزول من الآخر غير انه لا يرجع أحد أحدًا اذا كان قد سبق إلى منزل وقول ابن
عباس وسعيد بن جبيرة وقعدة وابن زيد قالوا ه ما سواها فى البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان
الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة باحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى النائم ان يغلقوا
أبوابهم فى الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارها قالوا ان أرض مكة لا تخالط لانها المملوكة
لم يستوعبها الكعبه والبادى فلما استويا ثبت ان سيدنا هاشم بن المصعب واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول الاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارها وهو
قول طاوس وعمر بن دينار واليه ذهب الشافعى احتج الشافعى فى ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق أضاف الديار الى مالكمها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابها فهو آمن ومن دخل
دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجى بأربعة آلاف درهم
فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أى فى المسجد الحرام (بالحاد بظلم) أى
يميل الى الظلم قيل الاحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ كان منهيًا عنه من قول أو فعل حتى
شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر
وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يملك أو تظلم فيه من لا يملك وقال جاهدت اعداء السبابة بمكة كما
تضاعف الحسنات وقيل احتسار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان احتسار الطعام فى الحرم الحاد فيه أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود فى قوله (ومن يرد فيه
بالحاد بظلم) (نذقه من عذاب أليم) قال لوان رجليهم بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولوان رجليهم
بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر إذا قه الله من عذاب أليم قال السدى الان يتوب وروى عن
عبد الله بن عمر وانه كان له فسطاطان أحدهما فى الخل والاخر فى الحرم فاذا أراد ان يعاتب أهله عاتبهم
فى الخل فسمثل عن ذلك فقال كذا حدثت من الاحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله وقوله
تعالى (واذبوأنا لإبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا والحاد كرمكان البيت
لان الكعبة رفعت الى السماء من الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدرك
جهة يبنى فبعث الله تعالى رجاخجو جافكشفت له ما حول البيت عن الاساس وقيل بعث الله سبحانه بقدر
البيت فقامت بحيال البيت وفهارأى يتكلم يا إبراهيم ابن على قدرى فبنى عليه (أن لا تشرك بى شيئاً) أى
عهدنا الى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بى شيئاً (وطهر بيتى) أى من الشرك والاثوان والافذار (للطائفين) أى
الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أى المقيمين فيه (والركع السجود) أى المصلين وقوله عز وجل (وأذن
أى أعلم ونادوا الاذان فى اللغة الاعلام) (فى الناس) قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (الحج) فقال
إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتى فقال الله عليك الاذان وعلينا الاذنان فقام إبراهيم على المقام حتى صار
كأطول الجبال وأدخلى أصبعه فى أذنيه وأقبل بوجهه عينا وشمالا وشرا فوغر بواقبها يا أيها الناس الان
ربكم قد بينى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت فاجيبوا ربكم فاجابه كل من حج من أصلاب الآباء وارحام
الامهات لبنيك اللهم لبنيك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجوا وروى ان إبراهيم
صعد أباقبيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم أمر ان يفعل ذلك فى حجة

فاجاب من قدر له أن يحج من الاصلاب والارحام لبنيك اللهم لبنيك وعن الحسن أنه خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع والاول أظهر وجواب الأمر

الوداع

(يا توك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كانه قال رجالا وركبنا والاضمار البعير المهزول وقدم
 الرجال على الركب انطهار الفضيلة المشاة يكونون في الحديث (يا تين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله ما تون صفة للرجال
 والركبان (من كل فنج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم يمشي بين
 البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنين وخرجت وأنا شاب
 فاكتمت قلت والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال زرم هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه محب واستار
 لا يمنعك بعد عن زيارته * ان المحبان هو ما زوار واللام (في يشهدوا) ليخضروا وامتعلق بأذن أو يأتوك (منافع لهم) تكبرها لانه أراد
 منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال
 كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطية الأصحاب وهجر البلاد والأوطان
 وفرة الأولاد والخلان والتبسية على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء (٢٨٧) فالحاج اذا دخل البادية لا يتشكل فيها
 الاعلى عتاده ولا ياكل الا

من زاده فكذا المرء
 اذا خرج من شاطئ الحياة
 وركب بحر الوفا لا ينفذ
 وحيدته الا ما سعى في
 ما شقه لمعاده ولا يؤنس
 وحشته الا ما كان يانس
 به من أوراده وغسل من
 يحرم وتأهبه وليس غير
 الخيط وتطيه مرآة لاسيأتى
 عليه من وضعه على سريره
 لغسله وتجهيزه مطيبا
 بالحنوط ملففا في كفن
 غير مخطئ ثم المحرم يكون
 أشعث حيران فكذا
 يوم الحشر يخرج من القبر
 لهقان ووقوف الحج
 بعرفات آمين رغبا ورهبا
 سائلين خوفا وطمعا وهم
 من بين مقبول ومخذول
 كوقوف العرصات لا تكلم
 نفس الا باذنه فمنهم شقي

الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم
 الحج فحجوا (يا توك رجالا) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركبنا على الأبل المهزولة
 من كثرة السير وبدأ بك المشاة تشرى بفاهم (يا تين) أي جماعة الأبل (من كل فنج عميق) أي من كل طريق
 بعيد في أي مكة حاجا فكانه قد أتى إبراهيم لانه محبب بداءه قوله تعالى (يشهدوا منافع لهم) قيل العفو
 والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما رضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا
 اسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليها من
 أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة
 أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الأبل والبقر والغنم
 وفيه دليل على ان الأيام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الأنعام عند نحرها ونحر
 الهدايا يكون في هذه الأيام (فكلا منها) أمر اباحة ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون
 من لحوم هداياهم شيئا فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى اذا كانت تطوعا يجوز للمهدي أن
 يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم على بيئت من
 اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فخر منهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة
 ونحر على ما غير وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة بيضة جمعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من
 مرقها أخرجه مسلم قوله ما غير أي ما بقى قوله بيضة أي بقية وأختلف العلماء في الهدى الواجب بالشروع مثل
 دم التمتع والقران والدم الواجب بإفساد الحج وفوته وحزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل منه شيئا قال
 الشافعي لا يأكل منه شيئا وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من حزاء الصيد والنذر
 ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحد وأصح وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى واجب عليه
 الا من فديه الاذى وحزاء الصيد والنذر وعند أصحاب الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من
 واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا شيء له قوله تعالى (ثم ليقضوا
 تفثهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الأحرام بالخلق وقص الشارب وتنف الأبطولم

وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومنى هو موقف النبي للمذنبين الى شقاعة الشافعين وحلق الرأس والتنظيف
 كاخروج من السيئات بالرجة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الأذى والقتال اخذ حج لدار السلام التي هي من نزلها
 بقى سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بتألف البادية فخرجنا من جازمه الى البوادي شوقا
 الى اللقاء يوم التنادي (ويذكروا اسم الله) عند الذبح (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وأخرها يوم النحر وهو
 قول ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر المفسرين يرحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما (على ما رزقهم من
 بهيمة الأنعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قوله ما أوجب بهيمة منهم في كل ذات أربع في البر والبحر فينبت بالانعام وهي الأبل والبقر والضأن
 والمعز (فكلا منها) من لحومها والامر لا يباح ولا يجوز الاكل من هدى التمتع والقران لانه دم نسل فاشبهه الاضحية ولا يجوز
 الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعتسار (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا عنهم
 أدرانهم كذا قاله نفاويه قيل قضاء التفث قص الشارب والأظفار وتنف الأبطال والاستحذاء والتفث الوسخ والمراد قضاء إزالة التفث وقال ابن

تجروا بن عباس رضي الله عنهما غشاء الثفت مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) مواجب حجهم والعرب تقول لسكل من خرج نحو ما وجب عليه وفي نذره وان لم ينذر أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل اللامان الثلاث ساكنة عند غير ابن عباس وأبي عمرو (باليبيت العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده إبراهيم أو الكرم ومنه عتاق الخليل لسكراتهمها وعتاق الرقيق لخروج وجهه من ذل العبودية الى كرم الحرية اولانه أعتق من الغرق لانه رفعه من الطوفان أو من (٢٨٨) أيدي الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فغنه الله أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما ان العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا حاجته معينة الطرب وجذبته جواذب الطالب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك اما لك منازل فاذا عين البيت لم يزد التسلبي به الاشتياقا ولم يفده التشفى باستلام الحجر الاحترافا فبرده الاسف لهفان ويرده الالهف - وله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام بسببه الاعتصام بعمرة الاسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده ويناقبه كما ان عقد الاسلام لا يخل بازدحام الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة ونائبها الوقوف بعرفات بسببه الابتهاال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف

الاطفار والاسجداد وليس الثياب والحاج أشعث أعبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفت مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليمتوها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخرج مما وجب عليه نذره أول لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمي ثلاثاً من الحجر الأسود الى أن ينتهي اليه ويمشي أو يعاود هذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاوّل خب ثلاثاً ويمشي أو يعاود في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أوّل ما يقدم فانه يسعي ثلاثة أشواط ويمشي أو يعاود يصلي مسجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفة ليلة النفر فقالت ما أرا في الاحباستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر فيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقرو ويوجع في حلقها وقيل معناه مشومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شيء يجري على السنة العرب كقولهم لأمل لك وتربيت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن يفر الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً فمن تركه فعليه دم المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ما لا يستها وقيل حرمات الله ما لا يخل انتهاكه وقيل الحرمه ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمرعاتها وحفظ حرماتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الاما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان أي الامر ذلك أو تقديره ليعرفوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمه ما لا يخل هتكه وجميع ما كفه الله عز وجل بهذه الصفة رجسا من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراجعة والحفظ والقيام بمرعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الاما يتلى عليكم) أي تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الاما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئاً مما أحل كتحريم البعض الجيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كحلالهم أكل الموقودة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتنب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان

الاطفار والاسجداد وليس الثياب والحاج أشعث أعبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفت مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليمتوها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخرج مما وجب عليه نذره أول لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمي ثلاثاً من الحجر الأسود الى أن ينتهي اليه ويمشي أو يعاود هذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاوّل خب ثلاثاً ويمشي أو يعاود في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أوّل ما يقدم فانه يسعي ثلاثة أشواط ويمشي أو يعاود يصلي مسجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفة ليلة النفر فقالت ما أرا في الاحباستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر فيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقرو ويوجع في حلقها وقيل معناه مشومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شيء يجري على السنة العرب كقولهم لأمل لك وتربيت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن يفر الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً فمن تركه فعليه دم المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لانه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الغرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لانه لم يملك (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ما لا يستها وقيل حرمات الله ما لا يخل انتهاكه وقيل الحرمه ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمرعاتها وحفظ حرماتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم (الاما يتلى عليكم) أي تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان أي الامر ذلك أو تقديره ليعرفوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمه ما لا يخل هتكه وجميع ما كفه الله عز وجل بهذه الصفة رجسا من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراجعة والحفظ والقيام بمرعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الاما يتلى عليكم) أي تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الاما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئاً مما أحل كتحريم البعض الجيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كحلالهم أكل الموقودة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتنب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان

أي الامر ذلك أو تقديره ليعرفوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمه ما لا يخل هتكه وجميع ما كفه الله عز وجل بهذه الصفة رجسا من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراجعة والحفظ والقيام بمرعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها (الاما يتلى عليكم) أي تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الاما بين في كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئاً مما أحل كتحريم البعض الجيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كحلالهم أكل الموقودة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم حرماته أتبعه الامر باجتنب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان

واجتنبوا قول الزور) لان ذلك من أعظم الحرمات وأسبغها حظرا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مهمم يتناول غير شيء كانه قبل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة التشبيهه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع بين الشرك وقول الزور رأى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور (٢٨٩) وهو الانحراف لان الشرك من باب

الزور اذا الشرك زاعم ان
 لو نبح يحق له العبادة (حنفاء
 لله) مسلمين (غير مشركين
 به) حال كنفاء (ومن
 يشرك بالله فكأنما شخر)
 سقط (من السماء) الى
 الارض (فتخطفه الطير)
 أى تسلبه بسرعة فتخطفه
 أى تخطفه مدنى (أو تهوى
 به الريح) أى تسقطه
 والهوى السقوط (في
 مكان صحيح) بعيد يجوز
 أن يكون هذا تشبيها كما
 ويجوز أن يكون مفردا
 فان كان تشبيها كما
 قال من أشرك بالله فقد
 أهلك نفسه اهلا كالمس
 بعده بان صور حاله بصورة
 حال من خرم السماء
 فاختطفته الطير فتفرق
 قطعان حواصلها أو عصفت
 به الريح حتى هوت به في
 بعض المهالك البعيدة وان
 كان مفردا فقد شبه الايمان
 في علوه بالسماء والذي
 أشرك بالله بالساقط من
 السماء والاهواء المردية
 بالطير المختطفه والشيطان
 الذى هو لوقعه في الضلال
 بالريح التى تهوى بما عصفت
 به في بعض الماهوى المتلغفة
 (ذلك) أى الامر ذلك
 (ومن يعظم شعائر الله)

رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هى شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الاشرار بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا في روايته ولانعرف لا يمين سباعا من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه ابوداود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين في تلبيتهم ليسك لا شريك لك الا شريك هولك كما كنهه وما ملك ﴿قوله تعالى﴾ (حنفاء لله) أى مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكاف ينوى بما ياتيه من العبادة الاخلاص لله به الا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والانوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أى تحوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما شخر) أى سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه وتذهب به (أو تهوى به الريح) أى تميل وتذهب به (في مكان صحيح) أى بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعده من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لجهه أو بسقوطه في المكان الصحيح وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلا كالمس وراه اهلا بان صور حاله بصورة قال من خرم من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان التى تطرحه في وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به في بعض الماهوى المتلغفة ﴿قوله عز وجل﴾ (ذلك) يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) أى تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها الهدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى فى البدن (منافع) قيل هى درها ونسلها ووصفها وبرها وركوب ظهورها (الى أجل مسمى) أى الى أن يسميها ويركبها أو يجرها فاذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقادة والضحاك ورواه عن ابن عباس وقيل معناه لكم فى الهدى يا منافع بعد ايجابها وتسميتها هدايا بان تركبها وتشرى بان ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تنخر وهو قول عطاء واختلف العلماء فى ركوب الهدى فقال مالك والشافعي وأحمد وسحق يجوز ركوبها او الحمل عليها من غير ضررهم الماروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها وراك فى الثانية أو الثالثة أخرجاه فى الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعدما يفضل عن رى ولدها وقال أصحاب الرأى لا يركبها الا أن يضطر اليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أى بالتجارة والسواقى الى أجل مسمى أى الى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أى بالاجر والثواب فى قضاء المناسك الى انقضاء أيام الحج (ثم حملها الى البيت العتيق) أى منخرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم وروى عن جابر بن حديد حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نخرت ههنا وبنى كلها منخر فأنخر وبنى رحالك ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم

(٢٧ - (خازن) - ثالث) تعظيم الشعائر وهى الهدايا لانها من معالم الحج أن يتخارها عظام الاحرام حسانا سما نائما لانية الايمان (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فخذت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها امر اكز التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن تنخر (ثم حملها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت اذا الحرم حريم البيت ومثله فى الإتساع قولك بلغت البلد وانما

اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعضيمها اتمها وخطلها الى البيت العتيق بآياه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحجرة أي وضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي اراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند نحرها وذبحها (فالهكك واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكك واحد وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط الذبح يعني ان الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكو اله أي يدبحوه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدمت أسماؤه على النسائك وقوله (فله أسلموا) أي أخلصوا اله الذكركر خاصة واجعله له سالما أي خالصا لا تشوبه باشرالك (وبشر المختبين) المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا يظلمون واذ ظالموا لم يتصروا (٢٩٠) وقيل تفسيره ما بعده أي (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) خافت منه هيبته (والصابرين على ما أصابهم) من المحن والمصائب

لجعلها أي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق بطوفون به طواف الزيارة ﴿ قوله تعالى (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئى بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القر بان وقرئ منسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالانعام لان ما سواه الا يجوز ذبحه في القرابين وان جزأ كله ﴿ قوله عز وجل (فالهكك اله واحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فان الهكك اله واحد (فله أسلموا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المختبين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذ ظالموا لا يتصرون ثم اوصفهم فقال تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) أي في أوقاتها محافظا عليها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون ﴿ قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام الشريعة التي شرعها الله وضافها الى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفهولي جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والاخرى في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وبدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال بعثها قياما مقيدة سمة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذوجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر ووقع جنوبها على الارض (فكلوا منها) أمر باباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل عن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجي على القوم فيعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما (ينحرها لكم) أي لتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) أي انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لظخوا الكعبة بدماؤها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فأنزله الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أي ان ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) أي ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاحلاص وهو ما أريد به وجهه الله (كذلك ينحرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) (وأطعموا القانع) السائل

مأصباهم) من المحن والمصائب (والمقيمي الصلاة) في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام الشريعة التي شرعها الله وضافها الى اسمه تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفهولي جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والاخرى في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وبدها اليمنى والاخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال بعثها قياما مقيدة سمة محمد صلى الله عليه وسلم (فاذوجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر ووقع جنوبها على الارض (فكلوا منها) أمر باباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل عن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يجي على القوم فيعرض لهم لاجل لحمهم (كذلك) أي مثل ما وصفنا من نحرها قياما (ينحرها لكم) أي لتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) أي انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لظخوا الكعبة بدماؤها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى فأنزله الله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها أي ان ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) أي ولكن ترفع اليه الاعمال الصالحة والاحلاص وهو ما أريد به وجهه الله (كذلك ينحرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) (وأطعموا القانع) السائل

من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته فتوعا (والمعتر) الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضي بما عنده وارشادكم وبما يعطى من غير سؤال من قنعت فتعنا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال (كذلك ينحرها لكم) أي كما أمرناكم بنحرها ينحرها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال ينحرها لكم أي ذلناها لكم مع قوتها وعظم احرامها لتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا انعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) ولكن يناله التقوى منكم) أي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها والدماء المراقبة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقرنون بهم الا براءة النسبة والاحلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحر والابل نضحو الدماء حول البيت ووظفوه بالدم فلما ساج المسلمون أرادوا مثل ذلك فترأت (كذلك ينحرها لكم) أي البدن (لتكبروا الله) لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ما هداكم)

على ما أُرشدكم إليه (وبشر المحسنين) الممثلين أو أمره بالثواب (إن الله يدفع) مكي وبصري وغيرهما يدفع أي يباليغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه فالنصر رسلنا والذين آمنوا ثم على ذلك بقوله (إن الله لا يحب كل خوان في أمانة الله) كفور) لنعمة الله أي لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخوفاة الكفرة الذين يخوفون الله والرسول ويخوفون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويفسطنونها (أذن) مدني وبصري وعاصم (الذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص والمعنى أذن لهم في القتال فخذف المأذون فلهذا لا يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مصر وبمشجوج ينظلمون إليه فيقول لهم اصبر ووافقني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية (وان الله على (٢٩١) نصرهم) على نصر المؤمنين (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله إن الله يدفع عن الذين آمنوا (الذين) في محل خبر بدل من الذين أو نصب بأعنى أو رفع بأضمارهم (أخر جوامن ديارهم) بمكة (بغير حق الآن يقولوا بنا الله) أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج ومثله هلل تةقومنا الآن آمنابالله ومحمل ان يقولوا جربدا لمن حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم (ولو ادفع الله) دفاع مدني ويعقوب (الناس بعضهم ببعض الهدمت) وبالتخفيف بحجازي (صوامع وبيع ولواظهاره وتسليطه المسلمين على الكافر ين بالجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في

وأرشدكم أعمال دينه ومنها سلججه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدا نا والحمد لله على ما ولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعمة الله قال ابن عباس خافوا الله فعملوا معه شريكا وكفروا بعمه وقيل من تقرب إلى الأصنام بذبحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مصر وبمشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبر ووافقني لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية أي أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يعنونهم من الهجر بقتلهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالأيذاء (وان الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الآن يقولوا بنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الإخراج (ولو ادفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وإقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصائين والبيع النصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبودية تصولنا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يدكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية (ولو ادفع الله الناس بعضهم ببعض الهدمت صوامع) أي كنائس اليهود وبيع النصارى وفي زمن عيسى المسيح والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه ونبيه (إن الله لقوي) أي على نصر من ينصر دينه (عزير) أي لا يضام ولا يمنع مما يريد قوله عز وجل (الذين إن مكناهم في الأرض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأما المعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأن قوله الذين إن مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه وذلك أنه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع قوله تعالى (وان يكذبوك) فيه

أزمنتهم وعلى متعبدهم فهدموا ولم يتركوا النصارى يبيعوا ولا الرهبانهم صوامع ولا اليهود صلوات أي كنائس وسميت الكنييسة صلاة لأنها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد أو لغالب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدان الفريقيين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجود أو لغربها من التهديم (يدكر فيها اسم الله كثيرا) في المساجد أو في جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه وأوليائه (إن الله لقوي) على نصر أوليائه (عزير) على انتقام أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره أو جرتابح الذين أخرجوا (إن مكناهم في الأرض) أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأما المعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنتهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذا الأمر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الأمور) أي مرجعها إلى حكمه وتقدره وفيه تأكيد وأعداء من أظهار أوليائه وأعداء كاهنهم (وان يكذبوك) هذه تسلية ليجد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل

مكة اياه اى لست باوحدى في التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك (قوم نوح) نوحا (وعاد) هوذا (وغيثود) صالحا (وقوم ابراهيم) ابراهيم
(وقوم لوط) لوطا (واصحاب مدين) شعيبا (وكذب موسى) كذبه فرعون والقبيل ولم يقل وقوم موسى لان موسى ما كذبه قوم بنوا اسرائيل
وانما كذبه غير قومه او كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره
(فأملت للكافرين) أمهلتهم وأحزن عقوبتهم (ثم أخذتهم) عاقبتهم على كفرهم (فكيف كان تكبير) انكارى وتغييرى حيث أبدلتهم
بالنعيم نعمما بالحياة هلا كوا بالعمارة فخرا بانكبرى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب (فكأن من قرية أهل كها) أهل كها بصرى (وهى
ظالمه) حال أى وأهلها مشركون (٢٩٢) (فهى حاوية) ساقطة من حوى النجم اذا سقعا (على عروشها) يتعلق بخاوية والمعنى انها

ساقطة على سقوفها أى
خرت سقوفها على الارض ثم
تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف ولا يحمل
لتهى حاوية من الاعراب
لانها معطوفة على أهل كها
وهذا الذلل ليس له حمل
وهذا اذا جعلنا كائن
منصوب المحل على تقدير
كثيرا من القرى أهل كها
(وبئر معطلة) أى متروكة
لغفردلوها ورشائها وفقد
تفقدتها وهى عامرة فيها
الماء ومعها لان الاستقاء
الا انها عطلت أى تركت
لا يستقى منها الهلاك أهلها
(وقصر مشيد) محصن من
الشيء الجص أو مرفوع
البنين من شاد البناء رفعه
والمعنى كم قرية أهل كها
وكم بئر عطلناها عن سقايتها
وقصر مشيد أهلناها عن
ساكنيه أى أهل كها البادية
والحاضرة جميعا نخلت
القصور عن أربابها
والآبار عن ورادها
والأظهر ان البئر والقصر

تسليمة وتعزى لالتى صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبت قومك (فقد كذبت قبلهم) قوم نوح وعاد وغيثود
وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت
فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنوا اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبيل الثانى كانه
قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك
بغيره (فأملت للكافرين) أى أمهلتهم وأحزن العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أى عاقبتهم (فكيف كان
تكبير) أى انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل (فكأن من قرية أهل كها) وقرى أهل كها على التعظيم (وهى
ظالمه) أى وأهلها ظالمون (فهى حاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى على سقوفها (وبئر معطلة)
أى وكم من بئر معطلة أى متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أى رفيع طويل عال وقيل محصن
وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد بالين أما القصر فعلى قلته جبل والبئر فى سفحه ولكل واحد منهما
قوم كانوا فى نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خالين وقيل ان هذه البئر كانت بحضرموت
فى بلدة يقال لها حاضرواء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بإصلاح عليه السلام لما نجوا من العذاب
أتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضر ومات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك واسمات صالح بنوا
حاضرواء وقعدوا على هذه البئر وأمر راعاهم بجمالهم فاقاموا دهرًا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا
الاصنام وكثروا فأرسل الله تعالى اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حلالا فيهم فقتلوه فى السوق
فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار مكة
فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أى يعلمون بها (أو آذان
يسمعون بها) يعنى ما يدكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فانهم الاتعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب اتى فى الصدور) المعنى ان عمى القلب هو الضار فى أمر الدين لا عمى البصر لان البصر الظاهر
ياغفوم وعمى بصر القلوب هو البصر النافع (ويستجلبونك بالعذاب) نزلت فى النصر بن الحرث (ولن يخلف
الله وعده) أى انه أنجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعنى يوما
من الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبي
سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا بيا معشر صاعيا لىك المهاجرى بالنور التام يوم
القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار ثمانمائة سنة أخرجه أبو داود بن زيادة فيه
وأخرج الترمذى نحوه ومعنى الآية انهم يستجلبونك بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم فى الآخرة كألف
سنة وقيل ان يوما من أيام العذاب فى الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستجلبونه وقيل معناه ان

على العموم (أفلم يسيروا فى الارض) هذا حدث على السفر ليرى مصارع من أهل كهم لله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا يوما
(فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أى يعلمون بها (أو آذان يسمعون بها) أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي
(فانهم لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الضمير فى فانهم الضمير القصة أو ضمير مهم بفسره الابصار أى فسمعيت أبصارهم
عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ونسلك انسان أربع أعين عينان فى رأسه وعينان فى قلبه فاذا أبصر ما فى القلب وعمى ما فى الرأس لم يبصره
وان أبصر ما فى الرأس وعمى ما فى القلب لم يبصره وذكر الصدور ليعلم ان محل العلم القلب ولا يقال ان القلب يعنى به غير هذا العضو كما يقال
القلب لب كل شئ (ويستجلبونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كانه قال ولم يستجلبونك به كلهم يجوزون القوت وانما
يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف وان يخلف الله وعده وما وعده لم يصيبهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) يعدون

مكي وكوفي غير عاصم أي كيف يستجلبون بهذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنة من أيام الشدايد طول (وكأن من قرية أمليت لها وهي ظالمة) أي وكمن أهل قرية كأنوا منكم ظالمين قد أنظرتم حيناً ثم أخذتمها) بالعذاب (والى المصير) أي المرجع الى فلا يفوتني شيء وإنما كانت الاولى أي فكأن معطوفة بالفاء وهذه أي وكأن بالاولان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان نكير وأما هذه فيكمها حكم ما تقدمه من الجنتين المعطوفتين بالواو وهما أولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين) وانما لم يقل بشيرون نذير بل ذكر القرية بعينه لان الحديث مسوق الى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسبروا ووصفوا بالاستعجال وانما أقوم المؤمنون وثوبهم ليعطوا أو تقدروا نذير مبين وبشير فيشرأوا لافقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعي في أمر فلان اذا أفسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكي وأبو عمرو عاجزه سابقه كان كل واحد منهم ما في طلب المعجز الا سحر عن اللحن به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سها وسحر او شعرا أو أساطير (٢٩٣) مسابقين في زعمهم وتقدروهم طامعين ان

كيدهم للاسلام يتم لهم
 (أولئك أصحاب الجحيم) أي
 النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك من لا يتساءل الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيده النفي (ولانبي) هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض انهما واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعون ألفا فقبل فكلم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهم ان الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي لم ينزل عليه كتاب وانما أمران يدعو الى شريعتين قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي

يواعنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوى في قدرته وقوع ما يستجلبونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأن من قرية أمليت لها) أي أمهلتها (وهي ظالمة) أي مع استمرار أهلها على الظلم (ثم أخذتمها) أي أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعني مصيرهم الى الآخرة وفيه وعيد وتهديد ﴿ قوله عز وجل (قل يا أيها الناس انما أنا نذير مبين) أمر الله رسوله أن يذم لهم التخويف والانذار وأن يقول لهم انما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول انما أنا نذير مبين أردف ذلك بأن أمره بوعده من آمن ووعيد من عصي فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي سترصعوا رذونهم وقبل للكفار أيضا مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في ابطال آياتنا (معجزين) أي مشيطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين اي معاندين مشاقين وقيل معناه طائنين ومقدرين انهم معجزون وسأول يفوتونا فلان قدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا الجنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) ﴿ قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تخلى القى الشيطان في أميته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادعتهم عما جاءهم به من الله تعالى تخلى في نفسه أن يأتبه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويمنه تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترجي فلما سمعت قرش ذلك فرخوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقراء السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجودهم وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيمر سعيد بن العاص فانما أخذوا حفنة من البطحاء ورفعها الى جبهتهم ما وسجدوا عليها لانهم كانوا شاكين كبيرين فلم يستطيعوا السجود وتفرقت قريش وقد سهرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم

حافظ شرع غيره (الاذا تخلى) قرأ قال تخلى كتاب الله أول ليلة * تخلى داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان في أميته) تلاوته فالوا انه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترجي ولم يظن له حتى أدركته العصمة فقتل عليه وقيل نهج جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لانه لا يتخلوا ما أن يتكلم النبي عليه السلام بما عهدوا انه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طائعا لا لاصنام لا مادحها لها وأجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبرأ حيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممنوع لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ففي حقه أولى وأجرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لم يطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال الناحي زمانا الذي كروا له لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذي تكلم بها فيكون هذا القاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فتروى انه نادى يوم أحد لان محمدا قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم

ويقولون قد ذكر محمد آل هتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيى ويميت ويرزق ولكن آل هتنا هذه
 تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما جـ بريل فقال
 يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آت به عن الله تعالى فخرت رسول الله صلى الله عليه وسلم خزا شديدا
 وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزبه وكان به رحيميا وسمع بذلك من كان بارض
 الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجد قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع
 أكثرهم الى عسائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بانهم ان الذي كانوا يحدثونه من اسلام
 أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على
 ما ذكر من منزلة آل هتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك
 من رسول الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي النبي هو الذي تكون نيوته الهاما أو مناما فكل
 رسول نبي وليس كل نبي رسولا الا اذا اتى أي أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان
 في أمنيه أي في مراده وقال ابن عباس اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووحد الله سبيلنا والمعنى ما من نبي
 الا اتى أن يؤمن قومه ولم يمتن ذلك نبي الا ألقى الشيطان عليه ما رضى قومه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقال
 أكثر المفسرين معنى تنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيه أي في تلاوته قال حسان في عثمان

حين قتل
 تخنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

فان قالت قد قامت الدلائل على صدقه وأجعت الامة فيما كان طر يقبه البلاغ انه معصوم فيهم من الاخبار
 عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصد ولا عمد ولا سهو ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى
 لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه
 وسلم في التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها توهمين أصل هذه القصة
 وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصفة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون
 والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة
 اضطراب روايتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فاقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة
 وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدثت نفسها بها
 فخرى ذلك على لسانه وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله
 عليه وسلم لساعر ضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتلك الى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح
 من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان
 شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه الى جبهته قال عبد الله فلقد رأيت به بعد قتل كافر أخرجه
 البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
 والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
 تلك اللفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه السكبي وهو
 ضعيف جدا فهذا توهمين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل الصحيح
 واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تخمينه أن ينزل عليه مدح اله
 غير الله وأن يتسور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينه جبريل عن ذلك
 فهذا كله ممنوع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولتوقل علينا بعض الاقوال بل لاخذنا منه باليمين
 ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبي صلى
 الله عليه وسلم كان اذا قرأ من القرآن ترتيلا ويصل الاى تفصيلا كما صرح عنه في قرآنه فيجتم ان
 الشيطان ترصد تلك السكبات فدرس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات كما هو الحال من النبي صلى الله عليه وسلم

(فينسخ الله ما يليق الشيطان) أي يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ويحفظها من حقوق الزيادة من الشيطان (والله عليم بما أوحى إلى نبيه) ويقصد الشيطان (حكيم) لا يدعه حتى يكشفه ويريه ثم ذكر أن ذلك ليثبتن الله تعالى به قوما بقوله (لجعل ما يليق الشيطان فتنة) محنة وابتلاء (الذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكاً وظلمة (وان الظالمين) أي المنافقين والمشركين وأصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (لني شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أتوا العلم) بالله وبدينه وبالآيات (انه) أي القرآن (الحق من (٢٩٥) ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتختب) فتطمئن (له قلوبهم وان

الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) فيتأولون ما يشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثر بهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في صفة) شك منه) من القرآن أو من الصراط المستقيم (حتى تأتيم الساعة بغتة) فجأة (أولياً تيمم عذاب يوم عقيم) يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكوّن للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير أو شديد لدرجة فيه أو لا مثل له في عظيم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته (الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتسوية عوض عن الجلة أي يوم يؤمنون أو يوم تزول صريتهم (الله) فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضي ثم بين حكمه فيهم بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فإنا نأولئك لهم عذاب مهين) قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطاب رضاهم (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً) أي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى النفس وتلد الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقاً على المجاز كقوله رزق السلطان الجندي أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلاً رضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم بنبياهم) (حليم) بالعفو عنهم قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا

فسمعهم دنائهم من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدر ذلك عندهم لتحقيقهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الأوثان وعيها وانهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم ان النبي يكون بمعنى حديث النفس ومعنى التلاوة فعلى الأول يكون معنى قوله الا اذا أتى أي خطر بياله ومعنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوى التمتي اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمتي بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا أتى أي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكره للوقت والحين كما صح في الحديث لقد أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآيات ان الانبياء والرسل وان عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم بقوله عز وجل (فينسخ الله ما يليق الشيطان) أي يبطله ويذهب به (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها (والله عليم حكيم) قوله عز وجل (لجعل ما يليق الشيطان فتنة) أي محنة وبلية والله تعالى يعجز عباداً بما يشاء (الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون (وان الظالمين لني شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أتوا العلم) أي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق من ربك) أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يعتقدوا انه من الله عز وجل (فتختب له قلوبهم) أي تسكن اليه (وان الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق قويم وهو الاسلام قوله عز وجل (ولا يزال الذين كفروا في صفة منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيم الساعة بغتة) أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أولياً تيمم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا ليله وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيماً لانه لم يكن في ذلك اليوم لكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظيم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (الله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فإنا نأولئك لهم عذاب مهين) قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطاب رضاهم (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً) أي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى النفس وتلد الاعين (وان الله لهو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين قلت قد يسمى غير الله رازقاً على المجاز كقوله رزق السلطان الجندي أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلاً رضونه) يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وان الله لعليم بنبياهم) (حليم) بالعفو عنهم قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك الذي قصصنا

آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فإنا نأولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوماً من الفريق الأول بفضيلة فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خروا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شامياً (أو ماتوا) حتف أنفسهم (ليرزقهم الله رزقاً حسناً) قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً (وان الله لهو خير الرازقين) لانه المخرج للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال (ليدخلنهم مدخلاً) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (رضونه) لان فيها ما تشتهى النفس وتلد الاعين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نحبته بجهاد أو آمال من مات وهو ينتظر معاهداً (حليم) بامهال من قاتلهم معانداً روى ان طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هو لاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فإنا نالنا من الله هاتين الايتين (ذلك) أي الامر ذلك

وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) سمي الابتداء بالجزء العقوبة لا بسببه من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم بغي عليه لينصره الله) أي من جازي بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره (ان الله اعفو) بخو آثار الذنوب (غفور) يستأفوا العيوب وتقرّب الوصفين بسباق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفو أقرب للتقوى فحيث لم يؤثّر ذلك وانتصر فهو تارك لا لفضل وهو ضامن لنصرته في الكفرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغى وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكركهاتين الصفتين أو دل بذكرك العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كاقبل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمطلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا وبسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبعث والانتصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات (٢٩٦) بقنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء في الليالي وان تولت الظلمات

(ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقى غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف يتخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجري فيهما وادراكه قولهم ورفع لهم بسبب ان الله الحق الثابت الهتته وان كل ما يدعى الهادونه باطل الدعوة وانه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) مطر (فتصيح الارض مخضرة) بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليغيب بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أتع على فلان فاروح وأعدو شاكر له ولو قلت فرحت

عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازي الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغي عليه) أي ظلم باخواجه من منزله يعني ما أنما المشركون من البغي على المسلمين حتى أحو جوههم الى مطارقة أو طائهم ثم زلت في قوم من المشركين أو قوم من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فذكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيمهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصره الله ان الله اعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) يعني لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بان الله) القادر على ما يشاء من قدرته انه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بتغييره أشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطولع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق) أي ذوالحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعني المشركين (من دونه هو الباطل) يعني الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع (وان الله هو العلي) أي العلي على كل شيء (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه ﴿ قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصيح الارض مخضرة) أي بالنبات (ان الله لطيف) أي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان (خبير) أي بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له مافي السموات ومافي الارض) أي عبيد او ملكا (وان الله لهو الغني الجيد) يعني الغني عن عباده الجيد في أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض) أي الدواب التي تتركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) يعني سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويمسك السماء ان تقع) أي لكيلا تنسقط (على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعني انه أنعم هذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذارؤف رحيم بكم (وهو الذي أحياكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم البعث للشواب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي لحوذ لنعم الله عز وجل ﴿ قوله تعالى

وغدوت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصيح ولم ينصب جوا باللا استفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات (لكل الاخضر اذ ينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتسكر ان نصبتة نقيت شكره وشكوت من تفر يطه فيه وان رفعتة أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل عمله أرفضه الى كل شيء (خبير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الجبير المحيط بكل قليل وكثير (له مافي السموات ومافي الارض) ملكا وملكا (وان الله لهو الغني) المستغنى بكل قدرته بعد فناء مافي السموات ومافي الارض (الجيد) المحمود ودينه حق قبل نفعه من في السموات ومن في الارض (ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض) من البهائم مثله للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطف على ما وتجرى حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويمسك السماء ان تقع على الارض) أي يحفظها من أن تقع (الاباذنه) بأمره أو بعيشته (ان الله بالناس لرؤف) يتسخر مافي الارض (رحيم) بامساك السماء لئلا تقع على الارض عددا لانه مقرونة باسمائه يشكروه على آلائه ويذكروه باسمائه وعن أي خفيف ترجمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقارئها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لا يصلح جزاءكم (ان الانسان لكفور) لحوذ لما أفاض عليه من ضر وبنعم ودفع عنه من صروف النعم أولا يعرف نعمة الانشاء

المبدى الوجود ولا الافناء المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل أمة) أهل دين (جعلناه منسكا) من بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت الى قولهم ولا تحكمتهم من أن ينازعوك (في الامر) أمر الذبايح أو الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تأكلون ما تقتلهم ولا تأكله الله يعنى الميتة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآتى الواردة في أمر النساءك فغطت على أخواتها وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجدهم عطفاً (وان جادلوك مرء) وتعننا كما يفعل السلفاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أى فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم بما عملكم وما تستحقون عليهما من الجزاء فهو مجاز يكتم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله (٢٩٧) للمؤمنين والكافرين أى يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة

(لكل أمة جعلناه منسكا) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عباد وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعنك في الامر) أى فى أمر الذبايح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما يقتله الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت ﷺ قوله تعالى (وادع الى ربك) أى الى الامعان به الى دينه (انك لعلى هدى مستقيم) أى على دين واضح قويم (وان جادلوك) أى خاصوك في أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أى من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين الجنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى ﷺ قوله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب) أى فى اللوح المحفوظ (ان ذلك) أى علمه بجمعه (على الله يسير) أى هين وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أى حجة ظاهرة من دليل سمعى (وماليس لهم به علم) أى انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لاعن علم ولا دليل عقلى (وماللطالين) أى المشركين (من نصير) أى مانع يمنعهم من العذاب (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الانكار والكرهية يتبين ذلك فى وجوههم (يكادون يسطون) أى يععون ويسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى محمداً وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أى قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أى بشرلكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تستمعون (النار) أى هى النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) ﷺ قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذى جاءه ليس بمثل فكيف سماه مثلاً قلت لما كان المثل فى الاكثر نكتة بحسب معتبر بيه جازان يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً وقال فى الكشف قد سميت الصفوة والقصة الرائقة المتفاعة بالا استحسان والاستغراب مثلاً تشبهها ببعض الامثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) أى تدبروه حتى تدبروا فالاستماع بلا تدبر وتعلق لا ينعف والمعنى جعل لى شبيهه وشبهى الاوثان أى جعل المشركون الاصنام شركائى يعبدونها بين حالها وصفتها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان يخلقوا ذبابا) أى واحد فى صغره وضعفه وقتله لانهم لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أى خلقته والمعنى ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) أى كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بان الله انه يعلم كل ما يحدث فى السموات والارض (ان ذلك) أى وجوده فيها (فى اللوح المحفوظ) (ان ذلك على الله يسير) أى علمه بجميع ذلك علمه بسير ثم أشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) ينزل مكي وبصرى (سلطانا) حجة وبرهاناً (وماليس لهم به علم) أى لم يتمسكوا فى عبادتهم لها ببرهان سماوى من جهة الوحي ولا جملهم عليها ليس عقلى (وما

(٣٨ - حازن) - ثالث) للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا والمنكر) الانكار بالعبوس والكرهية والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والاطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهية والضجر بسبب ما تلى عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كان فائلاً قال ما هو فقبل النار أى هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن الله تعالى شريكاً جارية فى الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس ضرب بين) مثل فاستمعوا له) لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آلهة باطلة (ان يخلقوا ذبابا) ان يخلقوا ذباباً (ان يخلقوا ذباباً) أى خلقه والمعنى ان

الذباب وحمله التصب على الخمال كانه قيل مستحيل منهم ان يخلقوا الذباب مشروطين عليهم اجتماعهم جميعاً خلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما اُتزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدور وان كانوا الاحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله تعالى واذله ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلبهم الذباب شيئاً) شيئاً ثانياً مفغولاً يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختلف منهم شيئاً فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدر واعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطاؤون بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن اخذه (ضعف الطالب) أي الصنم يطلب ما سلب منه (والمطالوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية (٢٩٨) بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حقت وجدت الطالب اضعف واضعف فان الذباب حيوان

وهو جناد وهو غالب وذلك مغلوب (ما قدره) ما عرفه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكاً (ان الله لقوى عزيز) أي ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شريكاً به اولقوي بنصر اولياته عز يز ينقم من أعدائه (الله بصطفي) يختار (من الملائكة رسلاً) كجبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم (ومن الناس) رسلاً كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رسلاً أنكر وهم ان يكون الرسول من البشر وبيان أن رسول الله على ضرب من ملك و بشرو وقيل تزلت حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو سميع لاقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير باحوال الامم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ما مضى (وما خلفهم)

هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدر واعلى خلق ذبابة على ضعفها وصغر هاف كيف يليق بالعاقل جعلها معبوداً له (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطاؤون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقبيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطالوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطالوب هو الصنم وقبيل الطالب الصنم والمطالوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لجز عنه وقبيل الطالب عابد الصنم والمطالوب هو الصنم (ما قدره) أي ما عظموه حق عظمتهم وما عرفه حق معرفته ولا وصفوه حق وصفته حيث أشركوا به ما لا يتبع من الذباب ولا ينصف منه (ان الله لقوى عزيز) أي غالب لا يقهر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله بصطفي من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلاً) جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) أي ويختار الله من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين تزلت حين قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (ان الله سميع) أي لا قولهم (بصير) أي لا فعالهم لا تختفي عليه خافية ﴿قوله تعالى﴾ (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) أي ما خلفوا وقبيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقبيل يعلم ما بين أيدي ملائكتهم ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم (والى الله ترجع الامور) أي في الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أي وحده وقبيل اخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقبيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم تفلحون) أي لتسعدوا وتفوزوا بالجنة

* (فصل في حكم سجود التلاوة هنا) * لم يختلف العلماء في السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية فروي عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى انهم قالوا في الحج سجدة ثان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد واسحق يدل عليه ما روي عن عتبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أنى الحج سجدة ثان قال نعم ومن لم يسجد هماً فلا يقرأ هماً أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدة ثين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدة ثين أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك بدليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد أكثر أهل العلم

مالم يأت أو ما عملوا وما سجدوا أو أمر الدنيا وأمر الآخرة (والى الله ترجع الامور) أي اليه مرجع الامور كلها والذي هو الى هذه الصفات لا يستل عمياً يفعل وليس لاحدان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ترجع شامى وحجزة على (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) في صلواتكم وكان أول ما أسلموا يصلون بركوع وسجود فأمروا أن تكون صلواتهم بركوع وسجود وفيه دليل على أن الاعمال ليست من الايمان وان هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة (واعبدوا ربكم) واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم (وافعلوا الخير) قيل لما كان للذكورية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين اولاً الى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري ثم الى العبادة بغير الصلاة كما صوم والحج وغيرهما ثم بالحرف على سائر الخيرات وقيل أريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون)

أى كى نفوز واواقلوا هذا كما وأنتم راجعون للفلاح غير مسليقين ولا تتكوا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالغز وأوجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو كلمة حق عند أمير جاتر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله (٢٩٩) (حق جهاده) وهو ان لا يخاف فى الله

لومته لا يتم يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا ووجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بأدنى ملائمة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مقبول وجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله

ويوم شهدناه سليمان وعمارا (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) ضيق بل وخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيهيم وبالإيحاء والقصر والافطار بعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة (مله أيتكم ابراهيم) أى اتبعوا ملة أيتكم أو نصب على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أيتكم وسماه أبوا وان لم يكن أباء للامة كلها لانه أبورسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباء لامة لان أمته الرسول فى حكم أولاده قال عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد (هو) سماكم المسلمين أى الله بدليل قراءة أى الله سماكم (من قبل) فى الكتب المقدمة (وفى هذا) أى فى

الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدة ثان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحدى الروايتين عنه فعند ان السجدة خمس عشرة سجدة وذهب قوم الى ان المفصل ليس فيه سجود بروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى عن أبى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدة ثان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال سجدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقرأ وإذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة هو واجب ﷻ قوله عز وجل (وجاهدوا فى الله حق جهاده) أى جاهدوا فى سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفرغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا فى الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون فى سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته قبل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هى العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله أخرجه فى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعري وقيل بجاهدة النفس والهوى وهو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعتن من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ذكره البغوى بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أى اختاركم لدينه والاشتغال بتقدمته وعبادته وطاعته فأى رتبة أعلى من هذا وأى سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله له منه خيرا بغيرها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام الا ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق فى اوقات فر وضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تنيقوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر فى السفر والنهيم عند عدم الماء وكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التى رخص الله لعباده قبل اعطى الله هذه الامتة تخلصين لم يعطهما أحد غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم فى الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بنى اسرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (مله أيتكم ابراهيم) لانها داخله فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أباء للامة كلها فكيف سماه أباء فى قوله ملة أيتكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كإحسان احترام الاب فهو كقوله وأزواجه أمهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم كالودى قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولان أحدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعنى ان الله سماكم المسلمين فى الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثانى ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعنى ان ابراهيم سماكم المسلمين فى أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعنا مسلمين لنا ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءنا (وفى هذا) أى وفى القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يعنى يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكفوا شهداء على الناس) يعنى تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أى تقواه وتوكلوا عليه وقيل

القرآن أى فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) انه قد بلغكم رساله ربكم (وتكفوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فأقيموا الصلاة) بواجبائها (وآتوا الزكاة) بشراؤها (واعتصموا بالله)

وثقوابانته وثوقا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالكم وناصركم ومتولى أموركم (فتم المولى) حيث يمنعكم رؤسكم بعضيكم
(ونعم النصير) أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفخ من هو مولاة وناصره والله الموفق للصواب * (سورة المؤمنين مكتوبة وهي
مائة وعثمان عشرة آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفخ المؤمنون) قد نقيضه لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون
يتوقعون مثل هذه البشارة وهي (٣٠٠) الاخبار بثبات الفلاح لهم فغوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظاهر بالمطلوب والنجاة

من المهروب أي فازوا بما
طلبوا ونجوا مما هربوا
والإيمان في اللغة التصديق
والمؤمن المصدق لغتوفي
الشرع كل من نطق
بالشهادتين موافقا لهما
لسانه فهو مؤمن قال عليه
السلام خلق الله الجنة فقال
لها تكلمي فقالت قد أفخ
المؤمنون فلانا نأحرارم على
كل بخيل من اعلانه بالرياء
أبطل العبادات البدنية
وليس له عبادة مالية (الذين
هم في صلواتهم خاشعون)
خائفون بالقلب ساكنون
بالجوارح وقيل الخشوع
في الصلاة جمع الهمه لها
والاعراض عما سواها وأن
لا يجاوز بصره مصلاه وأن
لا يتغنى ولا يعبت ولا يبدل
ولا يرفع أصابعه ولا يقبل
الخصي ونحو ذلك وعن
أبي الندراء هو اختلاص
المقال واعظام المقام واليقين
التام وجمع الاهتمام
وأضيفت الصلاة إلى المصلين
لأن المصلي له الانتفاع المصلي
بمواضعه وهي عذبه
وذاخيرته وأما المصلي له فغنى
عنها (والذين هم عن اللغو
معرضون) اللغو كل كلام

تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم أن يثبتكم
على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وموافقكم (فتم المولى
ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم * (تفسير سورة المؤمنين وهي مكتوبة) *
وهي مائة وعثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان
* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه
دوى كدوى النخل فأنزل الله عليه يوما فبكت ساعة ثم سرى عنه فقرا قد أفخ المؤمنون إلى عشر آيات من
أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأزنا ولا تؤز علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي
وقوله عز وجل (قد أفخ المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد بقوافي الجنة وقيل
الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلواتهم خاشعون) قال ابن عباس يخبتون أدلأ عما خضعون وقيل
خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال الجوارح
كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى
فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له خشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية
الخشوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن
يكون ساكنا مطر فاناظر إلى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله
(ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاص بخاشعه
الشیطان من صلاة العبد الاختلاص هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله
مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه وفي رواية أخرى أنه عرض عنه أخرجه أبو داود
والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلواتهم فاستدقوله في ذلك حتى قال لينتهن عن
ذلك أو لخطفن أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى
السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلواتهم خاشعون رفعوا أبصارهم إلى موضع السجود وقيل الخشوع
هو أن لا يعبت بشيء من جسده في الصلاة لئلا يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبت بجليته في
الصلاة فقال لو خشع قلبه هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الخصي فان الرجعة فواجهه أخرجه أبو داود والترمذي
والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهممة والاعراض عما سوى الله والتدبير فيما يجري على لسانه
من القراءة والذكر (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشريك وقيل عن
المعاصي وقيل هو كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتيم والسب
(والذين هم للزكوة فاعلون) أي الزكاة الواجبة مؤدون فغير عن التأدية بالفعل لأنها فعل وقيل الزكاة ههنا

ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتيم والهزل يعني ان لهم من الجدم ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه هي
الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على النفس الذين هما قاعد تانباء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون)
مؤدون ولفظ فاعلون يدل على الداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج منه الزكاة من النصاب
إلى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزك الذي هو التزكية وهو المراد هنا ففعل المزكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب
والقتل ونحوهما تقول للضارب والقاتل والمزك فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف مجذوف وهو

الاذا عدو دخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب يذو لا تقول ضرب يذو (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الاعلى أزواجهم) في موضع الحال أي الاوالين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جمع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسربهم أو تعلق على بمخوف يدل على مغير مالمين كأنه قيل يلامون الاعلى أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة الاعلى ما أطلق لهم فانهم غير مالمين عليه وقال الفراء الامن أزواجهم أي زوجاتهم (أو ما ملكت أيما نهم) أي اماتهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء لهذا يساع كما يتباع البهائم (فانهم غير مالمين) أي لا يلامون عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم واماتهم (فن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من غير هذين (فاولئك هم العادون) الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة (٣٠١) الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم)

لامانتهم مكي وسهل مكي
 الشئ المؤمن عليه والمعاهد
 عليه أمانة وعهدا ومنه قوله
 تعالى ان الله يأمركم أن
 تؤدوا الامانات الى أهلها
 وانما تؤدى العيون للاماني
 والمراد به العجوم في كل
 ما تمنوا عليه وعهدوا
 من جهة الله عز وجل ومن
 جهة الخلق (راعون)
 حافظون والراعي القائم على
 الشئ يحفظه واصلاح كراعي
 الغنم (والذين هم على
 صلواتهم) صلواتهم كوفي
 غير أبي بكر (يحافظون)
 يداومون في أوقاتها واعادة
 ذكر الصلاة لانها أهم ولان
 الخشوع فيها غير المحافظة
 عليها ولانها وحدت أولا
 ليفاد الخشوع في جنس
 الصلاة أية صلاة كانت
 وجعت آخر ليفاد المحافظة
 على أنواعها من الفرائض
 والواجبات والسنن والنوافل
 (اولئك) الجامعون لهذه

هي العمل الصالح والاول أولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسوءة الرجل والمرأة وحفظه
 التعطف عن الحرام (الاعلى أزواجهم) على بمعنى من (أو ما ملكت أيما نهم) يعني الاماء والجوارى والآية
 في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير مالمين) يعني بعدم حفظ فرجهم من
 امرأته وأمتها فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع عدون الا بتيان في غير
 المأثي وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور ولا يجوز ومن فعله فانه مالموم (فن ابتغى وراء ذلك) أي التمس
 وطلب سوى الزواج والولاء تدوهن الجوارى المملوكة (فاولئك هم العادون) أي الظالمون المجاوزون
 الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمتاع بالبدن حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه
 فقال مكروه سمعت ان قوما يمشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبيرة عذب الله أمة
 كانوا يعبثون بهذا كبيرهم ﴿ قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون يحفظون
 ما اتتموا عليه والعهد الذي عقدهوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد
 وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء
 بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالدائع والاصناف والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم
 على صلواتهم يحافظون) أي يداومون وراعون أوقاتها واتمام أركانها وكوعها وسجودها وسائر شروطها
 فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وخرقلت هم اذ كررنا مختلفان فليس تكرار اوصفهم أولا بالخشوع
 في الصلاة وخراب المحافظة عليها ﴿ قوله عز وجل (اولئك) يعني أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعني يرثون
 منازل أهل النار من الجنة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله
 منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى
 أولئك هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوارثه هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما
 يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة * عن عبادة بن الصامت ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجتين كل درجة درجته كما بين السماء والارض
 والفردوس أعلاها درجته ومنها تطجر آفها الجنة الاربعه ومن فوقها يكون العرش فاذا سألت الله فاسأله
 الفردوس أخرجه الترمذي (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ قوله عز وجل (ولقد
 خلقنا الانسان) يعني ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلاله من طين) قال ابن عباس السلاله صفوة
 الماء وقيل هي المني لان النطفة تسيل من الظهر من طين يعني طين آدم لان السلاله تولدت من طين خلق منه
 آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلاله أي سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعني الذي هو

الاصناف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا ووارثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار في الحديث ما منكم من أحد
 الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل الجنة منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس)
 هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنث الفردوس بتأويل الجنة (ولقد خلقنا الانسان)
 أي آدم (من سلاله) من اللابتداء والاسلاله الخالصة لانها تنسل من بين الكدر وقيل انما هي التراب الذي خلق آدم منه سلاله لانه سل من كل
 تربة (من طين) من اللبيان كقوله من الاوان (ثم جعلناه) أي نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصر نطفة
 وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والاسلاله النطفة والعرب تسمى النطفة سلاله
 أي ولقد خلقنا الانسان من سلاله يعني من نطفة مسالولة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قبله

(في قرار) مستقر يعنى الرحم (مكين) حصين (ثم خلقنا النطفة) أى صيرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقه جراء (خلقنا العلقه مضغعة) أى ما قدر ما مضغ (خلقنا المضغعة عظاما) فصيرناها عظاما (فكسونا العظام لحما) فابتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس عظام العظم شامى وأبو بكر عظام العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذا الانسان ذو عظام كثيرة (ثم أنشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقنا آخر) أى خلقنا مابيننا الخلق الاول حيث (٣٠٢) جعله حيوانا وكان جسادا وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه الصفات ولهذا قلنا اذا غضب

بيضة فافترخت عنده يضمن البيضة ولا رد الفرج لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبره مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة قرآن أضيف لان المضاف اليه عوض من من (الخالقين) المقدرين أى أحسن المقدرين تقدرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبيل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى قارن وحلق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما (ثم انكم بعد ذلك) بعد ما ذكرنا من أمركم لميتون عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) تحيون

الانسان جعلناه نطفة (في قرار مكين) أى حرز وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقه) أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (خلقنا العلقه مضغعة) أى جعلنا الدم الحامد قطعة لحم صغيرة (خلقنا المضغعة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستتر العظم فجعله كالسكسوة قيل ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم أنشأناه خلقا آخر) أى مابيننا الخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جسادا وناطقا بعدما كان أبكم وسمى عيا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعته وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال ان ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشى الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أى استحق التعظيم والشناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أى المصورين والمقدرين فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الإيجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر ولانت تفرى ما خلقت وبعثت القوم يخلق ثم لا يفرى معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أى بعد ما ذكرنا من تمام الخلق (لميتون) أى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أى للحساب والجزاء وقوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق الملائكة فى الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماءا طلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تر كظام سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أى عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لا نتخفى علينا خافية (وأترلنا من السماء ماء بقدر) أى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل بقدر ما يكفهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فاسكناه فى الارض) يعنى ما يبقى فى الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس فى الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء (وانا على ذهابه لقادرون) وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان و جحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سبحون وجحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجتها على جناح جبريل استودعها الجبال وأجرها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأترلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم

للجزء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) جمع طر يقترهى السموات لانها طرق الملائكة ومقبلاتهم (وما كنا عن الخلق غافلين) أراد بان الخلق السهوات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها أو أراد به الناس وانه انما خلقناها فوقهم ليقتح عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعميا يصلحهم (وأترلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يرسلون معه من المضره و يصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجتهم (فاسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض فاء الارض كانه من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وانا على ذهابه لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله فقد رعى اذهابه فعبدا وهذه النعمة بالشكر

(فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فوا كه كثيرة) سوى النخيل والأعناب (ومنها ما يكون) أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يعتمدها أي أنها طاعمتها وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أو رزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتتعبشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخفى أو ما ان يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسمها الجبل مر كامن مضاف ومضاف إليه كأمري القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأي عبر والتعريف والهجاء أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف للتأنيث ككعباء (تنتب بالدهن) قال الزجاج الباء للحال أي تنتب ومعها الدهن تنتب مكي وأبو عمر واما لان أنتب بمعنى نتب كقوله حتى اذا أنتب البقل أولان مفعوله محذوف أي تنتب زيتونها وفيه (٣٠٣) الدهن (وصبغ للآكلين) أي ادم لهم قال مقاتل جعل الله

لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه ادمادها ودهنها فالادام الزيتون والدهن الزيت وقيل هي أول شجرة تثبت بعد الطوفان وخص هذه الأنواع الثلاثة لانها اكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للمنافع (وان لكم في الانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وفتح النون شاي ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (بما في بطونها) أي تخرج لكم من بطونها لبنا سائعا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الابلان وهي منافع الاصواف والابرار والشعار (ومنها ما يكون) أي لحومها وعلمها وعلى الانعام في البر (وعلى الفلك في البحر) (تحملون) في أسفاركم وهذا يشير إلى ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك

كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة يرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وا ناعلى ذهابه لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والذنيار وى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسعدة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ؓ ثم ذكر ما أنتب بالماء فقال تعالى (فانشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) انما أفردهما بالذكر لكثرته منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويا بسا (لكم فيها) أي في الجنات (فوا كه كثيرة ومنها ما يكون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وانشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحشبية وقيل بالسرمانية ومعناه الجبل الملتف بالشجر وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وابله وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم بحارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنتب بالدهن) أي تثبت وفيها الدهن وقيل تثبت بشمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادم الذي يكون مع الخبز وصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة ادم وهو الزيتون ودهنها وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان اول شجرة تثبت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبق في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة ؓ قوله عز وجل (وان لكم في الانعام لعبرة) أي آية تعتبرون بها (نسقيكم بما في بطونها) أي البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يتخلص إلى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه من ممانئ فيستحيل إلى الطهارة وإلى طعم يوافق الشهوة والطبع و يصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها ما يكون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعلمها) أي وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ؓ قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الاله غيره) أي ما لكم معبود سواه (أفلات تتقون) أي أفلات تخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأتم له تسع (ولو شاء الله لانزل ملائكة) يعني بالابلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) أي الذي يدعوننا اليه فوح (في آياتنا الاولى ان هو الا رجل به جنة) أي جنون (فتربصوا به حتى حين) أي إلى الموت فتستريحوا منه (قال رب انصرني

التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذالومة * سفينة ترسخت تحدى زمناها * يريد ناقته (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده) (ما لكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلات تتقون) أفلات تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم (وخالفكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء) (فقال الملاء الذين كفروا من قومه) أي أشرفهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويتأس (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل ملائكة) لارسال ملائكة (ما سمعنا بهذا) أي بارسال بشر رسولا أو بما يامرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والمحب منم انهم رضوا بالالوهية للبحر ولم رضوا بالنبوة للبشر (في آياتنا الاولى ان هو الا رجل به جنة) جنون (فتربصوا به حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره فان آفاق من جنونه والاقتلتموه (قال رب انصرني

بما كذبون) فلما أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم إياي اذني نصرني اهلا كههم أو انصرني بدلما كذبون كقولك هذا ذاك أي بدل ذلك والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم (فأوحينا اليه) أي أجبنا دعاه فأوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أي تصنعوا وتواثق بحفظ الله لك ورؤيته اناك أو بحفظنا وكلاءنا كان معك من الله حفاظا يكاونك بعينونهم لتلايتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد معك ومنه قولهم عليه من الله عين كالثمة (ووحينا) أمرنا وتعلمنا اياك صنعنا روى انه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جوجوا الطائر (فاذ جاء أمرنا) أي عذابنا بامرنا (وفارا التنور) أي فار الماعن تنورا لخبز اى أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الانذار والاعتبار روى انه قيل لنوح اذ رأيت الماء يفور من التنور فار كعب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمه زوجين وهما أمه المذكور وأمها الانثى كالجمال والنوق والحصن والرمال (اثنين) واحد من مزدوجين كالجل والناقة والحصان والمكتر روى انه لم يحمل الامايلدو يبيض من كل حفص والمفضل أي من كل أمه زوجين اثنين واثنين تا كيدوز زيادة بيان (وأهلك) ونساءك وأولادك (الامن سبق عليه القول) من الله باهلا كه وهو ابنة واحدى زوجيته في عيلى مع سبق (٣٠٤) الضار كجى عبداللامع سبق النافع في قوله ولقد سبقت كما متالعبادنا المرسلين ونحوها لهما

كسبت وعلها ما اكتسبت
 (منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) ولا تسألني نجاة الذين كفروا فاني أعرفهم (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها ركبيني (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) امر بالجد على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن معك في معنى اذا استويت لانه بنهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة او حين خرجت منها (رب أنزلني منزلا) اي

بما كذبون) اي اعنى باهلا كههم بتكذيبهم اياي (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) اي بمرأى مناقاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لتلايتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصفه كيفية اتخاذها (فاذ جاء أمرنا) اي عذابنا (وفارا التنور) قيل هو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذ رأيت الماء يفور من التنور (فاسلك فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين اثنين) أي من كل حيوان ذكر وأنثى (وأهلك) أي وسائر من آمن بك (الامن سبق عليه القول) اي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنة كنعان (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) قوله عز وجل (فاذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) اي الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وأنت خير المنزلين) معناه انه قد يكون الانزال من غير الله كما يكون من الله فحسن ان يقول وأنت خير المنزلين لانه يحفظ من أنزله ويكاؤه في سائر أحواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك (ان في ذلك) أي الذي ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (الآيات) اي دلالات على قدرتنا (وان كنا) أي وما كنا (المبتلين) اي الاختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه ونذ كبره لتنظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم ﴿قوله تعالى﴾ ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعدهم اهلكهم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني هو دا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلاتتقون) اي هذه الطريقة التي أنتم عليها تخافة العذاب (وقال الملا من قومه الذين كفروا

انزلا أو موضع انزال منزلا) بكرامى مكانا (مباركا) وانزلنا في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج وكذبوا منها كثرة النسل وتتابع النجرات (ان في ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (الآيات) لعبرا وواعظ (وان) هي المنخفضة من المثقلة واللام هي الفارقة بين الناقصة وبينها والمعنى وان الشأن والقصة (كنا المبتلين) مصيبين قوم نوح بلاء عظيم وعقاب شديدا واختبرين بهذه الآيات عبادنا بالنظر من يعتبر ويدكر قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهده قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وحيى عصمة هود على اترقة نوح في الاعراف وهو دوال شعراء (فأرسلنا فيهم) الارسال يعدى بالى ولم يعدى هونا في قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية واحدة الا نبيا ولا رسولا الا رسولا كقول ربيعة * أرسلت فيهم صعبا اذا افحام * (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلاتتقون) ان مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملا من قومه) ذكر مقالة قوم هود في جوابه في الاعراف وهو دغير واولانه على تقد برسؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وهننا مع الوالونه عطف لما قاله على ما قاله الرسول ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بحجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء وحى بالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقبيه (الذين كفروا) صفة للملا وقومه

(وكذبوا بآباء الآخرة) أي بآباء ما فهمان الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم ونعمناهم) (في الحيوة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد (ما هذا) أي النبي (الابشر مثلكم) أي كل مما تأنى كلون منه وشرب مما تشربون) أي منه فخذف للدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعى رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطمعتم بشر مثلكم) أي فيما يأمركم به وبما كتم عنه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم (الخاسرون) بالانقياد للملك ومن حقههم انهم أبو التباع مثلهم وعبدوا وأعجز منهم (أيعدكم انكم اذا متم) بالكسر نافع وجزء وعلى وحنص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظما انكم تخرجون) مجموعون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى انكم لتأكيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني بالانظر في تخر جوت خبر عن الاول والتقدير أيعدكم انكم تخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظما (هيهات هيهات) وبكسر التاء زيد وروى عنه بالكسر والتبوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالهاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعله لما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياء) الدنيا (الاحياء) الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها والمعنى لاحياة الا هذه الحياة التي نحن فيها وندت منا وهذا لان ان النافذة دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس (غوت ونجيا) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن فيأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي (٣٠٥) نجيا وغوت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضى الله عنهما (وما نحن

وكذبوا بآباء الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترفناهم) أي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحيوة الدنيا) ما هذا
 لا بشر مثلكم يا كل مما تأنى كلون منه وشرب مما تشربون) أي من مشربكم (ولئن أطمعتم بشر مثلكم
 انكم اذا الخاسرون) أي الخبوفون (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظما انكم تخرجون) أي من قبوركم
 أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أي بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت اغفالا
 منهم للتفكير في بدء أمرهم وقدره الله على إيجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي
 الاحياء الدنيا يموت ونجيا) قيل معناه نجيا يموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيى
 الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم (وما نحن بمؤمنين) أي بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم
 (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال ربي انصرفي بما
 كذبون قال عما قليل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق)
 يعني صيحة العذاب وقيل صاحبهم جبريل فصدعت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (فجعلناهم
 غناء) هو ما يحمله السبل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هالكين فيبسوا ليس الغناء من نبات
 الارض (فبعدا) أي الزمن بعد ان الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا
 آخرين﴾ أي أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت
 هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا
 طويلا (كلماء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) أي بالهلاك فاهلك بعضهم في أثر بعض
 (وجعلناهم أحاديث) أي سمر أو قصص يتحدثون من بعدهم بأمرهم وشأنهم (فبعدا القوم لا يؤمنون) قوله
 تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا واسطان مبين﴾ أي بحجة بيينة كالعصا واليد وغيرهما

بمبعوثين) بعد الموت (ان هو
 هو الارجل افترى على الله
 كذبا) أي ما هو الامفتر
 على الله فيما يدعيه من
 استنبأته له وفيما بعد ما من
 البعث (وما نحن له بمؤمنين)
 بمصدقين (قال ربي انصرفي
 بما كذبون) فاجاب الله
 دعاء الرسول بقوله (قال
 عما قليل) قليل صفة للزمان
 كقديم وحديث في قولك
 ما رأيتك قد دعيت ولا حديثا
 وفي معناه عن قسريب وما
 زائدة أو بمعنى شيء أو زمن
 وقيل بدل منها وجواب
 القسم المحذوف (ليصبحن
 نادمين) اذا عاينوا ما يحل بهم

(٣٩ - حازن) - ثالث) (فاخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاحب عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال
 فلان يقضى بالحق أي بالعدل (فجعلناهم غناء) شبههم في دمارهم بالغناء وهو جميل السيل مما يلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا)
 فهلاكها يقال بعد بعدوا أو بعد أي هالك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان ان دعى عليه بالبعث نحو
 هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولو ط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة) من صلة أي ما تسبق أمة (أجلها)
 المكتوب لها والوقت الذي حدها هلاكها (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلنا تترى) فعلى والالف للأنثى كسكرى
 لان الرسل جماعة وولد الايتون لانه غير منصرف تترى بالتبوين مكي وأبو عمرو يزيد على أن الالف للاتفاق كارتطى وهو نصب على الحال في
 القراءة أي متتابعين واحد بعد واحد وتأوها فهم ما يدل من الواو والاصل وتري من التوروه والفرده فقلت الواو ناء كترات (كلماء
 أمة رسولها كذبوه) الرسول يلبس المرسل اليه والاضافة تكون بالملابسة فتصح اضافته اليهما (فأتبعنا) الامم والقرون (بعضهم
 بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) اخبار ايسع بها ويوجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه
 الصلاة والسلام وتكون جمعا للاحدوث وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتجبوا وهو المراد هنا (فبعدا القوم لا يؤمنون) ثم أرسلنا موسى وأخاه
 هرون) يدل من أخاه (بآياتنا) التسع (واسطان مبين) وصحة ظاهرة

(الى فرعون وملكه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الايمان ترفعوا وتكبروا (وكذا قوم عاين) متكبرين مرفعين (فقالوا انؤمن لبشر ينمئنا) البشر يكون واحدا وجعا ومثلا وغير يوصفهم بالانثان والجمع والمذكروا المونث (وقومهما) أى بنوا اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان الملك فهو عابده عند العرب (فكذبوهما فكنا من المهلكين) بالغرق (ولقد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (اعلمهم يهودون) يعملون بشرايعها وواعظها (وجعلنا ابن مريم وآمه آية) نزل على قدر تناعلى ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحدث لان العجوبة فيها واحدة والمراد وجعلنا ابن مريم وآمه آية فخذت الاولى دلالة الثانية عليها (وآويناها) جعلنا لها واهما أى منزلها (الى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مترفعة وهى بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات شمار وما يعنى انه (٣٠٦) لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (ومعين) وما عطاها رجا على وجه الارض أو انه مدفول أى

مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا أدركه بعينه أو فعمل لانه نفاع بظهوره وحرية من المساعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان أمرا نودى له بجميع الرسل ووصوا به تحقيقا ان يؤخذه ويعمل عليه او هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام السكلى فى زمانه وكان يا كل من الغنائم والعبسى عليه السلام لاتصال الآية بذكروه وكان يا كل من غزله وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب ويستتذ

(الى فرعون وملكه فاستكبروا) أى تعظماوا عن الايمان (وكذا قوم عاين) أى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (أنؤمن لبشر ينمئنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) أى مطيعون متذلون (فكذبوهما فكنا من المهلكين) أى بالغرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (اعلمهم يهودون) أى لستى بهم تسمى به قومه قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وآمه آية) أى دلالة على قدرته لانه خلقه من غير ذكروا نطفة فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكروا كذلك مريم ولدت من غير ذكروا فاشتر كفى هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناها الى ربوة) أى مكان مرتفع قبل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بن جابر بيت المقدس أقرب الارض الى السماء ثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء انهم افرقوا بين البهاة وقوله (ذات قرار) أى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعنى) هو الماء الجارى الذى تراه العيون قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد بجميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى استقيموا على ما بوجه الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به واذا كان الرسل مع علوشأنهم كذلك فلان يكون تحذير الغيرهم أولى لما روى عن أنى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا مما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملأه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم قوله عز وجل (وان هذه أمتكم) أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وانار بكم فاتقون) أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامركم واحدا وانار بكم فاتقون (فتقطعوا) أى تفرقوا فصاروا فرقا هودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (أمرهم) أى دينهم (بينهم زبرا) أى فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتبوا المعنى تمسك كل قوم بكتاب آمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أى مسرورون محبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى غيرهم) فى غيرهم بنى ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمياتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يموتوا (أيحسبون أنما نغدوهم به من مال وبنين) أى ما نعطيهم ونجعلهم لهم مدا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم

والامر للترفيه والاباحة) (واعملوا صالحا) موافقا للشرعية (انى بما تعملون عليم) فاجاز بكم على اعمالكم (وان هذه) كوفى على الاستئناف وان محازى وبصرى يعنى ولان اى فاتقون لان هذه او معطوف على ما قبله اى بما تعملون عليم وبان هذه او تقدر واعلموا ان هذه (أمتكم) اى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وانار بكم) وحدهى (فاتقون) فخافوا عاقبى فى مخالفتكم امرى (فتقطعوا امرهم بينهم) تقطع معنى قطع اى قطعوا امر دينهم (زبرا) جمع زبراى كتبنا مختلفة يعنى جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فرقا كل فرقة تتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعوا حرفه وقرئ زبرا جمع زبراى قطعوا كل حزب كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المنقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب والدين او من الهوى والراى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غيرهم) وجهالتهم وغفلتهم (حتى حين) اى الى ان يموتوا (أيحسبون أنما نغدوهم به من مال وبنين) ما يعنى الذى ونحسب ان (نسارع لهم

في الخيرات) والعائد من خبر ان الى امها محمد وفي اي تسارع لهم به وعلني ان هذا الامداد ليس الاستدراج لهم الى المعاصي وهم بحسبونه
مسارعة لهم في الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل
بأحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين وقد اخبرنا ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله لا يحسبون اي
انهم اشياء الهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك انه استدراج او مسارعة في الخير ثم بين ذلك اوليائه فقال (ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون) اي خائفون (والذين هم بايات ربهم يؤمنون) اي يكتب الله كالا لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا امرهم بينهم وهم اهل
الكتاب (والذين هم لا يشركون) كمشركي العرب (والذين يؤتون ما آتوا) اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يؤتون
ما آتوا بالقصر اي يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم وجة) خائفة لا تقبل منهم لتقصيرهم (انهم) (٣٠٧) (الذين هم راجعون) الجمهور على ان

التقدير لانهم وخبر ان
الذين (اولئك يسارعون
في الخيرات) يرغبون في
الطاعات فيبادرونها (وهم
لهاسابقون) اي لا اجل
الخيرات سابقون الى
الجنات اولاجلها سبوا
الناس (ولانكاف نفسا
الاروسعها) اي طاقتها يعني
ان الذي وصفه الصالحون
غير خارج عن حد الوسع
والطاقة وكذلك كل ما كفه
عباده وهو رد على من جوز
تكليف ما لا يطاق (ولدينا
كتاب) اي اللوح او صحيفة
الاعمال (ينطق بالحق
وهم لا يظلمون) لا يقرؤن
منه يوم القيامة الا ما هو
صدق وعدل لا زيادة فيه ولا
نقصان ولا يظلم منهم أحد
بزيادة عقاب أو نقصان
ثواب أو بتكليف ما لاوسع
له (بل قلوبهم في غمرة من
هذا) بل قلوب الكفرة في
غفلة غامرة لها ما عليه
هؤلاء الموصوفون من

في الخيرات) أي نجل لهم ذلك في الخيرات ونقدمه ثوابا لعمالهم لرضا تناعهم (بل لا يشعرون) أي ان ذلك
استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي
خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن جمع
احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمناء (والذين هم بايات ربهم يؤمنون) أي يصدقون (والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون
ما عملوا من اعمال البر (وقلوبهم وجة) أي خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل
منهم (انهم الى ربهم راجعون) أي انهم يوقنون انهم هم الى الله صائرون قال الحسن غموا والله بالطاعات
واجتهدوا وفيها وخافوا ان ترد عليهم ثم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابن الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون
ويحافظون ان لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات أخرجه الترمذي وقوله (أولئك يسارعون في
الخيرات) أي يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لهاسابقون) أي اليها وقال ابن عباس سمعت لهم
من الله السعادة وقيل سبوا الاسم الى الخيرات وقوله عز وجل (ولانكاف نفسا الاروسعها) أي طاقتها من
الاعمال فمن لم يستطع القيام فليصل فاعدا ومن لم يستطع الصوم فليطعم وليقبض (ولدينا كتاب) هو
اللوحة المحفوظ (ينطق بالحق) أي يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا لكل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق
به ويبيئه وقيل هو كتاب اعمال العباد التي تكتمها الحفظة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم
ولا يزد على سببهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) أي
القرآن (ولهم اعمال) أي للكفار اعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك)
يعني من دون اعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني
الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بدل لهم من ان يعملوا فيها فدخلوا بها النار لما سبق
لهم في الارل من الشقاوة (حتى اذا اخذنا متفرقهم) أي رؤساعهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو
السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشد وطأ تلك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاههم الله بالقطع حتى أكلوا الكلاب والجيف (اذاهم بجأرون)
أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لاتجأروا اليوم) أي لاتجزعوا ولا تضحوا اليوم (انكم منا
لاتنصرون) أي لاتتمنعون منا ولا ينفعكم نصركم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على
أعقابكم تنكبون) أي ترجعون القهقري وتناخرون عن الايمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي

المؤمنين (ولهم اعمال من دون ذلك) أي ولهم اعمال خبيثة متجاوزة مخطئة لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيسون
لا يظلمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى اذا اخذنا متفرقهم) متفرقهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا
عليهم النبي عليه الصلوة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الشرطية (اذاهم بجأرون) يصرخون
استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لاتجأروا اليوم) فان الجوار غير نافع لكم (انكم منا لاتنصرون) أي من جهةتنا لا يحميكم
نصرنا ومعونة (قد كانت آياتي تتلى عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكبون) ترجعون القهقري والنكوص ان يرجع
القهقري وهو أقيح مشبهة لانه لا يرى ما وراءه (مستكبرين) متكبرين على المسلمين حال من تنكبون (به) بالبيت أو بالحرم لانهم يقولون
لا يظلم علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بالآيات لانها في معنى كتابي ومعنى

استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكباروا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) ثم يرتد بذكر القرآن وبالظن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمررون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسجرا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا أو بقوله (تهجرون) وهو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من أهجروا في منطقة إذا أخش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا له الحق المبين فيصدقوا به وعن جاءه (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) بل آجاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا بالصدق والامانة ووفورا العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق أي عرفوه بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه أو وجههم عقلا وأقبحهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الا بيلج والصرط المستقيم وبما خالف شهوراتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفا فلذلك نسبوه الى جنون (وأكثرهم للحق ٣٠٨) كارهون) وفيه دليل على ان أقفالهم ما كان كارهها للحق بل كان تاركا للايمان به أنفة واستنكافا

من توابع قومه وان قولوا صبا وترك دين آياته كاني طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فيما يعتقدون من الآلهة (لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذكوران غيرهم تبع (بل أتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذي هو ذكركمهم أي وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغنهم أو بالذكركم الذي كانوا يفتنونهم ويقولون لو أن عندنا ذكركم من الأولين الآية (فهم عن ذكركم معروضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خراجا) وبلن خير (سجزي وبصري وعاصم خراجا) رج على وجزرة شامي خراجا خراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج يكشف القرية يخرج الكوفة فزيادة اللفظ زيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى معنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخلق خير (وهو خير الرازيين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق ان يستجيروا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي تحط وجدوبة (للجوا) أي التداوي (في طغيانهم يعمهون) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فغاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم انك بعثت رجما للعالمين فقال بلى فقال انهم قد أكلوا القدر والعظام وشكوا اليه الا الضرفادع الله أن

بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نتخاف أحدا فبما آمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الاول أظهر (سامرا) يعني انهم يسمررون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا وسجرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الهجر وهو الاخفاف في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تنهذون وتقولون مالا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) يعني فانكروا يريد ان نقد بعثنا من قبلهم رسالا في قومهم فسلك ذلك بعثنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمد صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقوه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمي لنفسه شيئا وكاولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وغفرهم وهو القرآن (فهم عن ذكركم) أي شرفهم (معرضون أم تسألهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (خرجا ربك خير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازيين) تقدم تغيبه (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أي الى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا كبون) أي لعادلون عنه وماثلون (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي تحط وجدوبة (للجوا) أي التداوي (في طغيانهم يعمهون) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فغاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم انك بعثت رجما للعالمين فقال بلى فقال انهم قد أكلوا القدر والعظام وشكوا اليه الا الضرفادع الله أن

وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص من الخراج تقول خراج يكشف القرية يخرج الكوفة فزيادة اللفظ زيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى معنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من الخلق خير (وهو خير الرازيين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام فحقيق ان يستجيروا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل الله عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم القحط فغاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم انك بعثت رجما للعالمين فقال بلى فقال انهم قد أكلوا القدر والعظام وشكوا اليه الا الضرفادع الله أن وهو القحط الذي أصابهم بوجته وهم ووجدوا الحصب (للجوا) أي التداوي (في طغيانهم يعمهون) يرتددون يعني لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأؤمنين ولذهب عنهم هذا التعلق بين يديه (ولقد أخذناهم بالعذاب

فما استكانوا اليه - وما يتضرعون) استشهد على ذلك بان أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأمرهم
 فواجبت بعد ذلك منهم استكانة أي خذوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد ولذالم يقل وما
 تضرعوا ووزن استكان استنعتل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال إلى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا
 يزيد عليهم بابا اذ عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل (اذاهم فيه مبلسون) متخبرون أي سون من كل خير وجاء
 أعتاهم وأشداهم شكيم في العناد ليس تعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع عفارضي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا
 بنار جهنم فينتذبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون (وهو الذي أنشأ السم السمع والابصار والافتدة) خصها بالذكري لانها
 يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما يتعلق بغيرها (قليلاماتشكرون) أي تشكرون شكريا قليلا وما من يد لئلا كيد يعني حقوا المعنى
 انكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا بأبصاركم وأسماعكم في آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعترفوا بالمنعم
 ولم تشكروا له شيئا (وهو الذي ذرأكم) خلقكم وبشكم بالتمناسل (في الارض واليه (٣٠٩) تحشرون) تجتمعون يوم القيامة بعد

تفرقكم (وهو الذي يحيي
 ويميت) أي يحيي النسم
 بالانشاء ويميتها بالافناء
 وله اختلاف الليل والنهار
 أي يحيي أحدهما عقيب
 الآخر واختلافهما في
 الظلمة والنور أو في الزيادة
 والنقصان وهو يخص به
 ولا يقدر على تصريفهما
 غيره (أفلات تعلمون) فتعرفوا
 قدرتنا على البعث أو
 فنستدلوا بالصنع على
 الصانع فتؤمنوا (بل قالوا)
 أي أهل مكة (مثل ما قال
 الأولون) أي الكفار قبلهم
 ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا)
 انذامتنا وكنا ترابا وعظاما
 أثنا لمبعوثون) متنا نافع
 وحجرة وعلى وحفص (لقد
 وعدنا نحن وآباؤنا هذا)
 أي البعث (من قبل) يحيي

يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا اليه) أي ما خضعوا وما ذلوا
 لربهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا اليه بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا اذ عذاب
 شديد) قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذاهم فيه مبلسون) أي
 أيسون من كل خير ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي أنشأ السم السمع والابصار والافتدة) أي لتسمعوا بها
 وتبصروا وتعتلوا (قليلاماتشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم
 (واليه تحشرون) أي تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبير الليل والنهار
 في الزيادة والنقصان وقيل جعلها مختلفة بين تبعثان ويختلفان في السواد والبياض (أفلات تعلمون) أي
 ماترون من صنعه فتعجبوا (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أي كذبوا كما كذب الأولون وقيل معناه أنكروا
 البعث مثل ما أنكروا الأولون مع وضوح الأدلة (قالوا) انذامتنا وكنا ترابا وعظاما أثنا لمبعوثون) أي المحشورون
 قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد
 آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم ينزهه حقيقة (ان هذا الأساطير الأولين) أي الكاذب الأولين ﴿قوله﴾
 تعالى (قل) أي يا محمد لاهل مكة (ان الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أي خالقها وما لكها
 (سيقولون لله) أي لا بد لهم من ذلك لانهم يعرفون انها مخلوقة لله (قل) أي قل لهم يا محمد اذا اقرؤا بذلك (أفلا
 تدكرون) أي فتعلموا ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيايتهم بعد الموت (قل من رب
 السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلات تعلمون) أي عبادته غيره وقيل معناه أفلات تحذرون
 عقابه (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء (وهو يجزي) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أي
 لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يجتمع منه من أراد بسوء (ان كنتم تعلمون) أي
 فأجيبوا (سيقولون لله قل فأني تسحرون) أي فأني تتحدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته وكيف يجبل
 لكم الحق باطلا (بل أنيناهم بالحق) أي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من الشرك والولاد

محمد (ان هذا الأساطير الأولين) جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الأولون مما لاحقيقة له وجمع أساطير أو فرق ثم أمر نبيه عليه الصلاة
 والسلام بإقامتها الخجة على المشركين بقوله (قل ان الارض ومن فيها) ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم مقررون بانه الخالق فاذا قالوا
 (قل أفلات تدرون) فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية
 أفلات تدرون بالتخفيف حجة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلات تعلمون)
 أفلات تحفونه فلاتشكوا به أو أفلات تتقون في جودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل
 شيء) الملكوت الملك والواو والهاء للمبالغة فتنبى عن عظم الملك (وهو يجزي ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون) أجزت فلانا على فلان اذا أغنته منه
 ومنعته يعني وهو يعيث من يشاء من يشاء ولا يعيث أحد منه أحدا (سيقولون لله قل فأني تسحرون) تتحدعون عن الحق أو عن توحيد
 وطاعته وانخداع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذ السؤال المن وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من
 رب هذا فعنا ان هذا فيجب فلان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزلف والقرى * ورب الجباد الجرذ قيل لخالد أي لمن انزلنا ومن
 قرأ بحذفه فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا الجوابه فلان (بل أنيناهم بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون)

في قولهم اتخذ الله ولدا دعاهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الالهية (اذا ذهب كل اله بما خلق) لان فرد كل واحد من الالهة بالذي خلقه فاستبد به وانما ملك كل واحد منهم عن الاخر (وله لا بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كانوا حال ملوك الدنيا مما لكهم مما يرة وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز بالممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا يقال اذا لا تدخل الاعلى كلام هو جزاء وجواب وهنار وقع لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان معه آلهة لادلاه وما كان معه من اله عليه وهو جواب بان حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الابداد والاولاد (عالم) بالجر صفة لله وبالرفع مدني وكوفي غير حذف خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فعمالي عما يشركون) من الاصنام وغيرها (قل رب اما ترى ما لوعدون) ما والنون مؤكدان أي ان كان لا بد من ان ترى ما تعدهم من (٣١٠) العذاب في الدنيا أو في الآخرة (رب فلا تجعاني في القوم الظالمين) أي فلا تجعاني قريبالهم

ولا تعدني بعداجم عن الحسن رضي الله عنه أخرجه الله ان له في أمته نعمة ولم يخبره متى وقتها فامر ان يدعوه هذا الدعاء ويجوز ان يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعلها وأن يستعذبه مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاعي فبالجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على ان ترى ما تعدهم لغادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فمواجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي (هي أحسن السيئة) هو أبلغ من أن يقال بالحيسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال

(ما اتخذ الله من ولدا وما كان معه من اله) أي من شريك (اذا ذهب كل اله بما خلق) أي لان فرد كل واحد من الالهة بخلقها الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الاخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (واعلا بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم واذا كان كذلك فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم زه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أي من اثبات الود والشريك (عالم الغيب والشهادة فعمالي عما يشركون) أي تعظم من أن يوصف بما يليق به قوله عز وجل (قل رب أي يارب (اماتر بني ما وعدون) أي ما وعدتكم من العذاب (رب) أي يارب (فلا تجعني في القوم الظالمين) أي لا تملكني بهم لأكفهم (وانا على ان ترى ما تعدهم) أي من العذاب (لغادرون ادفع بالتي هي أحسن) أي بانخله التي هي أحسن وهي الصلح والاعراض والصبر (السيئة) يعني أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أي يكذبون ويقولون من الشرك قوله عز وجل (وقل رب أعود بك) أي امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس تزغتهم وقيل وسواسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالأغواء الى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شيء من أموري وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له * عن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاته هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعود بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمز قال نفثه اشعر ونفخه الكبر وهمزة الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ونز يده ايضا قوله نفثه اشعر أي لان الشعر يخرج من القلب فيلفظه باللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان المنكبر ينتفخ ويتعاطم ويجمع نفسه فيحتاج الى ان ينفخ وقوله وهمزة الموتة الجنون لان الجنون يخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولا ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسمة فكانه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) أي ضيعت وقيل تركت أي منعت وقيل خلفت

ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن اساعتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك أو الفحش والسلام أو المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذا المدارة بحثوث علمها لم تؤد الى ثم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو بوصفهم للشرك وعذ كرههم فنجاز بهم عليه (وقل رب أعود بك من همزات الشياطين) من وسواسهم وتخسائهم وهمزة الخس وهمزات جمع الهزيمة ومنه هماز الرأض والمعنى ان الشياطين يحشون الناس على المعاصي كما همز الرأض الدواب حثاله على المشي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخسائهم بلفظ المبتهل الى به المكرر لاندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا أو عند تلاوة القرآن أو عند النزاع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بصفون اي لا يزالون بشركون الى وقت سجي الموت أو لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغيره على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) أي ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع لانه يعظم تكطاب الملوك (لعلي أعمل صالحا فيما تركت)

في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبي قال قتادة ما معنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكنه لينتارك ما فرط العلم
 ساكنة الماء كوفي وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة العائنة من الكلام المنتظم
 بعضها مع بعض وهو قوله ر بار رجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يتخيلها ولا يسكت عنها الاستيلاء الحسرة والندم عليه
 (ومن ورائهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حقل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الي يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث
 وانما هو اقنط كل ما علم ان لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة (فاذا نفع في الصور) قيل انها النسخة الثانية (فلا انساب بينهم يومئذ)
 وبالادغام يوعز ولا اجتماع المثلين وان كانوا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم
 بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وانما يكون بالاعمال (ولا يتساءلون) (٣١١) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون

في الدنيا لان كلا مشغول
 عن سؤال صاحبه بحاله
 ولا تناقض بين هذا وبين
 قوله وأقبل بعضهم على
 بعض يتساءلون فللقائمة
 موطن في موطن يشهد
 عليهم الخوف فلا يتساءلون
 وفي موطن يطيقون
 فيتساءلون (فن ثقلت
 موازينه) جمع موازين
 وهي الموازين من الاعمال
 الصالحة التي لها وزن وقدر
 عند الله تعالى من قوله فلا
 نقيم لهم يوم القيامة وزنا
 (فأولئك هم المفلحون ومن
 خفت موازينه) بالسبيات
 والمراد الكفار (فأولئك
 الذين خسروا أنفسهم)
 غبنوها (في جهنم خالدون)
 بدل من خسروا أنفسهم ولا
 محل للبدل والمبدل منه لان
 الصلة لا محل لها وخبر
 بعد خبر لاولئك أو خبر
 مبتدأ محذوف (تلفح) أي
 تحرق (وجوههم النار وهم
 فيها كالخون) عابسون

من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ما معنى ان
 يرجع الى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تبقى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم
 الله امرأ عمل فيما آمنه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أي لا يرجع اليها (انها) يعني
 مسألتها الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا ينالها (ومن ورائهم - برزخ) أي من امامهم ومن بين أيديهم
 جازر (الي يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حجابا وما نعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى
 انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقنط كل ما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ﴿قوله تعالى﴾
 (فاذا نفع في الصور فلا انساب بينهم) قال ابن عباس انها النسخة الأولى نفع في الصور فصعق من في السموات
 ومن في الارض فلا انساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفع فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم
 على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النسخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على
 رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيطرح المرء
 ان يكون له الحق على والده أو ولد أو زوجته أو أخيه فأخذ من ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ
 ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النسخة الثانية فلا انساب بينهم أي لا يتفخرون بالانساب يومئذ
 كما كانوا يتفخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة
 أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع فان قلت فقد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على
 بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامة أحوالا ومواطن في موطن يشهد عليهم الخوف فيشغلهم
 عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يطيقون افاقة فيتساءلون ﴿قوله عز وجل﴾ (فن ثقلت
 موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم في جهنم
 خالدون تلفح) أي تسفح وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالخون) أي عابسون وقد بدت أسسناهم
 وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار * عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم وهم فيها كالخون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسرخ شفته السفلى
 حتى تضرب بصرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿قوله تعالى﴾ (ألم تكن آياتي تتلى
 عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم هماتكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي
 التي كذبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) أي عن الهدى (ربنا أخرجننا منها) أي من النار (فان عدنا)
 أي لما تذكره (فانا ظالمون قال اخسوا فيها) أي ابعدا فيها كما يقال للكاب اذا طرد اخسأ (ولا تسكلمون)
 أي في رفع العذاب فاني لا أرفع عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام

فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تتلى عليكم) في الدنيا (فكنتم هماتكذبون) وتزعمون انه ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا)
 ما كبتنا (شقوتنا) شقاوتنا حجة وعلى وكلاهما صدرى شقيننا بما لنا السبيته التي نعلمناها وقول اهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من
 الشقاوة لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا
 لانهم انما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفریط في أمره فلا يحمل أن يطلبوا انفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنا قوما
 ضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجننا منها) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسوا فيها)
 اسكتوا اسكوت ذلة وهو ان (ولا تسكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك
 الا الشهيق والزفير أن يحضروني ارجعوني ولا تسكلموني بالبيعة في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلايا

(انه) ان الامرو والشان (كان فريق من عبادة يقولون بنا آمننا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرى) ومفعول ثان وبالضم مدنى وحجرة وعلى وكلاهما مصدر سخر كاسخر الا أن في آية النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضى الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم سخرين (حتى انسوكم) بتشاكلهم بهم على تلك الصفة ذكري) فتركتوه اى كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) استهزاهم (افى خريتهم اليوم بما صبروا) بصبرهم (انهم) اى لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اى خريتهم اليوم فوزهم لان خرى يتعدى الى اثنين وخراهم بما صبروا الجنة انهم حزة وعلى على الاستئناف اى انهم هم الفائزون لا اتم (قال) اى الله أو (٣١٢) المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكي وحزة وعلى امر الملائكة ان يسألهم (كم لبثتم فى الارض)

فى الدنيا (عدد سنين) اى كم عدد سنين لبثتم فكم نصب لبثتم وعدد تمييز (قالوا) لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذاب الهالن الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصروا ممر عليه من ايام الدعة (فاستل العادين) اى الحساب او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلاهم زمكى وعلى (قال ان لبثتم الا قليلا) اى ما لبثتم الا زمنا قليلا او لبثنا قليلا (لو انكم كنتم تعلمون) صدقهم الله تعالى فى تقاليم لسنى لبثهم فى الدنيا ورجحهم على غفلتهم التى كانوا عليها قبل ان حزة وعلى (أفسيتم انما خلقناكم عبثا) حال اى عبثا من اومف محول له اى للعبث (وانكم الينا لا ترجعون) وبنفخ التاء وكسر الجيم حزة وعلى ويعقوب وهو معاوف على

يتسكاهم به اهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو الا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروى عن عبد الله بن عمرو ان اهل جهنم يدعون ما كان خازن جهنم اربعين عاما يامالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ما كنون ثم ينادون بهم ربنا اخر جنامها فان عدنا فانا طالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسوا فيها ولا تكلمون فما ينسب القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق ذكروه البغوى بغير سند واخرجه الترمذى بمعناه عن ابى الدرداء قوله فما ينسب القوم بعد ذلك بكلمة اى سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل اذا قال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينجى فى وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم (انه كان فريق من عبادة) يعنى المؤمنين (يقولون ربنا آمننا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرى) اى تسخرون منهم وتستهزئون بهم (حتى انسوكم ذكري) اى انساكم استغسلكم بالاستهزاهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل فى كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (افى خريتهم اليوم بما صبروا) اى على اذاكم واستهزئتمكم فى الدنيا (انهم هم الفائزون) اى خريتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعنى ان الله قال لكفار يوم البعث (كم لبثتم فى الارض) اى فى الدنيا وفى القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاستل العادين) يعنى الملائكة الذين يحفظون اعمال بنى آدم ويحصونها عليهم (قال ان لبثتم اى ما لبثتم فى الدنيا (الا قليلا) معناه قليلا لان المرء وان طال لبثه فى الدنيا فانه يكون قليلا فى جنب ما يلبث فى الآخرة (لو انكم كنتم تعلمون) اى قدر لبثكم فى الدنيا ﴿ قوله عز وجل (أفسيتم انما خلقناكم عبثا) اى لعبوا باطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتمشوا كما خلقت الهائم لا نواب لها ولا عقاب وانما خلقتكم للعبادة واقامة او امر الله عز وجل (وانكم الينا لا ترجعون) اى فى دار الآخرة للجزاء وى البغوى بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرأه فى أدنه أفسيتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فقار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذاق قيت فى أدنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو ان رجلا موقفا قرأها على الجبل زال ثم نزل الله تعالى نفسه عما يصف به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) اى هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) اى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم الخلق لوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا يبرهان له به) اى لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على المهمة غير الله ولا حجة فى دعوى الشرك (فانما حسابه) اى جزاؤه (عند ربه) اى هو يجازيه بعمله (انه لا يفلح الكافرون) اى لا يسعد من يحدو كذب (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

انما خلقناكم او على عبثا اى للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم لتسكفتم ثم الرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء * (تفسير فتشيب المحسن ونعاقب المسيء) فتعالى الله عن ان يخلق عبثا (الملك الحق) الذى يحق له الملك لان كل شئ منه واليه او الثابت الذى لا يزول ولا يزول ما سكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والنسبة الى اكرم الاكرمين وقرئ شاذ ارفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا يبرهان) اى لا حجة له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من احسن الى زيد لا حق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة حتى يبرهان بالتوكيد كقوله يطير بجناحيه لان يكون فى الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان (فانما حسابه) اى جزاؤه وهذا جزء الشرط (عند ربه) اى فهو يجازيه بالاحماله (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة تدافع المؤمنون وحققتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والحققة ثم علمنا احوال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خير الراحمين) لان

رحمة اذا دركت احد اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمة * (سورة النور مدنية وهي ستون واربع آيات) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (سورة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة (أزلناها) صفة لها قرأنا أطعمه سورة على زيد اضربه أو على أنزل سورة والسورة الجامعة لجل آيات بطاعتها وواجباتها وشفاعتها في الإيجاب وتوكيده أولان فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من الساق ومن بعدهم (وأزلنا) فيها آيات بينات) أي دلائل واضحات (لعلكم تذكرون) لئلي تتعظوا وتخفف الذال حزمة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال (الزانية والزاني) رفعها على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدتهما أو الخبر فاجلدوا أو دخلت الفاء ليكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذي رمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة الى أنه لا يبلغ (٣١٣) ليصل الالف الى اللهم والخطاب للامة لأن

أقامة الحد من الدين وهي على الكل الا أنهم لا يكتمهم الاجتماع فينوب الامام منابهم وهذا حكم حريص بحصن اذ حكم المحصن الرجم وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول وهذا دليل على أن التعريب غير مشروع لان الفاء انما يدخل على الجزاء وهو اسم لا كافي والتعريب المرسوم منسوخ بالآية كنسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذهبنهما منه الآية (ولا تأخذن منهن ما ينفقن) وهي قراءة مكى وقيل الراهة في دفع المكر وه الرحمة

* (تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أي أو جينا ما فيها من الاحكام وأزمننا كم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أو جيناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة (وأزلنا فيها آيات بينات) أي واضحات (لعلكم تذكرون) أي تتعظون قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزناه من الكفر وموجب للحد وهو البلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً والشرط المعتبر في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولارجم عليهما لانه لا ينصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلدته اذا ضرب جلدته ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب الى رأى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة وتغريب المرأة ولا تغرب وان كان الزاني محصناً فعليه الرجم (ولا تأخذن منهن ما ينفقن) أي رجة ورة فقتلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الراهة ان تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله وروى ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجداد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذن منهن ما ينفقن فقال يا بني ان الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فاجعت (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه ان المؤمن لا تأخذن الراهة اذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهيج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة) أي نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها الا زاناً أو مشركاً

(٤٠ - (خازن) - نالت)

في اصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حده وفي عطلوا الحدود أو يخففوا الضرب (في دين الله) أي في طاعة الله أو حكمه (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهيج والتهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمرة أي فاجلدوا ولا تعطلوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميتهما هذا دليل على انه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون حاكمة ليعتبروا ويتزجرهوا وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الحافة حول شئ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أربعة الى اربعين رجلاً (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه) أي لا ينكحها الا زاناً أو مشركاً (الزانية لا ينكحها الا زاناً أو مشركاً) أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصالح من النساء وانما يرغب في خبيثته من شكه وفي مشركه والخبيث المسافة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالح من الرجال وانما يرغب فيهم من هوم شكها من الفسقة أو المشركين فالآية تهديد في نكاح البغايا اذا زاعдил الشرك في الفج والايمن قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرماً في اول الاسلام ثم نسخ قوله وانكحوا الايامي منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لان غير الزاني يستقدر لزانية ولا يشتهىها

وهو صحيح لكنه يقتضى اذا قولك الزانى لا تزنى الا ورائه الزانية لا تزنى بها الا ازان وسئل صلى الله عليه وسلم عن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله سفاح واخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب في العفاف ولكن في الفواحش ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاف ولكن للزناة (٣١٤) وهما معنيين تحتلفان وقد مدت الزانية على الزانى اولاً ثم قدم عليها نائماً لان تلك الآية سبقت لعقوبتهما على ما جئنا

وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء وفي المدينة نساء بغاياهن أحصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول بجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بكمة والمدينة لهن رايات يعرفن بهامنن أم مهزول جارية السائب ابن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية يسكن الزانية يتخذها مأكله فآراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترط له أن تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بكمة يعني يقال لها عناق وكانت صديقه في الجاهلية فلما أتى مكة دعتة عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكسختي فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكسخت عناق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئاً فنزلت الزانية لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا ازان أو مشرك فدعا نى فقراها على وقال لا تنكحها أخرجه الترمذى والنسائى وأبو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً فى حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزانى لا يزنى الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزنى الا بزانى أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزانى الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية ثم نسخ بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع بدلاس فقال طلقها قال انى أحبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى رواية غيره فامسكها اذ اوى هذا الحديث أبو داود والنسائى عن ابن عباس قال النسائى رفعه أحد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى عن عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة فى زنا وحرض على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل فى معنى الآية ان الفاجر الحديث لا يرغب فى نكاح الصالحة من النساء وانما يرغب فى نكاح فاحشة خبيثة مثله أو مشركة أو الفاسقة الخبيثة لا يرغب فى نكاح الصالحة من الرجال وانما يرغب فى نكاح فاسق خبيث مثله أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أى صرف الرغبة بالسكينة الى نكاح الزانى وترك الرغبة فى الصالحات العفاف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية ﴿ قوله تعالى (والذين يرمون) أى يقدفون بالزنا (المحصنات) يعنى المسلمات الحررات العفاف (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصناً أو محصنة بالزنا فقال له يا زانى أو يا زانية أو زينت فيجب عليه ثمانين جلدة ان كان القاذف حراً وان كان عبداً يجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرايط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى فى عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد اتموا جب عليه لاجل القرية وقد ثبت صدقه وأما الكليات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر بالزنا وبغيره والمراد هنا

العقوبتهما على ما جئنا والمرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجنابة لانها لم تطعم الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطعم ولم يتمكن فلما كانت اصلافي ذلك بدى بذكرها واما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه الخاطب ومنه بدء الطلب وقوى لا ينكح بالجزم على النهى وفى المرفوع ايضا معنى النهى ولكن اباغ واكد ويجوز أن يكون خبر الجماع على معنى ان عادت كما جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها (وحرم ذلك على المؤمنين) أى الزنا أو نكاح البغايا قصد التكيب بالزنا اولاً فيسب من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب اسوء المقالة فيه والغبية وبجملاسة الخطائين كم فيهم ان التعرض لاقتراء الاثم فكيف بمزوجة الزانى و القعب (والذين يرمون المحصنات) وبكسر الصاد على اى يقدفون بالزنا الحررات العفاف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا

قدفهن بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزانى ولا يشترط أربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أى ثم لم يأتوا باربعة شهداء غير الزنا ان القذف غير الزنا بان يقول يا فاسق يا آكل الربا يكتفى فيه شاهدان وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان

موضع النفي فتعم كل شهادة وردت الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق بدشهادته بنفس القذف فعندنا إجراء الشرط الذي هو الرعي الجلد ورد الشهادة على التأييد وهو مدة حياتهم (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف غير يدخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله (الذين تابوا من بعد ذلك) أي القذف (وأصلحو) أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدل عليه (فان الله غفور رحيم) أي يغفر ذنوبهم ورحمهم وحق الاستثناء أن يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعندنا جعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية ان يكون مجرورا بـ (الذين تابوا من بعد ذلك) أي القذف ولما ذكر حكم قذف الاجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال (والذين يرمون أزواجهم) أي يقذفون أزواجهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) أي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به (الا أنفسهم) يرتفع على البديل من شهداء (فشهادة أحدهم

أو بائنيث أو يمازح أو قال امرأتي لا ترد بلامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا إلا ان يريد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زنت أوليست امرأتي زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على ان القذف من الكبار لان اسم الفاسق لا يقع الاعلى صاحب كبيرة (الالذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان القاذف تردشهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى (الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمرو بن عباس وهو قول سعيد بن جبير وبجهاذ وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز وزوازيهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا تردشهادته ما لم يحمد قال الشافعي هو قبل أن يحمد شمر منه حين يحمد لان الحدود كفارات فكيف تردون في أحسن حاله وتقبلون في شر حاله وذهب الشافعي الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الشكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالتصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فمات معنى قوله أبدا قامت بمعنى أبدا مادام مصر على القذف لان أبدا كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا براد بذلك مادام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته وقوله عز وجل (والذين يرمون) أي يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أي يشهدون على صحة ما قالوا (الا أنفسهم) أي غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدي ان عمرو الجعفاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو ان رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فقتلونه أم كيف يفعل سلي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجح عاصم الى أهله جاءه عمرو فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عمرو والله لانتهى حتى أسأله عنها فحافه عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فقلنا عاونا فنام الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من تلاعها قال عمرو كذبت عليها يا رسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجاه في الصحيحين زاد في روايه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القذف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عمرو فكان بعد ينسب الى أمه قوله أمهم أي اسودوا لادعج الشديسواد العين مع سعتها وقوله خدج السابقين أي تمتلى السابقين غليظها وقوله كانه حرة الوحرة بفتح الحاء دوينة كالعظاءة تلصق بالارض وازادهم في الحديث المبالغة في قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشر بلعنين سخما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حدث في ظهورك فقال يا رسول الله اذارى احد على امرأته رجلا ينطلق بالتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة

أربع) بالرفع كوني غير أبي بكر على انه خبر والمبتدأ فشهادة أحدهم وغيرهم بالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعمل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وعلى هذا خيرة محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماه به من الزنا

والاحد في ظهرك فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق وليزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد
 فنزل جبريل عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف
 النبي صلى الله عليه وسلم فاسل اليهما فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
 يعلم ان احديك كاذب فهل منك كاذب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفتها وقال انها موجبة
 قال ابن عباس فتلذكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم انظر وها فان جاءت به أكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريل بن
 سحمة فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وفي رواية
 غير البخاري عن ابن عباس قال لما تزوت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو آتيت لسكاع وقد
 تلذذها رجل لم يكن لي ان أهيج حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ
 حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
 الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا بله فانه رجل غيور مات تزوج امرأة قط الابكر او لا تطلق امرأته
 واجترأ رجل من ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله باي أنت وأمي والله اني لاعرف انها من الله وانما حق
 ولكن عجب من ذلك لما أخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يابي الا ذلك فقال صدق الله ورسوله
 قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني
 به فامسك حتى أصبح فلما أصبح غد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله
 اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فذكره رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لم أتأبه ونقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في
 وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا وانى لارجوان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بضر به قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا اقال سعد بجهد هلال وتبطل شهادته فيبينهاهم
 كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يأمر بضر به انزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين
 عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الايات فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبشروا بهلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احديك كاذب فهل منك كاذب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بيديها فقبل لهلال اشهد فشهدت أربع شهادات بان الله ان لم
 الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله
 أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني
 الله عليها كالم يحذني علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من
 الكاذبين) ثم قال للمرأة أشهدي فشهدت أربع شهادات بان الله ان لم الكاذبين فقال لها عند الخامسة
 ووقفها اتق الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلذكأت ساعة وهمت
 بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين ففرق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وما قضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يربي ولدها ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قبل فيه فجاءت
 به غلاما كأنه جمل أو رق على الشبه المذكور وكان أميراً بصراً لا يدري من أبوه الا ورق هو الايض وروى
 ابن عباس ان عويمر المالا عن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فعلى
 العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله اني
 رأيت شريل بكاعلى بطانها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها الحبلية من غيرى وانى لمن الصادقين

(والخامسة) لاخلاف في
 رفع الخامسة هنا في المشهور
 والتقدير والشهادة
 الخامسة (ان لعنة الله
 عليه) فهي مبدأ وخبر
 (ان كان من الكاذبين)
 فيبار ماها به من الزنا

ثم قال في الرابعة أشهد بالله اني ما فرقت بينهما منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على
 عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالعود فقطع ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت
 أشهد بالله ما أتانا برانية وان عويمر لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكاً على بطنى وانه
 لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه
 ما رأى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من
 الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال ولا هذه الايمان لسكان لي في أمرهما رأى ثم قال
 تحمينو الولادة فان جاءت به أصيب أتيج بضرب الى السواد فهو لشريك بن ميمونة وان جاءت به أورك جمعدا
 جالينا خدج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باسمه خلق بشريك * بيان حكم الآية ان
 الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الأجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان
 كانت غير محصنة غير ان المخرج منها مختلف فاذا قذف أجنبية أو أجنبية يعاقب عليها الحد الا ان يأتي بأربعة
 يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه
 الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البيعة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلاً ربما لا يمكنه إقامة البيعة ولا
 يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه
 لمن الصادقين واذا أقام الزوج بينة على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك
 ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه واذا أراد الامام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمها ويلقنه كلمات اللعان
 فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زواجي فلانة من الزنا وان كان قد رماها برجل بعينه
 سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولداً أو جمل يريد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الجمل لمن الزنا
 ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة من
 كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة
 وحرمت عليه على التأبيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة الحد الزنا فهذه خمسة أحكام
 تتعلق بلعان الزوج ﴿ قوله عز وجل (ويدراً) اي يدفع (عنها العذاب) أي الحد (ان تشهد أربع
 شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج
 اذا لاعن ووجب على المرأة الحد الزنا فان أرادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين
 الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي
 من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة
 لم يسقط الحد عنها بل اللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجب اللعان فان لم يلاعن
 حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرى من اللعان
 حجة صدقه والقاذف اذا قذف عن إقامة البيعة على صدقه لا يحبس بل يحصد كقذف الاجنبي اذا قذف عن إقامة
 البيعة وعند أبي حنيفة مو جب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعاً
 وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب
 الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لاقباله فيلزمه الحد ويحقه الولد لكن لا يرتفع تأبيد التحريم وعند أبي
 حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا أكذب نفسه جاز له أن يتكهنها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به
 الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح بميمونة صح لعانها حراً كان
 أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربعية ومالك
 والثوري والشافعي وأكثر أهل العلم وقال الزهري والوزاعي وأصحاب الرأي لا يجزى اللعان الا بين مسلمين
 حرين غير محدودين فان كان أحد الزوجين رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن

الزوج (لمن الكاذبين)
 فيما رماني به من الزنا
 والخامسة ان غضب الله
 عليهما ان كان أي الزوج
 (من الصادقين) فيما
 رماني به من الزنا ونصب
 حفص الخامسة عطف على
 أربع شهادات وغيره
 رفعها بالا ابتداء وان غضب
 الله خبره وخفف نافع ان
 لعنة الله وان غضب الله
 بكسر الضاد وهما في حكم
 المنقلة وان غضب الله
 سهل ويعقوب وحفص
 وجعل الغضب في جانبها
 لان النساء يستعملن
 اللعان كثيراً كما ورد به
 الحديث فربما يجترئ
 على الاقدام لكثره جري
 اللعن على السنن
 وسقوط وقوعه عن قلوبهن
 فذكر الغضب في جانبهن
 ليكون رادعاً لهن
 والاصل ان اللعان عندنا
 شهادات مؤكدة بالايمان
 مقرونة باللعن فاقامة مقام
 الحد القذف في حقه ومقام
 الحد الزنا في حقه لان الله
 تعالى سماه شهادة فاذا
 قذف الزوج زوجته بالزنا
 وهما من أهل الشهادة
 صح اللعان بينهما واذا
 التعننا كبايعين في النهر لا تقع
 الفرقة حتى يفرق القاضي
 بينهما وعند زفر رجه الله
 تعالى تقع تلاعنهما
 والفرقة تطلق بانئذ

وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان في هلال بن أمية أو عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتي خولة
 شريك بن ميمونة فكذبته فلان النبي صلى الله عليه وسلم بينهما

(ولو لا فضل الله) تفضله
 (عليكم ورجتمه) نعمته
 (وان الله تواب حكيم)
 جواب لولا لا محذوف أى
 لفضلكم أو لعاجلكم
 بالعقوبة (ان الذين جاؤا
 بالانك) هو أبلغ ما يكون
 من الكذب والافتراء أو أصله
 الانك وهو القلب لانه قول
 ما قولك عن وجهه والمراد
 ما ألقبه به على عائشة رضی
 الله عنها قالت عائشة فقدت
 عقدا في غزوة بنى المصطلق
 فتخافت ولم يعرف خلو
 اليهودج لحظتى فلما ارتحلوا
 أناخ لي صفوان بن المعطل
 بعيره وساقه حتى أتاهم
 بعد ما نزلوا فهلك في من هلك
 فاعتلت شهرا وكان عليه
 الصلاة والسلام يسأل
 كيف أنت ولا أرى منه لطفًا
 كنت أراه حتى عثرت خالة
 أبي أم مسطح فقالت تعس
 مسطح فانكرت عليها
 فخذ برتنى بالافك فلما
 سمعت ازدادت مرضاوت
 عند أبوي لا يزال دمع وما
 اكحل بنوم وهما يظنان
 ان الدمع فائق كبدي حتى
 قال عليه الصلاة والسلام
 ابشري يا حبيراء فقد أنزل
 الله براءتكم فقلت بحمد الله
 لا تحمدك (عصبة) جماعة
 من العشرة الى الاربعين
 واعصوا صوبوا اجتمعوا وهم
 عبدالله بن ابي راس النفاق
 وزيد بن رفاعه وحسان بن
 ثابت ومسطح بن اثانة وجماعة
 بنت جحش ومن ساعدتهم

حجة لمن قال يجزى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود
 وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاك كروا نبيه ويغلظ اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان
 وان يكون بحضور جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشئ منها وأما المكان فهو ان
 يلاع في أشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه
 وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو ان يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة
 والتعليق بالجمع مستحب فلولا عن الحاك بينهما ما وجد جاز وفي التعليق بالزمان والمكان قولان ﴿قوله تعالى
 (ولو لا فضل الله عليكم ورجتمه) أى لعاجلكم بالعقوبة ولا كنهه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله
 تواب) أى يعود على من يرجع عن المعاصي بالرجمة (حكيم) أى فيما فرضه من الحدود ﴿قوله عز وجل
 (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم) الايات سبب نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير
 وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله
 عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكههم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحدِيثها من
 بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم
 يصدق بعضها قالوا قالت عائشة رضی الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرًا أفرغ بين
 أزواجه فأبها تخرج سهمها تخرج ما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أفرغ بيننا في غزوة غزاها
 نخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أعمل في هودج وأنزل
 فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أذن لي ليلة بالرجل
 فقممت حين أذنوا بالرجل فمشيت حتى جاؤت الجيش فلما قضيت من شأنى أقبلت الى رحلي فلمست صدرى
 فاذا عقدي من جرح أطفال قد انقطع فرجعت فالتفت عقدي فبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين
 كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء
 اذ ذلك خفا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستكر القوم خفة الهودج حين
 رفعوه ورحلوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فبنت
 منازلهم وليس بهاداع ولا يجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وطمنت أنهم سيقتلونى فبرجعون الى قبينا
 أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عيني فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش
 فادخل فأصبح عند منزلى فرأى سوادا انسانا ثم فأتانى فعرفتى حين رأيتنى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب
 على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفتنى فخررت وجهى بجانبيه والله ما كمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير
 استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديه فركبتها فاطلق بقودى الرحلة حتى أتينا لجيش بعد
 ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين فى شجر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله
 ابن أبي سؤل فقد مننا المدينة فاشتكت حين قدمنا المدينة شهر او الناس يفيضون فى قول أصحاب الافك
 ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يري بنى فى رجعى انى لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى
 منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تبيكم ثم ينصرف فذلك الذى يري منه ولا أشعر بالشرح حتى
 نعتت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لنخرج الاليل الى ليل وذلك قبل أن نتخذ
 الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التنزه وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا
 فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أجي رهيم بن المطلب بن عبد مناف وأمه ابنت صخر بن عامر خالة أبي بكر
 الصديق وابنها مسطح بن أئانة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا شئ فعرثت أم مسطح فى مرطها
 فقالت تعس مسطح فقلت لها بنس ما قلت أنتسبين رجلا قد شهد بدرًا فقالت يا هنتاه أولم تسمى ما قال قلت
 وما قال فاحبرتنى بقول أهل الافك فازدت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تبيكم قلت له أتأذن لى أن أتى أبوى قالت وأنا حينئذ أريدان أتيقن الخبر

من قبلهما فأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأثبت أبوي فقالت لامي بأمتها ماذا يتحدث الناس به فقالت
يا بنته هو في علي نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرا ترا لا كثرن عليها قالت
فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فيكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا برقألى دمع ولا أ كتحل بنوم
ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت
الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فاما أسامة فاشار عليه بما يعلم من براعة أهله والذي يعلم لهم في نفسه
من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا تعلم والله الاخبروا أما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم
يضق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقت قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
فقال أي بريرة رأيت من شيء يريك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رأيت منها أمرا
قط اتجمعه عليها أكثر من انما جارية تحديثة السن تنام عن نعيم أهلها فبأتي الداجن فيأكله قالت فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن ساول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر من بعد نفي من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي
الاخيرا ولقد ذكره وارجلها ما علمت عليه الاخيرا وما كان يدخل على أهلي الاممي قالت فقام سعد بن معاذ
أحد بني عبد الأشهل فقال أنا أعذر لك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من
اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرنا فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان
بنت عمه من نغذه وكان رجلا صالحا ولكن احببته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تعقله ولا
تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله
لنعتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتناور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكتت وبكيت
لومي ذلك لا برقألى دمع ولا أ كتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا برقألى دمع ولا أ كتحل بنوم فاصبح عندي
أبو اي وقد بكيت ليلتين و لوما حتى أظن ان البكاء فائق كبدي قالت فيبينها ماها ما جالسا عندي وأنا أبكي
اذا ستأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قبل لي ما قبل قبلها وقد مكث شهر الا يوحى اليه في شأن بشي
قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان
كنت بريرة فسبيربك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه
ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فاصدمي حتى ما أحس منه قطرة وقلت
لاي أحب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقالت لامي
أجيب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت وأنا جارية تحديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس
حتى استغفروا أنفسكم وصدقتهم به فلئن قلت لكم انى بريرة والله يعلم انى بريرة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت
لكم بما روى الله بعلم انى منه بريرة لتصدقونى فوالله ما أجدلى ولكم مثالا الا يا يوسف اذ قال فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم انى بريرة وان الله مبرئ
ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأنى وحيا يتلى ولشأنى في نفسى كان أحقر من أن يتكلم
الله في بأمري يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله
عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحد منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاق من نفل
القول الذى أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها
أن قال لى يا عائشة احدى الله وفي رواية قال أبشري يا عائشة اما الله فقد برأك فقالت لى أى قومي الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أجد الله هو الذي أنزل برأيتي قالت فانزل الله عز وجل
 ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الايات فانزل الله عز وجل هذه الايات في برأيتي قالت فقال أبو
 بكر وكان يفتق على مسطح بن اثانة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال عائشة فانزل
 الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الي قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي
 فرجع الي مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحسى سمى
 وبصرى والله ما علمت عليها الاخيراً قالت عائشة وهى التى كانت تسمى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
 فعصمها الله بالورع وطهفت أختها جنة تحارب لها فهلكت فبين هلاك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا
 الذى بلغنى من حديث هؤلاء الرهط زادنى رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذى قبل له ما قيل يقول سبحان
 الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد فى سبيل الله شهيداً هذا حديث متفق
 على صحته أخرجه فى الصحيحين زاد البخارى فى روايته عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن
 أبي بن سلول وقال عروة أخبرته انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم
 لى من أهل الافك الا الحسن بن ثابت ومسطح بن اثانة وجمعة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم
 عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها احسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * تعرض محمد منكم وناه

أخرجه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها احسان ينشدها شعر ابييت من آياتها فقال

حصان رزان ماترن بريية * وتصبح غرني من لحوم الغوافل

فقالت عائشة اكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله والذى تولى
 كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأى عذاب أشد من العمى وقالت انه كان يتافع أو يهاجى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم * حل غريب ألفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة أى قطعة من حديثها قوله
 كان أوعى أى أحفظ له قولها آذن أى علم بالرحيل قولها فاذا عقد لي من خزع أطفار هو نوع من الخرز
 وهو الحجر اليماني المعروف قولها لم يهبان أى يكسثر لجهن من السمن فيبتقان قولها انما يا كان العلقمة من
 الطعام هو بضم العين أى البلغة من الطعام وهو قدر ما عسلك الرق قولها وليس بها منهم داع ولا يجيب أى
 ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يردجوا بقولها فتمت أى قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج
 التعريس نزول المسافر فى آخر الليل للراحة والادلاج بالثدي سيرا آخر الليل وبالخفيف سير الليل كله
 قولها باسترجاعه هو قوله ان الله واننا اليه راجعون قولها خمرت أى غطيت وجهى بجلبابى أى ازارى قولها
 موغر بن فى نحر الظهير الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أى أولها قولها والناس يفيضون أى يخوضون
 ويتحدثون قولها وهو يربيني يقال رابنى الشئ يربيني أى شككته فيه قولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه
 وسلم اللطف أى الرقة فى اللطف فى الافعال الرقة وفى الاقوال لين الكلام قولها حتى تعقت أى أقفت من
 المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالى والمرط
 كساع من صوف أو خر قولها تعس مسطح أى عثر وهو من الدعاء على الانسان أى سقط لوجهه قولها يا هنتاه
 أى بالهاء كأنها تنسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقألى دمع أى لا ينقطع وقول بريرة ان رأيت بمعنى النقي
 أى ما رأيت منها أمراً أغصه بالصاد المهملة أى أعيبه والداجن الشاة التى تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله
 عليه وسلم من يعذرنى أى من يقوم بعذرى ان أنا كافاته على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلا تلومونى على
 ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة أى من قبيلته قولها ولكن احتملته الجيبة أى جملة الغضب
 والافقة والتعصب على الجهل للقرابة قولها افتنار والحيان أى نار وامنضوا لاقول والخاصمة قولها فلم ينزل
 بخفضهم أى يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألمت قبل هو من اللمم وهو صغار الذنوب

(لا تحسبوه) أي الألف (شر السك) عند الله (بل هو خير) (سك) لأن الله أنابكم عليه. وارتل في المرأة منه ثمان عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساء ذلك من المؤمنين (سك) أي كل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي على كل امرئ من العصبة جزاء ثمة على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحكوا وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سك (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصبة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى ان صفوان مر بهم ووجهها عليه وهو في ملان قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما تحت منه ولا نجما ثم وبع الخائضين فقال (لولا) هلا (اذ سمعتموه) أي الألف (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) بالذين منهم فالؤمنون كدس واحدة وهو قوله ولا تبارزوا أنفسكم (خيرا) عفا فواصلوا ذلك نحو (٢٢١) ما يروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسول

الله عليه الصلاة والسلام انا قاطع بكذب المنافقين لان الله صعدك من وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلخخ بها فلما عصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يعصمك عن صحبة من تكون متلخخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما وقع ظلك على الارض الا يوضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن احدا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن احدا من تلويث عرض زوجته وكذا قال على رضى الله عنه ان جبريل اخبرك ان على فعليك قدر او امرك باخراج النعسل عن رجلك بسبب ما التصق به من القدر فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير ان تكون متلخخة بشئ من الفواحش وروى ان ابا أيوب الانصارى قال لامرأته ألا تترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت نظن بحرم رسول الله

وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قولها قاص دمعى أى انقطع حريانه قولها ما رام أى ما برح من مكانه والبرء الشدة والكرب والجأنة الدررة وجهها جان فسرى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمى وبصرى أى أمتعهما من أن أخبر بهما لم أسمع ولم أبصر قولها وهى التى كانت تسامىنى من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أى منعها من الوقوع فى الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أى من ستر أنتى قوله ويستتوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان فى عائشة حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أى متعففترزان أى ثابتة ما تزنى أى ترمى ولا تهتم برية أى بأمر يرب الناس حمية وتصبح غرثى أى جائعة والغرث الجوع من لحوم الغواقل جمع غافله والمعنى انه لا تعتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة فى حسان انه كان ينافح أى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالالفك أى بالكذب والالفك أسوأ الكذب لكونه مصر وقاعن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالالفك أى جماعة منهم أى عبد الله بن أبى بن ساول ومسطح بن اناثة وحسان بن ثابت وحنيفة بنت جحش زوجه طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبى بن ساول كان رأس المنافقين فكيف قال منهم قلت كان ينسب الى الايمان فى الظاهر وقيل قوله منهم مخرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اناثة وحنيفة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شر السك) يعنى الألف الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابوهم والنبي صلى الله عليه وسلم وصفوان (بل هو خير) (سك) يعنى ان الله أجرهم على ذلك وأظهر براءتهم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الدم وهذا غاية الشرف والنهض لسك (سك) أى من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما جترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره) أى تحمل معظمه ويد بأخوض فيه واقام بأساعته وهو عبد الله بن أبى ابن ساول (منهم) من العصبة (له عذاب عظيم) يعنى عذاب النار فى الآخرة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فخلدوا والحد جيعا ثمانين ثمانين ^١ قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) أى الحديث الكذب وهو قول أهل الألف (ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا قول أهل الألف ان يكذبوه ويحسبوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة وقول الزور فبين عرفوا عفتة وطهارته وفيه معاتبه للمؤمنين (وقالوا هذا الفك مبين) أى كذب بين لا حقيقة له (لولا) أى هلا (جاؤا عليه) أى على ما زعموا (بأربعة شهداء) أى يشهدون بذلك (فأذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) أى فى حكم الله (هم الكاذبون) وهذان باب الزور فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا

(٤١ - خازن) - ثالث) سواء فقال لا قالت ولو كنت أنابك لعائشة ما خنت رسول الله فعائشة تخير منى وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل ظنتم بانفسكم خيرا وقاتم ليمان فى التوب بجز بطريق الالتفات وليدك التصريح بافظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضى ان لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أخيها قول عائشة ولا طاعن وهذا من الادب الحسن الذى قل القاطميه والحافظ له ولينك تجرد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه (وقالوا هذا الفك مبين) كذب ظاهر لا يلقى بهما (لولا) جاؤا عليه بأربعة شهداء) هلا جاؤا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء (فأذلم يأتوا بالشهداء) الاربعة (فأولئك عند الله) أى فى حكمه وشر يعته (هم الكاذبون) أى القاذفون لان الله تعالى جعل التفصيلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنهم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكتم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا هذه الامتناع التي لو وجود غيره بخلاف ما تقدم
 أي ولولا أني قضيت أن أفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان أرحم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة
 لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع (اذ) طرف لمسكتم أو أفضتم (تلقونه)
 يأخذه بعضهم من بعض يقال تلقى القول وتلقنوه وتلقمهم (بالسنتكم) أي ان بعضكم كان يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة حتى شاع
 فيما بينهم وانتشر فلم يبق ابيت ولا ناد الاطرافيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) انما قيل بذلك بالفواه مع ان القول لا يكون الا بالعلم لان
 الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولاً لا يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علمه في القلب كقول
 يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه) أي نحوضكم في عائشة رضي الله عنها (هيئنا) صغيرة (وهو عند الله عظيم) كبيرة
 نزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلاك (اذ) سمعتموه وقلم ما يكون لنا ان
 نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلم بالظرف (٣٢٢) لان للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذا

يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها
 وفائدة تقديم الظرف انه
 كان الواجب عليهم ان
 يتفادوا اول ما سمعوا
 بالافك عن التكلم به فلما
 كان ذكر الوقت أهم قدم
 والمعنى هلا قلمت اذ سمعتم
 الافك ما يصح لنا ان نتكلم
 بهذا (سبحانك) للتعجب
 من عظيم الامر ومعنى التعجب
 في كلمة التسبيح ان الاصل
 ان يسبح الله عند رؤية
 العجيب من صنائعه ثم كثر
 حتى استعمل في كل متعجب
 منه أو لتعزبه الله من أن
 تكون حرمته نبيه فاجرة
 وانما جاز ان تكون امرأة
 النبي كافرة كأمه فروع
 ولوط ولم يجز ان تكون
 فاجرة لان النبي مبعوث الى
 الكفار ليدعوهم فيجب

في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأوئلكم هم الكاذبون في غيبي وعلى وقيل معناه فأوئلكم عند الله في
 حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذ لم يأت بالشهود يجب زجره ﴿ قوله تعالى
 (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكتم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا اني
 قضيت ان أفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان أرحم عليكم في الآخرة
 بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك والخطاب للقدفة وهذا الفضل هو
 تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب (اذ تلقونه بالسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان
 الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا فيلقونه تلقياً يلقبه بعضهم الى بعض (وتقولون بأفواهكم
 ما ليس لكم به علم) أي من غير ان تعلموا أنه حق (وتحسبونه هيئنا) أي وتظنون أنه سهل لا ثم فيه (وهو
 عند الله عظيم) أي في الوزر (ولولا) اذ سمعتموه وقلمت ما يكون لنا ان نتكلم به (ذا سبحانك) قيل هو للتعجب
 وقيل هو لتعزبه (هـ ذاب) مان عظيم) أي كذب عظيم يهت ويحمر من عظامه مروي ان أم أيوب الانصاري
 قالت لابي أيوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقيل سبحانك هذا من عظيم فترزت الآية على
 وفق قوله (يعظكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل بها كرم الله (ان تعودوا المثله أبدأ ان كنتم مؤمنين
 ويبين الله لكم الآيات) أي في الامرو والنهي (والله عليم) أي بأمر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم
 ببراعتهم ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا)
 قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل
 من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع
 المؤمنين (لهم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والدم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله
 يعلم) أي كذبهم وبرائة عائشة وما خاضوا فيه من مخطأ الله (وأنتم لا تعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من
 يجب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لولا انعامه
 عليكم لعاجلتكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وجمعة (وان الله رؤوف رحيم) ﴿ قوله

أن لا يكون معهما ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكسختنة فمن أعظم المنفرات (هـ ذاب) مان زور يهت تعالى
 من يسمع (عظيم) وذ كر فيما تقدم هذا افك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا به مما مبغى في التبري (يعظكم الله أن تعودوا) في ان تعودوا
 (لمثل) لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه (أبدأ) مادتم احياء مكافين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهيج لهم ليتعظوا وتذكروا بوجوب
 ترك العود وهو الايمان الصادق عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة (والله عليم) يك
 وباعمالكم (حكيم) يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق تراثها وحكم ببراعتها (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي
 ما قبح جدوا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الاشاعة وتوجيهها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي
 وحسانا ومسطحاً الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرأ الصدور (وأنتم لا تعلمون) أي انه
 قد علم حجة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لعجل لكم العذاب وكر المنة بترك المعالجة بالعقاب مع
 حذف الجواب مبغى في المنة عليهم والتوب بيج لهم (وان الله رؤوف رحيم) حيث أظهر برائة المقدوف وأتاب (رحيم) يعفرانه جنابه القاذف

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آتاه ووساوسه بالأصغاء إلى الألف والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) فان الشيطان (يا أيها الفاسقون) ما أفرط فجهه (والمنكر) ما تنسكركه النجوم فتنته رغبته ولا ترتضيه ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما كان منكم من أحد أبدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة المعصية لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الألف (ولكن الله يركب من يشاء) يظهر التائبين بقبول توبتهم اذا مضوا (والله سميع) لقولهم (عليهم) بضم ثاءهم واخلاصهم (ولا ياتل) ولا يخلف من اتلى اذا خلف افتعال من الالية ولا يقصر من الاول (اولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا ان يؤثروا (٢٢٢) أي لا يؤثروا ان كان من الالية (أولى

القريبي والمسكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يخلفوا على ان لا يحسنوا إلى المستحقين للاحسان أولا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحنة لجناية اقترفوها وليعفووا وليصفحوا العفو والستر والصفح الاعراض أي وليتجاوزوا عن الجفأ وليعرضوا عن العقوبة (الاتجبنون ان يغفر الله لكم) فليعفوا عنهم ما يرجون ان يفعله لهم ربهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فنادوا بادب الله واغفروا وارحوا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينطق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدر يماهجا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي ووردني مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العافلات (الغافلات) السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء

تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي آتاه ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبايح من الأقوال والأفعال وكل ما يكره الله عز وجل والالية عامية في حق كل أحد لان كل مكاف ممنوع من ذلك (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما كان منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح والالية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لو لا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الألف ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يركب) أي يظهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لا قوا لكم (عليهم) أي بما في قلوبكم قوله عز وجل (ولا ياتل) أي لا يخلف من الالية وهي القسم (اولو الفضل منكم والسعة) يعني الغني يعني أبي بكر الصديق (ان يؤثروا أولى القريبي والمسكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطح وكان مسكينا مهاجرا بدر يا ابن خالته أبي بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينطق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفووا وليصفحوا) أي عن خوض مسطح في أمر عائشة (الاتجبنون) يحاطب أبي بكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى انا أحب ان يغفر الله لي ورجع إلى مسطح بن نفقة التي كان ينطق عليه وقال والله لا أتزعما عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية يتذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولو الفضل وقوله الاتجبنون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على عاونه ومرتبته منها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينطقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وياعفووا وليصفحوا فدل ان أبي بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على عيب فرأى غير ما خيرا منها فلبات الذي هو خيرا ويكفر عن عيبه ومنه الحديث الصحيح من حلف على عيب فرأى غير ما خيرا منها فلبات الذي هو خيرا وليكفر عن عيبه قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) أي العافيات (العافلات) أي عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلوا شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالآخرة (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبيرة من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ايس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ الذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لا وتلك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا لالية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) يروى انه يختم على الأفواه فتسكهم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسبهم العدل (ويعلمون ان الله

ولما كرا لهن لم يجربن الامور) المؤمنات بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنه من أزواجه عليه السلام وقيل هن جميع المؤمنات اذا عبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السب وقيل أرادت عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة) ولهم عذاب عظيم (جعل القذف معلومين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعمل في يوم تشهد عليهم) يذنبون وبالبناء جزفة على (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما أفكروا أو بهتوا والعمل في (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهلها وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفاته بان ينصب على المسح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله

هو الحق المبين) لارتفاع الشكوك وحوول العلم الضرورى وايعظ الله تعالى فى القرآن فى شئ من المعاصى تغليظها فى افك عائشة رضى الله عنها وفى ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكدر وما ذلك الاماروى عن ابن عباس رضى الله عنه من اذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الامن خاض فى امر عائشة وهـ ذمامه تعظيم ومبالغة فى أمر الافك ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعه بآبى يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالخجر الذى ذهب بثوبه ومريم رضى الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآسى العظام فى كتابه المعجز المتلوعلى وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كيف بينا وبين تبرئة أولئك وما ذلك الا اظهار عدلو منزلة رسوله والتمويه على انافة صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبثيات) من القول يقال (للخبثيين) من الرجال والنساء (والخبثيون) منهم يتعرضون (للخبثيات) من القول وكذلك (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أولئك مبرؤن مما يقولون) أى فيهم وأولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الحكم وهو كلام (٣٢٤) جار مجرى المثل لعائشة رضى الله عنها وامر يت به من قول لا يطابق حالها فى النزاهة

والطيب ويجوز أن يكون اشارة الى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان براد بالخبثيات والطيبات النساء الخبيثات يتزوجن الخبيثات والخبيثات تزوج الخبيثات وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) مستأنف أو خبر بعد خبر (ورزق كريم) فى الجنة ودخل ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها فى مرضها وهى خائفة من القدوم على الله تعالى فقال لا تخافى لانيك لا تقدمين الاعلى مغفرة وورزق كريم وتلا الآية فغشى عليها فرجها ما تلا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها اعطيت تسعاً ما اعطيتن امرأة تزوج بى رضى الله عنه فى راحته حين امر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجنى وتزوجنى بكر او ما تزوج بكر اخرى وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأى فى حجرى وقبرى فى بيتى ولقد صدقته الملائكة فى بيتى وتزول عليه الوحي وأنا كما

هو الحق المبين) أى الموجد الظاهر الذى بقدرته وجود كل شئ وقيل معناه بين لهم حقيقة ما كان يعدهم فى الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبى بن سلول كان يشك فى الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل (الخبثيات للخبثيين) قال أكثر المفسرين من معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبثيين من الناس وهـ (والخبثيون) أى من الناس (للخبثيات) من القول (والطيبات) أى من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يلدق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يلدق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يلدق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يلدق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهـ اذم الذين قذفوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهـ اذم الذين قذفوا عائشة ولا يتكلم الاية الخبيثيات من النساء للخبثيين من الرجال والخبثيون من الرجال للخبثيات من النساء أمثال عبد الله بن أبى المنافق والساكين فى الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعنى عائشة وصفوا نذ كرهما الله بلفظ الجمع منزهون (مما يقولون) يعنى أصحاب الافك (لهم مغفرة) أى عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى الجنة وروى ان عائشة كانت تفخر بأشيائها اعطيتهم امرأه غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقه حرير وقال هـ ذم وبتكروى انه أتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكر غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها دفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهى معه فى المحاف وتزوت برأتهما من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة وورزقا كريم ما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا وخطأ من السكاك وفى هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس فى اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل فى البيت انسان فيؤذنه انى داخل وقيل هو من أنست أى أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحى حتى يعرف أهل البيت (وتسلوا على أهلها) بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلغوا فى أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم

بكر اخرى وتوفى عليه الصلاة والسلام ورأى فى حجرى وقبرى فى بيتى ولقد صدقته الملائكة فى بيتى وتزول عليه الوحي وأنا كما فى لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه وتزول عذرى من السماء وخلقت طيبة وعند مغفرة وورزقا كريم وقال حسان معتذرا فى حقها حصان رزان ماترن بريبة * وتصح عذرى من لحوم الغواف حليلة خير الناس ديننا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات القواضل عقيلة تحى من لوى بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل مهذبة قد طيب الله خبيها * وطهرها من كل شين وباطل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم) أى بيوتنا لم تكونوا ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قرأه والاستئناس فى الاصل الاستعلام والاستكشاف استعمال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهر امكشوف أى حتى تستعلموا أو يطلق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحى (وتسلوا على أهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فان أذنه والارجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فلا استئذان

(ذلكم) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول (٣٢٥) بغیر اذن فكان الرجل من أهل الجاهلية

إذا دخل بيت غيره يقول
حيتم صباحا وحيتم مساء
ثم يدخل فر بما أصاب
الرجل مع امرأته في لحاف
واحد (لعلكم تذكرون)
أي قبل لكم هذا الشيء
تذكر واوتعتقوا وتعملوا
ما أمرتم به في باب الاستئذان
(فان لم تجدوا فيها) في
البيوت (أحدا) من
الذين (فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا
من يذن لكم أو فان لم تجدوا
فيها أحدا من أهلها ولكم
فيها حاجة فلا تدخلوها الا
بإذن أهلها لان التصرف
في ملك الغير لا بد من أن
يكون برضاة (وان قيل لكم
ارجعوا) أي اذا كان
فيها قوم فقالوا ارجعوا
(فارجعوا) ولا تلجوا في
اطلاق الاذن ولا تلجوا في
تسهيل الحجاب ولا تقفوا
على الابواب لان هذا مما
يجلب الكراهة فاذا نهى
عن ذلك لادائه الى الكراهة
وجب الانتهاء عن كل ما
يؤدي اليها من قرع الباب
بعنف والتصيح بصاحب
الدار وغير ذلك وعن أبي
عبيد ما قرعت بابا على عالم
قط (هو أركبكم) أي
الرجوع أظيب وأظهر لما
فيه من سلامة الصدور
والبعد عن الريبة وأنفع
وأخى خيرا (والله بما تعملون
عالم) وعبد للمخاطبين

كأني الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الاكثر ان يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل
وتقد الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنون كما هو في صحف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل قال
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام
عليكم أأدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن زبي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال ألي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فاعلمه
الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليكم أأدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي
موسى قال أبو سلمة كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على
عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا استأذنت أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لمتقين عليه بينة أمنتكم أحد سمع من
النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا صغر القوم فكنت أصغر القوم فقامت معه
فأخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان
بالرجوع * عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من
تلقاه وجهه ولكن من ركنه الا يئس واليسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها
بومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم بفاعة مع
الرسول فان ذلك له اذن أخرجه أبو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم
يسلم وقال أبو موسى الاشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار ان
رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على أي قال نعم فقال الرجل اني معاه في البيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن
عليها أحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ من سلا وقوله تعالى
(ذلكم خير لكم) أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير اذن (لعلكم تذكرون) أي هذه
الآداب فتعملوا بها ﴿ قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) أي في البيوت (أحدا) أي يذن لكم في دخولها
(فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وان قيل لكم ارجعوا) يعني اذا كان في البيت
قوم وكروا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أركبكم) أي
الرجوع هو أظهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا
حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا اجاز كان ابن عباس يأتي دور الانصار لطلب الحديث
فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عمر رسول الله لولا أخبرتني
بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا
(ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من بخر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مدرى برجل وفي رواية يحمل برأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لاطعنت به في
عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع
في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفتقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن
فخذفته ففقت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون علم) أي من الدخول
بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس
فيها ساكن فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي اثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي بغير استئذان
(فيها متاع لكم) أي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة لباوا واليهاء ويؤروا

بانه علم بما يوتون وما يذرون مما حوط به فوف جزاء عليه (ليس عليكم جناح) ان تدخلوا (بيوتا غير مسكونة) استثنى من
البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالحانات والربط وحوادث التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالا سكة

من الحر والبرد والهواء الرخا والسالم والشرا والميسغ وقيل الخربان يشتر برؤيه لوانماع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)
وعبد الذين يدخلون الخربان والدور الخالية من أهل الريمة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من التبعض والمراد غص البصر عما يحرم
والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنالان الزنا لخصه فيه بوجه ويجوز النظر الى وجه الاجنبية وكفها
وقدمها في رواية الى رأس المحارم (٣٢٦) والصدور والساقين والعضدين (ذلك) أي غص البصر وحفظ الفرج (أر كى لهم) أي أظهر

من دنس الاثم (ان الله
خبير بما يصنعون) فيه
ترغيب وترهيب يعني انه
خبير باحوالهم وأفعالهم
وكيف يحيون أبصارهم
يعلم خاتمة الاعين وما تخفى
الصدور فعملهم اذا عرفوا
ذلك أن يكونوا منس على
تقوى وحذر في كل حركة
وسكون (وقل للمؤمنات
يغضن من أبصارهن
ويحفظن فروجهن) أمرن
بغض الابصار فلا يحل
للمرأة أن تنظر من الاجنبى
الى ما تحت سترته الى ركبتيه
وان اشتهت غصت بصرها
وأسا ولا تنظر الى المرأة الا
الى مثل ذلك وغص بصرها
من الاجانب أصلا وأولى بها
وانما قدم غص الابصار
على حفظ الفروج لان
النظر بريد الزنا ورائد الفجور
فبذره الهوى طموح العين
(ولا يبدن زينتهن) الزينة
ما زينت به المرأة من حلى
أو كحل أو خضاب والمعنى
لا يظهرن مواضع الزينة
وهي الحلى ونحوها مباح
فالمراد بمواضعها لاظهارها
مواضعها لاظهار اعيانها
ومواضعها الرأس والاذن

أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان ولمنفعة انزول بها واتقاء الحر والبرد والهواء الامتعتهم ما قيل بيوت
التجار وحواليتهم في الاسواق يدخلها البيع والشراء وهو منفعتهما فليس فيها استئذان وقيل هي جميع
البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لثلايطالع على عورة فان لم يخف ذلك جازله الدخول بغير
استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عملا يحل
النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنالالتبعض لانه لا يجب الغص عما يحل اليه النظر وانما
أمر وان يغضوا عما لا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفحاة
قال اصرف بصرك * عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم لعلى باعلى لا تتبصح النظرة النظرة
فان لك الاولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذى (م) عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة المرأة ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل في ثوب
واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عملا يحل قال أبو
العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضوع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر
الغير عليه فان قلت كيف أدخل من على غص البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع
الاترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن ونديهن واعضادهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات
في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكذلك ان أبيع
النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه فان قلت كيف قدم غص البصر على حفظ الفرج
قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبسوى فيه أشد ولا يكاد أحدي يقدر على الاحتراز منه (ذلك
أر كى لهم) أي غص البصر وحفظ الفرج (ان الله خبير بما يصنعون) أي انه خبير باحوالهم وأفعالهم
وكيف يحيون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل (وقل للمؤمنات
يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عملا يحل لهن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعندهم يوم نبت الحرت اذا قبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أفعمى وان أتمتأ أسمتا تبصرانه أخرجه الترمذى وأبو داود وقوله تعالى (ولا
يبدين) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغبير يحرم وأراد بالزينة الحفية مثل الخنخال والخضاب في الرجل
والسوارى والمعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر
اليها والمراد من الزينة النظار الى مواضعها من البدن (الما ظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبير
والضحك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن مسعودهى الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والحناتم
والخضاب في الكف فسا كان من الزينة الفاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمل
الشهادة ونحوه من الضرورت اذا لم يخف فتمت وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غص البصر ونما رخص في
هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضرن
بخمرهن) أي ليلقين بقاذبهن (على جيوهن) أي موضع الجيب وهو النحر والصدر أى ليسترن بذلك

والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدمج والسوار والخنخال شعورهن
(الما ظهر منها) الاماجوت العادة والجميلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان في سترها حرج بين المرأة لا تجددان من مزاولة
الاشياء يبدىها من الحاجة الى كشف وجهها نحو صافى الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى في الطرقات وظهور قدمها
وخاصة الفقيرات منهن (وليضرن) وليضرن من قولك ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه (بخمرهن) جمع خمار (على جيوهن)
بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت جيوهن واصعة تبدرونها صدورهن وما حوالها كون بسدرن الخمرن ورائهن فتبقى مكشوفة

فامر ان يسد لهما من قدامهن حتى تعطين (ولا يبدن زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (الا لبعوثهن) لآزواجهن جمع اجل (أو آباءهن) ويدخل فيهم الاجداد (أو آباء بعولتهن) فقد (٢٢٧) صاروا محارم (أو أبناءهن) ويدخل فيهم النوافل (أو أبناء بعولتهن) فقد صاروا محارم أيضا (أو أخوانهن أو بنى أخوانهن) ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة (أو نسائهن) أي الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر (أو ما ملكت أيمانهن) أي امائهن ولا يجعل بعدها أن ينظر الى هذه المواضع منها تحسبا كان أو عينيا أو خلا

وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور وعن عائشة رضي الله عنها انها أباحت النظر اليها لبعدها (أو التابعين غير بالنصب شامو بزيدوا بزكر اعلى الاستثناء والحال وغيرهم بالجرح على البدل أو على الوصفية (أولى الاربة) الحاجة الى النساء قيل هم الذين يتبعونكم ايصوبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم ليه لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء أو العنين أو الخصى أو الخنث وفي الاثر انه المحبوب والاقل الوجه (من الرجال) حال (أو الطفل الذين) هو جنس فصلح أن يراد به الجمع (لم يظهر واعلى عورات النساء)

شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطين فاختبرن بها المروط كساء من صوف أو خز وكان وقيل هو الارار وقيل هو اللزع (ولا يبدن زينتهن) يعني الخفية التي لم يجلهن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهي ماعد الوجه والكفين (الابعوثهن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والجمار الا لآزواجهن (أو آباءهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو بنى أخوانهن أو بنى أخواتهن) فيجوز لهن أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز لزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكرهه النظر الى فرجها (أو نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به انه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الاماين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تجرد من ثيابها عند الذميمة أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن والذميمة أو الكافرة ليست من نساءنا ولانها أجنبية في الدين فكانت أبعدهن من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمين وقيل يجوز أن تكشف المرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ما ملكت أيمانهن) قبل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وأن ينظر الى مولاه الاماين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القرآن بروي ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعبد قد وهبه لها على فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أولك وغلامك وقيل هو كلاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) قرئ غير نصب الرأه وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين الا اذا الاربة منهم فانهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذاربه وقرئ غير بالجرح على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيروا من فضل طعامهم لاهمة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الاحق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتمهن وقيل هو المحبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهرته وقيل هو الخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نساءه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بشان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكين فاحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت باربع أي ان لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأواد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها باليمن (أو الطفل الذين لم يظهر واعلى عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطامعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرهما من الصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي مالم يحتلم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها اسمع صوت خلتها أو يتبين خلتها فتهن عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلتال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد عدل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنهيه على ان الذي لاجله نهى عنه أن يعلم ما عليهن من الخلى وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) أي من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمره ونهيه كما عهده من الآداب المذكورة في هذه السورة قبل ان أوامر الله ونواهيته في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان

أي لم يطعموا العدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا طاع عليه ولم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقة خلتها فيعلم انما اذا تخلت فتهن عن ذلك اذا سمع صوت الزينة كاطهارها ومنه سمى صوت الخلى وسواها

(وتوبوا الى الله جميعا أية المؤمنون) أية شأى اتباعا للضمة قبلها بعد حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء ولان بعدها ألفا في التقدير (لعلكم تفحون) العبد لا يحل عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيها وان اجتهد فلذا وصي المؤمنون بما أتوا به وبتمأمل الفلاح اذا تاتوا وقيل أحوج الناس الى (٣٢٨) التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينفى الايمان (وانكحوا الاياى منكم)

ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصي المؤمنون بالتوبة والاستغفار ووعده بالفلاح اذا تابوا واستغفروا وذلك قوله تعالى (أية المؤمنون لعلكم تفحون) (م) عن الاعراب رضي بنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال ان كنا لنعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس يقول رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن جريد الكشى (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ﴿قوله عز وجل (وانكحوا الاياى منكم) جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لازوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أى من عبديكم (وامائكم) بيان حكم الآية الامر المذكور فى الآية أمر ندى واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب لمن نأق نفسه الى النكاح ووجد أهبتيه أن يتزوج وان لم يجد أهبتيه يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا ولو جاء بكسر الواو ارض الاثنين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم فى قطعته شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل * عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود ولو دوفانى مكاتربكم الامم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائى (م) عن عبد الله بن عمر و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا امتاع وخير مناعها المرأة الصالحة أما من لا يتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى قد ذكركم الله عبدا أكرمه فقال وسيدوا حصورا وهو الذى لا يأتى النساء ذكرا القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفى الآية دليل على ان تزوج الاياى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزوج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى هريرة وعائشة توبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وبرايم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاورامى وعبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد واسحق وجوز أصحاب الرأى للمرأة تزوج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة نديشة يجوز لها تزوج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولى شرط فى النكاح ما روى عن أبى موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكاح الابوى أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايم امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فله المهر بما استحل من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولى من لا ولى له ﴿قوله تعالى (ان يكونوا فقراء يعنهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجت ان يتغنى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يعنهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يعنهم الله من فضله وقال يتفرقا يعن الله كلاما من سعمته (والله واسع) أى انه ذو الافعال والجلود (عليم) أى بما يصلح خلقه من الرزق ﴿قوله تعالى (وليستعنف الذين لا يجحدون نكاحا) أى لى طلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجحدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يعنهم الله من فضله) أى يوسع عليهم من رزقه

الايامى جمع أيم وهو من لازوج له رجلا كان أو امرأة بكرا كان أو ثيبا وأصله أيام فقلت (والصالحين) أى الخيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرث ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامائكم) أى من غلامانكم وجواربكم والامر للنكاح اذا النكاح مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يعنهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين وفى الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (والله واسع) غنى ذوسعة لا يرزؤه اغناء الخلاق (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء وقيل فى الآية دليل على ان تزوج النساء والايامى الى الاولياء كما ان تزوج العبيد والاماء الى الموالى قلنا الر جل لا يلى على الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلى على المرأة الا باذنها لان الايم ينتظمهما (وليستعنف الذين) وليجتهدوا فى العفة كأن المستعنف طالب من نفسه العفاف (لا يجحدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر

والنفقة (حتى يعنهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع (والذين منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف ترتب هذه الاوامر فأمر أولياء (٦) قوله تشاحوا فى بعض النسخ اشبحر والاه مصحح

(ولا تسكروا فيما تكلم على البغاء) كان لابن أبي سب جوار معاذة ومسيكة وأميمة ومعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن
الضرائب فشككت ثنتان منهن الى (٣٣٠) رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكفي بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للامساء

عن مكاتبه من مال النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول عثمان وعلي والزبير وجاعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا
في قدر ما يحط فقبل يحط الرابع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال
الاخرون ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ماشاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما
له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطن وقال
سعيد بن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة ان يجز فيرجع اليه صدقته
ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم
من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب
وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حدث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيما اذا مات
المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا ولم يترك
وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعي
وأحمد وقال قوم ان ترك وفاء ما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الاحرار وهو
قوله عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة
يعتق بقاء المالك لان عتقه معلق بالاداء وقد وردت بعبه اولاده وأكسبه كفي الكتابة الصحيحة لان
الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسحقها ما لم يجزها المكاتب عن اداء النجوم وقوله تعالى (ولا تسكروا فيما تكلم)
أي اماءكم (على البغاء) أي الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي اسلول
يقول لجاريتيه اذهبي فابغينا شيئا قال فانزل الله ولا تسكروا فيما تكلم على البغاء ان أردن تحصنا وفي رواية
اخرى ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشككتا ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تسكروا فيما تكلم على البغاء الى قوله غفور رحيم وقال المفسرون
أنزلت في عبد الله بن أبي اسلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على
الزنا ضربية يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة
لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يتخول من رجھين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا
ان ندعه فانزل الله هذه الآية وروى ان احدي الجاريتين جاءت بهرد وجاءت الاخرى بيد ينار فقال لها ما
ارجع فانزينا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكنا اليه
فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على
سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية تفريح النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطافيه الثاني انما
شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانهما يتبعن بالطبع
طوعا الثالث ان ان بمعنى اذا أي اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكرههن على الزنا ان لم يردن
تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي اذا كنتم مؤمنين القول الرابع ان في هذه الآية تقدما
وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامي منكم ان أردن تحصنا ولا تسكروا فيما تكلم على البغاء (لتبتغوا) أي
لتطلبوا (عرض الحيوة الدنيا) أي من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن (ومن يكرههن) يعني على
الزنا (فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم) يعني بالمكروهات والوزر على المكروه وكان الحسن اذا قرأ هذه
الآية قال اهن والله لهن والله قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبینات) أي من الحلال والحرام (ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم) أي شبهان حالكم بحالهم أي المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من
كان قبلهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أي المؤمنین الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل

خاصة وهو مصدر لغت (ان
أردن تحصنا) تعققا عن
الزنا وانما قد يدم هذا الشرط
لان الاكراه لا يكون الا مع
ارادة التحصن فامر المطبعة
للبغاء لا يسمى مكرها ولا
أمره اكرها ولا نهانزات
على سبب وقوع النهي على
تلك الصفة وفيه توبيخ
للموالى أي اذا رغبت في
التحصن فانتم أحق بذلك
(لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا) أي لتبتغوا
باكرههن على الزنا
أجورهن وأولادهن (ومن
يكرههن فان الله من بعد
اكرههن غفور رحيم)
أي لهن وفي مصحف ابن
مسعود كذلك وكان الحسن
يقول لهن والله لهن والله
ولعل الاكراه كان دون ما
اعتبرته الشريعة وهو الذي
يخاف منه التالف فكانت
آية أولهم اذا تابوا (ولقد
أنزلنا اليكم آيات مبینات)
بتفتح الباء مجازي وبصري
وأبو بكر وجناد والمراد
الآيات التي بينت في هذه
السورة وأوضح في معاني
الاحكام والحدود وجازان
يكون الاصل مبیناتفا
فانبع في الظرف أي أجرى
بجسرى المفعول به كقوله
ولوم شهدناه وبكسرهما
غيرهم أي بينت هي

الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل * قد بين الصبح الذي عينين * (ومثلا من الذين خلوا) الله
من قبلكم (ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة تجسية من قصصهم كقصة يوسف ومرم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من
الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم هم ما رآه في دين الله لولا ان سمعتموه ولولا ان سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لناله أبدا (لامتقين)

أى هم المنتفعون بها وان كانت موعظة لكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدى الله نوره وقلنا يدكرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذنور السموات ونور السموات والارض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة شراقه وفسوا ضاءته حتى تضى له السموات والارض وجازان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أى صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة (مكشكوة) كصفة مشكاة وهى الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج (٣٣١) ضخم ناقب (المصباح في حاجة) في قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى (الزجاجة) كأنها كوكب درى) مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمر ووعلى كانه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وجمرة شبه في زهرته بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما (توقد) بالتخفيف جمرة وعلى أبو بكر الزجاجة وتوقد بالتخفيف شامى ونأفح وحفص وتوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح (من شجرة) أى ابتداء نقيه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالبته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أولانها نبتت فى الارض الستى بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة تعنتها (الاشرقية ولاغربية) أى منبتها الشام يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منها وهو الشام وأجود

(الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادى السموات والارض فهم بنوره الى الحق بهتدون ويهدى الله من حيرة الضلالة يخرجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه من السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والشجر وقيل معناه ان الانوار كلها مته وتوقد كره هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله عن مروليلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

(مثل نوره) أى مثل نور الله عز وجل فى قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره لذى أعطى المؤمن وقيل السكايه عائده الى المؤمن أى مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشرى بها وتفضيلا (مكشكوة) هى الكوة لى لمنفذ لها قيل هى بلغة الحبشة (فيها مصباح) أى سراج وأصله من الضوء (المصباح في حاجة) يعنى القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزبدى الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب درى) من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره فى تلك الحال وفى ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل درى أى شديد الانارة نسب الى الدر فى صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوا من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدرى أحد الكواكب الخمسة السيارة التى هى زحل والمريخ والمشترى والزهرة وعطارد وقيل شبه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانها ما يلحقهما الكد وفى بخلاف الكواكب (توقد) أى اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أى من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرح به ويدهن به وهو ادم وهو أصفى الادهان وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لانها هى الارض المباركة وهى شجرة لا يسقط ورقها عن أسيدن بن ثابت وأبى أسيد الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة أخرجه الترمذى وقوله (الاشرقية ولاغربية) أى ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولاغربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداء اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غربها فتكون شرقية غربية تارة فذا حظها من الامر من فيكون زيتها أضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست فى مقناة لان تصيبها الشمس ولا فى مضخة لا يصيبها الظل فهى لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معدلة ليست فى شرق يضرها الحر ولا فى غرب يضرها البرد وقيل معناه هى شامية لان الشام وسط الارض لاشرقى ولاغربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لو كانت فى الدنيا لكانت شرقية أوغربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضىء) أى من صفائه (ولولم تمسه نار) أى قبل ان تمسه النار (نور على نور) أى نور المصباح على نور الزجاجة

فى قنديل من زجاج شامى بكسر الزاى (الزجاجة) كأنها كوكب درى) مضى بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمر ووعلى كانه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وجمرة شبه في زهرته بأحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما (توقد) بالتخفيف جمرة وعلى أبو بكر الزجاجة وتوقد بالتخفيف شامى ونأفح وحفص وتوقد بالتشديد مكى وبصرى أى هذا المصباح (من شجرة) أى ابتداء نقيه من زيت شجرة الزيتون يعنى رويت ذبالبته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أولانها نبتت فى الارض الستى بورك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام (زيتونة) بدل من شجرة تعنتها (الاشرقية ولاغربية) أى منبتها الشام يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب بل فى الوسط منها وهو الشام وأجود

الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطامع عليه الشمس فى وقت شروقها أوغربها فقط بل تصيبها بالغداء والعشى جميعا فهى شرقية وغربية (يكاد زيتها يضىء) أى من صفائه (ولولم تمسه نار) أى قبل ان تمسه نار (نور على نور) أى هذا النور الذى شبه به الحق نور متضاعف قد تنافرت فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبقى بقية مما يقوى النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفائه وضرب المثل يكون بدنى محسوس معه ولا يعلى غير معين ولا مشهود فاقوتام لساق فى المامون

لاتسكروا ضربى له من دونه
 مثل اشرودا في الندى والباس
 فآله قد ضرب الاقل لنوره
 مثلا من المشكاة والنبراس
 (بمهدى الله لنوره) أى
 هذا النور الثابت (من
 يشاء) من عباده أى يوفق
 لاصابة الحق من يشاء من
 عباده بالهام من الله أو
 ينظره في الدليل (ويضرب
 الله الامثال للناس) تقريرا
 الى افهامهم ليعتبروا
 فيؤمنوا (والله بكل شئ
 عليم) فيبين كل شئ بما يمكن
 ان يعلم به وقال ابن عباس
 رضى الله عنه مثل نوره أى
 نور الله الذى هدى به المؤمن
 وقرأ ابن مسعود رجه الله
 مثل نوره في قلب المؤمن
 كمشكاة وقرأ أبى مثل نور
 المؤمن (في بيوت) يتعلق
 بمشكاة أى كمشكاة في بعض
 بيوت الله وهى المساجد
 كأنه قيل مثل نوره كما يرى في
 المسجد نور المشكاة التى من
 صفتها كبت وكبت أو توقد
 أى توقد في بيوت أو يسبح
 أى يسبح له رجا في بيوت
 وفيها تسكر فريسه فكيد
 تحوز بدنى الدار جالس فيها
 أو محذوف أى سحرافى
 بيوت (أذن الله) أى أمر
 (ان ترفع) تبنى كقوله بناها
 رفع سمكها فسواها واذرفع
 ابراهيم القواعد أو تعظم
 من الرفعة وعن الحسن
 ما أمر الله ان ترفع بالنساء

* (فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) * اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى
 ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجللاء الى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التى فيها
 زجاجة صافية وفى تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية فى الصفاء والرفعة والبياض فاذا كان كذلك
 كان كاملا فى صفائه وصلح ان يجعل مثالا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه
 وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه
 الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة
 هى شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك
 الزيت يضيء ولولم تمسسه نار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم
 والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله فيه لاشرقية ولا غربية لاهودى ولا نصرانى توقد من شجرة
 مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظى
 المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين سمي الله محمد مصباحا كما
 سماه سراج منيرا والشجرة المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لاشرقية ولا غربية
 يعنى ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى
 الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار تكاد يحاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى
 اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبى بن
 كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من
 شجرة مباركة هى شجرة الاخلاص لله وحده فثله مثل شجرة التف بهما الشجر فهى خضراء ناعمة نضرة
 لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شئ من الفتن فهو بين
 أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أى يكاد قلب
 المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبى أى فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور
 وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومعيه الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه
 في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك
 يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتية العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال
 الكلبى نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح
 هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فقهه ولسانه
 والشجرة المباركة شجرة المعرفة فى قلبه يكاد زيتها يضيء أى نور المعرفة يشرف فى قلب المؤمن ولولم تمسسه
 النار وقيل تكاد حجة القرآن تنضج وان لم يقرأ نور على نور يعنى القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من
 الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فاذا دأب بذلك نور على نور وقوله تعالى (بهدى الله لنوره من يشاء)
 قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أى يبين الله الاشياء للناس
 تقريرا الى الافهام وتسهيلا لسبل الادراك (والله بكل شئ عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أى ذلك
 المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله فى الارض تضيء
 لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الانبي الكعبة بناها
 ابراهيم واسمعيل فعلاها قبله وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أى تبنى
 وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر عن الانجاس والافذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن
 عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أى يصلى له فيها (بالغدو والآصال) أى بالعادة والعشى قال أهل

ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو عام في كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أى يصلى التفسير
 له فيها بالعادة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء من غدا وحده الغدو لان صلاته واحدة وفى الآصال صلوات والآصال

جمع أصل جمع أصل وهو العشى (رجال) فاعل يسبح يسبح شامي وأبو بكر وبسند إلى أحمد الظاروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدور رجال مرفوع بمبادل عليه يسبح أى يسبح له (لاتلهيمهم) لاتشغلهم (تجارة) فى السفر (ولايبيع) فى الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعدما علم لأنه أوغل فى الالهاء من الشراء لان الربح فى البيعة الراجعة (٣٣٣) متيقن وفى الشراء مضمون (عن

ذ كر الله) باللسان والقلب (واقام الصلاة) أى وعن اقامة الصلاة التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعمال والاصل اقوام فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذفت احدهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضاً عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فأسقطت وايتاء الزكوة) أى وعن (ايتاء الزكاة والمعنى لاتجارة لهم حتى تلهيمهم كولياء العزلة أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا اليها غير متعاقبين كولياء العشرة (يخافون يوماً) أى يوم القيامة ويخافون حال من الضمير فى تلهيمهم أوصفة أخرى لرجال (تقلب فيه القلوب) يبلوغها الى الخاجر (والا بصار) بالشخص والزرقة أو تقلب القلوب الى الايمان بعد الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزهم الله أحسن ما عملوا) يزيدهم من فضله) أى يسبحون ويخافون

التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء من لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسيب بالغدو وصلاة الضحى والاتصال صلاة العصر عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهر الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسيب الضحى لا يعنيه الا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا يغوي بينهما ما كتب فى عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر فى هذه المساجد لان النساء ليس علمهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لاتلهيمهم) أى لاتشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولايبيع) أى ولايشغلهم بيع (عن ذ كر الله) أى حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلاة) يعنى اقامة الصلاة فى وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقبى الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق فاقيمت الصلاة فقام الناس وأغلغوا حوائثهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية برجال لاتلهيمهم تجارة ولايبيع عن ذ كر الله واقام الصلاة (وايتاء الزكاة) يعنى المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لا يحبسونها (يخافون يوماً) يتقلب فيه القلوب والابصار) يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذ كر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته قيل ان القلوب تضرب من الهول والفرح وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتخشى الهلاك وتطمع فى النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اى ناحية يؤخذهم من أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم من قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب فى الجوف فيرتفع الى الخجرة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدة (ليجزهم الله أحسن ما عملوا) يعنى انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهى الطاعات فرضها ونفلها وذ كر الاحسن تنبيهاً على انه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة الى سبع مائة ضعف (و يزيدهم من فضله) يعنى انه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلاً لحال المؤمن وانه فى الدنيا والآخرة فى نور وانه فائر بالنعيم المقيم اتبعه بضر مثلاً لاجمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر فى البرارى يظنه من رآه ماء فاذ قرب منه لم ير شيئاً والبقعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب (بحسبه) أى يتوهمه (الظلمات) أى العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيئاً) أى لم يجده على ما قدر وظنه ووجه التشبيه ان الذى يأتى به الكافر من أعمال البر يعتقد انه ثواب عند الله وليس

ليجزهم الله أحسن جزاء أعمالهم أى ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً يزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى يثيب من يشاء ثواباً لا يدخل فى حساب الخلق هذه صفات المهتمدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه فإلذ كورن فى قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى فى القلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الارض كنه ماء يجرى (بقية) بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كبحر فى جاز (بحسبه الظلمات) يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء الى ما توهم انه ماء (لم يجده شيئاً) كظنهم

(ووجد الله) أي جزاء الله كقولنا نجد الله فلوراز حيا أي نجد معقره ورجته (عنده عند الكافر) (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاءه وادبا
 كاملا وحدث بعد تقدم الجمع جلا على كل واحد من الكفار (والله سربع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى عدو عقبه ولا يشغله حساب عن حساب
 أو قريب حسابه لأن ما هو أقرب إليه مما يعمل من لا يعتد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه
 من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمهه و يلقى خلاف ما قدر يسراب براه الكافر بالساهر وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسب به ماء فيأتيه فلا يجد
 ما رجاه ويجزى بانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الجيم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهـ سم يحسبون أنهم
 يحسنون صنعا قبل ثلاث في عتبة بن (٣٣٤) ربيعة بن أمية كان يترهب ماتم الذين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات في بحر)

كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم
 فعظمت حسرتة وتناهى غمه فشب به حاله بحال الظلمات الذي اشتدت حاجته إلى الماء فاذا شاهد السراب
 في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر يحسب ان عمله نافع فاذا احتاج إلى عمله لم يجده
 انغى عنه شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء
 عمله (والله سربع الحساب) معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب
 للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى ان أعمال الكفار ان كانت حسنة
 فهي كسراب ببيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل أعمالهم في فسادها ووجهها التهم فيها
 كظلمات (في بحر لحي) أي عميق كثير الماء ولجة البحر عظمه (يعشاه) أي يعالوه (موج من فوقه موج)
 أي متراكم (من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللحي يكون قعره مظلم جدا بسبب
 عمورة الماء فاذا تراكفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحب بلغت الظلمة النهاية القصوى
 (اذا أخرج يده لم يكدرها) أي لم يقر بان يراها الشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت
 البدم أقرب شيء يراه الانسان قال لم يكدرها لوجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر
 وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل
 شبه بالبحر اللحي قلبه وبالموج ما يتعشى قلبه من الجهل والشك والخير وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال
 أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى
 الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله نورا فلما من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دية
 وإيمانا فلا دين له وقيل من لم يهد الله فلا هادي له قبل ثلاث هذه الآية عامة في حق جميع الكفار قوله
 الدين في الجاهلية وليس الموح فلم اجاء الاسلام كفر وعاندوا الاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار قوله
 عز وجل (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أي باسطات أجنحتهن في الهواء وقيل
 خص الطير بالذكركر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في
 السموات والارض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قيل الصلاة لبني آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب
 اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح
 منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليهم بما يفعلون والله ملك السموات والارض) أي ان جميع الموجودات
 ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها
 أحد سواه (والى الله المصير) أي والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى (ألم تر أن الله يترجم إلى
 يسوق (سحابا) بامرهم إلى حيث يشاء من أرضه وبلادهم) ثم يؤول بينه) أي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة

أو هنا كافي أو كصيب
 (لحي) عميق كثير الماء
 منسوب إلى اللحي وهو معظم
 ماء البحر (يعشاه) يغشى
 البحر أو من فيه أي يعالوه
 و يغطيه (موج) هو ما
 ارتفع من الماء (من فوقه
 موج) أي من فوق الموج
 موج آخر (من فوقه
 سحب) من فوق الموج
 الاعلى سحب (ظلمات)
 أي هذه ظلمات ظلمة
 السحاب وظلمة الموج وظلمة
 البحر (بعضها فوق بعض)
 ظلمة الموج على ظلمة البحر
 وظلمة الموج على الموج وظلمة
 السحاب على الموج (اذا
 أخرج يده) أي الواقع فيه
 (لم يكدرها) مبالغة في لم
 يرها أي لم يقر بان يراها
 فضلا عن أن يراها شبه
 أعمالهم وألوا في فوات نفعها
 وحضور ضررها يسراب لم
 يجده من خده من بعيد
 شيئا ولم يكفه حسبه وكذا ان
 لم يجده شيئا كغيره من
 السراب حتى وجد عنده

التي بانية تعمله إلى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها الكون باطالة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لبحر والامواج بعضها
 والسحاب (ومن لم يجعل الله نورا فلما من نور) من لم يهد الله لم يهد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
 فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل (ألم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات
 والارض والطير) عطف على من (صافات) حال من الطير أي يصفقن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلاته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو
 لله وكذا في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعث أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يحدون
 اليها (والله عليهم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (والله ملك السموات والارض) لأنه خالقهم او من ملك شيئا فستملكها به (والى الله المصير)
 مرجع الكل (ألم تر أن الله يترجم إلى يسوق إلى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤول بينه) وتذكر كبيرة للفظ أي يضم بعضها إلى

بعض (ثم يجعله ركنا) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فوقه ويخرج منه جمع خلال كجبال في جبل (وينزل) وينزل منى ومدنى وبصرى (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من جبال) من للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من برد) للبيان أو الاوليان للابتداء والآخر للتبعض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أي بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يتخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر أو بردا كثيرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أي يصيب الانسان وزرعته (و يصرفه من يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء و يصرفه عن يشاء فلا يذبه (يكاد سنا برقه ضوءه) (٣٣٥) (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقاب الله الليل والنهار) يصر فهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك في) ارجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقلب الليل والنهار (لعبرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعدد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكر فهدى براهين لانتحة على وجوده دلالات واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لاننا شاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه رجا ونحوه وخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينة فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أي كالحيتان والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعني مثل بنى آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) يعني كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم يستعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ الا ترى بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعاً وأولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم العجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشى وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشى على أكثر من أربع كالعنكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاعجاب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمدت على أربع في المشى والباقي تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل

بعضها لى بعض (ثم يجعله ركنا) أي مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو بخارج العقار (و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) قبل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجسس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيها ملكه وأمواله (ويصرفه عن يشاء) أي فلا يصرفه (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوءه ويصرفه عن (يقاب الله الليل والنهار) أي يصر فهما في اختلافهما وتعاقبهما فبأنى بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر و يذمونه في أشعارهم فقبل لهم لانسبو الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لاولى الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده ﴿الله خلق كل دابة من ماء﴾ أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لاننا شاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه رجا ونحوه وخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينة فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أي كالحيتان والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعني مثل بنى آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) يعني كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم يستعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ الا ترى بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعاً وأولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم العجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشى وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشى على أكثر من أربع كالعنكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاعجاب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمدت على أربع في المشى والباقي تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل

بعضها لى بعض (ثم يجعله ركنا) أي مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه وهو بخارج العقار (و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) قبل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجسس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أي البرد (من يشاء) فيها ملكه وأمواله (ويصرفه عن يشاء) أي فلا يصرفه (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أي من شدة ضوءه ويصرفه عن (يقاب الله الليل والنهار) أي يصر فهما في اختلافهما وتعاقبهما فبأنى بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر و يذمونه في أشعارهم فقبل لهم لانسبو الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم وقوله تعالى (ان في ذلك) أي الذي ذكر من هذه الاشياء (لعبرة لاولى الابصار) أي دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده ﴿الله خلق كل دابة من ماء﴾ أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لانا لاننا شاهدهم وقيل ان أصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه رجا ونحوه وخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينة فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أي كالحيتان والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعني مثل بنى آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) يعني كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم يستعمل في غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ الا ترى بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعاً وأولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم العجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشى وهي الارجل والقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على أربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشى على أكثر من أربع كالعنكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاعجاب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمدت على أربع في المشى والباقي تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل

بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وهذا دليل على ان لها خالقاً ومديراً والالم تختلف لاتفق الاصل وانما عرف الماء في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي لان العصور ثم ان أجناس الحيوان نخلق لوقت من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخلت بينه وبينها وسائط قالوا ان أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض ولما كانت الدابة تشبه المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مبرزون فن ثم قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت وسمي الزحف على البطن مشياً استعارة كما يقال في الامر السمر قد مشى هذا الامر أو على طرائق المشاكلة كذا الزاحف مع الماشين (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم وقد مدها وأعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشى من أرجل أو غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (يخلق الله ما يشاء) كيف يشاء (ان الله على كل

شي قد ير) لا يعذر عليه شيء (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء) بلطفه ومبشبهه (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذي لوصل
الى جنته والآيات لازام محتمة لاذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهر او كذبت باطناً وهم المنافقون
وفرقة صدقت ظاهر او باطناً وهم المخاصون وفرقة كذبت ظاهر او باطناً وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون
آمننا بالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أى من
بعد قولهم آمننا بالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخلصين وهو إشارة الى القائلين آمننا وأطعنا الى الفريق المتولى وحده
وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتفع عنهم الايمان لا اعتقادهم باعتقدهم ولا الاعراض وان كان من بعضهم فالرضا بالاعراض من كلهم
(واذ ادعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريديك زيد (الحكم) الرسول (بينهم اذا فريق منهم معرضون)
أى فاجامن فريق منهم الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصم في أرض فعمل اليهودي بحره الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمداً يخيف علينا (وان يكن لهم الحق) أى اذا كان الحق لهم على غيرهم (ياأنا اليه
الى الرسول) مدعنين) حال أى (٣٣٦) مسرعين في الطاعة طلباً للحقهم لارضا بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى

شي قد ير) أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنع ما منع
ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله
يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه وجنته
قوله تعالى (ويقولون) يعنى المنافقين (آمننا بالله وبالرسول وأطعنا) أى يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد
(ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمننا ويدعوا الى
غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودى
خصوصة فى أرض فقال اليهودى تخافكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل تخافكم الى كعب بن
الاشرف فان محمداً يخيف فانزل الله هذه الآية (واذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول ليحكم
بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق ياأنا اليه
مدعنين) أى مطيعين متقادين لحكمه أى اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لثقتهم انه كما
يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً (أفى قلوبهم مرض) أى كفر وفاق (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا
استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يخيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل أولئك هم
الظالمون) أى لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله الى
الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو
(ان يقولوا سمعنا وأطعنا) أى بالاجابة (وأولئك) أى من هذه صفته (هم المفطخون ومن يطع
الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى ما عمل من الذنوب (ويتقه) أى فيما بعد
(فأولئك هم الفاترون) أى الناجون قوله تعالى (واقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن
يخلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئاً (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أمت أقتنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما

انهم لم عرفتهم انه ليس معك
الا الحق المر والعدل البحت
يتمنعون عن المحاكمة اليك
أذركهم الحق لثلاثتترعه
من أحد اذقتهم بقضائك
عليهم لخصوهم وان ثبت
لهم حق على خصم أسرعوا
اليك ولم يرضوا الا بحكمه وتمتلك
لتأخذ لهم ما وجب لهم في
ذمة الخصم (أفى قلوبهم
مرض أم ارتابوا أم يخافون
ان يخيف الله عليهم ورسوله)
قسم الامر في صدورهم
عن حكومته اذا كان الحق
عليهم بان يكونوا مرضى
القلوب منافقين أو
مرتابين فى أمر ربوته أو
خائفين الخيف فى قضائه
ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله
(بل أولئك هم الظالمون)

أى لا يخافون أن يخيف الله عليهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس نزل
رسول الله عليه الصلاة والسلام فى ثم يأبون المحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب اقوى لان أولى الاسمين
بكونه اسم السالك أو غلها فى التعريف وان يقولوا أو غل بخلاف قول المؤمنين (اذ ادعوا الى الله ورسوله ليحكم) النبى عليه الصلاة والسلام
ليحكم أى ليفعل الحكم (بينهم) يحكم الله الذى أنزل عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله (وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفطخون) الفاترون (ومن
يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) فى سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفاترون) وعن بعض
المولك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهى جامع لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أو يعمر وواو بكر بنية الوقف وبسكون القاف
وبكسر الهاء مختصة بخص و بكسر القاف والهاء غيرهم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين لانهم بذلوا فيها
جهدوهم وجهدهم مستعاز من جهد نفسه اذ بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ فى اليمين وبلغ غاية شدتها وكادتها عن ابن عباس رضى الله
عنه من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهداً لغذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضع مضاف الى
المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهد يمينهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى لئن أمرنا بمحمد بالخروج

الى الغزو لغزونا و اوبالخر و ج من ديارنا لخر جنا (قل لا تقسموا) لا تخلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل و اولي بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة مع اومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص من المؤمنين لا ايمان تقسمون بها فأوهكم و قلوبكم على خلافها (ان الله خبير بما تعملون) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفي عليه شيء من سرايركم وانه فاضحكم لا تخالجه و يحازركم على نفاقكم (قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ في تبكيتم (فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم) يريد فان تولوا فاضر رتموه و انما ضرر رتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى و كافه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهده تسكينه و اما أنتم فعليكم ما كلفتم من التقى بالقبول و الاذعان فان لم تفعلوا و توليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله و عذابه (وان تطيعوه تهتدوا) أي وان اطعتموه فيما يأمركم و ينهىكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم و النفع عائدان اليكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وما على الرسول الا أن يبلغ ما له نفع في قلوبكم و لا عليه ضرر في توليكم و البلاغ بمعنى التبليغ كالأدعية بمعنى التأدية و المبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات و المعجزات (٣٢٧) ثم ذكر المخلصين فقال (وعد الله الذين

آمنوا منكم و وعدنا
الصالحات) الخطاب للنبي
عليه الصلاة والسلام و بان
معه و منكم للبيان و قيل
المتراد به المهاجرون و من
للتبعية (ليستخلفنهم في
الارض) أي ارض الكفار
و قيل أرض المدينة و الصحيح
انه عام لقوله عليه الصلاة
و السلام ليدخلن هذا
الدين على ما دخل عليه الليل
(كما استخلف) استخلف أبو
بكر (الذين من قبلهم
و ليتمكن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم و ليدلهم)
و ليدلهم بالتخفيف مكي
و أبو بكر (من بعد خوفهم
أمننا) وعدهم الله أن ينصر
الاسلام على الكفر و يورثهم
الارض و يجعلهم فيها
خلفاء كما فعل بيني اسرائيل
حين أورثهم مصر و الشام

نزل بيان كراهتهم لحكم الله و رسوله قالوا النبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا و أموالنا و نسايتنا لخر جنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لهم (لا تقسموا) أي لا تخلفوا و تم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أي هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة أي امر عرف منكم انكم تكذبون و تقولون ما لا تفعلون و قيل معناه طاعة معروفة بنسبة خالصة أفضل و أمثل من غيري باللسان لا توافقها الفعل (ان الله خبير بما تعملون) أي من طاعتكم بالقول و مخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول) يعني بقلوبكم و صدق نياتكم (فان تولوا) أي عرضوا عن طاعة الله و رسوله (فانما عليه) أي على الرسول (ما حمل) أي ما كلف و أمر به من تبليغ الرسالة (و عليكم ما حملتم) أي ما كلفتم من الاجابة و الطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) أي تصيبوا الحق و الرشدي طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ الواضح المبين ﴿ قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه و أمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصحبون و يحسون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة و أمروا بالقتال و هم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتى علينا يوم نأمن فيه و نضع السلاح فانزل الله هذه الآية و معنى ليستخلفنهم و الله ليورثنهم أرض الكفار من العرب و النجم جعلهم ملوكها و ساستها و ساكنها (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود و سليمان و غيرهما من الانبياء و كما استخلف بنى اسرائيل و اهالك الجبابرة بمصر و الشام و أورثهم أرضهم و ديارهم (و ليتمكن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها و يظهر دينهم على سائر الاديان (و ليدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمنين (لا يشركون بي شيئا) فانتجز الله وعده و أظهر دينه و نصر أوليائه و أبدلهم بعد الخوف أمنا و بسط في الارض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذا ناه رجل فشقك اليه الفاقة ثم أتاه آخرفشك كالقمة السيل فقال يا عدي هل رأيت الخيرة قلت لم أرها و لقد أنبت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظائمة ترحل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله قلت فيما بيني و بين نفسي فأين دعا رطبي الذين قد سعروا بالبلاد و لن طالت بك

(٤٣ - (خازن) - ثالث) بعد اهلاك الجبابرة و ان يميز الدين المرتضى و هو دين الاسلام و تمكينه تثبيتته و تعضيده و ان يؤمن سرهم و يزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه و ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين و لم يهاجروا كانوا بالمدينة يصحبون في السلاح و يحسون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه و نضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لا تغربون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظمي محتميا ليس معه حديدة فانتجز الله وعده و أظهرهم على خيرة العرب و اقتحموا بعد بلاد المشرق و المغرب و مرقوا مالكا كاسرة و ملوكا خزانهم و اسسوا على الدنيا و القسم المتلقى باللام و النون في ليستخلفنهم محذوف تقديره و عددهم الله و أقسم ليستخلفنهم أو نزل و وعد الله في تحفة منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدونني) ان جعلته استئنافا فلا محل له كانه قيل ما لهم يستخلفون و يؤمنون فقال يعبدونني و يجوز ان يكون حالا بدل من الحال الاولى و ان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فجعله النصب (لا يشركون بي شيئا) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني و محذوف يجوز ان يكون حالا بدل من الحال الاولى

(ومن كفر بعد ذلك) أي بعد الوعد (٣٣٨) والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله (فأولئك هم الفاسقون) هم الكاملون

حياة لفتح كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لثرت من
الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليأقن الله أحدكم
يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقول ألم أبعث اليك رسولا قبلك فيقول بلى يا رب
فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى
إلا جهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمر حتى لم يجد شق تمر
فيكامة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكانت
فحين افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لثرتون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج
الرجل ملء كفه ذهبا الخ وفي الآيات دليل على صحة خلافة أبي بكر خلافة الراشدين بعده
لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين
وظهور الدين عن سفينه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم
تكون ملكا ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة
وعلى ستا قال على قلت لحجاد القائل اسعبد امسك سفينه قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ
قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة
أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث
وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ولهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته
فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الاربعه تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وملك ثلاثين سنة
بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به
كفران النعمة ولم ير الكفر بالله (فأولئك هم الفاسقون) أي العاصون قال أهل التفسير أول من
كفر بهذه النعمة ومحمد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا
يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أراد يقتل عثمان جاء عبد الله بن سلام
فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خيرى منك
داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان الله سيفمغمو داوان الملائكة قد جاؤا رتكم في بلدكم هذا
الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فآله الله في هذا الرجل ان تغتولوه فوالله ان قتلتموه لتطردن
جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا
عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فاقفل نبي قط الاقتل به سبعون ألفا ولا خليفة الاقتل به
خمس وثلاثون ألفا ﴿ قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحون) أي
افعلوا هذه الاشياء على رجاى الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أي فائتين عنا (فى الارض وماؤاهم
النار ولبئس المصير) ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن
عباس وجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمر والى عمر بن الخطاب وقت
الظاهرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحاله كرهه عمر رؤيته عند ذلك فأمر أن يترك هذه الآية وقيل نزلت فى أسماء
بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
خذ منا وغلامنا نبادخولن علينا فى حال نكرها فأمر الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اليستأذنكم الذين ملكت
أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو
الأولى الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعنى الاحرار وليس المراد
منهم الذين لم يظهر واعلى عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهوسن
التمييز والعقل وغيرهما وانفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلافه وافيها اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتمل

فى فسقهم حيث كفروا
تلك النعمة الجسيمة
وجسر واعلى غمطها قالوا
أول من كفر هذه النعمة
قتله عثمان رضى الله عنه
فاقتتلوا بعدما كانوا اخوانا
وزال عنهم الخوف والآية
أوضح دليل على صحة خلافة
الخلفاء الراشدين رضى
الله عنهم أجمعين لان
المستخلفين الذين آمنوا
وعملوا الصالحات هم هم
(وأقيموا الصلوة) معطوف
على أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ولا يضر الفصل
وان طال (وأتوا الزكوة
وأطيعوا الرسول) فيما
يدعوك اليه وكررت طاعة
الرسول تأكيد الوجوبها
(لعلكم ترحون) أى لى
ترجوا فانهم امن مستحلبات
الرحمة ثم ذكر الكافرين
فقال (لا تحسبن الذين
كفروا معجزين فى الارض)
أى فائتين الله بان لا يقدر
عليهم فيها فالتاء خطاب
لنبي عليه الصلاة والسلام
وهو الفاعل والمفعولان
الذين كفروا ومعجزين
وبالياء شامى وجزء والفاعل
النبي صلى الله عليه وسلم
انتم قدم ذكره والمفعولان
الذين كفروا ومعجزين
(وماؤاهم النار) معطوف
على لا تحسبن الذين كفروا
معجزين كأنه قيل الذين
كفروا والآية وتون الله

ومأواهم النار (ولبئس المصير) أى المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا اليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بان يستأذن العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخلفها

فقال

(ثلاث مرات) في اليوم واليلة وهي (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب وليس ثياب
القطنة (وحين تذهب ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القبط لانها وقت وضع الثياب للقبولة (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت
التجرد من ثياب البقطة والالتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أي هي أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفي
غير محقق بدلا من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وسمي كل واحد من هذه الاحوال عورة لان الانسان يحتمل تسرته فيها والعورة الخلال
ومنها العورة المحتسل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدحج بن عمرو وعلي عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو قائم وقد انكشف عنه ثوبه
فقال عمر رضي الله عنه وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية
ثم عزهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح (٣٣٩) بعدهن) أي لانهم عليكم ولا على المذكورين

في الدخول بغير استئذان
بعدهن ثم بين العلة في ترك
الاستئذان في هذه الاوقات
بقوله (طوافون عليكم)
أي هم طوافون بجوانح
البيت (بعضكم) مبتدأ
خبره (على بعض) تقديره
بعضكم طائف على بعض
فحذف طائف للدلالة
طوافون عليه ويجوز أن
تكون الجملة بدلا من التي
قبلها وأن تكون مبينة
مؤكدة بمعنى انكم وبهم
حاجة الى المخالطة والمداخلة
يطوفون عليكم للخدمة
وتطوفون عليهم للاستخدام
فلو حزم الامر بالاستئذان
في كل وقت لافضى الى
الحرج وهو مدفوع في
الفسر بالنص (كذلك
بين الله لكم الآيات) أي
كأين حكم الاستئذان بين
لكم غيره من الآيات التي
احتجتم الى بيانها (والله
عليم) بمصالح عباده (حكيم)
في بيان مراده (واذا بلغ
الاطفال منكم) أي الاحرار

فقال أبو حنيفة لا يكون بالغاحتي يبالغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال
الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأجدى الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكافوا وتجري عليه الاحكام وان
لم يحتمل (ثلاث مرات) أي ليستأذون في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة)
أي وقت القبيل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلو وضع
الثياب فرغما يبدي ومن الانسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فأمرهم بالاستئذان في هذه
الاقوات وغير العبيد والصبيان يستأذون في جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات
لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو وعورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبيد والخدم والصبيان (جناح)
أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعده هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي
العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أي يطوف
بعضكم على بعض (كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها
منسوخة حتى ذلك عن سعيد بن المسيب روي عكرمة أن نفا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى
في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لئلا تنسوا أن تقولوا
أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب السرور وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا
حجاب فرمى ما دخل الخادم أو الولد أو يقيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك
العورات لئلا يفتاهم الله بالسرور والخير فلم يأخذوا يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد
فراي ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روي سفیان عن موسى
ابن أبي عانسة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أم منسوخة هي قال لا والله
قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت
والله ما نسخت ولكنها ما تمهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بها هذه الآية وقوله ان
أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بية او إذا حضر القسمة أولو القربى الآية وقوله عز وجل
(واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذون في جميع
الاقوات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الاحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته)
أي دلالاته وقيل أحكامه (والله عليم) أي بأمر وخلق (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن
الرجل على أمه فاما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أن يستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل
رأيت منها ما تذكره قوله (والقواعد من النساء) يعني اللاتي يعدن عن الحيض والولادة من الكبر فلا

دون المالك (الحلم) أي الاحتلام أي اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي
الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكر وامن قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا
الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن
وجب ان يفطموها عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا بالذن والناس
عن هذا فانزلون وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلاث آيات مجدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وتعن
سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة وقوله (كذلك بين الله لكم آياته والله عليم) فيما بين من الاحكام (حكيم) بمصالح
الانام (والقواعد) جمع فاعدا لانهم من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أي اللاتي يعدن عن الحيض والولادة الكبرهن (من النساء)

مروا بذلك فاما الاثنان فقد غلب الشخ على الناس فلا يؤكل الا باذن (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا) مجتمعين (واشتاناً) متفرقين
جمع شت نزلت في بني ابيث بن عمرو وكانوا يخرجون ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منظر انهم اره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل
ضرورة أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم - ضيف لاياً يكون الامع ضيفهم أو تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل
وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتنا) من هذه البيوت لنا كوا (فسلموا على انفسكم) أي فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة أو بيوتنا فارغة أو مسجد افقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلموا لانها في معنى تسليمها نحو قعدت جلوسا
(من عند الله) أي ثابتة بامر مشروعة من لدنه أولان التسليم والتحية طلب سلامة (٣٤١) وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله

طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح ان تأكلوا من منازل هؤلاء اذا
دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تترددوا وتحملوا (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً أو اشتاناً) نزلت
في بني ابيث بن عمرو وهم حرمي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجده ضيفاً يأكل معه فربما قعد
الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ابلها حتى
يأتي من يشار به فاذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوى قرابته
وصداقته فمدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجزع أي اخرج ان أكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه
الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا
كيف شاؤوا جميعاً أي مجتمعين أو اشتاناً أي متفرقين (فاذا دخلتم بيوتنا فسلموا على انفسكم) أي ليسلم
بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه ليسلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم
على أهالك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتنا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت
أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله
وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتنا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة
والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي عن الله أمره
ونهيه وآدابه ﴿قوله عز وجل﴾ (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً أي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجتمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور
في أمر نزل (لم يذهبوا) أي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنه) قال المفسرون كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم
يخرج حتى يقوم بحبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن
شأه منهم قال مجاهد واذا نال الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون
مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا
اذ لم يكن حدث سبب جمعه من المقام فان حدث سبب جمعه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض امرأة
منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنونك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فاذن ان شئت منهم) أي في
الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن (واستغفر لهم الله) أي ان رأيت لهم عذراً في
الخروج عن الجماعة (ان الله غفور رحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء

(مباركة طيبة) وصفها
بالبركة والطيب لانها دعوة
مؤمن لمؤمن برحمة من
الله زيادة الخير وطيب
الرزق) كذلك بين الله لكم
الآيات لعلكم تعقلون
لحي تعقلوا وتفهموا (انما
المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله واذا كانوا معاً على
أمر جامع) أي الذي يجتمع
له الناس نحو الجهاد
والتدبير في الحرب وكل
اجتماع في الله حتى الجمعة
والعديد (لم يذهبوا حتى
يستأذنه) أي ويأذن لهم
ولما أراد الله عز وجل ان
يربهم عظم الجناية في
ذهاب الذاهب عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بغير اذنه اذا كانوا معاً
على أمر جامع جعل ترك
ذهابهم حتى يستأذنه
ثالث الايمان بالله والاعيان
برسوله وجعلهما كالشبيب
له والبساط لذكره وذلك
مع تصدير الجملة بانما ويقاع
المؤمنين مبتدأ فخبر اعنه
بوصول أحاطت صلته

بذكر الايمان ثم عقبه بما يزيد فوكيداً ونشيداً حيث عاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله) وضمنه شيئاً آخر وهو انه جعل الاستئذان كالصدقات لجهة الايمان وعرض بحال المنافقين وتسللهم لو اذا (فاذا استأذنونك)
في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم)
وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان افضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي ان يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدمهم في الدين والعلم
يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قبل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير استئذان (لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعاء

بعضكم بعضاً) أي إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمور فدعاكم فذلتوا تفر بواضعه ولا يابذونه ولا يقبلوه وادعاهم أي كما على دعاء بعضكم بعضاً ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا أسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي سمى به أبواه فلا تقولوا يا محمد. وداكن يأنى الله يارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلاً قليلاً (منكم لو إذا) حال أي ملاوذين اللواذ والملاوذة هوان يلوذ هذا بذلك وذلك أي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه وما أريد أن خالفكم إلى ما أنتم عليه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه والضمير في أمره لله سبحانه وألزر رسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومقول يحذر (أن تصيبهم فتنة) محنت في الدنيا أو قتل أو لزال وأهوال أو تسلط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو اسباغ النعم استدرجا ر أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة والآية تدل على أن الأمر للإيجاب (الآن الله ماني السموات والأرض) ألا تنبيه على أن (٣٤٢) لا يخالفوا أمر من له ماني السموات والأرض (قد يعلم ما أنتم عليه) أدخل قلباً كدعله بما هم عليه من الخاطئة عن الدين

بعضكم بعضاً) قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول أحذروا دعاء الرسول إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعائه غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد يا عبد الله ولكن نغموه وعظموه وشرفوه وقولوا يأنى الله يارسول الله في لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم لو إذا) أي يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قبل كانوا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفين وقال ابن عباس لو إذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يتقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعال (الآن الله ماني السموات والأرض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الإيمان والتفاني (ويوم يرجعون إليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلوهن الغزل وسورة التوراة أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

* تفسير سورة الفرقان وهي مكية وسبعون آية وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفاً *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظيم (الذي نزل الفرقان) أي القرآن سماه فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالشدائد تكثيراً للتقريب (على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للانس والجن (نذيراً) قيل هو القرآن وقيل التذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والأرض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولداً) أي هو الفرد في وحدانيته وفيه جزائهم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفى عليه خافية وروى ان ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم

و يرجع تو كيد العلم الى تو كيد الوعيد والمعنى ان جميع ماني السموات والأرض مختص به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها (ويوم يرجعون إليه) وبقض الباع وكسر الجيم يعقوب أي ويوم يعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة وانحطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه ويجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما و يرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا) بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق

وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم * (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد خبره وتكاثروا تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدق فرقة بين الشبهين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لخصه له بين الحق والباطل والحلال والحرام أولانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا مفصلا بين بعضه وبعض في الأزل الأخرى إلى قوله وقرأنا نافرقتاه لتقرأ على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعجوز الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيراً) أي مخوفاً أو نذيراً كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على أنه خير مبتدأ محذوف أو على الأبدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعاليل له فكان المبدل منه يتم الابيه أو نصب على المدح (له ملك السموات والأرض) على الخلوص (ولم يتخذ ولداً) كإزعم اليهود

والنصارى في عزير المسيح عليهم السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كزعمت الشنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله
 الجورس والشنوية من النور والظلمة وزدان واهر من ولا شبهة فيعلم يقول ان الله شيء ويقول بخلق القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا
 يكون مفعولا له على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقرينته وخلق وهذا أوضح دليل لان المعزلة في خلق أفعال العباد (فقدرة تقدر برا)
 فهماء لما يصلح له لا يخل فيه كانه خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه فقدرة لا تكليف والمصالح المنوطه في الدين والدنيا وقدره للبقاء
 الى أمدمع - يوم (واتخذوا) الضمير لا كافر بل اندراجهم تحت العالمين اولدلالة نذر عليهم لانهم المنذرون (من دونه آلهة) أي الاصنام
 لا يخلقونه شيئا وهم بخلقه (ون) أي انهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالالهية والملك والخلق والتقدير عبادة مخزفة لا يقدر على خلق شيء وهم
 يتخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) امانة (ولا حياة) أي
 احياء (ولانشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء زعم عابديها (وقال الذين كفروا ان (٣٤٣) هذا) ما هذا القرآن (الافك) كذب
 (افتراه) اختلقه واخترعه

محمد من عند نفسه (وأعانه
 عليه قوم آخرون) أي
 اليهود وعداس ويسار
 وأبو فكيهة الرومي قاله النضر
 ابن الحرث (فقد جاؤا ظمما
 وزورا) هذا الخبر من الله
 رد الكفرة فير جمع الضمير
 الى الكفار وجاء يستعمل
 في معنى فعل فيعدى تعديتها
 أو حذف الجار وأوصل
 الفعل أي بظلم وزور
 وظلمهم ان جعلوا العربي
 يتلقن من العجمي الرومي
 كلاما عربيا أعجز بفصاحته
 جميع فصحاء العرب والزور
 ان بهتوه بنسبة ما هو بريء
 منه اليه (وقالوا أساطير
 الاولين) أي هو أحاديث
 المتقدمين وما سطره كرستم
 وغيره جمع أساطير واسطورة
 كحدوثه (اكتنبا) كتبها
 لنفسه (فهى على عليه)

رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الشنوية وعباد الاصنام
 (وخلق كل شيء) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدرة تقدر برا) أي سواه وهي ما يصلح له لا يخل فيه ولا
 تفاوت وقيل قدر كل شيء تقدر بر من الاجل والرزق فخرت المقادير على ما خلق ﴿ قوله تعالى (واتخذوا)
 يعني عبادة الاوثان (من دونه آلهة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم
 ضرا ولا نفعا) أي دفع ضرر ولا جرف (ولا يملكون موتا) أي امانة (ولا حياة) أي احياء (ولانشورا) أي
 بهتوا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الافك)
 أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل
 عبيد بن الحضرمي السكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فرزغ
 المشركون أن محمد صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعني قائل هـ هذه المقالة (ظمما
 وزورا) أي بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين اكتبها)
 يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث
 رسم واسطنديار ومعنى اكتبها استسخنها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان
 تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى على عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيل) يعني
 غدوة وعشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أتره) (الذي يعلم السر) أي الغيب (في
 السموات والارض انه كان غفورا رحيمًا) أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون
 محمد صلى الله عليه وسلم (يا كل الطعام) أي كنانا كل نحن (ومشى في الاسواق) أي يلتمس المعاش كما مشى
 نحن واذا كان كذلك فن أن له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عننا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر
 مثلنا والملك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتتبدل وما قالوه فاسدان أكله الطعام لكونه
 آدميا ولم يدع انه ملك ومشييه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخيا في الاسواق
 وليس شيء من ذلك ينافي بالنبوة لانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أي يصدقوه بشهده
 (فيكون معه نورا) أي داعيا (أو يلقى اليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف
 في طلب المعاش (أو تكون له جنة) أي بسستان (يا كل منها) أي هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له كنز

أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيل) آخره فيحفظ ما على علمه ثم يتلو علينا (قل) يا محمد (أتره) أي القرآن (الذي يعلم السر
 في السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه
 الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيمًا) فيهم لهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوا
 بما كبرتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام في المحقق فصوله عن الهاء وخط المحقق سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول مخزفة منهم كانوا
 قالوا أي شيء لهذا الزاعم انه رسول (يا كل الطعام ومشى في الاسواق) حال والعامل فيها هذا (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نورا) أو
 يلقى اليه كنز أو تكون له جنة (يا كل منها) أي ان صح انه رسول الله فباله يأكل الطعام كنانا كل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما تتردد
 يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستعنيا لئلا كل والتعبش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساند في الانذار
 والتخويف ثم نزلوا الى ان يكون مر فودا كنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى ان يكون رجلا له بسنان
 يأكل هو منه كلبا يسير أو نأ كل نحن كقراءة على وجزوة وحسن عطف المضارع وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو
 فيكون بينهم ما انتصيب فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا يعني هلا حكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين في قوله

(خالد بن) حال من الضمير في بشاؤون والضمير في (كان) لما يشاؤون (على ربك وعدا) أي موعودا (مسؤلا) مطلوبا أو حقيقا قال يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ربنا وأتنا ما وعدتنا على رسلك ونبأنا تنافي الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث عند الجهور وبالباية مكي ويزيد ويعقوب وحفص (وما يعبدون من دون الله) يريد العبودين من الملائكة والمسبح وعزير وعن السكابي يعني الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانهم أريد به الوصف كأنه قيل ومعهم وودهم (فيقول) وبالنون شامخ (أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) والقياس ضلوا عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هذه الطريق والاصل الى الطريق والطريرق وضل مطاوع أضله والمعنى أنتم أو قعتموهم في الضلال عن طريق الحق باذخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما لم يقل أضلتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل وزيادتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكرهم واولا ثم حرف الاستفهام ليعلم انه السؤال عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالسؤال عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبيكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حشرتهم (قالوا سبحانك) تجب منهم مما قبل لهم وقصدوا به تزييمه عن الابداد وان يكون له نبى أو ملك أو غيره هم اندامهم قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا

لا يحصل في الجنة كان يشتهى الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيد ذلك الخاطيء عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشغول بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره (خالد بن) أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما لا يقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى أشد الغم عندي في سرور * تبين عنه صاحبه انتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) أي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سألو اربابهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وأتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين حسنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومثلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلناهم جنات عدن التي وعدتهم قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعني من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم (فيقول أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أي أخطأوا الطريق (قالوا) يعني العابدون (سبحانك) زهو الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك (ولكن منعتهم وآباءهم) أي بطول العمر والصحوة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكركر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا قوم ابورا) معناه هلكت أي غلب عليهم الشقاء والظلمة (فقد كذبوك) هذا مخاطب مع المشركين أي كذبكم العابدون (بما تقولون) أي انهم آلهة (فما يستطيعون) أي الآلهة (صرفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي ولا نصر أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أي العابدون يدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أي بشرك (نذقه عذابا كبيرا) قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين الا انهم

يستقيم ان تتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك نتخذ زيد واتخذ يتعدى الى المفعول واحد نحو اتخذوا ليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا ولينا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى لواحد وهو من أولياء والاصل ان نتخذ أولياء وزيدت من لتأكيد معنى النفي والقراءة الثانية من المتعدى الى المفعولين فالمفعول الاول ما بنى له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء لان

(٤٤ - خازن) - ثالث) من لا تزد في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي (ولكن منعتهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكركر) أي ذكر الله والايمان به والقرآن والشرايع (وكانوا) عند الله (قوم ابورا) أي هلكت جمع باثر كعائذ وعوذ ثم يقال لكفار بطريق الخطاب عدول عن الغيبة (فقد كذبوك) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة فرائعة خاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما براد بنا * ثم القول فقد جئنا خراسانا (بما تقولون) يقولونكم فيهم انهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قبيل بالياء ومعناه فقد كذبوك يقولون سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) أي فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ينصروكم بالتاء حذف أي فما يستطيعون أنتم يا كفرة صرف العذاب عنكم ولا نصرا أنفسكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله (ومن يظلم منكم) أي بشرك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريكا خالقك فقد ظلم يؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (نذقه عذابا كبيرا) فصر بالخلافة في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الاعلى قول المعتزلة والخوارج (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم

لياً تكون الطعام ويمشون في الأسواق) كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الاصله ووصف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك
أحداً من المرسلين الا آكلين وما شين وانما حذف اكنفاءه بالجاء والمجرور رأى من المرسلين ونحوه وما من الا الله مقام معلوم أى وما من أحد
قبل هو احتياج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الأسواق وتسليمة للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة)
أى محنة وابتلاء وهذا نصير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيته في الأسواق يعنى انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء
فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه القصة فتوى حرواً أم لاتصبرون فبزداد نعيمكم وحتى ان بعض الصالحين تبرم بضلك عيشه
تفرج ضجر أقر أى خصه بما في مواكب ومراكب فخطر بباله شئ فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصبراً بنا أى وجعلنا فتنة لهم لاننا لو
كنت غنياً صاحب كنوز وجنان (٢٤٦) لكانت طاعتهم لك للدنيا وأومر وجه بالدينافانما بعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك خالصة

لنا (وكان ربك بصيراً) عالماً
بالصواب فيما يتبلى به أو
بمن يصبر ويحجز (وقال
الذين لا يرجون) لا يأملون
(لقائنا) بالخير لانهم كفرة
لا يؤمنون بالبعث أولاً
يخافون عقابنا املان
الراجي فليسق فيما يرجوه
كالخائف أولان الرجاء يعنى
لغة تهامة بالخوف (لولا)
هلا (أترل علينا الملائكة)
رسلا دون البشر أو شهدوا
على نبوته ودعوى رسالته
(أورى ربنا) جهرة فيخبرنا
برسالته واتباعه (لقد
استكبروا فى أنفسهم)
أى أضمروا والاستكبار
عن الحق وهو الكفر
والعناد فى قلوبهم (دعوا)
وتجاوزوا الحد فى الظلم
(عنا كبراً) وصف العتو
بالكبر فبالغ فى إفراطه
أى أنهم لم يجسروا على
هذا القول العظيم الا أنهم
بلغوا غاية الاستكبار
وأقصى العتو واللام فى

لياً تكون الطعام ويمشون في الأسواق) قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الأسواق أتزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة
من الله تعالى على رسوله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعاً من الرسل وهم كانوا بشر ما على
يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى بليمة قال ابن عباس أى جعلنا
بعضكم بلاه بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا أتم الهدى قبل نزلت فى ابتلاء
الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد ان يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده
فيكون له السابقة والفضل على تقيقم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت
فى أبي جهل والوليد بن عقبه والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا أبان بن
مسعود وعمار بن ياسر وبلا ولا وصهبا وعامر بن فهيرة وذوهم قد أسلموا قباهم فقالوا نسلم فنكون مثل
هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستزين من قريش كانوا يقولون انظر والى هؤلاء الذين تبعوا
محمد صلى الله عليه وسلم من موالي بنا وأرادنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين (أتصبرون) أى على هذه الحالة
من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغنى فتنة للفقير يقول ما لى لم أكن مثله والصحيح فتنة المرئى
والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيراً) أى لمن صبر ولمن جزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فليتنظر الى من هو دونه فى المال والجسم لفظ
البخارى ولمسلم انظر والى من هو أسفل منكم ولا تنظر والى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله
عليكم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافون البعث والرجاء يعنى الخوف لغة تهامة (لولا)
أترل علينا الملائكة) فخبرنا ان محمد صادق (أورى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أى تعظموا (فى
أنفسهم) بهذه المقالة (دعوا عتوا كبراً) أى طغوا وقيل عتوا فى القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم
طاهم روى به الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أى عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشرى
يومئذ لا يجرمين) وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل
لأبشارة لهم بالجنة كبشر المؤمن (ويقولون حجراً محجوراً) قال ابن عباس تقول الملائكة حراماً محراماً
يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراماً
محراماً عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم
شدة ورأوا ما يكرهون قالوا حجراً محجوراً فهم يقولون ذلك اذا عابوا الملائكة قوله عز وجل (وقدمنا الى
ما عملوا من عمل) يعنى من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر (فجعلنا هباءً منثوراً) أى باطلاً لا ثواب له

لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أى يوم الموت أو يوم البعث يوم منصوب بمبادل عليه (لابشرى) أى يوم لانهم
يرون الملائكة بمنعون البشرى وقوله (يومئذ) مؤكداً ليوم يرون أو باضماراً اذا كراى اذ كرى يوم يرون الملائكة ثم أخبره فقال لا بشرى
بالجنة يومئذ ولا يتصعب يرون لان المضائق اليه لا يعمل فى المضائق ولا يبشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفى بلا يعمل
فيما قبل لا (الجرمين) ظاهر فى موضع ضمير أوعام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء
يتناول أكمل المسميات (ويقولون) أى الملائكة (حجراً محجوراً) حراماً محراماً أى جعل الله ذلك حراماً عليكم نعماً البشرى
للمؤمنين والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان وقرئ به ما هو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبه بأفعال متروكة اظهارها محجوراً
لأن كيد ومعنى الحجر كالأول موتاً (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) جعلنا هباءً منثوراً (هو صفة ولا قدوم هنا ولكن منات حال هؤلاء

وأعمالهم التي لو هاني كفرهم من صلاته رجم وأغاثه ما هو وقري ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم الى أشياؤه وفقد
الى ماتحت يديه فافسد هاومر قها كل ممزق ولم يترك لها ترا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبهها بالغبار والمنثور والمفرق وهو
استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانفراع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا)
تتميز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحدثون (٣٤٧) (وأحسن مقبلا) مكانا يابون اليه للاسترواح
الى أرواحهم ولا نوم في

الجنة ولكنه سمي مكان
استراحتهم الى الحور مقبلا
على طريق التشبيه وروى
انه يفرغ من الحساب في
نصف ذلك اليوم فيقبل
أهل الجنة في الجنة وأهل
النار في النار وفي الغض الاحسن
ثم كرمهم (ويوم) واذ كر
يوم (تشقق السماء)
والاصل تشقق فذف
التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم
أدغمها في الشين (بالغمام)
لما كان انشقاق السماء
بسبب طلوع الغمام منها
جعل الغمام كأنه الذي
تشقق به السماء كما يقول
شققتم السنام بالشفرة
فانشقق بها (ونزل الملائكة
تنزيلا) ونزل الملائكة
مكي وتنزيلا على هذا مصدر
من غير لفظ الفعل والمعنى
ان السماء تنفخ بغمام
أيض يخرج منها وفي
الغمام الملائكة ينزلون
وفي أيديهم صحائف أعمال
العباد (الملائكة) مبتدأ
(يومئذ) ظرفه (الحق)
نعته ومعناه الثابت لان كل
ملك نزول يومئذ فلا يبقى
الاملاكة (لرحمن) خبره
(وكان) ذلك اليوم (يوما)
على الكافر من عسيرا) شديدا

لا تهم لم يعملوا لله عز وجل ومنها الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمر ناهو ردد والهباء هو ما يرى في الكوة
كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس باليدي ولا يرى في الظل والمنثور الغبار قال ابن عباس هو ما تسفبه
الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما استطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله
تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن
مقبلا) أي موضع القائلة وذلك ان أهل الجنة لا يجر بهم يوم القيامة الا قدر من أول النهار الى وقت القائلة
حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود ولا يتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة
وأهل النار في النار والقائلة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقبلا
والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله وروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى
يكون كباين العصر الى غروب الشمس قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو
غمام أبيض مثل الضبابه ولم يكن الابن اسير ائيل في تبهم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق
السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها
وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء ينزلون
على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملائكة يومئذ الحق للرحمن) أي الملائكة التي
هو الملائكة حق الملائكة قال ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك يقضي غيره (وكان يوم اعلى
الكافر من عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا و جاء في الحديث انه يوم
يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة بصلاحه في الدنيا قوله تعالى (ويوم بعض
الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه أشرف
قومه وكان يكثر بجمال السعة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نأبأ بكل طعامك
حتى تشهد أن لا اله الا الله والى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أنحبر أبي بن خلف قال له يا عقبة
صابت قال لا والله ما صابنا ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامي الا أن أشهده فاستحييت ان
يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا الذي أرضى عنك أبدا الا أن تأتية فتبرق في وجهه ففعل
ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة الا عابوا رأيتك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر
صبرا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل بل تبرق عقبة في وجه النبي صلى
الله عليه وسلم عاد براقه في وجهه فاحترق تحدها فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبي
معيط خليل أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمد افكفر
وارتد فانزل الله فيه روم بعض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه
أي ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالعصية والكفر لطاعة خذله الذي صدره عن سبيل ربه
قال عطاء يأكل يديه حتى يباغ مر فقيه ثم ينبثان ثم يأكلهما هكذا كما نبثت يدها كلها على ما فعل تحسرا
وندامة (يقول باليتنى اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سييلا) أي لبتني اتبعك محمد صلى الله عليه وسلم

يقال عسر عليه فهو عسيرا وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين في الحديث فهو يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة
مكتوبة بصلواته في الدنيا (ويوم بعض الظالم على يديه) عض البدن كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذكر الرادفتو يدل به اعلى
المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويعد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يحده عند لفظ المكنى عنه واللام في الظالم للعهد وأريد
به عقبة لما نبين أو للجنس فيه اول عقبة وغيره من الكفار (يقول باليتنى اتخذت) في الدنيا (مع الرسول) محمد عليه الصلاة والسلام (سييلا)

طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (يا بلنا) وقرئ يا ويا باني بالياء وهو الاصل لان الرجل بنا دى و يلتموهى ها كنه يقول لها تعالى فهذا
 اوانك وانما قلبت الياء ألفا كفى صجاري ومدارى (ليتني لم آتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام فان ار يد بالظالم عقبه لما روى انه اتخذ
 ضيافة فدعا اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فاني انا كل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له ابي بن خلف وهو خليفه وجهى
 من وجهك حرام الا ان ترجع فارثفا معنى باليتني لم آتخذ ابينا خليلا فكفى عن اوهوان اريديه الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان
 خليفه له اسم علم لا بحاله ففعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلني عن الذ كرك) اى عن ذكر الله والقرآن أو الايمان (بعد
 اذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) اى خليفه له سماه شيطانا لانه أضله كما أضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حمله على مخالفة المضل ومخالفة
 الرسول للانسان المطيع له (خذلوا) هو مبالغة من الخذلان اى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا كناية كلام الله أو كلام الظالم
 (وقال الرسول) اى محمد عليه الصلاة (٣٤٨) والسلام فى الدنيا (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا اى

واتخذت معه طريقا الى الهداية (يا بلنا) دعا على نفسه بالويل (ليتني لم آتخذ فلانا خليلا) قيل يعنى ابي بن
 خلف (لقد أضلني عن الذ كرك) اى عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءني) يعنى الذى كرم مع الرسول صلى الله
 عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمر دعوات صدى عن سبيل الله من الجن والانسان (للانسان خذلوا) اى
 كثير الخذلان يتركمو يتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتماعا
 على معصية الله (ق) عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس
 السوء كحامل المسك ونافع الكبير فحامل المسك اما أن يحذيك واما ان يتباع منه واما ان تجد منه ربحا يطيبا
 ونافع الكبير اما ان تحترق ثيابك واما ان تجد منه ربحا خبيثا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذى ولهما عن ابي سعيد الخدرى
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تاكل (قوله عز وجل) (وقال
 الرسول) يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) اى متروكا
 واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعله بمنزلة الهجر وهو السبي من القول فزعموا انه سخر
 وشعر والمعنى ان محمد اصلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن
 مهجورا فاعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) اى وكما جعلت لك أعداء من مشركى مكة وهم قومك كذلك
 جعلنا (لسكل نبي عدوا من المجرمين) اى المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبياء قبلك قد لقوا هذا
 من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاقنى ناصرته وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا)
 قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) اى كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل
 على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) اى
 أنزلناه مفرقا لئلا تقوى به قلبك فتعبد له وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤن وأنزلنا
 القرآن على نبي ائى لا يكتب ولا يقرأ ولان من القرآن النسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب ابن سأل عن
 أمور تحدث فى أوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به (ورتلناه
 ترتيبا) قال ابن عباس وبيناه بياننا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت وقيل فرقناه تقرىقا آية بعد آية (ولا
 يأتونك) يعنى بالمحمد هو لا المشركون (بمثل) اى يضربونه لك فى ابطال أمرك (الاجتماع بالحق) اى بما

تركوه ولم يؤمنوا به من
 الهجران وهو من عول ثان
 لا تتخذوا وفى هذا تعظيم
 للشكايمة وتخويف لقومه
 لان الانبياء اذا شكوا اليه
 قومهم حل بهم العذاب ولم
 ينظر وانما قبل عليه مسلما
 ووعده النصر عليهم فقال
 (وكذلك جعلنا لسكل نبي
 عدوا من المجرمين وكفى
 بربك هاديا ونصيرا) اى
 كذلك كان كل نبي قبلك
 مبتلى بعداوة قومه وكفناك
 بى هاديا الى طريق قهرهم
 والانتصار منهم واناصر لك
 عليهم والعدو يجوز ان
 يكون واحدا وجعا والباء
 زائدة اى وكفى بربك هاديا
 وهو تمييز (وقال الذين
 كفروا) اى قريش أو
 اليهود (لولا نزل عليه
 القرآن جلة) حال من
 القرآن اى مجتمعها
 (واحدة) يعنى هلا أنزل

عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماهلا أنزل على التفريق وهو فضول من القول ومما رآه بالاطائل
 تحته لان أمر الاجزاء والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جلة واحدة أو متفرقا ونزل هنا يعنى أنزل والاسكان متدا فابدل جلة واحدة وهذا
 اعتراض فاسد لانهم تحدوا بالآيات بسورة واحدة من أصغر السور فافوزوا صفحة عجزهم حتى لا ذوا بالمناسبة وفرغوا الى المحاربة و بذلوا
 المهج ومالوا الى الحجج (كذلك) جواب لهم اى كذلك أنزل مفرقا فى عشرين سنة أو فى ثلاث وعشرين وذلك فى ذلك اشارة الى مدلول قوله
 لولا نزل عليه القرآن جلة لان معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقا علم أن ذلك (لنثبت به) بغير يقه (فؤادك) حتى تعبد وتحفظه لان المتلقن انما
 يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيئا وجزأ عقب جزأ ولو أتى عليه جلة واحدة لجزع عن حفظه أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول
 وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب (ورتلناه ترتيبا) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك
 فرقناه ورتلناه اى قدرناه آية بعد آية وقفة بعد وقفة أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيبا اى اقرأه ترسل وتثبت أو
 بيناه تبييننا والترتيل التبيين فى ترسل وتثبت (ولا يأتونك بمثل) بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل فى لبطلان (الاجتماع بالحق)

الأقربانك بالجواب الحق الذي لا يخيد عنه (وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أى من سؤلهم وانما حذف من مثلهم لان في الكلام دليل عليه كقولك رأيت زيداً وعمران كان عمر وأحسن وجهاً فيه دليل على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التفسير فبما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فلو افسر هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يؤنك بحال وصفة بحسب ما يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة الأعتينك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ان تعطاه وما هو أحسن تفسيرا لما بعثت عليه ودلالة على حخته بمعنى ان تنزيهه مفرقا وتقدمهم بان يأثروا ببعض تلك التفاريق كما نزلت في الاعجاز من ان ينزل كله جملة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر) الذين مبتدأ أو أولئك مبتدأ ثان وشرخبر أولئك وأولئك مع وشرخبر الذين وألئك تقدروهم الذين أو أعنى الذين وأولئك مستأنف (مكانا) أى مكانه ومنزلة أو مسكنه ومنزلة (وأصل سبيلا) أى وأخطأ طر يقاوه ومن الاسناد المجازى والمعنى ان حاملهم على هذه السؤالات انكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلة ولو نظرتم بعين الانصاف وأتم من المسخوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه ومنزلة سبيلكم أضل من سبيله وفي طر يقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثو بقه عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآيقوعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشرون الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة (٣٤٩) والسلام الذى أمسككم على أقدامكم

يحشرون على وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة آياتناك القرآن) وجعلنا معه أخاه هرون) بدل أو عطف بيان (وزيرا) هو فى اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو المبدأ والوزارة لان فى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوزر بعضهم بعضاً (فقلنا أذهبنا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقدروه فذهبنا اليهم وانذرا فكذبوهم (فدمرناهم تدميراً) التدمير الاهلاك بالمرحيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها

تدبه ما جازبه من المثل وتبطله فسمى ما لوردون من الشبهه مثلاً وسمى ما يدفع به الشبهه حقاً (وأحسن تفسيراً) أى احسن بياناً وتفصيلاً ثم ذكر ما ل هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) أى هم الذين (يحشرون) أى يساقون ويحشرون (على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا) أى منزلهم ومسيرهم (وأصل سبيلا) أى اخطأ طر يقاوه (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً) أى معيناً وظهرهراً (فقلنا اذهبنا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى القبط (فدمرناهم) فيه اضمحار أى فكذبوهم فدمرناهم (تدميراً) أى أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أى رسولهم ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل فذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقتناهم وجعلناهم للناس آية) أى عبرة لمن بعدهم (وأعدنا للظالمين) فى الآخرة (عذاباً أليماً) أى سبى ما حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا (وعادوا وعود) أى أهلكنا عاداً وعوداً (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولاً عليها وكانوا أصحاب مواش يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيباً يدعوهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وآذوا شعيباً فبينما هم حول البئر فى منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبدبارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفتح الهمزة فتناولنيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان نبي يقال له حنظلة بن صهوان فقتلوه فهاكهم الله وقيل الرس بانطاكية فقتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا بين ذلك كتبيرا) أى وأهلكنا قرونا كثيراً بين عاد وعود وأصحاب الرس) وكلا ضرب بناله الامثال) أى فى الاشباه فى اقامة الحجج عليهم فلم نزلهم الا بعد الانذار (وكلا تبرنا تبيرا) أى أهلكناهم هلاكا (وقوله تعالى) (ولقد أنوا على القرية التى أمطرت مطر السوء) يعنى الحجارة وهى قريات قوم لوط وهى خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة وهى أصغر ها وكان أهلها لا يعملون العمل الحبيث (أفلم لانها المقصود من القصة أعنى الزام الحجج ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم) (وقوم نوح) أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحاً وادريس وشيثاً وكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع (أغرقتناهم) بالطوفان (وجعلنا غرقهم أو قصتهم للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعدنا) وهياًناً (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعدنا لهم لانه أراد تظليلهم فاطهره وهو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عذاباً أليماً) أى النار (وعادا) دمرنا عاداً (وعود) جزرة وحنص على تأويل القبيلة وغيرهما وعوداً على تأويل الحى أولانه اسم الأب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيباً فبينما هم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبدبارهم وقيل الرس قرية قتلوا فيها شعيباً أو هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كتبراً) كثيراً لا يعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا (وكلا ضرب بناله الامثال) بيناه القصة الجميعة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تبيرا) أى أهلكنا هلاكا وكلا الاول منضوب بمادل عليه ضرب بناله الامثال وهو انذارنا أو حذرنا أو الثاني تبيرا لانه فارغله (ولقد أنوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطرت الله عليها الحجارة يعنى ان قريشاً مراراً كثيرة فى مناجرتهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السوء مطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطراً أو صدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم

لانها المقصود من القصة أعنى الزام الحجج ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم) (وقوم نوح) أى ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعنى نوحاً وادريس وشيثاً وكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع (أغرقتناهم) بالطوفان (وجعلنا غرقهم أو قصتهم للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعدنا) وهياًناً (للظالمين) لقوم نوح وأصله وأعدنا لهم لانه أراد تظليلهم فاطهره وهو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه (عذاباً أليماً) أى النار (وعادا) دمرنا عاداً (وعود) جزرة وحنص على تأويل القبيلة وغيرهما وعوداً على تأويل الحى أولانه اسم الأب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيباً فبينما هم حول الرس وهى البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبدبارهم وقيل الرس قرية قتلوا فيها شعيباً أو هم أصحاب الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أمما (بين ذلك) المذكور (كتبراً) كثيراً لا يعلمها الا الله أرسل اليهم فكذبوهم فاهلكوا (وكلا ضرب بناله الامثال) بيناه القصة الجميعة من قصص الاولين (وكلا تبرنا تبيرا) أى أهلكنا هلاكا وكلا الاول منضوب بمادل عليه ضرب بناله الامثال وهو انذارنا أو حذرنا أو الثاني تبيرا لانه فارغله (ولقد أنوا) يعنى أهل مكة (على القرية) سدوم وهى أعظم قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة (التى أمطرت مطر السوء) أى أمطرت الله عليها الحجارة يعنى ان قريشاً مراراً كثيرة فى مناجرتهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السوء مطر السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطراً أو صدر محذوف الزوائد أى امطار السوء (أفلم

يكونوا برؤسها) أما شاهد ذلك بإصايرهم عند غمرهم الشام فيثفكروا فيؤمنوا (بل كانوا يرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعث فلا يؤمنون أولا يأملون نشورا كما يأمل المؤمنون لظلمتهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم (وإذا رأوك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذها هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذ موضع هزوا وهو زأبه (أهد الذي) صحى بعد القول المصغر وهذا استصغار واستهزاء أى قائلين أهد الذي (بعث الله رسولا) والمخدوف حال والعائد إلى الذي مخدوف أى بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الاسلام لولا فرط لجأهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعبد ودلالة على أنهم لا يفوقونه وان طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال اذ لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أى من أطاع هواه فيما ياتى ويفر فهو عبد هواه وعاظه الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذ الذي لا يرى معبود الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه إلى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك (٣٥٠) الازل وعبد الثاني وعن الحسن هو في كل متبوع هواه (أفأنت تكون عليه وكيلاً) أى

يكونوا برؤسها) يعنى اذا مر واهما في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم في ممرهم إلى الشام (بل كانوا يرجون نشورا) أى لا يخافون بعث الله تعالى (وإذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) ترأت في أبى جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهد الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا) أى قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) أى على عبادتها والمعنى لولم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أى في الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس أرأيت من ترك عبادة الله خالفه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندى وقيل الهوى اله يعبد (أفأنت تكون عليه، وكيلاً) أى حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما به هواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال السكبي نسختها آية القتال (أم تحسبان أن كثرهم يسمعون) أى ما تقول سمع طالب الافهام (أو يعقلون) أى ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا يسمعون لهم ولا عقل البنية فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (انهم) أى ما هم (الا كالانعام) أى في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقرارهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لان البهائم تهتدى لرائعها ومشاربها وتنقاد لرائعها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك ﴿ قوله تعالى (ألم ترالى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله مدودا لانه ظل لا شمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما ثابتا لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) معنى دللنا عليه لانه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضا يسيرا) أى بالشمس التي تاتى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طاعت

تحفظا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما به هواه أفأنت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى عرفه ان اليه الشياخ فقط (أم تحسب أن أكثرتهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) أم منقطعة معناه بل لا تحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمت حاجتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبى الالهام والعقول لانهم لا يلقون إلى استماع الحق أدنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هى مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم

أرجح ضلالة من هالان الانعام تسبح بها وتسجد له وتطيع مع يعلفها وتعرف من يحسن اليها من يسمى اليها وتطلب ما ينفعها الشمس وتجتنب ما يضرها وتمتدى لرائعها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطالبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يمتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى وقالوا للملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والا دمي يجمع السكل ابتلاء عن غلبته النفس والهوى فضلتها الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصد عن الاسلام الاحب اليه واستوفى به داعيا لا ولان فيهم من آمن (ألم ترالى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مد الظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور ولانه ظل مدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل مدود اذ لا شمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) على الظل (دليلا) لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخذنا ذلك الظل المدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أى جزأ جزأ بالشمس التي تاتى عليه وجاء ثم لتفاضل ما بين الامور فكان الثاني أعظم من الاوّل والثالث أعظم من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت

(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سبانا) راحة لا بد انكم وقطعا الاعمالكم والسبب القطع والنام مسبون لانه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور في مقابلته (وجعل النهار نشورا) اذ النشور انبعث من النوم كنشور الميت أي ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار نعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل قوائد ينة وذنوبه وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتمتشر (وهو الذي أرسل الرياح) الريح مكي والمراد به الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع بشور (بين يدي رحمته) أي قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مألوفة (وأترلنا (٣٥١) من السماء ماء) مطرا (طهورا)

بليغا في طهارته والظهور صفة كقولك ماء طهور أي طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور أي بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة لحسن وعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والاقابيس فعول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطع ومنوع غير سديد لان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعدوان كان لازما فلزم (لنحي به) أي بالمطر (بلد ميمتا) ذكر ميتا على ارادة الباسد أو

الشمس قبض الله الظل جزأ فجزأه ضاحفيا (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) أي ستراتسبترون به والمعنى ان طلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه (والنوم سبانا) أي راحة لا بد انكم وقطعا الاعمالكم (وجعل النهار نشورا) أي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لا بتعاقب زفكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرابين يدي رحمته) يعني المطر (وأترلنا من السماء ماء طهورا) الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به يدل على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطاهر وماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور وما تنكر منه التطهير وهو قول مالك حتى يجوز الوضوء بالماء اذا توضى به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه أولونه أو ربحه هل تزول طهوريته نظران كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب أو راق الاشجار فتجوز الطهارة به كالتغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيترقح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للجماورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخسل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظران كان الواقع شيئا طاهرا لا يزال طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيئا نجسا انظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فما أكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان نجس ما قدر طرل بالبغداد يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحدوا سحق وجماعة من أهل الحديث ان الماء اذا بلغ هذا الحد لا نجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد اوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أولونه أو ربحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقي لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعدرا النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله أي توضأ من بئر بضاعة وهي بئر نطرح فيها خرقة الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء وقوله تعالى (لنحي به) أي بالمطر (بلد ميمتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (أنعاما وأناسي كثيرا) أي بشرا كثيرا والانساي جمع انسوي وقيل جمع انسان قوله عز وجل (ولقد صرناه بينهم)

الملك (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) أي ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال من أنعاما أناسي أي أنعاما وأناسي مما خلقنا وسقي وأسقي لغتان وقرأ المفضل والبرجي ونسقيه والانساي جمع انسوي وكراسي وانسان وأصله اناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون باء وأدغمت وقد دم احياء الارض على سقي الانعام والانساي لان حياتهم سبب حياتهم وتخصيص الانعام من الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بهم فإذ كان الانعام عليهم بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنسكير الانعام والانساي ووصفها بالكثرة لان أكثر الناس من يخون بالقرب من الاودية والانهار فيهم غنية عن سقي السماء واقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمة وتنسكير البلدة لانه يربعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما أنزل الله الماء وصفه بالظهور اكرامهم وبيان ان من حدهم ان يؤثر الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهور بية شرط الاحياء (ولقد صرناه بينهم

ليذ كروا) ليذ كروا جزوعلي يريدوا قد صر فها هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهود كروا
 السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا (فأبى أكثر الناس الا كفورا) فأبى أكثرهم الا كفوران
 النعمة وجودها وقوله الاكثر لها أو صر فنامطر بينهم في البلدان المختلفة والاوراق المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من اهل وطل وجود
 ورذاذ ودعما فالوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذ كروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أو قبل
 مطر من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقر الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف
 فيه البلاد وينسزع من هنا جواب في تكبير البلدة والانعام والانساع ومن نسب الامطار الى الانواع ويحدد ان تكون هي والانواع من خلق الله
 تعالى كفوران رأى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواع امارات ودلالات عليها ليكفر (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلاتطع الكافرين)
 أى لو شئنا لخلقنا عنك اعباء نذارة (٣٥٢) جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا يذرها ولكن شئنا ان نجتمع لك فضائل جميع المرسلين

يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بأما من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ
 هذه الآية وهذا كجروى مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسما تعطرها فيها يصرفه الله حيث يشاء
 وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأما من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارض
 فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكييل معلوم وزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي
 حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصرف
 المطر تصرفه وبلاوطشاورذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليذ كروا) أى ليذ كروا
 ويتفكروا في قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أى بخودا وكفركم هو انهم اذا مطر واقالوا
 مطرنا بنوء كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى بنار رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية
 في اثربسما من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تذر ون ماذا قال ر بكم قالوا الله ورسوله أعلم قال
 أصبح من عباده مؤمن بي وكافرا فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما
 من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
 نذيرا) أى رسولنا يذركم ولكن بعثناك الى القرى كلها وجعلناك نذرا لئلا تستوجب بصرك ما عددنا
 لك من الكرامات والدرجات الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم
 (وجاهدكم به) أى بالقرآن (جهادا كبيرا) أى شديدا (وهو الذى مرجح البحرين) أى
 خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في بحارهما (هذا عذب فرات) أى شديدا العذوبة
 يميل الى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) أى شديدا الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما رزقا) أى حازم قدرته فلا
 يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أى سترتموهما فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد
 الملح العذب (قوله تعالى) وهو الذى خلق من الماء أى من النطفة (بشرنا فجعله نسبا وصهرا) أى جعله ذا
 نسب وصهرا وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا
 يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التى تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله
 بالنسب سبع عوار بالسبب سبع عوار يحجمها قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في
 تفسير سورة النساء (وكان ربك قدرا) على ما أراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذى كروا

بالرسالة الى كافة العالمين
 فقصرنا الامر عليك
 وعظمتناك به فتكون وحيدك
 ككلهم ولذا خسو طب
 يالجمع يا أيها الرسل فتقابل
 ذلك بالشكر والصبر
 والتشديد ولا تطع الكافرين
 فيما يدعونك اليه من
 موافقتهم ومداهنتهم وكما
 آتيتك على جميع الانبياء
 فآثر رضائى على جميع
 الالهة وأوريد هذا تهجيجه
 وتهيج المؤمنين وتحريكهم
 (وجاهدكم به) أى بالله
 يعنى بعونه وتوفيقه أو
 بالقرآن أى جادلهم به
 وقرعهم بالعجز عنه (جهادا
 كبيرا) عظيما موقعه عند
 الله لما يستعمل فيه من
 المشاق ويجوز أن يرجع
 الضمير في به الى ما دل عليه
 ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
 نذيرا من كونه نذرا كفاية

القرى لانه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قرية فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده والانتفى
 من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدكم بسبب كونك نذيرا كفاية القرى جهادا كبيرا جماعه الكل مجاهدة (وهو الذى مرجح البحرين) خلطهما
 متجاوزين متلاصقين تقول مرجح الدابة اذا خلطتها ترى وسعى الماء من الكثيرين الواسعين ببحرين (هذا) أى أحدهما (عذب فرات) صفة
 لعذب أى شديدا العذوبة حتى يقرب الى الحلاوة (وهذا ملح أجاج) صفة للملح أى شديدا الملوحة (وجعل بينهما رزقا) حائلان قدرته يفصل
 بينهما ومنعهما التمازج فهما فى الظاهر مختلطان وفى الحقيقة منفصلان (وحجرا محجورا) وسترتموهما عن الاعين كقوله سبحانه مستورا (وهو
 الذى خلق من الماء) أى النطفة (بشرا) انسانا (فجعله نسبا وصهرا) أراد تقسيم البشر قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال
 فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهرا أى انا نايضا صهرا من كقوله تعالى فجعل منه أزواجين الذكرا والانتفى (وكان ربك قدرا) حيث
 خلق من النطفة الواحدة بشر نوعين ذكرا وأنثى وقيل فجعله نسبا أى قرابة وصهرا مصاهرة يعنى الوصلة بالنكاح من باب الانساب لان
 التواصل يقع بهما بالصاهرة لان التواليد يكون بهما

(وزادهم) قوله اجدد والرحمن (نفورا) تباعدا عن الايمان (تبارك الذي جعل في السماء رجلا) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما والشمس بيت وللقمر بيت فالجمل والعقرب بينا المرج والثور والميزان بينا الزهرة والجوزاء والسنبلة بينا عطارد والسرطان بيت القمر والاسديت الشمس والقوس والحوت بينا المشتري والجدى والدلو بينا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالجمل والاسد والقوس مثلثة نار والثور والسنبلة والجدى مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لانها هذه الكواكب كالمنازل لسكانها وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها (٣٥٤) سراجا حزمة وعلى أي نجومها (وقرأ منبرا) مضيا بالليل (وهو الذي جعل الليل والنهار

خلفه) فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلها ذوى خلفه يخلف احدهما الاخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد أن يذكر) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر جزوه وخلف أي يذكر الله أو المنسى فيقضى (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمته به عليه فيهما (وعباد الرحمن) مستأخبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتضليل وصف أولياءه بعد ما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هينا والهون

أنت يا محمد (وزادهم) أي قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) أي عن الايمان والسجود

(فصل) * وهذه السجدة من عزائم السجديات فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند سماعها وقرأتها ﴿قوله تعالى﴾ (تبارك الذي جعل في السماء رجلا) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجها لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الجمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها الكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس (وقرأ منبرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه) قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه فن فانه عمله في أحدهما قضاءه في الاخر قال شقيق جاعر جل الى عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن أراد أن يذكر) أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعني شكر نعمته به عليه فيهما ﴿قوله عز وجل﴾ (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والافالحاق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشميين ولا مريحين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (واذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكروهونه (قالوا سلاما) أي سدادا من القول يسلمون فيه لاسفهون وان سفه عليهم حملوا ولم يجهاوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هـ ذاقبل ان يؤمر بالافتعال ثم نسختها آية القتال ويروي عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هـ ذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلاهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة بسجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقياما (م) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة ﴿قوله عز وجل﴾ (والذين يقولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم ان هذاها كان غراما) أي لمحاذاة الاثم لا زما غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سألت الله الكفار عن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبئروا في النار وقال كل غريم مفارق غير به الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساعت) بسنت (مستقرا ومقاما) أي

الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضر بون باقدامهم ولا يخفقون بتعاليمهم اشرا موضع ويطرا ولذا كرهه بعض العلماء الكوب في الاسواق ولقوله و يمشون في الاسواق (واذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكروهون (قالوا سلاما) سدادا من القول يساوتون فيه من الايذاء والافك أو تسليما منكم تناركم ولا تجاهلكم فاقم السلام مقام التسليم وقيل نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاعضاء عن السفهاء مستحسن شرعا ومروعة وهذا وصف نهارهم ثم وصف ليلاهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا) جمع ساجد (وقياما) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظالول وهي ان يدركك الليل ثم أولم تم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقاما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف ليلاهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا لاصرف عنا عذاب جهنم ان هذاها كان غراما) هلا كالازما ومنه الغريم اللازمه وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه يذابانهم مع اجتهادهم حائضون مهتلون متضرعون الى الله في صرف العذاب عنهم (انها ساعات مستقرا ومقاما) أي ان جهنم وساعات

في حكم يثبت وفيها ضهير مهم بفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساعت مستقرا ومقامها هي وهذا الضهير هو الذي ربط الجملة باسم
ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أخزنت وفيها ضهير اسم ان ومستقر حال أو تمييز ويصح ان يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا
من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا والحد في النفقة أول ما كواو التمتع ولم يلبسوا للتصانف وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة القدر وسرع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال
عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد فتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يفتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشاحي
وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري والفتروا الافتار والتفتير التضييق الذي هو تقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أي الاسراف
والافتار (قواما) أي عدلا بينهم ما فالقوام العدل بين الشيتين والمنصوب ان أي بين ذلك قواما خبر ان وصفهم بالقصد الذي هو بين الغسلو
والنقصير وبمنه أمر عليه الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقة حين
زوج ابنته فقال الحسن بن السيثيين يعرف عبد الملك انه أراد ما في هذه الآية وقيل أولئك (٣٥٥) أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا

لا يأتون طعما للتعتم
واللذة ولا يلبسون ثيابهم
للجمال والزينة وان كان لسد
الجوع وستر العورة وودفع
الحر والقر وقال عمر رضي
الله عنه كفى سرفا أن لا
يشتهي الرجل شيئا إلا
أكله (والذين لا يدعون
مع الله الها آخر) أي لا
يشركون (ولا يقتلون
النفوس التي حرم الله) أي
حرمها يعني حرم قتلها (الا
بالحق) بقود أو رجم أو
ردة أو شرك أو سعى في
الارض بالفساد وهو متعلق
بالقتل المحذوف أو بلا
يقتلون (ولا زنون) ونفي
هذه الجائر عن عباده
الصالحين تعريض لما كان
عليه أعداؤهم من قرينش
وغيرهم كانه قيل والذين
طهرهم الله مما آتتهم عليه

موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت
والافتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد
التبذير والافتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يبيع عباله ولا يعبر بهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف
(وكان بين ذلك قواما) أي قصدا وسطا بين الاسراف والافتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأتون الطعام للتعتم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا
يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقوهم على عبادته منهم ومن الثياب ما يسترون به العورة ويقومهم
من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهي شيئا الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها
آخر) (ق) عن ابن عباس ان اناسا من أهل الشرك كانوا قد قبلوا كثيرا واوزنوا كثيرا ووافقوا محمد صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه احسن لو تخبرنا ان لما عملنا ككفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله
الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا زنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان
تدعوه لتدعوه وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك
فانزل الله تعالى تصد يقره والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا زنون
(ومن يفعل ذلك يلق آثاما) أي ومن يفعل شيئا من ذلك يلق آثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل
عقوبة وقيل الاثم وادى في جهنم ويرى في الحديث ان النبي والاثام بشر ان في جهنم يسيل فيها ما صديد أهل
النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك
يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويضاعفها) أي ذللا ﴿قوله تعالى (الامن تاب) أي عن
ذنبه (وآمن) أي بربه (وعمل عملا صالحا) أي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية ثم نزلت الامن
تاب فآيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشي قط مثل ما فرحهم او فرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿قوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)

(ومن يفعل ذلك) أي المذكور (يلق آثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانها في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الاثم
كقوله متى تأنتا تلم ينفى ديارنا * تجد حطبا جزلا وارا تاجعا جزم تلم لانه بمعنى تأنتا الا تيان هو الامام يضعف مكي ويزيد ويعقوب
يضعف شاحي يضاعف أبو بكر على الاستئاف أو على الحال ومعنى يضاعف (له العذاب يوم القيامة) أي يعذب على مرور الايام في الآخرة
عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فضاعف العقوبة بضاعفة العاقب
عليه (ويضاعف) جزم جازم يضاعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فيهي مكي وحفص بالاشباع وانما شخص حفص
الاشباع بهذه الكامة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الحكاية الاشباع (مهانا) حال أي ذللا (الامن تاب) عن
الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب (وآمن) بحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد نوبته (فأولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات) أي يوفهم للمحسن بعدا قبائح أو يحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يردبه ان السيئة بعينها
حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل شخصنا البرحي (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيما) يبدلها بالحسنات

(ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك الى الله تعالى متابا مضميا
عنده مكفر الخطايا بحصول الاثواب (والذين لا يشهدون الزور) أي الكذب يعني يفترون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا
يقربونها تزها عن مخالطة الشر وأهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى ما لم تتسوغه الشر بعتهم شركاء فعليه في الاتمام
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواضع عيسى عليه السلام يا كم مجالسة الخطائين ولا يشهدون شهادة
الزور على حذف المضاف وعن (٣٥٦) قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لا يشهدون للهو والغناء (واذ امروا بالنعوى)

بالفحش وكل ما ينبغي أن
يلغى وي طرح والمعنى
واذا مروا بأهل اللغو
والمتغلبين به (مروا كراما)
معرضين مكرمين أنفسهم
عن التلوث به كقوله واذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه
وعن الباقر رضي الله عنه
اذا ذكروا الفروج كانوا
عنها (والذين اذا ذكروا
بآيات ربهم) أي قرئ
عليهم القرآن أو وعظوا
بالقرآن (لم يخروا عليها
صما وعميانا) هذا ليس
بنفي الخرو بل هو اثبات
له ونفي الصمم والعمى
ونحوه لا يلقا في يده مسلما
هو نفي للسلام للقاء يعني
انهم اذا ذكروا ما خروا
سجدا وبكيا سامعين بآذان
واعية مبصرين بعيون
واعية لما أمروا به فمروا
عنه لا كالمناقين وأشباههم
دليله قوله تعالى ومن
هدينا واجتبتنا اذا تتلى
عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا (والذين
يقولون بناهب لنماسن
أزواجنا) من للبيان كأنه

قال ابن عباس يدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايماننا
وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحسانا وقيل يدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام
حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آخراهل الجنة دخولا الجنة
وأخراهل النار خروا جمانها رجل يوتئى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها
فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم
لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كذا ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول
يارب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال فاقدر أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل
ان الله تعالى يحو بالنادم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا
في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني
أدى الفرائض من لم يقتل ولم يرتكب (فإنه يتوب الى الله) أي يعود اليه بعد الموت (متابا) أي حسنا يفضل
على غيره ممن قتل ورتب فالآية الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثابت رجوع الى الله للجزاه
والمكافأة وقيل هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى
الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر أي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى
﴿قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أتيتكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين
وكان متكئا فجلس فقال الاوقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن
الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويضجهم ويجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون الزور
يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور والهو
والعبر الغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة
تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفة فهو نحو به الباطل بما يوهبهم انه حق (واذ امروا باللغو) هو كل ما يجب
أن يلغى ويترك (مروا كراما) يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحو فعلى هذا
التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا امروا بمجالس اللهو
والباطل مروا كراما أي معرضين معرضين وهوان ينزه المرء نفسه ويكرمه عن هذه المجالس السيئة
(والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرو وانما هو
اثباته ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها كبروا على اسمها بآذان واعية وأقبلوا على المذكور
بها بعيون مبصرة راعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم بآذانهم
صمهم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يدكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ﴿قوله عز وجل (والذين
يقولون بناهب لنماسن أزواجنا) أي ابرارا أتقبا صالحين فيفترون أعيننا بذلك

قيل هب لناقرة أعين ثم بينت القرعة وقسرت بقوله من أزواجنا (وذريتنا) ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرعة أعين وهو من قواهم قيل
رأيت منك أسدا أي أنت أسد أولا ابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وذريتنا أبو عمر ووكوفي غير حفص
لارادة الجنس وغيرهم ذريتنا (قرعة أعين) وانما نكر لاجل تشكير القرعة لان المضاف لا سبيل الى تفكيره الا بتفكير المضاف اليه كأنه قال
هب لنا منهم سرورا وفرحوا وانما قيل أعين على القلة دون عيون لان المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى
وقليل من عبادى الشكور ويجوز أن يقال في تشكير أعين انما أعين خاصته وهي أعين المتقين والمعنى انهم سألو اربابهم ان يرزقهم أزواجا
وأعقابا بما عمل الله تعالى يسرون بكائهم وتقرهم عيونهم وقيل ليس شئ أقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن

ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون بنافي الدين فاكثروا بالواحد دلالة على الجنس
ولعدم اللبس أو واجعل كل واحد منا ما مقبل في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب و يرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة)
أي الغرفات وهي العلالى في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله (٣٥٧) وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا)

أي بصبرهم على الطاعات
وعن الشهوات وعلى أذى
الكفار ومجاهدتهم وعلى
الفقر وغير ذلك (ويلقون
فيها) ويلقون كوفي غير
حقص (تحية) دعاء
بالتعمير (وسلاما) ودعاء
بالسلامة يعني أن الملائكة
يحيونهم ويسلمون عليهم
أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم
عليه (خالدين فيها) حال
(حسنه) أي الغرفة
(مستقرا ومقاما) موضع
قرار واقامة وهي في مقابلة
ساعات مستقرا ومقاما (قل
ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم
ما مضى لى معنى الاستفهام
وهي في محل النصب ومعناه
ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه
اياكم الى الاسلام أولولا
عبادتك له أي انه خلقكم
لعبادته كقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون
أي الاعتبار عند ربكم
لعبادتك أو ما يصنع بعبادتك
لولا دعاؤكم معه آلهة وهو
كقوله تعالى ما يفعله الله
بعبادكم ان شئتم (فقد
كذبتم) رسولى يا أهل مكة
(فسوف يكون) العذاب
(لزاما) أي الزام أو الإلزام
وضع مصدر لازم وضع
اسم الطاعل وقال الضحاك

قيل ليس شئ أقر عين المؤمن من أن يرى وجهه وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة
فيم سروره وتفرجه به بذلك وقيل ان العرب تدكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند
الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين أن يصادف
قلبه من رضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل
معناه نقتدى بالمتقين وتقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هدى وقيل معناه انهم سألو الله أن
يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين
مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقابله معناه واجعل للمتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم
(أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد
واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا
عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) أي مسلكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل
الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات وقوله تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما) أي موضع قرار واقامة وقوله تعالى (قل ما يعبا بكم ربى) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم
سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم
وقيل لولا دعاؤكم اياكم فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبا بخلقكم ربى لولا عبادتكم
وطاعتكم والمعنى انه خلقكم اطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبا بكم ربى لولا عبادتكم
ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقكم ولى اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفرونى فأغفر
لكم (فقد كذبتم) أي الكافرون يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيد عباده وعبادته على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم
أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن
كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما هلاكا لازما لمن كذب مفتريا للحق بعضهم
بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون و اسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني انهم
قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لزاما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الدخان
واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى
أعلم

(تفسير سورة الشعراء)
وهي مكية الا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون وهي مائتان وسبع
وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا وى عن ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

(بسم الله الرحمن الرحيم)
قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه
قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه
وملكه (تلك آيات) أي هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد
والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية

ما يعبا ما يبالي بغير تكلم لولا دعاؤكم معه الها آخر*(سورة الشعراء مكية)* وهي مائتان وعشرون وسبع آيات*(بسم الله الرحمن الرحيم)*
(طسم) طس ورس وحم مماله كوفي غير الاعشى والبرجى وحفص ويظهر النون عند الميم يزيد وجزة وغيرهما يدعها (تلك آيات
الكتاب المبين) الظاهر اعجاز وصحة انه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف البسيطة تلك آيات
الكتاب المبين

(لعلك باخع) فاقبل واعمل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تقبلها حسرة وخزنا على ما فاتك من اسلام قومك (الا يكونوا مؤمنين) لثلا يؤمنوا ولا امتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم (نزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أي فتظلل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول ان زرتني أكرمك أي أكرمك كما قاله الزجاج (أعناقهم) رؤسناؤهم ومقدموهم أو جعاعتهم يقال جاء عنق من الناس لفوج منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة وبلحقة هو ان بعد عزة (وما يأتهم من ذكر من الرحمن يحدث الا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوجهه موعظة وتذكير الاجدد والاعراض عنه وكفرابه (فقد كذبوا) محمد صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتهم) فسيعلمون (أنباء) أخبار (ما كانوا يستهزئون) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشئ (٣٥٨) الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسياأتهم انبأؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم

(أولم يروا الى الارض كم أنبتنا) كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة باكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وتدل على ان هذا المحيط متكامل مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته (ان في ذلك لا آية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في انبات تلك الاصناف لا آية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجح ايمانهم (وان ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة

مبينة لجمع الاحكام (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (ان لا يكونوا مؤمنين) أي ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحصر على ايمانهم فاقبل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ) نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوى أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعينه معصية فان قلت كيف صح مجي عاضعين خبرا عن الاعناق قلت أصل الكلام فظاوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أولا واصلت بالخضوع الذي هو للعقلاء قبل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤسناؤهم ومقدموهم أي فظلت كبريائهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما يأتهم من ذكر من الرحمن) أي وعظمت ذكرا (يحدث) أي يحدث اثره فهو يحدث التنزيل وكما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أي عن الايمان به (فقد كذبوا فسيأتهم) أي فسوف يأتهم (أنباء) أي أخبار وعواقب (ما كانوا يستهزئون أولم يروا الى الارض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يابا كل الناس والانعام وقال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لثيم (ان في ذلك) أي الذي ذكر (لا آية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما قيل

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق على فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وان ربك لهو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة والولائه ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذ نادى) أي واذ كرىا بمحمد اذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى الشجرة والنار (أن اتت القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باسئ عبادهم وسوءهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعني القبط (الآيتقون) أي بصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والايان به (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (انني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي يتكذبون بآياتي (ولا ينطلق لساني) أي للعقدة التي كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازي في ويعينني على تبليغ الرسالة

(الرحيم) لمن آمن منهم ٣ وآية مع الاخبار بكثيره لان ذلك مشاربه الى مصدر أنبتنا والمراد ان في كل واحد من تلك (ولهم الارواح لا آية أي آية (واذ) مفعول به أي اذ كراذ (نادى) دعا (ربك موسى ان اتت) أن بمعنى أي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبني اسرائيل بالاستعباد وذبج الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهم ما عبادت ان تعاقبت على مؤدى واحد (الآيتقون) أي اتهم زاجرا فقد ان لهم ان يتقوا وهي كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين بالله وعقابه فادخلت همزة لانكار على الحال (قال رب اني أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع (أن يكذبون ويضيق صدري) يتكذبون بآياتي مستأنفاً وعطف على أخاف (ولا ينطلق لساني) بان تغلبي الحمية على ما أرى من الحال وأسمع من الجدال وبصهم ما يعتب عطف على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع (فارسل الى هرون) أي أرسل اليه جبريل واجعله قوله وآية هكذا بالاصل ولعله سقط منه واقرأ ونحو ذلك اه صححه

نبياً يعنى على الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبياً بالشأم ولم يكن هذا الا التماس من موسى عليه السلام توفيقاً لامتنال بل التماس
عون في تبليغ الرسالة وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذه الامر ليس بتوقف في امتثال الامر وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لاعلى
التعلل (ولهم على ذنب) أى تبعه ذنب يقتل القبطى فحذف المضاف أو سمى تبعه الذنب ذنباً كما سمي جزاء السيئة سيئة (فأخاف أن يقتلوا من)
أى يقتلوا به فصاروا ليس هذا تعطلاً أيضاً بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده بالسكلاءة والدفع بكاهة
الردع وجعل له الاستجابتين معافى قوله (قال كلا فاذهباً) لانه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع وردد عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه
فاجابه بقوله اذهب أى جعلته رسولاً معك فاذهبوا وعطف فاذهبوا على الفعل الذى يدل عليه كلاً كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت
وهرون (بآياتنا) مع آياتنا وهى اليد والعصا وغير ذلك (انامعكم) أى معكم بالاعون والنصرة (٣٥٩) ومع من أرسلتم اليه بالعلم والقدرة

(مستمعون) خبر لان ومعكم لغوا وهما خبران أى ساءعون والاستماع فى غير هذا الاصغاء للسمع يقال استمع فلان حديثه أى أصغى اليه ولا يجوز جله ههنا على ذلك فعمل على السماع (فأنتبا فرعون نقولا انار رسول رب العالمين) لم يشن الرسول كما نفي في قوله انار رسولاً ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى لرسالة فجعل تعجب معنى المرسل فلم يكن بدمن تشييته وجعل ههنا بمعنى لرسالة فيستوى فى الوصف به الواحد والتثنية والجمع ولانهم اختلفا فى الوصف واتفاقهم على شريفة واحدة كأنهم رسول واحد أو أريد ان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (وعنابى اسرائيل) يريد خالهم يذهبوا معنا الى

(ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلوا) أى به (قال) الله تعالى (كلا) أى ان يقتلوك (فاذهباً يا آياتنا معكم مستمعون) أى سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع فى قوله معكم وهما اثنتان قلت أجزاهما مجرى الجماعة وهو جازى لى لغة العرب (فأنتبا فرعون نقولا انار رسول رب العالمين) فان قلت هلا نفي الرسول كفى قوله فانتباهه فقولا انار رسولاً ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بدمن تشييته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فخازن التسوية فيه اذ وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى ان اذوارسالة كما قال كثير لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول
أى برسالة وقيل انهم اختلفا فى الرسالة والشرعية والاختصاصية فصاروا كأنهم رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنابى اسرائيل) أى خالهم وأطلقهم معنابى الى أرض فلسطين ولا تستعبد لهم وكان فرعون قد استعبدهم أربع مائة سنة وكان فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً فناطق موسى برسالة ربه الى مصر وهرون معاً فآخبره بذلك * وفى القصة ان موسى رجس الى صر وعليه جبة صوف وفى يده عصاه والمكبل معاق فى رأس العصا وفيه زاده قد دخل دار نفسه وأخبر هرون ان الله قد أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت ان فرعون يطالبك ليقتهلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمنع لقولها وذهب الى باب فرعون وذلك بالليل فدعا الباب ففرع البوابون وقالوا من بالباب فقال أناموسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنوناً بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعا هرون وقيل انهما انطلقا جميعاً الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون له ائذن له لعلنا نضحك منه فدخل على فرعون وأديار رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ فى بيته (فقال) له (ألم نربك فيما وليد) أى صبياً (ولبثت فيما من عمرك سنين) أى ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتلت القبطى (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين لعمى وحق تربيته يقول بينك وبيننا كفاؤنا أنت قتلت منا نفساً وكفرت نعمة تناوهى رواية عن ابن عباس قال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالرؤية ولا ان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقبل معناه وأنت من الكافرين بفرعون والهيته (قال) يعنى موسى (فعلتم اذ اؤمان من الضالين) أى من الجاهلين بان ذلك يؤدى الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التأديب لاعلى وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من الخطئين (ففرقت منكم) أى الى

فلسطين وكانت مسكنهما فانتباها به فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف فرعون موسى ففعل ذلك (قال) لم نربك فيما وليد) واتما حذف فانتبا فرعون فقولا اختصاراً والولد الصبي لقرب عهد من الولادة أى لم تكن صغيراً فرب بيننا (ولبثت فيما من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى فعرض اذ كان ملكاً (وأنت من الكافرين) بنعمتى حيث قتلت خبازى أو كنت على ديننا الذى تسميه كفراً وهذا افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالنعمة (قال فعلتم اذ اذالك) أى اذ ذلك (وانامن الضالين) الجاهلين بانم اتباع القتل والضال عن الشئ هو الذهاب عن معرفته أو الناسين من قوله أنت تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذ اجواب وجزاء معاً وهذا الكلام وقع جواباً لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت فعلتك معناه انك جازيت نعمتى بما فعلت فقل له موسى نعم فعلتم ايجاز بالآية تسليماً لقوله لان نعمته كانت جد ربان تجازى بخود ذلك الجزاء (ففرقت منكم) الى مدين

(لما خفتكم) أن تقتلوني وذلك حين قاله مؤمن من آل فرعون ان الملا يا تمرون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لى ربى حكما) نبوة
 وعلم افرال عنى الجهل والضلالة (وجعلنى من المرسلين) من جملة رساله (وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل) كرعلى امتنانه عليه
 بالثريه فباطله من أصله وأبى ان تسمى نعمة لانها نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيد قومهم وقصدهم بدمج آبائهم
 هو السبب فى حصوله عنده وترتيبته ولو تركهم لرباه أبواه فكان فرعون آمن على موسى بتعبيد قومه واخراجهم من حجرأوبه اذا حقت
 وتعبيد قومهم بديلتهم واتخاذهم عبيدا ووحيد الصمير فى تمنها وعبدت ورجع فى منكم وخفتكم لان الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن
 منه ومن ملته المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا يا تمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة شعراء
 مهممة لا يدري ماهى الابتنسيراها (٣٦٠) ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك أى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على (قال فرعون

ومارب العالمين) أى انك
 تدعى انك رسول رب العالمين
 فاصفته لانك اذا أردت
 السؤال عن صفة يد تقول
 ما زيد عنى أطويل أم قصير
 أفقيه أم طيب نص عليه
 صاحب الكشاف وغيره
 (قال) موسى يجيبه على
 وفق سؤاله (رب السموات
 والارض وما بينهما) أى
 وما بين الجنسين (ان كنتم
 موقنين) أى ان كنتم
 تعرفون الاشياء بالدليل
 فكفى خفاق هذه الاشياء
 دليلا أو ان كان برحى منكم
 الايقان الذى يؤدى اليه
 النظر الصحيح فنعكم هذا
 الجواب والالام ينع واليقان
 العلم الذى يستغاد بالاستدلال
 ولذا لا يقال الله موقن
 (قال) أى فرعون (ان
 حوله) من أشرف قومه
 وهم خسمائترجل عليهم
 الاساور وكانت للملوك
 خاصة (الاستمعون) معجبا
 قومه من جوابه لانهم

مدى (لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) يعنى النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها
 على ان عبدت بنى اسرائيل) أى اتخذتهم عبيدا قبل عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل
 ولدان بنى اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بنى اسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى
 اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام
 فخذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل ووقفنا * وطرقتها من دموعها غرق
 وقولها والركاب وافسة * تتركنى هكذا وتطلق

أى أتركنى والمعنى أتمن على ان ربيتنى وتنسى جنايتك على بنى اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو
 يريد كيف تمن على بالثريه وقد استعبدت قومى ومن أهين قومه فقد ذل فتعبد بنى ائيل قد أحبط حسناتك
 التى ولولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تربىنى وتكفلنى ولما كان لى من أهلى من يربىنى ولم
 يلغونى فى اليم (قال فرعون ومارب العالمين) يقول أى شى رب العالمين الذى تزعم انك رسوله أى يستوصفه
 الهه الذى ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشىء والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن
 جوابه وأجاب بذكر أفعاله وآثار قدرته التى تجز الخلاق عن الاثبات بمثلها (قال رب السموات والارض وما
 بينهما ان كنتم موقنين) انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الابداد كونه لكم فان أيقنتم بذلك لم يكن
 تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الاما ذكرته من الجواب وقال أهمل المعانى أى كانوا قنوتون هذه
 الاشياء التى تعابونها فاقنعوا ان اله الخالق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تخير
 فرعون فى جواب موسى (قال ان حوله) أى من أشرف قومه قال ابن عباس كانوا خسمائترجل عليهم
 الاسورة (الاستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التجب من جواب موسى يعنى انى انما أطلب منه
 الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيب بنى بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم
 موسى فى البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعنى ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعنى
 انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعنى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون) يعنى
 المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذى يدعى
 الرساله لجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يقبله ولا يعرف بجهته وكان
 عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد فى البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
 تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثانى ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن

يزعمون قومه ماو ينكرون حدونها وان لهمار بافاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدونه ووفاءه
 فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أى هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون
 كفى يدعى الربوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أى فرعون (ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون) حيث زعم ان فى الوجود الها
 غيرى وكان فرعون يتكبر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد
 حيث عم أولابخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد
 منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها فى الآخر
 على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدله وظهره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء

سؤالك

والامانة على غر ودين كنعان وقيل سأل فرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى احد
 عن الجواب حيث سأل عن الماهية وهو يجب عن ربوبيته وانار صنعها فقال مجبا لهم من جواب موسى ان تستمعون فعام موسى الى مثل قوله
 الاول فخنسه فرعون زاعما انه حاد عن الجواب فعادنا الى مثل كلامه الاول مبينا ان الفرد الحقيقي انما يعرف بالصفات وان السؤال عن
 الماهية محال واليه الاشارة في قوله تعالى ان كنتم تعقلون أى ان كان لكم عقل علمكم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم
 يتبهاه أن يدفع ظهوراً نار صنعها (قال لئن اتخذت الهاغيري) أى غيرى الها (لا جعلتكم من المسجونين) أى لا جعلتكم واحداً ممن عرفت
 حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فرد الا يبصر فيها ولا يسمع فكان
 ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لا سجنتمكم بل يؤدهم هذا المعنى وان كان أحصر (قال أولو جئتكم) الواو للعال دخلت عليها همزة الاستهتام
 أى أتفعل في ذلك ولو جئتكم (بشيء مبين) أى جاتيا بالمجززة (قال فأتبه) بالذي بين صدقك (ان كنت من الصادقين) انك لينة وتجو اب
 الشرط مقدر أى فاحضره (فالق عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لا شئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر
 روى ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول (٣٦١) يا موسى صرني بما شئت ويقول فرعون
 أسالك بالذي أرسلك الا
 أخذتها فاخذها فعادت
 عصا (ونزع يده فاذا هي
 بيضاء للناظرين) فيه دليل
 على ان بياضها كان شياً
 يجتمع النظارة على النظر
 اليه نظر وجه من العادة
 وكان بياضها نور ياروى
 ان فرعون لما أبصر الآية
 الاولى قال فهل غيرها
 فاخرج يده فقال لفرعون
 ما هذه قال فرعون يدك
 فادخلها في ابطنه ثم نزعها
 ولها شعاع يكاد يعمى
 الابصار ويسد الافق (قال)
 أى فرعون (للملاحوه)
 هو منصوب نصبين نصب
 في اللفظ والعامل فيه
 ما يقدر في الظرف ونصب

سؤالك الاما ذكرت (قال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبر عن الحق (لئن اتخذت الها
 غيرى لا جعلتكم من المسجونين) قيل كاسجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان
 بهوى فيه الى الارض وحده فرد الا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين نزع يده بالسجن (أولو
 جئتكم بشئ مبين) أى بآية بينة والمعنى أتفعل ذلك ولو جئتكم بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من
 أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعنى فرعون (فأتبه) أى انال
 نسجتك حينئذ (ان كنت من الصادقين فالق عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قيل انهم الماصرت حية ارتفعت
 في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها موسى فعادت عصا
 كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها
 شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملاحوه
 ان هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) وكان زمان السحر فلما ذرّج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد
 ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرون)
 يعنى ما رأيكم فيه وما الذى أعمله فعند ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أى أخوه وأخاه (وابعث في المدائن حاشرين
 يأثوك بكل ساحر عليم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا الاتفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شهية في
 أمره ولكن أخوه واجعه سحره ليقاومه ولا تثبت له عليك حجة قوله تعالى (فجمع السحرة ليعقات يوم معلوم)
 يعنى يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس
 هل أنتم مجتبعون) أى لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
 الغالبين) لموسى قيل أراذبا السحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا
 لفرعون أن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بئذ المال والجاه فبذل لهم ذلك

(٤٦ - (خازن) - ثالث) في المحل وهو النصب على الحال من الملائى كائنين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم)
 بالسحر ثم أعوى قومه على موسى بقوله (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا) منصوب لانه مفعول به من قولك أمرت الخبير (تأمرون)
 تشيرون في أمره من حبس أو قتل من الأوامر وهى المشاورة أو من الأمر الذى هو ضد النهى لماتحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنده ذكر
 دعوى الالهية وخط عن منكبىه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائسه خوفاً طفق يوامر قومه الذين هم زعمه عبده وهو لهم أوجع لهم
 آمين ونفسه مأورا (قالوا أرجه وأخاه) أخراهما ولا تباعث قتلها خوفاً من الفتنة (وابعث في المدائن حاشرين) شرطاً يحشرون
 السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأثوك بكل ساحر عليم) فخاؤا بكامة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه
 (فجمع السحرة ليعقات يوم معلوم) أى يوم الزينة فمقاتته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقت لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله
 تعالى موعدهم يوم الزينة وان يحشرون الناس ضحى والمقاتته ما وقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه موقت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم
 مجتبعون) أى اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استجبالهم (لعلنا نتبع السحرة) في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أى
 غلبوا موسى ولا يتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض السكنى ان لا يتبعوا موسى فساقت الكلام مساق السحرة
 لانهم اذا اتبعوا موسى لم يكونوا يتبعون موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين)

ألفا لكثرة من معه فعن الضحالك كانوا سبعة آلاف الف (وانهم لنا الغائطون) أي انهم بعد ان افعالنا غطينا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا وجلهم حلبنا وقتلهم أبكارنا (وانا لجميع حاذرون) شامى وكوفى وغيرهم حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعنى ونحن قوم من عادتنا المتيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فسادة وهذه معاذير يعتذر بها الى أهل المدائن لتلايظن به العجز والفطور (فاخر جناهم من جنات) بساتين (وعيون) وانهم جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوز لانهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كرم) موسى بهيج وعن ابن عباس رضى الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب (٣٦٣) على آخر جناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه

الذين قتلهم فرعون ستمائة ألفه قاتل لم يعد وادون العشرين و فوق الستمين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون (وانهم لنا الغائطون) الغيظ الغضب يعنى انهم أعضبو بانما خلفتهم فمينا وقتلهم أبكارنا وذهايمهم باموالنا التي استعمارها وهاوخر وجههم من أرضنا بغير اذن منا (وانا لجميع حذرون) أي خائفون من شرهم وفرى حاذرون أي ذوو قوة واداة ساكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الآت بالتحقيق من المتناس يحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه الا خائفا (فاخر جناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافى النيل فيها عيون وانهم جارية (وكنوز) يعنى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوز لانه لم يؤدق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤدق الله منه فهو كنوز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس حسن قيل أراد مجلس الامراء والرؤساء التي كانت لهم وقيل انه كان اذا قدم على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشرف من قومه والامراء وعلمهم أقبية الديقاخ مخصوصة بالذهب والمعنى اننا آخر جناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثنا بني اسرائيل) وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاملاك الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو واضعتها (فلما تراءى الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنوا اسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعنى موسى لثقتهم بوعده الله تعالى اياه (كلا) أي ان يدركونا (ان معى ربي شهيد) أي يدلنى على طريق النجاة (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق) أي فضر به فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بوج كالجبال قال يوشع يا كريم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا فاض يوشع الماء لا يورى حافر دابته وقال الذى يكتم ايمانه يا كريم الله أين أمرت قال ههنا فكبج فرسه فصبه بجمامه حتى طار الزيد من شدقه ثم أفعمه البحر فارسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدر وافجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضر به فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا بدمه (وأرلنا ثم الاخرين) أي قرب بنا فرعون وجنوده الى البحر وقدمناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرائيل ليطلق آخركم أولكم ويقول للقبط رويد الميطلق آخركم أولكم فكان بنوا اسرائيل يقولون مارا ينال احسن من هذا الرجل (وأحجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الاخرين) يعنى انه تعالى جعل البحر

الذي وصفنا والرفع على انه
خير مبتدا محذوف أى
الامر كذلك (وأورثناها
بني اسرائيل) عن الحسن
لمعبروا والنهر رجعوا
واخذوا ديارهم وأموالهم
(فأتبعوهم) فلتحقوهم
فأتبعوهم يزيد (مشرقين)
حال أي داخلين في وقت
شروق الشمس وهو طوعها
أى ادرك قوم فرعون
موسى وقومه وقت طلوع
الشمس (فلما تراءى
الجمعان) أي تقابلا بحيث
يرى كل فريق صاحبه
والمراد بنوا اسرائيل والقبط
(قال أصحاب موسى انا
لمدركون) أي قرب ان
يلحقنا عدونا وامامنا البحر
(قال) موسى عليه السلام
ثقة بوعده الله اياه (كلا)
ارتدعوا عن سوء الفان
بأنه فلن يدركوكم (ان
موسى) معى حفص (ربي
شهيد) أي شهيدى
طريق النجاة واضرارهم
شهيدى بالياء يعقوب
(فاوحينا الى موسى ان

اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانفلق) أي فضر ب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المتطاد في السماء (وأرلناهم) حيث انفلق البحر (الاخرين) قوم فرعون أي قومناهم من بني اسرائيل أو من البحر (وأحجينا موسى ومن معه أجمعين) من الفرق (ثم اغرقنا الاخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب في الاجال وغيره من الحوادث فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوعهم وروى ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليطلق آخركم أولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يطلق آخركم أولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال يوشع اوسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيتك آل فرعون قال موسى ههنا فاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والما يكون لكل شئ والكان بعد كل شئ

(ان في ذلك) أي فيما فعلنا موسى وفرعون (الآية) لعبره عجيبه لا توصف (وما كان أكثرهم) أي المغرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الآسية وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت موسى على قبر يوسف (وان ربك اله العزير) بالانتقام من أعدائه (الرحيم) بالانعام على اوليائه (واتل عليهم) على مشركي قريش (نبأ إبراهيم) خبره (اذ قال لايه وقومه) قوم إبراهيم أو قوم الاب (ما تعبدون) أي أي شئ تعبدون وإبراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سألهم ليربهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة (قالوا نعبد أصناما) وجواب ما تعبدون أصناما كيتشونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زاد وانعبد في الجواب افتخار او مباهاة بعبادتهم ولذا عطفوا على تعبد (فتنزل لها ما كفين) فنقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنزل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام (قال) أي إبراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف للدلالة (اذ تدعون) عليه أو ينفعونكم ان عبدتموها (أو يضرون) (٣٦٤) أي ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضرب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا تعبدها شئ من ذلك ولكن (وجدنا

يساخرني خراج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك انهم لما تكلموا في البحر انطبق عليهم فغرقهم (ان في ذلك آية) يعني ما حدث في البحر من انفلاقه آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزته لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم مؤمنين) يعني أهل مصر قبل لم يؤمن منهم الا آسية امرأة فرعون وخرقيل مؤمن آل فرعون ومريم ابنة ماعمو بالتي دلت على قبر يوسف حين أخرجهم موسى من البحر (وان ربك اله العزير الرحيم) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لايه وقومه ما تعبدون) أي أي شئ تعبدون وانما قال إبراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليربهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شئ (قالوا نعبد أصناما فنزل لها ما كفين) أي نقيم على عبادتها وانما قالوا فنزل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم (اذ تدعون أو ينفعونكم) يعني بالرزق (أو يضرون) أي ان تركتم عبادتهم وإذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما رزقهم الخبز العاطية (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انهم لا تسمع قولنا ولا تجلب نفعنا ولا تدفع ضررنا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاختزال استدلال (قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أتم وأباؤكم الاقدمون) أي الاولون (فانهم عدو لي) أي أعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلية أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لان من عاديتهم فقد عاداك (الارب العالمين) أي ولكن رب العالمين فانه ربي وولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل ما تعبدون أعداء على الارب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقني فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذي هو بطعمي ويسقيني) أي يرزقني ويغذي بي بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للدواب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفيني) أي يبرئني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحييني) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة (والذي أطعم) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قبل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام علىها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

آباءنا كذلك يفعلون) فقلنا ما هم (قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أتم وأباؤكم الاقدمون) الاولون (فانهم) أي الاصنام (عدو لي) العدو والصديق يميان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي في يوم القيامة كقولهم سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أي فاني عدو لهم وفي قوله عدو لي دون لكم زيادة نصح ليكون أدي لهم الى القبول ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذي خلقني) بالتسكين في القرار المسكين (فهو يهدين) لما نهج الدنيا ومصالح الدين والاستقبال

في يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدين للاهم الافضل والاتم الاكل أو الذي خلقني لاسباب خدمته فهو وهذا يهدين الى آداب خلقته (والذي هو بطعمي) أضاف الاطعام الى ولي الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقيني) قال ابن عطاء هو الذي يحييني بطعامه ورويني بشرابه (واذا مرضت) وانما لم يقل أمرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يصف اليه ما يقتضي الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو يشفيني) بمشاهدة الحق قال الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو يشفيني بكشف منة الافعال (والذي يميتني ثم يحييني) ولم يقل اذمتم لانه الخرج من حبس البلاء ودار الفناء الى روض البقاء وعد القاءه أدخل ثم في الاحياء لترخيته عن الافناء وأدخل الفاء في الهداية والشفاء لانهم ما يعقبان الخلق والارض لامعما (والذي أطعم) طمع العبيد في المر الى بالافضل لاعلى الاستحقاق بالسؤال (ان يغفر لي خطيئتي) قيل هو قوله اني سقيم بل فعله كبرهم هذاربي للبارغ هي أختي لسارة وما هي الامعار بض جارة ولبست بخطايا بطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء فوضع منهم لرهم وهضم لانفسهم وتعليم للاهم في طلب المغفرة (يوم الدين يوم) الجزاء

(رب هب لي حكما) حكمه أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة لأن النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباده الله (والحقيقي بالصلحين) أي الأنبياء
 ولقد أجابته حيث قال وأنه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جيلاني في الامم التي تحبني بعدي
 فاعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويشنون عليه ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به (واجعلني من) يتعلق بمعدوف أي وارثان
 (ورثة الجنة النعيم) أي من الباقيين فيها (واغفر لابي) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من الضالين)
 الكافرين (ولا تخزني) الاخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزية وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد
 لانه معلوم أول الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لايه أي ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وأبي فهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول
 (ولا بنون) أحدا (الامن) أي الله بقلب سليم) عن الكفر والتناق قلب الكافر والمناق مرض اقوله تعالى في قلوبهم مرض أي ان المال
 اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى
 من أي الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعول لا ينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا
 رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع نبيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم (٣٦٥) الشرائع ويجوز على هذا الامن أي الله

بقلب سليم من فتنه المال
 والبنين وقد صوب الجليل
 استثناء الخليل اكرامه ثم
 جعله صفته في قوله وان
 من شيعته لا يراهم اذ جاء
 ربه بقلب سليم وما أحسن
 ما رتب عليه السلامة من
 كلامه مع المشركين حيث
 سألهم أولا عما يعبدون
 سؤال مقرر لا مستفهم ثم
 أقبل على آلهتهم فابطل
 أمرها بانها لا تضر ولا تنفع
 ولا تسمع وعلى قلبهم
 آباءهم الا قدمين فأخرجه
 من أن يكون شبهة فضلا
 عن أن يكون حجة ثم صور
 المسئلة في نفسه دونهم حتى
 تخلص منها الى ذكر الله

وهذا كما احتجج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للالهية الامن يفعل هذه الانفعال (رب هب لي حكما)
 قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقيقي بالصلحين) أي بمن سلف قبلي من
 الانبياء في النزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جيلاني
 وقبول اعلا في الامم التي تحبني بعدي فأعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه
 (واجعلني من ورثة الجنة النعيم) أي بمن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي) انه كان من
 الضالين) قيل دعلا لبيته على رجاؤه أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزني) أي ولا
 تفضحني (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الامن) أي خالص من
 الشرك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن
 لان قلب الكافر والمناق مرض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المظلمة الى السنة (وأزلت
 الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أي أظهرت (للعاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم
 القيامة (أي بما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أي يمتنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون)
 لانفسهم (فكذبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم
 (فيها) أي في جهنم (همم والعاون) يعني الآلهة والعايدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس
 أجمعون) يعني اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يخضعون) يعني العابدون
 والمعبودين (تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم) أي نعد لكم (رب العالمين) فنعبدكم (وما أضلنا) يعني
 دعانا الى الضلال (الا المجرمون) يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاقوالون الذين
 اقتدى بناهم وقيل يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قاييل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من
 شافعين) يعني من يشفع لنا يعني كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صدق جيم) أي قريب

تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما برح في الآخرة من رحمة ثم اتبع ذلك ان دعاء دعوات المخلصين
 وابتهل اليه ابتهاج الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من
 الضلال وتحنى السكر الى الدنيا بومناو يطبعوا (وأزلت الجنة للمتقين) أي قربت عطفت جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها
 (وبرزت الجحيم) أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهاها (للعاوين) للكافرين (وقيل لهم) أي بما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو
 ينتصرون) لوجنحون على أسرارهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم ينصرونكم أو هل ينفعونكم أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم
 وقود النار (فكذبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في الجحيم (هم) أي الآلهة (والعاون) وعبدتهم الذين برزت لهم والسكبكية
 تسكر بالكب جعل السكر وفي اللفظ دلالة على السكر في المعنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينسكب مرة اثر مرة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله
 منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو مبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يخضعون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح
 التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين (تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم) نعد لكم أي الاصنام (رب العالمين)
 في العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أي رؤسائهم الذين أضلواهم أو ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فما لنا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء
 والاولياء والملائكة (ولا صدق جيم) كثرى لهم اصدقاؤا ولا يتصدقون في الآخرة لا المؤمنون وأما أهل النار فينبههم التعادي الاخلاص يومئذ

بعض عدو الالمقين ارفالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين گناعدتهم شفعا واصداقنا منهم كانوا عتدوا في اصنامهم اشم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقا من شياطين الانس والجميم من الاحتسام وهو الالهام الذي يمه ما يملك اومن الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعا في العادة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يمه ما يملك تقبل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لامعني له وجزان يرا دبا الصديق الجمع (فلوان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فمنكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو فعلنا كبت وكبت اولو في مثل هذا بمعنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة لباين معنى لوليت من التلاقي (ان في ذلك) في ما ذكر من الايياء (لاية) اى عبرة لمن اعتمر (وما كان اكثرهم مؤمنين) في ما ذكر بقامهم آمنوا (وان ربك لهو العزيز) المنتقم ممن كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذى قلب سليم الى جنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذكروا نون قيل ولد نوح في زمن آدم عليه السلام ونظيره قوله المرسلين والمراد (٣٦٦) نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الادابة او برد او كانوا يشكرون

يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصدق وهو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوه الى الجنة فيقول من بقي فلان من شافعين ولا صديق حميم رواه البخاري بسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقا اؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فلوان لنا كرة) اى رجعة الى الدنيا (فمنكون من المؤمنين) اى انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين) اى مع هذه الدلائل والايات (وان ربك لهو العزيز الرحيم) اى المنتقم الذى لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) اى كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤمنة وتصغيرها قومة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقى القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم جاء بما جاء به الاول فن كذب واحد من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم اخوهم نوح) اى اخوهم في النسب لافى الدين (الانتقون) اى الاتقون فتر كوا الكفر والمعاصى (انى لكم رسول أمين) اى على الوحى وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) اى بطاعته وعبادته (واطيعون) اى فيما امرتكم به من الايمان والتوحيد (وما استلکم عليه من اجر) اى من جعل وجزاء (ان اجرى) اى ثوابى (الاعلى رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كرره ليوكد عليه ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الاتقون الله في مخالفتى وانما رسول الله ومعنى الثانى الاتقون الله في مخالفتى وانى لست اخدم منكم اجرا (قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون) اى السفلة قال ابن عباس يعنى القافة وقيل هم الحاكمة والاسا كفة (قال) يعنى نوحا (وما علمى بما كانوا يعملون) اى وما علم اعمالهم وصنائعهم وليس على من دناءة مكاسبهم واحوالهم شئ انما كلفت ان ادعوه الى الله تعالى وما الى الاطوار امرهم وقال الزجاج الصناعات لانضم في الديانات وقيل معناه انى لم أعلم ان الله يهديهم ويضلهم ووقفهم ويخذلهم (ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) اى لو تعلمون ذلك ما عبرتوهم بصنائعهم (وما نابطارد المؤمنين) اى عنى وقد آمنوا (ان انا الا نذير مبين) معناه اخوف من كذبتى فمن آمن فهو القريب معنى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا لن لم تنته يا نوح) اى عما تقول (لنتكون من المرجومين) اى من المقتولين بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من

بعث الرسل اصلا فاذا جمع اولان من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يذعو الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا يجمع ما في هذه السورة (اذ قال لهم اخوهم) نسبا لادينا (نوح) الاتقون) خالق الانام فتر كوا عبادة الاصنام (انى لكم رسول أمين) كان مشهورا بالامانة ففهم كحمده عليه الصلاة والسلام في قرىش (فاتقوا الله وأطيعون) فيما امرتكم به وادعواكم اليه من الحق (وما استلکم عليه) على هذا الامر (من اجر) جزاء (ان اجرى) بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (الاعلى رب العالمين) فلذلك ارينه (فاتقوا الله وأطيعون) كرره ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل

واخذ منها بعله فعلة الاول كونه امة ما يبينه وعلة الثانى حسم طمعهم منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا ثم اذا عرفتم احترامى من الاجرافاتقوا الله (قالوا انؤمن لك واتبعك) الواو للعمال وقد مضى بعد هاد ايله قراءة يعقوب واتباعك جمع تابع كشاهدوا وشهادتبع كبطل وابطال (الارذلون) السفلة والردالة الخسة والذناء وانما استرذلوهم لانضاع نسيهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدينية والصناعة لاترى بالديانة فالغنى عنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن وذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء كذلك (قال وما علمى) و اى شئ أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما اطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهره فقال ما على الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما نابطارد المؤمنين) اى ليس من شأنى ان اتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعانى ايمانكم (ان انا الا نذير مبين) ما على الا ان انذركم نذارا بينا بالبرهان الخبيص الذى يميز به الحق من الباطل ثم انتم أعلم بشئكم (قالوا لن لم تنته يا نوح) لنتكون من المرجومين (من المقتولين بالحجارة

(هضيم) لين نضيج كأنه قال ونخل قدار طب ثمرة (وتختون) تنقبون (من الجبال بيوتافرهين) شامى وكوفى مذقبن حال وغيرهم فرهين اشرب
والفرهة السكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعوا ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافر بن أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على
المجازا الحكمى والمراد الا امر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاديهما عن موضعه فى العقل لضرب من التأول كقولهم أنبت الربيع البقل (الذين
يفسدون فى الارض) بالظالم والكفر (ولا يصلحون) بالإيمان والعدل والمعنى ان فسادهم مصعب ليس مع شئ من الصلاح كما تكون حال بعض
المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحورين) المسحور الذى مسح كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحرة الرثة وأنه بشر
(ما أنت الا بشر مثلنا) فاتية ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا ترا جوهافيه (ولكم شرب
يوم معلوم) لا ترا جكم هي فيبدرى انهم قالوا ان يذ ناقة عشرة تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فجعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين
واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة ونجت سقبا مثلها فى العظم وصدرها ستون ذراعا وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كما هو إذا كان يوم
شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهايأة لان قوله لها شرب ولو لكم شرب يوم معلوم من المهايأة (ولا تسوها بسوء) بضر أو
عقر أو غير ذلك (فياخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم
بسيبه كان موقعه من العظم أشد (٣٦٨) (فعرورها) عقرها قدار ولو ليكنهم راضون به فاضيف اليهم روى ان عاقرها قال لا أعقرها حتى

أوالنعومة وقيل هو المدرك (وتختون من الجبال بيوتافرهين) وقرئ فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتها
والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه مخبرين فرحين مجبين بصنعكم (فاتقوا الله وأطيعوا ولا
تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أى المشركين وقيل يعنى التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون فى
الارض) أى بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المسحورين) أى من
المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من الخلقين المعلنين بالطعام والشرب (ما أنت الا بشر مثلنا) والمعنى
انت بشر مثلنا ولست بلك (فأت باية) يعنى على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعنى انك رسول النبيا
(قال هذه ناقة لها شرب) أى حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تسوها بسوء) أى بعقر (فياخذكم
عذاب يوم عظيم فعرورها فاصبحوا نادمين) أى على عقرها المار أو العذاب (فاخذهم العذاب ان فى ذلك
لاية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسئلكم عليه من أجران
أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكر ان من العالمين) يعنى نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ما خلق
لكم ربكم من أزواجكم) يعنى أنتم تركون العضو المباح من النساء وتقبلون انى اذ بار الرجال (بل أنتم قوم عادون)
أى معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا التئ لم تنته يالوط لتسكون من المخرجين) أى من قريتنا (قال
انى لعلكم من القالين) أى من التاركين المبغضين (رب نجى وأهلى بما يعملون) أى من العمل الخبيث
قال الله تعالى (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) أى امرأته (فى الغابرين) أى بقيت فى المهلكين (ثم دمرنا

ترضوا أجمعين فساكنوا
يدخلون على المرأة فى
خدرها فيقولون آترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهن
(فاصبحوا نادمين) على
عقرها خوفا من نزول
العذاب بهم لانهم توبه أو
ندموا حين لا ينفع الندم
وذلك عند معاينة العذاب
أوعلى ترك الولد (فاخذهم
العذاب) المقدم ذكره
(ان فى ذلك لاية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
أخوهم لوط ألا تتقون انى

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أسئلكم عليه من أجران أجرى الا على رب العالمين أتأتون
الذكر ان من العالمين) أراد بالعالمين الناس أتأتون الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أنطون أنتم من بين من عداكم من العالمين
الذكر ان أى أنتم تختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينسكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) من تبين
لما خلق أو تبعض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم اذ بار الزوجات والمملوكات ومن أجزه
فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد أى بل أنتم قوم أحق بان توصفوا بالعدوان حيث
ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا التئ لم تنته يالوط) عن انكارك علينا وتقبيل أمرنا (لتسكون من المخرجين) من جملة من أخرجناهم من بين
أظهرنا وطردنا من بلدنا ولهم كانوا يخرجون من أخرجه على أسوأ حال (قال انى لعلكم من القالين) هو أبلغ من أن يقول قال فقوله
فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانهم مساهم لهم فى العلم والقلى البعض يقلى القواد الكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان
قلاه من حيث الدين (رب نجى وأهلى بما يعملون) يعنى بناته ومن آمن معه (العجوزا) هى امرأة
لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية فى حكم العاصى واستثناء الكافر من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك فى هذا الاسم وان لم تشاركهم
فى الايمان (فى الغابرين) صفة لها أى فى الباقيين فى العذاب فلم تخ منه والغابى فى اللغة الباقي كأنه قيل الا عجوزا غابرة أى مقدر اغبورها اذ
الغبور لم يكن صفته وقت تخبثهم (ثم دمرنا

الآخرين) والمراد بتدبيرهم الاتفالك بهم (وأما ما عليهم مطرا) عن فتادة أمطر الله على شاذة قوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالأتفالك حتى أتبعه مطر من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذر من) والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الآية) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشاحي وكذا في ص علم لبلد قبيل أصحاب الآية هم أهل مدين التجوا الى غيضة اذ ألح عليهم الوهج والاهم غيرهم تزوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المغل بدل ان لم يقبل هنا أخوهم شعيب لانه لم يكن من نسهم بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث ان شعيبا أحمدين أرسل اليهم والى أصحاب الآية (المسلمين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أمثلكم عليه من أجران أجرى الاعلى رب العالمين أو فوا السكيل) أتوه (ولا تكونوا من المخسرين) ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو ما مور به وطفيف وهو منهي عنه وزائد وهو مسكوت عنه فتر كه دليل على انه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شيء عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهى الميزان أو القبان فان كان من القسطا وهو العدل وجعلت العين مكروهة فوزنه فعلان والافهور باعى (ولا تبخسوا الناس) يقال تبخسته حقه اذ انقصته اياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) ولا تبالغوا فيها فى الافساد نحو قطع (٣٦٩) الطريق والغارة واهلاك الزروع وكذاوا يفعلون ذلك فنهوا عنه يقال عثا فى الارض اذا أفسد عثى فى الارض لغته فى عثا (واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أى اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة (الاولين) الماضين (قالوا) انما أنت من المسخرين وما أنت الا بشر مثلنا اذ خال الوارها ليقيد معنى بين كلاهما منافى الرسالة عندهم التسخير والبشرية وتركها فى قصة نوح ليقيد معنى واحدا وهو كونه مسخراتم قرر بكونه بشر امثالهم (وان نطق لمن الكاذبين) ان تخففه من الثقيلة واللام

الآخرين) أى أهلكاهم (وأما ما عليهم مطرا) يعنى الكبريت والنار (فساء مطر المنذر من ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذب أصحاب الآية المرسلين) أى الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (اذ قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم (ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا وما أمثلكم عليه من أجران أجرى الاعلى رب العالمين) انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حتى الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أو فوا السكيل) ولا تكونوا من المخسرين) أى الناقصين لحقوق الناس فى السكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أى بالميزان العدل (المستقيم) ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة (الاولين) يعنى الخليفة والامم المتقدمة (قالوا انما أنت من المسخرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نطق لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا) أى قطعنا (من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون) أى من نقصان السكيل والوزن وهو مجاز يكى باعمالكم وليس العذاب الى وما على الا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخنون الاسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فاطلمتهم بحجارة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نار فاحترقوا جميعا (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص فى سورة الاعراف وهو دفاخنى عن الاعادة هنا والله أعلم بمراده (وقوله عز وجل (وانه يعنى القرآن) لتنزىل رب العالمين) يعنى ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين (نزله الروح الامين) يعنى جبريل عليه السلام سمار وحالانه خلق من الروح وبمها أمين لانه مؤمن

(٤٧ - حازن) - ثالث) دخلت للفرق بينهما بين النافية وانما تفرقتا على فعل الظن ونفى مقعوله لان أصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد المناطق فلما كان بابا كان ووطننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا (فأسقط علينا كسفا) كسفا حقص وهما جعما كسفة وهى القطعة وكسفة قطعة (من السماء) أى السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) أى ان كنت صادقا فانك نبى فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أى قطعنا من السماء عقوبة (قال ربى) بفتح الباء حجازي وأوعر وروسكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أى ان الله أعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فان أراد أن يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فالله الحكيم المشيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى بحابة أطلمتهم بعدما حبست عنهم الرجوع وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستخبرين بها ما نالهم من الحر فامطرت عليهم نار فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقد كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر وتقر والمعانيها فى الصدور وليكون أبلغ فى الوعظ والرحولان كل قصة منها كتزىل برأسه وفهام الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت جديرة بان تفتح بما افتتحت به صاحبها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أى القرآن (لتنزىل رب العالمين) منزل منه (نزله) تخفف والفاعل (الروح الامين) أى جبريل لانه أمين على الوحي الذى فيه الحياة حجازي وأوعر وروسكونها بالشد يد ونصب الروح والفاعل هو الله تعالى أى جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعبية

(على قلبك) أي حفظك وفهمك ما به وأثبت في قلبك اثبات ما لا ينسى كقولك سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربي بلغة قريش وجرحهم) مبين (فصح ومصحح عما صحفته العامة والباء عما ان يتعلق بالمنذرين أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام أو ينزل أي نزل بلسان عربي لتندربه لانه لو نزل بلسان أعجمي لتجاوزه عنه أصلا ولقولوا ما نضع بما لا نفهمه فبئس عذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزله على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أحراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرا الى المعاني الكلام وان كان غيرهما كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها وان كان ماهرا بغيرها فهذا تقرر برأيه نزل على قلبه انزوله بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن (لنفي زبر الاولين) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة (اولم يكن لهم آية) شاي جعلت آية اسم كان وخبره (ان يعلمه) أي القرآن لوجود ذكره في التوراة وقيل في يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ أن يعلمه والجملة خبر كان وقيل كان تاما والفاعل آية وان يعلمه بدل منها أو خبر مبتدأ محذوف أي أولم تحصل لهم آية وغيرها يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره (٣٧٠) وان يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية (علموا بني اسرائيل)

على وجهه لا نبيا ثم (على قلبك) يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خاص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرج في الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزنته تغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى (لتكون من المنذرين) أي المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه (وانه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لنفي زبر الاولين) أي كتب الاولين (اولم يكن لهم آية) يعني أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه) يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علموا بني اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا الزمانه وانما نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسود وأسيد وقوله تعالى (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الاعجميين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يبين عربيا في النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأ عليهم) يعني القرآن (ما كانوا مؤمنين) أي لقالوا لانفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي

كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمننا به انه الحق من ربنا انما كنا من قبله مسلمين ونخطي في المصحف علموا ووقبل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجميين) جمع أعجم وهو الذي لا يفصح وكذلك الاعجمي الآن فيمنز يادة بالنسبة زيادة تأكيدا ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجمي وأعجمي شهوة بمن لا يفصح ولا يبين والعجمي الذي من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين

وقيل الاعجميين تخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون أي الاشعرون بحذف باء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع القرآن جمع السلامة لان مؤنثه عجماء (فقرأ عليهم ما كانوا مؤمنين) والمعنى انا أنزلنا القرآن على رجل عربي مبين يفهمه وعرفوا فصاحتهم وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انهم عند الله وليست باساطة بل كل عوام يؤمنون به وهو شعرا تارة وشعرا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعجم الذي لا يحسن العربية فضلان يقدر على نظم مثله فقرأ عليهم هكذا معجز الكفر وابه كما كفر واوتحموا بخودهم عذرا ولسهوه شعرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا مؤمنين (في قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاضرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقرناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى ان يتغير واعياهم عليه من الكفر به والتكذيب به كما قال ولو نزلناه عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصحاح مبين وهو مجتهد على المعتزلة في خلق افعال العباد خيرا وشرها ووقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضع والخص لانه مسوق لثبات كونه مكدبا بمجرد اداني قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به

(حتى بر والاعذاب الاليم) المراد ما عينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم (فيا آتيم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بانتهائه (فيقولوا) وفي آتيم معطوفان على بر و(هل نحن منظررون) يسألون الفطرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستجيبون) توخي لهم وانكار عليهم قولهم فأمطر علينا بحجارة من السماء وأوتنا بعذاب أليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتذمر اذاته وسكن الى ما أوفاهه والله تعالى يقول (أفرأيت ان متعناهم سنين) قبل هي سنة ومدة الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنعون) به في تلك السنين والمعنى ان استجبالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم يمتنعون باعمار طول في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستجيبون أشرا وبطرا واستهزاء وانكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما بعثتكم من متبعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم (٣٧١) حينئذ ما مضى من طول أعمارهم

وطيب معايشهم وعن
 ميمون بن مهران انه لقي
 الحسن في الطواف وكان
 يتقنى لقاءه فقال له عظمي فلم
 يزد علي تلاوة هذه الآية
 فقال ميمون فد وعظمت
 فاباغت وعن عمر بن عبد
 العزير انه كان يقرؤها
 عند جلوسه للحكم (وما
 أهلكننا من قسرية الا لها
 منذرون) رسل ينذرونهم
 ولم تدخل الواو على الجملة
 بعد الا كما في وما أهلكننا من
 قسرية الا لها كحلب معلوم
 لان الاصل عدم الواو اذ
 الجملة صفة لقرية واذا زيدت
 فلما كيد وصل الصفة
 بالوصوف (ذكرى)
 منصوبة بمعنى تذكرة لان
 انذر وأذ كر متقاربان
 فكانه قبل مذكرون
 تذكرة أو حال من الضمير في
 منذرون أي ينذرونهم
 ذوى تذكرة أو مطعول له
 أي ينذرون لاجل التذكرة
 والموعظة أو مرفوعة

القرآن (حتى بر والاعذاب الاليم) فيا آتيم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظررون) أى لنؤمن
 ونصدق ونؤمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستجيبون) قبل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم
 بالعذاب قالوا الى متى نؤعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستجيبون (أفرأيت ان متعناهم
 سنين) أى كفار مكة في الدنيا ولم ينزلهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعنى العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا
 يمتنعون) أى في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا آتاهم العذاب لم يعن عنهم
 طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكننا من قسرية الا لها منذرون) أى رسل
 ينذرونهم (ذكرى) أى تذكرة (وما كنا ظالمين) أى في تعذيبهم حيث قدمنا الحجية عليهم (وما ننزل به
 الشياطين) يعنى ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين ياقرون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
 فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغى لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك
 فقال (انهم عن السمع لم عزولون) أى محجوبون بالرعي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلان دع مع الله
 الها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن
 عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولواتخذت الها غيرى لعذبتك ﴿ قوله تعالى (وانذر
 عشيرتک الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه قال لما نزلت هذه الآية
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا
 وعرفت انى متى أباديهم بهذا الامر ارى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل
 ما تؤمر به بذنر بك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا علب من جل شاة واملأ لنا عس من لبن ثم اجمع لى بنى
 عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون
 رجلا أو ينقصونه فهم أعمامه أبو طالب وحزرة العباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذى صنعت
 فحنت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال
 خذوا باسم الله فان كل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة وایم الله ان كان الرجل الواحد ليا كل مثل ما قدمت
 لجميعهم ثم قال اسق القوم فحنتهم بذلك العس فشر بواحي روى واجمعوا ایم الله ان كان الرجل الواحد
 لبشر بمثله فلما أرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدمه أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق
 القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي فان هذا الرجل قد سبقنى الى ما صنعت من
 القول فتفرق القوم قبل أن أكلهم فاعدت لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني
 بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى

على انهم اخبرتم بتداحذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة بأهل كما فعلوا له
 والمعنى وما أهلكننا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما أزمناهم الحجية بارسال المنذرین اليهم ليكون اهلا كهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل
 عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القرآن على محمد أتزل (وما ننزل به) أى القرآن
 (الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدر عليهم (انهم عن السمع لم عزولون) لمنوعون بالشهب (فلان دع
 مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) مورد النهى لغيره على التعريض والتجريد له على زيادة الاخلاص (وانذر عشيرتک الاقربين)
 خصهم لنفى التهمة اذ الانسان يساهل قرابته أو ليعلموا أنه لا يبغي عنهم من الله شيئا وان الحجية في اتباعه دون قرية ولما نزلت سعد الصفواندى
 الاقرب فالاقرب وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفيحة عمه رسول الله انى لا أملاك لكم من الله شيئا

من ترك للايمان وهم الكهنة والمنتمية كسطيح وطيحة ومسيحة ومحمد صلى الله عليه وسلم بستم الافا كين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل ان يحجوا بالرجم يستمعون الى المالا اعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم ويلقون حال اى تنزل لعقابين السمع او صفة لكل افك لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجزاء او استثناء فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافا كين فقيل يفعلون كيت وكيت (واكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يستمعونهم مالم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وقيل الافا كون يلقون السمع الى الشياطين وينقلون وحدهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافا كين كاذبون يقترون على الشياطين (٢٧٣) مالم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر

الافاك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافاك فاذا اد ان هؤلاء الافا كين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه وعن الحسن وكلمهم وانما فرق بين وانه لتزليل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبشكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق بينهن بايات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا وفي صدرك اهتمام بشئ فتعيذ كره ولا تغفل عن الرجوع اليه * ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم (والشعراء) مبتدأ خبره (يتبعهم الغاؤون) اى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتزريق الاعراض والقدرح في الانساب ولسدخ من لا

ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) اى ما يسمعون من الملائكة فملقونه الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يحجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابوعمر بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجمع اليهم غواة قومهم يستمعون اشعارهم حين يحجون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاؤون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاؤون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومهم وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (لم تر انهم في كل واد) من اودية الكلام (يهيمون) يعنى حائرين وعن طريق الحق حائرين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصده وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يدحون بالباطل ويمحجون بالباطل وقيل انهم يدحون الشئ ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لغون الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وانهم يقولون ما لا يفعلون) اى انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يدحون الجود والكرم ويحشون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل وبصرون عليه ويمحجون الناس بادنى شئ صدر منهم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يتلى جوف احدكم فيحيا حتى يريه خبيره من ان يتلى شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الكفار ويستمعون ويناقون عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل في الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وامن رواحة تسمى بين يديه وهو يقول

خداوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضر بكم على تنزيله
ضربا ينزل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر بن ابان رواحة بن ابي ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تخل عنه يا عمر فلهمى اسرع ففهم من نضح النبل اخرج الترمذي والنسائي وقال الترمذي وقدر وى في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم موثة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك فالت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم موثة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء

يستحق المسدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاؤون اى السفهاء والراؤون او الشياطين او المشركون قال الزجاج اذا مدح او هجاشاعر عملا يكون واحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاؤون يتبعهم نافع (لم تر انهم في كل واد) من الكلام (يهيمون) خبر ان اى في كل فن من الكذب يتحذون اوفى كل لغو وباطل يخوضون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصده وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا اجبن الناس على عنتره وابلحهم على حاتم عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله
وبت اقص اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عنى الحد بقوله (وانهم يقولون ما لا يفعلون) حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد * ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت

وكعب بن زهير وكعب بن مالك
رضي الله عنهم (وذكروا
الله كثيرا) أي كان ذكر
الله وتلاوة القرآن أعاب
عليهم من الشعر وإذا قالوا
شعرا قالوه في توحيد الله
تعالى والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والادب
ومدح رسول الله والصحابة
وصالحاء الأمة ونحو ذلك مما
ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد
الذكر الكثير ليس بالعدد
والغفلة لكنه بالحضور
(واتصر وا) وهجوا (من
بعده ما ظلموا) هجوا أي
ردوا هجاء من هجوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين وأحق الخلق
بالهجاء من كذب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهجاء
وعن كعب بن مالك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له اهجهم قوال الذي نفسي
بيده لهو أشد عليهم من
النبل وكان يقول لحسان
قل وروح القدس معك
* وختم السورة بما يقطع
أبكار المتدبرين وهو قوله
(وسيعلم) وما فيه من الوعيد
البليغ وقوله (الذين
ظلموا) وإطلاقه وقوله
(أي منقلب يتقلبون)
وابهامه وقد تلاها أبو بكر
لعمري رضي الله تعالى عنه
حين عهد اليه وكان السلف
يتواظفون بها قال ابن
عطاء سيعلم المعرض عما
ما الذي فاته منا وأي منسوب
وينقلبون على الصدر لا يعلم
لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي يتقلبون أي الانقلاب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قرىظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منسرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينافع ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع
أوفاخ عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريظة فانه أشد عابها من
رشق النبل فأرسل الى ابن ربيعة فقال اهجهم فهجهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى
حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لك ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه
لفعل يحرکه فقال والذي بعثك بالحق لا اقر بهم بل ساني فرى الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجل فان
أبا بكر أعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسب حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم جع فقال يا رسول الله
قد خلص لي نسبيك والذي بعثك بالحق نبيا لا اسئلك منهم كما تسأل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما ناقت عن الله ورسوله قالت
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشقق واشتق فقال حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء * هجوت محمدا براتقيا
رسول الله شيمته الوفاء * فان أبي والذبي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
نكأت بنتي ان لم تروها * تثير النقع من طرفي كداء * يبار بن الاعنة صعديات
على أكتافها الاصل الظماء * تغسل جياتنا من مططرات * تلطمهن بالجر النساء
فان أعرضتم عنا اعتزنا * وكان الفخ وانكشف الغطاء * والا فاصبر والضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * لنا في كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ومدحه ويتصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

* (فصل في مدح الشعر) * (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
الحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم بفعل يتكلم بكلام فقال
ان من البيان سحر وان من الشعر حكمة أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردف وراء
النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعرا أمية بن أبي الصلت شئ قلت نعم قال هيبه فأنشدته بيتا
فقال هيبه ثم أنشدته بيتا قال هيبه حتى أنشدته مائة بيت زاد في روايه أحمد كاد يسلم في شعره * عن جابر بن سمرة
قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء
من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة
الشعر كلام فنه حسن ومنه فيج فذم منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر
وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروى عن ابن عباس انه كان يتشد الشعر ويستتشد في
المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستتشد القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نعيمى أنت غاد فبكر * غداة غدا أم راح فمهج

فأنشده القصيدة الى آخرها وهي قريش من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها
بمرة واحدة وقوله تعالى (وذكر والله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (واتتصر وامن بعد
ما ظلموا) أي انتصر وامن المشركين لانهم بدوا بالهجاء ثم أوعده شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم الذين
ظلموا) أي أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أي منقلب
يتقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده
وأسرار كتابه

* (تفسير

* (سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين وتلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين اللوح وآياته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بين للنظر بين فيه آياته أو القرآن وآياته أنه مبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو هذا فعل السخى والجواد ونكر الكتاب ليكون أخص له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علمان للمتل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعرف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف (هدى وبشرى) في محل نصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة فالعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة أو الجرح على أنه بدل من كتاب أو صفته أو الرفع على هي هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على ان يكون خبرا بعد خبر تلك أي تلك آيات وهداية من الضلالة وبشارة بالجنة وقيل هدى لجميع الخلق وبشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلوة) يدعون على فرائضها وسننها (ويؤتون الزكاة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل وهو لاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الأولاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لان خوف (٣٧٥) العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لا يؤمنون

* (تفسر سورة النمل وهي مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبع مائة وتسعة وتسعون حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

توله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبين) أي وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلوة) أي الجنس بشرانها (ويؤتون الزكاة) اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينة لهم أعمالهم) أي العجيبة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يتخلق الله العلم في القلوب بما فيه المنافع والذات ولا يتخلق العلم بما فيه المضار والآفات (فهم يعمهون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده وهو القتل والأسر (وهم في الآخرة هم الاخسررون) أي انهم خسروا أنفسهم وأهلهم وساروا إلى النار ﴿قوله تعالى﴾ (وانك لتلقى القرآن) أي تؤناه وتلقنه وحييا (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالأمور العلمية فقط والعلم أعم منه لان العلم قديكون علما وقد يكون نظرا او العلوم النظرية أشرف (اذ قال) أي واذا كرمنا بما اذ قال (موسى لاهله) أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر (اني آنست) أي أبصرت (نارا ساآتيمك منها يخبر) أي امكثوا مكانكم ساآتيمك يخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيمك بشهاب قنص) الشهاب شعله النار والقنص القنص منها وقيل القنص هو العود الذي في أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) أي تستدفون من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورئك

بالآخرة زينة لهم أعمالهم) يحلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل والأسر يوم يذبحا كان منهم من سوء الأعمال (وهم في الآخرة هم الاخسررون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم ففسر وذلك مع خسران النجاة وثواب الله (وانك لتلقى القرآن)

لتؤناه وتلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أي حكيم وأي علم وهذا معنى تنكيرهما وهذه الآية بساطة وتعميد لما يريد أن يسوق بعده من الأقسام يصيب وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب باذكر كأنه قال على ان ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لاهله) زوجته ومن معه عند مسيره من مدين إلى مصر امكنوا (اني آنست) أبصرت (نارا ساآتيمك منها يخبر) عن حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتيمك بشهاب) بالتنوين كوفي أي شعله مضئبة (قنص) نار مقبوسة تبدل أو صفة وغيرهم بشهاب قنص على الإضافة لانه يكون قنصا وغير قنص ولا دافع بين قوله ساآتيمك هنا ولعل على آتيمك في القصص مع ان أحدهما ترجح والآخر يفتقر لان الراجح اذا قورر جازم يقول سأفعل كذا وسيفعل كذا مع تجوز الخيبة وتوجيهه بسين التسوية عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة وبالأنه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعد واحدة منهما ما هداية الطريق واما اقتباس النار ولم يدرانه ظافر على النار بحاجتيه الكائنين وهما عز الدين والآخر واختلاف اللفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النسخا بغير لفظ الترتوج (لعلكم تصطلون) تستدفون بالنار من البرد الذي أصابكم والطاء بدل من تاء الفعل لاجل الصاد (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودى) موسى (أن بورئك

قوله وهي مائتان الخ كذا بالاصول التي بأيدينا وهو مخالف إلى الكشاف الخطيب والنسفي اه

تخففه من الثقلية وتقد به نودي بانه بورك والضمير ضمير الشأن و جاز ذلك من غير عوض وان منعته الزخمرى لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى القول أى قيل له بورك أى قدس أو جعل فيه البركة والخير (من في النار ومن حولها) أى بورك من في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها أى موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستقباله واظهار المعجزات عليه (وسبحان الله رب العالمين) (٣٧٦) هو من جملة ما نودي فقد زهذاه مما لا يليق به من التشبيه وغيره (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم)

من في النار) أى بورك على من في النار وقيل البركة ارجعة الى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسب نار ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتعديس ومن حولها موسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة ارجعة الى النار قال ابن عباس معناه بورك في النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعنى قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى انه مكتوب في التوراة طاعة الله من سينا وعاشرف من ساعين واستعلى من جبال فاران ومعنى جيبته من سينا بعنة موسى منه ومن ساعين بعنة المسيح ومن جبال فاران بعنة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صرح في الحديث حجاب النار لو كشفها احرق سبحات وجوه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم زهذاه سبحانه وتعالى نفسه وهو المتزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) قبل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه أنا الله وهذا تهديد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوي القادر على ما يعبد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وألقت عصاك) تقدره فلقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت ﴿قال الله تعالى﴾ (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) يريد اذا آمنتمهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أنحسا كم لله (الامن ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلم القول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه حاف من ذلك فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جرير قال الله تعالى لموسى انما آخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الامن ظلم ثم ابتدا الخبر عن حاله من ظلم من الناس كافة وفى الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقدره ٢ الامن ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لکن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب و بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم أى اغفر له وأزىل خوفه وقيل الالهنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى آراه آية أخرى فقال تعالى (وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كهلها ولا زرار فادخل يده فى جيبها وأخرجها فاذا هى تخرج مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أى من غير برص (فى تسع آيات) أى آية مع تسع آيات أنت

انه أنا الله العزيز الحكيم
الضمير فى انه للشأن والشأن
أنا الله مبتدأ وخبر والعزير
الحكيم صفتان للخبر أو
يرجع الى ما دل عليه ما قبله
أى ان مكلمك أنا والله
بيان لانا والعزير الحكيم
صفتان للمبين وهو
تهديد لما أراد أن يظهر
على يده من المعجزات (وألقت
عصاك) لتعلم معجزتك
فتأنس بها وهو عطف على
بورك لان المعنى نودى
أن بورك من فى النار وأن
ألقت عصاك كلاهما
تفسير لنودى والمعنى قيل
له بورك من فى النار وقيل
له ألقت عصاك ويدل عليه
ما ذكر فى سورة القصص
وان ألقت عصاك بعد قوله
ان يا موسى انى أنا الله على
تكرب وحرف التفسير
(فلما رآها تهتز) تتحرك حال
من الهاء فى رآها كأنها
جان حية صغيرة حال من
الضمير فى تهتز (ولى موسى
مدبرا) أدبر عنها وجعلها
تلى ظهره خوفا من وثوب
الحية عليه (ولم يعقب) ولم
يلتفت أولم يرجع يقال
قد عقب فلان اذا رجع

يقابل بعد ان نودى (يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون) أى لا يخاف عندى المرسلون حال خطابى اياهم
أولا يخاف لدى المرسلون من غيرى (الامن ظلم) أى لکن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أولکن من ظلم منهم من زل من المرسلين
بخاء غير ما أدنت له مما يجوز على الانبياء كما قرط من آدم و نوس و داود و سليمان عليهم السلام (ثم يدل حسنا) أى اتبع نوبة (بعد سوء) زلة
(فانى غفور رحيم) أقبل نوبته واغفر له وأرجعه فاحقق أمينته و كانه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى
فغفر له (وادخل يدك فى جيبك) جيب قيصك وأخرجها (تخرج بيضاء) بيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص و بيضاء ومن غير سوء

حالان (في تسع آيات) كلام مستأنف وفي يتعلق بمحذوف أي اذهب في تسع آيات أو والقي عاصك وأدخل يدك في جملته تسع آيات (التي
 فرعون وقومه) التي يتعلق بمحذوف أي مرسل إلى فرعون وقومه (أنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما جاءتهم آياتنا
 أي معجزاتنا مبصرة) حال أي ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لتأملها الملبس بهم أياها بالنظر والتفكير فيها أو جعلت كأنها
 تبصر فتهدى لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يمدى غيره ومنه قولهم كلمة عيناه ووراء إعلان الحكامة الحسننة ترشد والسببته تغوى
 (قالوا هذا صر مبین) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وتجدوا بها) قبل الخلود لا يكون الامن علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح
 لان الخلود هو الانكار وقد يكون الانكار للشيء للعجز به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر في شرح التاويلات وذكر في الدوان يقال
 تجد حقه وبصحة بمعنى والواو في (واستيقنتها) الحال وقد بعد ما صبره والاستيقنت ان ابلغ من (۲۷۷) الايقان (أنفسهم) أي تحذوها

بالسنتهم واستيقنتوها في
 قلوبهم وضمائرهم (ظلمنا)
 حال من الضمير في تحذوها
 وأي ظلم أغش من ظلم
 من استيقنت انها آيات من
 عند الله ثم سماها سحرا
 بينا (وعلاوا) ترفعا عن
 الايمان بما جاء به موسى
 (فانظر كيف كان عاقبة
 المفسدين) وهو الاغراق
 هنا والاحراق عمة (ولقد
 آتينا) أعطينا (داود
 وسليمان علما) طائفة
 من العلم أو علما سيناغزوا
 والمراد علم الدين والحكم
 (وقالا الحمد لله الذي فضلنا
 على كثير من عباده
 المؤمنين) والآيات حجة
 لنا على المعتزلة في ترك الاصح
 وهنا محذوف ليصح عطف
 الواو عليه ولولا تقدير
 المحذوف لكان الوجه
 الفاء كقولك أعطيتهم فشكر
 وتقديره آتيناها علما
 فعملابه وعلما وعرفا حق

مرسل من فعلي هذا تكون الآيات إحدى عشرة العاصوا والبدا البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل
 والضفادع والدم والطمس والجذب في بواقيهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من أي من تسع آيات
 فتكون البدا البيضاء من التسع (التي فرعون وقومه أنهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الطاعة (فلما
 جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أي الذي نراه (سحر مبین) أي ظاهر (وتجدوا
 بها) أي أنكروا والآيات ولم يقروا أنهم من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا التهامن عند الله والمعنى
 أنهم تجدوا بها بالسنتهم واستيقنتوها بقلوبهم وضمائرهم (ظلمنا وعلاوا) أي شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما
 جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني الغرق قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما)
 أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجمال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله
 الذي فضلنا) أي بالنبوة والكتاب والملائكة ونسخ الجحش والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالسكثير
 الذين فضلنا عليهم من لم يؤت علما أو لم يؤت مثل علمها وفيه انهم مفضلوا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل
 انهم مالم يفضلوا أنفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (ورث سليمان داود) يعني
 نبوته وعلمه وما كره دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا أعطى سليمان ما أعطى داود وزيد تسخير
 لريح الجحش والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من
 سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي
 صوت الطير منطلقا لوصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون
 ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وانبوا للخراب وصاحت فاختمة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال
 انها تقول لبث الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كأتدين تدان وصاح
 هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول
 هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت مطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها
 تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه
 وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان رب الاعلى مل عسمائه وارضه وصاح قمرى
 قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان رب الدائم قال والغراب يدعو على العشار والجدأة تقول كل
 شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والبيعات تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والضفدع يقول
 سبحان رب القدوس والبازي يقول سبحان ربى وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن

(۴۸ - خازن - ثالث) النعمة فيه وقال الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل علمه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمها وفيه
 انهم مفضلوا على كثير وفضل عليهم ما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حلتهم وأهلها وان نعمة العلم من أجل النعم وان من أوتيها فقد
 أوتي فضلا على كثير من عباده وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الالما فانهم لهم في الشرف والمثلة لانهم القوام بما
 بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم
 وما أحسن قول عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر رضى الله عنه (ورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملائكة دون سائر بنيته وكانوا
 تسعة عشر قالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكانه ورثه والافال النبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهيرا لنعمة الله تعالى
 واعترا فاعلمنا دعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد
 وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كيفية بعضها من بعض روى أنه صاحت فاختمة فاخبرتها تقول لبث الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس
 فقال يقول كأتدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رجة فقال

تقول سبحان ربي الاعلى على مله سمائه وأرضه ووصاح قمرى فأخبرانه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطة تقول من سكت سلم والديك يقول اذ كروا لله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخر لك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس (وأوتينا من كل شئ) المراد به كثر ما أوتي كما تقول فلان يعلم كل شئ ومثله وأوتيت من كل شئ (ان هذا هو الفضل المبين) قوله وارد على (٣٧٨) سبيل الشكر كقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخر والنون فى علمنا وأوتينا نون الواحد

المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (اسليمان جنوده من الجن والانس والطير) روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة من كروحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب واربعمائة فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعده وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعده الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والسياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر

مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أندرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخى مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أيدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناسا ثلوثك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمننا وصدقنا قال سلوا تفقهالا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة فى صغيرها والديك فى صغيرته والضفدع فى نقيقه والحمار فى نهبه والفرس فى صهيله وماذا يقول الرز زور والدراج قال نعم اما القنبرة فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذ كروا لله يا غافلين وأما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود فى البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذ التقي الجمعان سبع قدوس رب الملائكة والروح وأما الرز زور فانه يقول اللهم انى أسألك قوت يوم بيوم بارزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ماشئت آخوه الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهسى العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما بمد القارئ ﴿﴾ وقوله تعالى (وأوتينا من كل شئ) أى مما أوتي الانبياء والمولود قال ابن عباس من أمر الدنيا والاخرة وقيل النبوة والمالك وتمخير الريح والجن والسياطين (ان هذا هو الفضل المبين) أى الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغارها فلك ذلك أربعين سنة فلك جميع الدنيا من الحسن والانس والسياطين والطير والدواب والسباع واعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شئ وفى زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أى جمع (اسليمان جنوده من الجن والانس والطير) من الاماكن الخفية فى مسير له (فهم يوزعون) أى يجسسون حتى يرد أولهم على آخرهم قبل كان على جنوده وزعة من النقباء تردأ ولها على آخرها لثلاثين مائة فى المسير قال محمد بن كعب القرظى كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحر فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسى به فى وسطه فيقعده وحوله كراسى الذهب والفضة فيقعده الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة من كروحة يعنى حرة وسبعمائة سرية فى أمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الرعاء فتسير به وأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قدرت فى ملكك ان لا يتسكك أحد من الخلائق بشئ الاجاعت الريح وأخبرتك به ﴿﴾ قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى أشرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب جمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ من مطبخ ونحازر فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباقون ويخبز الخبزون وهو بين السماء والارض واتخذ مبادين للدواب فتجربى بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يربد اليه فسلك

و روى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرعاء تسيره فوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قدرت فى ملكك ان لا يتسكك أحد بشئ الا لقته الريح فى سمعك فيحكى انه من بحرات فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فاقبته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحرات وقال فى جنت اليبس لثلاثين مالا لا تقدر عليه ثم قال لتسبحه واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود (فهم يوزعون) يجسسون على آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك لكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أى ساروا حتى اذا بلغوا وادى

النمل وهو وادب الشام كثير النمل وعدي بعلي لان انبيائهم كان من فوق فاني بحرف الاستعلاء (قالت غلاة) عمر جاء نهي طاحية ومندرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فساله اوحية فترضى الله عنه وهو شاب عن غلاة سليمان ا كانت ذكرا أم أنثى فاقم فقال اوحية فترضى الله عنه كانت أنثى فقبل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت غلاة ولو كانت ذكرا لقال قال غلاة وذلك ان النملة مثل الجملة في وقوعها على الذكرو والانثى فيميز بينهما بعلامتها نحو قولهم جملة ذكرو وجملة (379) أنثى وهو وهى (يا أيها النمل ادخلوا

مساكنكم) ولم يقل ادخلن
لانه لما جعلها قائلة والنمل
مقول لهم كما يكون في أولى
العقل أخرى خطابهم
بحري خطابهم (لا
يحطمنكم) لا يكسر نكم
والخطم الكسر وهو نهي
مستأنف وهو في الظاهر
نهي لسليمان عن الخطم
وفي الحقيقة نهي له عن
البروز والوقوف على
طريقة لأرئيك ههنا أى
لا تخضر هذا الموضع وقيل
هو جواب الامر وهو
ضعيف يدفعه نون التأكيد
لانه من ضرورات الشعر
(سليمان وجنوده) قيل
أراد لا يحطمنكم جنود
سليمان فجاء بها وهو أبلغ
(وهم لا يشعرون) لا
يعلمون بمكانكم أى لو
شعروا لم يفعلوا قالت ذلك
على وجه العذر واصفة
سليمان وجنوده بالعدل
فسمع سليمان قولها من ثلاثة
أميال (فتبسم ضاحكاً من
قولها) متعجباً من حذرها
واهتدائها بالصالحات نصيحته
للنمل أو فرط الظهور وعدله
وضاحكاً حاله وكده لان
تبسم بمعنى ضحك وأكتر

على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به
وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناماً تعبد بها فآذنه سليمان فلما جاوزه بنى البيت فاوحى
الله اليه ما يبكيك قال يارب ابكاني هذاني من أنبيائك ومعهم قوم من أوليائك مروا على ولهم بطون ولم يصلوا
عندي والأصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أموتك وجوهاً سجدوا أو أنزل فيك
قرأنا جديداً أو بعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إلى واجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني وافترض
عليهم فريضة يزفون اليك زيف النسر إلى وكرها ويخون اليك حنين الناقاة إلى ولدها والجمامة إلى بيضها
وأظهر لك من الأوثان والأصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدر وراى من الطائف فأتى
على وادي النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واديسكنه الجن وذلك النمل من اكلهم
وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاخى والمشهور انه النمل الصغير (قالت غلاة) قيل كانت عرجاء
وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاحية وقيل حرجى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه
جعل لهم عقولاً كالآدميين فخطبوا وخطب الآدميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها عقولاً ونطقاً
فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أى لا يكسر نكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير
علت النملة ان سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا وطونكم ولم يشعر بكم
فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشئ الا حلت له الريح حتى تلقه الى مسامع سليمان
فلما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف تصور الخطم من سليمان وجنوده
وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانهم أرادوا النزول عند منقطع الوادى لذلك قالت غلاة لا يحطمنكم
سليمان و جنوده لانهم مادامت الريح تحملهم لا يخاف حطهم (فتبسم ضاحكاً من قولها) قيل أكثر ضحك
الانبياء تبسموا وقيل معنى ضاحكاً تبسموا وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضيت الله عنها
قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستحجماً عاقط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم عن عبد
الله بن الحارث بن خزعة قال ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى فان
قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئاً أحدهم ما دل من قولها على ظهور رحمة ورحمة جنوده وسفقتهم
وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لو شعروا بما يفعلون الثانى سروره بما آتاه الله مما لم يوت أحد من ادراك
سبحه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع ما لا يعده له به نجب وضحك ثم ان سليمان حذر به على
ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل
صالحاً وترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) أى أدخلنى فى جنتهم وأثبت اسمى مع أسمائهم
واحشرنى فى زمرة من قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل
أدخلنى الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل (وتفقد الطير) أى طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب
ما فقد من الطير (فقال مالى لأرى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاسه بالنوبة وذلك
ان سليمان كان اذا نزل منزلاً تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه
حالياً وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى

ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعنى) ألهمنى وحقيقته كفى عن الاشياء الا عن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك
التي أنعمت على) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدى) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وأن أعمل صالحاً وترضاه) فى بقية عمرى
(وأدخلنى برحمتك) وأدخلنى الجنة برحمتك لا بالصالح على اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمته كما جاء فى الحديث (فى عبادك الصالحين) أى فى زمرة
أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى ان النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم اهم فى الهواء فامر سليمان الريح فوفقت للتلايد عرت حتى
دخلن مساكنهن ثم دعا بالهددة (وتفقد الطير فقال مالى) مكر وعلى وعاصم وغيرهم يسكون الباع والنفق طلب ما غاب عنك (لأرى الهدهد

أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدد فقال مالي لأراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدد (٣٨٠) فناقته وكان يرى الماعن تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجه فتستخرج الشياطين

الماء فتفقدته لذلك وذكر انه وقعت فتحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدد هو فدعا عرف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علم ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصدته فنادته الله فتركه فلما قرب من سليمان أرحى ذنبه وجناحيه بجرهما على الارض وقال يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفاه عنه (لا عذبه عذابا شديدا) يتغير يشه والقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزمامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع أضداده وعن بعضهم أضيقت السجون معاشره الأضداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل ليدأكله وحل له تعذيب الهدد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للكل وغيره من المنافع واذا سخن له الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أولاد بجنه أو لياتيني) بالنون الثقيله لبشا كل قوله لا عذبه وحذف نون العماد للتخفيف لياتيني

في الزجاجه ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هـ هذا قال نافع بن الأزرق يا أوصاف انظر ما تقول ان العبي متابع الفخ ويحتو عليه التراب فيجىء الهدد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وقرب واية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدد ليدله على الماء فقال مالي لا أرى الهدد على تقدر اناه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أى أكان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعدته على غيبته فقال (لا عذبه عذابا شديدا) قيل هو أن يتغير بشه وذنبه وبقية في الشمس معطلا لا يمنع من الخيل ولا من غيره وقيل لا ودعته القنص ولا حبسه مع ضده وقيل لا فرق بينه وبين الفه (أولاد بجنه أو لياتيني) بساطن مابين) أى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبته الهدد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واستحب جنوده من الجن والانس والطيور والوحش فحملهم الريح فلما رافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم وكان في كل يوم يختر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشرف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تاخذه في الله لومة لائم قالوا فبأى دين يتدين يا بني الله قال يدين الحنيفة فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا بني الله قال مقدار ألف ستة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام مكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صبا حوا سار نحو اليمن فوافى صنعاء والزوال أى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسنة تره وخضرت فاحب النزول بهم اليصلى ويتعدى فلما نزل قال الهدد اشغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فيبتهما هو وينظر فيما وشما لا رأى بستانا بلقيس فنزل اليه فاذا هو به يهدد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبات وأين تريد قال أقبات من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ومن ملك الانس والجن والشياطين والطيور والوحش والرياح فمن أين أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها ربع مائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يلقئنى سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدد اليمنى ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لا عذبه الاية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالهدد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالتصعة بين يدي أحدكم ثم النفت بمينا وشمالا فرأى الهدد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب بريده فعلم الهدد أن العقاب يقصده بسوءه فقال له بحق الله الذي قوالك وأقدرك على الامار حتى ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك نسكتك أم لك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو ان يذبحك ثم طار متوجها من نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطيور فقالوا اوبلك أين غبت في يومك هذا فاقد قوعك نبي الله وأخبروه

بنون منى الاولى للتاكيد والثانية للعماد (بساطن مابين) بحجة فيهاء عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثبات منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدد وهو مشكل لانه من أين درى انه ياتى بساطن حتى قال والله لياتيني بساطن وجوابه أن معنى كلامه ليكون أحد الامور يعنى ان كان الاثبات بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس

(غير بعيد) أي مكنا غير
طويل أو غير زمان بعيد
كقوله عن قريب ووصف
مكته بقصر المدة على اسرعه
للدلالة خوفا من سليمان
فلما رجع ساله عما لقي في
غيبته (فقال أحطت)
علمت شيئا من جميع جهاته
(بالم تحط به) ألهم الله
الهدهد فكافح سليمان
بهذا الكلام مع ما أوفى
من فضل النبوّة والعلوم
الجمّة ابتلاء له في علمه وفيه
دليل بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفي عليه شيء
ولا يكون في زمانه أحد أعلم
منه (وجئتك من سبا) غير
منصرف أبو عمر وجهه
اسم القبيلة أو المدينة وغيره
بالتنوين جعله اسم للحي
أو الاب الأكبر (بنبا يقين)
النبا الحبر الذي له شان
وقوله من سبا بنيمان بحسن
الكلام ويسمى البديع
وقد حسن ودع لفظا ومعنى
ههنا ألا ترى انه لو وضع
مكان بنبا بنجر إسمان المعنى
صحوا وهو كما جاء أصح لمافي
النيمان الزيادة التي يطابقها
وصف الحال (انى وجدت
امرأة) هي بلقيس بنت
شراحيل وكان أبوها ملك
أرض اليمن ولم يكن له ولد
غيرها فغلبت على الملك
وكانت هي وقومها يجوسوا
بعبدون الشمس والضمير
في (تلكهم) راجع الى
سبأ على تأويل القوم أو
أهل المدينة (وأوتيت)

عاقا قال سليمان فقال الهدهد أو ما استثنى نبي الله فالوايلي ولكنة قال أولياتني بسطان ميين قال نجوت اذا
فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان فاعدا على كرسية فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب
منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه بجرهما على الارض فوضع سليمان فلما دنا منه أخذ برأسه
فخده اليه وقال له أين كنت لا عذبتك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذ كرت وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان
ذلك ارتعد وعقاعنه ثم قال ما الذي أبطأ عنى فقال الهدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فمكت غير بعيد)
معناه أي غير طويل (فقال أحطت بمالم تحط به) أي علمت مالم تعلم وبلغت مالم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم
الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبها على ان أدنى خلق الله قد أحاط علميا بمالم يحط به ليكون لطفها
له في ترك الاعتجاب والاحاطة بالشيء علمان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفي عليه منه معلوم (وجئتك من
سبا) قيل هو اسم للبلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال رجل له عشرة من البنين تيمان منهم ستة وتسع
أربعة (بنبا) أي بنجر (يقين) فقال سليمان وما ذلك فقال (انى) أي الهدهد (وجدت امرأة تلكهم)
هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد ولده أربعون
ملاكا وهو آخرهم وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبي
ان ينزّج مني نخطب الى الجن ففرّجوه منهم امرأة يقال لها ربحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله
الى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فرمى اصطاد الجن وهم على صورة الطباء فيخني عنهم
فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذ صديقا فخطب ابنته فزوجه اياه وقيل انه خرج متعبدا فقرأ
حيث بين يفتتالان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء
وصب عليها الماء فافقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل نحاف
منه قال لا تخف أنا الحبيبة البيضاء التي أحببتني والاسود الذي قتلته وهو عبد لنا نمرد عابنا وقتل عدة منا
وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجهها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس
وجاء في الحديث ان أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن
يبايعوها فأطاعها قوم وأبي آخرون وملكوها عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخي الملك وكان خبيثا سعي
السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم عيتمه ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما
رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه فعرضت نفسها عليه فأجابها الملك وقال ما معنى ان ابتدئك
بالخطبة الا لباس منك فقال لا أرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجع رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم
وخطبها فقالوا انزاهنا تفعل فقال بلى انها قدر رغبت في فذكرها وذلك لها فقالت نعم فزوجهها منه فلما زفت
اليه خرجت في ملاء كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحرّز رأسه
وانصرفت الى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت الى وزيراته وأحضرتهن وقرعتهن وقالت اما كان فيكم من
يألف لكرهته أو كراته عشرته ثم ارتهم اياه قتيلًا وقالت اختاروا رجلا تملكه كونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك
فذكرها وعلّموا ان ذلك النكاح كان مكرًا وحدثت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحرّز رأسه
عليه وسلم ان أهل فارس قدموا على بلقيس بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ﴿قوله تعالى
(وأوتيت من كل شيء) يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال
فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما رأى من عظمتها سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك
بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظيم ملكه مثل له وكان عرش بلقيس من الذهب مكال بالدر
والياقوت الأجر والزبرجد الأخضر وقواحه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبنان على كل بيت باب مغلق
قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعًا في ثلاثين ذراعًا وطوله في السماء ثلاثون ذراعًا وقيل كان

صال وقد ممدودة (من كل شيء) من أسبأ باب الدنيا ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعًا في ثمانين ذراعًا
وطوله في الهواء ثمانون ذراعًا وكان من ذهب وفضة وكان مرصوبًا بأنواع الجواهر وقواحه من الياقوت الأحمر وأخضر ودر ودر ودر وعليه سبعة

أبيات على كل بيت باب معلق واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أضحى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة قرآنها كما أضحى
 مكان يوسف على يعقوب عابها السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل)
 أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) إلى الحق ولا يبعثون الهدى إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس
 الهامان الله كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا)
 بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لتلايسجدوا وحذف الجار مع أن وأدغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لا ضريفة ويكون المعنى فهم
 لا يهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيد على وتقديره الأياها ولا يسجدوا فألا للتشبيه ويكون النداء ومناداه محذوف فن شدد لم يقف
 الأعلى العرش العظيم ومن حذف (٣٨٢) وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الأياها يسجدوا وأوقف على الأياها ابتدأ يسجدوا وسجدة التلاوة

واجبة في القراءتين جميعا
 بخلاف ما يقوله الزجاج أنه
 لا يجب السجود مع التشديد
 لأن مواضع السجدة إما
 أمر بها أو مدح للالتفات إليها
 أو ذم لتاركها واحدى
 القراءتين أمر والآخرى
 ذم للتارك (لله الذي يخرج
 الخبء) سمي الخبأ بالمصدر
 (في السموات والأرض)
 فتادة خبء السماء المطر
 وخبء الأرض النبات
 (ويعلم ما يخفون وما
 يعلمون) وبالتعاقب مع أعلى
 وحبص (الله لا اله الا هو
 رب العرش العظيم) وصف
 الهدهد عرش الله بالعظيم
 تعظيم له بالنسبة إلى سائر
 ما خلق من السموات والأرض
 ووصفه عرش بلقيس تعظيم
 له بالإضافة إلى عروش أبناء
 جنسها من الملوك إلى ههنا
 كلام الهدهد فلما فرغ
 من كلامه (قال سليمان
 للهـهدهد (سنظر) من
 النظر الذي هو التأمل

طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا وقوله عز
 وجل اخبار عن الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك انهم كانوا يعبدون
 الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لأنه الفاعل لما يريد وانما ذكر الشيطان
 لأنه سبب الانغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام (فهم لا يهتدون) أي
 إلى الصواب (الاي يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الأياها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ
 بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لتلايسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي الخبأ (في
 السموات والأرض) قيل خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون)
 والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيره من دون الله لأنه لا يستحق العبادة الا من هو
 قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع المعلومات (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو
 المستحق للعبادة والسجود لا غيره

* (فصل) * وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها فان قلت قد
 وصف عرش بلقيس بالعظيم وعرش الله بالعظيم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظيم بالنسبة
 إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض
 ففصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه (قال سليمان (سنظرأصدقت) أي فيما أخبرت (أم
 كنت من الكاذبين) ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحفره والركابا وروى الناس والنواب ثم ان سليمان
 كتب كتابا من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبا باسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع
 الهدى اما بعد أن لاتعلا على وأتوني مسلمين قيل لم يزد على مانص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون
 جلالا يطيبون ولا يكثر من فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد (اذهب
 بكاتبى هذا فألقه اليهم) انما قال اليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون
 للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا ذمهم (ثم قول عنهم) أي تخ عنهم فقفر بيابهم (فانظر ماذا يرجعون)
 أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم قول عنهم أي انصرف إلى فاخذ
 الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها
 نائمة مستلقية على فخاها وقد غلقت الأبواب ووضع المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فأتى
 الهدهد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة

(أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه اذا كان معروفا بالانحراف في سلك والوزراء
 الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتابا بصورته من عبد الله سليمان بن داود
 إلى بلقيس ملكة سبا باسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلا على وأتوني مسلمين وطبعه بالسك وختمه بخاتمه
 وقال للهدهد (اذهب بكاتبى هذا فألقه) يسكون الهاء تخفيفا أو عجزا وعوضا عن كسر التمدل الكسرة على الباء المحذوفة
 يزيد وقالون ويعقوب فالقهى بإثبات الباء غيرهم (اليهم) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون
 للشمس من دون الله وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم قول عنهم) تخ عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ايكون
 ما يقولونه يسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على
 نحرها وهي راقدة فتوارى في الكوة فانتبهت فزعة أو أناه أو الجنود حو إليها فرفر ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة فلما رأت الخاتم

(قالت) لقومها حاضمة غائفة (يا أيها الملائة) و بفتح الياء مدني (ألقى الى كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه أو محتوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بيسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (انه من سليمان وانه كتب وكيت وأن في (ألا تعلوا) لا ترفعوا (على) ولا تكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملائة منهم أن امشوا بعني أي امشوا (وأوفى مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الانبياء مبنية على الإيجاز والاختصار (قالت يا أيها الملائة أفتوني في أمرى) أشيروا علي في الأمر الذي تزلبي والفتوى الجواب في الحادثة التي وقعت على طريق الاستعارة من النقاء في السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها عندهم من الرأي وقصد هابل الرجوع الى استشارتهم تطيب أنفسهم (٢٨٣) ليمالوها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة

أمر) فاصلة أو مضية
حكما (حتى تشهدون)
بكسر النون والفتح لحن
لان النون انما تفتح في
موضع الرفع وهذا في
موضع النصب وأصله
تشهدونني فحذفت النون
الاولى للنصب والياء لالة
الكسرة عليها وبالياء في
الوصل وأوقف يعقوب
أي تحضروني أو تشيروني
أو تشهدوا انه صواب أي
لأبنت الأمر الالجمحصر كم
وقيل كان أهل مشورتها
ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا
كل واحد على عشرة آلاف
(قالوا) مجيبين لها (نحن
أولوا قوة وأولوا بأس شديد)
أرادوا بالقوة قوة الاجساد
والآلات وبالباأس النجدة
والبلاء في الحرب (والامر
اليك فانظري ماذا تأمرين)
أي موكول اليك ونحن
مطيعون لك فريينا بامرنا
نطعن ولا نخالفن كأنهم
أشاروا عليها بالقتال أو

والوزراء والجنود فزفر في ساعة والناس ينظرون فرغت بلفيس رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب
ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطاع فاذا نظرت اليها سجدت لها فإفاء الهدد وسد
الكوة بجانبيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرجى بالضعيفة اليها فاخذت
بلفيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان
الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على
سرير ملكها وجعت الملائة من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلفيس مائة قيل مع كل قيل مائة
ألف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على
عشرة آلاف فلما جاؤا وأخذوا بمجالسهم (قالت) لهم بلفيس (يا أيها الملائة اني ألقى الى كتاب كريم)
قبل سمته كرم لانه كان محتوما وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه
وقال ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه ثم بينت لمن الكتاب فقالت (انه من سليمان) قرأت
المكتوب فيه فقالت (وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت
ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان بيسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلفيس ان هذا الكتاب من
سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا على) قال ابن عباس
لا تكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر (وأوفى مسلمين) أي
طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملائة أفتوني في أمرى) أي أشيروا
علي فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمر) أي قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني
الملائة مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أي في الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقيل اراد
بالقوة كثرة العدد والباأس والشجاعة وهذا تعرض منهم بالقتال أي ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر
اليك) أي بها الملكة أي في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي تجدين ما تطيعين لامرك (قالت) بلفيس
مجيبية لهم عن التعرض للقتال وما يؤل اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي
خربوها (وجعلوا أعزة أهلها اذلة) أي اهانوا أشراؤها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر تحذروهم بذلك مسير
سليمان اليهم ودخولهم بلادهم ثم تنهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما
قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو لئلا يكيد لما قالت ثم قالت (واني مرسله اليهم هدية) أي الى
سليمان وقومه أصانعهما على ملكي وأخبر بهما أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان
كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه من الا أن تتبعه في دينه وهو قولها (فناظرة يرجع الرسولون) وذلك أن

أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأى والمشورة وأنت ذات الرأى والتدبير فانظري ماذا ترين تبصر رأيك فلما أحست منهم الميل
الى المحار بعمالت الى المصلحة توربت الجواب فزيقت أولاماد كروه وأرثهم الخطأ فيه حيث (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا
(أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها اذلة) أذلوا اعزتها واهانوا أشراؤها وقتلوا أسرا فذ كرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك
يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية
ومارات من الرأى السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعى في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر وإذا
احتج بالقرآن على وجه التعريف فقد جمع بين كفرين (واني مرسله اليهم هدية) أي مرسله لسلامه هدية (فناظرة) فنظرة (يم) أي
يملان الالف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام (يرجع الرسولون) بقبولها أم يرددها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا

ثياب الجوارى وحلهم
واكبي خيل مغشاة بالديباغ
مخلاة اللحم والسرورج
بالذهب المرصع بالجواهر
وخمسمائة تجارية على رمال
قري الغلمان وألف لبننة
من ذهب وفضة وناجم كالا
بالر والياقوت وحفافيه
درة عذراء وخرقة معوجة
الثقب وبعثت رسلا وأمرت
عليهم المنذر بن عمرو
بديل قوله تعالى بم يرجع
المرسلون وكتبت كتابا فيه
نسخة الهدايا وقالت فيه
ان كنت نبيا فيز بين
الوصفاء والوصائف وأخبر
بما في الحق واثقب الدررة
ثقباً واسلك في الخرزة خطا
ثم قالت للمنذر ان نظرك
الملك نظرك غضبان فهو
ملك فلامه وملك منظره وان
رايته بشاشا لطيفا فهو نبي
فاجلس الهدى وأخبر
سليمان الخبر كما قام
سليمان الجن فضروا
لبنت الذهب والفضة
وفرشوا في ميدان بين
يديه طوله سبعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا
شرف من الذهب والفضة
وأمر باحسن الدواب في
السر والجرف بطوها عن
عين الميدان وبساره على
اللبنت وأمر باولاد الجن
وهم خلق كثير فاقبوا عن
اليمين واليسار ثم قعد على
سريه والكراسي من
جانبه واصطفت الشياطين

بلتيس كانت امرأة لبينة عاقلة قد ساست الامور وجر بها فاهدت رصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة
وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبت الجوارى
لبس الغلمان الاقبيسة والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور والذهب وفي
أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أفرطه وشوفامر صناعات الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة
ركبة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشيت بالديباغ
وبعثت اليه نبات من الذهب والبنات من الفضة وناجمه كالا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود
اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمانية غير مثقوبة وخرزة خرج معوجة الثقب ودعت رجلا
من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضعت اليه رجلا من قومها أشحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر
كتابا تدكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل ان تفتحه
واثقب الدررة تقبامستويا وأدخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت
اذا كلمكم سليمان فكلامه بكلام تأنيث وتخييف يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى ان يكلمنه بكلام فيه
غاطلة يشبهه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظرك اليك تظن افيه غضب فاعلم انه
ملك فلامه وملك أمره ومنظره فانما أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبي ففهم قوله ورد
الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدد مسرعا الى سليمان فآخبره بالخبر فامر سليمان الجن ان
يضر بنو البنات من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا بالذهب
والفضة وان يجعلوا مقدار تلك البنات التي معهم وأن يعملوا حائطا شرف من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي
دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها
لها أجنحة واعراف ونواص قال على هم الساعة فأنوا بها قال شدوها بين عين الميدان وشماله ثم قال للجن على
باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فقامهم عن عين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريه ووضع له
أربعة آلاف كرسى على عين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والسباع
فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما نادى القوم الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان رأوا اول الامر الدواب
التي لا يرى مثلها تروى في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقامرت أنفسهم وخبوا امامهم من الهدايا
وقبل ان سليمان فرس الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طرفهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن
في ذلك الموضع فلما رأى الرسول موضع البنات خالبا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا امامهم من اللبن في ذلك
الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم مارا وافرغوا فقالت لهم الشياطين جوزوا بالأس عليكم فكانوا يمررون
على كراديس الانس والجن والوحوش والطيور حتى وقفوا بين يدي سليمان فقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم
تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فآخبروه ورئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق
فأبى به فخره فجاءه جبريل فآخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درة قيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال
الرسول صدقت فانقب الدررة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بشقها وسأل الانس والجن فلم
يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارض فلما سمعت الارض أخذت شعرة في فيها ودخلت
فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم
قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أما الهيا نبي الله فآخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى
خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم
ميز بين الغلمان والجوارى بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها
وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والعم الام تأخذ الماء بيديها ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء
على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فيميز بين الغلمان والجوارى ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى

صفوف فراسخ والانس صفوا فراسخ والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما نادى القوم ورأوا الدواب تروى فقال
على اللبن رموا امامهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فامر الارض

فأخذت شعرة ونفذت في الدررة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفمها ونفذت فيها وودعها بالماء فكانت الحاركة تأخذ الماء بيدها فتعده في الأخرى ثم تضرب به وجهه أو القلام كما يأخذها يضرب به وجهه ثم ردا الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أتعدوني بمال) بنونين وائبات البناء في الوصل والوقف مكر وسهل وافقه مامدني وأبو عمرو في الوصل أتعدوني حزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلايات فيها وأخطاب للرسل (فما أتاني الله) من النبوة والملك والنعمة بفتح الياء مدني وأبو عمرو وحفص (خير مما آتاكم) من زخارف الدنيا بل أنتم بهديتكم تفرحون) الهدية اسم المهدي كان العظمة اسم المعطي فتضاف إلى المهدي والمهدي له تقول هذه هدية فلان تريدهي التي أهداها أو هديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وكذلك أتاني الله الذي فيه الحفظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف مرضى مثلي بان عد بمال بل أنتم قوم لا تعملون الاظهار من الحياة الدنيا فذلك تفرحون بما تزدون ويهدي اليكم لان ذلك مبلغ هممكم وحالي خلاف حالكم وما أروى منكم بشئ ولا أفرح به (٣٨٥) الا بالايامن وترك المجوسية والفرق بين

قولك أتعدوني بمال وأنا أعني منكم وبين ان تقوله بالفاء اني اذا قلت له بالواو جعلت تخاطبي عالمنا بادي في الغنى وهو مع ذلك مدني بمال واذا قلت له بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا أخرجه الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كما في قوله أنكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه وردت في آتاني الله ووجه الاضرب انه لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي جعلهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضوا لافرح الا أن مهدي اليهم حظ من الدنيا التي لا يعملون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدى بفتح الحاء كتابا آخر اليهم ائت بلقيس وقومها (فلما أتيتهم بجنود لا قبيل

فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال أتعدوني بمال فما أتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) أي أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) معناه أنتم أهل مفارقة ومكافرة بالدنيا تفرحون باهداء بعضكم الى بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها ما لم يعط أحد ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفاء (ارجع اليهم) أي بالهدية (فلما أتيتهم بجنود لا قبيل) أي لا طاقة (اليهم) ولتخرجنهم منها) أي من أرض سبا (أذلة وهم صاغرون) أي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسول بلقيس اليها أي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا ملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بمالوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة آيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب وركبت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك وسر يرملكي لا يخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكته تؤذنيهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن كل قبيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتبدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهبيا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت مناهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قبيل غرض سليمان في احضار عرشها ليربها قدرة الله تعالى واطهاره بحجة دالة على نبوته وقيل أراد أن يذكره ويغيره قبل مجيئها ليجتبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان أسلت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذها لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدى وقيل أراد ان يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر المملكة (قال عفرية من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفرية الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) أي تجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (واني عليه) أي على حمله (لقوى أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قبيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو آصف

(٤٩ - خازن - ثالث) لهم بها) لا طاقة لهم بها حقيقة القبيل المقاومة والمقابلة أي لا يقدر ان يقابلهم (ولتخرجنهم منها) من سبا (أذلة وهم صاغرون) لذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يذعوا في أسر واستعباد فلما رجع اليها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبى وما لنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة آيات وغلقت الابواب وركبت به حراسا يحفظونه وبعثت الى سليمان اني قادمة اليك لانظر ما الذي تدعوا به وشخصت اليه في اثني عشر ألف قبيل تحت كل قبيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أراد أن يربها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء الجناب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان أو أراد أن يأخذها قبل أن تسلم لعلها اذا أسأت لم يحل له أخذها لاهوا هو ابعيد عند أهل التحقيق أو أراد ان يؤذي به فينكره ويغيره ثم ينظر آتيتك أم تشكره اشمبار العقلها (قال عفرية من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) تجلس حكمك وقضائك (واني عليه) على حمله (لقوى أمين) آتيتك به كإهول لا أخذ منه شيئا ولا أبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أن يحل من هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب)

أى ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف
 ابن برخيا كاتب سليمان وهو الأصم وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وهو باحى يا قيوم باذا الجلال والاكرام
 أو يا الهنا واله كل شئ الها واحد الاله الأنت وقيل كان له علم بمجارى الغيوب الهاما (أنا أنتيك به) بالعرش وأنتيك فى الموضوعين بجوزان
 يكون فعلا وأسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك وروى ان
 آصف قال سليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فقار العرش فى مكانه ثم تبع عند مجلس
 سليمان بقدره الله تعالى قبل ان يرد طرفه (٣٨٦) (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) ثابتا لديه غير مضطرب (قال هذا) أى حصول

مرادى وهو حضور العرش
 فى مدة ارتداد الطرف
 (من فضل ربي) على
 واحسانه الى بلا استحقاق
 منى بل هو فضل خال من
 العوض صافى عن الغرض
 (ليبلىونى أشكركم)
 ليحتسبنى أشكر انعامه
 (أم أكفروا من شكر فأنما
 يشكر لنفسه) لأنه يحط
 به عنها عبء الواجب
 ويصونها عن سمة الكفران
 ويستحب به المزيد يرتبط
 به النعمة فالشكر قيد
 للنعمة الموجودة وصيد
 للنعمة المعقودة فى كلام
 بعضهم ان كفران النعمة
 يوارى فلما أفضت نافرة
 فرجعت فى نصابها فاستدع
 شاردها بالشكر واستدم
 رانها بكرم الجوارى اعلم
 ان سبعون ستر الله تعالى
 متقلص عما قرىب اذا
 أنت لم ترج لله وقار أى لم
 تشكر لله نعمته (ومن
 كفر) يترك الشكر على
 النعمة (فان ربي غنى)

ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه
 لأنه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قرآناه علما وفهما فعلى هذا يكون مخاطب العفريت الذى كلمه
 فاراد سليمان اظهار معجزة فتحدهم أولا ثم بين العفريت انه يتأق له من سرعة الاتيان بالعرش مالا يتأق
 للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به اذا الجلال والاكرام وقيل يا حى يا قيوم وروى ذلك عن عائشة وروى
 عن الزهري قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحد الاله الأنت اتنى بعرشها
 وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فدس سليمان عينيه ونظر نحو
 اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرى ويرجعون به تحت الارض حتى تبع من بين يدي سليمان
 وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرى سليمان
 فقال ما قال (أنا أنتيك به قبل ان يرد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد
 عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فى عاب العرش فى الوقت (فلما رآه) يعنى
 رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أى محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف (قال هذا
 من فضل ربي ليبلىونى) يعنى التمكن من حصول المراد (أشكركم) أى نعمته على (أم أكفروا) فلا أشكرها
 (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أى يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامه لان
 الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المعقودة (ومن كفر فان ربي غنى) أى عن شكره لا يضره ذلك
 الكفران (كريم) أى بالافضل عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال
 نسكروا لها عرشها) يعنى غير واسر بها الى حال تنكرها اذا رآه قيل هو أن يزدقيه أو ينقص منه وقيل انما
 يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الاجر أحضر ومكان الاخضر أحر (تنظر أنتم تدى) الى معرفة
 عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما جعل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب
 وغيرهما ان الشياطين خافت أن يترجها سليمان فتفشى اليه أسرار الجن لان أمها كانت جنبية واذا ولدت
 ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان فى عقلا شيا
 وان رجلها كخافر الجار وانما اشعراء السابقين فاراد سليمان أن يخترع عقلا ينسكب عرشها وينظر الى قدمها
 ببناء الصرح (فلما جاءت قبل) لها (أهكذا عرشك قالت كانه هو) قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما
 شهوا عليها وقيل انها كانت حكيمه لم تقبل نعم خوف من الكذب ولا قالت لا خوف من التكذيب أيضا فقالت
 كانه هو فعرف سليمان كمال عقلا بحيث لم تقبل ولم تنسكرو وقيل اشبهت عليها أمر العرش لانها تراكته فى بيت
 عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم
 من قبلها) أى من قبل الآتية فى العرش (وكناهم مسلمين) أى منقادين منقادين خاصعين لامر سليمان وقيل

عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطى ما كان منان الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو قوله
 الينا وله المنه والفضل علينا (قال نسكروا لها عرشها) غير وأى اجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله (تنظر) بالجزم على الجواب (أنتم تدى)
 الى معرفة عرشها والجواب الصواب اذا سئلت عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) ها للتنبيه
 والكاف للتشبيه وهذا اسم اشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لتلا يكون تلقينا (قالت كانه هو) فأجابت أحسن جواب فلم
 تقبل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلا بحيث لم تقطع فى المحتمل للامرين أو لما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها
 كانه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أى وأوتينا العلم بقدره الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة
 من أمر الهدى والرسول من قبل هذه المعجزة أى احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكناهم مسلمين) منقادين للمطيعين لامر الله من كلام

(واقدر سلنا الى ثمود اُحاهم) في النسب (صالحا) يدل (أن عبد الله) بكسر النون في الوصل عاصم وخمزة وبصري وبضم النون غيرهم
اتباع الالباء والمعنى بان عبد الله وحدوه (فاذا) لامفاجأة (هم) مبتدأ (فريقن) خبر (يختصمون) صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا
قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا المن آمن منهم أعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا وانما بالذي آمنتم به كافر ون قال
الفريق الكافر يا صالح اتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستجلبون بالسبيئة) بالعذاب الذي توعدون (قبل الحسنة) قبل
التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايان قبل نزول العذاب بكم (لعلكم ترجون) بالاجابة (قالوا اطيرنا
بنك) تشاء منابك لانهم قحطوا عند معيتم لتكذيبهم فنسبوه الى حيمته والاصل تطيرنا وقرئ به فاذا غبت التاع في الطاعوز يدت الالف اسكون
الطاء (وبين معن) من المؤمنين (قال طائر كعند الله) أي سبيكم الذي يحى منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب
عند الله فانزل بكم ما نزل عقوبة لكم وقتة ومنه كل انسان أنزله طائره في عمقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره فان مر سائحاً تيامن
واذا مر بارحاً شاموا فلما نسبوا (٣٨٨) الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببها من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو

السبي في الرحمة والنعمة
(بل أنتم قوم تقنون)
تختبرون وتعذبون بدينكم
(وكان في المدينة)
مدينة ثمود وهي الحجر
(تسعه رهاط) هو جمع
لا واحد له ولذا جاز تميز
التسعة به فكانه قيل تسعة
أنفس وهو من الثلاثة الى
العشر وعن أبي ذؤاد رأسهم
قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا
أبناء أشرفهم (يفسدون
في الارض ولا يصلحون)
يعني ان شأنهم الافساد
البحر لا يخلط بشئ من
الصالح كما ترى بعض
المفسدين قد يندم منه بعض
الصالح وعن الحسن

عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل (واقدر سلنا الى ثمود اُحاهم صالحا ان عبدوا
الله) أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً (فاذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (يختصمون) أي في الدين كل
فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحا الفريق المكذب (يا قوم لم تستجلبون بالسبيئة) أي بالبلاء
والعقوبة (قبل الحسنة) أي العافية والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة اليه من الكفر
(لعلكم ترجون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي تشاء منا (بنك وبين معن) قبل انما قالوا ذلك
لتفرق كلمتهم وقيل لا مسالك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال
طائر كعند الله) أي ما يصيدكم من الخير والشر يا من الله مكتوب عليكم سمي طائر لانه لا شئ أسرع من نزول
القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائر كأي عملكم عند الله سمي
طائر السرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تقنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه
تعذبون قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعه رهاط) يعني من أبناء أشرفهم
(يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على
عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا اتقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أمم القوم
(لنبيته) أي لنقلته لبلدا (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لنقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا)
أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندري من قتله ولا هلاك أهله (وانا الصادقون) أي في قولنا ما شاهدنا ذلك
(ومكر وامكرا) أي غدر واغدر احين قصدوا تبئيت صالح وأهله (ومكر نامكرا) أي جاز يناهم على مكرهم
ببجبل العذاب (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انما دمرناهم) أي أهلكناهم أي التسعة
قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح بحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم
وسيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم

يظلمون الناس ولا ينعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معائب الناس ولا يسترورن عوراتهم (قالوا
بالصحة
تقاسموا بالله) تحالفوا وحبر في محل الحال باضمار قد أي قالوا متقاسمين أو امر أي أمر بعضهم بعضا بالقسم (لنبيته) لنقلته بيانا أي ليلا
(وأهله) ولده وتبعه (ثم لنقولن لوليه) لولي دمه لنبيته بالتعاقب بضم التاء الثانية ثم لنقولن بالتعاقب واللام جرة وعلى (ما شهدنا) ما حضرنا
(مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وجماد والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان
الاهلاك أي لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له أو ما حضرنا موضع اهلا كه فكيف توليناها (وانا الصادقون) فيما ذكرنا (ومكر وامكرا
ومكر نامكرا وهم لا يشعرون) مكرهم ما حضر ومنه ندير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلا كهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر
على سبيل الاستعارة زوى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث ففحن نفرغ منه ومن أهله قبل
الثالث ففرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حياهم فبادروا فطقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدروهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلامهم في مكانه ونجس صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انما دمرناهم) بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرهما غيرهم على الاستئناس ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لا أو على أنه خبر كان أي فكان عاقبة مكرهم الامار

(وقومهم أجمعين) بالصيحة (فذلك بيوتهم حاوية) ساقطة متمدمة من حوى النجم اذا سقط أو خالبتهم من الخواهد وهي حال عمل فهم امدل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان في ذلك) فيما فعل بشؤد (لاية لقوم يعلمون) قدر تنافيتهم (وأنجينا الذين آمنوا) اصالح (وكانوا يتقون) ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولو طأذ قال) واذا كر لوطا واذا بذل من لوطا أي واذا كر وقت قول لوط (لقومه أتأتون الفاحشة) أي أتبان الذكور (وأنتم تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لائم كانوا يتكبرون في ناديتهم معالنينهم الا يتستر بعضهم من بعض بحجانه وانما كافي المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أنتم) هم - مرتين كوفي وشاحي (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أي ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكور ولم يخلق الذكرا للذكور والانثى للانثى فهو مضادة لله في حكمته (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانهم فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيب في قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل أنتم قوم تقتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذا اصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أترجو أن نلوط) أي لوطا ومتبعيه فغير كان جواب واهم أن قالوا (من قريبتكم أنهم أناس يتظهرون) يتزهون عن القاذورات (٣٨٩) ينكرون هذا العمل القذر ويعطينا انكارهم وقيل هو استهزاء

كقوله انك لانت الحليم الرشد (فانحنياه) فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم (وأهله الامراءه قدرناها) بالشديد سوى جاد وأبي بكر أي قدرنا كونهم (من الغابرين) من الباقيين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة مكتوب عليها اسم صاحبها (فسمع مطر المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) على عباده الذين اصطفى (أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل

بالصيحة (وقومهم أجمعين) فذلك بيوتهم حاوية بما ظلموا) أي بظلمهم وكفرهم (ان في ذلك لآية) أي لعلبة (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿قوله تعالى (ولو طأذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عن قوامهم (أنتم) لمتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعد قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أترجو أن نلوط من قريبتكم أنهم أناس يتظهرون) يعني من أذبار الرجال (فانحنياه وأهله الامراءه قدرناها من الغابرين) أي قضينا عليهم ابا ان جعلناهم من الباقيين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أي الحجارة (فساء) أي فئس (مطر المنذرين) ﴿قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خير أم ابشر كون) فيه تكبير للمشركين والزام للحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آله خير من عباده أم الاصنام ان عبدها فان الله خير من عبده وآمن به لا غنا عنه من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكلال قدرته ﴿فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خالق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى آله خير أم الذي خلق السموات والارض ﴿ثم ذكر نعمه فقال (وزللكم من السماء ماء) يعني المطر (فانبتنا به حنائق) أي بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أي ذات منظر حسن والبهجة

أمر ذي بال بان يتبرك بهم ما يستظهر بمكانها وهو خطاب لوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آله خير أم ابشر كون) بالباء بصري وعاصم ولا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهمك بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثروا على شيء الا لدواع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروا وانهم لم يؤثروا زيادة الخير ولكن هوى وعشائيرهم واهل الحظا المفراط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم في أم ابشر كون وآمن خلق السموات ان تلك متصلة اذا المعنى أم ما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهجرة ولما قال آله خير أم الآلهة قال بل آمن خلق السموات والارض خير تقرر والهم بان من قدر على خلق العالم خير من جاد لا يقدر على شيء (وأترللكم من السماء ماء) مطرا (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكميم تأكيد المعنى اختصاص الفعل بذاته وايدان بان انبات الحنائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسناتها واحدا لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالماء (حنائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حنائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله

(ما كان لكم أن تثبتوا شجرها) ومعنى السكينونة الانبعاث أراد ان تأتي ذلك محال من غيره (أله مع الله) أغبره يعقرن به ويجعل شريكه (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطأ باغ في تحطه قرأهم (أمن جعل الارض) وما بعد بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قرارا) دحاها وسواها اللاسنة قرار عليها (وجعل خلخالها) طرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول (أنهارا) وبين البحر ين مثله (وجعل لها) للارض (رواسي) جبالات تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحر ين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا ان يختلط (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) الاضطرار اذ فعل من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى العيايق الاضطراره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجهم مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى العياق والتضرع الى الله أو المذنب اذا استغفر أو المظلوم اذا دعا أو من رفع يده ولم يرف نفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضرر أو الجور) ويجعلكم خلفاء (٣٩٠) الارض) أي فيها وذلك قوارضهم سكاها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أربابا بخلافة الملك والتسلط

(أله مع الله قلبا لما تدكرون) وبالباية أبو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلى وحفص وما مزيدة أي تدكرون تدكر قلبا (أمن يهديكم) يرشدكم بالنجوم (في ظلمات البر والبحر) ليلا وبالعلامات في الارض نهارا (ومن يرسل الرياح) الریح مكى وحزمة وعلى (بشرا) من البشارة وقد مر في الاعراف (بين يدي رحمتيه) قدام المطر (أله مع الله تعالى الله بما يشركون) أن يبدأ الخلق) ينشأ الخلق ثم يعيده) وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرين للعادة لانه أزيحت علمهم بالمتكئين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار (ومن يرزقكم من السماء) أي المطر (والارض) أي ومن الارض النبات (أله

الحسن يتبع به من راء (ما كان لكم أن تثبتوا شجرها) يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تدرسون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها أو أسقيها الماء فالله هـ هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تثبتوا شجرها لان نبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة الزروع تنسق بحماه واحدا لا يقدر عليه الله تعالى ولا يتأني لاحد وان تأتي ذلك لغيره بحال (أله مع الله) يعني هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعني ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل النوع الثاني قوله عز وجل (أمن جعل الارض قرارا) أي دحاها وسواها اللاسنة قرار عليها وقيل لا تميد باهلها (وجعل خلخالها أنهارا) أي وسطها بانهارا تطرد بالمياه (وجعل لها رواسي) أي جبالات (وجعل بين البحر ين) يعني العذب والمالح (حاجزا) أي مانعا لا يختلط أحدهما بالآخر (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أي توحيدهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أي المكروب المحمود وقيل الضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر يعني اذا نزلت باحد بادري الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (اذا دعاه) يعني فيكشف ضره (ويكشف السوء) أي الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينافع (ويجعلكم خلفاء الارض) أي سكانها وذلك انه ورثهم سكاها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض (أله مع الله قلبا لما تدكرون) أي تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عابكم الليل مسافرين في البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشرابن يدي رحمتيه) أي قدام المطر (أله مع الله تعالى الله عما يشركون) النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أي نطقا في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والارض) أي من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (أله مع الله قل ها توأبرهاتكم) أي تحشمكم على قولكم ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) نزلت في المشركين حين سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى نفرد بعلم ذلك (بل ادرك علمهم) أي باغ

مع الله قل ها توأبرهاتكم) تحشمكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان مع الله الها آخر (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعول والله يدل من والمبنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى على ان يكون بمن في السموات والارض وما كنهها على لغة نبي تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في المدارأ أحد الا جازوا قالت عائشة رضی الله عنها من زعم انه بعد لم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يشعرون) وما يعلمون (أيان) متى (يبعثون) يشعرون (بل ادرك) متى وبصري وزيد والفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت فصاحب ادرك عن الاعشى افعل بل ادرك غيرهم استحكم وأصله تدرك فادتمت التاء في الدالوز بدأ لف الوصل يمكن التكلم بها (علمهم)

في الآخرة) أي في شان الآخرة ومعناها والمعنى ان أسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفتها وهم شاكون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها معمون) والاضرابات الثلاث تنزىل لآحوالهم وتكرير لجلهاتهم وصغفهم أو لآبائهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك وسرية فلا يزالونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مستنداً لهم ومنشأه فلذا عداه عن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكير ووجه ملامة مضمون هذه الآية وهو وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بياناً للجزء وهو وصف القصور وعلمهم وصل به ان عندهم عجزاً بلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجزأتان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله ثم يحكمهم كما تقول لاجل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعوا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلول فبذل ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويحوز ان يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قولك أدركت الثمرة لان تلك غاية التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنو فلان اذا متابعتي الهلاك (وقال الذين كفروا وأئذا كنا تراباً وأبواباً أننا لنخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وانا في قراءة عاصم وجزء وخالف انكار بعد انكار وجود عقيب وجود دليل على (٣٩١) كفر مؤكدم بالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لخرجون وهو

ولحق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعوا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها معمون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو مكة (أئذا كنا تراباً وأبواباً أننا لنخرجون) أي من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وأبوابنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشيء (ان هذا) أي ما هذا (الأساطير الأتولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي شكذبهم بالكذابين واعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يحكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناها ردفكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ^١ قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يجعل لهم بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تخفي (وما يعلمون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكنوم سرور خفي أمر

مادل عليه لخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل والمفعول بعد هجرة الاستفهام أو ان اولام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمع الضمير في انالهم ولا بانهم لان كونهم تراباً قد تناولهم وآبائهم لكنهم غلبت الحكاية على الغائب وآبؤنا عطف على الضمير في كلالان المفعول حرى مجرى التوكيد (لقد وعدنا هذا) أي البعث (نحن وأبوابنا من قبل)

من قبل محمد صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآبؤنا وفي المؤمنون نحن وآبؤنا على هذا ليدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وتمت المبعوثون (ان هذا الأساطير الأتولين) ما هذا الأحاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى قد مسدم عليهم ربهم بذنبيهم وقوله مما خطبوا بهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فسلموا (ولا تكن في ضيق) في حرج صدر (مما يحكرون) من مكروهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً بالفتح وهو قرأه غير ابن كثير بالكسر وهو قرأته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالماكدب (قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فقبل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو وعد الله بغيره (ان كنتم صادقين) ان كنتم صادقين (ان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعالجة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيسه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) يظهر من القول فليس تأخير العذاب عنهم خلفاً حالهم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم مما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يكيدهم وهو معاقبتهم على ذلك بما استحقوقه وقرئ تكن يقال كنت الشيء وأكثته اذا سترته وأخفيته (وما من غائبة)

في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشيء الذي يغيب ويخفي غائبا وخافيا والثناء فيهما كالثناء في العاقبة والعاقبة ونظائرهما الرمية والذبحة والنطجة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وناو هما المبالغة كل اربعة كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبت في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا في المسح فحزوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لولا أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم -هم وآمن أي من بني (اسرائيل أو منهم ومن غيرهم) (ان ربك يقضي بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (بحكمه)

بعده لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمته (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضيه و بمن يقضى عليه أو العزيز في انتقامه من المظلمين العليم بالفضل بينهم وبين المحققين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقوله المبالغة بأعداء الدين (انك على الحق المبين) وعلل التوكل بانه على الحق البالغ وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وببصيرته (انك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الخواس وبالصم الذين ينطق بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن

وشيء غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم) أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) الممتنع الذي لا يرد له أمر (العليم) أي بأحوالهم فلا يخفي عليه شيء منها (فتوكل على الله) أي فتوكله (انك على الحق المبين) أي البين (انك لاتسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي معرضين فان قلت ما معني مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هو تأكيده ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع ورفع الصوت أو يفهم بالاشارة فاذا ولي لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادي العمى عن ضلالهم) معناه ما أنت به مرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي تخلصون ^{من} قوله تعالى (واذ وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمر وبالاعتراف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجنا لهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يادر وبالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة ونحوه اربعة أحدهم وأم العامرية (م) عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها فريبان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق ليجمعون فيقول هذا يأمؤمن ويقول هذا ياكافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي باسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاثة خروجات من الدهر فتخرج خروجا يقصى العين فيفسوذ كرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكثرت زمانا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى فريبان مكة فيفسوذ كرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يبين الناس يومئذ أعظم المساجد على الله حومة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد فتدنو وتدنو كذا قال عمر ومابين الركن الاسوداني باب بني مخزوم عن عيينة الخاريج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وتثبت لها عصاة عرفوا أنهم لم يعجزوا والله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فقلت وجوههم حتى تركتها كلتها الكواكب الدرية ثم وارت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيعوز منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان ان تصلي فيقبل عليها بوجهه

ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الله تعالى ثم أكد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تبعه عن الداعي بان قسمه قولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حجرة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي اسماءك الاعلى الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) تخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا (واذ وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعد من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشاركة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجنا لهم دابة من الارض)

تلكهم) هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون غر وخاصة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا يخرج من الصفا فكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروج الجن من الآيات وتقول ألعنة الله على الظالمين أو تكلمهم ببطان الاديان كما هو دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر وفتح أن كوفي وسهل على حذف الجار أي تكلمهم بان وغيرهم كسر والان الكلام بمعنى القول أو باضمار القول (٣٩٣) أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى

قسمه في وجهه فيجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشترون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن باموئن وللکافر يا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمته على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ اضطرب الارض وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها المعقدة ذات ورور يش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فالما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتتكتف بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصا هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جوع والناس يسبرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بش الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسيها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخاصرتها خاصة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمر قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها حنية وقال وهب وجهها وجه جمل وسائر خلقها تحلق الطير فتخبر من رآها ان أهل مكة كانوا يحمدون القرآن لا يوقنون (تكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة أنهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك فعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر ﴿ قوله تعالى (ويوم نحشرون كل أمة فوجا) أي نحشرون كل قرن جماعة (من يكذب باياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار (حتى اذا جاؤا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أ كذبتهم باياتي ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حق معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تفكروا فيها وقيل معنى الآية أ كذبتهم باياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل ان أفواههم مختومة (ألم يروا انا جعلنا) أي انا خلقنا (الليل يسكنوا فيه والنهار مبصر) أي مضيا يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقليب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون ﴿ قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فتحيها بها الاجساد (ففرع) أي فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي ما تواوا المعنى انه يلقى عليهم الفرع

بايات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشرون كل أمة فوجا) من للتبويض أي واذا كرم يوم نجتمع من كل أمة من الامم زمرة (من يكذب) من للتبويض (باياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أ كذبتهم باياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للتحال كأنه قال أ كذبتهم باياتي بادئي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى اعاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ووقع القول

(٥٠ - خازن - ثالث) عليهم بما ظلموا وهم لا ينطقون) أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا انا جعلنا الليل يسكنوا فيه والنهار مبصر) حال جعل الابرار للنهار وهو لاهله والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصر يبصر وافية طرق التقليب في المكاسب (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البعث لان معناه لم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما معاشهم في الدنيا يعلمون ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار أخرى للشواب والعقاب (ويوم) واذا كرم يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جع صودة والنافع اسرافيل عليه السلام (ففرع من في السموات ومن في الارض) اختبر فرع على يفرع

للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (الامن شاء الله) الامن ثبت الله قلبه من
الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملئ الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحلة العرش وعن جابر
رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (وكل أتوه) حزة
وحفص وخلف أتوه غيرهم وأصله (٣٩٤) آتوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاتيان حضورهم الموقف ورجوعهم الى أمره

تعالى وانقيادهم له (وترى
الجبال تحسبها) يفتح السين
شأى وحزة ويزيد وعاصم
وبكسر ها غيرهم حال من
المخاطب (جاءمة) واقفة
تمسكة عن الحركة من جد
في مكانه اذ لم يبرح (وهي
تمر) حال من الضمير المنصوب
في تحسبها (مر السحاب)
أي مثل مر السحاب والمعنى
انك اذ رأيت الجبال وقت
النفخة ظننتها ثابتة في
مكان واحد اعظمها وهي
تسير سيرا سريعا كالمسحاب
اذا ضربته الريح وهكذا
الاجرام العظام المتكاثرة
العدد اذا تحركت لا تكاد
تبين حركتها كما قال النابغة
في صفة جيش
بأرعن مثل الطود تحسب
انهم
وقوف لحاج والركاب تهمج
(صنع الله) مصدر عمل فيه
مادل عليه تمر لان مرورها
كمر السحاب من صنع الله
فكأنه قيل صنع الله ذلك
صنعوا ذكر اسم الله لانه لم
يذكر قبل (الذي أتقن كل
شئ) أي أحكم خلقه (انه
خبير بما يفعلون) مكي
وبصري غير سهل والو بكر
غير يحيى وغيرهم بالناء أي

انه عالم بما يفعل العباد فيكأنهم على حسب ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) أي يقول لاله الا الله عند الجهور (فله خير
منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خبير بمعنى أفضل ويكون منها في موضع رفع صفة خير أي بسببها (وهم من فزع)
كوفي أي من فزع شدة يدمر الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (يومئذ) كوفي وهدني وبكسر الميم غيرهم
والمراد يوم القيامة (آمنون) آمن يهدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله

(ومن جاء بالسبيته) بالشرك (فكبت) ألقبت (وجوههم في النار) يقال كبت الرجل ألقبته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار أو
 عن عن الجملة بالوجه كما يعبر بالأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار ويقال لهمم تبيكة عند الكعب (هل تجزون الاما كنتم تعملون) في الدنيا
 من الشرك والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها حراماً آمناً من فيها اللاجئ إليها ولا يتجلى خلالها
 ولا يعرض شوكها ولا ينفر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مال الدنيا والآخرة (وأمرت أن تكون من المسلمين) المتقدين له (وأن
 أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك من ربك أن تقول يا رسول الله بان يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ
 له شريكاً كما فعلت قريش وان أكون من الختفاء الثابتين على ملة الاسلام وان أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقضيه الاسلام
 وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمها إليها لأنها أحب بلادهم إليه وأعظمها عنده وأشار إليها (٣٩٥) بقوله هذه إشارة تعظيم لها وتقريب
 دلالة على انها موطن نبيه

فهم آمنون منه وأماما يلحق الانسان من الرب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسبيته)
 يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبروا وطرحوا جميعهم
 في النار (هل تجزون الاما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الاما كنتم تعملون في الدنيا
 من الشرك ﴿ وقوله تعالى (انما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما أمرت (ان أعبد رب هذه
 البلدة) يعني أمرت ان أخص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين
 سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لانها موطن نبيه
 ومهبط وحده (الذي حرمها) أي جعلها الله حراماً آمناً لا يفسق فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صددها ولا
 يتجلى خلالها ولا يدخلها الا محرماً وانما ذكر ان الله هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان
 تجر بهم من الله لان الاصنام (وله كل شيء) أي خلقا وملاكا (وأمرت ان تكون من المسلمين) لله المطيعين
 له (وان أتلو القرآن) أي أمرت ان أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر
 به (فن اهتدى فانما هي تدي لنفسه) أي نفع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) أي عن الايمان وأخطأ
 طريق الهدى (فقل انما أنا من المنذرين) أي من المخوفين وما على الابلاغ نستختها آية القتال (وقل
 الحمد لله) أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار (سير يك آياته) الباهرة
 ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراه من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل
 آياته في السموات والارض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أي فتعرفون الآيات والدلالات (ومار بك بغافل
 عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم
 * (تفسير سورة القصص) *

وهي مكة الاقوله تعالى الذين أتيناهم الكتاب الى قوله لا يتبعني الجاهلين وفيها آية تزلت بين مكة والمدينة
 وهي قوله ان الذي فرض علينا القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأربع مائة واحدى
 وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 قوله عز وجل (طسم تلك) إشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو الوحي المحفوظ وقيل
 هو الكتاب الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم وصفه بأنه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود
 والاحكام (نتلو عليك من نبياً) أي خبر (موسى وفرعون بالحق) أي بالصدق (لقوم يؤمنون) أي
 يصدقون بالقران (ان فرعون علا) أي تجبر وتكبر (في الارض) أي أرض مصر (وجعل أهلها شيعاً)

دلالة على انها موطن نبيه
 ومهبط وحده ووصف ذاته
 بالتحريم الذي هو خاص
 وصفها وجعل دخول كل
 شيء تحت ربه مملوكونه
 كالتابع لدخولها تحتها
 (فن اهتدى) باتباعه
 اياي فيما أنا بصدده من
 توحيد الله ونفي الشركاء
 عنه والدخول في المسلة
 الخنيفة واتباع ما أتزل
 على من الوحي (فانما
 هي تدي لنفسه) فتمتعة
 اهتدائه واجعة اليه لا الى
 (ومن ضل فقل انما أنا من
 المنذرين) أي ومن ضل
 ولم يتبعني فلا على وما أنا الا
 رسول منذر وما على الرسول
 الا البلاغ المبين (وقل الحمد
 لله سير يك آياته تعرفونها)
 ثم أمره أن يحمد الله على
 ما حوله من نعمة النبوة التي
 لا توارى بها نعمة وان يهدد
 أعداءه بما سير بهم الله من
 آياته في الآخرة فيستيقنون
 بها وقيل هو انشقاق القمر
 والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (ومار بك بغافل عما تعملون) بالتأمدني وشاخي وحفص وبعقوب بخطاب لاهل مكه وبالبايع
 غيرهم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه فالعقل والسهولة لا يجوز ان عليه * (سورة القصص مكة ثمانون وثمان آيات) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (طسم تلك آيات الكتاب المبين) يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خبره
 وبركته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاحلاص والتوحيد (نتلو عليك) نقر أعليك أي يقرؤه جبريل بامرنا ومنعول نتلو (من
 نياموسى وفرعون) أي نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) حال أي محققين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع
 هؤلاء عدون غيرهم (ان فرعون علا) جملة مستأنفة كالنفسير للجمع كان فاعلاً لقال وكيف كان نبوهما فقال ان فرعون (علا) طغى وجاوز
 الحد في الظلم واستكبر واقتخر بنفسه ونسى العبودية (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعاً) فرقا يشيعونه على ما يريد

ويطعمونه إلا لك أحد منهم أن يلقى عمقه أو فرقا مختلفة بكرم طائفة وبنين أخرى فكرم القبطي وأهان الاسرائيلي (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) أي يترك البنات احباء للخدمة وتوسب ذبح الابنعا ان كاهنا قال له تولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فامعنى القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أوصفة لشيعاء وكلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف (انه كان من المفسدين) أي ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (ونريد أن نمن) نفضل وهو دليل لنا في مسألة الاصلح وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسير الناموسى وفرعون واقصا صاله أو حال من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم واردة الله تعالى كائنة بفعات كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) قادة يقتدى بهم في الخير أو قادة الى الخير أو ولاة ومولاكا (ونجعلهم الوارثين) (٢٩٦) أي يرثون فرعون وقومهم ملكهم وكل ما كان لهم (ويمكن) ممكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا يتبوءهم ويستطعمهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وجزءة أي يرون منهم ما حذر ومن ذهب ملكهم وهلاكهم على يدهم ولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرويا أو باختيار ملك كما كان لريم وليس هذا وحى رساله ولا تكون هي رسولا (أن أضعبه) أن يعنى أي

أي فرقا في أنواع الخدمة والتمخير (يستضعف طائفة منهم) يعني بني اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا ورضعوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أي بالقتل والتخبر في الارض (ونريد أن نمن) أي نعم (على الذين استضعفوا في الارض) يعني بني اسرائيل (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة مولاكا (ونجعلهم الوارثين) يعني املاك فرعون وقومهم بان يجعلهم في مساكنهم (ويمكن لهم في الارض) أي نوطن لهم أرض مصر والشام ونجعلها لهم سكا (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي يخافون وذلك أنهم أخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون ﴿ قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى) هو وحى الهام وذلك بان قد في قلبها واسمها لو حان من نسل لادى بن يعقوب (ان أضعبه) قيل أضعبه ثمانية أشهر وقيل أر بعثه وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها (فاذا خفت عليه) أي الذبح (فالقيمه في اليم) أي في البحر وأراد به نيل مصر (ولانتحافى) أي عليه من الغرق وقيل الضيعة (ولانتحرفى) أي على فراقه (انارادوه البيلك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا وبصر استظالموا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يأمر وبال معروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوه الى أن أتجأهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام * (ذكر القصة في ذلك) * قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابله من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفنى حبسك اياى اليوم فعاجت قبالتها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الامر ادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظي ابنك فانى أراه عدونا فلما خرجت القابله من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا الى أم موسى فقالت أخته يا أمه هذا الحرس بالباب فلقته فخرقوه وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورور أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها البن فقالوا ما أدخل القابله قالت هي مصافية فدخلت على زائرة فخرقوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لا تخته فأب الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتمته قال ثم ان أم موسى لما رأته الحياح فرعون في طلب الولدان حافت على ابنها فخذق الله في قلبها أن تتخذ نابتا له

له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا يتبوءهم ويستطعمهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على وجزءة أي يرون منهم ما حذر ومن ذهب ملكهم وهلاكهم على يدهم ولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرويا أو باختيار ملك كما كان لريم وليس هذا وحى رساله ولا تكون هي رسولا (أن أضعبه) أن يعنى أي

أو مصدريه (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينبهوا عليه (فالقيمه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولانتحافى) من الغرق والضياع (ولانتحرفى) بفراقه (انارادوه البيلك) بوجه لطيف لثريته (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران و بشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاختطاب به قهيت عنهم ما وبشرت برده اليها وجعلهم من المرسلين وورى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وورى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فاعاجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئت الا لاقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت القابله جاءت عيون فرعون فلقته في خرقه ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلحقوا شيئا فخرقوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى اليها بالقائه في اليم فلقته في اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر ثم

(فالتقطه آل فرعون) أخذته قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي لصير الامر الى ذلك لأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة وانصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك (٣٩٧) لتسكر مني ولكن معنى التعليل فيها

وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطع له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المحبة (وحرنا) وحرنا على وحره وهما الغنان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين تخفيف خاطئين أبو جعفر أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطوهم في تربية عدوهم يبدع منهم (وقالت امرأت فرعون قرعة عين لي ولك) روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنّت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فاجلته ففتخته فاذا بصبي نوره بين عينيه فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصا فنظرت الى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومه هو الذي تحذر منه فأذن لنافي قتله فهم بذلك فقالت آسية قرعة عين لي ولك فقال فرعون لللال وفي الحديث لو قال كقالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل

ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوا بصغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم يدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضر بوه وأخر جوه فلما انتهى النجار الى موضعه مرد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضر بوه وأخر جوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر الله ساجدا فقال يارب دنني على هذا العبد الصالح فدلّه عليه فأمن به وصدقه وقال وهب لما حلت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على جملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش النساء ففتش سالم يفتش قبل ذلك مثله وحلت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابله ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقي في اليم فكنتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه علمت تابوا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر لئلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها اطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الامن قبل البحر لو جديبه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جوارحها حتى جاست على شاطئ البحر مع جوارحها تلعين وتنضح الماء على وجوههن اذا قبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر اثرتني به فابتدر به بالسفن من كل ناحية حتى وضعه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنّت آسية فرأت في جوف التابوت نورالم بره غير هافعاجلته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه بمص منه لبنا فالتى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسبيل من أشد اقم من ريقه فطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نطق ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا ربي به في البحر فزامنك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرعة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فذنب منه خيرا أو نتخذ ولدوا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرعة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقبل لا آسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وساهو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحرنا) أي عاقبة أمرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحرنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أي آمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم (وقالت امرأت فرعون قرعة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذ

الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كما آسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقرعة خبر مبتدأ محذوف أي هو قرعة ولي ولك صفتان لقرعة (لا تقتلوه) خاطبته مخاطب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه تخايل اليم ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء (أو نتخذوه ولدا) أو نتبناه فانه أهل لان يكون ولدا للملوك

(وهي لا يشعرون) حال وذوها مال فرعون وتعد بر الكلام فانقطعت آل فرعون ليكون لهم عدوا وحرنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبينه وقوله ان فرعون الآية جملته اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة على خطيئتهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فواد أم موسى فارغا) صفران العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) انظر به والضمير لموسى والمراد بامرأه وقصته وأنه ولدها قبل ما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصبح وتقول والبناء وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم تشك انه يقتله فكادت تقول والبناء شفقة عليه وان تخففة من الثقيلة أي (٣٩٨) انها كادت (لولا ان ربنا على قلبها) لولا ان ربنا على قلبها والربط على القلب تقويته

ولما وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاطه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أمال المساكين ترجعهم وتصديق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقبل انها قالت انه أنا ما من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستحياء فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا نذره الله ولكنه أبي الشقاء الذي كتبه الله عليه ﷺ قوله تعالى (وأصبح فواد أم موسى فارغا) أي خالبا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسبا للوحي الذي أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد اليها أن يرد اليها يجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في يده عدوه الذي فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح بأنه ابنها من شدة وجدها اقال ابن عباس كادت تقول وايناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجت وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصبح من شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن يرد عليها (لولا ان ربنا على قلبها) أي بالعصمة والصبور والتثبيت (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله ايها (وقالت لا تخف) أي لمريم أخت موسى (فصيه) أي اتبعي أثره حتى تعطى خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل كانت تخشى جانباً وتظنر احتمالاً ترى انها لا تنتظره (وهي لا يشعرون) انها أخته وانها ترقبه (وحرمانا عليه المراضع) المراد به المنع قبيل مريم موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كما أتوا بمرضعة لم يأخذ نديهم او هم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي قبل مجيء أم موسى وذلك لما رآته أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلب ذلك (فقالت) يعني أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضونه وهي امرأة قتل ولدها فاحب ما تدعى اليه أن تجد صغيراً ترضعه (وهي لا يشعرون) أي لا تعلمونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدنا على أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصاله باليه وقيل قالوا من هم قالت أي قالوا اولادك ولدك قالت نعم هو وروان هرون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتينها فانطلقت اليها وأخذت برتها بحال ابنها وجاءت بها المراضع) تحريم منسج

بالهام الصبر (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو ان ارادوه البن وجواب لولا للمخوف أي لا بدته أو فارغان من الهم حين سمعت ان فرعون يتناه ان كادت لتبدي بانه ولذا لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا ان اطمأنا قلبها وسكننا قلبه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا تبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى قول الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت لا تخف) مريم (فصيه) اتبعي أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أي أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهي لا يشعرون) انها أخته (وحرمانا عليه المراضع) تحريم منسج

لا تحريم شرع أي منعناه أن يرضع ثديا غير ثدي أمه وكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أنهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة الهم التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أو من قبل أن تزده على أمه (فقالت) أخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا (هل أدلكم) أرشدكم (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم وهم له ناصحون) النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد وروى انها لما قالت وهم له ناصحون قال همام انهم تعرفه وتعرف أهله فعذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فانطلقت الى أمها بما مرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون بعاله شفقة عليه وهو يبكي وطلب الرضاع خفيين وجد ربحها استأنس والنعم نديمها فقال لها فرعون ومن أنت من فقده أي كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أرى بصي الا قبلي فدفعه اليها وأجرى عليها وذهبت به الى بيتها وأعجز الله وعده في الرد فعندنا ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا وذلك قوله

(فرددناه الى أمه كي تفر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفرقه (ولتعلم أن وعد الله حق) أي وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تفر وانما حل لها ما ناخذ من الدينار كل يوم كما قال السدي لانه مال حربي لانه أجره على ارضاع ولدها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أي لتعلم ان وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه حق فيربا ون وبشبهه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة تمام العقل وهو جمع (٣٩٩) شدة كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم

الهم فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يصح حتى امتلأ جنباه ريا قبل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كي تفر عينها) أي برد موسى اليها (ولا تحزن) أي ولتلا تحزن (ولتعلم ان وعد الله حق) أي برده اليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها أن يرده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الاشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أي عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل ان يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي منف من أعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها طابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هي نصف النهار واستعمال الناس بالقبولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان تركب في مركب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاءه قيل له ان فرعون قد تركب فركب موسى في أثره فادركه المقيبل بارض منف فدخلها وليس في أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعه من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فحالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسبائهم خبره لبعده عنهم وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فرعون رجلين يقتتلان) أي يتخاصمان ويتنازعا (هذان من شيعته) أي من بني اسرائيل (وهذان عدوه) أي من القبط وقيل هذان مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه هو وطباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطي يريدان يأخذوا اسرائيل يجمعهما الخطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يتخاصم الي أحد من بني اسرائيل فظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والاخر من القبط (فاستغاثه الذي من شيعته) يعني الاسرائيلي (على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والاستغاثه طلب العوث والمعنى انه سأله أن يتخاصمه وان ينصره علمه فغضب موسى واشتد غضبه لانه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما أخذه ليحمل الخطب الي مطبخ أبيك فنارعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أجعله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة في الخلق وشدة في القوة (فوكزه موسى) أي طرده بجمع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أي قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفعه في الرمل (قال هذان من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لالي عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه نكحاً فالله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى

هو السامري وشيعه الرجل أتباعه وأنصاره (وهذان من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيها هذا وهذا وان كانا غائبين على جهة الحكاية أي اذا نظر اليهما الناظر قال هذان من شيعته وهذان من عدوه (فاستغاثه) الذي من شيعته على الذي من عدوه (فوكزه موسى) ضرب به بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه طباخا لنفسه واستغفر منه لانه كان مستأمناً فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربي المستأمن أو لانه قتله قبيل أن يؤذنه في القتل وعن ابن جرير ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة

(قال رب) يارب (انى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفرلى) زلتى (فغفرله) زلمته (انه هو الغفور) باقائه الزلل (الرحيم) بازاله الخجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا (للمجرمين) للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامتى على بالغفرة لا توين فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطف كأنه قال رب اعصمى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين وأراد بظاهرة المجرمين بحجة فرعون وانتظامه فى جلته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركو به كالولد مع الوالد (فاصبح فى المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطى أن يؤخذ به (يترب) حال أى يتوقع المكر وهو الاستعانة منه والأخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطية خائفا على نفسه يترب نصرته به وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذالذى) اذا المفاجأة وما (٤٠٠) بعدها مبتدأ (استنصره) أى موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلى الذى

خلصه موسى استغاث به
 تانيمان قبطى آخر (قال
 له موسى) أى للاسرائيلى
 (انك لغوى مبين) أى
 ضال عن الرشد ظاهر الفنى
 فقد قاتلت بالامس رجلا
 فقتلته بسيفك والرشد فى
 التدبير أن لا يفعل فعلا
 يقضى الى البلا على نفسه
 وعلى من يريد نصرته (فلما
 ان أراد) موسى (أن يبطش
 بالذى) بالقبطى الذى
 (هو عدو لهما) لموسى
 والاسرائيلى لانه ليس على
 دينهما وألان القبط كانوا
 أعداء بنى اسرائيل (قال)
 الاسرائيلى لموسى عليه
 السلام وقد توهم انه أراد
 أخذه لا أخذ القبطى اذ
 قال له انك لغوى مبين
 (باموسى) تريد أن تقتلنى
 كما قتلت نفسا) يعنى القبطى
 (بالامس ان تريد) ما تريد
 (الأأن تكون جبارا) أى
 قتالا بالانغضب (فى الارض)

المقتول يعنى انه من جنود الشيطان وخزيه (قال رب انى ظلمت نفسى) أى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو
 على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب ﴿وقوله﴾
 (فاغفرلى) أى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان
 فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفرلى أى فاستر على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفرله) أى فستره
 عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أى بالمغفرة والستر الذى (أنعمت على فلن
 أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فان لا أكون معازنا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل
 على أن الاسرائيلى الذى أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثنى قاتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم
 أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فاصبح فى المدينة) أى التى قتل فيها القبطى (خائفا يترب) أى ينتظر
 سوء أو الترب انتظار المكر وه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذالذى استنصره بالامس يستصرخه) أى
 يستغيث به من بعد قال ابن عباس أى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلوا منار جلا فخذ لنا بحقة فقال
 اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فينبأهم بطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى
 يقاتل فرعونىفاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى (قال له
 موسى) للاسرائيلى (انك لغوى مبين) أى ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسيفك وتقاتل اليوم
 آخر وتستغيثنى عليه (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما) وذلك ان موسى أخذته الغيرة والرقعة
 للاسرائيلى فديده ليطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد أن يبطش به لمارأى من غضب موسى وسمع
 قوله انك لغوى مبين (قال يا موسى) تريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم
 فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى حتى أفضى عليه الاسرائيلى ذلك فسمع القبطى فأتى فرعون فاخبره
 بذلك (ان تريد الآن تكون جبارا فى الارض) أى بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذى يقتل ويضرب
 ولا ينظر فى العواقب وقيل هو الذى يتعاطم ولا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين)
 ولما فشا ان موسى قتل القبطى أمر فرعون بقتله فخر جوائى طلبه وسمع بذلك رجل من شبيعة موسى
 يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل سمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاعر جل من
 أقصى المدينة يسعى) أى يسرع فى مشيه وأخذطر يقاقر بها حتى سبق الى موسى وأخبره وأذره بما سمع
 (قال يا موسى ان الملائمة ياخرون بك) أى يشاورون قبلك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك
 (فاخرج) أى من المدينة (انى لك من الناصحين) أى فى الامر بالخروج (فخرج منها) يعنى موسى
 (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترب) أى ينتظر الطلب هل يلحقه فياخذته ثم لجأ الى الله تعالى

أرض مصر (وما تريد أن تكون من المصلحين) فى كظم الغيظ وكان قتل القبطى بالامس قد شاع ولكنه خفى قاتله فلما أفضى لعلمه
 على موسى عليه السلام علم القبطى ان قاتله موسى فاخبر فرعون فها هو بقتله (وجاعر جل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن
 عم فرعون (يسعى) صفت رجل أذ حال من رجل لانه وصف بقوله من أقصى المدينة (قال يا موسى ان الملائمة ياخرون بك ليقتلوك) أى يأمر
 بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسيفك والاتسار والتشاور يقال الرجلان يتشاوران ولا يتشاوران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو
 يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) لك البيان وليس بصله الناصحين لان الصلة لا تتقدم على الوصول كأنه قال انى من
 الناصحين ثم أراد أن يبين فقال لك كما يقال سقبالك ومرجبالك (فخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا يترب) المعرض له فى الطريق
 وأن يلحقه من يقتله

(قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجهت لبعثهم من مصر سنة ثمان مائة أيام قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بره) (قال عيسى ربي ان يهديني سواء السبيل) أي وسطه ومعظم نهمه فباعه ملك فاطلق به الى مدين (ولما ورد) وصل (مأمدين) ما هم الذي يسقون منه وكان بئر (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من أناس مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تزدودان) تطردان عنهما عن الماء لان على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي أولئنا تختلط أغنامهما بأغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبكم) ما شأنكم وحققت ما خطبكم أي ما مطلوبكم من الزيادة فسمى المخطوب خطباً (قال لانسقي) غنمنا (حتى يصدر الرعاء) مواشيهم يصدر شأى ويزيدوا ويعمر وأى يرجع والرعاء جمع راع كقائم وقيام (وأبو ناشج) لا يمكنه سقي الأغنام (كبير) في حال أو في السن لا يقدر (٤٠١) على رعي الغنم أبداً باليه عذرهما في توليها السقي بانفسهما

(فسق لهما) فسق غنمهما لاجلهم اربعة في المعروف واغائة للملحوف وروى انه نحي القوم عن رأس البئر وسألهم ذلوا فاعطوه ذلهم وقالوا استسقى بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستسقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وترك المفعول في يسقون وتزدودان ولا نسقي وفسقى لان الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى انه انما رجعها لانها كانتا على الزيادة وهم على السقي ولم يرجعها لان مذودهما غنم ومسقىهم ابل مثلاً وكذا في لانسقي وفسقى فالمقصود هو السقي لا المسقى ووجه مطابقة جوابها سؤاله انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك اننا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاجاة

(قال رب نجني من القوم الظالمين) أي الكافرين ﴿ قوله تعالى (ولما توجهت لبعثهم من مدين) أي قصدت نحوها ماضياً اليها قبيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت بالبلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قبيل خرج موسى خائفاً بالظهور ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قبيل لماد عاموسى جاءه ملك بيده عذرة فاطلق به الى مدين ﴿ قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس يسقون) أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل بعد ما من الجماعة (امرأتين تزدودان) أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخولها البئر وقيل تسكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن ان تندوت ذهاب والقول الاول لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكم) أي ما شأنكم لا تسقيان مواشيكم مع الناس (قال لانسقي) أي أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى اننا امرأتان لا نستطيع أن نراحم الرجال فاذا صدروا سقيننا نحن مواشينا من فضل ما بقى منهم في الحوض (وأبو ناشج كبير) أي لا يقدر ان يسقى مواشيه فذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل أبوها هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رجا لهما ورجعها فاقطع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقرهم لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل راحم القوم ونجاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فباعهم موسى فرفع الحجر وحده وترع ذلوا واحداً ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت بذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى أصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب انى لما أتت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس ان موسى سأل الله فلقه خير يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب انى لما أتت الى من خير فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمره وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعنا الى أبيهما سر يعا

(٥١ - (خازن) - ثالث) الرجال ونسختي من الاختلاط بهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وانما رضى شعيب عليه السلام لانتبه بسقى المشايمة لان هذا الامر في نفسه ليس بمحذور والدين لا ياباه وأما المرورة فعداات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال النعم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصاً اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتكشفتين ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لا نقص في الشكوى الى المولى (فقال رب انى لما لاى شئ) (أتت الى من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) محتاج وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قبيل كان يدين له اما سببه أيام وقد راق بظهوره بطنه ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أتت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرح به وشكر الله وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتسكلم باسمه ان الاذقة لما ورد على سره من الانوار

(بجاءته احداهما تمسحى على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليحزبك اجرماسقبت لنا) على استحياء في موضع الحال أي مستحيية وهذا دليل على
 ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعو الى ضيافتها ولم تعلم ايحيها أم لا فاتته مستحيية قد استترت بكم درعها وفي ما سقبت مصدرية أي
 جزاء سقبت روى انهم المار جعنا الى ابيهما قبل الناس وأغنامهما احفل قال لهم اما ان يحك كما قالتا ووجدنا رجلا صالحا رجنا فسقى لنا فقال
 لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعهما موسى عليه السلام فالزقت الريح نوبها بحسدها فوصغته فقال لها امشي خلفي وانعني لي الطريق (فلما
 جاءه وقض عليه القصص) أي فضته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصود (قال) له (لا تخف نجوت من القوم
 الظالمين) اذلا سلطان لفرعون بارضا ووفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو انثى والمشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع
 وأما أخذ الإرج على البر والمعروف فقيل انه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روى انهما قالتا ليحزبك كره ذلك
 وانما أجابها بالثلاثيخيب قصده لان (٤٠٢) للقاصد حرمة ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألسنت جاتنا فقال

بلي ولكن أخاف أن يكون
 عوضا مما سقبت لهما وانا
 أهل بيت لا نبيع ديننا
 بالدين ولا نأخذ على
 المعروف ثمنا فقال شعيب
 عليه السلام هذه عادتنا
 مع كل من ينزل بنا فاكل
 (فالت احداهما ما أبت
 استاجره) اتخذته
 أجيرا الرعي الغنم روى ان
 أكبرهما كانت تسمى
 صفراء والصغرى صفراء
 وصفراء هي التي ذهبت
 به وطلبت الى أبيها أن
 يستاجرهم وهي التي تزوجها
 (ان خير من استاجرت
 القوي الامين) فقال وما
 علمك بقوته وأمانته فذكرت
 نزع اللؤلؤ أمرها بالمشي
 تخلفه وورود الفعل بلفظ
 الماضي للدلالة على ان
 أمانته وقوته أمران متحققان
 وقولها ان خير من استاجرت

قبل الناس وأغنامهما احفل بطان قال لهما ما أكلكما قالتا ووجدنا رجلا صالحا رجنا فسقى لنا أغنامنا فقال
 لاحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (بجاءته احداهما تمسحى على استحياء) قبل هي الكبرى واسمها
 صفراء وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها اليسرى وقيل عمر بن الخطاب ليست بسلفع من
 النساء خراجه ولا جهة ولكن جاءت مستتره قد وضعت كدبرها على وجهها استحياء وقيل استحييت من لانها
 دعته لتهتك فته وقيل لانها رسول أبيها (قالت ان ابي يدعوك ليحزبك اجرماسقبت لنا) قبل لما سمع موسى
 ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جاعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشى المرأة ومشي موسى خلفها فكانت
 الريح تضرب نوبها فتصفردونها فذكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق اذا
 أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالشاهميا فقال اجلس يا فتى قم شق فقال موسى
 أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألسنت يجتمع قال بلي ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا مما سقبت لهما وانا
 أهل بيت لا نطاب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنك نساء عادتى وعادة
 آباءى تقرى الضيف ونظم الطعام جلوس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه
 القصص) أي أخبره بامرهم أجمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من
 القوم الظالمين) يعنى من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت
 احداهما ما أبت استاجره) أي اتخذته أجيرا الرعي أغنامنا (ان خير من استاجرت القوي الامين) يعنى ان
 خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت أما قوته
 فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أر بعون رجلا وأما أمانته فانه قال لي امشى
 خلفي حتى لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (انى أريد أن أنكحك) أي أزوجك (احدى
 ابنتي هاتين) قبل زوجه الكبرى وقال الاكثر ون انه تزوج الصغرى منهما واسمها صفراء وهى التي
 ذهبت في طلب موسى (على أن تاجرني ثمانى حجج) أي تكون لي أجيرا ثمان سنين (فان أتممت عشرا
 فمن عندك) أي فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق
 عليك) أي أزمك تمام العشر الا أن تبرع (سجدنى ان شاء الله من الصالحين) أي فى حسن الصحبة
 والوفاء بما قال وقيل يريد بالصالح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله لانه لا تكال على توفيقه

القوي الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة فى القائم بامرنا فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل ومعونته
 القوي فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى مجرى المثل عن ان تقول استأجره لقوته وأمانته وعن ابن مسعود
 رضى الله عنه أفرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا أو أبو بكرى فى عمر (قال انى أريد أن أنكحك) أزوجك
 (احدى ابنتي هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما وهذه موعودة منه ولم يكن ذلك عقدا كعقد النكاح اذ لو كان عقدا لكان قد أنكحتك
 (على أن تاجرني) تكون أجيرا الى من أجرته اذا كنته أجيرا (ثمانى حجج) طرف والحجة السنة وتزوجها حجج والتزوج على رعى الغنم جائز
 بالاجماع لانه من باب القيام بامر الزوجة فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتممت عشرا) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) فذلك
 تفضل منك ليس بواجب عليك أو تمامه من عندك ولا أحتمه عليك وانكنت ان فاعته فهو منك تفضل وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام
 أم الاجابين وحقيقة قولهم شققت عليك وشق عليه الامر أن الامر اذا تعاطمك فكأنه شق عليك فذلك بائنين تقول نارة أطيقه وطور الا
 أطيق (سجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد بالصالح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد

بإشراطه مشيئة الله فيه ما وعد من الصلاح الاتكامل على توفيقه فيه وهو عوته لانه ان شاء فعل وان يشاء لم يفعل ذلك (قال موسى ذلك) مبتدأ وهو اشارة الى ما عاهد عليه شعيب والخبر (بينى وبينك) يعنى ذلك الذى قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلا ناعنه لا انا فيما شارطت على ولا انت فيما شارطت على نفسك ثم قال (ايما الاجلين قضيت) أى أى أجل قضيت من الاجلين يعنى العشرة أو الثمانية وأى نصب قضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام أى وهى شرطية وجوابها (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه فى أيهما ولكن جمعهما يجعل الاقل كالاتمى فى الوفاء وكان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله على ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى بعلى لانه (٢٠٣) استعمل فى موضع الشاهد والرقب روى ان شعيبا كانت

عنده عصى الانبياء عليهم السلام فقال لوسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم ينزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فسهوا وكان مكفوفاً فغنم بها فقال خذ غنيرها فما وقع فى يده الاهى سبع مرات فعلم ان له شأناً ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها أكثر الا ان فيها تيناً أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فغشى على أثرها فاذا عشب ورى فلم ير مثله فنام فاذا التين قد أقبل فحاربه العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتين مقبولة لا رتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها مملأة البطون

ومعونه (قال يعنى موسى ذلك بينى وبينك) أى ما شارطت على فلك وما شارطت من تزوج احدهما فى الامر بيننا على ذلك (ايما الاجلين قضيت) أى أى الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على) أى لا ظلم على بأن أطالب بما كثر منه (والله على ما نقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بينى وبينك (رخ) عن سعيد بن جبير قال سألت النبي يهودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى قلت لأدرى حتى أقدم على خير العرب فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطوبهما لان رسول الله اذا قال فعل روى عن أبي ذر مر فوعدا أسئلت أى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا أسئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منها وهى التى جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغرها وقضى أوفاهما وقال وهب أنكبه الكبرى وروى شداد بن أوس مر فوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوق الى الجنة أم خوفاً من النار فقال لا يارب ولكن شوقاً الى لقائك فأوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيئاً لك لقاءى يا شعيب لذلك أخذت بكى موسى ولما تعافدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عساه يدفع بها السباع عن غنمه قبل كانت من أس الجنة جعلها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا يأخذها غنير بنى الأ كنه فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فأعطاهم موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أهلك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لك كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل ان شعيباً أراد أن يجازى موسى على حسن رعيه كراماله وصله لابنته فقال له انى قد وهبت لك من ولد أغناكى كل أبلق وبلقاء فى هذا السنة فأوحى الله تعالى الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت جملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أى أتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشرين سنين أخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر فأذن له فسار بأهله أى بزوجه فاصد الى مصر (آنس) أى أبصر (من جانب الطور ناراً) وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لاهله امكثوا انى أنت نار العلى آتيكم منها بخبر) أى عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أوجدوه من النار) أى قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه (لعلمكم تصالون) أى تستدفون (فلما آناه نودى من شاطئ الوادى الايمن) يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى (فى البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لان الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبياً وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) أى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضر اترف وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (ان ياموسى انى أنا الله رب العالمين)

غزوة البين فأخبره موسى ففرح وعلم ان اوسى والعصا ما ناوله انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادع ودعاء فوحي اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كاهن ادع ودعاء فوفى له بشرطه (فلم يعنى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوفاهما وتزوج صغرها وهذا بخلاف الرواية التى مرت (وسار بأهله) باهله أى نحو مصر قال ابن عطاء لما تم أجل المخنقرين أيام الزلفة وظهرت آثار النبوة وسار بأهله ليشتري كوامع فى اطراف صنع ربه (آنس من جانب الطور ناراً قال لاهله امكثوا انى أنت نار العلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل الطريق (أوجدوه من النار لعلمكم تصالون فلما آناه نودى من شاطئ الوادى الايمن) بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) تكلم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوسج (ان ياموسى) ان مفسرة أو مخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين)

قال جعفر باصترار اذ لته على الانوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شمته انوار القدس وأحاطت به جلايب الانس نحو طيب الطاب
 خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكاهم اشرف فأعطى ما سأل وأمن بمخاف والجذوة باللغات الثلاث وقرئ من فعا صم
 بفتح الجيم وجزوة وخلف بضمها وغيرهم بكسرهما العود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تكن ومن الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أمه النداء
 من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادي بدل الاشتغال لان الشجرة كانت ثابتة على الشاطئ أي الجانب
 (وأن ألق عصاك) ونودى أن ألق عصك فألقها فقبلها الله تعباناً (فلمار آهاتهنز) تحرك (كأنها جان) حية في سعيها وهي نعبان في
 جنبها (ولي مدبر اولم يعقب) يرجع فقبل له (يا موسى أقبيل ولا تخف انك من الآمنين) أي أمنت من أن ينالك مكر وه من الحية (اسلك)
 أدخل (يدك في جيبك) جيب قبيلك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب)
 مجازي بفتح تين ويصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكحل الخوف والمعنى واضم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق أي لاجل الحية
 عن ابن عباس رضى الله عنهما كل حائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فرزع موسى
 واتقاها بيده كما يفعل الخائف من (٤٤) الشئ فقبل له ان اتعاك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكاك تنقلب حية فادخل

يدك تحت عضدك مكان
 اتعاك بها ثم أخرجها
 بيضاء ليحصل الامران
 اجتناب ما هو غضاضة عليك
 واطهار بمجرة أخرى والمراد
 بالجناح اليد لان يدي
 الانسان بمنزلة جناحي الطائر
 واذا أدخل يده اليه تحت
 عضده اليسرى فقد ضم
 جناحه اليه أو أريد بضم
 جناحه اليه تجلده وضبطه
 نفسه عند انقلاب العصا
 حية حتى لا يضطرب ولا
 يهرب استعارة من فعل
 الطائر لانه اذا خاف نشر
 جناحيه وأرأخهما وال
 في جناحه مضمومان اليه
 مشهران ومعنى من الرهب
 من أجل الرهب أي اذا
 أصابك الرهب عند رؤية

قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله
 تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان المتكلم
 هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال انى سمعته
 بجميع أجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن
 ألق عصاك) أي فلقها (فلمار آهاتهنز) أي تحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى انهم فى سرعة
 حركتها كالحية السريعة بالحركة (ولي مدبر) أي هار بامننا (ولم يعقب) أي ولم يرجع قال وهب انهم سلم
 ندى شجرة ولا شجرة الا بلغت حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ
 مدبر اولم يعقب فنودى عند ذلك (يا موسى أقبيل ولا تخف انك من الآمنين) قوله عز وجل (اسلك
 يدك) أي أدخل يدك (في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أي برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت ولها
 شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) أي من الخوف والمعنى اذا هالك أمر يدك وما
 تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الأولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره
 فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من حائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه
 وقيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن روعك وانخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف أن
 يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب السكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك وأخرجها منك لانه تناول
 العصا ويده في كفه (فذا لك) يعني العصا واليد البيضاء (برهانان) أي آيتان (من ربك الى فرعون وملئه
 انهم كانوا قوماً فاسقين) أي خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفساً) يعني القبطى (فأخاف أن
 يقتلون) أي به (وأخى هرون هو أفصح منى لساناً) أي بياناً وانما قال ذلك للعدو الذى كانت فى لسانه من
 وضع الجرة فيه (فأرسله معي رداً) أي عوناً (يصدقنى) يعني فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يخص
 الدلائل ويحجب عن الشبهات ويبادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد (انى أخاف أن يكذبون) يعني

الحية فاضم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سبباً وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى
 واضم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحداً ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض في أحدهما
 خروج اليد بيضاء وفي الثانى اخفاء الرهب ومعنى واضم يدك الى جناحك فى طه أدخل يمانك تحت يسرك (فذا لك) تخففاً منى ذلك ومشرداً
 مكي وبوعمر ومثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) بفتحان نيران بينتان وسميت الحية برهاناً
 لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهه (من ربك الى فرعون وملئه) أي أرسلناك الى فرعون وملئه بهاتين الآيتين (انهم كانوا قوماً
 فاسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معي)
 خص (رداً) حال أي عوناً يقال رداً به أعتته وبلاهم ردى (يصدقنى) عاصم وجره صفة أي رداً مصداقاً وغيرهما بالجزم جواب لارسله
 ومعنى تصدقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لان يقول له صدقت ألا ترى الى قوله هو أفصح منى
 لساناً فأرسله وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرر البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقول فيه يستويان (انى أخاف أن يكذبون) يكذبونى
 فى الحالين يعقوب

(قال سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به اذ اليد تشد بشدة الفضل لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على ضراوة الامور (وتجعل لك سلطانا) غلبة وتسلطار هيبية في قلوب الاعداء (فلا يصلون اليك باياتنا) الباء تتعلق بصلون أي لا يصلون اليك بسبب آياتنا وتم السلام أو فجع ل. كما سلطانا أي تسلط كما باياتنا أو بمخروف أي اذهب باياتنا أو هو بيان للغالبون لاصلة أو قسم جوابه لا يصلون مقدم عليه (انتم اومن اتبعكم الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) ووضحنا (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أي سحر تعمله أنت ثم نعتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجز من عنده الله (وما سمعنا بهذا في آياتنا الاولين) حال منصوبة عن هذا أي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أي ربي أعلم منك بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعث بالهدى ووعده حسن العقبي يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحر امفتر بالاهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله تعالى أولئك لهم عقي الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتهم ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشري والغفران قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لان الموضوع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات (٤٠٥) العظام سحر امفترى ووجه الاخرى

انهم قالوا ذلك وقاله موسى هذا اليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الاخر ربي أعلم بحازي وأبو عمرو ومن يكون حرة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) ما علمت لكم من اله غيري قصد ينفي علمه باله غيره نفي وجوده أي ما لكم من اله غيري وهو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي اطحني الاسحرا واتخذها وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الاسحرا هو يعلم الصنعة بهذه العبارة ولانه أفصح وأشبه بكلام الجبارة إذ أمر هامان وهو

فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) أي سنقويك به وكان هر و ن بمصر (وتجعل لك سلطانا) أي حقه وبرهانا (فلا يصلون اليك) أي بمقتل ولا سوء (باياتنا) قيل معناه تعطيك من المعجزات فلا يصلون اليك (انتم اومن اتبعكم الغالبون) أي لك ولا اتباعكم الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) أي ووضحنا (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أي مخنلق (وما سمعنا بهذا) أي بالذي ندعونا اليه (في آياتنا الاولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) أي انه يعلم الحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) أي العقي المحمودة في الدار الاخرة (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي اطحني الاسحرا قبل انه أول من اتخذ اسحرا وبني به (فاجعل لي صرحا) أي قصر عال يابوقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الاسحرا والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعه عالم يبلغه نبيان أحد من الخلق وأراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فرددت اليه وهي ملطحة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد راكبا على البراذن فيبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضر به بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه في البحر وقطعت في المغرب فلم يبق أحد جعل شيئا فيه الا هلك فذلك قوله (اعلمني أطلع الى اله موسى) أي أنظر اليه وأقف على حاله (واني لاظنه) يعني موسى (من الكاذبين) أي في زعمه ان الارض والخلق الها غيري وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الارض) أي تعظموا عن الايمان ولم يتقادوا للحق بالباطل والعالم (بغير الحق وظنوا أنهم آتينا لا يرجعون) أي للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فالتقيناهم في البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعني حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أممته) أي قادة ورؤساء

وزره بالايقاد على الطين نادى باسمه بيابى وسط الكلام دليل التعظيم والتخبر (فاجعل لي صرحا) قصر عال يا (اعلمني أطلع) أي أصعد والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب انه تعالى في مكان كما كان هو في مكان (واني لاظنه) أي موسى (من الكاذبين) في دعواه ان له الها وانه أرسله النار سولا وقد تناقض المخذول فانه قال ما علمت لكم من اله غيري ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخذ برهانه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فليس وقال لعلي أطلع الى اله موسى روي ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبني صرحا يبلغه بناء أحد من الخلق فضر به الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت في البحر وقطعت في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (في الارض) أرض مصر (بغير الحق) أي بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه الكبر يا عوداتي والعظمة ازارني فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكبره بغير الحق (وظنوا أنهم آتينا لا يرجعون) وجزرة وعلى وخلف ويعقوب (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المتفخم الذي دل به على عظمة شأنه شههم استقلاله لعدددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن أخذ بكفه فطر جهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحدهم قولك فانك منصور عليهم (وجعلناهم أممته) قادة

(يدعون الى النار) أي عمل أهل النار قال ابن عطية نزع عن أسرارهم التوفيق وأثوار التحقيق فهم في طامات نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أزمناهم طردوا وابتعدوا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطر ودين المعدن أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم طرف للعقب وحين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) قوم نوح وهو ذو صالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) حال من (٤٠٦) الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشاد والسعادة كما أن البصر نور العين الذي

يبصر به الاجساد يريد آتيناها التوراة أنوار القلوب لانها كانت عمياء لا تبصر ولا تعرف حتمنا باطل (وهدي) وارشاد لانهم كانوا يخبطون في ضلال (ورجة) لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (وما كنت بجانب الجبل) (الغربي) وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أي كناه وقرينه نجيبا (وما كنت من الشاهدين) من جملة الشاهدين اللوحى اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته (ولكننا أنشأنا) بعد موسى (قرونا فقتلناهم عليهم العمر) أي طالت أعينهم وقترت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فإرسلناك مجددا لتلك الاخبار مبينا ما وقع فيه

(يدعون الى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا ينعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي خربوا وبعروا عذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي البعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون ﴿وقوله عز وجل﴾ (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من كانوا قبل موسى (بصائر للناس) أي ليبصروا ذلك فبهتوا به (وهدي) أي من الضلالة أن عمل به (ورجة) أي أن آمن به (لعلهم يتذكرون) أي بما قبض من المواعظ (وما كنت بجانب الجبل) الجبل الذي صلى الله عليه وسلم أي وما كنت بجانب (بجانب الغربي) أي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حديث ناجي موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسل الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أي الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا الى موسى فيه فقد كره من ذات نفسك (ولكننا أنشأنا قرونا) أي خلقنا بعد موسى أمما (فتناول عليهم العمر) أي طالت عليهم المدة فسوا عهد الله وتركوها أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهدا في محمد والاعيان به فلما طالت عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهد وتركوها الواقع بها (وما كنت ناويا) أي مقببا (في أهل مدين) أي مقام موسى وشعب فيهم (تتلوا عليهم آياتنا) أي تذكروهم بالوعود والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فقرأ على أهل مكة تخبرهم (ولكننا كنا مرسلين) يعني أرسلناك رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتتلوا عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني مجددا وأمتة قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمتة وأسمعتك صوتهم قال بلي يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آياتهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أي أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتي وسبقت غضبي وغفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل ان تسألوني وقد أجبتكم قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتك رحمة بارئك والوحي اليك والاطلاع على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوم ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم فجمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واسمته شرعه والمراد بقوله وما كنت ناويا في أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله اذ نادينا اليه المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضر ابن الله أنه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة

التحريف وأعطيتك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا موسى وما جرى عليه ولكننا أوحيناها اليك فذكري سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبه الاستدراكين بعده (وما كنت ناويا) مقببا (في أهل مدين) وهم شعب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم لتعلم منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتتلوا في موضع نصب خبر نان أو حال من الضمير في ناويا (ولكننا كنا مرسلين) ولكننا أرسلناك واختارناك بها وعلمناك بها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتنذر قوم ما أتاهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسة مائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون)

ولولا أن تصيبهم مصيبة (عقوبة بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أسفرا لاجمال نزاول بالأيدي نسبت الاجمال الى الأيدي
 وان كانت من أعمال القلوب تغليبا لا كثر على الأقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت النار سولا فتتبع آياتك وتكون من
 المؤمنين) لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر اذا امر
 باعث على الفعل والباعث والمحضض من واحد والفاء تدخل في جواب الامر والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك
 والمعاصي هلا أرسلت النار سولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم يعني أن ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحق ولا يلزموا كقولهم
 لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فان قامت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول لولا
 الامتناعية تعليم ادونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال وليكن العقوبة لما كانت (٤٠٧) سببا للقول وكان وجوده بوجودها

جعلت العقوبة كما فيها
 سبب الارسال فادخلت
 عليها لولا وجيء بالقول
 معطوفا عليها بالفاء العطفية
 ومعنى السببية يؤل معناه
 الى قولك ولولا قولهم هذا
 اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا
 (فلما جاءهم الحق من
 عندنا) أي القرآن وأرسل
 المصدق بالكتاب المعجز
 (قالوا) أي كفار مكة (لولا
 أوتي) هلا أعطى (مثل
 ما أوتي موسى) من الكتاب
 المنزل جله واحدة (أولم
 يكفروا) يعني أبناء جنسهم
 ومن مذهبهم مذهبهم
 وعنادهم عنادهم وهم
 الكفرة في زمن موسى عليه
 السلام (بما أوتي موسى من
 قبل) من قبل القرآن (قالوا)
 في موسى وهرون (ساحران
 تظاهرا) تعاونا سحران كوفي
 أي ذوا سحر أو جعلوا هما
 سحرين مبالغة في وصفهما
 بالسحر (وقالوا انما بكل

على نبوته صلى الله عليه وسلم ومجزئه كانه قال في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة
 ظاهرة على نبوتك ﷺ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة وقيمة (بما قدمت أيديهم) يعني من
 الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت النار سولا فتتبع آياتك وتكون من المؤمنين)
 ومعنى الآية لولا انهم يحتجون بتلك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناها لما بعثناك
 اليهم رسولاً واكننا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني
 محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتي) محمد (مثل ما أوتي موسى) يعني من
 الآيات كالصا واليسد البيضاء وقيل أوتي كتابا جله واحدة كآوتي موسى التوراة قال الله تعالى (أولم
 يكفروا بما أوتي موسى من قبل) قيل ان اليهود أرسلوا الى قريش أن يسألوا محمد صلى الله عليه وسلم مثل
 ما أوتي موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخروا هذا السؤال
 (قالوا ساحران تظاهرا) يعني التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الا آخره وقيل ساحران يعني محمد
 وموسى وقيل ان مشرك مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم
 أن نعتهم في كتابهم التوراة فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا (وقالوا انما بكل
 كافرون) يعني من التوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (قالوا بكتاب من عند الله هو اهدي
 منهما) يعني بالتوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على مجزئهم
 عن الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون
 أهواءهم) يعني ان ما ركبوه من الكفر لاجته لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل
 ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ﷺ قوله عز وجل (ولقد وصلنا لهم
 القول) قال ابن عباس بيانا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بغيرها وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن
 من أخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدين بالخبر الاخرة حتى كانوا عاينوا
 الاخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى
 الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه
 وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم آريعون راجل قدموا
 مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا
 انصرفنا فبئنا بأموالنا فواسيناهم فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسواهم المسلمين فنزلت هذه

واحد منهما (كافرون) وقيل ان أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران
 تظاهرا أوتي التوراة والقرآن سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فاخبروهم انه في كتابهم
 فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا (قل فأوتوا بكتاب من عند الله هو اهدي منهما) مما أنزل
 على موسى وما أنزل على (أتبعه) جواب فأوتوا (ان كنتم صادقين) في أنهم سحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) فان لم
 يستجيبوا دعاهك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم قد أزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من
 الله) أي لا أحد أضل ممن اتبع في الدين هواه بغير هدى حال أي تحذول لا يتخلى بينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ولقد وصلنا لهم
 القول لعلهم يتذكرون (التوصليل تكثير الوصل وتكرره يعني ان القرآن آتاهم منته ابعام تواصل اعدا وعبدا وقصا وعبدا وواظ
 ليتدكر وافيلها) (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الذين (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب

(واذيتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنة انه الحق من ربنا انا كذمان قبله) من قبل نزول القرآن (مسلمين) كاذبين على دين الاسلام ومؤمنين
 بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله آمنة لانه يحتمل ان يكون امانا
 قريبا العهد وبعده فاحبر وابان ايمانهم به متقادم (اولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والاعيان
 بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعده نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب (ويدرون بالحسنة السيئة)
 يدفعون بالطاعة المعصية وبالعلم الاذى (٤٠٨) (ومارزقناهم ينفقون) يزكون (واذ اسمعوا اللغو) الباطل او الشتم من المشركين

(أعرضوا عنه وقالوا)
 للاعنين (لنا أعمالنا ولكم
 أعمالكم سلام عليكم)
 أمان منالكم بأن نقابل
 لغوكم بمثل (لانبتغى الجاهلين)
 لانريد نخالطهم وصحبهم
 (انك لانهدى من أحببت)
 لانقدر ان تدخل في
 الاسلام كل من أحببت
 ان يدخل فيه من قومك
 وعبرهم (ولكن الله
 يهدي من يشاء) يخلق
 فعل الاهداء فبين يشاء
 (وهو أعلم بالمهتدين)
 بين يختار الهداية ويقبلها
 وينعظ بالدلائل والآيات
 قال الزجاج أجمع المفسرون
 على انها نزلت في أبي طالب
 وذلك انه قال عند موته
 يا معشر بني هاشم صدقوا
 تجدوا تفلحوا فقال عليه
 السلام يا عم تأمرهم
 بالنصيحة لانفسهم
 وتدعها لنفسك قال فاتريد
 يا ابن أخي قال أريد منك
 ان تقول لا اله الا الله أشهد
 لك بها عند الله قال يا ابن
 أخي انا قد علمت انك صادق
 ولكني أكره ان يقال

الآيات الى قوله ومارزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أو بعون من
 نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذيتلى عليهم) يعنى
 القرآن (قالوا آمنة انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوباً عندهم في
 التوراة والانجيل (انا كذمان قبله مسلمين) أى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى
 الله عليه وسلم انه نبي حق (اولئك يؤتوا اجرهم مرتين) يعنى بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الاخر
 (بما صبروا) أى على دينهم وعلى اذى المشركين (ق) عن أبي موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
 والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديتها وعلمها
 فأحسن تعليمها ثم أعنتها ثم تزوجها فله اجران (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة
 أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومارزقناهم
 ينفقون) أى فى الطاعة (واذ اسمعوا اللغو) أى القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا
 يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبالكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا
 ولكم أعمالكم) أى لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المشاركة
 والمعنى سلمتم منا لانعارضكم بالثمة (لانبتغى الجاهلين) يعنى لانحب دينكم الذى أنتم عليه وقيل لانريد ان
 نكون من أهل الجهل والسطف وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (انك
 لانهدى من أحببت) أى هدايته وقيل أحببته لقرابته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك ان الله تعالى
 يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أى بمن قدره الهدى (م) عن
 أبي هريرة قال انك لانهدى من أحببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اراد عمه أبا طالب على
 الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله أشهد لك به يوم
 القيامة قال لولا ان تعبيرى قرىش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقرت به اعينك ثم أنشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية ديننا
 لولا الملامة أو حذار مسيبة * لو جرتنى سبحنا لكان مدينا

ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية (وقالوا ان تتبع الهدى
 معك نتخطف من أرضنا) يعنى مكنتوا فى الحرب بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى
 الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذى تقول حق ولكن ان تبعناك على دينك خفنا ان نخرجنا العرب من أرض
 مكة قال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرماً آمناً) وذلك ان العرب كانت فى الجاهلية يغير بعضهم على بعض
 ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرم والحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظباء من
 الذئاب والجام من الحداة (يجبى اليه) أى يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق

جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة والآية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع واليهن
 ولكنهم لم يتسددوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان تتبع
 الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً) قالت قرىش نحن نعلم انك على الحق وانك تخاف ان تبعناك وخالفنا العرب بذلك
 ان نتخطفوا من أرضنا فالتقمهم الله الجزية مكن لهم فى الحرم الذى آمنه بحرمة البيت وأمن قطانه بحرمته والتمرات تجبى اليه من كل أوب
 وهم كفرة فأنى يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلمهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسند الامن الى أهل الحرم حقيقة والى
 الحرم يحجاز (يجبى اليه) وبالثناء مدنى ويعقوب وسهل أى تجلب ويجمع

(غرات كل شئ) معنى الكلبة الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ (رزقاً من لدنا) هو مصدرا لانه معنى يجي اليه برزق أو مفعول له أرحال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لخصصها بالاضافة كما تنصب عن التكررة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بن لدنا أي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلوا ان الخوف والامن من عنده وما خافوا التخطف اذا آمنوا به (وكم أهل كامن قرية) بطارت معيشتها (هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهل كنانة ومعيشتها يحذف الجاروا يزال الفعل أي في معيشتها والبطر سوء احتسامل الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الا نارا يشاهدونها في الاسفار كبلاد غورد و قوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الاشارة (من بعدهم الا قبلا) من السكنى أي لم يسكنها الا للمسافر وما الطريق يوما أو ساعة (وكانن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا (وما كان ربك مهلك القرى) في كل وقت (حتى يبعث في أمها) و بكسر الهمزة حمزة وعلى أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها (رسولا) لازام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا (٤٠٩) يعني محمد عليه السلام (يتلوا عليهم آياتنا) أي القرآن (وما

والامين) غرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك قوله عز وجل (وكم أهل كامن قرية) أي من أهل قرية (بطارت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قبلا) قال ابن عباس لم يسكنها الا للمسافر ون سكونا قبلا وقيل لم يعمر منها الا قراها وأكثرها حراب (وكانن الوارثين) يعني لم يخلفهم فيها أحد بعدهم وصار أمرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم ونخص الامم ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشرف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني محمد اصلي الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعني انه يؤدي اليهم ويلغفهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا (وما تكلمها حتى القرى الا وأهلها الظالمون) أي مشركون قوله عز وجل (وما أوتيتم من شئ فتناج الحيوه الدنيا وزينتها) أي تمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرج الآخرة على الدنيا فليس يعقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشغولين بطاعة الله تعالى لان عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشغولون بطاعة الله تعالى (أفئن وعدناه وعد احسنا) يعني الجنة (فهو لاقية) أي مصيبه وصاير اليه (كن متعناه متاع الحيوه الدنيا) أي وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار قبل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وجزرة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أئن شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا انهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين آغويننا)

كلمها حتى القرى الا وأهلها ظالمون) أي وما أهل كنانةم للا نتقام الا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنداهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم (وما أوتيتم من شئ فتناج الحيوه الدنيا وزينتها) وأي شئ أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لانه دائم (أفلا تعقلون) ان الباقي خير من الفاني وخير أوعمر و بين البقاء والتناء والبقاوت بالتناء لا غير وعن ابن عباس رضی الله

عنه ما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف (٥٢ - خازن - ثالث)

المؤمن والمنافق والكافر فالؤمن بترود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أئن وعدناه وعد احسنا) أي الجنة فلا شئ أحسن منها الا هذا الجنة بالحسنى (فهو لاقية) أي راقبه ومدركه ومصيبه (كن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل لعنه الله أوفى على وجزرة وأبي جهل أوفى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفئن وعدناه أي بعد هذا التفاوت الجلي يسوي بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبب لان لقاء الموعود مسبب عن الودع ثم اترأخى حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كقبيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادى الله الكفار نداء توبيح وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باباد كز (فيقول أئن شركائي) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولا تزعمون محذوفان تقدروه كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب طنت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين أو أئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لا ملأ جنة من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين آغويننا)

أى دعوتناهم الى الشرك وسؤلناهم الغى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر (أغو ينأهم) والكافى (كأغو ينأ) صفة صدر
 محذوف تقديره أغو ينأهم فقروا غيا مثل ماغو ينأ يعنون ان لم نغو الا باختيارنا فهو لا كذلك غروا باختيارهم لان اغوا نأهم لم يكن الا
 وسوسة وتسويف لا فلا فرق اذا بين غيا وغوهم وان كان تسويفنا نادا عياهم الى الكفر فقد كان فى مقابلة مدعاء الله لهم الى الايمان بما وضع
 فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله وقال الشيطان لما قاضى الامر ان الله وعدهم وعدا الحق الى
 قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواهم وبطبعون شهواتهم واخلاء
 الجلتين من العاطف لكونهم مقررين اعم فى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أى الاصنام لتخصمكم من العذاب (فدعوهم
 فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يمتدون) وجواب لو محذوف أى لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا
 أجبتم المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حتى أولاما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبخهم لانهم اذا
 ونحو اعبادة الآلهة اعتدروا بأن الشياطين هم الذين استغواهم ثم ما يشبهه السماء تهمهم لاستغانتهم الكهنة وحجزهم عن نصرتهم ثم
 ما يكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلة (فعميت عليهم الانباء يومئذ) خفيت عليهم الحجج أو الاخبار وقيل خفي عليهم
 الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون اذ لم (٤١٠) يكن عندهم جواب (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والحجج جاء أن يكون

عنده عذر وحجة لانهم
 يتساورون فى الجزع من
 الجواب (فأما من تاب) من
 الشرك (وآمن) بربه وبما
 جاء من عنده (وعمل صالحا
 فعسى أن يكون من المفلحين)
 أى فعسى أن يفعل عند الله
 وعسى من الكرام تحقيق
 وفيه بشارة للمسلمين على
 الاسلام وترغيب للكافرين
 على الايمان ونزل جوابا
 لقول الوليد بن المغيرة لولا
 انزل هذا القرآن على رجل
 من القرية تبين عظيم يعنى
 نفسه أو أبا مسعود (وربك
 يخلق ما يشاء) وفيه دلالة
 خلق الافعال ويوقف على
 (ويختار) أى وربك يخلق

ما يشاء وربك يختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم أن يختاروا على الله شيئا ماله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف (بضياء)
 فى ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذا المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة فى أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن
 وصل على معنى ويختار الذى لهم فيه الخيرة فقد أبدل ما لى اختيار الخلق تقرر لا اختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم
 وأصلح فهو مائل الى الاعتزال والخيرة من الخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير ويعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله
 وتعالى عما يشركون) أى الله برى عن اشراكهم وهو مهتره عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تضر (صدورهم) من
 عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده (وما يعلمون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا خير عليه غيره فى النبوة (وهو الله) وهو المستأثر
 بالالهيمة المختص بها (لا اله الا هو) تقرر بذلك كقولك القبلة الكعبة لا قبلة الا هى (له الحمد فى الاولى) الدينار والاخرة) هو قولهم الحمد لله
 الذى أذهب عنا الحزن الذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد لله على وجه اللذالك الكفاية (وله الحكم) القضاء
 بين عباده (واليه ترجعون) بالبعث والنشور وفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرأيتم) أى محذوف الهمزة على (ان جعل الله عليكم
 الليل سرمدا) هو مفعول ثان لجعل أى دائم من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم فى الاشهر الحرم ثلاثة سرد وسرد واحد فرد والميم من يد ووزنه
 فعمل (الى يوم القيامة) من اله غير الله يا نبيكم

بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أظلمت من بعد علي هذا (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمد الى يوم القيامة فمن انه غير الله يا أيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تصفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به مسكوتة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المترلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللطف والنشر (ولكم تشكرون) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز ان يكون معناه لتسكنوا فيه ما ولتبتغوا من فضل الله فيها او يكون المعنى جعل لكم الزمان ليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي (٤١١) الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليؤذن ان

لا شيء أوجب لغضب الله من الشرك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيدده (وزرعنا) وأخر جننا (من كل أمة شهيدا) يعني نبينهم لان الانبياء للامم شهداء عليهم بشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاؤنا) برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ونخالفة الرسل (فعلوا) حينئذ ان الحق لله التوحيد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع (ما كانوا يفترون) من ألوهية غير الله والسفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف (كان من قوم موسى) كالاسرائيليين ابن عم لموسى فهو قارون بن بصهر بن قاهت بن لاوي ابن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهت وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقرأمنه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبني عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبني عليهم وقيل بغي عليهم بكثرة ما به وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرت ثيابه خيلاء أخرجاه في الصحيين وقيل بغي عليهم بالسكبر والعلو (وأوتينا من الكنوز ما نفاخه) جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفتاحه يعني خزائنه (لتنوع بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا جلودها لتثقلها قيل العصبة مابين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس مابين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفتاحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفتاح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت ونقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبغ وكانت تحمل معه اذا ركب على أرمعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) أي لا تبطر ولا تأسر ولا تفرح (ان الله لا يحب الفرحين) أي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدينا الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدينا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمد الى يوم القيامة) أي لا ليل فيه (من اله غير الله يا أيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرعى حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولا جله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ومعلوم ان ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منه ما قاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء ابد اقبين الله تعالى انه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان باظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي بالنهار (ولكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرر ذلك النداء للاشركين لزيادة التقرير والتوبيخ (وزرعنا) أي أخرجنا وقيل ميرتنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسولهم بشهد عليهم بأنه بلغهم رسالته ورضيهم ونصح لهم (فقلنا) أي للامم المكذبة لرسولهم (هاؤنا برهانكم) أي بحجتكم بأن معي شريكا (فعلوا وأن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي يخالقون في الدين من الكذب على الله قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن بصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهت وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل أقرأمنه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبني عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبني عليهم وقيل بغي عليهم بكثرة ما به وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرت ثيابه خيلاء أخرجاه في الصحيين وقيل بغي عليهم بالسكبر والعلو (وأوتينا من الكنوز ما نفاخه) جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفتاحه يعني خزائنه (لتنوع بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا جلودها لتثقلها قيل العصبة مابين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس مابين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفتاحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفتاح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت ونقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبغ وكانت تحمل معه اذا ركب على أرمعين بغلا (اذ قال له قومه لا تفرح) أي لا تبطر ولا تأسر ولا تفرح (ان الله لا يحب الفرحين) أي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدينا الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدينا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

يسمى النور الحسن صورته وكان أقرأبن اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبني عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ما له وولده أو زاد عليهم في الثياب شبرا (وأوتينا من الكنوز ما نفاخه) ما بمعنى الذي في موضع نصب با تينا وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفتاح جمع مفتاح وهو ما يفتح به أو مفتاح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد (لتنوع بالعصبة) لتثقل العصبة فالبناء للتعدي يقال ناعيه الحمل اذا نقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبغ وكانت من جلود (أولى القوة) الشدة (اذ قال له قومه) أي المؤمنون وقيل القائل موسى عليه السلام ويحل اذ نصب بننوء (لا تفرح) لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يفرح بالدينا الا من رضى بها واطمأن قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها (ان الله لا يحب الفرحين)

البطرين بالمال (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى أبواب الخير (ولاتنس نصيبك من الدنيا) وهو ان تاخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها (وأحسن) الى عباد الله (كأحسن الله اليك) أو أحسن بشكرتك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولاتبغ الفساد في الارض) بالظلم والبغى (ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندي) أى على استحقاق لما نى من العلم الذى فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهبا أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة والزراعة وعندي صفة العلم قال سهل ما نظر أحد الى نفسه فافرح والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية منة الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال والشئ من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاهال نفسه فشؤمه بهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا (أولم يعلم) (٤١٢) قارون (ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بان الله قد

أشد الغم عندي في سرور * تبين عنه صاحبه ان تقالا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما أتم عليك وتمنقه في رضا الله (ولاتنس نصيبك من الدنيا) أى لا تترك ان تعمل في الدنيا والآخرة حتى تجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل فيها والآخرة بالصدقة وصله الرحم وقيل لاتنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة * عن عمرو بن ميمون الاودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتمت خمس قبيل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وهذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أى أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولاتبغ) أى ولا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) يعنى قارون (انما أوتيته على علم عندي) أى على فضل وخير عمله الله عندي فرآى أهل ذلك فضلى في هذا المال عليكم كما فضلى بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعمله فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن نون ثلثه وعلم قارون ثلثه فقد عهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكبر جمعا) أى للاموال (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه ان الله تعالى اذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يستلون سؤال استعلام وانما يستلون سؤال توبيخ وتقرير وقيل لاتسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسميائهم قوله عز وجل (نخرج على قومهم في ربيته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الشيب الجرد والصفرة والعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليهم اسروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة تجارية بيضاء عليهم الخيل والشباب الجروهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ليات لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم) أى من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أى بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعنى الاحبار من بنى اسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتى قارون (وياسمكم الله) أى ما عند الله من الثواب والخير (خير ان آمن)

أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأه في التوراة كانه قيل أولم يعلم في جهل ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته أو نفي لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعاه ورأى نفسه به مستتوية لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى تبقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للعمال أو أكثر جمعا وعددا (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعترفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسميائهم فلا يستلون أولا يستلون لتعلم من جهتهم بل يستلون سؤال توبيخ أولا يستل عن ذنوب الماضين

المجرمون من هذه الامة (نخرج على قومهم في ربيته) في الحجر والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على ربه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن عيسى ثلثمائة تجارية بيضاء عليهم الخيل والديباج وفي ربيته حال من فاعل خرج أى مترينا (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعبادة البشر وقيل كانوا كفارا (بالت لنا مثل ما أوتى قارون) قاله غبطة والغابط هو الذى يمتنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذى يمتنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى ولا تتموا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا الا كما يضر العضاء الخبط (انه لذو حظ عظيم) الخطا الجرد وهو الخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وبقاء الدين وبقاء العقبي لغابطى قارون (وياسمكم) أصل ويك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيين في اعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أى أزمكم الله ويحكم (نواب الله خير لمن آمن

وعمل صالحا ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الحكمة وهي ثواب الله خير (الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (نفسنا به وبداره الأرض) كان قارون يؤذي موسى عليه السلام (٢١٣) كل وقت وهو يداره للقرابة التي

بينهم ما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فحسبه بنفسه فجمع بنو إسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وأوسط ما من ذهب أو حاكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنو إسرائيل يزعمون انك فخرت بقلانة فأحضرت فنأشدها بالذي فلق البحر وأزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعل على ان أفذلك بنفسى فخر موسى ساجدا بيكى وقال يا رب ان كنت رسولك فأغضب لي فأوحى الله اليه أن مر الأرض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليزلم مكانه ومن كان معي فليعتزل

أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الحكمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى (نفسنا به وبداره الأرض) * (ذكر قصة قارون) *

قال أهل العلم بالخبار والسير كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى وهرون واقربهم للتوراة وأجلهم وأعنانهم وكان حسن الصوت وبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى ان باصر قومه أن يعلقوا في أردنيهم خيوطا ربعية في كل طرف خيطا أحضر كلون السماء يذكر ونى به اذا نظر وا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أدلنا نأمرهم ان يجعلوا أردنيهم كلها خضرا فان بنو إسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم ان تعلقوا في أردنيهم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطمعه وقال انما فعل هذا الار باب بعيدهم لشيء يميزوا عن غيرهم فكان هذا بعد عصيانه وبغيه فلما قطع موسى بنو إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهي رأسه المذبح فكان بنو إسرائيل يأتون بقربانهم الى هرون فيضعها على المذبح فتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لي على هذا فقال أما أنا ماجعته الهرون بل الله جعله اله فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترى بيانه فجمع موسى رؤساء بنو إسرائيل فقال ها تواعصيكم فزهاوا لقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا البحر سون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصاهم هرون قد هاد ثم لها ورن أحضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا باعجب مما صنعت من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداره للقرابة التي بينهم ما هو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الاعتوا وتجبرا ومعاداة لى حتى بنى دارا جعل لها بابا من الذهب وضر بعلى جدرانها صفاغ الذهب وكان الملا من بنو إسرائيل يغدون اليه ويرحون فيطعمهم الطعام ويحسدونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عن ألف دينار وعلى كل ألف درهم عن ألف درهم وكل ألف شاة عن ألف شاة وكذلك سائر الاشياء فجمع الى بيته فحسبه فوجد شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنو إسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد ياخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربما شئت قال أمركم ان تجيئوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعل على ان تغدق موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل فرفضوه فدعوا جعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستامن ذهب وقيل قال لها قارون أتزلك وأنا خلطك بنسائي على ان تغدقنى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنو إسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بنو إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنههم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الأرض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليس له امره جلدناه مائة جلد ومن زنى وله امرأة ورجناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنو إسرائيل يزعمون انك فخرت بقلانة البغي قال ادعوهما فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لى بنو إسرائيل وأزل التوراة الا صدقت فنداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث ثوبة أفضل من ان أؤذى رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعل على ان أفذلك بنفسى فخر موسى ساجدا بيكى ويقول اللهم

فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلبث اليهم لشدته غضبه ثم قال خذهم فانطقت عليهم فقال الله تعالى استغاث بك مراراً فلم ترجه فوعزنى لولا استرجنى مراراً حتمه فقال بعض بنو إسرائيل انما أهلكه ليرث ما له فدعا الله حتى خسف بداره وكورته

(فما كان له من فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) ينعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين من موسى أو من المنتقمين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه من فاعته (وأصبح) وصار (الذين آمنوا مكانه) منزلة من الدنيا (بالأمس) ظرف لما مضى ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون وي) كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر (وي منفصلة عن كأن عند البصريين قال سيبويه) وكلمة تنبسه على الخطأ وتقدم بستعملها النادم باظهار ندامته يعني ان القوم قد تنبهوا على خطيئتهم في تخنيمهم وقولهم باليت لنا مثل ما أوتى قارون وتقدموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا نتمناه بالأمس (لخسف بنا) وبفتختين حذفص وبعقوب وسهل وفيه ضمير الله (٤١٤) تعالى (وي كأنه لا يفلح الكافرون) أي تقدموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون (تلك الدار

الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بكروها وبلغت رصدها وقوله (تجعلها) خبر تلك والدار نعمتها (الذين لا يريدون علواً في الأرض) بغيا ابن جبير وظلما الضحالك أو كبرا (ولا فسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهم وميل القلوب اليها كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فحاق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليحجمه أن يكون شر الزنعة أجد من شر الزنعة صاحبه فدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وقال بعضهم حقيقتما لتفسير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا بقوله ان فرعون علفي الارض ولا تبغ الفساد في الارض (والعاقبة) المحمودة (المتقين من جاء بالحسنة

ان كنت رسولا فغضب لي فأوحى الله اليه اني أمرت الارض ان تطيعك فربها ما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الي قارون كما بعثني الي فرعون فن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذهم فاخذتهم باقدامهم وقيل كان على سريره وفرسته فأخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدوه قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذهم فاطبقت عليهم الارض فأوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستعيت بك قارون سبعين مرة فلم تغنه أما وعزتي وجلالي لو استعنت بي مرة لا غنمته وفي بعض الآثار لا تجعل الارض بعدك طوعا لا حدة قال قتادة تخسف به الارض فهو يتجملجمل في الارض كل يوم فامر جيل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة واصبح بنوا اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعاهم موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي ينعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المنتقمين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين آمنوا مكانه بالأمس) أي صار أولئك الذين آمنوا مارة فقام الله من الاموال والزينة ينسدون على ذلك النبي (يقولون وي) كأن الله لم يعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تعبر بمعناها أما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويك اعلم أن الله ورويان وي مفضولة من كان والمعنى ان القوم تقدموا فقالوا متقدمين على ما سلف منهم وي وكان معناها أظن وأقدر ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أي بالايمان (لخسف بنا وي كأنه لا يفلح الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض) أي استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل بطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدره (ولا فسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بعبادة أو امره واجتناب نواهيهم وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها) ومن جاء بالسئنة فلا يجزي الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون (تقدم تفسيره) قوله تعالى (ان الذي فرض عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أو جب عليك العمل بالقرآن (لرأدك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة أخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق بحفاة الطلب فلما آمن رجوع الى الطريق ونزل بالحفة بين مكة والدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام

فله خير منها) مر في النمل (ومن جاء بالسئنة فلا يجزي الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات وقال موضع الضمير لان في استناد عمل السئنة اليهم مكررا فاضل تمنع من بحالهم وزيادة تبغض للسئنة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السئنة الا بمثلها ويجزي الحسنه بعشر أمثالها وبسبع مائة (ان الذي فرض عليك القرآن) أو جب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرأدك) بعد الموت (الى معاد) أي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا انكره أو المراد به مكة والمراد به اليها يوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معادله شأن ومرجعها اعتد لدغلبة رسول الله وقهره لاهله ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالحفة لا بمكة ولا بالدينة حين اشتاق الى مولده ومولد آباءه ولما

وعدرسوله الردالى معاده قال (قل) للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) يعنى نفسه وماله من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين وما يستحقونه من العذاب فى معادهم من فى محل نصب. فعل مضمهر أى يعلم (وما كنت ترجوان يلقى) يوحى (الملك الكتاب) القرآن (الارحمة من ربك) هو محمول على المعنى أى وما أتى الملك الكتاب الارحمة من ربك والابجنى لكن للاستدراك أى ولكن لرحمة من ربك أتى الملك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أى لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أى القرآن (بعداذ أنزلت اليك) الآيات أى بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيد عبادة (ولا تكونن من المشركين) ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضى الله عنهما الخطاب فى الظاهر النبى صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولان العصمة لا تمنع النهى والوقف على آخر لازم (٤١٥) لانه لو وصل اصار (لا اله الا هو) صفة لالهها آخر وفيه من الفساد

مافيه (كل شئ هالك الا وجهه) أى الاياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعنى علم العلماء اذا أراده وجهه الله (له الحكم) القضاء فى خلقه (واليه ترجعون) ترجعون بقض التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم (سورة العنكبوت) مكية وهى تسع وستون (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعنى المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس من جواد الان

وقاله أنشاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن رادك الى معاد وهذه الآية تزلت بالحفة بسبب بكية ولا مدينة وقال ابن عباس أيضا رادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك لطفى ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه (ومن هو فى ضلال مبين) يعنى المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين قوله عز وجل (وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن (الارحمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابائه فذكرة نعمه عليه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعنى القرآن (بعداذ أنزلت اليك) وادع الى ربك الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب فى الظاهر النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أى ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا أنه خاطب به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدع مع الله الها آخر فافائدة هذا النهى قلت الخطاب مع المراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكبلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أى فان (الارحمة من ربك) أى الا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الامار يديه وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أى فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أى يردون فى الآخرة فيجزىكم بأعمالكم والله أعلم بمراده

(تفسير سورة العنكبوت) وهى مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعون ألف ومائة وخمسة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أى أظن الناس (أن يتركوا) أى بغير اختبار وابتلاء (أن) أى بأن (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى لا يبتلون فى أمورهم وأنفسهم كلالختبرتهم لنبين المخلص من المنافق والصادق قبل نزول هذه الآية فى أناس كانوا بكمة قد أفرقوا بالسلام فكتب اليهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعتهم المشركون فقاتلهم الكفار فقتل منهم من قتل ومنهم من نجحوا فأنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بكمة سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وعمارة بن ياسر وغيرهم وقيل فى عمار كان يعذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل

قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون تابنا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطرى الجملة فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان هذا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقدره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنوا فترك أول مفعولى حسب لقولهم آمنوا والخبر وأما غير مفتونين فتممة الترك لانه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقولك غنمة فتركته خزا السباع يشنه أى ترى انك قبل المجىء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنوا على تقدير حرص ومسته قرقب الام وهو اسهتهم تويج والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والنقر والقحط وأنواع الاصائب فى الانفس والاموال ومصابرة الكفان على أذاهم وكيدهم وروى انها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا من أذى المشركين أوفى عمار بن ياسر وكان

يعذب في الله (واقدمتينا) اختبرنا وهو موصول بحاسب أو بلا يفقتون (الذين من قبلهم) بانواع الفتن فهم من يوضع المنشار على رأسه فيطرق
 فرقتين ما يصر فذلك عن دينه ومنهم من مشط بامشاط الحديد ما يصر فذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في
 الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما يل من ان يعلمه وجوده عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى
 وليميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدور العبد من كذبه في اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في ايام الرخاء وصبر في ايام
 البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في ايام الرخاء وخرج في ايام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك
 والمعاصي (ان يسبقونا) اي يفوقنا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد مفعولين كقوله أم
 حسبتم ان تدخلوا الجنة ويحوزان ضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحساب ان يطل من الحساب الاوّل
 لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمان (٤١٦) وهذا يظن انه لا يجزى بمساويه وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين (ساعما يحكمون)

من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من
 هذه الامة فجرع ابواه وامرته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (واقدمتينا الذين من قبلهم) يعني
 الانبياء فمنهم من اشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنوا اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب
 (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية
 فليظهور الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل ان آثار افعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع
 وما هو واقع وقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (ان يسبقونا) أي يجزى ونافلا
 نقدر على الانتقام منهم (ساعما يحكمون من كان يرجو لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث
 والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فان أجل الله لات) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل
 يوم القيامة لسكان والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فلا يستعده وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم)
 أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو عنهم (ومن جاهد فانا جاهد
 لنفسه) أي له ثوابه وهذا يحكم الوعد بالحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفي الجهاد هو الصبر على الاعراء
 والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن افعالهم
 وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلا أعطى جميع ما خلقه لعبده من
 عبده لاني عليه لا يستغنا عنه وهذا لوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين
 فلا واهل كهم بعذابه فلا نسي عليه لا يستغنا عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم)
 أي لنبتلعها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذهب السيئة بالحسنة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا
 يعملون) أي باحسن افعالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا وقوله عز وجل (ووصينا
 الانسان بالديه حسنا) معناه ابراهم ما عطفوا عليهم والمعنى ووصينا الانسان بالديه ان يفعل بهم ما يحسن
 نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك
 الزهري وأمه حنيفة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بآبائه
 قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتغير بذلك
 أيد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم
 مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نقتل بها ما تركت ديني

ما في موضع رفع على معنى
 ساء الحكم حكمهم أو
 تصب على معنى ساء حكماء
 يحكمون والمخصوص بالذم
 محذوف أي بس حكماء
 يحكمونه حكمهم (من
 كان يرجو لقاء الله) أي
 يأمل ثوابه أو يخاف حسابه
 فالرجاء يحتملها (فان
 أجل الله) المضروب للثواب
 والعقاب (لات) لا محالة
 فليبادر للعمل الصالح الذي
 يصدر عنه ويحقق أمه
 (وهو السميع) لما يقوله
 عباده (العليم) بما يفعلونه
 فلا يفوته شيء ثم اقول الزجاج
 من للشرط ويرتفع بالابتداء
 وجواب الشرط فان أجل
 الله لات كقولك ان كان
 زيد في الدار فقد صدق الوعد
 (ومن جاهد) نفسه بالصبر
 على طاعة الله أو الشيطان
 بدفع وساوسه أو الكفار

(فانما يجاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم
 وانما أمر ونهي رجة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة (ولنجزيهم
 أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء افعالهم في الاسلام (ووصينا الانسان بالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه
 يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه قوله وصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك
 وصيت زيدا بعمرو ومعناه وصيته بتعهدهم وورعاته وتحذركم وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بالديه حسنا ووصيناها بآبائه والديه حسنا
 أو بآبائه والديه حسنا أي فعلا حسنا أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك
 زيدا يا ضار ضرب اذرا أي تهتميا للضرب فتنبه به يا ضار أو لهم ما وافعل بهم ما لان التوصية به اذ الة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا أو لهما
 معروفًا ولا طاعهما في الشرك اذا جلا عليه وعلى هذا النفس بران وقف على بالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا يدمن

فكلى

سنة الاحسين عاما) كان عمره ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعين
 وهب انه عاش ألفا وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت بأطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل
 تسعمائة وخمسين سنة لانه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فكذا قيل تسعمائة وخمسين
 سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة ولان القصة سبقت البتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كاد به من
 طول المصيبة تسليمة لنيبنا عليه السلام فكان ذكر الالف أفخم وأوصل الى الغرض وحيى بالميرأولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد
 في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة (فاخذهم الطوفان) هو ما أطاق واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما (وهم
 ظالمون) انفسهم بالكفر (فانجيناه) اي نوحا (واصحاب السفينة) وكانوا ثمانمائة وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم انث منهم اولاد
 نوح سام وحام ويافت ونسأوهم (وجعلناها) اي السفينة او الحادثة او القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (واراهيم) نصب
 باصهاراذ كر بدل عنه (اذ قال) بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوح اي وارسلنا ابراهيم او ظرف لارسلنا يعني
 ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعطى قومه يا سرهم بالعبادة والتقوى وقر ابراهيم النخعي والوخني فغرضي الله عنهم
 و ابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين (٤١٨) ابراهيم (لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان

سنة الاحسين عاما) فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء هو لاقال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان
 احدهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة
 فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا أو الا سنة زال ذلك التوهم
 وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا وعلى مراتب العدد
 ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه نسلة النبي صلى الله عليه وسلم
 حيث أعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة الاحسين عاما يدعوهم فصر في الدعاء ولم
 يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقله مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين
 سنة وبقى في قومه يدعوهم ألف سنة الاحسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان
 عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك قوله تعالى (فاخذهم الطوفان) أي فاغرقهم (وهم ظالمون)
 قال ابن عباس مشركون (فانجيناه) واصحاب السفينة (يعني من الغرق) وجعلناها (يعني السفينة) (آية)
 أي عبرة (للعالمين) قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة لله تعالى
 (واراهيم) أي وارسلنا ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي اطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم
 ان كنتم تعلمون) أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولا كنتم لا تعلمون (انما تعبدون من دون الله آوتانا
 وتخلفون انفا) أي تقولون كذا وقيل تصنعون أصناما بايدكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من
 دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدر ان يرزقكم (فابتعوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه
 القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليسه ترجعون) أي في
 الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما
 على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل

لكم علم بما هو خير لكم مما
 هو شر لكم (انما تعبدون
 من دون الله آوتانا) اصناما
 (وتخلفون) وتكذبون او
 تصنعون وقرأ الوخني فغرضي
 والصلح رضى الله عنهما
 وتخلفون من خلق يعنى
 التكثير في خلق (انفا)
 وقرئ أفكوا وهو مصدر نحو
 كذب ولعب والالف مخفف
 منه كالكذب واللعب من
 أصلهما واختلافهم الالف
 تسميتهم الاوتان آلهة
 وشر كما لله (ان الذين تعبدون
 من دون الله لا يملكون لكم
 رزقا) لا يستطيعون ان
 يرزقوكم شيئا من الرزق
 (فابتعوا عند الله الرزق)
 كما فانه هو الرزاق وحده لا
 يرزق غيره (واعبدوه
 واشكروا له اليه ترجعون)
 فاستعدوا للقاءه بعبادته والشكر له على انعمه وافتح التاء وكسر الجيم يعقوب (وان تكذبوا فقد كذب أمم ان
 من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضرهم وانما ضرروا
 أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله
 ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم في في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية
 والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالام قبله قوم شيت وادريس
 ونوح وغيرهم وان تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجل
 الاعتراضية لا يبد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلا دلالة قلت نعم وبيانه أن أراد قصة ابراهيم عليه السلام
 ليس الارادة التنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسالفة بان أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى بنحو ما ابتلى به من شرك
 قومه وعبادتهم الاوتان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا بمحمد فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها
 لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كاتري اعتراض متصل ثم سائر الآيات بعدها من نوابعها الكون انما طقت
 بالتوحيد ودلائله وهم الشرك وتوهمين نوابعها وصفة قدرة الله تعالى وساطانه ووضوح حجة وبرهانه (أولم يروا) وبالبناء كوفي غير حفيص

فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء هو لاقال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان
 احدهما ان الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة
 فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قال مائة سنة الا شهرا أو الا سنة زال ذلك التوهم
 وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا وعلى مراتب العدد
 ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعد الالف لانه أعظم وأفخم وهذه نسلة النبي صلى الله عليه وسلم
 حيث أعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحا لبث في قومه ألف سنة الاحسين عاما يدعوهم فصر في الدعاء ولم
 يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لقله مدة لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين
 سنة وبقى في قومه يدعوهم ألف سنة الاحسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان
 عمره ألفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك قوله تعالى (فاخذهم الطوفان) أي فاغرقهم (وهم ظالمون)
 قال ابن عباس مشركون (فانجيناه) واصحاب السفينة (يعني من الغرق) وجعلناها (يعني السفينة) (آية)
 أي عبرة (للعالمين) قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة لله تعالى
 (واراهيم) أي وارسلنا ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي اطيعوا الله وخافوه (ذلكم خير لكم
 ان كنتم تعلمون) أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولا كنتم لا تعلمون (انما تعبدون من دون الله آوتانا
 وتخلفون انفا) أي تقولون كذا وقيل تصنعون أصناما بايدكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من
 دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدر ان يرزقكم (فابتعوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) فانه
 القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لانه المنعم عليكم بالرزق (اليسه ترجعون) أي في
 الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما
 على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل

(كيف يبدئ الله الخلق) أي قدر أو اذلك وعلوه وقوله (ثم يعيده) ليس معطوف على يبدئ وليست الروية واقعة عليه وإنما هو اخبار على حيايه بالاعادة بعد الموت كواقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وان كان من كلام ابراهيم فقد ربه وأوحينا اليه أن قل (سيرا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثيرهم واختلاف أحوالهم لتعريفوا بحايات فطرة الله بالمشاهدة وبدأ أو بدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث والمحدث كان مهي وأبو عمرو وهو هذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما نشأة أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يعجزه الابداء وجب أن لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فلما تنبيه على هذا المعنى ابراهيم وأوقعه مبتدأ (ان الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (و يرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبملازمة (٤١٩) السنة (واليه تغلبون) تردون وترجعون

(وما أنتم بمحجزين) ربكم أي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه (في الارض) الفسحة (ولا في السماء) التي هي أوسع منها وابتسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم (ولا نصير) ولا ناصر بمنعكم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومجزاته (ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى) جنتى (وأولئك لهم عذاب أليم) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال رؤساء لا تباع اقتلوه أو حرقوه (فأتجاه الله من النار) أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آياتا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتهم وتتواصلون عليهم في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويبعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتبتر القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصر من) أي مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أي صدقه برسالة لمارأي مجزاته وهو أول قال بعضهم لبعض أو قاله

أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انما وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذ كبير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدئ الله الخلق) أي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة (ثم يعيده) أي في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أي الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيرا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكالم يتعذر عليه احدائهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا (ان الله على كل شيء قدير) أي من البداية والاعادة (يعذب من يشاء) عدلا منه (و يرحم من يشاء) تفضلا (واليه تغلبون) أي تردون (وما أنتم بمحجزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء محجز والمعنى انه لا يعجزه أهل الارض ولا أهل السماء (والذين كفروا بآيات الله) أي ينصركم من عذابى (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (وأولئك يئسوا من رحمتى) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في تذ كبير أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال رؤساء لا تباع اقتلوه أو حرقوه (فأتجاه الله من النار) أي بان جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آياتا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتهم وتتواصلون عليهم في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويبعضكم بعضا) تتبرأ الاوثان من عابديها وتبتر القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصر من) أي مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أي صدقه برسالة لمارأي مجزاته وهو أول

واخدمهم وكان الباقون راضين فحانوا جميعا في حكم القائلين فانفقوا على تحريقه (فأتجاه الله من النار) حين قد فوه فيها (ان في ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (لايات لقوم يؤمنون) روى انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقى ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آياتا مودة بينكم في الحياة الدنيا) حزمة وحفص مودة بينكم مدني وشامى وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكي وبصري وعلى مودة بينكم الشعموني والبرجي النصب على وجهين على التعليل أي لتوادوا بينكم وتتواصلوا الاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الله هوام وما كافة أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أي مودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبر الان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أي مودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسم الاطر فا كقوله شهادة بينكم ومن فون مودة ونصب بينكم فعلى الطرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) تتبرأ الاصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أي يوم القيامة يقوم بينكم الثلاثين فيلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) أي ماوى العابدين والمعبودين والمتبوع (وما لكم من ناصر من) ثمة (فأمن له) لابراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخي ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه

(وقال) ابراهيم (اني مهاجر) من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهي من بيه الشام ومن ثم قالوا الكل نبي هجرة ولا ابراهيم هجران وكان معه في هجرته لوط وسارة وقد تزوجها ابراهيم (الربي) الى حيث امرني رب بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذي بمعنى من أعدائي (الحكيم) الذي لا يامرني الا بما هو خير (وهيئنا له اسحق) وولد (وبعقوب) وولد لوط ولم يذكرا به عيل لشهرته (وجعلنا في ذريته النبوة) أي في ذرية ابراهيم فانه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعني التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه) أي ابراهيم (أجره) الشاء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له وهو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (في الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أي واذا كر لوطا (اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) (٤٢٠) الفعلة البالغة في القبح وهي اللواط (ماسبقكم بهم من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة

من صدق ابراهيم وأما في أصل التوحيد فانه كان مؤمنًا بالانبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعني ابراهيم (اني مهاجر الى ربي) الى حيث امرني ربي فهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامرته سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وزك ببلده وسار الى حيث أمره الله بالهجرة اليه قبل هاجرو وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أي الذي لا يغلب والذي بمعنى من أعدائي (الحكيم) الذي لا يامرني الا بما يصلحني ﴿قوله تعالى﴾ (وهيئنا له اسحق وبعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيًا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) هو الشاء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا في الدنيا (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ﴿قوله عز وجل﴾ (ولوطا) اذقال لقومه انكم لتأتون الفاحشة (أي الفعلة القبيحة) (ماسبقكم بهم من أحد من العالمين) أي لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك انهم كانوا يأتون الفاحشة بين مربيهم من المسافرين فيترك الناس المربيهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون في ناديكم المنكر) أي مجالسكم والنادي مجالس القوم ومجتمعهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وتأتون في ناديكم المنكر) قال كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الخذف هو رمي الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مربيهم عابرسبيل خذفوه فاهم اصابه قال ان أولي به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يترقى بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالذم وحل الاراز والصفير والخذف والرمي بالجلهاق واللوطية (فما كان جواب قومه) أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبايح (الآن قالوا) يعني استهزاء (انما بعداب الله ان كنت من الصادقين) أي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرني على القوم المفسدين) أي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) يعني من الله باسحق وبعقوب (قالوا انما هم لكوأهل هذه القرية) يعني قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين) قال (يعني ابراهيم اشفاق على لوط وليعلم حاله) ان فيها لوطا قالوا (أي قالت الملائكة) نحن أعلم بما فيها نخسينه وأهل الامر أنه كانت من الغابرين) أي من

كان قائلا قال لم كانت فاحشة قبيح لان أحد اقبلهم لم يقدم عليها قالوا لم يترد ذكر على ذكركم قوم لوط (أنتم لتأتون الرجال) وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلية بالفاحشة (وتأتون في ناديكم) مجلسكم ولا يقال للمجالس ناد الاما دائم فيه أهله (المنكر) أي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح والخذف بالحصى ومضغ العلك والفرقة والسواك بين الناس (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اتنا بعداب الله ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب انكم أنتمكم شامى وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة هم مرتين كوفي غير حفص

أي نسلك أي نسلكهم مرة تدمودة بعدها يامكسورة أو عجزوا ينسلكهم مرة مقصورة بعدها يامكسورة مكسورة مكسورة الباقين غير قالون وسهل وبعقوب غير زيد (قال رب انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بمحلمهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالشارة لابراهيم بالولد والنافذة يعني اسحق وبعقوب (قالوا انما هم لكوأهل هذه القرية) اضافة مهلكة لم تعد تغر أيضا لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم وهذه القرية تشعر بانها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان أهلها كانوا ظالمين) أي الظلم قد استمر منهم في الايام السالفة وهم عليه مصررون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أي أتتملكونهم وفيهم من هو بري عن الظلم وهو لوط (قالوا) أي الملائكة (نحن أعلم) مثل (بن فيها نخسينه) لتخمينه بعقوب وكوفي غير عاصم (وأهل الامر أنه كانت من الغابرين) الباقين في العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقة ابراهيم بقوله

(ولما ان جاءت رسلنا لوطا بنى عليهم) ساء مجيهم وان صله اكدت وجود الفعليين مرتبا أحدهما على الآخر كأنهم ما وجداني جزوا احد من الزمان كانه قيل كما أحس بجيهم فاجابه المساعة من غير ريث خيفة عليهم من قومهم ان يتناولوهم بالفجور بسى عليهم مدنى وشامى وعلى (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رجب الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضر ب ذلك مثلا فى العجز والقدرة وهو نصب على التمييز وقالوا الاتخف ولا تحزن انما نجوك) وبال تخفيف مكر وكوفي غير حفص (وأهلك) الكاف فى محل الجر ونصب أهلك بفعل محذوف أى ونجى أهلك (الامرأتك كانت من الغابرين انما منزلون) منزلون شامى (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يفسقون) يفسقهم وخر وجههم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تركنا منها) من القرية (آية بينة) (٤٢١) هى آثار منازلهم الخربة وقيل الماء

الاسود على وجه الارض
 (لقوم) يتعلق بتركنا أو
 بيديهم (يعقوبون والى مدين)
 وأرسلنا الى مدين (أحاهم
 شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
 الله وارجوا اليوم الآخر)
 وافعلوا ما ترجون به الثواب
 فى العاقبة أو خافوه (ولا
 تعشوا فى الارض مفسدين)
 قاصدين الفساد (فكذبوه
 فآخذتهم الرجفة) الزلزلة
 الشديدة أو صيحة جبريل
 عليه السلام لان القلوب
 رجفت بها (فاصبحوا فى
 دارهم) فى بلادهم وأرضهم
 (جائسين) باركين على
 الركب ميتين (وعادا)
 منصوب باضمار أهلكنا
 لان قوله فأخذتهم الرجفة
 يدل عليه لانه فى معنى الاهلاك
 (وعود) جزوه حفص وسهل
 ويعقوب (وقد تبين
 لكم) ذلك يعنى ما وصفه من
 اهلاكهم (من مساكنهم)
 من جهة مساكنهم اذا نظرتم

الباقين فى العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا بنى عليهم) أى ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه
 ما ساء (وضاق بهم ذرعا) أى عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك (وقالوا الاتخف) أى من قومك (ولا تحزن)
 علينا (انما نجوك وأهلك) أى انما هلكوهم ونجوك وأهلك (الامرأتك كانت من الغابرين انما منزلون
 على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا (من السماء) قيل هو الحسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون
 ولقد تركنا منها) أى من قريان لوط (آية بينة) أى عبرة ظاهرة (لقوم يعقوبون) يعنى أقلها يتدبرون الآيات
 تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى أهلككوا بها أبغاياها
 الله حتى أدركها أوائل هذه الامم وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض ﴿قوله تعالى (والى مدين)
 أى وأرسلنا الى مدين ومدين اسم جيل وقيل اسم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية
 مدين وأولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين (أحاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
 اليوم الآخر) أى افعلوا فاعل من رجو اليوم الآخر وقيل معناه انخسوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعشوا
 فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة
 (فأصبحوا فى دارهم جائسين) أى باركين على الركب ميتين (وعادا وعمودا) أى وأهلكنا عادا وعمود
 (وقد تبين لكم) بأهل مكة (من مساكنهم) أى من منازلهم بالحجر والبن (وزين لهم الشيطان أعمالهم)
 أى عبادتهم لغير الله (فصددهم عن السبيل) أى عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أى عفا لعدوى
 بصائرهم وقيل كانوا مجيبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم
 كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أى أهل ككاهنؤلاء (ولقد جاءهم موسى
 بالبينات) أى بالدلالات الواضحات (فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) أى فائتين من عذابنا (فكلا
 أخذنا بذنبتهم فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط وما بالحصبا وهى الحصى الصغار (ومنهم من
 أخذناه الصيحة) يعنى عمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعنى قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم
 نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليعظلمهم) أى بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بالاشراك
 ﴿قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعنى الاصنام نام رجون نصرها ونفعها (كمثل
 العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان يبتها فى غايه الضعف والوهن لا يدفع عنها خارا ولا يردا فكذلك
 الاوثان لا تملك لعبادها نفعا ولا ضررا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن
 الذى يعبد الله مثل العنكبوت اتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وحصى أو نختم من صخر

اليها عند سدوركم بها وكان أهل مكة يعمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصى (فصددهم
 عن السبيل) السبيل الذى أمروا بسلكه هو الايمان بالله ورسوله (وكانوا مستبصرين) عقلا متمسكين من النظر وتمييزا الحق من الباطل
 ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أى وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين
 أدركهم أمر الله فلم يقروه (فكلا أخذنا بذنبتهم) فيه رد على من يجور ويعقوبه بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هى ريح عاصف فيها
 حصبا وهى لقوم لوط (ومنهم من أخذناه الصيحة) هى لمدن وعمود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعنى قارون (ومنهم من أغرقنا) يعنى قوم
 نوح وفرعون (وما كان الله ليعظلمهم) ليعاقبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله
 أولياء) أى آلهة يعنى مثل من أشرك بالله الاوثان فى الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أى كمثل العنكبوت فيما اتخذته
 لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الخرا والبرد ولا يقي ماتى البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم فى الدنيا ولا الآخرة جعل حاتم اتخذت حالا

(وان أوهن البيوت لبنت العنكبوت) لا يبتأ أوهن من يبتها عن على رضى الله عنه ظهر وايوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث
 الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي بعد الوثن بالقياس
 الى المؤمن الذي بعد الله مثل عنكبوت تخذي بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا باجر وجص أو يخته من صخر وكان أوهن البيوت اذا
 استقر يتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقر يتها بيتا بيتا عبادته الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة
 تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم ما يدعون) بالباء بصرى وعاصم وبالتاء
 غيرهما غير الاعشى والبرجي وما معنى الذي وهو مفعول بعلم ومفعول يدعون مضمرة أى يدعونه بمعنى يعبدونه (من دونه من شئ) من فى
 من شئ للتبيين (وهو العزيز) الغالب (٤٢٢) الذى لا شريك له (الحكيم) فى ترك المعاجلة بالعقوبة وقبه تجهيل لهم حيث عبدوا

جماد الاعلم له ولا قدرة
 وتركوا عبادة القادر
 القاهر على كل شئ الحكيم
 الذى لا يفعل كل شئ
 الابحكمة وتدبير (وتلك
 الامثال) الامثال نعت
 والخبر (نضر بها) يبينها
 للناس) كان سفهاء
 قريش وجهاتهم يقولون ان
 رب محمد يضرب المثل بالذباب
 والعنكبوت ويضحكون
 من ذلك فلذلك قال (وما
 يعقلها الا العالمون) به
 وباسمائه وصفاته أى
 لا يعقل صحتها وحسنها ولا
 يفهم فادنتها الا هم لان
 الامثال والتشبهات انما
 هى الطرق الى المعاني
 المستورة حتى تبرزها
 وتصورها للافهام كما صور
 هذا التشبيه الفرق بين
 حال المشرك وحال الموحد
 وعن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه تلا هذه الآية
 فقال العالم من عقل عن
 الله فعمل بطاعته واجتنب
 سخطه ودلت الآية على

فكان أوهن البيوت اذا استقر يتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقر يتها بيتا بيتا
 عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع (وان أوهن البيوت لبنت العنكبوت) أشار الى ضفة فان الريح اذا هبت
 عليه أولسه لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أوهن
 الاديان (لو كانوا يعلمون) أى ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون
 من دونه من شئ) هذا تأكيد للمثل وزادة عليه بمعنى ان الذى يدعون من دونه ليس بشئ (وهو العزيز
 الحكيم) معناه كيف يجوز العاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شئ ويستعمل بعبادة من
 ليس بشئ أصلا (وتلك الامثال) أى الاشياء بمعنى أمثال القرآن التى شبههم بأحوال الكفار من هذه الامة
 بأحوال كفار الامم السابقة (نضر بها) أى يبينها (الناس) أى لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) بمعنى
 ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوى باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
 ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من
 عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أى للحق واظهار الحق
 (ان فى ذلك لآية) أى دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ﴿ وقوله تعالى (اتل ما أوحى اليك من
 الكتاب) يعنى القرآن (وأقم الصلاة) فان قلت لم أمرهم بدين الشئتين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط
 قلت لان العبادة المختصة بالعبدة ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد والحق واسانئية وهى الذكر الحسن وبدنية وهى
 العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقد مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمرا
 فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما كالالتكرار فذلك أمر بهما (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) أى ما قبح
 من الاعمال (والمسكر) أى ما لا يعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلاة منتهى ومن دحر عن
 معاصى الله فلم تأمره بصلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة
 من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصى
 والسيئات كزوى عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يدع
 من الفواحش شيئا الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلته ستهناه يوما فلم يلبث ان
 تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه مادام فى صلته فانه انتهى عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان فى
 الصلاة لسغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن
 ينهاه عن الفحشاء والمنكر كزوى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن
 الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستهناه قراءته وفى رواية انه قيل لرسول الله ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق

فضل العلم على العقل (خلق الله السموات والارض بالحق) أى بحقها يعنى لم يخاطبها باطلا بل بالحكمة وهى ان تكونا
 مساكن عبادة وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) وخصهم بالذكر
 لانفعاعهم بها (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) تقر بالى الله تعالى بقراءة كلامه وتقف على ما أمر به ونهى عنه (وأقم الصلاة) أى دم على
 اقامة الصلاة (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) الفعلة القبيحة كالزنا مثلا (والمسكر) هو ما ينكر الشرع والعقل قيل من كان مراعا للصلوة
 جره ذلك الى أن ينهى عن السيئات يوما فاقدر وى انه قيل يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان
 صلته لتردعه وزوى ان فتى من الانصار كان يصلى معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوفضله فقال ان صلته ستهناه فلم يلبث
 ان تاب وقال ابن عوف ان الصلاة تنهى اذا كنت فيها فانت فى معروف وطاعة وقد حجرتك عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن من لم تنه صلته

عن الفحشاء والمنكر فليست صلواته بصلاته وهي وبال عليه (ولذ كراته أكبر) أي والصلوة أكبر من غيرهما من الطاعات وإنما قال ولد كراته ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة أكبر لانها ذكرا لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد كراته اياكم رحمة أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكرا لله لكم أكبر من ذكركم لان ذكركم بلا علة وذكركم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكركم لا يقضي ذكركم كما لا يقضي وقال سلمان ذكرا لله أكبر من كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام الا نبشكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا عنقه فمهم ويضربوا عنقه فمهم قالوا ما ذكرا لله قال ذكرا لله وسئل أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكرا لله اود ذكرا لله أكبر من ان تحويه (٤٢٣) أفهامكم وعقولكم اود ذكرا لله أكبر من ان تلقى معه معصية

أذ ذكرا لله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيشيبكم أحسن الثواب (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) بالصلوة التي هي أحسن الثواب وهي مقابلة الحشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا منهم) فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الا الذين أبتوا الولد والنسب وقالوا يدا الله مغلولة أو معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤذين للجزية الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فمجاداتهم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في

بالليل فقال ان صلواته لتردعه وعلى كل حال فان المراعى للصلوة لا بد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من لاراعها (ولذ كراته أكبر) أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نبشكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عداءكم فتضربوا عنقه فمهم ويضربوا عنقه فمهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكرا لله أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال اذا كرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغزاة في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله كما كان اذا كرون الله كثيرا أفضل منه درجة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال اذا كرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد ثم يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مرعى اللامرو والنهي وقيل هم المختلفون عن الناس بذكرا لله لا يخالطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يعقد قوم بذكرا لله الا حفنهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرا لله فيمن عنده وروى ان اعرابا قالوا يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكرا لله وقال ابن عباس معنى ولد كراته أكبر ذكرا لله اياكم أفضل من ذكركم اياه وروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولد كراته أكبر أي ان تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) أي لا يخفى عليه شيء من أمركم قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تتخاضعوا لهم (الا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء الى الله بآياته والتنبه على سبحانه وأراد بهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) أي ابوان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فاجزؤهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموا لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوا كشيء مما في كتبكم (آمننا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم والهناء والهكم واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمننا بالله وما أنزل البنا الآية (وقوله عز وجل) (وكذلك) أي كما أنزلنا اليهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فسجدوا واخودوا وانما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه

الدين وعلى جواز تعلم الكلام الذي به تحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمننا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم والهناء والهكم واحد ونحن له مسلمون) من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه السلام ما حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقلوا آمننا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتب التي من قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء) أي من أهل مكة (من يؤمن به) أو ارباب الذين آتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله عليه السلام (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها ورواها (الشبهة عنها) (الا الكافرون) (الا المتوغلون في الكفر الصمغون عليه ككعب بن الاشرف واضربه) (وما كنت تتلوا من قبله) (من قبل القرآن) (من كتاب)

ولا تحطه بهمينك) خص اليمين لان الكتابة غالباً تكون باليمين أى ما كنت قرأت كتاباً من الكتب ولا كنت كاتباً (إذا) أى لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة ومن الخط (لارتاب المبطون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجد بعتمه فى كتبنا أى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشرك ومكة وقالوا العلة تعلمه أو كتبه بيده وسماههم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أى القرآن (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) أى فى صدور العلماء به وحفاظه وهم من خصائص القرآن كون آياته بينات لا يحجز وكونه محفوظاً فى الصدور بخلاف سائر الكتب فانهم لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف (وما يجحد باياتنا الواضحة (الانظالمون) أى المتوغلون فى الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مكى وكوفى غير حفص أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقصة والعصا ومائدة (٤٣٤) عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) ينزل آياتها شاء وولست أمك شياً منها

(وانما أماند رومين) كلفت الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات وليس لى ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمى ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أى أولم يكفهم آية معنية عن سائر الآيات ان كانوا طابين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون فى مكان دون مكان (ان فى ذلك) أى فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذ كرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون)

من كتب أى من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا تحطه بهمينك) أى ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذ الارتاب المبطون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين أو ينسخه منها وقيل المبطون هم اليهود ومعناه انهم اذا شكوا فيه واتهموا لم يقلوا ان الذى نجد بعتمه فى التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعنى القرآن (فى صدور الذين أوتوا العلم) يعنى المؤمنون الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ذوات آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعمته وصفته فى كتبهم (وما يجحد باياتنا الا الظالمون) يعنى اليهود (وقالوا) يعنى كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أى كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقصة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل انما الآيات عند الله) أى هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وانما أماند رومين) أى انما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدى (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة آية من معجزات من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على عمر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحمل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) يعنى القرآن (لرحمة) وذ كرى لقوم يؤمنون) أى تذكرة وعظة لمن آمن به وعمل صالحاً (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً) قال ابن عباس معناه يشهد لى فى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما فى السموات والارض) أى هو المطلع على أمرى وأمرى يعلم حقى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل (وكفر بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أى المغبونون فى صفتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل (ويستجلبونك بالعذاب) نزلت فى النصر بن الحرث حيث قال فامطر علينا بحجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدت انى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمالهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يود بذر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعنى العذاب وقيل الاجل (بغنة وهم لا يشعرون) باتيانه (يستجلبونك بالعذاب) أعاده تا كيدا (وان جهنم محیطة بالكافرين) أى جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أى يصيبهم (من

دون المتعنتين) (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً) أى شاهد اصدق ما ادعيت من الرسالة وانزال القرآن فوقهم على وتكذيبكم (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمرى يعلم حقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفر بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون فى صفتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد موزداً لانصاف كقوله وانا اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وروى ان كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت (ويستجلبونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا بحجارة من السماء الآية (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم باآجالهم والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخير به الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلاً (وليأتينهم) العذاب عاجلاً وليأتينهم العذاب فى الاجل المسمى (بغنة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه (يستجلبونك بالعذاب) وان جهنم محیطة بالكافرين) أى ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) من

فوقهم ومن تحت أرجلهم) لقوله تعالى من فوقهم ظلم من النار ومن تحت أرجلهم ظلم من الكافرين لان يوم طرف احاطة النار بهم
 (ويقول) بالياء كوفي ونافع وقوله (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (باعدادي) وبسكون الياء بصري وكوفي غير عاصم (الذين
 آمنوا أرضى واسعة) وبتفتح الياء شامي يعني ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلده وفيه ولم يتمش له امر دينه فهاجر عنه الى بلده بقدر
 انه فيه أسلم قلبا وأصح ديناً وأكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتاً كثيراً كما قالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث
 على الفناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للامر الديني من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في
 أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض كان شبراً من الأرض استوجب
 الجنة (فاي فاعبدون) وبالياء يعقوب وتقديره فاي فاعبدوا فاعبدوني ووجه (٤٢٥) بالفاء في فاعبدون لانه جواب شرط
 محذوف لان المعنى ان

أرضى واسعة فان لم تخلوها
 العبادة لي في أرض فالخلصوها
 في غيرها ثم حذف الشرط
 وعوض عن حذفه تقديم
 المفعول مع افادة تقديمه معنى
 الاختصاص والاختصاص
 ثم شجع المهاجرين بقوله
 (كل نفس ذاتة الموت)
 أي واجدة مرارته وكرهه
 كما يجد الذائق طعم المذوق
 لانها اذا تيقنت بالموت سهلت
 عليها مفارقة وطنها (ثم
 السيناترجعون) بعد الموت
 للثواب والعقاب يرجعون
 يحسب يرجعون يعقوب
 (والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات لنبوئتهم من
 الجنة غرفاً) لنزلتهم من
 الجنة على ليشوئتهم
 كوفي غير عاصم من الشواء
 وهو النزول للاقامة وثوى
 غير متعد فاذا تعدى زيادة
 الهمزة لم يجاوز مفعولاً
 واحداً والوجه في تعديته
 الى ضمير المؤمنين والى

فوقهم ومن تحت أرجلهم وتقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون ﴿قوله تعالى﴾ (باعدادي
 الذين آمنوا أرضى واسعة فاي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم
 في ضيق بحكمة من اظهر الايمان فاخرجوا منها الى أرض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا
 عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعدوهم بتلك
 الخروج وقيل المعنى فهاجر وافيا أي فهاجر وافيا وقال سعيد بن جبيرة اذا علموا في الأرض بالمعاصي فهاجروا
 منها فان أرضى واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فهاجروا فان أرضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان في
 بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان مهاجر الى بلد تتهبأه فيها العبادة وقيل معنى ان أرضى
 واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذاتة الموت) أي كل أحد ميت خائفهم بالموت لنهون
 الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت (ثم السيناترجعون) فنجزيكم بأعمالكم ﴿قوله تعالى﴾
 (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفاً) أي على جمع غرف فوهي العلية (تجري من تحتها
 الانهار خالدن فيها نهم أحر العاملين) أي لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوها دينهم لشدّة
 لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات
 وعن المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وكأين من
 دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا يهتكم وقد أذاهم المشركون
 هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة ولم يس لنا هادار ولال مال فن يطعمنا ما ويسقينا فانزل الله
 وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترزقها مع ما الضعفاء ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهايم والطير (الله
 يرزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أي لا قوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
 نباحاً وتروح بطاناً أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انهم ان ذهب اول النهار جيبوا عاصم الباطون
 وتروح آخر النهار الى أوكارها شباعاً مملئة الباطون ولا تدخر شيئاً قال سفيان بن عيينة ليس شئ من خلق الله
 يخبأ الا الانسان والفأرة والثعلب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس من شئ
 يقار بكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة
 الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفت في روعي الروع بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل
 وبتفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الخوف انه ليس من نفس تموت حتى

(٥٤ - خازن) - ثالث) الغرف اما الجوارح تجري لنزلتهم أولنوؤينهم أو حذف الجوارح ايصال الفعل أو تشبيهه الطرف المؤقت
 بالمهم (تجري من تحتها الانهار خالدن فيها نهم أحر العاملين) ويؤفة على العاملين على ان (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين صبروا
 على مفارقة الاوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي والواصل أجود ليكون الذين نعتا للعاملين (وعلى ربهم
 يتوكلون) ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ونسأ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم من مكة بالهجرة ضافوا الفقر والضعف فنزلت
 (وكأين من دابة) أي وكمن دابة وكأين بالمد والهزمي والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق
 أن تحملها لضعفها عن حمل (الله يرزقها واياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضاً الا قويا الهو وان كنتم مطيعين
 لحمل أوزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقبل لكم أسباب الكسب لكانت محزنة الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها الا تدخره
 انما يصيب فيرزقها الله وقيل لا يدخر شئ من الحيوان قوتاً الا ابن آدم والفأرة والثعلب (وهو السميع) اقوالكم نخشى الفقر والعلية (العليم)

بما في ضمائرهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن الذي سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق وقدره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم في الحديث ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفنى ولو اقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفسق ولو اغنىته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فحياه الارض بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقررون بذلك (قل الحمد لله) على انزاله الماء لحياء الارض أو على أنه ممن أقر بخوما أقر وابه ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفى الشرك عنه ولم يكن اقرارا عطلا كأقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نرى - م - من الآيات ونقيم عليهم من (٤٦٦) الدلالات ولا يعقلون ما تريد بقلوك الحمد لله (وما هذه الحيوه الدنيا الا لهو ولعب) أي وما هي

لسرعة نزلها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون وفيه ازدياد بالدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة والهو ما يتلذذه الانسان فيلعبه ساعة ثم ينقض (وان الدار الاخرة لهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيوانا فنقلت الياء الثانية أو ا ولم يقل لهي الحياة لما في بناء فعلا من معنى الحركة والاضطراب والحياة حركة والموت سكون فمحيثه على بناء دل على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ووقف على الحيوان لان التقدير (لو كانوا يعلمون) حقيقة الدارين لما اختاروا

تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجروا في الطلب ولا يحمنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته ﴿ قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعني كفار مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم انه خلق السموات والارض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (ويقدره) أي يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شئ عليم) أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الرزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فحياه الارض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد السبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي على ان القائل له هذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بانه خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون) أي انهم يشكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء ﴿ قوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) الله هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشياء تتعال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العنت وفي هذا تصغير للدنيا وازديادها وعسى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وان الدار الاخرة لهي الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الاخرة فلما آثروا الفاني على الباقي ﴿ قوله عز وجل (فاذا ركبوا في الفلك) معناه هم على ما وصفه وابه من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق (دعوا الله تخلصين له الدين) أي تركوا الاصنام ولجوا الى الله تعالى بالدعاء (فلمما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا البحر جملوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب بارب (ليكفر واما آتيناهم) أي ليحمد وانعمة الله في اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لافادة لهم في الاشراك الاتمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم فسيتم تديروا وعيد ﴿ قوله عز وجل (أولم يروا اننا جعلنا حراما آمنا ويختطف الناس من حولهم) يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل

اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك (فاذا ركبوا في مكة الفلك) هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك (دعوا الله تخلصين له الدين) كأنين في صورته من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يدكرون الا الله ولا يدعون معه لها آخر (فلمما نجاهم الى البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) عادوا الى حال الشرك (ليكفر واما آتيناهم) من النعمة قبل هي لام كي وكذا في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكسر أي لسبي يكفر واو كي يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافر ينبتعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين التلذذ على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا أنجاهم ويحلمون نعمة النجاة ذرة بعدة الى ازدياد الطاعة الى التلذذ والتمتع وعلى هذا الاوقف على يشركون ومن جعله لام الامر متمنيا بقراءة ابن كثير وجزرة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه في أصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون) سوعند يبرهم عندئذ يبرهم (أولم يروا) أي أهل مكة (اننا جعلنا حراما) حراما حراما (آمنا) يأمن داخله (ويختطف الناس من حولهم) يستلبون قتلوا وسبوا

أرض العرب لان الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهى اطراف الشام أو أراد أرضهم على الأمانة
اللام مناب المضاف اليه أى فى أدنى أرضهم الى عدوهم (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى غلبت فارس اياهم وقرئ بسكون اللام
فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر الى المفعول (سيغلبون) فارس ولا وقف عليه لتعلق (فى بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث الى
العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرعان وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بقارس يؤمذ كسرى أبرو بز فبلغ الخبر مكة فشق على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس نجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنتم والنصارى أهل
كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر (٤٢٨) اخوانا على اخوانكم وانظروا نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على

فارس بعد بضع سنين فقال
له أجي بن خلف كذبت
فداحبه على عشر قلائص
من كل واحد منهما و جعل
الاجل ثلاث سنين فأخبر
أبو بكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام
زد فى الخطر وأبعدنى
الاجل فجعلها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات أبى
من حج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وظهرت الروم
على فارس يوم الحديبية أو
يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر
من ذرية أبى فقال عليه
السلام تصدق به وهذه آية
بيئة على صحة نبوته وان
القرآن من عند الله لانها
انباء عن علم الغيب وكان
ذلك قبل تحريم القمار عن
قتادة ومن مذهب أبى
حنيفة ومحمدان العقود
الفاصلة كعقد الربا وغيره
جائزة فى دار الحرب بين
المسلمين والكفار وقد احتجوا
على صحة ذلك بهذه القصة
(الله الامر من قبل ومن
بعد) أى من قبل كل شئ

وجاءه للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان
سبب غلبة الروم فارس على ما قاله عكرمة وغيره ان شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطوهم ويخرب مدائنهم
حتى بلغ الخليج فبينما أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لصحابه لقد رأيت كفى جالس على سرير
كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب الى شهرمان اذا أتاك كتابي فابعث الى برأس أخيك فرحان فكتب
اليه أيم الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لشكاه وصوره فى العدو فلا تتعل فكتب اليه ان فى رجال فارس
خلفا عنسه فجعل الى برأسه فراجعته فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريد الى أهل فارس انى قد عزلت عنكم
شهرمان واستعمت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان وقال اذاولى
فرحان الملك وانقاد له أخوه فاعطاه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه
قال سمعوا طاعة ونزل عن سرى الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة الى فرحان فلما قرأها
استدعى باخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تجعل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسيفه ففتحه
وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلى بكتاب واحد فرد فرحان الملك
الى أخيه شهرمان فكتب الى قيصر ملك الروم أما بعد ان لي اليك حاجة لتحملها البرد ولا تبلغها الخفاف
فالقتى فى خمسين روميا حتى ألقاك فى خمسين فارسيا فقبل قيصر فى جسمائه ألف رومى وجعل يضع العيون
بين يديه فى الطرق مخافة أن يري ديان يكره حتى أتاه عيونوه فاخبره وان له ليس معه الا خمسون فارسيا فلما
التقياضر بت لها مقبة فيها ديباج فدخلها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان
ان الذى خرب بلادك أنا وأخى بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخى فابيت عليه ثم أمر
أخى بقتلى فابى عليه وقد خلعتنا جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبت ما وأشار أحدهما الى صاحبه ان
السريين اثنين فاذا جاوزهما فاشاقتلا التريجان معا بسكينيهما فادبلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم
وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من
المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم فى أدنى الارض يعنى قرب أرض الشام الى فارس وقيل
هى أذرعان وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أى فارس لهم (سيغلبون) أى الروم لفارس
(فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة الى السبع وقيل الى التسع وقيل مادون العشرة (الله الامر من قبل
ومن بعد) أى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فن غلب فهو بامر الله تعالى وقضاه وقدره (ويؤمذ
يفرح المؤمنون بنصر الله) أى للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم
على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أى يسده النصر
ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أى بالمؤمنين ﴿قوله تعالى (وعدا لله) أى وعد الله
وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ان الله لا يخلف وعده

ومن بعد كل شئ أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين
وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخر ليس الأما من الله وقضائه وتلك الايام نداؤها بين الناس (ويؤمذ) ويوم اغلب
الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغدظ من شتمت بهم من كفار
مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء يتصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر
من يشاء وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعدا لله) مصدر مؤكدا لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وعدا من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بجزلة وعد الله المؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

بشركائهم كافرين) أي يكفرون بالله تعالى ويحذونها أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين للدلالة ما بعده عليه حيث قال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي بستان وهي الجنة والتشكيك لا يهضم أمرها وتفخيخه (بحجرون) (٢٣٠) يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهمل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوده

المسار فقبل بكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع في الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث (فأولئك في العذاب محضرون) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد ونجى من الوعد فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمته الله الظاهرة أو الصلاة فقبل لابن عباس هل تجدد الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى زهو عما يليق به أو صلواته (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد في السموات والارض) اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه وفي السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشيا

بشركائهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرؤون منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في الجنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النظارة (بحجرون) قال ابن عباس بكرمون وقيل يتعممون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى بحجرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلواتهم وتسبيحهم وقال اذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الاوردية وسأل ابا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله بها فيجواب بعضها بعضا فما يسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) يعنى فسبحوا الله ومعناه صلواته (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) قال ابن عباس يحمد أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) أي وصلواته عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) أي تدخلون في الظهر وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجدد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقبتها واعلم انه إنما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال آدمها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع اوقاته إلى التسبيح لانه يحتاج إلى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمره بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة * (فصل في فضل التسبيح) * عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده ٣ في كل يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه آخرجهما الترمذي وقال فيهما احسن صحیح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث أخرجه في صحیح البخاري (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجد فاجتمع بعد ما تعالي النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاه نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتب ألف حسنة في كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي يخرج

متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر أي دخل في وقت الظهر والقول الاكثر ان الصلوات الخمس فرضت بمكة (يخرج الحي من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحي) أي قوله في كل يوم سائط من نسخة الطبع من الترمذي وفي بعض النسخ الذي بأيدينا من الخازن بدون كل

البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكي وشاى وأبو عمر وأبو بكر وحامد بالتشديد غيرهم
 (ويحى الارض) بالنبات (بعدهموتها) بيسها (وكذلك تخرج جون) تخرج جون حمزة وعلى وخلف أى ومثل ذلك الاخراج تخرج جون من قبوركم
 والكافي في محمل النصب بتخرجون والمعنى ان الابداع والاعادة يتساويان في قدرته هو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه روى ابن
 عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون الى الثلاث وأخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له
 من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطار وورق الاشجار وتراب الارض فإذ مات أجرى له بكل حرف عشر حسنة في قبره قال عليه
 السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرج جون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك
 ما فاته في ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربوبيته وقدرته (ان خلقكم) أى أبابكم (من تراب ثم إذا أنتم بشر) أى آدم وذريته (تنتشرون)
 تتصرفون فيما فيه معاشكم وإذا للمفاجأة وتقدره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم
 أزواجا لتسكنوا اليها) أى حواي خلقتم من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدهن خلقن من (٤٣١) أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم

و جنسها لان جنس آخر
 وذلك لما بين الاثنين من
 جنس واحد من الاف
 والسكون وما بين الجنسين
 المختلفين من التناظر يقال
 سكن اليه اذا مال اليه
 (وجعل بينكم مودة ورحمة)
 أى جعل بينكم التواد
 والتراحم بسبب الزواج
 وعن الحسن المودة كناية
 عن الجماع والرحمة عن الولد
 وقيل المودة للشابة والرحمة
 للبحور وقيل المودة والرحمة
 من الله والفرق من الشيطان
 أى بغض المسرافز وجهها
 وبغض الزوج المرأة (ان
 فى ذلك لايات لقوم
 يتفكرون) فيعملون ان
 قوام الدنيا وجود التناسل
 (ومن آياته خلق السموات
 والارض واختلاف
 ألستكم) أى اللغات أو
 اجناس النطق وأشكاله

النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل
 يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحى الارض بعد موتها) أى بالمطر واخراج النبات
 منها (وكذلك تخرج جون) أى مثل اخراج النبات من الارض تخرج جون من القبور للبعث والحساب (ومن
 آياته ان خلقكم من تراب) أى خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أى تنبسطون
 فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أى جنسكم من نبي آدم وقيل خلق حواي من ضلع
 آدم (لتسكنوا اليها) أى لتبلىوا للزواج وتأنفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أى جعل بين الزوجين
 المودة والرحمة مما يتوادان ويتراحمان من غير سابق معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف ومائى
 أحب الى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا للزواج (ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون) أى
 في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألستكم) أى اختلاف اللغات
 العربية والجمجمة وغيرهما وقيل أراد اجناس النطق وأشكاله خالف بينه حتى لا تكاد تسمع منطقين
 متفهمين حتى لو تكلم جماعة من ورعها يط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر
 (وألوانكم) أى أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأنتم بنو رجل واحد ومن
 أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة فى اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أى ليعرف كل واحد
 بشكاه وحياته وصورته فلما تفتت الاصوات والصور وتشاكت وكانت ضربا واحد لوقع التجاهل
 والالتماس ولتعاملت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدوم والصدق والقرىب من
 البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفى ذلك دليل على سعة القدرة وكال العظمة (ان فى
 ذلك لايات للعالمين) أى لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله) أى منامكم
 بالليل للراحة وابتغواكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون) أى
 سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أى للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) أى للمقيم
 ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع ونسوية طرق المصانع (ويتزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد
 موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) أى قدرة الله وانه القادر عليه (ومن آياته أن تقوم السماء والارض

(وألوانكم) السواد والبياض وغيرهما واختلاف ذلك وقع للتعارف والافلو تشاكت واتفقت لوقع التجاهل والالتماس
 ولتعطلت المصالح وفى ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله متفاوتون (ان فى ذلك لايات للعالمين) جمع
 عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد لكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله)
 هذا من باب اللف وترتيبه أى ومن آياته منامكم وابتغواكم من فضله بالليل والنهار وابتغواكم من فضله
 المراد منامكم فى الزمانين وابتغواكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره فى القرآن وأسند المعانى ما دل عليه القرآن (ان فى ذلك لايات لقوم
 يسمعون) أى يسمعون سماع تدبراً ذات واعية (ومن آياته يريكم البرق) فى تريك وجهان اضماران يكفى حرف ابن مسعود رضى الله
 عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبه ما فسر المثل تسمع بالمعدي خير من أن تراه أى ان تسمع أو سماعك قوله (خوفا) من الصاعقة أو من
 الاختلاف (وطمعا) فى الغيب أو خوفاً للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإضافة المضاف اليه
 مقامه أى ارادة خوفاً وازادة طمعا وعلى الحال أى خائفين وطامعين (ويتزل من السماء) وبالتخفيف مكي وبصرى (ماء) مطر (فيحيى به
 الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) يتفكرون ويعقلونهم (ومن آياته ان تقوم) تثبت بالإعدي (السماء والارض

بامرہ) أي باقامته وتدبيره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا اتمت تخرجون) من قبوركم هذا كقوله يريدكم في ايقاع
 الخلة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد ثم خروج الموتي من القبور اذا دعاكم دعوة
 واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بشي بانما العظم ما يكون
 من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبق نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى
 فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاعل في جواب الشرط ومن الارض متعلق بالفعل بالماصدر
 وقوله دعوة من مكان كذا يجوز ان يكون مكانك ويجوز ان يكون مكان صاحبك (وله من في السموات والارض كل له فانتون) منقادون
 لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقررون بالعبودية (وهو الذي يبدؤ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أي البعث (أهون)
 أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخرت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقد تمت في قوله هو على
 هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل
 وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله (٤٣٢) أكبر أي كبير والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هوت بالقياس الى الانشاء وهو أهون
 على الخلق من الانشاء لان

قيامهم بصحة واحدة
 أسهل من كونهم نطفات
 علاقتهم مضغاً الى تكميل
 خلقهم (وله المثل الاعلى
 في السموات والارض) أي
 الوصف الاعلى الذي ليس
 لغيره وقد عرف به ووصف
 في السموات والارض على
 السنة الخلاق والسنة
 الدلائل وهو انه القادر
 الذي لا يجز عن شيء من
 انشاء واعادة وغيرهما من
 المقدرات ويدل عليه قوله
 (وهو العزيز) أي القاهر
 لكل مقدر (الحكيم)
 الذي يجري كل فعل على
 قضايا حكمته وعلمه وعن
 ابن عباس رضي الله عنهما

قال ابن عباس وابن مسعود قاتما على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامرہ (ثم اذا دعاكم دعوة من
 الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا اتمت تخرجون) أي منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من
 الارض اذا اتمت تخرجون من الارض (وله من في السموات والارض كل له فانتون) أي مطيعون قال ابن
 عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم
 يعيده) أي يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما من شيء عليه
 يعز يزوقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل
 هو أهون على الخلق او ذلك لانهم يقرمون بصحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفات علاقتهم
 مضغاً الى ان يصيروا رجالاً ونساءً وهو راية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العليا قال ابن
 عباس ليس كمثل شيء وقيل هو الذي لا اله الا هو (في السموات والارض وهو) أي في ملكه (العزيز
 الحكيم) أي في خلقه قوله عز وجل (ضرب لكم مثلاً) أي بين لكم شياً بحالكم ذلك المثل (من أنفسكم)
 ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت أيمانكم) أي عبيدكم وامانتكم (من شركاء فبما رزقناكم) أي
 من المال (فانتم فيه سواء) أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم
 أنفسكم) أي تخافون أن يشارككم في أموالكم ويقاسمهمكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون
 بينهما ان ينفرد فيه بامرهم دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن
 عباس تخافونهم ان يرتوكم كما يرت بعضكم بعضاً فالذي تخافوا هذا من ممالِككم ولا تزوه لانفسكم فكيف
 تزون ان تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائهم وهم عبيدك (كذلك نفضل الآيات) أي الدلالات
 والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين
 ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلاً بما يجب عليهم (فن يهدي من

المثل الاعلى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لاله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع
 الذي هو الوصف بالوحدانية وبعضه قوله (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) فهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن جعل له شريكاً من خلقه ومن
 للابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانترع من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكت أيمانكم) عبيدكم ومن للتبعض
 (من شركاء) من مزيدة لتأكد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل تزون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيدكم كعبيد ان
 يشارككم بعضهم (فبما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) في ذلك الرزق (سواء) من غير تفضله بين
 حر وعبيد يحكم ممالِككم في أموالكم كحكمكم (تخافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوون خائفاً بعضكم بعضاً مشاركتهم في المال
 والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا ترضون فيها حكماً دون اذنهم خوفاً من لائمة تلحقكم من جهنم (كخيفتكم أنفسكم) يعني كما
 يخاف بعض الاحرار بعضاً فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان يتجملوا
 بعض عبيده له شركاء (كذلك) موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نفضل الآيات) نبيها لان التمثيل مما يكشف المعاني ووضحها
 (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الامثال فلما لم يتزجروا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم عما أشركوا كما قال الله تعالى
 ان الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فن يهدي من

أضل الله) أى أضله الله تعالى (ومالهم من ناصرين) من العذاب (فاقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه فيما ولائهما
وهو تمثيل لقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوله وجهه (حنيفا)
حال من المأمور ومن الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله والفطرة الخلقية التى ترى الى قوله لا تبدل خلق الله فاعنى انه خلقهم قابلين
للتوحيد والاسلام غير ناثنين عنه ولا منكرين له لكونه مجابا للعقل مساوقا للنظر الصحيح (٤٣٣) حتى لو تزكوا الماختر واعلمه ديننا آخر

ومن غوى منهم فبانغواء
شياطين الجن والانس ومنه
قوله عليه السلام كل عبادى
خلقت حنفاء فاجتلتهم
الشياطين عن دينهم
وأمرهم أن يشركوا بى
غبرى وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون أبواه الاذنان
يهودانه وينصرانه وقال
الزجاج معناه ان الله تعالى
فطر الخلق على الايمان به
على ما جاء فى الحديث ان
الله عز وجل أخرج من
صلب آدم كالدرا وأشهدهم
على أنفسهم بأنه خالقهم
فقال واذا أخذ ربك الى قوله
قالوا بلى وكل مولود هو من
تلك الذرية التى شهدت بأن
الله تعالى خالقها يعنى فطرة
الله دين الله (التى فطر
الناس عليها) أى خلق
(لاتبدل خلق الله) أى
ما يتبدل أن تبدل تلك الفطرة
أو تغير وقال الزجاج معناه
لاتبدل لدين الله ويدل
عليه ما بعده وهو قوله (ذلك
الدين القيم) أى المستقيم
(ولكن أكنوا الناس
لا يعلمون) حقيقة ذلك
(مبين اليه) راجعين

أضل الله) أى عن طريق الهدى (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله
تعالى (فاقم وجهك للدين) يعنى أخلص دينك لله وقبلى سدد علك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به
الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده ﴿ قوله تعالى (حنيفا) أى ما لا اليه مستقيما عليه
(فطرت الله) أى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التى فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس
عليها والمراد بالفطرة لدين وهو الاسلام (ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرأ فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبدل خلق الله ذلك
الدين القيم زاد البخارى قالوا يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها
من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرأ فطرت الله الآتية ولها فى رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا
قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقوله
أستبرئ بكم قالوا بلى فكل مولود فى العالم على ذلك الا فراروهى الخنيفية التى وضعت الخلق عليها وان عبد
غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان
الفطرى فى أحكام الدنيا وانما يعتبر بالايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله
قالوا يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر يقول الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء فاجتلتهم الشياطين
عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال فى معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أى خلقته التى
خلقها الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة الى ما فطر عليه وعامل فى
الدنيا بالعمل المشا كل لها فى امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين أو نصرايين فيحملانه على اعتقاد
دينهم ما وقيل معناه ان كل مولود فى مبدا الخلق على الفطرة أى على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين
فلو ترك عليها استمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل
الى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتد غيره ثم تمثل لا ولاد اليهود والنصارى
وأتباعهم لا يتأثم والميل الى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحنسة المستقيمة بقوله كما نتج البهيمة
بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئى وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعنى
هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهى المقطوعة الاذن أو الانف ﴿ قوله عز وجل (لاتبدل خلق الله)
أى لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبدل خلق
الله هو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقى سعيدا وقيل الآية فى
تحريم انحصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (ولكن أكنوا الناس لا يعلمون) ﴿ قوله عز وجل
(مبين اليه) أى فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة
والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة (واتقوه) أى ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلاة)
أى داوموا على أدائها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أى صاروا
فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامة (كل حزب بما لديهم فرحون) أى

(٥٥ - (خازن) - ثالث)
الیه وهو حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا
تكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام أمر لامة فكأنه قال فاقموا وجوهكم منيبين اليه أو التقدر
كونوا منيبين دليله قوله ولا تكونوا (واتقوه وأقيموا الصلاة) أى أدوها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) بمن يشرك به غيره فى العبادة
(من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوا أديانا مختلفة لا اختلاف أهوائهم فارقة وحزرة على وهى قراءة على رضى الله
عنه أى تركوا دين الاسلام (وكانوا شيعا) فرقا كل واحدة تشابح امامها الذى أضلها (كل حزب بما لديهم فرحون) فرح بملذذته

مسرور بحسب باطله حقا (واذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذنبهم منه رجوا) أي خلاصا من الشدة (اذا فرق منهم برهم بشركون) في العبادة ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الامر للوعيد (عما آتيناهم) من النعم (فتمتعوا) بكفرهم قديما لاصرو عيدا (فسوف تعلمون) وبال تمنعكم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) بحسبة (فهو يتكلم) وتكلمه مجازا كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركتهم وبسببته (عما كانوا به بشركون) ما مصدره أي يكونهم بالله يشركون او موصولة ورجع الضمير اليها أي فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون او معنى الآية اقام أنزلنا عليهم ذاسلطان أي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون (واذا اذقنا الناس رجوة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سينة) أي بلا من جذب أو ضيق أو مرض (بما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) من الرجوة واذ الحاجة جواب الشرط نابت عن الفاعل لتأخيرهما في التعقيب (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انكر عليهم بما هم قد علموا بانه (٤٣٤) القابض الباسط فالهم يقنطون من رجوتهم وما لهم لا يرجعون اليه تائبين عن المعاصي التي عقبوها بالشدة من أجل حاجتي

راضون بما عندهم قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أي قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) أي مقبلين اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه رجوة أي خصبا ونعمة (اذا فرق منهم برهم بشركون ليكفروا) أي آتيناهم أي ليخبروا ونعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تمديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم في هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) أي ينطق (عما كانوا به بشركون) أي بشركتهم وبأمرهم به (واذا اذقنا الناس رجوة) أي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا واطروا (وان تصبهم سينة) أي جذب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (اذا هم يقنطون) أي يياسون من رجوة الله وهذا الخلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ورجوه عند الشدة (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره قوله عز وجل (فانت ذا القربى حقه) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو التصديق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم الفالحون) قوله عز وجل (وما آتيتهم) أي أعطيتهم (من زبالير بوفى أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطيبة ليشبهه أكثر منها فهو حائر حلال ولكن لا يثاب عليها في القسامة وهذا قوله (فلا يروى عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزم بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعله ربح ماله لا للتمس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يروى عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) أي أعطيتهم من صدقة (تريدون وجه الله) أي بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي

بالشدة من أجل حاجتي يعيد اليهم رجوتهم ولما ذكر ان السينة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يعتكف فقال (فانت ذا القربى) أعط قريبتك (حقه) من البر والصلة (والمسكين) وابن السبيل) نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وفيه دليل وجوب النفقة للحامم كما هو مذهبنا (ذلك) أي ايتنا حقوقهم (خير للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أي يقصدون بهم ووفهم اياها خالصا (وأولئك هم الفالحون) وما آتيتهم من زبالير بوفى أموال الناس) يريد وما أعطيتهم كآلة الربا من زبالير بوفى أموالهم (فلا يروى عند الله) فلا

زكوة عند الله ولا يبارك فيه وقيل هو من الرب بالحلال أي وما تعطونه من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلا يروى عند الله لانه لم يرد وبذلك وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) يتبعون به وجهه خالصا لتطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات وتظاير المضعف المقوى والموسر الذي القوة واليسار آتيتهم من ربا بلا مد مكى أي دعا غشيتهم ومن اعطاهم بالتر بوا دنى أي لتزيد في أموالهم وقوله فأولئك هم المضعفون التفات حسن لانه يهيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا في سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال الزجاج في قوله فأولئك هم المضعفون أي فاهلها هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها ثم أشار الى عجز آلهتهم فقال (الله الذي خلقكم) ثم يحيتكم ثم يميتكم (هل من شركائكم) أي أصنامكم التي رجعتم انهم شركاء الله (من يفعل من ذلكم) أي من الخلق والرزق والامانة والاحياء (من شيء) أي شيئا من تلك الاعمال فلم يحييوا وعجزوا فقال استعبادا (سبحانه وتعالى عما يشركون) ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيدها لتجيز شركائهم ويقهل عيبتهم (ظهر الفساد في البر والبحر) نحو القحط وقلة الامطار والربيع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع المواتن في الناس

والقارون

والدواب وكثرة الحرق والغرق ونحو البركاز من كل شيء (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة
 فيما كسبت أيديكم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بمجموعها في الآخرة وبالنون
 عن قبيل (اعلمهم يرجعون) مع ما هم عليه من المعاصي ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سير في الأرض فانظروا كيف
 كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا فيستقروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم
 (فاتم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأني فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق
 بيأتي والمعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرد أحد كقوله تعالى فلا يستطعون ردها أو يرد على معنى لا يردوه هو بعد أن يجي معه ولا يرد له من
 جهته (يومئذ يصدعون) يصدعون أي يتفرون ثم أشار إلى غناه عنهم فقال (٤٣٥) (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن

عمل صالحا فلأنفسهم
 عملهم دون) أي يسوون
 لأنفسهم ما يسويه لنفسه
 الذي يهدى لنفسه فراهه
 ويوطئه ليلا يصيبه في
 مضجعه ما ينقص عليه مرقده
 من تنوء وغيره والمعنى أنه
 يهدى لهم الجنة بسبب
 أعمالهم فأضيف إليهم
 وتقديم الظرف في الموضعين
 للدلالة على أن ضرر الكفر
 لا يعود الأعلى الكافر ومنفعة
 الإيمان والعمل الصالح
 ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه
 (يجزي) متعلق بهم دون
 تعليل له وتكرير (الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات)
 وترك الضمير إلى الصريح
 لتقديره أنه لا يفلح عنده إلا
 المؤمن (من فضله) أي
 عطائه وقوله (أنه لا يجب
 الكافر ين) تقر بربعه
 تقر بعلى الطرد والعكس
 (ومن آياته) أي ومن
 آيات قدرته (ان يرسل

والمافوز والغفار والبحر قبيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمى المصر بحرا تقول
 أجذب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقوله المطر كالنور
 في البر توتر في البحر بخلاؤا جوف الاصداف من الأؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء
 وتفتح أفواهها فواقع فيه المطر صارؤلؤا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن
 عباس القساذ في البر قتل أحد بني آدم أحاه وفي البحر غضب الملك الجائر السفينة قبل كانت الأرض خضرة
 مونة لا ياتي ابن آدم شجرة الا يوجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل
 هابيل ففسدت الأرض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر الحار عاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان
 الأرض امتلأت ظلما ووضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجوع راجعون من الناس وقيل
 أراد بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (اعلمهم يرجعون)
 أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سير في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي لتروا
 منازلهم ومساكنهم حاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا وكفروهم ﴿قوله عز وجل﴾ (فاتم
 وجهك للدين القيم) أي لدين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد
 على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرون ثم ذكر الفرقة بين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره)
 أي يدل كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يهدون) أي يوطنون المضاجع ويسوونهم في القبور
 (يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس يشيهم الله نوابا أكثر من أعمالهم (أنه
 لا يحب الكافر ين) فيه تهديد وعيد لهم ﴿قوله تعالى﴾ (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي تبشر
 بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي بالمطر وهو الخصب (ولتجزي الفلك) أي بهذه الرياح (بامرهم ولتنتعوا
 من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) أي هذه النعم ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد
 أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فاتمتمننا من
 الذين أخرجوا) يعني انا عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقنا علينا نصر المؤمنين) أي مع إجتاهم من العذاب
 ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء * عن أبي الدرداء قال سمعت النبي
 صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة
 ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه ورد الله عن
 وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن ﴿قوله عز وجل﴾ (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي

الرياح) هي الجنوب والشمال والصبوا هي رياح الرحمة وأما الدبور وريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
 وقد عدد الفوائد في آرساله فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليذيقكم من رحمته) ولا ذاقه الرحمة وهي نزول المطر وحصول
 الخصب الذي يتبعه الروح الذي مع ذبوب الريح وزكاء الأرض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليشرحكم
 وليذيقكم (ولتجزي الفلك) في البحر عند هبوبها (بامرهم) أي بتدبيره أو بتكويته كقوله انما أمره اذا أراد شيئا الآية (ولتنتعوا
 من فضله) يريد تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أي ولتشكروا وانعمة الله فيها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات)
 أي فآمن بهم قوم وكذبهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فاتمتمننا من الذين أخرجوا) أي كفره وبالاهلاك في الدنيا (وكان حقا
 علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجتاهم مع الرسل وقد يوقف على حقاومناه وكان الانتقام منهم حقا من تبدينا علينا
 نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) (الريح مكي) (فتثير سحابا)

فبيسطه) أي السحاب (في السماء) أي في سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو
 الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعاً جمع كسفة أي يجعله منبسطاً يأخذ وجه السماء مرة ويحمله قطعاً متفرقة غير منبسطة مرة كسفا
 بزيد وابن ذكوان (قترى الودق) المطر (يخرج) في التارتين جميعاً (من خلاله) وسطه (فاذا أصابه) بالودق (من يشاء من عباده) مرد
 أصابه بلادهم وأراضهم (إذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) كمرئياً كيد كقوله فكان
 عاقبتهم ما أنتم ما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم بأسهم فكان الاستبشار على قدر
 اعقامهم بذلك (لمبلسين) آيسين (فانظر الى آثار) شامى وكوفى غير أي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيى الارض) بالنبات
 وأنواع الثمار (بعدهم وتها ذلك) أي الله (لحي الموتى) يعني أن ذلك القادر الذي يحيى الارض بعدهم وتها هو الذي يحيى الناس بعدهم وتهم
 فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي وهو على كل شيء من المقدرات قادر وهذا من جملة المقدورات
 بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فأرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير
 الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت (مصفرا) بعد اخضراره وقال مصفر الان
 تلك صفة حادثة وقيل فرأوا السحاب (٤٣٦) مصفر الان السحاب الاصفر لا يمتطر واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط

فسد مسد جواي القسم
 و الشرط (الظاوا) ومعناه
 لظن (من بعده يكفرون)
 أي من بعد اخضراره أو من
 بعد الاستبشار ذمهم الله
 تعالى بانه اذا حبس عنهم
 المطر قطعوا من رحمة
 وضربوا أذقانهم على
 صدورهم مبلسين فاذا
 أصابهم برحمة ورزقهم
 المطر استبشروا فاذا أرسل
 ريحا فضرب زرعهم
 بالصفار ضجوا وكفروا
 بنعمة الله فهم في جميع هذه
 الاحوال على الصفة
 المذمومة وكان عليهم ان
 يتوكلوا على الله وفضله
 فقتلوا وان يشكروا

تنشره (فبيسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا)
 أي قطعاً متفرقة (قترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فاذا أصابه) أي بالودق
 (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بالمطر (وان كانوا) أي وقد كانوا (من قبل ان ينزل
 عليهم من قبله لمبلسين) أي آيسين (فانظر الى آثار رحمت الله) أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في
 الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيى الارض بعدهم وتها ان ذلك لحي الموتى) يعني ان الذي احيى الارض بعدهم
 موتها قادر على احياء الموتى (وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فخرأوه مصفرا) أي الزرع بعد الخضرة
 (الظاوا من بعده) أي من بعد اخضرار الزرع (يكفرون) أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم
 يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذاباً على زرعهم لمجدوا وسالف نعمتي (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم
 الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالهم ان تسمع الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون)
 تقدم تفسيره قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذي
 ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنيناً ثم طفلاً مولوداً ثم طفلاً ثم بالغاً ثم غايه الضعف
 (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي من بعد ضعف الصغر شيباً وهو وقت لقوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً) أي
 هراً (وشيبه) وهو تمام النقص (يخلق ما يشاء) أي من الضعف والقوة والشباب والشيبه وليس ذلك
 من أفعال الطبيعة بل بحسبته الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء قوله تعالى
 (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يخلف المشركون (مالبشوا) أي في الدنيا (غير ساعة) معناه أنهم
 استقبلوا أجل الدنيا المساعينوا الآخرة وقيل معناه مالبشوا في قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) أي
 يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم لم يصدقوا قولهم مالبشوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا يشعروا

نعمته ويجمدوه عليها ففرحوا وان يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لا تسمع الموتى) أي موتى
 والاعنى
 القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكى (اذا ولوا مدبرين) فان قلت الاصم
 لا يسمع مقبلاً أو مدبراً فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلاً يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولي لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما أنت بهادى
 العمى) أي عمى القلوب وما أنت تهدى العمى حزة (عن ضلالهم) أي لا يمكنك ان تهدى العمى الى طريق قد ضل عنه باشارة منك له اليه
 (ان تسمع) ما تسمع (الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون) منقادون لا وامر الله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) من النطف كقوله من
 ما معهم (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعني حال الشباب وبلوغ الاشد (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبه) يعني حال الشيخوخة والهزم
 (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشباب وشيبه (وهو العليم) باحوالهم (القدير) على تغييرهم وهذا التردد في الاحوال أبين دليل على الصانع
 العليم القدير وفتح الضاد في الكل عاصم وحزرة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما الغتان والضم أقوى في القراءة لماروى عن ابن عمر قال
 قرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فقرأه من ضعف (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بذلك لانها تقوم في احوال
 من ساعات الدنيا ولانها تقع بغنة كما تقول في ساعة من تسبجها وحزن علمائها كالنجيم للثريا (يقسم المجرمون) يخلف الكافرون ولا وقف
 عليه لان (مالبشوا) في القبور أو في الدنيا (غير ساعة) جواب القسم استة لوامدة لبشهم في القبور أو في الدنيا هول يوم القيامة وطول مقامهم
 في شدائدها أو ينسون أو يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرّف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا

ويقولون ما هي الاحياء التي انزلها الله تعالى من جنوده وثبت (وقال الذين اوتوا العلم والايمان) هم الانبياء والمرسلون (لقد لبستم في كتاب الله)
في علم الله المنبت في اللوح اوفى حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطاعوه وهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بقدر يعهم
على انكار البعث بقولهم (فهدا يوم البعث ولكنكم كنتم) في الدنيا (لا تعلمون) انه حق لتفري بطم في طلب الحق واتباعه والفاء لجواب
شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه (فيومئذ لا ينفع) بالياء كوفي (الذين ظلموا)
كفروا (معذرتهم) عذرهم (ولا هم يستعجبون) أي لا يقال لهم ارضوا بكم بنوبة من قولك استعجبني فلان فاعتبته أي استرضاني فارضيته
(واقدر بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان اتم المبطلون) أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كانوا
مثل في غرابتها ووصفنا عليهم كل قصة تعجبية الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم
ولا يسمع من استعجابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم اذا جنتهم بآية من آيات القرآن قالوا جنتنا بزور وباطل (كذلك يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله (٤٣٧) منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحققين

مبطلين وهم أعرق خلق الله
في تلك الصفة (فاصبر) على
أذاهم أو عداوتهم (ان وعد
الله) ينصرك على أعدائك
واظهار دين الاسلام على كل
دين (حق) لا بد من انجازه
والوفاء به (ولا يستخفك
الذين لا يوقنون) أي لا
يحملنك هؤلاء الذين لا
يوقنون بالآخرة على الخفة
والجمل في الدعاء عليهم
بالعذاب أو لا يحملنك على
الخفة والعلق خزعا بما يقولون
ويقولون فانهم ضلال
شاكون لا يستبدع منهم
ذلك ولا يستخفك بسكون
النون عن بعثة وبالله
الموفق للصواب * (سورة
لقمان مكية وهي ثلاث أو
أربع وثلاثون آية) *
(بسم الله الرحمن الرحيم) *

والعني ان الله أراد ان يفصحهم فلفوا على شيء تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره
ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبستم في كتاب الله الى
يوم البعث) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من الابتناء في القبور وقبل معنى الآية وقال الذين اوتوا العلم
في كتاب الله والايمان بعني الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبستم الى يوم البعث أي في قبوركم
(فهدا يوم البعث) أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أي وقوعه في الدنيا فلا
ينفعكم العلم به الا ان يدل قوله تعالى (فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعجبون) أي لا تطالب
منهم العتبي والرجوع في الآخرة وقبل لا تطالب منهم التوبة التي تزيل الجرم لانها لا تقبل منهم ﴿قوله تعالى
(واقدر بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعتذار والاتبان بما فوق الكفاية من
الانذار (ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان اتم المبطلون) بعني ما أنتم الاعلى باطل وذلك على
سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جنتهم والجمع في قوله ان اتم المبطلون قلت فيه
لطيفة وهي ان الله تعالى قال ولئن جنتهم كل آية جاءت به الرسول ويمكن ان يقال معناه انكم كلكم أيها
الرسول مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) أي في
نصرك واظهارك على عدوك (ولا يستخفك) أي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيتك (الذين
لا يوقنون) أي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده
* (تفسير سورة لقمان وهي مكية) *
وأربع وثلاثون آية وخمسة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف
(بسم الله الرحمن الرحيم) *
﴿قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم
ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم
وأولئك هم المفلحون)﴾ قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعمل معنى
الاشارة في تلك جزية بالرفع على ان تلك مبتدأ أو آيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر أو خير مبتدأ محذوف أي هو أو هدى ورحمة
(للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس
الامبي الذي يظن بك الظن كأن قدر رأيت قد سمعها أولاد الذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائلين بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك
على هدى) مبتدأ وخبر (من ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطف عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر
ابن الحرث وكان يشتري أخبار الكاهنة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فاننا أحدثكم باحاديث الكاهنة فبمبطلون
الى حديثه ويتركون استماع القرآن والاهل كل باطل ألهسى عن الخير وعما يعني وهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لا أصل لها والغناء
وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يحلفان انه الغناء وقيل الغناء مفسدة لالقلب منقذة للامال مستحقة للرب وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ما من رجل رفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان ينصرونه باوجلهما
حتى يكون هو الذي يسكت والاشتراء من الشراء كجروى عن النضر أو من قوله اشترى الكافر بالايمان أي استبدلوه منه واختروه عليه أي

يختارون حديث الباطل على حديث الحق وادافه الله الى الحديث للتيبين بمعنى من لان الله يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحدِيث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث في المسجد يا كل الحسنة كما نأكل البهيمة الحشيش أو للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهومنه (ليضل) أي ليصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل مكي وأبو عمر وأي ليست على ضلاله الذي كان عليه وزيديفه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلامنه بما عليه من الوزيرة (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أبي بكر عطفًا (٤٣٨) على ليضل ومن رفع عطفه على يشتري (هزوا) يسكون الزاي والهمزة حمزة يضم

الزاي بلا همزة مخفص وغيرهم يضم الزاي والهمزة (أو لنسلك لهم عذاب مهين) أي مهينهم ومن لا يهمله يقع على الواحد والجمع أي النضر وآمثاله (وإذا تتلى عليه آياتنا لولى مستكبرا) أعرض عن نذرها مستكبرا فاعان نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كان لم يسمعها) يشبه حاله في ذلك حاله من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كانه والضمير ضمير الشأن (كان في أذنيه وقرا) نقلوا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم (وعدا الله حقًا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وحقايد على معنى الثبات فأكد به معنى الوعد ومؤكدهما لهم جنات

الحرب بن كادة وكان يجرب أي الخيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمداً يحدتكم يحدث عادوهم وودوا فأحدتكم يحدث رستم واسفنديار وأخبار الاكاسرة فيسمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنيات ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذال لهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعلم المغنيات ولا يعهن وأثمانهن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي وهذا الفظه عن أبي اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتبعوا القينات والمغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة قهين وغهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية * وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن من السكب وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضاربة يمسكها الغناهم واضربها بمغيبات يبيع حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزمار والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو ودها ثلاث مرات وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق وقيل هو كل لهو ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي يفعله عن جهول وحسب المرع من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله مزحاً (أولئك) يعني الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين) واذ اتلى عليه آياتنا لولى مستكبرا) أي لا يعابها ولا يرفع لها رأساً (كان لم يسمعها) أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كان في أذنيه وقرا) أي نقلوا ولا يقر فيها (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها) يعني وعدهم الله ذلك وعداً حقاً وهو لا يخاف البعد (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خالق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصفحة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والقضاء لانها به له وكون السموات في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء ينعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدره الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما انه واجب الى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه واجب الى العمدة ومعناه بغير عمد منية (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) أي لئلا تتحرك بكم (وبت فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي يسكنون فيها (وأترلنا من السماء ماء) يعني المطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنتنابها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت سماعتا ينون (خالق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه) أي آلهتمكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله

النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء قهين أعداءه وبالذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فينبأه أوليائه بالنعيم اقيم (خالق السموات بغير عمد) جمع عمد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهاد بقرينتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما يقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني ولا تحل لهما من الاعراب لانها مستأنفة وفي محل الجر صفة لعمد أي بغير عمد منية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته (وألقى في الارض رواسي) جبالاً ثوابت (أن تميد بكم) لئلا تضطر بكم (وبت) ونشر فيها من كل دابة وأترلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خالق الله) أي مخلوقه (فارونى ماذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة بما خلقه الله فارونى ما خلقته آلهتمكم حتى استوجبوا عندكم العبادة (بل الظالمون في ضلال مبين)

أضرب عن تكبيرهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعور وابن أخ
أوب وأبن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام
فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقل لأأكتفي إذا كتفي إذا كتفت وقيل كان خياطاً وقيل نجاراً وقيل راعياً وقيل كان قاضياً بني إسرائيل وقال
عكرمة والشعبي كان نبياً والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وهي الإصابة في القول
والعمل وقيل تملذ لالفني وتملذه ألف نبي وان في (أن اشكر الله) مفسرة والمعنى أي اشكر الله (٤٣٩) لان آتينا الحكمة في معنى القول

وقد نبه الله تعالى على ان
الحكمة الاصلية والعلم
الحقيقي هو العمل بهما
وعبادة الله والشكر له
حيث فسر آتينا الحكمة
بالحث على الشكر وقيل
لا يكون الرجل حكيماً حتى
يكون حكيماً في قوله وفعله
ومعاشرته وصحبته وقال
السري السقطي الشكر
أن لا تعصى الله بنعمه وقال
الجنيد أن لا ترى معه شريكاً
في نعمه وقيل هو الاقرار
بالجزع عن الشكر والحاصل
ان شكر القلب المعرفة
وشكر اللسان الحمد وشكر
الاركان الطاعة ورؤية
الجزع في الكل دليل قبول
الكل (ومن يشكر فأنا
يشكر لنفسه) لان منفعة
تعود اليه فهو يريد المزيد
(ومن كفر) النعمة (فان
الله غني) غير محتاج الى
الشكر (حميد) حقيق
بان حمد وان لم يحمده
أحد (واذ) أي واذا كرأذ
(قال لقمان لابنه) انم أو
اشكم (وهو يعظه بابني)
بالاسكان مكي بابني حفص

عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعور ابن ناحور بن نوح وهو آزر وقيل كان
ابن أخ أوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضياً بني
اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيماً ولم يكن نبياً الا عكرمة فانه قال كان نبياً وقيل -ل خير بين النبوة
والحكمة فاختر الحكمة وروى انه كان ناعماً نصف الليل فنودي بالقمان هل لك أن تجعل خليفتي في
الارض فتحكم بين الناس فاجاب الصوت فقال ان خير نفي بي قبيل العافية ولم أقبل البلاعوان عزم علي فسمعا
وطاعة وان أعلم ان الله ان فعل بي ذلك أعاني وعصمتي فقالت الملائكة بصوت لايهم لم بالقمان قال ان
الحاكم بأشدد المنازل وأكدرها يقصاه الظالم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان ينجو وان أخطأ الطريق
أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً لا خير من أن يكون شريفاً ومن يختار الدنيا على الآخرة تفننه
الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطوقه فنام نومة فاعطى الحكمة فاتبه وهو يشككهم ما هم
نودي داود به -ده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعطو الله عنه وكان
لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً وقيل كان خياطاً وقيل كان راعياً غنم
فروى انه لقبه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي قال بلى قال فيم بلغت ما بلغت قال بصدق
الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبداً أسود عظيم الشفةين مشقق القدمين وقيل خير
السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل
العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يحجمهما وقيل الحكمة المعرفة والإصابة في الامور وقيل
الحكمة شيء يجعله الله في القلب يتوره كإتوار البصر فيدرك البصر ﴿٤٣٩﴾ وقوله (أن اشكر الله) وذلك لان
المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فأنا يشكر لنفسه) أي عليه يعود ذنفع ذلك وكذلك
كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فان الله غني) أي غير محتاج الى شكر الشاكرين (حميد) أي
هو حقيق بان يحمده وان لم يحمده أحد ﴿٤٣٩﴾ قوله تعالى (واذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنهم وقيل أشكم (وهو
يعظه) وذلك لان أعلى مراتب الانسان ان يكون كاملاً في نفسه مكملًا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان
الحكمة أن اشكر الله اشارة الى السكامل وقوله واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدأ
بالاقر باليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (بابني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم) لان التوبة بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير
موضعها ﴿٤٣٩﴾ قوله عز وجل (ووصينا الانسان لوالديه حمته أمه وهن على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة
وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع
ضعف والرضاعة ضعف (وفصاله في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولو الدنيا الى المصير) لما جعل
الله بقضاه للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما قال اشكر لي
ولو الدين ثم فرق فقال الى المصير يعني ان نعمتهم خاصة بالتبنيان نعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر

بفتح في كل القرآن (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الاوهى منه ومن لانعمته أصلاً (ووصينا الانسان
لوالديه حمته أمه وهن على وهن) أي حمته تن وهن على وهن أي تضعف ضعفاً فوق ضعف أي يترايدضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد
أو عظم ازدادت تغلظ وضعفاً (وفصاله في عامين) أي فطامه عن الرضاعة لتمام عامين (أن اشكر لي ولو الدين) هو تفسير لوصينا أي وصينا
بشكرنا وبشكر والديه وقوله حمته أمه وهن على وهن وفصاله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لا يوصى بالوالدين ذكر ما تكلمه
الام وتغايبه من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تكبيراً بحقها العظيم مقرداً وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله
ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما (الى المصير) أي مصيرك الى رحمتي على

(وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم) أراد بنى العلم به فبعبه أى لا تشرك بي ما ليس بشئ يريد الاصلنام (فلا تطعهما) فى الشرك
 (وصاحبهما فى الدين المعرف) صفة مصدر محذوف أى صحبا معا عرفا وحسنا مخلوق جميل وحلم واحتمال وبروصلة (وابتبع سبيل من أناب
 الى) أى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فبعبه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهم فى الدين وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه
 أنوار خدمتى (ثم الى مرجعكم) أى مرجعكم ومرجعهم (فانبتكم بما كنتم تعملون) فجازيك على إيمانك وأجاز بهم على كفرهم وقد
 اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد كما يد المسمى وصية لقمان من النهى عن الشرك يعنى أن أوصيه بالدين وأمرناه أن لا يطعهما
 فى الشرك وان جهدا كل الجهد ليقبحه (باني انهما ان تلك منقال حبقن خردل) بالرفع مدنى والضمير لقصة وأنت المثقال لاضافته الى الحبة كما قال
 * كما شرفت صدر الغنمة من الدم * وكان (٤٤٠) تامه والباقيون بالنصب والضمير للهبة من الاساعة والاحسان أى ان كانت مثلافى

الصغر كحبة خردل (فتكن
 فى صخرة أو فى السموات
 أو فى الارض) أى فكانت
 مع صغرها فى أخفى موضع
 وأحرزه بكوف الصخرة
 أو حيث كانت فى العالم
 العلوى أو السفلى والاكثر
 على انها التى عليها الارض
 وهى السجين يكتب فيها
 أعمال الفجار وليست من
 الارض (يات بها الله) يوم
 القيامة فى حسابها أعمالها
 (ان الله لطيف) يتوصل
 علمه الى كل خفى (خبير)
 عالم بكنهه أو لطيف باستخراجها
 خبير بمسقرها (باني أقم
 الصلاة وأمر بالمعروف وانه
 عن المنكر واصبر على
 ما أصابك) فى ذات الله
 تعالى اذا أمرت بالمعروف
 ونهيت عن المنكر أو على
 ما أصابك من المحن فانها
 تورث المنع (ان ذلك) الذى
 وصيتك به (من عزم
 الامور) أى بما عزمه
 الله من الامور أى قطعها

بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الى قال سفبان بن عيينة فى هذه الآية من صلى الصلوات
 الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وان جاهدك على ان
 تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) قال النخعي يعنى ان طاعتها واجبة فان أفضى ذلك الى الاشرار
 فلا تطعهما فى ذلك لانه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق (وصاحبهما فى الدين المعرف) أى بالمعروف وهو
 البر والصلة والعشرة الجميلة (وابتبع سبيل من أناب الى) أى اتبع دين من أقبل الى طاعته وهو النبى صلى
 الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب الى يعنى أبابكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان
 وطحمة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم
 انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فوهوا عليهم سابقه الاسلام أسلموا بإرشاد
 أبى بكر (ثم الى مرجعكم فانبتكم بما كنتم تعملون باني انهما ان تلك منقال حبة من خردل) وذلك ان ابن
 لقمان قال لايه يا أبت ان علمت الخطيئة حيث لا رأتى أحد كيف يعلمها الله قال باني انما أى الخطيئة ان تلك
 منقال حبة من خردل أى فى الصغر (فتكن) أى مع صغرها (فى صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت
 الارضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار وخصرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت
 وهو النون والحوت فى الماء والماء على ظهر مسفة والصفاء على ظهر ملك وقيل على ظهر نور وهو على صخرة
 وهى التى ذكر لقمان ليست فى الارض ولا فى السماء فاذلك قال (أوفى السموات أوفى الارض) والصخرة
 على متن الريح والريح على القدرة (يات بها الله) معناه الله عالمها قادر على استخراجها وهو قوله (ان الله
 لطيف) أى باستخراجها (خبير) أى بما كانه ومعنى الآية له الاحاطة بالاشياء صغيرة وكبيرة وقيل
 ان هذه السكامة آخر كلمة قالها لقمان فان شقت مرارته من هيتها وعظمتها فسات (باني أقم الصلاة
 وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعنى اقامة
 الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاصبر على الاذى من الامور الواجبة التى أمر الله بها
 (ولا تصاعر) وقرئ تصعر (خذك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحق الناس وتعرض عنهم بوجهك
 اذا كلوك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه حجة فيلقال فتعرض عنه وقيل هو الذى اذا سلم عليه لوى
 عنقه تكبرا وقيل معناه لا تتختر الفقراء فليكن الفقير والغنى عندك سواء (ولا تمس فى الارض مرحا)
 أى خبيلا (ان الله لا يحب كل مختال) فى مشبه (خفور) أى على الناس (واقصد فى مشيك) أى ليكن
 فى مشيتك قصديين الاسراع والتأني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو ان يرى فى نفسه الضعف
 زهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) أى اخفض وقيل انقص

قطع ايجاب الزام أى أمره أمر احتماه وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أى مقطوعاتها (من
 ومقر وضاعتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها فى سائر الامم) ولا تصعر خذك للناس) أى ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر أو
 عمرو ونافع وحزمة وعلى وهو معنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يولوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق
 وجهك وصفحته كما يطفه له المتكبرون (ولا تمس فى الارض مرحا) أى تخرج مرحا أو أوقع المصدر وقع الحال أى مرحا أو لا تمس لاجل المرح
 والاشم (ان الله لا يحب كل مختال) متكبر (خفور) من بعدد مناقبه تصالوا (واقصد) القصد التوسط بين العلو والتقصير (فى مشيك) أى
 اعتدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب ديب المتماوتين ولا تشب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وأما قول
 عائشة فى عمر رضى الله عنه كان اذا مشى أسرع فائما أرادت السرعة المرتفعة عن ديب المتماوتين وعن ابن مسعود رضى الله عنه كانوا
 ينهون عن خيب اليهود وديب الذموى وليكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدمك متواضعا (واغضض)

والارض يقولون الله قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نهبوا عليهم يتنهبوا (الله مافي السموات والارض ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين (الحمد) المستحق للحمد وان لم يحمده قال المشركون ان هذا أي الوحي كلام سينفذ فاعلم الله أن كلامه لا ينفذ بقوله (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطف على اسم ان وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر بمدود بسبعة أبحر وعلى الابتداء والواو للمحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام في حال كون البحر بمدود او قرئ بمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد لكن أغنى عن ذكر المداد قوله بمده لانه من قولك مد الدواء وأمدها جعل البحر الا العظيم بمنزلة الدواء وجعل البحر السبعة بمطوعة مادافهسي تصب فيه مدادها أبدأ صبها لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر بمدود بسبعة أبحر وكتبت تلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مداد الكلمات لربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه (٤٤٢) ضمير راجع الى ذى الحال قلت هو كقولك جنت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال

التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتقسيمها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد برت أقلاما وأثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلام وهي جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلامه (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ فلا تنفذ كلماته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا تخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فخفف للعلم به أي سواع في قدرته القليل والكثير فلا يشغله

والارض يقولون الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون الله مافي السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم نفسه به قوله تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بكم توبسألونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة آناه ابحار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أتيتم من العلم الا قليلا تعجبنا أم قوم من فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألسنت تتلوه فيما جاهدنا أنا وتبيننا التوراة ذهابا علم كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أنا كم الله بمان علمتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤمن بالحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدينة وقيل ان اليهود أمر واؤفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بكم توفيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يدوشك أن ينفذ فيقطع فأنزل الله تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام أي فبريت أقلاما وقبل بعد ذلك شجرة قلم (والبحر يمده) أي يزيد وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أي مدادا والخلاتن يكتبون به كلام الله (مانفدت كلمات الله) لانها لانهاية لها (ان الله عز بزحكيم) قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي الا تخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شئ (ان الله سميع) أي لا قوا الحكم (بصير) باعمالكم (ألم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير قوله تعالى (ألم تر أن الفلك) أي السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمت الله) أي ذلك من نعمة الله عليكم (ليريك من آياته) أي من عجائب صنائه (ان في ذلك لايات لكل صبار) أي على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشيهم موج كظلال)

شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) باعمالهم فيجاز بهم (ألم تر ان الله يولج الليل في النهار) أي يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أي كل واحد من الشمس والقمر (تجري) في فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالبياع بما شئ دل ايضا بتعاقب الليل والنهار وزياتها ونقصانها ما وجرى النيران في فلكهم ما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكال حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) بالبياع راق غير أبي بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادر والعالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلي الشأن الكبير السلطان (ألم تر ان الفلك) وقرئ الفلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجري في البحر بنعمت الله) باحسانه ورحمته أو بالريح لان الريح من نعم الله (ليريك من آياته) عجائب قدرته في البحر اذا ركبتوها (ان في ذلك لايات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعماته وهما صفتا المؤمن فلايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكله قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن (واذا غشيهم) أي الكفار (موج كظلال)

الموج يرتفع فيعود مثل الظل والظلمة كل ما أطلت من جبل أو سحاب أو غيرهما (دعوا الله تخلصين له الدين ولما نجاهم الى البر ففهم مقتصد)
اي باق على الايمان والاخلاص الذي كان منه ولم يعد الى الكفر أو مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص
الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قابل نادر (وما يسجدوا باياتنا) أي بحقيقتها (الكل ختار) غدار والخير أفع الغدر
(كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا) والما لا يجزي والدعن ولده) لا يقضى عنه شيأ والمعنى لا يجزي فيه حذف (ولامولود هو جاز
عن والده شيأ) وازد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله
هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر فأر يدحسم اطماعهم ان ينفعوا آباؤهم بالشفاعة
في الآخرة ومعنى التأكد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلان يشفع لاجداده اذ الولد
يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منكم كذا في الكشاف (ان وعد الله) (٤٤٣) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا

تغر نركم الحيوة الدنيا)
بزيبتها فان نعمته تهادانية
ولذتها فانية (ولا يغرنكم
بالله الغرور) الشيطان
أو الدنيا أو الأمل (ان الله
عنده علم الساعة) أي وقت
قيامها (وينزل) بالتشديد
شأى ومدنى وعاصم وهو
عطف على ما يقضيه الظرف
من الفعل تقدره ان الله
يثبت عنده علم الساعة
وينزل (الغيث) في ابانه
من غير تقديم وتأخير
(ويعلم ما في الارحام)
أذ كرام انى وتام ام
ناقص (وما تدرى نفس)
برة او فاجرة (ماذا تكسب
غدا) من خير أو شر وربما
كانت عازمة على خير فعملت
شرا وعازمة على شر فعملت
خيرا (وما تدرى نفس
بأى أرض تموت) أي اين
تموت وربما أقامت بارض
وضربت أو نادها وقالت

أى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله تخلصين له الدين) معناه ان
الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا نجح من تلك الشدة
فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم الى البر ففهم مقتصد) أي عدل موقف
في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والشبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك
انه هرب عام الفتح الى البحر فباعهم ببيع عاصف فقال عكرمة لئن أنجنا الله من هذا الاربعين الى محمد صلى الله
عليه وسلم ولاضع يده في يدي فسكت الربح ورجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف
بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يسجدوا باياتنا الا كل ختار) أي غدار (كفور) أي بخود ولا نعمنا عليه
قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي خافوا ربكم (واخشوا) أي وخافوا (يوما لا يجزي) أي لا يقضى
ولا يغنى (والدعن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة
والحبة وهما الوالد والولد فنبه بالا على على الادنى وبالادنى على الاعلى فالولد لا يجزي عن والده لكمال شفقة عليه
والولد لا يجزي عن والده لاله من حق التريبة وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسى نفسى ولا
يهتم بقرىب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئئ نهمه نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه
اخشوا واما هـ ذاشأنه وهو كائن لو عد الله به ووعدته حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزي والد
عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أي لانها فانية (ولا يغرنكم
بالله الغرور) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصى ويبنى المغفرة قوله تعالى (ان الله عنده
علم الساعة) الآية نزلت في الحرب بن عمر وبن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فسأله عن الساعة وقها وقال ان أرضنا أجدت فقل لي متى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فتى تلد
ولقد علمت أين ولدت فبأى أرض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مفايح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا
تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله علم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا
يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة في أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلا او نهارا (وينزل الغيث) فلا
يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا الا الله (ويعلم ما في الارحام) أذ كرام انى أو جرام اسود تام الخلقة أم
ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أو شر (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أي ليس احد

لا أربحها فترى هم امرأى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر بباله روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال
الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح وياقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت
لسليمان كان دوام نظري اليه تعجباً منه لاني أمرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدرية للعبيد لاني الدرية من معنى
الختل والجملة والمعنى انها لا تعرف وان أعلمت حياتها ما يختص بها ولا شئ أخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى
معرفة شيأ كان معرفة ما عداها ما بعد وأما النجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا
يكون غيباً على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفايح الغيب خمس وتلاهذه الآية وعن ابن عباس رضى الله
عنه ما من ادعى علم هذه الخسة فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار باصابعه الخمس فغيرها المعبرون
بخمسة سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة ايام فقال ابو حنيفة رضى الله عنه هو إشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله

(ان الله عليم) بالغيوب (خبير) بما كان وبما يكون وعن الزهري رضى الله تعالى عنه أكثر واقراء سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم * (سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصري) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الم) على انها اسم السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعدد للحروف ارتفع تنزيل بانه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) (٤٤٤) ولا ريب فيه اعتراض لاجل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل

لا ريب في ذلك اي في كونه من نزل من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله أبعده شئ من الريب ثم ضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لان أم هي المنقطعة السكائنة بمعنى بل والهززة معناه بل أيقولون افتراه انكارا لقولهم وتجييبا منهم لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم ضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعنتوا وجهلا (لتنذر قوما) أي العرب (ما آتاهم من نذير من قبلك) ما للنفق والجملة صفة لقوما (لعلهم يهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استوى عليه باحدائه (ما لكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاهم تجردوا لانفسكم ولما

من الناس يعلم أين مضجعه من الارض في برا وبحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) اي بهذه الاشياء وبغيرها (خبير) أي بواطن الاشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فن ادعى انه يعلم شيئاً من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى اعلم بما رآه وأسرار كتابه

*** (تفسير سورة السجدة وهي مكية) ***

قال عطاء الانثالث آيات من قوله ان كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا والله تعالى اعلم

*** (بسم الله الرحمن الرحيم) ***

قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنه ما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذ لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بعمرة الله وتوحيده فنعلم لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني تنذرهم راجيا هتداءهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلاتنذرون) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاة والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مضافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامر وحكم الخلق كما في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول بسير جبريل والملائكة الذين معهم من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن تكفرا صلاة مكتوبة صلاحا في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضى الله عنهما أيام سماها الله تعالى لأدري ما هي وأكره أب أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني

أي ناصر اينصر كولا شفيعا يشفع لسكر (أفلاتنذرون) تنعظون بما عطا الله (يدبر الامر) أي أمر الدنيا (من السماء الذي الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولاتمسك للشبهة بقوله اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرزاه أو أمره كالاتسبب لهم بقوله اني ذاهب الى ربي اني مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما امر عالم ما غاب عن خلق وما شاهدوه

(العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه وتيسيره وقيل لاوقف عليه لان (الذي) صغفه (أحسن كل شيء) أي حسنه لان كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة (خلقه) كوفي ونافع وسهل على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البديل أي أحسن خلق كل شيء (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعله نسله) ذريته (من سلاله) من نطفة (من ماء) أي مني وهو بديل من سلاله (مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في أحسن تقويم (ونفخ) ادخل (فيه من روحه) الاضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعلمه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليل ما تشكرون قليلا وقالوا) القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم (أنذا ضلنا في الارض) أي صرنا (٤٤٥) ترابا وذهبنا تحتلطين تراب الارض

لا تميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا في الارض بالدفن فيها وقرأ أعلى ضلنا بكسر اللام يقال ضل بضل وضل بضل وان تصب الطرف في أنذا ضلنا بما يدل عليه (أثنائي خلق جديد) وهو نبعث (بل هم بلاء ربهم كافرين) جاحدون لماذا كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو بلاء وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) أي يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حتى من فلان اذا أخذته واقبأ كلاما من غير نقصان وعن مجاهد جويت ملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست

الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضروا ظهر (العزيز) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه وأهل طاعته ﴿قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقبيل علم كيف يخلق كل شيء وقبيل خلق كل حيوان على صورته البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقبيل معناه الهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه وقبيل معناه أحسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني ادم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلاله) أي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشرىف كبيت الله وفاقه الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد ان كنتم نطفامواتا (السمع والابصار والافئدة) قبل قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كالأصوات فينظر الى قائله له معرفة ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليل ما تشكرون) يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحده الاقله ﴿قوله تعالى (وقالوا) يعني منكروى البعث (أنذا ضلنا) هلكا (في الارض) والمعنى صرنا ترابا (أثنائي خلق جديد) استفهام انكارى قال الله تعالى (بل هم بلاء ربهم كافرين) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا يغفل عنكم واذ اجاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا يشغل له الا ذلك وى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما يحب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقبيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتتزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ نغرة نغره قبضه ملائكة الموت عن معاذ بن جبل قال ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهي تصفح وجوه الناس فمان اهمل بيت الاومك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم الى ربكم ترجعون) اي تصيرون الى ربكم اجباء فيجزىكم باعمالكم ﴿قوله عز وجل (ولو ترى اذ المجرمون) اي المشركون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) اي يطأون اجباها من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا ابصرنا) اي ما كذبنا مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما اتنا به رسلك وقبيل ابصرنا ما عاصينا وسمعنا ما قبل فيها (فارجعنا) اي فاردنا الى الدنيا (نعمل صالحا انما وقنونا) اي في الحال آمنوا ولكن لا ينفذ ذلك الايمان (ولو شئنا

يتناول منها حيث يشاء وقبيل ملك الموت يدعو الارواح فيجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الا آمر لذلك كله وهو الخالق لافعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفقه رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها (ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي رأيت أمر اعظيما (اذ المجرمون) هم الذين قالوا أنذا ضلنا في الارض ولو اذ للمضى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الروية واذا نظرت له (ناكسوا رؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه حتى الحذف اذ التقدير يقولون (ربنا ابصرنا) صدق وعدك ووعدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عجبنا وصمنا فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) أي الايمان والطاعة (انما وقنونا) بالبعث والحساب الا الآن (ولو شئنا

لكن لم نعطهم ذلك اللطف
 لعلمنا منهم اختيار الكفر
 وإشاره وهو حجة على المعتزلة
 فان عندهم شاء الله ان
 يعطى كل نفس ما به اهتدت
 وقد أعطها لكنهم لم
 تهتدوهم أولو الآيات تمشية
 الجبر وهو تاويل فاسد لما
 عرف في تبصر الأدلة
 (ولكن حق القول منى
 لا ملأ من جهنم من الجنة
 والناس أجمعين) ولكن
 وجب القول منى بما علمت
 انه يكون منهم ما يستوجبون
 به جهنم وهو ما علم منهم انهم
 يختارون الرد والتكذيب
 وفي تخصيص الانس والجن
 اشارة الى انه عصم ملائكته
 عن عمل يستوجبون به
 جهنم (فذوقوا العذاب
 بما كنتم تكفرون) (وما كنتم
 تعلمون ما في العتمة والصبح
 الا انهم كانوا يفتنونكم
 في الدين والفسق في الدنيا
 لعلكم تتقون) (وما كنتم تعلمون
 ان الله قد ابتليكم بالبحر والبر
 والجزر لعلكم تتقون) (وما كنتم تعلمون
 ان الله قد ابتليكم بالبحر والبر
 والجزر لعلكم تتقون) (وما كنتم تعلمون
 ان الله قد ابتليكم بالبحر والبر
 والجزر لعلكم تتقون)

لا تبتنا كل نفس هداها (ولكن حق القول منى) اي وجب القول
 منى (لا ملأ من جهنم من الجنة والناس اجمعين) اي من كفار الجن والانس (فذوقوا) اي فاذا دخلوا
 النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما كنتم تكفرون) اي ركنتم الايمان في الدنيا (هذا اناسيناكم)
 اي تركناكم بالسكينة غير ملتفت اليكم كما يفعل بالناسي قطع الجانيكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
 تعملون) اي من الكفر والتكذيب ﴿ قوله تعالى ﴾ (انما يؤمنن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) اي
 وعظوا بها (خروا سجدا) اي سقطوا على وجوههم ساجدين (وسجوا بحمدر بهم) اي صلاوا بأمر ربهم
 وقبيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) اي عن الايمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا
 مكانا لوضع جبهته في غير وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم
 السجدة فسجد اعتزل الشيطان ببخرو ويقول يا ويلتنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمر بالسجود
 فأبى فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارئ وللمستمع ﴿ قوله تعالى ﴾ (تجاني جنوبهم)
 أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم
 المتسجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس تزلت فينا معاشر الانصار كان صلى المغرب فلان رجوع الى
 رحالنا حتى نصل العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تجاني جنوبهم عن المضاجع
 تزلت في انظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي
 داود عنه قال كانوا يتناولون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي
 صلاة الاقاربين وروى عن ابن عباس قال ان الملائكة تحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة
 الاقاربين وقال عطاهم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والمغرب في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه
 وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله
 أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لآتوهما ولو حبووا أشهر الاقاربين ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن
 ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

* (فصل في فضل قيام الليل والحث عليه) * عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في سفرة فأصبحت يوما فري بياضه وهو يسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار
 قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي
 الزكاة وتصوم رمضان وتحتج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة
 وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تجاني جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزء بما كانوا يعملون ثم قال الا
 أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة
 سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا
 فقلت يا رسول الله وانما واخذون بما نتكلم فقال شكك أمك بما ما ذره لك يكب الناس في النار على وجوههم
 أو قال على مناخرهم الا حصائد أسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقر به الى ربكم وتكفيرا للسيئات ومنهاة عن الآثام
 ومطرقة الداع عن الجسد أخرجه الترمذي * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب
 ربنا من رجلين رجل ناره عن وطائه وخفاه من بين جنبيه وأهله الى صلواته فيقول الله عز وجل ملائكته
 انظروا الى عبدى ناره عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله الى صلواته رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي
 ورجل غزاني سبيل الله وانهمزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه

لا يستكبرون) عن الايمان به والسجود له (تجاني) ترتفع وتنبو (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع فيقول
 النوم قال سهل وهب لقوم هبستوه وان أذن لهم في مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تجاني جنوبهم عن المضاجع

(يدعون) داعين (رهبهم) عابدين له (خوفا وطعما) مفعول له أى لاجل خوفهم من سخطه وطعمهم في رحمة وهم المتسجدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره إتيان العبد من الليل وعن ابن عطاء أبت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القرية بمعنى صلاة الليل وعن أنس كان اناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العشاء لا ينامون عنها) ومما رزقناهم ينفقون (في طاعة الله تعالى) (فلا تعلم) (٤٤٧) نفس ما أخفى لهم) ما بمعنى الذى أخفى على حكاية النفس جزوة يعقوب

(من قرأ عين) أى لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة (جزاء) مصدر أى جزاء وجزاء (بما كانوا يعملون) عن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وفيه دليل على ان المراد الصلاة في جوف الليل ايكون الجزاء وفاقا بين ان من كان في نور الطاعة والايمن لا يستوى مع من هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله (أئن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى كافر أوهما محمولان على لفظ من وقوله (لا يستون) على المعنى بدليل قوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هى نوع من الجنات تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش (نزل بما كانوا يعملون) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء المنازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فإنا وهم النار) أى مجزؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا

فيقول الله تعالى الملائكة انظروا الى عبدى رجوع رغبة فيما عندى وشققة مما عندى حتى أهرى بدمه أخرجه الترمذى بمعناه (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غر فابرى باطنها من ظاهرها واطرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتاب الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذى (خ) عن الهيثم بن أبي سنان انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أحالكم لا يقول الرفب يعنى بذلك ابن رواحة قال وفيما رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع أرىنا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقوفات ما اذا قال واقس بيت يحافى جنبه عن فراشه * اذا استقلت بالكافر من المضاجع أخرجه البخارى وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث وقوله تعالى (يدعون رهبهم خوفا وطعما) قال ابن عباس - وفان النار وطعما في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والمتقوع قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) أى مما تقر به أعينهم فلا ينفقون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أى من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقرأ ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين قوله تعالى (أئن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بينهما ما تنازع وكلام في شئ فقال الوليد لعلى اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله انى أسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا وفى الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزله الله هذه الآية وقوله لا يستون أراد جنس المؤمنيين و جنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أى التى تأوى اليها المؤمنون (نزل) هو ما يهب للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعنى من الطاعات في دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فإنا وهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الاذى دون العذاب الاكبر) أى سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الاذى مصائب الدنيا واسقامها وعنفها انه الحدود وقيل هو الجوع عجمته حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أى الى الايمان يعنى من بقى منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم ممن لأحد أظلم) (من ذكر بآيات ربه) أى بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم أعرض عنها) أى ترك الايمان

منها أعيدوا فيها وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الاذى) أى عذاب الدنيا من الاسر وما سخاويه من السنة سبع سنين (دون العذاب الاكبر) أى عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الدارنى العذاب الاذى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود في النيران وقيل عذاب الاذى عذاب القبر (لعلهم) لعل المعذبين بالعذاب الاذى يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) أى بالقرآن (ثم أعرض عنها) أى لم يتدبر فيها وتم لا يستبعد أى ان الاعراض عن مثل هذه

الآيات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك
 وجدت منك تلك الفرصة ثم تنتهزها استبعاد التركة الانتهاز (ان من المجرمين من تقمون) ولم يقل منه لانه اذا جعله اعظم كل ظالم ثم توعد
 المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابه الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال بالضميم لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب
 التوراة فلا تكن في مريية) شك (٤٤٨) (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقاء موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء
 موسى ربه في الآخرة

بها (ان من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه انهم لم يبرجوا بالعذاب الا الذي فانا منهم منتقمون
 بالعذاب الا كبر **قوله تعالى** (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في مريية) أي في شك
 (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال رأيت ليلة أسرى بنى موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا
 مربوع الخلق الى الحجره والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والجال في آيات أراهن الله
 اياه فلا تكن في مريية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آتيت على موسى ليلة
 المعراج ليلة أسرى بنى عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره فان قلت قد صح في حديث المعراج انه رآه في
 السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته
 في قبره عند الكتيب الاحمر كان قبيل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى
 السماء السادسة وجد حده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فان قلت كيف تصح
 منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي
 صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه باجوبة أحدها
 ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يعد أن يحجوا أو يصلوا
 كما صح في الحديث وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا قد ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي
 هي دار العمل الى أن تقضى ثم يرحلون الى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم
 رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثاله كيف كانوا وكيف كان يحجهم وصلاتهم الجواب الثالث
 ان التكليف وان ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكروا الشكر والدعاء ليرتفع قال الله تعالى دعواهم
 فيها سبحانه اللهم ونحييتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد
 يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبد في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين
 قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي
 على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في مريية من لقائه أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا
 والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم) أي من بنى اسرائيل (أمم) أي قادة
 للخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بنى اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهودون بأمرنا) أي
 يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلا من عدوهم بصبر (وكانوا باياتنا
 يوقنون) أي انهم امن الله تعالى (ان ربك هو يفصل) أي يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة) أي انهم
 يختلفون (قيل لهم الانبياء وأمامهم وقيل هم المؤمنون والمشركون) **قوله تعالى** (أولم يهد لهم) أي نبين لهم
 (كم أهلكنا) أي كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) أي الاسم الخالية (يعشرون في مساكنهم) يعني
 أهل مكة يسرون في بلادهم ومنزلهم اذا سافروا (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) أي آيات الله
 ومواعظه فيعظون بها **قوله عز وجل** (أولم يروا أناسا سواك الماء الى الارض الجرذ) أي الارض
 اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقيل هي آبين (فتخرج به) أي بذلك الماء
 (زرعنا كل منه أنعامهم) أي العشب والتبن (وأنفسهم) أي من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) أي

كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلنا منهم أمم) يهزئين كوفي وشامى (يهودون) بذلك الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشراعه (بأمرنا) اباهم بذلك (لما صبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصي لما صبروا حزم وعلى أي لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر عمرته امامة الناس (وكانوا باياتنا) التوراة (يوقنون) يعلمون علما لا يخالجه شك (ان ربك هو يفصل) يقضى (بينهم يوم القيامة) بين الانبياء وأمامهم أو بين المؤمنين والمشركين (فيما كانوا فيه يختلفون) فيظهور المحق من المبطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه من وى من جنس المعطوف اي أولم يدع (يهود) بين والفاعل الله بدليل قرأته يدعون يعقوب نهد لهم) لاهل مكة (كم) لا يجوز أن يكون كفاعل يهدى لان ك لا استفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومجمله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وعود وقوم لوط فيعتبروا (يعشرون في مساكنهم) أي أهل مكة يترى في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواضع فيعظون (أولم يروا أناسا سواك الماء) تجرى المطر والانهار (الى الارض الجرذ) أي الارض التي لا تثبت كالسبخة حزر بدليل قوله (فتخرج به) بالماء (زرعنا كل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصبه (وأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون)

بهدى لان ك لا استفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومجمله نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كعاد وعود وقوم لوط فيعتبروا (يعشرون في مساكنهم) أي أهل مكة يترى في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) المواضع فيعظون (أولم يروا أناسا سواك الماء) تجرى المطر والانهار (الى الارض الجرذ) أي الارض التي لا تثبت كالسبخة حزر بدليل قوله (فتخرج به) بالماء (زرعنا كل منه) من الزرع (أنعامهم) من عصبه (وأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون)

بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على إحياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسابون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كان (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استجيب لهم من جهة التكذيب والاستهزاء آجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقبل لهم لاستجوابه ولا تستهزؤا فذكرنا فيكم وقد حصتم في ذلك اليوم وآمنتم فلا ينفعكم الإيمان أو استنظرتهم في إدراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فأنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق (٤٤٩) (فأعرض عنهم وانتظر) النصر وهلاكهم (أنهم منتظرون)

الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل المعجزة وتبارك الذي بسنده الملك وقال من قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة ألم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

* (سورة الأحزاب مدنية) * وهي ثلاث وسبعون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) قال أبي بن كعب رضي الله عنه لزرركم تعدون سورة الأحزاب قال ثلاث وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخة اذ انبأ فارحوهما البتة نكالا من الله والله عزير حكيم أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى ان تلك

فيعتبروا ﴿ قوله تعالى (و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوم ما نمنع فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزأتمني هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) أي لا يقبل منكم الإيمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظر) أي موعدي لك بالنصر عليهم (أنهم منتظرون) أي لك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا يا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ألم تنزيل حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طاوس تفضل ان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وسرر كتابه

* (تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية) * ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وعشرون كلمة وخمسة آلاف وسبع مائة وتسعون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة ففتروا على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعنة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكرا أهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعتنا لعبد هانود علور بك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله انذرتني في قتلهم فقال اني أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم لم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبي سفيان وعكرمة وأبا الاعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي عبد الله بن سعد وطعنة (ان الله كان عليما) أي

(٥٧ - خازن) - ثالث) الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلها الداجن فن تأليفات الملاحدة والوافض (يا أيها النبي) وبالهمز نافع أي يا أيها المخير عنا المؤمنون على اسرارنا المبلغ خطابنا الى أحبنا بنا وانما لم يقل يا محمد كما قال آدم ياموسى تشرىفاله وتنويهه بفضلته وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله (اتق الله) اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شيء واحد من منهم فأنهم أعداء الله والمؤمنين وروى ان أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد ففتروا على عبد الله بن أبي وأعطاهم النبي الامان على أن يكلموه فقالوا لرفض ذكرا أهتنا وقل انها تنفع وتشتطع وازرهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا (ان الله كان عليما) بحيث أجمعهم

(حكيم) في تأخير الامر بقتالهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله الذي يوحى اليك) كان بما تعلمون خبيراً (ألم يزل عالماً بما عملهم وأعمالكم قبل ان يجمع لان المراد بقوله اتبع هو وأصحابه وبالباء أو عور وأى بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أئند أمرك اليه وكما الى تديره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلاً (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائق تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) أى ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى انه تعالى كالم يجعل لانسان قلبين لانه لا يتخولوا ما أن يفعل بالآخر فعلا من أفعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بمذاخير ما يفعل بذلك (٤٥٠) فذلك يؤدى الى ان تصاف الجملة بكونه مردياً كارهها على ما طامنا وقناشاً كافي حالة واحدة لم يحكم أيضاً ان تكون المرأة الواحدة

بجناحه قبل أن يخلقهم (حكيم) أى فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أى من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله) أى ثق بالله وكل أمرك اليه (وكفى بالله وكيلاً) أى حافظاً لك وقيل كفيلاً برزقك ﴿قوله تعالى﴾ (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبى معمر حميد بن معمر الفهرى وكان رجلاً لبيماً حافظاً لما يسمع فقال قريش ما حفظ أبومعمر هذه الاشياء الاولة قلبان وكان يقول ان لى قلبين اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهم زرم أبومعمر فيهم فلقبهم أبوسفين واحدى نعليه في يده والاخرى في رجليه فقال له يا أبامعمر ما حال الناس فقال انهم زرموا فقال له فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجليك فقال أبومعمر ما شعرت الا انهم ما في رجلي فعملوا يومئذ انه لو كان له قلبان لسانسى نعله في يده وعن أبى ظبيان قال قلنا لابن عباس رأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا تروا ان له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله لخطر خطرة يريد الوسوسة التى تفصل للانسان فى صلواته وقيل فى معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمراً بالتقوى فكأنه قال ومن حقها أن لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى الله باحدهما وبالآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى لم يظهر من امرأته والعتبى ولد غيره فكذلك لا يكون لرجل قلبان لانه لا يتخولوا ما أن يفعل باحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بمذاخر ما يفعل بذلك فذلك يؤدى الى ان تصاف الجملة بكونه مردياً كارهها على ما طامنا وقناشاً كافي حالة واحدة وهم ما حالتان متنافستان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد الواحد ابن ورجلين ﴿قوله﴾ تعالى (وما جعل أزواجكم اللائق تظاهرون منهن أمهاتكم) وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أى يقول الله وما جعل نساءكم التى تقولون لهن هذائق التحريم كأمهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى سورة المجادلة ﴿قوله تعالى﴾ (وما جعل أدعياءكم) يعنى الذين تبنتونهم أبناءكم) وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية يتبنى الرجل فيجعل له كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل السكلى وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبدالمطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخها التبنى (ذلكم قولكم يا فواهكم) أى للاحقيقة له يعنى قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب

الرجل الواحد وعيال الرجل وابناه لان البنوة اصاله فى النسب والدعوة الصاق عارض بالنسبة لا غير ولا يجتمع فى الشئ الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً فاشتراه حكيم بن حزام لعنته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمره غير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن بنت حارثة تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمجد

قلبان قلب معكم وقلبا مع أصحابه وقيل كان أبومعمر احتفظ العرب فقيل له ذوالقلبين فاكتب الله قولهم وضربه مثلاً لا فى الظهار والتبني والتسكير فى رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجواب للتأكييد اللائى بيباء بعد الهمزة حيث كان كوفى وشاى اللاء نافع ويهـ قوب وسهل وهى جمع التى تظاهرون عاصم من ظاهرا اذا قال لامرأته أنت على كظهر أى تظاهرون على وحزرة ونحلف تظاهرون شامى من اظاهر يعنى تظاهروا غيرهم تظاهرون من اظهر يعنى ظهر وعدى بن انتضمه معنى البدلانه كان طلاقاً فى الجاهلية وتظاهروا الى من امرأته لماضى معنى التباعد عدى بن والافآتى فى أصله الذى هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولداً وجمع على أفعال شاذ الا ان بابها ما كان منه بمعنى فاعل كتنق وأتقيا وشق وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو روى سمي للتشبيه اللفظى (ذلكم قولكم يا فواهكم) أى ان تواسم للزوجة هى أم ولدعى هو ابن قول تقولونه بألسنتكم للاحقيقة له اذا لى بن يكون بالولد وكذا

والمهاجرين) يجوز أن يكون بينا والاولى الارحام أى الاقرب باع من هؤلاء بعضهم أولى بان يرتب بعضا من الاجانب وان يكون ابتداء الغاية أى
 ادلول الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أى الانصار بحق الولاية فى الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الان تفعلوا الى اوليائكم
 معروف) الاستثناء من خلاف الجنس أى لكن فعملكم الى اوليائكم معروف اجازة وهو ان توصوا لمن احببتم من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية
 لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية فى الدين (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى
 التوارث بالارحام كان مسطورا فى الوح (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) واذ كرحين اخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة ولدعاء
 الى الدين القيم (ومنك) خصوصا وقد مر رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لانهم اولوا العزم واصحاب الشرائع
 فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقد تم من قدمه زمانه (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا
 منهم ميثاقا عظيما) وثقا وأعاد ذكر (٤٥٢) الميثاق لانضمام الوصف اليه ونما فعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أى الانبياء

(عن صدقهم) بما قالوه
 لقومهم اوليسأل المصدقين
 للانبياء عن تصديقهم لان
 من قال للصادق صدقت
 كان صادقا فى قوله أو يسأل
 الانبياء ما الذى اجابتم
 أمهم وهو كقوله يوم يجمع
 الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
 (وعد للكافرين) بالرسول
 (عذابا أليما) وهو عذاب
 على أخذ ذنابا المعنى ان
 الله أكد على الانبياء الدعوة
 الى دينه لاجل ائمة
 المؤمنين وأعد للكافرين
 عذابا أليما وعلى ما دل
 عليه ليسأل الصادقين كأنه
 قال فاناب المؤمنين وأعد
 للكافرين (يا أيها الذين
 آمنوا اذكروا نعمة الله
 عليكم) أى ما أنعم الله به
 عليكم يوم الاحزاب وهو يوم
 الخندق وكان بعد حرب
 أحد بسنة (اذكروا نعمة
 الله عليكم)

(والمهاجرين) يعنى ان ذوى القرابات أولى بعضهم ببعض فتمسخت هذه الآية الموارد بالموأخاة والهجرة
 وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الان تفعلوا الى اوليائكم معروف) يعنى الوصية للذين يتولونه من المعاقدين
 وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاحاء والهجرة أباح ان يوصى لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله
 وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمات بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم بشئ
 وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة (كان ذلك) أى الذى ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض
 (فى الكتاب) أى فى الوح المحفوظ وقيل فى التوراة (مسطورا) أى مكتوب بما ثبتا لله تعالى (واذ اخذنا
 من النبيين ميثاقهم) أى على الوفاء بما جاولوا وان صدق بعضهم بعضا ينشر بعضهم ببعض وقيل على ان
 يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحو القوم بهم (ومنك) يعنى بالحمد (ومن نوح وابراهيم وموسى
 وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكور من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرائع واولوا العزم
 من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك كرتشر بقاله وتفصيلا ولما روى البغوى باسناد العجلي عن
 أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين فى الخلق وآخهم فى البعث قال فتأد ذلك قول
 الله واخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (واخذنا منهم ميثاقا عظيما)
 أى عهدا شديدا على الوفاء بما جاولوا من تبليغ رسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعنى أخذ ميثاقهم
 لى يسأل الصادقين يعنى النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة فى سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم
 صادقون تبيكيت من أرسلا اليهم وقيل يسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم ته عز وجل وقيل ليسأل
 الصادقين بأفواههم عن صدقهم فى قولهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) قوله تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق
 (اذكروا نعمة الله عليكم) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان وموذقرية والنضير (فارسنا عليهم رجحا) يعنى
 الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطقتي نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
 الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى أرسات عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهاكت عاديا لبور وقيل الصبار يح فيها روح ما هبت على
 محزون الا ذهب خزبه قوله تعالى (وجنود الم ترها) يعنى الملائكة ولم تقاتل الملائكة لومئذ بعث الله
 عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب القساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور

وجنود) أى الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير (فارسنا عليهم رجحا) أى
 الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهاكت عاديا لبور (وجنود الم ترها) وهم الملائكة وكانوا ألقا بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شامية
 فاخصرتهم وأسفت التراب فى وجوههم وأسر الملائكة فقاعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخليل
 بعضها فى بعض وقذف فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب عسكرهم فانهم زوا من غير قتال وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري
 والنسوان فرغوا فى الاطام واشتد الخوف وكانت قريش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو
 سفيان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هزارين وضامتهم اليهود من قريظة
 والنضير ومضى على الفريقين قريش من شهر لاجرب بينهم الاتراحمى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر

وماجت الخيل بعضهاني بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول ياني
ذلان النجاء النجاء هلاوا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهم زمو امن غيبر قتال لما بعث الله عليهم من
الرب (وكان الله بما يعملون بصيرا) * (ذ ك ر غ ز وة الخندق وهي الاحزاب)

قال البخاري قال موسى بن عقيب كان في شوال سنة أربع من الهجرة ورى محمد بن اسحق عن مشايخه
قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحي بن اخطاب وكثبة بن
الربيع بن ابي الحقيق وهو ابن قيس و ثوبان الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين
خزوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدوا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل
الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا تختلف فيمن نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولي

بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى
قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقرىش سرهم ما قالوا ونشءوا والماد دعوهم اليه من حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان ٢ وقيسا وعيلان
فاجتمعوا على ذلك واخبروهم انهم سيكفونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم وخرجت
قريش وقائدهم ابوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن ذيفة بن بدر بنى فزاره
والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري في بنى مرة ومعه بنو ربيعة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من
اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان
الذى اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهده شهده سلمان مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كالمارس اذا حوصرنا ضربنا الخندق فاعلينا
فعمل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط

الخندق عام الاحزاب ثم قطع اسكلى عشرة اربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان
وجه الاقوياء فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منافق قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا
اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في
اربعين ذراعا فخرنا حتى اذا كالتحت اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروية حتى كسرت حديدنا وشقت
علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه الصخرة فلما ان بعدل عنها فان
الجدل قريب وامان يأمرنا فيها امره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركيبة فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروية من بطن الخندق
فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا منها شي قلبل ولا كثر يقرنا فيها بامرنا فانا لا نحب ان نجاوز
خطك فهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على شق الخندق واخذ عليه السلام

المعول من سلمان وضرب به ضربة صدعها ورق منها برق اضواء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كانت مصباح
في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير ففتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى اضاء ما بين لابتيها حتى لسكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير ففتح وكبر المسلمون معه ثم ضرب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها
ورق منها برق اضواء ما بين لابتيها حتى لسكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبير ففتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقي فقال يا بني انت واني يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت
مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال ارايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال
ضربت ضرب بنى الاولى فبرق البرق الذي رايتم فاضاء على منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانتها انياب
الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضرب بنى الثانية فبرق البرق الذي رايتم اضاء على

(وكان الله بما تعملون بصيرا)
أى بعملكم أيها المؤمنون
من التحصن بالخندق
والثبات على معاونة النبي
صلى الله عليه وسلم (بصيرا)
وبالبايعاء أوعى - روى بما
يعمل الكفار من البغي
والسعي في اطفاء نور الله

٢ قوله غطفان الخ كذا
بالاصل وفي المواهب خرج
اولئك اليهود حتى جاؤا
غطفان من قيس عيلان
زاد شارحها بعين مهمله
قال الجوهري وليس في
العرب عيلان غيره اه

مصحح

منها قاصور وقصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت
الثالثة فبرق الذي رأيتهم أضاء لي منها قاصور وصنعا كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة
عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا
تجيمون بميكم ويعدكم الباطل ويخبركم بأنه ينظر من يثرب قصورا الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم
انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار
والمهاجرة فلو اجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حيننا أبدا

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معن التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن من كميننا علينا * وثبت الاقدام ان لا قينا

والمشركون قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

و يرفع يامونه وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطيه رجعنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى تراءت مجتمع مع الاسيال من رومة من الجرف والغاية في
عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد
حتى نزلوا بذي ناعم الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ناطقهم
الى سلم في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراي والنساء
فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حبي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب
عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن
أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فإبى أن يفتح له فناداه حبي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حبي انك
امرؤ مشؤم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء صدق فقال ويحك افتح أكل
قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الاخوفان آكل معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب
جئت بك بعز الدهر وبجر طام جئت بك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم مجتمع الاسيال من رومة
وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي ناعم الى جانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني ان لا يبرحوا
حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجحام قد هرق ماؤه ويرعد ويرق ليس
فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا وفاء فلم يزل حبي بن أخطب يكعب يقتله في الذروة
والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك
في حصنك حتى يصيدني ما أصابك فنعض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عباد أحد بني ساعدة وهو يومئذ
سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج ونخواب بن جبير أخو بني عمرو بن
عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما باعنا عن هؤلاء القوم أحق أم لافان كان حقا فالحقوا الى الحنا عرفة ولا
تفتوا العضاة الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهر وابه للناس فخر جواحتي أتوهم فوجدوهم
على أنجبت ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نعقد بيننا وبينه ولا عهد فشتائم سعد
ابن عباد وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشائمهم فما بيننا وبينهم أرى من
المشائمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئلوا قالوا عضل والقارة اجذر

عضل القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجب خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر وأشرف وأيام عشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم
 من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجس النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن
 قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن كل كنوز كسرى وقصر واحدنا لا يقدر أن يذهب إلى
 الغائب ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال اوس بن قبيلى احد بنى حارثة يارسول الله ان بيوتنا لعورة من
 العدو وذلك على الملامن رجال قومه فأذن لنا فاترجع الى ديارنا فانما خرجت من المدينة فأقام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قرييما من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرى بالنبل
 والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن وإلى الحرث بن
 عوف وهما قائد اعظمان فاعطاهما ثلث عمارة المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه فخرج بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة نذ ك ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فبقيا لارسول الله أنى أمرك الله به لا بد لنا من العمل به
 أم أمر تحبه فتصنعه أم شئ تصنعه لنا قال بلى شئ أصنع لكم والله ما أصنع ذلك الا انى قد رأيت العرب قد
 رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ
 يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لان عبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون ان
 يأكلوا منا مرة واحدة الا فرى أو يعافين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بلك نعطيهم أموالنا ما لنا من
 حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول
 سعد الصحيفة فجاءها فبها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
 وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن قوارس من قريش عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤى
 وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب والخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومراد بن اخو
 بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخر جواعلى خيله ثم فروا على بنى كنانة فقالوا تمهوا الحرب يا بنى كنانة
 فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت
 العرب تكيدها ثم تبهموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين
 الخندق وسلع وخرج على بن ابي طالب فى نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها واقبلت
 الفرسان تعقب نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد أحد الا لما كان يوم
 الخندق خرج مع عبد البرى مكانه فلما وقف هو وخيب له قال على بن عامر وانك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل
 من قريش الى خلتين الا أخذت منه احدا ما قال أجل قال له على فانى أدعوك الى الله ورسوله وإلى
 الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال انى أدعوك الى النزال قال ولم يابن أخى فوالله ما أحب انى أقنك فقال على
 لكفى والله أحب ان أقنك فجمى عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه فخره أو ضرب بوجهه ثم أقبل على على
 فتناولا وتجاوزا لا يقتله على وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان
 منهم بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بحكمة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى
 وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموا بالحجارة فقال يامعشر العرب قتله أحسن من هذه فنزل اليه على فقتله
 فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا حاجة لنا فى جسده وثمنه فشانسكم به نخلي بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق
 فى حصن بنى حارثة وكان من أحر وحصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا فى الحصن وذلك قبل أن يضرب
 علينا الحجاب فرسعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعها كلها وفى يده حربة وهو يقول * لا بأس
 بالوت اذا حان الاجل * فقالت له الحق يا بنى فقد والله اخترت قالت عائشة فقالت يا أم سعد والله لو ددت أن
 درع سعد كانت أسبغ مماهى ونحفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه

الوادي من قبل المغرب
قريش (واذراغت الابصار)
مالت عن سننها ومستوى
نظرها حيرة أو عدلت عن
كل شيء فلم تلقت الا الى
عدوها لشدة الروع
(و بلغت القلوب الحناجر)
الخجيرة رأس الغاصقة وهي
منتهى الخلقوم والخلقوم
مدخل الطعام والشراب
قالوا اذا انتفتحت الرئة من
شدة الفزع أو الغضب
ربت وارتفع القلب
بارتفاعها الى رأس الخجيرة
وقيل هو مثل في اضطراب
القلوب وان لم تبلغ الحناجر
حقيقة قريش وان المسلمين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من شيء نقوله فقد
بلغت القلوب الحناجر قال
نعم قولوا اللهم استر عورتنا
وأمن روعاتنا (وتظنون
بالله الظنون) خطاب للذين
آمنوا ومنهم الثابت القلوب
والاقدام والضعاف القلوب
الذين هم على حرف
والمنافقون فظن الاولون
بالله انهم يبتليهم فافوا
الزلل وضعف الاحتمال
وأما الاخر فظنوا بالله
ماحتى عنهم قرأ أبو عمرو
وحزرة الفنون بعير ألف في
الوصل والوقف وهو القياس
وبالالف فهم ما مدني وشامي
وأبو بكر احراء للوصل
مجري الوقف وبالالف في
الوقف مكي وعلى وحفص
ومثله الرسول والسيد لا

الرسول بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم من مسعود لخلق ما يريد القوم الا ان يقابلوا فان وجدوا فرصة انتهرها
وان كان غيبه يرد ذلك شهر والى بلادهم وخالوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسوا الى قريش وغطفان
انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطوا نارها فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شامية
شديدة البرد فجعلت تكفأ قلوبهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماختلف
من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلالور وي محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد
عن محمد بن كعب القرظي وروي غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن
اليمان يا أبا عبد الله أيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه تموه قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون
قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدر كاهم ما تركناه على الأرض ولجئنا على أعناقنا لخدمناهم وفعلمنا
معهم ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من
يذهب الى هؤلاء القوم فيأتيهم يخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو نومان الليل ثم التفت اليها فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نومان
من الليل ثم التفت اليها فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيق في الجنة فما قام
رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما رآهم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا حذيفة ولم يكن لي بدمن القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى
أيتيه فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تتحدثن شيئا حتى
ترجع الي ثم قال اللهم احفظهم من بين يدي ومن خلفي وعن يمينه وعن شماله ومن فوقهم ومن تحته فأخذت
سهمي وشدت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد
أرسل الله عليهم - مريحوا جنودا و جنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقبلهم قدر اولانا ولا نار اولاننا قال وأبو سفيان
قاعا يصطلي فأخذت سهمها فوضعتها في كبد قوسي فاردت ان أرميه ونور ميتة لاصبته فذكرت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تتحدثن حدنا حتى ترجع فرددت سهمي في كائني فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح
وجنود الله بهم لا تقبلهم قدر اولانا ولا نار اولاننا فقال يا معشر قريش لياخذ كل منكم بيد جلسيه فليظن من
هو فأخذت بيد جلسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هو اذن فقال أبو
سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحت بداره مقام لقد هلك الكراع والخف وأخافتنا بنو قريظة
و باغنا عنهم الذي نسكروه واقينامن هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جله وهو معقول فجلس
عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فأطلق عقاله الا وهو قائم وسعدت غطفان بما فعل قريش فاستمر وارجع
الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كائني أمشي في حمام فأيتته وهو قائم صلى فلما سلم
أخبرته فضحك حتى بدت أنبابه في سواد الليل فلما أخذ برته وفرغت قريش وذهب عني الدفاء فأدقاني النبي
صلى الله عليه وسلم فأنامني عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدري بطن قدميه فلم أزل نائم حتى
أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (اذجاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل
المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان
ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحوي بن أخطب في جهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من
بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكثانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الاعداء عمرو
ابن سفيان السلمي من قبل الحندق وكان الذي حرق غزوة الحندق فيما قبل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني النضير من ديارهم (واذراغت الابصار) أي مالت وشخصت من الريب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر
الى عدوها (و بلغت القلوب الحناجر) أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الخلقوم من الفزع والخجيرة تجوف
الخلقوم وهذا على التمثيل عبره عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان
تنتفخ رئته واذا انتفتحت رئته رفعت القلب الى الخجيرة فلها يقال للجان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا)

(هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا بالصبر على الاعمال (وزلوا وزلوا لشدتها) وحركوا بالحولف نحر يكابليغا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو وكقوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكتبية في الزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستعملونهم باذخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) روى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال بعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لامقام لكم) وبضم الميم حفص أى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر أو من عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أى بنو حارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ذات عورة (وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا) العورة الخلس والعورة ذات العورة وهى فرعاء بن عباس يقال عور المكان عورا اذا بدا منه خال يخاف (٤٥٨) منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة واعتذر وان بيوتهم عرضة للعدو

والسارق لانها غير محصنة فاستأذنه ليجنونها ثم رجعوا اليها فكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولودخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أى ولودخلت هذه العساكر المتخربة التي يفر ونخوفا منها ما ينتهس أو بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهلهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفرع (الفتنة) أى الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين (لا توهأ) لا عطفوها لا توهأ بلا مد سجازى أى لجأوها وفعلوها (وماتلبثوا بها) باجابتها (الايبريا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو مالبشوا بالمدينة

أى اختلقت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) أى عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصار والقتال اليقين المخلصون من المنافقين (وزلوا وزلوا لاشديدا) أى حركوا حركة شديدة (واذ يقول المنافقون) يعنى معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أى شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول أهل النفاق بعدنا محمد فتح الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز زرحه هذا هو الغرور (وقوله تعالى) (واذ قالت طائفة منهم) أى من المنافقين وهم أوس بن قيطى وأصحابه (يا أهل يثرب) يعنى بأهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها فى قديم الزمان وفى بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هى طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التريب وهو التقرب والبيع والتويج (لامقام لكم) أى لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أى الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعنى بنى حارثة وبنى سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى خالية ضائعة وهى مما يبلى العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا) أى انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولودخلت عليهم من أقطارها) يعنى لودخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أى الشرك (لا توهأ) أى لجأوها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام (وماتلبثوا بها) أى ما احتبسوا عن الفتنة (الايبريا) أى لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى هم كوا (وقوله عز وجل) (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الا دبار) أى لا ينهزمون قبلهم بنو حارثة هم بنو حارثة هم اليوم أحدان يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر فامارأ واما أعطى الله أهل بدر من الكرامات والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قة لاننا نقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أى عنده فى الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) يعنى الذى كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (واذا لا تمتعون) أى بعد الفرار (الاقبلا) أى مدة آجالكم وهى قليل (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يمنعكم (من الله ان أراد بكم سوءا) أى هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أى نصرا (ولا يجردون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أى

بعد ارتدادهم الايبريا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعلون باعورار بيوتهم ليغروا عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرنا والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملوهم هولاء وعباوه هولاء الاحزاب كهم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه ومانعوا بشئ وما ذلك الا لقتلهم الاسلام وحبهم الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الا دبار) منهزمين (وكان عهد الله مسؤلا) مطابعا بمقتضى حتى يوفى به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا) أى ان كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم تمتمتم وفى الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض الروايات انه مر بحائط مائل فاسرع فقلت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطاب (قل من ذا الذى يعصمكم من الله) أى من أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوءا) فى أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أى اطالة عمرى فى حافية وسلامه أو من يمنع الله من ان يرحمكم ان أراد بكم رحمة فى العصمة من معنى النزع (ولا يجردون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصرنا

(قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعرف عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يجمع وهم المنافقون (والقاتلين لأخوانهم) في الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أي قروا أنفسكم الينا ودعوا محمد وهى لغة أهل الحجاز فانهم يسرون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال وهو صوت سمى به فعل متعدي نحووا وحضروا وقرب (ولا يأتون البأس) أي الحرب (الاقليلا) الا تينا قليلا أي يحضرون ساعة رباوع ويقفون قليلا مقدرا ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشحة) جمع شحج وهو الخيل نصب على الخال من الضمير في ياتون أي ياتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو وأمنه عليه السلام (٤٥٩) (رايتهم ينظرون اليك) في تلك الحالة

(تدور أعينهم) عينا وشمالا
(كالذى يغشى عليه من الموت) كذا نظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حسدرا وخوفا ولو اذالك (فاذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وخرت الغنائم (سلقوكم بالسنة حسدا) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مساق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فاناد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكنا غلبتم عدوكم (أشحة على الخير) أي خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) في الحقيقة بل بالاسنة (فاحبط الله أعمالهم) أبطل باضمارهم الكفر ما أظهروه من الاعمال (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا بحسبون الاحزاب لم يذهبوا أي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد

ناصر اعينهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المتثقلين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقاتلين لأخوانهم هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانما تخاف عليكم الهلاك قبل هم أناس من المنافقين كانوا يبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه الا كما فرأس ولو كانوا الجمال لهمم أي ابلت لهم اوسفيان واصحابه يدعو الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملك على قتل نفسك بيد أي سفيان ومن معهم فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحد او انما نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبد الله بن أبي ابن سلول واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحد اما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطأوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين الا ايمانوا وحسبا ما يقوله تعالى (ولا يأتون البأس) يعني الحرب (الاقليلا) أي رباوع وسعة من غير احساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كبير (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة ووصفهم الله بالخيل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذى يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بالاسنة حسدا) أي ذرية تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغنيمة وقيل بسطوا السننهم فيكم وقت قسمه الغنيمة يقولون اعطونا فانما شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فانهم عند الغنيمة أن يجمع قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قبل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي احباط أعمالهم مع كل شيء على الله يسير (وقوله تعالى يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعني قريشا وعطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفروا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) أي يمتنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسئلون عن أنبائكم) أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ماقاتلوا الاقليلا) يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رباوع من غير احساب (وقوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ قد كسرت رباوعته وجرح وجهه وقتل عمه وأذى بضروب الاذى فصرروا ساكن مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء

انصرفوا (وان يأت الاحزاب) كرهانية (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) البادون جمع البادى أي يمتنى المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية طاصون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا ما فيه الخوف من القتال (يسئلون) كل قام منهم من جانب المدينة (عن أنبائكم) عن أخباركم وعماجري عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الاقليلا) رباوع وسعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي قدوة وهو المؤمنى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشر من مناخيد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد وفيه خصلة من حقه ان يؤتى بها حيث قاتل بنفسه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يامل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب وقيل

ان يتعلق بحسنة أى أسوة حسنة كما تعلمن كان (وذ كبر الله كثيرا) أى فى الحروف والراء والشدة والراء (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) وعدهم الله ان يزلوا حتى يستغيثوه ويستنصره ويقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قرييب فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعلم ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحجبه ان الاحزاب سائرتم اليكم فى آخر سبع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا (٤٦٠) اشارة الى الخطب والبلاء (وما زادهم) ما رأوا من اجتماع الاحزاب عليهم ومحببتهم (الايمان)

بأنه وجوا عيده (وتسليما) لغضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى فيما عاهدوه عليه فذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكرة أى صدقنى فى سن بكرة بطرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا القوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطهحة وسعد بن زيد وحزرة وصعب وغيرهم (فمنهم من قضى نجبه) أى مات شهيدا كحزرة وصعب وقضاء النجيب صار عبارة عن الموت لان كل حى من المحدثات لا بد له ان يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته فاذا مات فقد قضى نجبه أى نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أى على الشهادة كعثمان وطهحة (وما بدلوا) العهد (تبديلا) ولا غيره ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض لمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب كما مر فى قوله تعالى واقعد كانوا

(وذ كبر الله كثيرا) أى فى جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أى قالوا ذلك تسليما بالامر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) أى فيما وعدوا وهو فى مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم صدق الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة فى جميع ما وعد فيقع السكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تحققهم شدة وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الايمانا) أى تصديقا لله (وتسليما) أى لامر الله بقوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نجبه) أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نجبه يعنى أجله فقتل على الوفاء يعنى حجرة وأصحابه وقيل قضى نجبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهد وقيل قضى نجبه استشهد يوم بدر أو أحد (ومنهم من ينتظر) يعنى من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامر من اما الشهادة أو النصر على الاعداء (وما بدلوا) يعنى عهدهم (تبديلا) (ق) عن أنس قال غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتات المشركين اثنى أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم انى أعترذ اليك بما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى أجدر يحمان دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فاعرفه أحد الأختمة بيننا قال أنس كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفى اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوق أجرامنا على الله فذمان مات ولم ياكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك ثمرة وكنا اذا غطيناها بأرأسه بدت رجلاه واذا غطيناها بجلية بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجله من الاخير ومنمان أينعت له ثمرته فهو يهدى بها النمرة كسماه لولن من صوف وقوله ومنمان أينعت أى أدركت ونضبت له ثمرته وهذه استعاره لفتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدى بها أى يجتنبها ويقطفها عن أبي موسى ابن طهحة قال دخلت على معاوية فقال ألا بشر لك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طهحة ممن قضى نجبه أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طهحة شلاء وفى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) أى فيهدى بهم الى الايمان ويشرح له صدورهم (ان الله كان غفورا رحيمًا وورد الله الذين كفروا) أى من قريش وعطفان (بغيتهم) أى لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا (لم ينالوا خيرا) أى ظفروا (وكفى الله المؤمنين القتال) أى بالملائكة والريح (وكان الله قويا)

عاهدوا الله من قبل لا يولون الا الديار (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذا لم يتوبوا (او يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) يقبل التوبة (رحيما) بعفو الحوبة جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما وعد الصادقين عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبتهم من الثواب والعقاب فكأنهم استويا فى طلبها والسعي فى تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيتهم) حال اى مغيبين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا) ظفروا بالمسلمين وسماه خبر ابرعهم وهو حال اى غير ظافرين (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا)

عزيراً) قادرًا على (وانزل الله الذين ظاهروهم) عاونوا الاحزاب (من اهل الكتاب) من بني قريظة (من صبا صهيهم) من خصوصهم الصبيحة
ما تحسن به روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليلة التي (٤٦١) انهم زعم فيها الاحزاب ورجع المسلمون
الى المدينة ووضعوا سلاحهم

الى المدينة ووضعوا سلاحهم
على فرسه الحيزوم والغبار
على وجهه الفرس وعلى
السرّج فقال ما هذا
يا جبريل قال من متابعة
قريش فقال يا رسول الله
ان الله يامر بك بالسير الى
بني قريظة وانا اعمد اليهم
فان الله دافعهم دق البيض
على الصفا وانهم لكم طعمة
فاذن في الناس ان من كان
سامعاً مطيعاً فلا يصلى
العصر الا في بني قريظة
فحاصروهم خمسة وعشرين
ليلة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنزلون على
حكمي فابوا فقال على
حكم سعد بن معاذ فرضوا
به فقال سعد حكمت فيهم
ان تقتل مقاتلتهم وتسبي
ذرائعهم ونسأؤهم فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله
من فوق سبعة اربعة ثم
استنزلهم وخذق في سوق
المدينة خندقاً وقدمهم
فضرب أعناقهم وهم من
ثمانمائة الى تسعمائة وقيل
كانوا ستمائة مقاتل
وسبعمائة أسير (وقذف
في قلوبهم الرعب) الخوف
ويضم العين شامى وعلى
ونصب (قريظة) بقوله
(تقتلون) وهم الرجال
(وتأسرون قريظة) وهم
النساء والزراري (وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم)

أى فى ملكه (عزيراً) أى فى انتقامه ﴿ قوله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أى عاونوا
الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من
صبا صهيهم) أى من خصوصهم ومعافاتهم واحدها صبيحة (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف (قريظة
تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون قريظة) يعنى النساء والزراري يقال كانوا سبعمائة
قيل وخسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضانم تطوؤها) يعنى بعد قبيل هى خيبر ويقال انها
مكة وقيل فارس والروم وقيل هى كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شىء قديراً)
* (ذ ك ر غ ز وقى قريظة) *

قيل كانت فى آخر ذى القعدة سنة خمس وعلى قول البخارى المتقدم فى غزوة الخندق عن موسى بن عقبه أنها
كانت فى سنة أربع قال العلماء بالسيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من اليلة التى انصرف
الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح
فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمامة من استبرق على بغلة
بضاء عليها حالة وعليها قطفية من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ريب بنت جحش وهى تغسل
رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت
الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الا الآن الامن طلب القوم ووروى انه كان الغبار على وجه
جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يأمرك
بالسير الى بني قريظة وانا اعمد الى بني قريظة فانهم زاليم فيهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى
زلزال ولبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً فاذن ان من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلى العصر الا في بني
قريظة وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب برأيه اليهم واستدبرها الناس وسار على حتى اذا
دنا من الحصون وسمع منها قالة فيجئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا علمك ان لا تدنومن هؤلاء الا نابت قال أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم
يا رسول الله قال لو قدر أنى لم يقولوا من ذلك شياً فلما دار رسول الله صلى الله عليه وسلم من خصوصهم قال
يا اخوان القرية قد أخرجكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ومر رسول الله صلى الله عليه
وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بني قريظة فقال هل منكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية بن
خليفة على بغلة بضاء عليها حالة وعليها قطفية من ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام بعث
الى بني قريظة ينزل بهم خصوصهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة
نزل على بئر من آبارها فى ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأنار جال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا
العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فصلاوا العصر ثم بعد العشاء
الاخيرة فباعهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصروهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمسة وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حبي بن أخطب يدخل
على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لسعد بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد ما عشرين يوماً انكم قد نزل
بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالاً لا نالنا فخذوا أيها شتمت قالوا وما هن قال نتابعه هذا الرجل
ونصدقه فوالله قد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذى تجدون فى كتابكم فتؤمنون على دياركم وأموالكم وابنائكم
ونسائكم فقالوا الانفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيت هذه فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا
ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالاً مسلمين بالسيف ولا نترك وراءنا قلائد من حنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد

أى المواشى والنقود والامعة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم فى منازلكم
(وأرضانم تطوؤها) بقصد القتال وهى مكة وفارس والروم وأخيه برأ وكل أرض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شىء قادراً)

فانهم لما نزلوا ولم يتركوا راء ناسياً تخشى عليهم وان نظهر فاعمرى المتخذن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء
 المساكين فبافى العيش بعدهم خير قال فان أبيتهم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد
 آمنوا فأتوا فقلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا
 الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه حازم الليلة من الدهر ثم
 انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت لنا بالبابية بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
 حلفاء الاوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام اليه الرجال والنساء
 والصبيان يبكون في وجهه ففرق لهم فقالوا يا أبا البابية اترى ان نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقة
 انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه
 ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى رباط في المسجد الى عمود من عمده وقال والله لا أرحم مكاني حتى يتوب الله
 علي مما صنعت وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما
 بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعلت فما أنا بالذي
 أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أتزل قوبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت
 أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت ثم ضحكت يا رسول الله اضحك الله
 سنك قال تيب علي أبي لبابة فقلت الا أبشر بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت علي باب حجرتها
 وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا البابية أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه
 فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما سر عليه حار جالي الصبح أطلقه قال ثم ان ثعلبة
 ابن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق
 ذلك هم بنوعم القوم أسلموا تلك الليلة التي تزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج
 في تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة
 الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمر وقد أي أن يدخل مع بني قريظة
 في غد بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أعدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم
 لا تخبر مني من عثرات الكرام نغلي سبيله نخرج علي وجهه حتى بان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من أرض الله فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال
 ذلك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة فبين أوثق من بني قريظة حين تزلوا على
 حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصحت رتمه ملقاة ولا يدري اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا تزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم
 موالينادون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فساله اياهم عبد الله بن أبي اسول
 فوجههم له فلما كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل
 منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة
 امرأه من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى وتحنسب بنفسها على خدمته من كانت به ضيعة من
 المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة
 حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أناه قومه فمأوه على حمار قد
 وطأه وسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا
 عمرو وأجسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما واولك ذلك التحسن فيهم فلما أكثر واعليه
 قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني الأشهل فغنى
 لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كاهته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا ابا عبد الله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد ولاك مواليك فحكهم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
 وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اجلاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال
 وتسي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة اربعة
 ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث من نساء بني النخار ثم خرج رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بها اخنادق ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في تلك
 الخنادق يخرجهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حتى بن اخطب وكعب بن اسد وراس القوم وهم ستمائة و
 سبع مائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال اني كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي
 لا يتزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه
 وسلم واتى بحبي بن اخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الاغلة اغلة اغلة
 لثلاثين يوما حتى يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ماتت نفسي في
 عدوتك ولكنك من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا باس باس بامر الله كذب وقد
 والحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة
 الا امرأته واحدة قالت والله انها العندی تخدث في وتضحك ظهر او بطن او رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقتل رجالهم بالسيف اذ هتفها تف باسها من فلانة قالت انا والله قتلت ويالك مالك قالت اقتل قتلت ولم قالت
 حدثنا احدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما انسى عجبها منها طيب نفس وكثرة ضحك
 وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خدادين سو يد
 قال وكان على والزبير بضر بان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن
 اسحق عن الزهري ان الزبير بن ابا القريظي ويكنى ابا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس
 في الجاهلية يوم بعث اخذته فجزنا صيته ثم حلى سبيله فباعه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل
 تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني اريد ان اخزيتك يدك عندي قال ان الكرم يجزي الكرم قال
 ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يدوله على منة وقد احببت
 ان اخزيه بما اذهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فانه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد وهب لي دمه قال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فباي صنع بالحياة فاني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا رسول الله اهل له واولاده فقال هم لك فانه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امرأتك وولدك
 فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فباي قواؤهم على ذلك فاني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله
 يا رسول الله قال هو لك فانه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني ماله فهو لك فقال اي ثابت
 ما فعل الذي كان وجهه مر آصينية تتراعى فيه عداوى الحى كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا
 شددنا وجامعتنا اذا كثر رناعزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو
 ابن قريظة قال قتلوا قال فاني اسألك بيدى عندك يا ثابت الاما الحقنني بالقوم فوالله ما في العيش بعدهؤلاء
 من خير فسا انا بصر حتى اتقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله حتى يلقي
 الاحبة قال باقاهم والله في نار جهنم خالد الخلد ابدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من
 أدبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سهمين للخيول وسهما للرجال
 فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس وللفارس سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة
 وثلاثين فرسا وكان اول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري

يقوله من في المكان المرتفع
لمن في المكان المستوي
ثم كثر حتى استوى في
استعماله الامكنة ومعنى
تعالين اقبلن بارادة تكين
واختيار كن لاحد الامرين
ولم يرد نهوضهن اليه
بانفسهن كقوله قام يهددني
(أمتعكن) أعطكن
متعته الطلاق وتستحب
المتعة لكل مطلقه الا
المفوضة قبل الوطء
(وأسرحكن) وأطلقكن
(سرا حاجبلا) لا ضرار فيه
اردن شيئا من الدينامن
ثياب وزيادة نفقة وتعاون
فغم ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فبدأ
بعائشة رضي الله عنها
وكانت أحسن اليه فخيرها
وقرأ عليها القرآن فاخترت
الله ورسوله والدار الآخرة
فرؤى الفرخ في وجهه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اختار جميعهن
اختيارها وروى انه قال
لعائشة اني اذا كررك أمرا
ولا عليك أن لا تجعلي فيه
حتى تستأمرى ابويك ثم
قرأ عليها القرآن فقالت
أفنى هذا استأمر ابوي فاني
أريد الله ورسوله والدار
الآخرة وحكم التخيير في
الطلاق انه اذا قال لها
اخترى فقالت اخترت
نفسى ان تقع نطليقة بائنة
واذا اخترت زوجهم يقع

أحبابي الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم مائة بنت عمر وبن خنانة احدى نساء بني عمر وبن قريظة فكانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس على ان
يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعلى كفا وقد
كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد في نفسه
بذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا الشعلبة بن شعبة يبشرني باسلام
ريحانة فغاه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسر ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن
معاذ وذلك انه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الي ان
اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقه له وان كنت
قد قطعت الحرب بينه وبينهم فابقضني اليك فانفق بجر كما هم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي
ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس محمد
بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابى بكر وانى لى حجرى قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم (خ)
عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب الا ان تغزوهم ولا
يغزونا نحن نسير اليهم (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له أعز جند ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا تثنى بعده ﷺ قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين ام تعكن) اي متعة الطلاق (واسرحكن سرا حاجبلا) اي من غير
ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منسكنا اجرا عظيما) سبب نزول
هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألهن عن عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه
بغيره بعضهن على بعض فخيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى ان لا يقرهن شهر ولم يخرج الى أصحابه
فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لعلى انكم شأنه قال فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اطلقهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد
والمساكين يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأترى اني فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت
فتمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية
ولوروده الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكانت انا استنبطت هذا الامر وانزل
الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت ابي
بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت ابي سفيان وأم سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة وأربع غير قريشيات
وهن زينب بنت جحش الاسديّة وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية
بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحسن اليه
فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرخ في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتاب عنها على ذلك فلما اخترت الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك
النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
الناس جلوسا يبابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فاذن له فوجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجاسا كتفا فقال لا قون شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجات عندها فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى بسألتني النفقة فقمام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنها وقام عمر الى حفصة
فوجأ عنها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسأل رسول الله صلى

الله
شيء وعن علي رضي الله عنه اذا اخترت زوجها فواحدة رجعية وان اخترت نفسها فواحدة بائنة
(وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منسكنا) (من البيان لا التبعض) (أجر اعظيما)

بأنساء النبي من يات منكن بفاحشة (سنة بليغة في القبح) طاهر فحشها من بين بمعنى تبين وبتفخ البيعة مكي وأبو بكر قيل هي عصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهم وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (٤٦٥) (يضاعف لها العذاب) يضعف لها

العذاب مكي وشأى فضعف أبو عمرو وزيديو يعقوب (ضعفين) ضعفي عذاب غيرهن من النساء لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر (وكان ذلك) أى تضعيف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا (ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نورا) وبالبيعة فيه - ما حرة وعلى (أجرها مرتين) مثل ثواب غيرها (وأعدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة (بأنساء النبي لستن كما حدمن النساء) أى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصت أمة النساء جماعة تعلم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وأحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكور والمؤنث

الله عليه وسلم شيئا أبديس عنده ثم اعترلهن شهرا أو تسعاً وعشرين حتى نزلت هذه الآية بأمر النبي قل لزوجك ان كنتين حتى بلغ للمحسنت من منكن أجراً عظيماً قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة انى أريدان أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيري أبو بكر قالت وما هو يا رسول الله فتدلى عليها الآية قالت أفبئس رسول الله أستشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تخبر امرأة من نساءك بالذى قلت قال لا تسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يعنى بمعنوا ولا متعنتا ولكن بعنى معلما مبشرا قوله واجما أى مهمما والواجم الذى أسكنه اللهم وعلته الكفاية وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أى دفقته وقوله لم يعنى بمعنوا المشقة والصعوبة (م) عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم ان لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأني فقالت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين من أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون * (فصل في حكم الآية) * اختلف العلماء في هذا الخبر هل كان ذلك تقوى يرضى الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تقوى يرضى الطلاق وانما اخبرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعن وأسرحنك بديله لانه لم يكن جوابا من على الفور وان قال لعائشة لا تعجلى حتى تستشيري أبويك وفي تقوى يرضى الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى أنه كان تقوى يرضى الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا * التفرع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا خير الرجل امرأة فاخترت زوجها لا يقع شيء وان اخترت نفسها يقع طلاقه واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي لبيد وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الا أن عند أصحاب الرأي يقع طلاقه مائة اذا اخترت نفسها وعند الآخر من رجعة وقال زيد بن ثابت اذا اخترت الزوج يقع طلاقه واحدة واذا اخترت نفسها ثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي انها اذا اخترت زوجها يقع طلاقه واحدة واذا اخترت نفسها فطلقته بانسه أو أكثر العلماء على انها اذا اخترت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما بالي خيرت امرأتى واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضيت الله عنها فقالت خيرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا * قوله تعالى (بأنساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة) أى بمعصية طاهرة قيل هو قوله لئن أشركت أحببنا منكم لان منهن من أتت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالأمم منسبين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحررة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) أى عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أى تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نورا) أى مثل ثواب غيرها (وأعدنا لها رزقا كريما) أى الجنة * قوله تعالى (بأنساء النبي لستن كما حدمن النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدر كن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى (ان اتقين) يعنى الله فاطعته فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) أى لا تلتن بالقول للرجال ولا ترفقن الكلام (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تعان قولاً لا يجيد المناقاة والفاجرة سبيلا الى الطامع فيكن والمرأة مندوبة

والواحد وما وراءه (ان اتقين) ان أردت التقوى أو ان كنتين متقيات (٥٩ - خازن) - ثالث) (فلا تخضعن بالقول) أى اذا كلتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجتن بقولكن خاضعا أى لينا خشا مثل كلام الرييات (فيطمع) بالنصب على جواب النهى (الذى فى قلبه مرض) ريبه وفجور

(وقلن قولاً معروفاً) حسنة مع كونه خشناً (وقرن) مدني وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فحذفت الراء تخفيفاً وألغيت فتحتهما على ما قبلها أو من قار يقار إذا اجتمع والباقون قرن من وقر يقرو قاراً أو من قر يقرو حذفت الأولى من راءى اقررن فرار من التكرار ونقلت كسرتها الى القاف (في بيوتكن) بضم الباء (٤٦٦) بصرى ومدني وحفص (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) أى القديمة والتبرج التختير

في المشى أو اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى وهى الزمان الذى ولد فيه ابراهيم أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام أو زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام أو الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام (وأقن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) خص الصلوة والزكوة بالامر ثم عم بجميع الطاعات تفضيلاً لهما لأن من واطب عليهما جزاها كما واطب عليهما (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفيه دليل على ان نساء من أهل بيته وقال عنكم لانه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة (ويطهركم تطهيرا) من نجاسة الأتنام ثم بين انه انما هما هن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم ولو تصوفوا عنها بالتقوى واستعمار

الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولاً معروفاً) أى بوجه الدين والاسلام عند الحاجة اليه يبدان من غير خضوع وقيل القول المعروف فذكر الله تعالى ﴿قوله عز وجل﴾ (وقرن في بيوتكن) أى الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوفا رأى كمن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التمسك والتعجب والتجتر وقيل هو اظهار الزينة وازرار المحاسن للرجال (الجاهلية الأولى) قيل الجاهلية الأولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قيصاً من الدر غير مخيط الجانبين فهى خلفها منه وقيل كان في زمن غرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتغشى به وسط الطريق ليس عابها شئ غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الأولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباها في النساء دمامة وكان نساء السهل صباها في الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجره نفسه وكان يتخدمه ويتخذ شيئاً مثل الذى يزره الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانهم يستمعون اليه ويتخذوا عيدا يحتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وان رجال من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فزكوا معهم وظهرت الفاحشة فبهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الاسلام والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكروا الأولى وان لم تكن لها أخرى (وأقن الصلوة أى الواجبة) (وآتين الزكوة) أى المفروض (وأطعن الله ورسوله) أى فيما أمر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الأثم الذى نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل السوء (أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وأتلف قوله تعالى واذا كرتن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة وقائل وذهب أبو سعيد الخدرى وجاعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم هم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فانت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال وبالجمجمة المنقوش عليه صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألسنت من أهل البيت فقال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فإلهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ﴿قوله تعالى﴾ (واذا كرتن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) يعنى القرآن (والحكمة) قيل هى السنة وقيل هى أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفاً)

الذنوب الرجس والتقوى الطهر لان عرض المقررف لله مقبحات يتلوث بها كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالعرض منها تقي كالثوب الطاهر وفيه تقيير لاولى الابواب عن المناهى وترغيب لهم فى الاوامر (واذا كرتن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أى السنة أو بيان معانى القرآن (ان الله كان لطيفاً) عالماً بما يغواض الاشياء

والخبر ما يخبر ودل ذلك على ان الامر للو جوب (ومن بعض الله ورسوله فقد ضل لا مينا) فان كان العصيان عصيانا ردوا مشاع عن
القبول فهو وضلال كفر وان كان (٤٦٨) عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو وضلال خطأ وفسق (واذ تقول للذي انعم

الله عليه) بالاسلام الذي هو أجل النعمة (وانعمت عليه) بالاعتناق والتبني فهو متقلب في نعمه الله ونعمه رسوله وهو زيب بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زيب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوعدت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تحبها وتنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زيب بالسبيحة فذكرتها لزيد فظن وألقى الله في نفسه كراهة فصحبها والرغبة عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أربك منها شي قال لا والله ما أيت منها الا خيرا ولكنها تعظم على لسرفها وتؤذي فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو تمنى تنزيهه اذا الاولى ان لا يطلق أو واتق الله فلا تنمها بالنسبة الى الكبير وأذى الزوج (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) أى تخفى في نفسك نكاحها ان طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى وقيل الذى أخفى في نفسه تعلق قلبه بها

النبي صلى الله عليه وسلم خطب زيب لولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيد بنى الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيب رضيت ونظت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أتت ابنة عمك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كرهه أخوه اذ ذلك فانزل الله تعالى وما كان يؤمن بعنى عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعنى أخته زيب اذا قضى الله ورسوله أمرى بى ان يزوجها من أى امرئ يريد غير ما أريد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به (ومن بعض الله ورسوله فقد ضل لا مينا) أى أخطأ خطأ ظاهر فلما سمعت بذلك زيب وأخوها رضيا وسلمما جعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما ودرعاً ومحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعاً من تمر **قوله عز وجل** (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية تزيت في زيب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها من زيد مكثت عنده حينما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زيب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش ووقعت في نفسه وأعجبته حسناتها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرته ذلك فظن زيد وألقى في نفسه كراهية تها في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك أربك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما أيت منها الا خيرا ولكنها تعظم على بشرتها وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل (واذ تقول للذي انعم الله عليه أى بالاسلام وانعمت عليه أى بالاعتناق وهو زيد بن حارثة مولاة أمسك عليك زوجك يعنى زيب بنت جحش (واتق الله) أى فيها ولا تفارقها) (وتخفى في نفسك) أى تسر وتضمهر في نفسك (ما الله مبديه) أى مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس صحبا قريش ودأته طلقها (وتخفى الناس) قال ابن عباس تسخيمهم وقيل تخفى لانتهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمرو بن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكنتم هذه الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

*** (فصل) *** فان قلت ماذا كره في تفسير هذه الآية وسبب تزواها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما آهوا وادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعيه لما نسي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا أقدم عظيم من قائله وقوله معرف فبحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال آهافا عجيبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها ليدفلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بما ساء كها وهو يجب تظلمه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سليمان بن عيينة عن علي بن زيد بن جده ان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخفى في نفسك ما الله مبديه) أى تخفى في نفسك نكاحها ان طلقها زيد وهو الذى أبداه الله تعالى وقيل الذى أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيدا اياها والواو في وتخفى في نفسك (أى قاله الناس) أى قاله الناس انه نكح امرأته (والله أحق أن تخشاه) واوالحال أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك تخفيا في نفسك ارادة أن لا يسكها وتخفى ناشيا قاله الناس وتخشى الناس حقيقيا في ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضى الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية

من أزواجك وهذا هو الاولى والالقي بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجنا كهافلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتبه ولا يظهره فدل على انه إنما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله انها ستكون زوجته وانما أخفى ذلك استحبابه ان يخبر بزبدان التي تحنك وفي ذلك حكمة يستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكمن شئ يتحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح ومنع وحلال لما قال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلبا الى حصول واجبات يعظام أثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيدا هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم اباه الازالة حرمة المتبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنین حرج في أزواج ادعيائهم فان قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بما ساء كما قلت هو ان الله تعالى أعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها أو أخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيدا يخشى قول الناس يتزوج امرأته ابنة فامر الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقبيل كان في أمره بما ساء كما هاجع الشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها لولا كحاله الوطيقها زيدا مثل ذلك لا يقدح في حال الانبياء مع ان العبد غير مالم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانها رأها فجاءت فاستحسبها ومثل هذه لانكرهه فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها مالم يقصد ما تمالان الودوميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك وراق الله أمر بالمعروف وهو حسن لانه لا يقدح في قوله والله احق أن تحشاهم ربه انه لم يكن يخشى الله في امسك فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاهم الله وأتقاهم كله ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتفاصرت همتها عنها وطابت عنها نفسها وطلقها وانقضت عدتها وذلك كرقضاء الوطير ليعلم ان زوجته المتبني تحل بعد الدخول بها (زوجنا كهافلو) قال أنس كانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجك ان أبواكن وزوجي الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول النبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من امرأة من نساءك تدل بهن جدي وجدك واحد وانني انكحنيك الله في السماء وان الفير جبريل عليه السلام (م) عن انس قال لما انقضت عدته زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كرها على قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عينيها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع ان انظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليها طهرى ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى فقامت الى مسجد ها وتزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه ابغير اذن قال فلقدر أيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى انس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبعه بجر نساؤه يسلم عليهن ويقفن يارسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل معه فالتى الستري بيني وبينه ونزل الحجاب (ق) عن انس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شئ من نساؤه ما أولم على زينب اولم بشاة وفي رواية أكثر وافضل ما أولم على زينب قال ثابت بن ابي ابيهم خبيرا والحاقي تركوه قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنین حرج في أزواج ادعيائهم) جمع ادعي وهو المتبني (اذفاضوا منهن وطرا) يقول زوجناك زينب وهي امرأته الذي كنت تبنيته ليعلم ان زوجته المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأته الصلب فانها لا تحل للاب (وكان امرأته مفعولا) أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ما كان على النبي

(فلما قضى زيد منها وطرا) الوطير الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قبل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق له فيها حاجة وتفاصرت عنها همتها وطلقها وانقضت عدتها (زوجنا كهافلو) روى انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ما أجد أحد أوثق في نفسي منك انخطب على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نساؤه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (لكيلا يكون على المؤمنین حرج في أزواج ادعيائهم) اذفاضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطير ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكوته (مفعولا) مكرنا للاحالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي

من خرج فيما فرض الله له (أحل له وأمره) وهو نكاح زينب امرأة زيد أو قدر له من عدد النساء (سنة الله) باسم موضوع موضع المصدر
كقولهم تراها وجدلامؤكذ لقوله ما كان على النبي من حرج كأنه قبل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو أن لا يخرج عليهم في الأقدام
على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاتر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلاثمائة سريه ولسليمان
ثلاثمائة حرة وسبع مائة سريه (٧٠) (في الذين خلوا من قبل) في الانبياء الذين مضوا من قبل (وكان أمر الله قدره مقدرورا) قضاء

من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل الله من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن
الله سنة في الانبياء وهو أن لا يخرج عليهم في الأقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فإنه كان
لهم الخراير والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبع مائة سريه
فكذلك سن محمد صلى الله عليه وسلم في التسوية عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدره مقدرورا) أي
قضاء مقضيا لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أتى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات
الله) أي فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون
أحد إلا الله) أي لا يخافون قالة الناس ولا تختمهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسيبا) أي حافظا
لأعمال خلقه ومحاسبهم بقوله عز وجل (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات تزوج زينب قال الناس إن محمد تزوج امرأة ابنة فانزل الله ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم يعني زيد
ابن حارثة والمعنى أنه لم يكن أبأ رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينها يثبت بين الأب وولده من حرمه
الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقال للحسن إن ابني هذا سيد
قلت قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم
يلد لهم (ولكن رسول الله) أي أن كل رسول هو أبأ أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له
وجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن
عباس يريد لولم أختمه به النبيين جعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال إن الله لما أحكم أن لا نبى بعده لم يعطه
ولذا ذكرنا إصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليما) أي دخل في علمه أنه لا نبى بعده فان قلت قد صرح ان عيسى
عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام من نبى قبله وحين ينزل في آخر
الزمان ينزل عاملا بالبشر بعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته (ق) من أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنا فاحسنه
وأجمله الاموضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه
البنة فانا البنة وأنا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه حديث ختمت الانبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبى وقد سماه الله رفقا رحما (م) عن أبي
موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا الملقني وأنا الماحي
ونبي التوبة ونبي الرحمة الملقني هو المولى الذاهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فاذا فني فلا نبى بعده وقوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا ذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا
جعل لها حدا معلوما ثم عذرا أهلها في حال العذر غير الذكركر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحد في
تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله فيما وقعدوا على جنوبكم وقال
تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل
الذكركثير أن لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه اذاذكركرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركر كما ياه على وجه
التعظيم والتزبه عن كل سوء (بكرة وأصيلا) فيه إشارة إلى المدامعة لأن ذكركر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا

مقضية وحكما مبتونا ولا
وقف عليه ان جعلت
(الذين يبلغون رسالات
الله) بدلا من الذين الاول
وقف ان جعلته في محل الرفع
أو النصب على المدح أي هم
الذين يبلغون أو أعنى
الذين يبلغون (ويخشونه
ولا يخشون أحد إلا الله)
وصف الانبياء بأنهم لا
يخشون إلا الله تعريض
بعيد التصريح في قوله
وتخشى الناس والله احق
أن تخشاه (وكفى بالله
حسيبا) كافي للخوف
ومحاسبيا على الصغيرة
والكبيرة فكان جسد برا
بان تخشى منه (ما كان
محمد أبأ أحد من رجالكم)
أي لم يكن أبأ رجل منكم
حقيقة حتى يثبت بينه وبينه
ما يثبت بين الأب وولده من
حرمه الصهر والنكاح
والمراد من رجالكم البالغين
والحسن والحسين لم يكونا
بالغين حينئذ والطاهر
والطيب والقاسم وإبراهيم
توفوا صبيانا (ولكن) كان
(رسول الله) وكل رسول
ابو أمته فيما يرجع إلى
وجوب التوقير والتعظيم

له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافي سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء
وزيدوا حد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمهم حكمكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (وخاتم
النبيين) يفتح التاء عاصم معني الطابع أي آخرهم يعني لا نبيا أحد بعده وعيسى من نبى قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى
الله عليه وسلم كأنه بعض أمته وغيره بكسر التاء معني الطابع وفاعل الختم وتقوية قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل
شيء عليما) أي الذين آمنوا ذكروا الله ذكرا كثيرا) اشوعا عليه بضروب الثناء وأكثر ذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا)

وقيل

آخر النهار وخصا بالذكرو لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والفعلان أي اذ ذكر والله وسبحوه ووجهان الى البكرة والاصيل كقولنا صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكرو وانما اخص من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات وجزاؤه ان يراد بالذكرو واكثره تكثير الطاعات والعبادات فان من جملة الذكرو ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر واصلا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاء من (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) لما كان من شأن المصلي ان يعطف في ركوعه وسجوده استعير من يعطف على غيره حتى اعطاه في الركوع والارفاة في حنوه اعلى ولدهائم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترؤف كما عائد المراد في اعطاه عليه والمراد في اللهم صل على المؤمنين جعلوا الكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي يترحم عليكم وترؤف حين يدعوكم الى الخير ويأمركم بما كثرا الذكرو والتوفير على الصلاة والطاعة (ليخرجكم من الظلمات (٤٧١) الى النور) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين

رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروى انه لما نزل الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فترأت ودعاء الملائكة لكم أخر جكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيمًا) فيه بشارة لجميع المؤمنين وإشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالساعة من وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم بتسليمهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهد اعلى الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أي الى توحيد وطاعته (بأذنه) أي بأمره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمدا لله بنور نبوته نور البصائر كما يدنو نور السراج نور الابصار ووصفه بالنار لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم) قال ابن عباس اصبر على أذنهم وقيل لتجاوزهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وقول كل على الله وكفى بالله وكبيرا)

وقيل معناه صلواته بكرة صلاة الصبح واصلا يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معنى سجدوا سبحوا قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فغير بالتسبيح عن أخوانه والمراد بقوله كتبها هذه السكحات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكرو الجميل له في عبادته والثناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأتى الله هذه الآية (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخر جكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيمًا) فيه بشارة لجميع المؤمنين وإشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالساعة من وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونه) أي يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم بتسليمهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهد اعلى الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أي الى توحيد وطاعته (بأذنه) أي بأمره (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمدا لله بنور نبوته نور البصائر كما يدنو نور السراج نور الابصار ووصفه بالنار لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم) قال ابن عباس اصبر على أذنهم وقيل لتجاوزهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وقول كل على الله وكفى بالله وكبيرا)

صاندا به أي مقدر به الصديق غدا (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله بأذنه) بامرهم أو بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلا به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجهور على انه القرآن فيكون التقدير ذاسراج منير أو وباليسراجا منيرا ووصف بالنار لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه أنوار كثيرة (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم) قال ابن عباس اصبر على أذنهم وقيل لتجاوزهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وقول كل على الله وكفى بالله وكبيرا)

لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا يبدله من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذر بن به في المستقبل والداعي الى الله بتسبيره بقوله وتوكل على الله فان توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلان من أناره الله برها ناعلى جميع خلقه كان جد برابان يكتفي به عن جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أي تزوجتم والنكاح هو الوطء في الاصل وتسمية العقد نكاحا لما لبسته من حيث انه طريق اليه كتسمية الخمر انما لها سببه وكقول الرازي * أسنمة الالبال في سجنه * سمي الماء باسمه الالبال لانه سبب سمن الالبال وارتفاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الحكاية عنه بلفظ الملامسة والمماساة والقربان والتغشى والانيان وفي تخصص المؤمنات مع ان الكليات تساوى المؤمنات في هذا الحكم اشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوقة الصحيحة كالمس (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء (٤٧٢) للرجال ومعنى تعدنوهن تسوفون عددها فتتعلون من العدة (فتعوهن) والمتعة

تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها (وسرحوهن سرحا جديلا) أي لا تمسكوهن ضراوا أو أخرجهن من منازلكن اذ لا عدة لكم عليهن (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن اذ المهر أجز على البضع ولهذا قال الكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأييد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة ويتأوها اعطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها في العقد (وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليك) وهي صفة وجودية فاعتقها ما تزوجها (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالاتك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومع ليس للقران بل وجودها فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها

أي حافظا ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأه أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والمقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار وبجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأه تقع وان عمه فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقبل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تأكل ولا عتق فيما لا تأكل ولا بيع فيما لا تأكل أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تخصصونها بالقرع والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوقة فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوقة توجب العدة والصدقات (فتعوهن) أي أعطوهن ما يستعين به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمي لها صدقاقها المتعتوان كان قد فرض لها صدقاقها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انما استحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سرحا جديلا) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرارهن ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليك) أي من السبي فملاكها مثل صليبة وجو برية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالاتك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) الى المدينة فمن لم تنكحهن لم يحل له نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله انا أحلنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لاني لم أهجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها

سليمان وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) وأحلنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهر من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا نكحها قال ابن عباس هو بيان حكم في المسئلة قبل ولم يكن عنده أحد ممن بالهبة وقيل الواهبة نفسها بموثة بنت الحرث أو زينب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان (ان أراد النبي أن يستنكحها) استنكحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والنشر الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها لنفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحلنا لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وماله تم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم

خاصة

وأتمه سواء في الأحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلا مهر حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤ كد أي خلص لك اخلال ما أخلنا لك
خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عز كالعافية والكاذبة (للمن دون المؤمنين) (٤٧٣) بل يجب المهر لعيرك وان لم يسمه أو

نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكريمة له لاجل النبوة وتكرره أي تكرر والنبي تفخيمه (قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم - من الحقوق (وما ملكت أيمانهم) بالشراء وغيره من وجوه الملك وقوله (ليكلا يكون عليك حرج) ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم - جملة اعتراضية (وكان الله غفورا رحيمًا) بالتوسعة على عباده (ترجي) بلا همز مدني وحزرة وعلى وخلف وحفص وهم من غيرهم تؤخر (من تشاء من تشاء) وتؤوي اليك من تشاء تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهم ونضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لايتن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة لما هو

خالصة لك من دون المؤمنين) أي أخلنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكفاية بالمهر فذهب جماعة الى أنها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة قد دل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح يتعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين والزيادة على أربع وجوب تخيير النساء واختلافوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا يتعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء به قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم الخفي وأهل الكوفة يتعقد بلفظ التملك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان يتعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب آخرون الى انه لا يتعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج كما في حق سائر الامة لقوله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها وكان اختصاصه في ترك المهر لافي لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعد نكاح أو بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الفرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده وهو بة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من الاحكام في ملك اليمين (ليكلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع الى أول الآية معناه أخلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوب ليس لي لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي اللواقع في الحرج (رحيمًا) أي بالتوسعة على عباده وقوله تعالى (ترجي) أي تؤخر (من تشاء من تشاء) أي تضم اليك (من تشاء) قيل هذا للقسم بينهم وذلك ان النسوة يبينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فهن وقبل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهم زيادة النفقة فهجرهن شهر حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخبرهن فن اختارت الدنيا فارقها ويسكن من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنين لا يسكن أبدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهم ويرجى من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهم في النفقة والسكوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختارته على هذا الشرط واختلفوا في انه هل أخرج أحدا منهم عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهم في القسم الاسودة فانها رضيت بترك حقه من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهم روى عن أبي رزين قال لما نزل التخيير أشفقن ان يطلقن فقلن ياني الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فأرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم وآوى اليه بعضهم فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهم سواء وأرجى منهم خنساء حبيبة وميمونة وسودة وجويرة وصفيية فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهم وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتستكح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيرته مخاطبتها حتى يتركها رسول الله

(٦٠ - خازن) - ثالث) الغرض لانه ما أن يطلق وما أن يسكن فاذا أمسك نضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلى المعزولة لا يبينها أو يتعها وروى انه أرجى منهن جويرة وسودة وصفيية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى منهن ما شاء أو روى انه كان يسوي مع ما

أطلق له وخير فيه الأسوة فأنها وهبت ألبتها العائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (و من اجتعت من عزلات فلا جناح عليك) أي ومن دعوت إلى فراشه وطلبت صحبتها من عزلت عن نفسك بالأز جاء فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس إذا عزلتها لم يجز للشرورها إلى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض إلى المشيئة (أدنى أن تقر عينهن ولا يحزنن ورضين بما آتيتهن كلهن) أي اقرب إلى القرية عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمانت نفوسهن وذهب التعابر وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع تأكيد (٤٧٤) لنون رضين وقرى ورضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقوى شاذاً كلهن بالنصب تأكيداً كيدا

لهن في آتيتهن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وتفويض إلى المشيئة رسوله (وكان الله عليهما) بذات الصدور (حليهما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى ويحذر (لا تحل لك النساء) بالناء الوعر ووبعقوب وغيرهما بالند كبير لأن تأنيث الجمع غير حقيق واذأجاز بغير فصل فتح الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الرابع نصاب أمته (ولأن تبدل بهن من أزواج) بالطلاق والعنى ولأن تبدل بهؤلاء التسع أزواجاً آخر بكانهن أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين بقصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع التي مات عليهن عائشة حفصة أم حبيبة سودة أم سلمة صفية ميمونة زينب بنت جحش جويرية ومن في من أزواج لنا تأكيد

صلى الله عليه وسلم وقيل تعقل من تشاء من المؤمنات اللاتي بهن أنفسهن فتؤويهن إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هوالك (ومن ابتغيت من عزلت) أي طلبت أن تؤوي إليك أمرأة من عزلتن عن القسمة (فلا جناح عليك) أي لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسمة لهن حتى أنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها ورد إلى فراشه من عزلت منهن تفضيلاً على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن) أي ذلك التخيير الذي خبيرتك في صحبتهم أقرب إلى رضاهن وأطيب لآفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى (ورضين بما آتيتهن) أي أعطيتهن (كلهن) من تقر برب وارجاء وعزل وواو (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن (وكان الله عليهما) أي بما ضميركم (حليهما) أي عنكم قوله تعالى (لا تحل لك النساء من بعد) أي من بعدهؤلاء التسع اللاتي اخترتك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خبرهن فاخرتن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيع له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة أنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنساء فيها حتى أحل له أن يتزوج من النساء ماشاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له أن يتزوج قال وما تمتع من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد قال إنما أحل له ضرباً من النساء فقال تعالى يا أيها النبي أنا أحل لك أزواجك الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولأن تبدل بهن من أزواج) أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لأنه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولأن تبدل بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزلك عن امرأتى فأقول الله تعالى ولأن تبدل بهن من أزواج أي تبادل أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته فم ذلك الإمامة لكت يمينك أي لا بأس أن يتبادل بجواريتك ماشئت فلما الحرائر فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتتكلم بدلها أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخيمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهي عن ذلك (الإمامة لكت يمينك) قال ابن عباس مالك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شيء رقيباً) أي حافظاً وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً قال الجيدى يعني هو

النبي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل الصغر أي تبدل لامن المفعول الذي هو من أزواج لتوجهه في التنكير وتقديره مفروضاً أعجبك من وقيل هي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب فاتهما من أعجبته حسنهن وعن عائشة وأم سلمة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ماشاء يعني أن الآية نسخت ونسخها ما بالسنة أو بقوله أنا أحل لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المحصف (الإمامة لكت يمينك) استثنى من حرم عليه الإمامة وحل ما رفع بدل من النساء (وكان الله على كل شيء رقيباً) حافظاً وهو يحذر عن مجاوزة حدوده

(واذا سأتموهن) الضمير لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم للدلالة بيوت النبي لان فيها نسائه (متاعا) غاربه أو حاجة (فاسئلوهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود أن ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر أن بعضهم قال أنتهى أن نسكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن فلانه فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده مونه (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما (ان تبدوا شيئا) من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه) فى أنفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شئ عليم) فيعاقبكم به ولما (٤٧٦) نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل (لا جناح عليهن فى

ان الله لم يحتملهم) (واذا سأتموهن متاعا) أى واذا سألتن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) أى من وراء ستر بعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متعقبة كانت او غير متعقبة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) أى من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أى ايسس لكم أذاه فى شئ من الاشياء (ولأن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت فى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تكمن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمة حياتنا وعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى يقضى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيئا) أى من أمر نكاحهن على أنفسكم (أو تخفوه) أى فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليم) أى يعلم سرركم وعلايتكم فنزلت فىمن أضر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا منع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فنزل الله عز وجل (لا جناح عليهن فى آباتهن ولا أبناهن ولا اخوانهن ولا ابناة اخوانهن ولا ابناة اخواتهن) أى لا اثم عليهن فى ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولانساهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتبايات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام فى المسلمات والكتبايات وانما قال (ولانساهن لانهن من أجناسهن) (ولاماملكت أيمانهن) اختلفوا فى ان عبد المرأة اهل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى (ولاماملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد) (واتقين الله) أى ان براكن احد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) أى من أعمال العباد (شهيدا) ﴿ قوله عز وجل (ان الله وما لا تكتمه يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا بلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة (وسلوا تسليما) أى حيوه بتحية الاسلام

فان الله لم يحتملهم) (واذا سأتموهن متاعا) أى واذا سألتن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلوهن من وراء حجاب) أى من وراء ستر بعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متعقبة كانت او غير متعقبة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) أى من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أى ايسس لكم أذاه فى شئ من الاشياء (ولأن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت فى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تكمن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمة حياتنا وعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى يقضى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (ان تبدوا شيئا) أى من أمر نكاحهن على أنفسكم (أو تخفوه) أى فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليم) أى يعلم سرركم وعلايتكم فنزلت فىمن أضر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا منع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فنزل الله عز وجل (لا جناح عليهن فى آباتهن ولا أبناهن ولا اخوانهن ولا ابناة اخوانهن ولا ابناة اخواتهن) أى لا اثم عليهن فى ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولانساهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتبايات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام فى المسلمات والكتبايات وانما قال (ولانساهن لانهن من أجناسهن) (ولاماملكت أيمانهن) اختلفوا فى ان عبد المرأة اهل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى (ولاماملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد) (واتقين الله) أى ان براكن احد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شئ) أى من أعمال العباد (شهيدا) ﴿ قوله عز وجل (ان الله وما لا تكتمه يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا بلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بالرحمة (وسلوا تسليما) أى حيوه بتحية الاسلام

(ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى قولوا اللهم صل على محمد وأصلى الله على محمد (وسلوا تسليما) أى قولوا اللهم سلم على محمد وأتقوا ولا امره وحكمه انقياد أو سئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بي ملكين فلا أذ كر عند عبد مسلم فيصلى على الاقال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوا بالذينك الملكين آمين ولا أذ كر عند عبد مسلم فلا يصلى على الاقال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوا بالذينك الملكين آمين ثم هى واجبة مرة عند الطحاوى وكما ذكر اسمع عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التسبوع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه وهو من شعائر الرافضى وقوله واختاره الطحاوى الخ ضعيف والمعتمد قول الكرخى انها واجبة مرة وأما كذا كر فمستحبة أفاده فى مجمع الانهر وبه تعلم ما فى كلام النسفى اه

الحنفية والخليفة من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال
لغيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدى قال نعم قال صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا
كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل
إبراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد
(ق) عن أبي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه
وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم انك حميد مجيد
(م) عن أبي مسعود البدرى قال أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ فقال له
بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تخمينا أنه لم يسأل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد
علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا
* عن أنس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت
عنه عشر خطيئة ورفعت له عشر درجات أخرجه الترمذى وله عن أبي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلت أنا لئرى البشرى في وجهك قال أنانى الملك فقال يا محمد ان ربك يقول
أما برضيك انه لا يصلى عليك أحد الا صليت عليه عشر اولايه وسلم عليك أحد الا سلمت عليه عشر اولاه عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ملائكة سياحين في الارض يبلغونى عن امتى السلام
* عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة
أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غير بوله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخبيل الذى ذكرت عنده فلم يصل على * أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غير صحيح * عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتمل بالمكالم الا فى اذنا صلي علينا أهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي الامى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وهم اهل بيته كما صليت على إبراهيم انك
حميد مجيد أخرجه ابوداود ﷺ قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة
وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله
مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا
الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فبقوله لن يعيدنى كما بد ابنى
وليس أول الخلق بأهون على من اعادته واما شتمه اياى فبقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم
يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقاب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه كان من عادة العرب فى الجاهلية أن
ينمو الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتمادهم ان الذى يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أى
أنا الذى أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذى تنسبونه الى الدهر فى زعمكم وقيل معنى يؤذون الله بالجدون فى
أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاور (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب بخلقى خلقى فيخلقوا ذرة أولخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أى يؤذون
أولياء الله كإروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من أذى لى وليلافقد آذنته بالحرب وقال
تعالى من أهان لى ولما فقد ما رزقى بالحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذلك
على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزّه عن أن يلحقه أذى من أحد واما ايداء الرسول فقال ابن عباس
هو أنه شج وجهه وكسرت ربا عيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

(ان الذين يؤذون الله
ورسوله) أى يؤذون رسول
الله وذكر اسم الله للتشريف
أو عبر بآيداء الله ورسوله
عن فعل ما لا يرضى به الله
ورسوله كالكفر وانكار
النبوة مجازا وانما جعل
مجازا فيهما حقيقة الايداء
يتصور فى رسول الله لئلا
يجتمع المجاز والحقيقة فى
لفظ واحد (لعنهم الله فى
الدنيا والاخرة) طردهم
الله عن رحمته فى الدارين
(وأعد لهم عذابا مهينا)
فى الاخرة (والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير

ما كتبوا) أطلق ايداء الله ورسوله وقيد ايداء المؤمنين والمؤمنات لان ذلك يكون غير حق ابدأ وأما هذا فمنه حق كالحد والتعزير ومنه باطل قبل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً رضي الله عنه وسمعه وقيل في زناه كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق فكيف ايداء المؤمنين والمؤمنات (فقد احتملوا) تحملوا (بهتاناً) كذبا عظيماً (وإنما بيننا) ظاهراً (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلابيب ما يستر السكك مثل الخففة عن المبرود ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زال الشوب عن وجه المرأة دن ثوبها على وجهك ومن للتبعيض أي ترخي بعض جلابيبها وفضله على وجهها تتفتح حتى تتميز من الامة أو المراد أن يتجلبن ببعض ما لهن من الجلابيب وأن لا تكون المرأة متبدلة في درع وخمار كالامة ولها جلابيبان فصاعداً في بيتهما وذلك ان النساء في أول الاسلام على هجرتهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لافضل بين الحررة والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في الخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحررة لحسبان الامة فأمرن ان يخالفن (٤٧٨) برهن عن رضى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك

قوله (ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) أي أولى وأجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفوراً) لما سلف منهن من التفريط (رحمياً) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجور وههم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض (والمرجعون في المدينة) هم أناس كانوا يرجعون اخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وحرقوا عليهم كبت وكبت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرحف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبراً منزلاً لا غير ثابت من الرجفة وهي

ما كتبوا) أي من غير ان عملوا ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير حرم (فقد احتملوا بهتاناً وإنما بيننا) قبل ان نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه وسمعه وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكنت تبعوها وان زحرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطالبون الا بالاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحررة من الامة لان زنى السكك كان واحداً تخرج الحررة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهي الحررات أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) أي يرخين ويغطين (عليهن من جلابيبهن) جمع جلابيب وهو الملاحة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الخففة وكل ما يستر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن وجوههن بالجلابيب الاعيانا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفوراً رحيماً) أي لما سلف منهن قال أنس مرت به من الخطاب جارية متتعبة فعلاها بالدرع وقال بالكاع أنت تشبهين بالحررات ألقى القناع لكاع ككة تقال لمن يستحقق به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خبيث (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وههم الزناة (والمرجعون في المدينة) أي بالكذب وذلك ان ناساً منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشبه الفاحشة في الذين آمنوا وتفشو الاخبار (لنغرينك بهم) أي لنحرضك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً) أي لا يساكنونك في المدينة الا قليلاً أي حتى يخرجوا منها وقيل لسلطنتك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة (ملعونين) أي مطرودين (أيئنا نقفوا) أي وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلاً) أي الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حياً ثم تقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) قوله عز وجل (يستلث الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم

الزلافة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم أو لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) في المدينة وهو عطف على لغرينك لانه يجوز عن أن يجابهه القسم الصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بهم لبعده حال المعطوف عليه (الا قليلاً) زماناً قليلاً لا معنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجعون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل الافعال التي تسوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زماناً قليلاً ريثما يتحلون فسمي ذلك اغراع وهو الغريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ما عاونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معاً كما ولا ينتصب عن أخذوا والآن ما بعد حرف الشرط لا يعمل فيها قبلها (أيئنا نقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلاً) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) في موضع مصدر مؤن كد أي سن الله في الذين يناقون الانبياء ان يقتلوا أيئنا وجدوا (في الذين خلوا) مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) أي لا يبدل الله سنته بل يجرها مجرى واحد في الامة (يستلث الناس عن الساعة) كأن المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استجبالاً على سبيل الهزء واليهود يسألونه انما نانا لان الله تعالى عي

وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسوله بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله انه اقرب اليه الوقوع ثم هدي المستجيبين واسكتا
 للمحتجين بقوله (قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا اولان الساعة في معنى الزمان (ان الله اعلم
 الكافر بن وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذا رمز مذهب الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار تفنيان ولا يوقف على
 سعير الان قوله خالدين فيها حال عن الضمير في لهم (لا يجحدون وليا ولا نصيرا) (٤٧٩) ناصر اي نعمتهم اذ كر (يوم تقلب وجوههم
 في النار) تصرف في الجهات

عن وقت قيام الساعة استجبالا على سبيل الهرع وكان اليهود يسألونه عن الساعة انما نحن لان الله تعالى عي
 عليهم علم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله (قل انما علمها عند الله) يعني
 ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أي أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى
 يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أي انها اقرب اليه الوقوع وفيه تهديد للمستجيبين واسكتا للمحتجين
 (ان الله لعن الكافر بن وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجحدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في
 النار) أي تقلب ظهر البطن حين يسحبون عليها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) أي في الدنيا
 (وقالوا ربنا انما أطعنا سادتنا وكبراءتنا) يعني رؤس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا
 السبيلا) يعني عن سبيل الهدى (ربنا انهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعفي
 عذاب غيرهم (والعنههم لعنا كبيرا) أي لعنا متباعدًا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
 آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أي فظهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجهها) أي كرمها اذ اجاهم وقد زلزال
 ابن عباس كان حاضيا عند الله لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقبل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محبوبا مقبولا
 واختلفوا فيما أودى به موسى فروي أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل
 يعتمسون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى
 أن يغتسل معنا الا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجحجح موسى باثر
 يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما يمنع من باس فقام الحجر حتى
 نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالجرح فصرى قال أبوهريرة والله ان بالحجر نديا سبعة أو سبعة من ضرب موسى بالحجر
 أخرجه البخاري ومسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حيا مستيرا لا يرى
 شي من جسده استحيبها منه فاذا من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستر هذا السر الا من يحب بحلده اما
 برص واما أذرة واما آفة وان الله أراد ان يبرئه مما قالوا للموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل
 فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بشو به فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر
 ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل ورأوه عراة يا نأ أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر
 فاخذ ثوبه قلبسه وطفق بالجرح فصرى بابعاء فوالله ان بالحجر نديا من أثر الضرب ثلاثا وأربعاً وخمسا فذلك
 قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها الاذرة
 عظام الحصية لمنفحة فيها وقوله فجحجح أي أسرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي يا حجر فقله وطفق أي جعل يضرب
 الحجر وقوله نديا به وهو النون والذال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذ لم يرتفع عن الجلد فشببه به الضرب
 بالحجر والمحدثون يقولون نديا بسكون الدال وقيل في معنى الآية ان آذاهم اياه انه لما مات هررون في التنبه
 ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرقوا أنه لم يقتله فبرأه الله
 مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا للتعذيب موسى بنفسها على رأس الملائكة فقصها الله وبرأ موسى من ذلك
 وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في
 القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من أشرف
 العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أرى يدبها وجه الله فقلت والله لا اخبرن

في شأن زبدوزين وما سمع فيه من قاله بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما صدر به أو
 موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول وموداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومنة التي أرادها
 قارون على قذفه بنفسها أو آثرهم اياه يقتل هررون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأه الله عليه السلام بقوله ما كان
 محمد أبأ أحد من رجالكم (وكان عند الله وجهها) ذاجه ومترلة مستجاب الدعوة وقد فرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وجهها

في شأن زبدوزين وما سمع فيه من قاله بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما صدر به أو
 موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول وموداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومنة التي أرادها
 قارون على قذفه بنفسها أو آثرهم اياه يقتل هررون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برأه الله عليه السلام بقوله ما كان
 محمد أبأ أحد من رجالكم (وكان عند الله وجهها) ذاجه ومترلة مستجاب الدعوة وقد فرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وجهها

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صدقا وصابا أو قاصدا إلى الحق والصدق القصد إلى الحق والقول بالعدل والمراد بهم
 عما خاضوا فيه من حديث ينسب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسددوا قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس
 كل خير ولا تقف على سديد الان جواب الامر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي
 يمحوها والمعنى واقبوا الله في حفظ السننكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والانتابة عليها
 ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر
 باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف (٤٨٠) عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم
 يعدل الله ورسوله ثم قال رحم الله موسى قد أذى باكثر من هذا فصبر الصبر بكسر الصاد صبغ أحمر
 يصبغ به الاديم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل
 عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لاله الا الله (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر
 لكم ذنوبكم) ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما أي طفر بالخير العظيم قوله عز وجل (انا عرضنا
 الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله
 على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا أدوها انابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن
 مسعود الامانة اداء الصلوات وابتداء الزكاة وصوم رمضان وبيع لبيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في
 المال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمر به ونهى عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة
 وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمر ومن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة
 استودعها فرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية
 عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهد وخلق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاها في شيء لاني
 قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من
 التابعين واكثر السلف فقال لمن اتحمل هذه الامانة بما فيها فان وما فيها قال ان احسنت من جوزيت وان
 عصيت من عوقبت قلن لا يارب نحن مستخرا لامر لا يزيد ثوبا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيم بالدين
 الله تعالى ان لا يقوموا بالامعصية ولا مخالفة لامر الله وكان العرض عليهم تخيير الالزام ولو الزمهم لم يمتنعن
 من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعه لامرهم ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن
 العقل والفهم حين عرض عليهم الامانة حتى عقلم الخطاب واجبن بما احبب وقيل المراد من العرض على
 السموات والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء
 (فابن ان يحملها واشفقن منها) اي خفن من الامانة لان لا يؤدينها للحقن العقاب (وجملها الانسان) يعني
 آدم قال الله عز وجل لا دم اتى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تقبلها فهل انت آخذها
 بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين اذني وعاتقي
 قال الله اما اذا تحملت فسا عينك واجعل لبصرك محبا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه محابه
 واجعل للسانك لحين وغلا فاذا خشيت فاعلمه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال
 مجاهد فيا كان بين أن تحملها وبين ان اخرج من الجنة الامه تدار بين الظهور والعصر وقيل ان ما كلف
 الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاحرام وقواه واشده ان
 يحتمله ويستقل به فأبى حمله واشفق منه وجملها الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال

واتباع الامر الوعد البليغ
 فيقوى الصارف عن الاذى
 والداعي الى تركه والمعاقد
 بالطاعة الفوز العظيم
 بقوله (ومن يطع الله ورسوله
 فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه
 قوله (انا عرضنا الامانة
 على السموات والارض
 والجبال) وهو يريد بالامانة
 الطاعة لله وبحمل الامانة
 الخيانة يقال فلان حامل
 للامانة ويحتمل لها أي
 لا يؤذيها الى صاحبها حتى
 تزول عن ذمته اذا الامانة
 كأنها ركة للمؤمن عليها
 وهو حاملها ولهذا يقال
 ركة الدين ولي عليه حق
 فاذا أداه لم تبقى ركة له
 ولا هو حامل لها يعني ان
 هذه الاحرام العظام من
 السموات والارض والجبال
 قد انقادت لامر الله انقياد
 مثلها وهو ما يتأني من
 الجمادات والطاعت له
 الطاعة التي تليق بها حيث
 لم تمتنع على مشيئته وادائه
 ايجادا وتكونا وتسوية
 على هيئات مختلفة

وأشكال متنوعة كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض اني انا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ابن
 وأخبار الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وان من الحجارة لما بين يمين من خشية الله وأما الانسان فلم تسكن حاله
 فيما يصح منه من الطاعة ويملك به من الانقياد وامر الله ونواهيها وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح
 منها ويملك بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله (فأبين أن يحملها) أي أبين الخيانة فيها وان لا يؤدينها (وأشفقن منها) وخفن
 من الخيانة فيها (وجملها الانسان) أي خان فيها وأبى ان لا يؤذيها (انه كان ظلوما) لكونه تاركا لاداء الامانة (جهولا) لاختطائه ما يسعده مع
 تمكنه منه وهو أدواها قال الزجاج الكافر والمنافق جلالا لامانة أي خانوا ولم يطيعوا ومن أطاع من الانبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا

وقيل معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه في حله واشفق منه ونجته الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمها ثم خان بضمها فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الاعلى اساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج (٤٨١) واللام في (يعذب الله المنافقين والمنافقات

والمشركين والمشركات)

للتعليل لان التعذيب هنا

نظير التأديب في قولك

ضربته للتأديب فلا تعذب

على جهولا (ويتوب الله

على المؤمن والمؤمنات)

وقرأ الأعمش ويتوب الله

بالرفع لجعل العلة قاصرة

على فعل الحامل وينتدئ

ويتوب الله ومعنى المشهورة

ليعذب الله حامل الامانة

ويتوب على غيره ممن لم

يحملها لانه اذا تيب على

الوافي كان نوعا من عذاب

الغادر أو للعاقبة أي حملها

الانسان قال الامر الى

تعذيب الاشقياء وقبول

توبة السعداء (وكان الله

غفورا) للتائبين (رحيما)

بعباده المؤمنين والله الموفق

للصواب

* (سورة سبأ مكية وهي

أربع وخمسون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد) ان أجرى على

المعهود فهو بما حده نفسه

محمود وان أجرى على

الاستغراق فله لكل الحمد

الاستحقاق (لله) بلام

التمليك لانه خالق ناطق

الحمد أصلا فكان ملكه

مالك الحمد للحميد أهلا

(الذي له ما في السموات وما

في الارض) خلقا وملكا

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بما ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمها ثم خان بضمها فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الاعلى اساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج (٤٨١) واللام في (يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركون والمشركات)

* (فصل) * في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما وانا انتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الجمل كجمه رحرجه على رجليه فلفظ فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم اخذ حصة فدحرجها على رجليه فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يتوذى الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا مينا حتى يقال للرجل ما جلد ما اطرفه ما عقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ولقد اتى على زمان وما بالى اليكم يا بيت ائمن كان مسليا ليرنه على دينه ولئن كان نصرانيا او يهوديا ليردنه على ساعيه واما اليوم فما كنت لا يا بيع منكم الا فلانا وقلنا قوله نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجمل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هو النطاط في الجلد وقد فسره الحديث والمثبر المنتفخ وليس فيه شيء (خ) عن أبي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا دوس الامر الى غير أهله فانظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى من اتت منك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركون والمشركين) أي يهدمهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أي يعوده عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله أعلم بما رده وأسرا كتابه

* (نفس سورة سبأ وهي مكية) *

* (وأربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة ٣ وألف وخمسة مائة واثنا عشر حرفا) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيقي بأن يحمده ويثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ما كره فقال الذي له ما في السموات وما في الارض أي ملكا وخالقا (وله الحمد في الآخرة) أي كآهوله في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكأنه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو وجد أهل الجنة كما ورد عليهم من التسبيح والحمد

(٦١ - (خازن) - ثالث) وقهرا فكان حقيقة بان يحمده سرا وجهرا (وله الحمد في الآخرة) كآهوله في الدنيا اذا النعم في الدارين من المولى غير أن الحمد هنا واجب لان الدين ادا تكليف وشم لا لعدم التكليف وانما يحمده أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر قوله ثلاث وثلاثون كذا ببعض نسخ الخازن وفي بعضها بدون ثلاث وفي الخطيب ثلاث وثلاثون وعلم الصواب عن ذلك عند العليم الخبير اه

العظيم بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبيره في السماء والأرض (الخبير) بضمير من يحمد مده ليوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (في الأرض) من الأموات والدفائن (وما يخرج منها) من الثبات وجواهر المعادن (وما ينزل من السماء) من الأمطار وأنواع البركات (وما يرج فيها) يصعد إليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال ما يحتاجون إليه (الغفور) لما يجتزون عليه (وقال الذين كفروا) أي منكر البعث (لأننا أتينا الساعة) نفى للبعث وانكار لحي الساعة (قل بلى) أو جيب ما بعد النفي بيلي على معنى أليس الأمر الاتيانها (وربي لتأتينكم) ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسيمي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكد والمستشهد عليه ثابت وارسوخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدني وشأى أي هو عالم الغيب سلام الغيب حزة وعلى على المبالغة (لا يعزب عنه) وبكسر الزاي على يقال عزب يعزب ويعزب إذا غاب (٤٨٢) وبعد (مثقال ذرة) مقدار اصغرها (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الافى في كتاب مبین) الافى اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الابعنى لكن أو رفعا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعاقب لتأتينكم نعليلاه (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين ظانين انهم

كيا لهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم أمور الدارين (الخبير) أي بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج في الأرض) أي من المطر والسنوز والاموات (وما يخرج منها) أي من النبات والشجر والعبون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفترطين في أداء ماوجب عليهم من شكر نعمه ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية (قل بلى وربي لتأتينكم) يعني الساعة (عالم الغيب) أي لا يفوت علمه شيء من الخطيات واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه (مثقال ذرة) أي وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر) أي في اللوح المحفوظ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) أي لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي في ابطال أدلتنا (مجزين) أي يحسمون انهم يطوفوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني انه من عند الله (ويهدي) يعني القرآن (الى صراط العزيز الحميد) أي الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعني المنكرين للبعث المتجبين منه (هل ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل يفتنكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحذركم باعجوبة من الاعاجيب وهي انكم (اذا مرقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفریق وصرتم ترابا (انكم في خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا (أفتري على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به جنسة) أي جنون يوهمه

ذرة (ولا أكبر) من مثقال ذرة (الافى في كتاب مبین) الافى اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الابعنى لكن أو رفعا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعاقب لتأتينكم نعليلاه (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معاجزين) مسابقين ظانين انهم

يقفوننا معجزين مكي وأومر وأي مشطين الناس عن اتباعها وتاملها أو ناسين الله الى الجزى (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب أي عذاب أليم من سبي العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بطأ اعتقادهم من آمنه أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليري (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان أو في موضع نصب معطوف على ليجزى وليعلم أولو العلم عند مجي الساعة أنه الحق علما لا زاد عليه في الايقان (ويهدي) الله أو الذي أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما انكروه مع انه كان مشهورا علما في قريش وكان انبأوه بالبعث شائعا عندهم تجاهلهم وبامرهم وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها (ينبتكم اذا مرقتم كل ممزق) أي يحذركم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويحرقكم كل تفریق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعمل في اذا ماد دل عليه انكم لفي خلق جديد أي تبعثون والجديد فعل بمعنى فاعل عند البصريين تقول جديدهو جديد كقل فوق قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام في خبره (أفتري على الله كذبا) أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهجرة للاستفهام وهمرة الوصل حذف استغناء عنها (أم به جنسة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه

(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) ثم قال سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء الجنون في شيء وهو مبرأ منهم ما قبل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤدبهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب رسيلا وقوعهم في الضلال كأنهما كانتان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعل كأنهما مقرران ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضلال اذا بعد عن الجادة (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم) وبالادغام على للتقارب بين الفاعل والباء ووضعهما البعض لزيادة صوت الفاعل على الباء (الارض أو نسقط) الثلاثة بالياء كوفي غير عاصم لقوله أفترى على الله كذبا (عليهم كسفا) كسفا حطص (من السماء) أي أعجوا فإذ ينظر والى السماء والارض وانهما حيثما كانوا وإنما سار وأمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان يفتقدوا من أقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم (٤٨٣) بالرسول وبما جاءه بكافل بقارون وأصحاب

الايكة (ان في ذلك) النظر الى السماء والارض والفكر فهما ما تدلان عليه من قدرة الله تعالى (لاية) دلالة (اسكل عبد منيب) راجع الحريه مطيع له اذا المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال) بدل من فضلا أو من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قولنا يا جبال (أوتى معه) من التأويب رجيى معه التسبيح ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح معجزة داود عليه السلام (والطير) عطف على محلى الجبال والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت

ذلك وبقية على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعنى منكري البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي فيعلموا انهم حيث كانوا في أرضي وتحت سمائي فان أرضي وسمائي محيطتان بهم لا يخرجون من أقطارها أو أن قادر عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أي كاخسفة بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا بأصحاب الايكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (لاية) أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (اسكل عبد منيب) أي نائب راجع الى الله بقلبه قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعنى النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به (يا جبال أوتى معه) أي وقلنا يا جبال سبجى معه اذا سبج وقيل رجيى معه اذا رجع ونوحى معه اذا نوح (والطير) أي وأمرنا الطير ان تسبج معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها وكذت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (وأنا له الحديد) يعنى كان الحديد في يده كالسبع أو كالبحين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليك هذا أي رجل هو فيشئون عليه ويقولون خير افضى الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسببه سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله قالن الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفاغ ووقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (أن اعمل ساعات) أي دروعا كوامل وساعات طول الاتسحاب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقا فافتقلت ولا تثبت ولا غلاطا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على التصد وقد الحاجة (واعملوا صالحا) يريدوا صالحا (انى بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي

الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا دعاهم أجابوا اشعارا بانه مامن حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه الفخامة (وأنا له الحديد) وجعلناه له لنا كالطين الممجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتى من شدة القوة (أن اعمل) أن يعنى أي أو أمرناه ان اعلم (ساعات) دروعا واسعة تأمة من السبع وهو أول من اتخذها وكان يبيع الدرع باربعة آلاف فينقى منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيشئوا عليه فيفض الله له ما كفى صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لو لا خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسببه ما يستغنى به عن بيت المال فلم يصنع الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير دقا فافتقلت ولا غلاطا فتكسر الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (صالحا) خالصا يصلح للقبول (انى بما تعملون بصير) فأجاز يك عليه (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا ورفع

بالعشى كذلك وكان يغدو
من دمشق فيقيل باصطخر
فارس وبينهما مسيرة شهر
و يروح من اصطخر فيميت
بكبابل وبينهما مسيرة شهر
للراكب المسرع وقيل
كان يتغدى بالري ويتعشى
بسمرقند (وأسناله عين
القطر) أي معدن النحاس
فالقطر النحاس وهو الصفر
ولكنه أساله وكان يسيل
في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل
الماء وكان قبيل سليمان
لا يذوب وسماه عين القطر
باسم ما آل إليه (ومن
الجن من يعمل) من في
موضع نصب أي وسخرنا
من الجن من يعمل (بين
يديه بأذن ربه) بأمر ربه
(ومن يزغ منهم) ومن
يعدل منهم (عن أمرنا)
الذي أمرنا به من طاعة
سليمان (نذقه من عذاب
السعير) عذاب الآخرة
وقيل كان معه الكبيده
سوط من نار فمن زاعغ عن
أمر سليمان عليه السلام
ضربه أحرقته
(يعملون له ما يشاء من
مخاريب) أي مساجد أو
مساكين (وتماثيل) أي
صور السباع والطيور وروى
أنهم عملوا له أسدين في
أسفل كرسيه ونسرين
فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط
الاسدان له ذراعيهما وإذا
قعد أظله النسيران
باجتختهما وكان التصور

وسخرنا سليمان الريح (غدو هاشور وواحها شهر) معناه ان مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر
ومسير وواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق
فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيميت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع
وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسناله عين القطر) أي أذنبه عين النحاس قال أهل
التفسير أحرقت له عين النحاس ثلاثة أيام لبيا لين كجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان
النحاس كما أن داود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله
الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من
الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرنا به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة
وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاعغ منهم عن طاعة سليمان ضربه
بذلك السوط ضربه أحرقته (يعملون له ما يشاء من مخاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة
والقصور والمخالس الشريفة المصونة عن الاتبدال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه
الصلاة والسلام ابتدأ ورفعها فمر رجل فأوحى الله اليه لم أفض ذلك على يدك ولكن ابنك أم لك بعدك
اسمه سليمان أفضى تمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام
أحب تمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن
والشياطين في تحصيل الزخام والبلور من معادن ما أمر بينا المدينة بالزخام والصفائح وجعلها اثني عشر
ر بضوا أنزل على كل راض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه
الشياطين فر قام منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادن ما ومنهم من يستخرج الجواهر والياوقيت
والذراصافي من أما كنها ومنهم من يأتيه بالسلك والعنبر والطيب من أما كنها فاتي من ذلك شئ كثير
لا يحصى الا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاحجار وتصويرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر
ونقب المواقيت واللاكي فبنى المسجد بالزخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي
وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللاكي والياوقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه
بالواح القير وزج فلم يكن على وجهه تلك الارض يومئذ بيت أبي حسي ولا نور من ذلك المسجد فكان يضيء في
الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أخبار بني اسرائيل وأعلمهم انه بناه الله تعالى وان كل شئ
فيه حاصله واتخذ ذلك اليوم عيدا وروى عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكوا وفق حكمه فأوتيه وسأل
الله تعالى ملكا لينبغى لاحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه أحد
لا ينهزم الا الصلاة فيه الاخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النساء وغير النساء سأل ربه ثلاثا
فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالث وتذكر نحو قوله لا ينهزم أي لا ينهزم الا الصلاة قالوا فلم يزل
بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه فحتمصر فخرت المدينة وهدم المسجد وأخذ
ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وجملة دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن
قصورا وحصونا بحجبة من الصخر وقوله عز وجل (وتماثيل) أي ويعملون له تماثيل أي صوراً من
نحاس و زخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة
والانبياء والصالحين في المساجد ليراهم الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخذوا الصور كان مباحا في
شرعهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور العجيبة في العقل كالقتل والظلم
والكذب ونحوها مما يقع في كل الشرائع قيل عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد
بسط له الاسدان ذراعيهما وإذا جلس أظله النسيران باجنتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان
والنسور على درجتيه وروى في كرسيه ملكي يهابه من أراد الدنومنه (وجفان) أي قصاع (كالجواب)

رجل كالجوابي في الوصول والوقف مكي ويعقوب وسهل وافق أبو عمر وفي الوصول الباقون بغير باء كقناعه كسفرة (وقدور راسيات)
ثابتات على الانافي لا تنزل عنها العظمه وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أي ارجوا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية
عن الفضيل وشكرا مفعول له أو حال أي شاكرين أو أشكرك واشكرك لان اعمالها فيه معنى اشكرك وامن حيث ان العمل للنعيم شكركه أو
مفعول به يعني انما سخرنالكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا وسئل الخنيد عن الشكر فقال بذل المجهود بين يدي المعبود
(وقليل من عبادي) يسكون الياء جزء وغيره بفتحها (الشكور) المتوفى على أداء الشكر (٤٨٥) الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه

وجوارحه اعتقادا واعترافا
وكذا وعن ابن عباس رضي
الله عنه من يشكر على
أحواله كلها وقيل من
يشكر على الشكر وقيل
من يرى عجزه عن الشكر
وحكى عن داود عليه السلام
انه حرأ ساعات الليل والنهار
على أهله فلم تسكن تأتي ساعة
من الساعات الا وانسان
من آل داود قائم يصلي
(فلما قضينا عليه الموت)
أي على سليمان (ماد لهم)
أي الجن وآل داود (على
موته الادابة الارض) أي
الارضة وهي دو بيمه يقال
لها سرفه والارض فعلها
فاضيحت اليه يقال أرضت
الخشببة أرضا اذا أكلتها
الارضة (تأكل منسأته)
والعصا تسمى منسأة لانه
ينسأ بها أي بطرد ومنسأته
بغير همز مدني وأبو عمرو
(فلما سخر) سقط سليمان
(تبينت الجن) علمت الجن
كلهم علما بينا بعد التباس
الامر على علمتهم وضعفهم
(أن لو كانوا يعلمون الغيب
مالبشوا) عدمت سليمان

أي كالحياض التي يجبي فيها الماء أي يجتمع قبيل كان يعقد على الجفنة الواحدة ألف رجل يا كلون منها
(وقدور راسيات) أي ثابتات على أنافها لا تتحرك ولا تنزل عن أما كنهها العظمه وكان يصعد اليها بالسلام
وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد
من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبى الله عليه الصلاة والسلام
قد حرأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تسكن تأتي ساعة من ليل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي
(وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكر النعمتي قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت)
أي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجر للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل
من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرا به فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصح
يوما الا وقد نبتت في محرابه بيت المقدس شجرة فيسألها ما علمك فتقول كذا وكذا فيقول لاى شئ خلقت
فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت
الخر وبه فقال لها ما أنت قالت أنا الخربة قال ولاى شئ نبتت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان
الله يخزبه وأنا حى أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم زعها وغرسها في حائطه ثم قال اللهم
عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب
شيئا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلى على عادته متمكنا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى
من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان
وينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلواته وانقطاعه
قبل ذلك فكثروا يدأبون بعد موته حولا كما لاحق أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته
قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ماد لهم)
على موته الادابة الارض) يعنى الارضة (تأكل منسأته) قال البخارى يعنى عصاه (فلما سخر تبينت
الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبشوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون
الغيب مالبشوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويطنونوه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم
الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك جهلهم وقيل في معنى الآية انه ظهر أمر الجن
وانكشف للانسان انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شهبوا على الانس ذلك ذكر أهل التاريخ أن
سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع
سنتين مضين من ملكه وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين قوله عز وجل (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) عن
قزوة بن مسعود المرادى قال لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال ليس
بارض ولا امرأة ولكنها رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فاما الذين تشاءموا
فلحهم وجدام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحسير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل

(في العذاب المهين) وروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتم فوصى به
الى سليمان فامر الشياطين بأتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل به أن يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبتل دعواهم علم الغيب وكان
عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
وروى ان أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما نادى ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده ان يدنونه (لقد كان لسبأ) بالصراف
بتأويل الحى وبعد مة أبو عمرو وتأويل القبيلة (في مسكنهم) جزيرة وحفص مسكنهم على وخاف وهو موضع سكنهم وهو بلدهم وأرضهم
التي كانوا قامين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مسكنهم (آية) اسم كان

(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان ومعنى كونهم ما به أن أهلهم الماء عرضوا عن شكر الله سبحانه عليهم الله النعمة
 ليحتمروا ويتعضوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر ونحو النعم أو جعلها آية أي علامة دالة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره
 (عن يمين وشمال) أراد جماعة من البساتين جماعة عن يمين بلادهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربهما وتضامها
 كأنهما جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة أو أراد بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له)
 حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون (٤٨٦) اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحق بما يقال لهم ذلك ولما أمرهم بذلك أتبعوه

قوله (بلدة طيبة ورب غفور) أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره قال ابن عباس كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت أحصب البلاد تخرج المرأة على رأسها المكمل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكمل مما يتساقط فيه من التمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ومن يمر بهامن الغراب يموت قلبه لطيب هوأئها (فأعرضوا) عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي المطر الشديد أو العرم اسم الوادي أو هو الجرد الذي نقب عليهم السكر لما طغوا سلط الله عليهم الجرد فنقبهم من أسفله فغرقهم (و بدلناهم بجنتين) المذكورتين (جنتين) وتسمية البديل جنتين للمساكنة وازدواج الكلام كقوله وحزاعسيئة

يارسول الله وما انما قال الذين منهم خشم وبجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي عارب من أرض اليمن آية أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان (عن يمين وشمال) أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من آناها وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي قبل لهم كلوا (من رزق ربكم) أي من ثمار الجنتين فيسبل كانت المرأة تحمل مكنتها على رأسها وترى بالجنتين فيمتلئ المكمل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة وعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أي أرض مارب وهي سبأ بلدة طيبة فسيح تليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلادهم بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلادهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره قوله عز وجل (فأعرضوا) قال وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم إلى الله تعالى وذكروهم نعمة عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا لربكم فليجس هذه النعمة عنان استطاع فذلك اعراضهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذي لا يطاق قيل كان ماء أحر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي يجس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس وهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ما عوادهم فأمرت بوادهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثني عشر نخرا على عدة أشهر لهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه إلى البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السبئية المقابلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعد هامة فلما طغوا وكفر واسلط الله عليهم جزا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنتهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيها برعون ويجدون في علمهم ان الذي يخرب سددهم فارة قلم يتركون فارة حية بين حجرين الار بطوا عند هاهرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فارة حراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغت في السد وحطرت حتى أدهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجدخلوا فدخل منه حتى اقتلع السد وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا وضرقوا كل مرق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبأ وضرقوا أيدي سبأ فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم (و بدلناهم بجنتين ذواتي كل خطا) قيل هو شجر الاراك وغمره البربر وقيل كل بنت أخذ طعمامن المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خط وقيل هو غمر شجر يقال له فسوة الضبيع على صورة الخشخاش بتفرك ولا ينتفع به (واثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وغمره النبق ولم يكن السدر الذي بدله مما ينتفع به بل كان سدر

سبئية مثلها (ذواتي كل خطا) الا كل الثمر يشقل ويخفف وهو قراعة نافع ومكي والخط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك (واثل وشئ من سدر قليل) الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من فون الا كل وهو غير أبي عمرو ان أصله ذواتي كل كل خطا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الا كل بالخطا كأنه قيل ذواتي كل بشع ووجه أبي عمرو ان كل الخطا في معنى البربر وهو غمر الاراك اذا كان غضا فكانه قيل ذواتي بربر والواثل والسدر معطوفان على كل لاعلى خطا لان الاثل لا أكله وعن الحسن قتل السدر لانه أكرم ما بدلولائه يكون في الجنان

(ذلك جزيناهم بما كفروا) أي جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مقبول نان مقدم (وهل يجازى الالكفور) كوفي غير أبي بكر وهل يجازى الالكفور غيرهم يعني وهل يجازى مثل هذا الجزاء الامن كفر النعمة ولم يشكروها أو كفر بالله أو هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الابانة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام (وجعلنا بينهم) بين سبا (وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضهم بعضا لتقاربها فهي ظاهرة لا عين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا هذه القرى على مقدار (٤٨٧) معلوم يقبل المسافر في قرية وروى في

أخرى إلى أن يبلغ الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول غة ولكنهم لما مكثوا من السير وسويت لهم أسباب فكانهم أمروا بذلك (ليالي وأياما آمنين) أي سيروا فيها ان شتم بالليل وان شتم بالنهار فان الامن فيها لا يختاف باختلاف الاوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدو ولا جوع ولا عطشا وان تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما وليالي (فقالوا ربنا باعدين أسفارنا) قالوا باليتها كانت بعيدة فنسير على نجابتنا ونرجح في التجارات ونفخر في الدواب والاسباب بطر والنعمة وملاو العافية فطلبوا الكد والتعب بعدمكي وأبو عمرو (وطلموا) بما قالوا (أنفسهم) فبعاناهم أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم (ومرقتناهم كل مرق) ومرقتناهم تفر يقا

بريلا يصلح لشي قبل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل يجازى إلى الكفور) أي هل يكافأ بعمله الالكفور والله في نعمه قبل المؤمن يجزي ولا يجازى يجزي بحسناته ولا يكافأ بسئانه (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربيها منها يقبل كان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حبل زاد من سبا إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغد والراح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أي وفعلنا لهم سيروا (فيها ليالي وأياما) أي في أي وقت شتم (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا والنعمة وتشموا الراحة وطمعوا ولم يصبروا على العافية فقلوا لو كانت جناتنا بأبعد ما هي كان أجدر أن نشتمها وطلبوا الكد والتعب في الاسفار (فقالوا ربنا باعدين أسفارنا) وقرئ بأعدين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مقارز وفلوات لتركب فيها الراحل وتتردد الارزاد فلما تمتوا ذلك جعل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أي بالبطر والطغيان (فجعلناهم أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومرقتناهم كل مرق) أي فرقتناهم في كل وجه من البلاد كل التفرقة قبل ما عرفت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فحققوا بالشام ومر الازدالي غسان وخزاعة إلى تهامة ومر الاوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمر بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل خزيمه بالعراق (ان في ذلك لايات) أي لعبروا دلالات (الكل صبار) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قبل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شيكرا واذا ابتلى صبر ﴿ قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على أهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فرى قامن المؤمن) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظره فانظره الله قال لا غوي بينهم ولا ضلالتهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله قبيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنهم فيهم وقال الحسن انه لم يسئل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسلطنا اياه عليهم (الان تعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) أي لنزى وغير المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذا كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شيء حفيظ) أي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ ﴿ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد

اتخذ هذه الناس مثلامضروبا يقولون ذهبوا أي سبا وتفرقوا إلى ابدى سبا فالحق غسان بالشام وانما ييثر وجذام بهامة والازد بعمان (ان في ذلك لايات لكل صبار) عن المعاصي (شكور) لانهم أول كل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد كوفي أي حقق عليهم ظنه أو وجد صدقوا بالتحفيظ غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا أول بني آدم وقال المؤمن بقوله (الافر يقامن المؤمن) لقائهم بالاضافة إلى الكفار ولا تجرد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لا بليس على الذين صار ظنه فيهم صدق (من سلطان) من تسليط واستيلاء بالوسوسة (الان تعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغير على العلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) وركب على كل شيء حفيظ) بحفاظ عليه وفعل ومفاعل متاخيان (قل) لمشركي قولك

(ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كاحذف في قوله
 أهذا الذي بعث الله استخفا فاطول الموصول بصلته والمفعول الثاني آلهة وحذف لانه موصوف صفة من دون الله والموصوف يجوز
 حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام
 والملائكة وسميتهم باسمه والتجوا اليهم فيما يعرفونكم كالمجيئون اليه وانظروا استجابتهم لادعائكم كما تنتظرون استجابته ثم اجاب عنهم بقوله (لا
 يملكون مقال ذرة) من خسر أو شرا أو نفع أو ضرر (في السموات ولا في الارض) وما لهم فيها من شرك) وما لهم في هذين الجنسيتين من شركة في
 الخلق ولا في الملك (وماله) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) من عوين بعينه على تدبير خلقه يريدانهم على هذه الصفة من العجز فكيف
 يصح ان يدعوا كما يدعي ويرجوا (٤٨٨) كما يرجي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي أذن له الله بعني الامن وقع الاذن للشفيع

لاجله وهي اللام الثانية
 في قولك أذن لزيد لعمر
 أي لاجله وهذا تكذيب
 لقولهم هو لا شفيعا وإنما عند
 الله أذن له كوفي غير عاصم
 الا الاعشى (حتى اذا فرغ
 عن قلوبهم) أي كشف
 الفزع عن قلوب الشافعين
 والمشفوع لهم بكامة يتكلم
 بهارب العزة في اطلاق
 الاذن وفرغ شأى أي الله
 تعالى والتفريع ازالة
 الفزع وحتى غاية لما فهم
 من ان ثم انتظارا للاذن
 وتوقفا وفرغا من الرجوع
 للشفاعة والشفعاء هل
 يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كانه
 قيل يتر بصون ويتوقعون
 ما يفرعون حتى اذا فرغ
 عن قلوبهم (قالوا) سأل
 بعضهم بعضا (ماذا قال
 ربكم قالوا) قال (الحق)
 أي القول الحق وهو الاذن
 بالشفاعة ان ارتضى

لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أي انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي
 نزل بكم في سنى الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مقال ذرة في السموات ولا في الارض)
 يعني من خسر أو شرا أو نفع أو ضرر (وما لهم) أي للآلهة (فيها) أي في السموات والارض (من شرك) أي
 من شركه (وماله) أي الله (منهم) أي من الآلهة (من ظهير) عوين (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
 له) أي أذن الله في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هو لا شفيعا وإنما عند الله وقيل يجوز أن يكون
 المعنى الا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل
 هم الملائكة وسبب ذلك من غشبية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فرغ عن قلوبهم
 (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللمزمذى اذا قضى الله في السماء أمرا
 ضربت الملائكة باجنحتها خضعوا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
 الحق وهو العلي الكبير قال الترمذى حديث حسن صحيح قوله خضعوا خضع خاضع وهو المنقاد المطمئن
 والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة
 كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون
 يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود والصلصلة صوت الاحراس الصلبة بعضها
 على بعض وقيل انما يفرعون حذر ان قيام الساعة قبل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
 خمسة مائة سنة أو ست مائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل
 بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انهم الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم
 أهل السموات من أسراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل
 كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو
 العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت
 الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا اقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي
 الكبير أي ذوالعلو والكبرياء ﴿قوله عز وجل﴾ (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعني المطر والنبات
 (قل الله) يعني ان لم يقولوا ان رزقنا هو الله فقل أنت ان رزقكم هو الله (وانا اياكم لهدى أو في ضلال
 مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الطريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق

(وهو العلي الكبير) ذوالعلو والكبرياء ليس الملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم الا بذنه وأن يشفع
 الا لمن ارتضى (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله) أمره بان يقر وهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بان يتولى الاجابة والاقرار
 عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقولهم الا انهم ربما أباوان يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لمهم ان يقال
 لهم فسالكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره ان يقول لهم بعد الاقرار والالجام الذي ان لم يرزقوا على اقرارهم
 بالسنتهم لم يتقاصر عنه (وانا اياكم لهدى أو في ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الموحد من ومن المشركين لعل أحد الامرين
 من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدم
 ما قدم من التقرير بدلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض
 ونحوه قولك لا كاذبان أحدنا كاذب ونحوه بين حرق الجرد الخليل على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كانه مستعمل على فرس جواد

الشك

يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئلك عما تعملون) هذا أدخل في الانصاف من الأول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين وهو من جور عندهم محذور والعمل الى المخاطبين وهو ما مور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بالاجور ولا ميل (وهو الفتح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أروني الذين أحلقتم) أي أحلقتموهم (به) بالله (شركاء) في العبادة معه ومعنى قوله أروني وكان يراهم ان يرهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وأن يطاعهم على حالة الاشرار به (كلا) ردع وتنبية أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشركه أحد وهو ضمير الشأن (الحكيم) في تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الارسالة عامة لهم محيطتهم لانها اذا شملتهم فقد (٤٨٩) كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال

الزجاج معنى الكافة في اللغة الاحاطة والمعنى أرسلناك جامعا للناس في الاذوار والابلاغ ففعله حالامن الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أقر (وتدبرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين قل انكم معياد يوم الميعاد طرف الوعد من كان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم وأما الاضافة فاضافة تبين كما تقول بعير سانية (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم اليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم سأوا عن ذلك وهم منكرون له

الشك بل على جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان أتهمموه ولسنته بكفء * فسر كالحبر كالفداء وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية انما العلى هدى وانكم لفي ضلال مبين (قل لا تسئلون عما أجرمنا) أي لا تؤخذون به (ولا تسئلك عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعني يوم القيامة (ثم يفتح) أي يقضى ويحكم (بيننا بالحق) أي بالعدل (وهو الفتح) أي القاضي (العليم) أي بما يقضى (قل أروني) أي أروني (الذين أحلقتم به) أي بالله (شركاء) أي الاصنام التي أشركوها معي في العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يرهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله (كلا) كلفردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) أي في تدبير خلقه فإني يكون له شريك في ملكه قوله عز وجل (وما أرسلناك الا كافة للناس) أي للناس كلهم عامة أحرهم وأسودهم عربهم وعجمهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فإني أجاويزها من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لأحد من كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالته بيننا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة تخص بها دون سائر الانبياء عليه وعاليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافا تكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (وتدبرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل انكم معياد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يزد في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن به) ذال القرآن (ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والانجيل (ولوتري) أي يا محمد (اذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولوتري في الآخرة موقفهم وهم يتجادون أطراف المحاورة أو يتراجعونها بينهم لم رأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (الذين استكبروا) وهم

(٦٣ - خازن) - ثالث) تعنتا لاسترشاد افعال الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخر عنه ولا تقدم عليه (وقال الذين كفروا) أي أوجهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى انهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لسادل عليه من الاعادة للجزء حقيقة (ولوتري اذا الظالمون موقوفون) محبوسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم الى بعض القول) في الجدال أن خبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم يخاطبوا ولوتري في الآخرة موقفهم وهم يتجادون أطراف المحاورة يتراجعونها بينهم لم رأيت العجب فخذف الجواب (يقول الذين استضعفوا) أي الاتباع (الذين استكبروا) أي للرؤس والمقدمين

(لولا أنتم لكانوا منسبين) لولا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لكانوا منسبين بالله ورسوله (قال الذين استكبروا الذين استضعفوا ونحن صدقناكم عن الهدى) أولى الاسم أي نحن حرف الانكار لان المراد انكار ان يكونوا هم الصادق لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم أقوام من قبل اختيارهم (بعد اذ جاءكم) انما وقعت اذ مضى الهوان كانت اذ واذما من الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف اليها الزمان (بل كنتم بجرمين) كافر من لا اختيار كوايثاركم الضلال على الهدى لابقولنا وتسويلنا (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا) لم يأت بالعاطف في قول الذين استكبروا وأتى به في قول الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا أمرا ولا كلامهم فخيء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم خيء بكلام آخر المستضعفين فعطف على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) بل مكركم بنا بالليل والنهار فانسح في الظرف باحرائه مجرى المذول به واطرافه المكره له أو جعل ليلهم ونهارهم ما كرم من على الاسناد المجازي أي الليل والنهار مكر باطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم نحن صدقناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين أو ثبتوا بقولهم بل كنتم بجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كرا عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فاطواواضراهم باضراهم كأنهم قالوا ما كان الاحرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنادائنا باليل (٤٩٠) ونهارا وجاهلكم ايانا على الشرك واتخاذ الاند (أسروا والندامة) أضروا وأطهروا وهزموا الانداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون ينعدم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لما رأوا العذاب) الخيم (وجعلنا الاعمال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فناء بالصریح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال (هل يجزون الاما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي رؤسائها وأغنيائها (انما أرسلناهم كافرين وقالوا) يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) يعني لولم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا وأولادا (وإن نحن بمعذبين) أي ان الله قد أحسن البنى في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا الضيق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفي) أي بالتي تقر بكم عندنا تقر بيا (الا) أي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ما علمه وعلمه بقره مني (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي بضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشر الى سبع مائة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في ابطال حججنا (مجزين) أي معاندين يحسبون

القادة والاشراف (لولا أنتم لكانوا منسبين) يعني أنتم منعمون وان عن الايمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أي أجاب المتبعون في الكفر (الذين استضعفوا ونحن صدقناكم) أي منعناكم (عن الهدى) أي عن الايمان (بعد اذ جاءكم) أي ترك الايمان (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا) أي مكر الليل والنهار (أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الايام فيها) (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة الاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسروا الندامة) أي أطهروا وقيل أخفوها وهو من الانداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الاعمال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فناء بالصریح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال (هل يجزون الاما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي رؤسائها وأغنيائها (انما أرسلناهم كافرين وقالوا) يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) يعني لولم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا وأولادا (وإن نحن بمعذبين) أي ان الله قد أحسن البنى في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا الضيق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي انها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفي) أي بالتي تقر بكم عندنا تقر بيا (الا) أي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ما علمه وعلمه بقره مني (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي بضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشر الى سبع مائة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في ابطال حججنا (مجزين) أي معاندين يحسبون

تمامي به من قوم من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال رسول الله انهم صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافترجوا بكمثرة الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ونحن بمعذبين) أرادوا انهم أكثر على الله من ان يعذبهم نظر الى أحوالهم في الدنيا ووطنهم لولم يكرموا على الله ما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فاطل الله ظنهم بان الرزق فضل من الله يقبضه كيف يشاء فربما وسع على المعاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهم ما وضيق عليهم ما فلا يتقاس عليهم ما أمر الثواب بقوله (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضيقه قال الله تعالى ومن قدر علمه رزقه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفي) أي وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر عقب الاوه وغير عقلائه سوا في حكم التأنيث والزلفي والزلفه كالقربى والقربى ومحلهما النصب على المصدر أي تقر بكم قرينة كقوله أنبتكم من الارض نباتا (الامن آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كفي تقر بكم يعني أن الاموال لا تقرب أحد الامؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحد الامن عليهم الخير ونفعهم في الدين ورشحهم للصالح والطاعة وعن ابن عباس الاجمعي لكن ومن شرط جوابه (فأولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشر أو تقر بأضعف جزاء الضعف ثم جزاء الضعف (بما عملوا) باعمالهم (وهم في الغرفات) أي غرف منازل الجنة العزفة حرة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في ابطالها (مجزين)

أولئك في العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق (وسع لمن يشاء من عباده و يقدره و ما أنفقتم) ما شرطه في موضع النصب (من شئ) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لا معوض سواء اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعمه من لان كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيره ما فهم من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق و خالق الاسباب التي هي منتفع الرزق بالرزق و عن بعضهم الحمد لله الذي أو خدني و جعلني ممن يشتمى فستكم من مشته لا يجدر و اجدا يشتمى (و يوم تحشرهم جميعا ثم تقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) و بالباء فيها خفض و يعقوب هذا خطاب للملائكة و تقر بعبادته و لا تكفار و ارد على المثل السائر اياك أعني و اعني باجازه و نحوه قوله أنت قلت للناس اتخذوني في الآياتة (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تنزيها لك أن يعبد مع غيرك (أنت و لينا) الموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب و الولي يقع على الموالى و الموالى جميعا و المعنى أنت (٤٩١) الذي نواله (من دونهم) اذ لا موالاة بيننا

وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله و معاداة الكفار براعتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذ عبدت في عبادة غيرها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن و قالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون) فاليوم لا يحل لكم بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يحل فيه أحد منمنعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب و عقاب و المثيب و المعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف و الناس فيها يتخلى بينهم يتضارون و يتنافسون

انهم يعجزون و ينشأ و يفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) قوله عز و جل (قل ان ربى يبسط الرزق ان يشاء من عباده و يقدره و ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف و لا تقتير فهو يخلفه و يعوضه لا معوض سواء اما عاجلا بالمال أو بالفتاعة التي هي كثر لا ينفد و اما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه و قيل ما صدقتهم من صدقة و أنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم و لكل ما قسم له قابل وهو ينفق بشفقة الموسع عليه فيمنفق جميع ما في يده ثم يتي طول عمره في فقر و لا يتأولن و ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا في الآخرة و معنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك و تعالى أنفق ينفق عليك و اسلم بالبن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا لو كان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفا و يقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا و ما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى و رزق لان كل ما رزق غيره من سلطان رزق جنده أو سيد رزق مملوكه أو رجل رزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رزق سواه قوله تعالى (و يوم تحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار (ثم تقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا و هذا استفهام تقر بعبادته و تقر بركه لا كفار فتبيرا للملائكة منهم من ذلك وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تنزيها لك (أنت و لينا) من دونهم) أي نحن نتولاك و لا تتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله و معاداة الكفار براعتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم و قيل صور و الله صور و قالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها و قيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم) أي أكثرهم مؤمنون) أي مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فالذي يوم لا يحل لكم بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعة (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر) و تقول للذين ظلموا و ذوقوا عذاب النار التي كتبتمها تكذبون و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمد صلى الله عليه وسلم) يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفتري) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا و اللحق لم يأتهم ان هذا الا محرمين و ما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يد رسوخها) أي يقرؤها (و ما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك

و المراد انه لا ضار و لا نافع لهم هذا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (و تقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا تأكل (ذوقوا عذاب النار التي كتبتمها تكذبون) في الدنيا (و اذا تتلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) و اوضحان (قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الرجل) يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا) أي القرآن (الا افك مفتري) وقال الذين كفروا أي وقالوا و العادل عن دابيل على اسكار عظيم و غضب شديد (للحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لم يأتهم) و عجزوا عن الاتيان بمثله (ان هذا) أي الحق (الا محرمين) يتوه على انه محرم ثم يتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سمعوا محمرا (و ما آتيناهم من كتب يد رسوخها) أي ما أعطينا مشركي مكة كتب يد رسوخها فها هو ان على حجة الشرك (و ما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) و لا أرسلنا اليهم نذير و انذرتهم بالعقاب ان لم يشرکوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله

(وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الأمم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (ومابلقوا معشار ما أتيناهم) أي ومابلق أهل مكة عشر ما أوتى الأولون من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال والأولاد (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) لا مكذبين الأولين فليحذروا من مثله وبالبياء في الوصل والوقف يعقوب أي حين كذبوا رسلاهم جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بحاهم مستظرون فما بال هؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظمكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسر هاب قوله (أن تقوموا) على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير وهي أن تقوموا والنصب على تقدير أعنى وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن تجتمعتهم عنده أو قيام القصد الى الشيء دون النهوض والانتصاب والمعنى انما أعظمكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا (الله) أي لوجه الله خالصا للجمية ولا عصبية بل لطاب الحق (مثنى) اثنين (وفرادى) فردا فردا (ثم تتفكروا) (٤٩٢) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد

منهما محصل فذكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفردى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الزوية ويقبل الانصاف فيمويه ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وتتفكروا معطوف على تقوموا (ما بصاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنه) جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنه ان هو

نبي ولا أنزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الأمم السالفة رسلنا (ومابلقوا) يعنى هؤلاء المشركين (معشار) أي عشر (ما أتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمه وطول الأعمار (فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) أي انكارى عليهم يحذر بذلك كفارهم هذه الامه عذاب الامم الماضية ﴿قوله عز وجل (قل انما أعظمكم) أي أمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله) أي لاجل الله (مثنى) أي اثنين اثنين (وفرادى) أي واحد او احدا (ثم تتفكروا) أي تجتمعتهم وواجهتهم فانظروا وتجاوزوا وتفكروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ان (ما بصاحبكم من جنه) ومعنى الآية انما أعظمكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصل فذكره على صاحبه لينظر افيه نظر متصادقين متنافسين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضا بعدل ونصفة هل رأيت في هذا الرجل جنونا قاطأ أوجر بنا عليه كذا بقا وقد علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم مابيه من جنه بل قد علمت انه من أرحم قريش عقلا وأزهدهم حلما وأأحدهم ذهنا وأرصنهم رأيا وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم ذلك فكفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاءها تبين انه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا أي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنه (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم) أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم أسألكم شيئا (ان أجرى) أي ثوابي الاعلى الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق) أي يأتي بالوحى من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) أي خفيات الامور (قل جاء الحق) أي القرآن والاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تبتدى شيئا أو تعيده وقيل

الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي الساعة ثم بين انه الباطل لا يطلب أجر على الاذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على اندارى وتبليغى الرسالة (فهو لكم) جزاء الشرط تقديره أي شئ سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه في مسئلة الاجر وأسألتكم ما في هذا فهو لك أي ليس لي فيه شئ (ار أجرى) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص وسكون البياء غيرهم (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) فيعلم انى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف بالحق) بالوحى والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار المعنى الالتقاء ومنه وقذف في قلوبهم الرعب أن اذ فيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويرفقه (علام الغيوب) سرفوع على البدل من الضمير في يقذف أو على انه خبر مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحى فعدمها عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يباعها يعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل الاصنام وقيل البليس لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قبل له الشيطان من شاط اذ هالك أي لا يخلق الشيطان

ولا الصنم أحد ولا يبعثه فالنبي والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آباءنا قال الله تعالى (قل ان ضلالت) عن الحق (فانما أضل على نفسي) ان ضللت فني وعلى (وان اهتديت فيما يوحي الي الرب) أي فبئس ديد به بالوحي الي وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله فني اهتدي فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولكن هما متقابلان بمعنى لان النفس كل ما هو وبال عليه واضرار لها فهو بها وبسببها لان الامارة بالسوء وما لها ما ينفعها فهداية زيارت توفيقها وهذا حكم عام لكل مكاف وانما أمر رسوله أن يسند له ان نفسه لان الرسول اذا دخل تحتها مع جلالته وسداد طريقتهم كان غيره أولى به (انه يسمع) لما أقوله لكم (قريب) مني ومنكم يجازيني ويجازيكم (ولو ترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمر اعظيما واحلاهاثلة (اذ فرعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا فون) فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسهبونه (وأخذوا) عطف على فرعوا أي فرعوا وأخذوا فلا فون لهم أو على لا فون على معنى اذ فرعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من حجر ابراهيم الى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) بحمد عليه السلام وروى كره في قوله ما باصاحبكم من الجنة أو بالله (واني لهم التناوش) التناوش التناول أي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريدان التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا

(٤٩٣)

الشيء من غلوة كما يتناول الآخرة من قيس ذراع التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفي غير حفص همزت الواو لان كل واو مضمومة ضميتها لازمة ان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قات ادور وتقاوم وعن ثعلب التناوش بالهمزة التناول من بعدو وبغير همز التناول من قرب (وقد كفر وابه من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقدفون بالغيب) معطوف على قد كفر واعلى حكاية الحال

الباطل هو ابليس والمعنى لا يخاف ابليس أحد ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آباءنا فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما أضل على نفسي أي اثم ضلالتى على نفسي (وان اهتديت فيما يوحي الي الرب) أي من القرآن والحكمة (انه يسمع قريب) قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ فرعوا) أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فون) أي لا يفوتوننا ولا نجاة لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فانهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبداء ومعنى الآية ولو ترى اذ فرعوا لرأيت أمر اعتبر به (وقالوا آمنابه) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (واني لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريباً منهم في الدنيا افضيه وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال واني لهم الرد الى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة الى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقدفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لان علم غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمد صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولا الجنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) بمعنى الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كف فعل بشياعهم) أي بنظر انهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والايمان في وقت اليأس (انهم كانوا

الماضية يعني وكانوا في كاهن بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا الجنة ولا نار عن الصدق أو عن الحق والصواب أو هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحراً ولا شعراً ولا كذباً وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعدهم عن سماعه السحرة والشعر وابعدهم عن عاينته التي عرفت بينهم وحررت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبي عمرو وعلى البناء للمفعول أي تأتهم به شياطينهم وياقنونهم اياه وان شئت فقل بقره وقالوا آمنابه على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عجلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنابي الآخرة وذلك ما طلب مستبعد من يقذف شيئاً من مكان بعيد لا يحال للظن في حوقه حيث يريدان يقع فيه لكونه غائباً عنه بعيداً ويجوز ان يكون الضمير في آمنابه للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من ان يذبنا فانسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فان هذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف (وحيل) ويحجز (بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من لرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله ارجعنا نعمل صالحاً والافعال التي هي فرعوا وأخذوا وحيل كلها للمضى والمراد به الاستقبال لتحقيق وقوه (كف فعل بشياعهم من قبل) باشباههم من الكفرة (انهم كانوا

في شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع في الريبة من أربابه إذا أودعه في الريبة هذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم
 * (سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية) * * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الحمد لله) حمد ذاته تعليمات وتعليمات (فاطر السموات)
 مبدتها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كانت أدري معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيين في بئر فقال أحدهما أنا فاطرها أي
 ابتدأتها (والارض جاعل الملائكة رسلا) الى عباده (أولى) ذوى اسم جمع لذو هو وبدل من رسلا أو نعت له (أجنحة) جمع جناح (منى
 وثلاث وربع) صفات لأجنحة وانما لم تنصرف لتكرّر العدل فيها وذلك انهم اعدت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن
 عامر وعن تكرر الى غير تكرر بروقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنتان اثنتان أى اكل واحد منهم
 جناحان وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظاهر بين الجناحين يدهما بقوة وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في
 الخلق) أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في
 العينين والآية مطلة تناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورته وتعام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل ورحالة في
 الرأي وذلك في اللسان ونجبة (٤٩٤) في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفتح الله

للناس من رحمة) نكرت
 الرحمة للإشاعة والابهام
 كأنه قال من آية رحمة رزق
 أو مطر أو حجة أو غير ذلك
 (فلا تمسك لها) فلا أحد
 يقدر على امساكها وحبسها
 واستعير القبح للإطلاق
 والارسال الأتري الى قوله
 (وما يمسك) يمنع ويحبس
 (فلا مرسل له) مطابق له
 (من بعده) من بعد امساكها
 وأنت الضمير الرجوع الى
 الاسم المتضمن معنى الشرط
 على معنى الرحمة ثم ذكره
 جملا على اللفظ المرجع
 اليه اذ لا نائين فيه لان
 الاول فسر بالرحمة فحسن
 اتباع الضمير التفسيري ولم
 يفسر الثاني فترك على
 أصل التذكير وعن

في شك) أى من البعث ونزل العذاب بهم (مريب) أى موقع الريبة والتهمة والله أعلم ثم راد سر كتابه
 * (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة) *
 وهى مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والارض) أى خالقها ومبتدعها على غيره مثال سبق (جاعل الملائكة
 رسلا) أى الى الانبياء (أولى الأجنحة) أى ذوى أجنحة (منى وثلاث وربع) أى بعضهم له جناحان وبعضهم
 له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء قال عبد الله بن
 مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل في قوله يزيد في
 الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتعامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز
 (ان الله على كل شئ قدير) أى بما يريد أن يخلق قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل
 من خير ورزق (فلا تمسك لها) أى لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلأمر سل له من بعده) أى لا يقدر
 أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أى فيما أمسك (الحكيم) أى فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
 كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم والجد الغنى والبخت أى
 لا ينفع المخوت والغنى حظه وغناه لانهم امنك انما ينفعه الا خلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل (يا أيها
 الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحريم ومنع الغارات
 عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو واسمتهام تقرر وتوبخ (برزقكم من السماء) يعنى
 المطر (والارض) أى النبات (لا اله الا هو فاني توفىكون) أى من أين يقع لكم الا ذلك والتكذيب بنوحيد
 الله وانكار البعث وأنتم مقررون بان الله خالقكم ورازقكم (وان يكذبوك فقد كذبت رسلا من قبلك)

معاذ مرفوعا لا تزال يد الله مبسوطه على هذه الامم ما لم يفرق خيارهم بشرارهم ويعظم برهم فاجرهم يعزى
 وتعين قرأهم أمراءهم على معصية الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله بده عنهم (وهو العزيز) الغالب القادر على ارسال والامساك (الحكيم)
 الذى رسل ويمسك ما تقتضى الحكمة ارساله وامساكه (يا أيها الناس اذكروا) باللسان والقلب (نعمت الله عليكم) وهى التي تقدمت
 من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عمد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفه قلوبهم والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبه
 على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) يرفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وحزرة على
 الوصف لفظا (برزقكم) يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون صفة لخالق (من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لا اله الا
 هو) جملة مفصولة لا يحمل لها (فاني توفىكون) فبأى وجه نصر فون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسلا من قبلك) نعي به
 على قريش سوء تلقىهم لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بالثبات في الانبياء قبله اسوة قوله انك رسل أى رسل ذوو عدد كبير ولو آيات
 ونذر أهل اعمار طول وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وتقدر بالكلام وان يكذبوك فتأثم بالتكذيب الرسول من قبلك لان الجزاء يتعقب
 الشرط ولو أجرى على الظاهر يكون سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسلا من قبلك موضع فتأثم استغناء بالسبب عن المسبب أى بالتكذيب عن

التاسي (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقه
 ترجع بفتح التاء شاحي وحزرة على ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كائن (فلا تغرنكم الحياة
 الدنيا) فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهبنكم التمتع بها والتلذذ بما فيها من العمل لا تخدعوا طلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي
 الشيطان فانه يفتنكم بالكاذبة ويقول ان الله غف عن عبادك وعن تكذيبك (ان الشيطان اسك عدو) ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل
 وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجد منكم الا ما يدل على معادته في سرهم وجهرهم
 ثم تلخص سر أمره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذي يؤمنه في دعوة شيعته هو ان يوردهم موزد الهالك بقوله (انما يدعو خزيه ليكونوا من اصحاب
 السعير) ثم كشف الغطاء في الامر كله على الاعيان وتركه فقال (الذين كفروا والهم عذاب شديد) أي فمن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد
 لانه صار من خزيه أي أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من خزيه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) ليكبر جهادهم
 وماذا كرا الغريبين قال لئيبه عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يتزين الشيطان لمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٤٩٥) وذ كر الزجاج ان المعنى أفمن زين له
 سوء عمله ذهب نفسك عليه

يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أي فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه قوله
 تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعني وعد القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لا تخدعنكم بلذاتها
 وما فيها من عمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي لا يقل لكم اعمالوا ما شئتم فان الله بغفر
 كل ذنب وخطية ثم بين الغرور ومن هو فقال تعالى (ان الشيطان اسك عدو فاتخذوه عدوا) أي عادوه بطاعة
 الله ولا تطيعوه فيها يأمركم به من الكفر والمعاصي (انما يدعو خزيه) أي أشياعه واوليائه (ليكونوا من
 اصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا والهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل
 ومشرك مكة وقيل نزلت في اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموا الهم
 وايس اصحاب الكفار من الذنوب منهم لم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين
 له شبهه له وموه عليه فبيح عمله (فرآه حسنا) وفي الآية حذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا
 كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل مجاز الآية
 أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
 والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تنتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله علم بما يصنعون)
 فيه ويعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) أي ترجمه من مكانه وقيل تجمعه
 وتجي به (فسقناه) أي فسوقه (الى بلاد ميت فأحييناه الارض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل
 احياء الموات نشور الاموات وروى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رز بن العقبلي قال قلت يا رسول الله كيف
 يحيي الله الموتي وما آية ذلك في خلقه فقال هل صررت بواد أهلك لمخلاتم صررت به به تنخرصرا قلت نعم قال
 كذلك يحيي الله الموتي وتلك آية في خلقه قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من
 كان يريد أن يعلم ان العزة لله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء الى

حسرة في حذف الجواب
 دلالة فلا تذهب نفسك
 عليه أو أفمن زين له سوء
 عمله كمن هداه الله فحذف
 دلالة فان الله يضل من
 يشاء ويهدي من يشاء
 عليه فلا تذهب نفسك
 يزيد أي لانها لكها حسرات
 مفعول به يعني فلا تهلك
 نفسك للحسرات واعلمهم
 صالة تذهب كما تقول هلك
 عليه حيا ومات عليه حزنا
 ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
 لان المصدر لا يتقدم عليه
 صلته (ان الله علم بما
 يصنعون) وعيد لهم
 بالعقاب على سوء صنيعهم
 (والله الذي أرسل الرياح)
 الريح مكي وحزرة على (فتثير

سحابا فسقناه الى بلاد ميت) بالتشديد مدني وحزرة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فأحييناه) بالمد والرفع تقدم ذكره ضمنا (الارض بعد
 موتها) يبسهها وانما قيل فتثير لتجسي الحال التي تقع فيها اثاره الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة على القدرة البانية وهكذا يفعلون
 بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلاد الميت و احياء الارض بالطنز بعد موتها كما كان من الدليل على
 القدرة الباهرة قيل فسقناه وأحييناه معدولا لهم ما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف في محل
 الرفع أي مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيي الله الخلق بما يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد
 العزة فلله العزة جميعا) أي العزة كلها مختصة بالله عزرة الدنيا وعزرة الآخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله
 آلهة ليكونوا لهم عزوا الذين آمنوا بالسننهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولاد من دون
 المؤمنين أي يتعززون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزرة الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا وضعه استغناء عنه
 به لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه وما نسكه وتظيره قولك من أراد النصيحة فهسى عند الارزاق تريد فليطلبها عندهم الا انك أقت
 ما يدل عليه مقامه وفي الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزير فربن أراد عز الدارين فليطع العزير ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو الايمان
 ٧ قوله وقيل مجاز الآية الخ يعلم مما ذكره الامام النسفي عن الزجاج انه غير ظاهر فليطلبها

(ومن كل) ومن كل واحد منهما (تأكلون لحاظاً) وهو السمك (وتستخرجون حليه تلبسونها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) شواق للماء بجربها يقال شرت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجره ذلك في الآية ولكن فيها قبلها ولو لم يجرب بشكل لدلالة المعنى عليه (وعلمكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحر من العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحر وما علق بهما من نعمه وعظايمه ومجمل غير طريفة الاستطراد وهو ان يشبهه الحسنيين بالبحر من ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريفة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لآيات متجبر منها الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) يدخل من ساعات احدهما في الاخر حتى يصير الزايد منها خمس عشرة ساعة والناقص تسعة (وتنخر الشمس والقمر) أي ذليل أضواء عصوره لاستواء سيره (كل يجرى لاجل مسمى) أي يوم القيامة ينقطع حرمهما (ذلكم) مبتدأ (الله بكم له الملك) اخبار مترادفة أو والله بكم خبر ان وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه) يعني الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الغرض (ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرون منها (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باسرا ككم (٤٩٧) لهم وعبادتكم اياهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينشك مثل خبير) (ولا ينشك أيها المتهون باسباب الغرور كما ينشك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان يخبر بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر الخبيرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوتان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أي الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغني) عن خاقه لا يحتاج اليهم (الحديد) أي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أي لا تخاذكم أن دادا وكفركم باياته (ويات بخلق جديد) أي بخلق بعدكم من يعبدوه ولا يشرك به شيئاً (وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع (ولا تزروا زرة وزر أخرى) أي ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقرفته لا تؤاخذ بدين غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله ولا يحملن أثقالهم وأثقالهم قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك

شديد الملوحة يجرق الخلق بلوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعني من البحر من (تأكلون لحاظاً) يعني السمك (وتستخرجون) أي من الملح دون العذب (حليه تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر الملح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه مواخر) أي جوارى مقبله ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) أي بالتجارة (وعلمكم تشكرون) أي تشكرون الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وتنخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله بكم له الملك (والذين تدعون من دونه) يعني الاصنام (ما علكون من قطعير) هي القشرة الرقيقة القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (ان تدعوهم) يعني الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) يعني انهم جماد (ولو سمعوا) أي على سبيل الغرض (ما استجابوا لكم) (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يتبرون منكم ومن عبادتكم اياها (ولا ينشك أي نفسه أي لا ينشك أحد مثلي لاني عالم بالايشاء) قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أي الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغني) عن خاقه لا يحتاج اليهم (الحديد) أي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أي لا تخاذكم أن دادا وكفركم باياته (ويات بخلق جديد) أي بخلق بعدكم من يعبدوه ولا يشرك به شيئاً (وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع (ولا تزروا زرة وزر أخرى) أي ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقرفته لا تؤاخذ بدين غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله ولا يحملن أثقالهم وأثقالهم قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك

(٦٣ - (خازن) - نالت) الغني) عن الاشياء أجمع (الحديد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء وهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الاغنياء وذكر الحديد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غني نافعاً بغناه الا اذا كان الغني جواداً منعماً واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغني ولهم بالفقر في ادعى الغني حجب عن الله ومن أظهر فقره أو وصله فقره اليه فينبغي للعبد ان يكون مفقر بالسر اليه ومنقطعاً عن الغير اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته ان لا يسأل من أحد وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفقر ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غنياً بالله وكلما ازداد افتقار الازداد غنى وقال يحيى الفخر خبير للعبد من الغني لان المذلة في الفقر والكبر في الغني والرجوع الى الله بالتواضع والمذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر اليه في كل شيء والرجوع اليه من كل شيء وقال الشبلي الفقير يجرب البلاء وبلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كما حكم الى العدم فان غناه بذاته لا يحكم في القدم (ويات بخلق جديد) وهو بدون حدكم جديد (وما ذلك) الانشاء والافناء (على الله بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبدوه لا يشركه شيئاً (ولا تزروا زرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمًا نفس أخرى والوزر والوزر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوزرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقرفته لا تؤاخذ بنفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدين الولي بالولي والجار بالجار وانما

قبل وازرة ولم يقل ولا تز نفس وزر أخرى لان المعنى ان النفوس الوازران لا ترى منهن واحدة الاحاطة وزررها لا وزر غيرها وقوله ولجمل
 انقالمهم وانقلا مع انقالمهم وادنى الضالين المضلين فانهم يحملون انقال اضلال الناس مع انقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من
 وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سيبلنا ولجمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء (وان تدع
 مثقلة) أي نفس مثقلة بالذنوب أحدا (الى جملها) ثقلها أي ذنوبها التي تحمل عنها بعض ذلك (لا يحمل منه شيء ولو كان) أي المدعو وهو منهموم
 من قوله وان تدع (ذاقربي) ذاقربه بقرينة كلب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله ولا تز وازرة وزر أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى جملها
 لا يحمل منه شيء ان الاول دال على عدل الله في حكمه وان لا يؤخذ نفسا بغير ذنوبها والثاني في بيان انه لا غيات يومئذ ان استغاث حتى ان نفسا
 قد انقلبتا الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تحب ولم تغف وان كان المدعو بعض قرانها (انما تستدر الذين يخشون ربهم) أي
 انما ينقذ بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبين عنهم وقيل
 بالغيب في السر حيث لا اطلاع للغير عليه (واقاموا الصلاة) في مواضعها (ومن تركي) تظهر بفعل الطاعات وترك المعاصي (فانما يتركي
 لنفسه) وهو اعتراض مؤكده لحديثهم (٤٩٨) واقامتهم الصلاة لانهم امن بجملة التزكي (والى الله المصير) المرجع وهو وعد المعتزكي

بالثواب (وما يستوى الاسمى
 والبصير) مثل للكافر والمؤمن
 أو للجاهل والعالم (ولا
 الظلمات) مثل للكفر
 (ولا النور) للايمان (ولا
 الظل ولا الحرور) الحق
 والباطل أو الجنة والنار
 والحرور الريح الحار كالسهموم
 الا ان السهموم تكون
 بالنهار والحرور بالليل والنهار
 عن الفراء (وما يستوى
 الاحياء ولا الاموات) مثل
 للذين دخلوا في الاسلام
 والذين لم يدخلوا فيه وزيادة
 لالتأكيد معنى النفي
 والفرق بين هذه الواوات
 أن بعضها ضمت شفعا الى
 شفع وبعضها ترا الى وتر
 (ان الله يسمع من يشاء وما
 أنت بمسمع من في القبور)

كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى جملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها (لا يحمل
 منه شيء ولو كان ذاقربي) أي ولو كان المدعو ذاقربة كلاب والام والابن والايخ قال ابن عباس يعلق الاب
 والام بالابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي معالي (انما تستدر الذين يخشون
 ربهم) أي يخافون ربهم (بالغيب) أي لم يروه والمعنى وانما ينقذ بانذارك الذين يخشون ربهم بالغيب
 (واقاموا الصلاة ومن تركي) أي أصح وعمل خيرا (فانما يتركي لنفسه) أي لها ثوابه (والى الله المصير وما
 يستوى الاسمى والبصير) أي الجاهل والعالم وقيل الاسمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو
 المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن
 عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسهموم بالنهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعني المؤمنين والكفار
 وقيل العلاء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في القبور)
 يعني الكفار وشبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيئون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أي ما أنت الا منذر
 تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) أي بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وان
 من أمة) أي من جماعة كثيرة قديما مضى (الاخلا) أي سلف (فهيأ نذير) أي نبي منذر فان قلت كم من أمة
 في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحل فيها نذير قلت اذا كانت آتار النذارة باقية لم تحل من نذير
 الا أن تندرس وحين اندوست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم وآتار نذارته
 باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده (وان يكذبوك) فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات) أي
 بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف (وبالكتاب المنير) أي الواضح قبيل أراد بالكتاب
 التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر كما كذا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان
 نكيرهم ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) يعني أجناسها من
 الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني ألوانها في الحرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما

يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام من لا يدخل فيه فهم من يشاء هدايته وأما أنت نذير
 عليك أمرهم فذلك تحصر على اسلام قوم يخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسوعهم (ان أنت الا نذير) أي ما عليك الا ان
 تبلغ وتندرفان كان المنذر ممن يسمع الاذار نطق وان كان من المصرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محقا أو
 محققين أو صفة المصدر أي ارسالهم بابا بالحق (بشيرا) بالوعيد (ونذيرا) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمتك والامة الجماعة الكبيرة
 وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة وما أراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم
 تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارته عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الاخلا) مضى (فهيأ نذير) يخوفهم وخامة الطغيان
 وسوء عاقبة الكفران واكتفي بالنذير عن البشيرة في حال آية بعد ما ذكرهما لان النذارة مشهورة بالبشارة فدل ذلك نذارته على ذكر
 البشارة (وان يكذبوك) فقد كذب الذين من قبلهم (رسولهم) جاءتهم رسالهم (وما أنت بمسمع من في القبور) أي ما أنت الا منذر
 (والكتاب المنير) أي التوراة والانجيل والزبور والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت الذين كفروا) بانواع
 جمعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبور والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت الذين كفروا) بانواع
 العقوبة (فكيف كان نكيرهم) انكارى عليهم ونعدي بهيهم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)

لا

أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هي آثمها من الحرة والصفرة والخضرة ونحوها (ومن الجبال جدد) طرق
 مختلفة اللون جمع جده ككدة ومداد (بيض وجر مختلف ألوانها وغرايب سود) جمع غريب وهو ثا كيد للاسود يقال أسود غريب وهو الذي
 أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وكان من حق التأكيذ ان يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع إلا أنه أضر المؤكد قبله والذي بعده
 تفسير للمضمر وإنما يفعله ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف
 المضاف في قوله ومن الجبال جدد أي ومن الجبال ذوجدد بيض وجر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا
 ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال ألم
 تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدأبات الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من القطر المختلفة الاجناس وما استدل به عليه وعلى صفاته
 اتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) أي العلماء الذين علموه بصفاته فعظموه ومن (٤٩٩) ازداد علمه ازداد منه خوفا ومن كان

علمه أقل كان آمن وفي
 الحديث أعلمكم بالله
 أشدكم له خشية وتقدريم اسم
 الله تعالى وتأخير العلماء
 بوزن ان معناه ان الذين
 يخشون الله من عباده العلماء
 دون غيرهم ولو عكس لمكان
 المعنى انهم لا يخشون الا الله
 كقوله ولا يخشون أحد الا
 الله وبينهما تباغ في الاول
 بيان ان الخاشعين هم العلماء
 وفي الثاني بيان ان الخشي
 منه هو الله تعالى وقرأ أبو
 حنيفة وابن عبد العزيز
 وابن سيرين رضي الله عنهم
 انما يخشى الله من عباده
 العلماء والخشية في هذه
 القراءة استعارة والمعنى
 انما يعظم الله من عباده
 العلماء (ان الله عز وجل
 غفور) تليح لوجوب
 الخشية لدلالته على عبودية
 العباد وقهرهم واناباة أهل
 الطاعة والاعفوان عنهم

لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وجر) يعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعني منها
 ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرايب سود) أي شديدة السواد كما يقال أسود غريب
 تشبيها بلون العسراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه (كذلك)
 أي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال
 ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقبيل عظموه وقدره وقدره وخشوه
 حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
 فرخص فيه ففتنه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فمد الله ثم قال ما بال أقوام يتزهون عن
 الشيء أصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله وأشد لهم له خشية قولها فرخص فيه أي لم يشدد فيه قولها فتزهد عنه أقوام
 أي تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط
 فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم
 خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غمته وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفي بخشية الله علما
 وكفي بالاعتزاز بالله جهلا وقال رجل للشعبي أفنتي أيها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشى الله عز وجل
 وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عز وجل)
 أي في ملكه (غفور) أي لذنوب عباده وهو تعاميل لوجوب الخشية لانه الميثب المعاقب واذا كان كذلك
 فهو أحق أن يخشى وينقى قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعلمون
 ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أي ويقومون الصلوة في أوقاتها (وأنفقوا مآثرهم) أي في سبيل
 الله (سرا وعانية) وجران تجارة لئن تبور) أي لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب
 (ليوفهم أجورهم) أي يزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعني محال ترعين ولم تسمع أذن (انه
 غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا اليك
 من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب (ان الله بعباده خبير بصير) قوله
 تعالى (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم أوردناه يعني حكمنا بتوريشه وقيل
 أوردناه بمعنى نوره (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله
 اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بأن جعلهم اتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم

والمعاقب الميثب حقه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مآثرهم سرا
 وعانية) أي مسرورا والصلوة والعمل به (بجران) خبران (تجارة) هي طلب
 الثواب بالطاعة (لئن تبور) لن تكسد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتتفق عند الله (ليوفهم) متعلق بلئن تبور أي ليوفهم بنفاقها
 عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق
 وعد لقائه أو بجران في موضع الحال أي راجين واللام في ليوفهم تتعلق بيبكون وما بعده أي فعلا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة
 والافتقار لهذا الغرض وخبران (انه غفور) لفرطتهم (شكور) أي غفور لهم شكور لأعمالهم أي يعطى الجزيل على العمل
 القليل (والذي أوحينا اليك من الكتاب) أي القرآن ومن النبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينكف عن هذا التصديق (لما
 بين يديه) لما تقدمه من الكتب (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا اليك القرآن ثم أوردناه يعني حكمنا بتوريشه (الذين اصطفينا من عبادنا)
 هو عيار على سائر الكتب (ثم أوردنا الكتاب) أي أوحينا اليك القرآن ثم أوردناه يعني حكمنا بتوريشه (الذين اصطفينا من عبادنا)

وهم أمة من العصابة والتابعين ونابعهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصططاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسوله ثم رتبهم على مراتب فقال (فمنهم ظالم لنفسه) وهو الرجل لا سر الله (ومنهم مقتصد) هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا (ومنهم سابق بالخيرات) وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين والآية وقال بعده وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله الآية والحديث فقدر روى عن عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية قال رسول الله (٥٠٠) صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه السلام السابق

يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحسب حتى يظن انه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة واه أبو الدرداء والانرفق بن عباس رضى الله عنهما السابق الخالص والمقتصد المرأى والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم الثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المحتجب لهما وقال الحسن البصرى الظالم من ربحت سيئاته والسابق من ربحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وسئل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال فيهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفى من عباده واهل الايمان وعليه الجمهور وانما قدم الظالم للايدان بكثرتهم وان المقتصد من قليل بالاضافة

قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذي اصطفييناه من عبادنا فيهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أوردنا الكتاب الذي اصطفييناه من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواة حديثه فحدثني يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت بن رباح ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غمى بنى وآس وحشيتى وسق الى جليس اصاصا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفييناه من عبادنا فيهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحسب حتى يدخله اللهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفييناه من عبادنا الآية فقالت يا بنى كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما لظالم لنفسه فمضى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن الخالص والمقتصد المرأى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لانه حكم الثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من ربحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من ربحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خيرا من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارى له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يقرب اليه الا بكمه وان الظالم لا يؤثر في الاصل طفاة ثم نبي بالمقتصد من لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وعقوبة ثم توبة ثم قرينة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في حيز المقتصد من فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرته والظالم وغلبته ثم المقتصد لقليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهم هذا آخرهم ومعنى سابق بالخيرات أى بالاجمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله (باذن الله) أى بأمر الله وارا دته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ابراهيم الكتاب واصطفاهم ثم أخبر بشواهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة

اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء الله قدم الظالم لئلا يأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من (يحاولون) وبه وقيل ان أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن معاده وقيل الظالم الذى يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبد على الرغبة والرهبة والسابق الذى يعبد على الهيبة والاستحقاق وقيل الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد ان لا يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها جهلة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (باذن الله) بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أى ابراهيم الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) خبرنا ان ذلك أى وخبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر (يدخلونها)

أى الفرق الثلاثة يدخلونها أو يخرجون (بحسب ما فهمنا من أساور) جميع أسورة جمع سوار (من ذهب ولؤلؤ) أى من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤ بالنصب والهمزة نافع وحذف عطف على محل من أساور أى يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حر) لما فيه من اللذة والزينة (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) خوف النار وأخوف الموت أو هموم الدنيا (ان ربنا الغفور) يغفر الجنايات وان كثرت (شكور) يقبل الطاعات وان قلت (الذى أحلنا دار المقامة) أى الإقامة لا تبرح منها ولا ينفاز فيها يقال آتت إقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وفضاله لا باستحقاقنا (لا يسئنا فيها نصب) تعب ومشقة (ولا يسئنا فيها غوب) اعياء من التعب وفرة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ليقوب بفتح اللام وهو شئ يلغب منه أى لا تتكاف عملا يلغبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا) جواب النفي ونصبه باضمار أن أى لا يقضى عليهم بموت ثان فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (٥٠١) (كذلك) مثل ذلك الجزاء (يجزى كل كفور) (كفور) يجزى كل كفورا أبو عمرو (وهم بصطرخون فيها) يستغيثون فهو بصطرخون من الصراخ وهو الصباح يجهد ومشقة واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى أخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بذكر الكفر ونقطع بعد المعصية فيجاءون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرة) يجوز أن يكون ما ذكره موصوفة أى نعمرنا ما يتذكر فيه من تذكرة وهو متناول لكل عمر يمكن منه المكاف من اصلاح شأنه وان قصر الأنت التوبخ فى المتناول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون سنون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو الشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لأن لفظه

(يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حر) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زال النعم وتقلب القلوب وخوف العقاب وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهم وم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لعاش أو معادروى البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكفى باهل لاله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان ربنا الغفور شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى أحلنا) أى أنزلنا (دار المقامة) أى الإقامة (من فضله) أى لا باعمالنا (لا يسئنا فيها نصب) أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يسئنا فيها غوب) أى اعياء من التعب قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا) أى فيستريحوا بما هم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى من عذاب النار (كذلك يجزى كل كفور وهم بصطرخون) أى يستغيثون وبصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أى من النار (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى فى الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى (وبما يتذكر فيه من تذكرة) قبل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون سنة وقال ابن عباس سنون سنة وروى ذلك عن على وهو العمر الذى أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى كل أمرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه بإسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمر أمتي ما بين الستين الى السبعين (وجاءكم النذير) يعنى بحمدنا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفى الأثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أى ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه علم بذات الصدور) يعنى انه اذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب كل شئ فى العالم قوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) أى يخلف بعضهم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبنى ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه وما لكم من منافعها وما ليد التصرف فيها التشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) أى جحد هذه النعمة ونغطها (فعلية كفره) أى وبال كفره (ولا يزيد الكافر من كفره عند ربهم الا مقننا) أى غضبا وقيل المقنن أشد البغض (ولا يزيد الكافر من كفره الا خسارا) أى فى الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام جعلتموها شركاء بزعيمكم (أرونى ماذا خلقوا من الارض) يعنى أى جزء

كفور) (كفور) يجزى كل كفورا أبو عمرو (وهم بصطرخون فيها) يستغيثون فهو بصطرخون من الصراخ وهو الصباح يجهد ومشقة واستعمل فى الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) أى أخرجنا من النار وردنا الى الدنيا نؤمن بذكر الكفر ونقطع بعد المعصية فيجاءون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرة) يجوز أن يكون ما ذكره موصوفة أى نعمرنا ما يتذكر فيه من تذكرة وهو متناول لكل عمر يمكن منه المكاف من اصلاح شأنه وان قصر الأنت التوبخ فى المتناول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون سنون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو الشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لأن لفظه

لفظ استخبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمرنا كما وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) ناصر بعينهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) مانع فهم اعينكم (انه علم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما فى الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمر انما هو شئ ثابت ذوقى نحو قول أى بكرر ضى الله عنه ذو بطن خارجة جارية أى ما فى بطنها من الجبل لان الجبل يصعب البطن وكذا المضمرات تعجب الصدور وذو موضوع اعنى العصبه (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يقال للمستخلف خلفه وقوم يجتمع على خلاف والمعنى انه جعلكم خلفاء فى أرضه وقد ملككم مقالة ليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها التشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم ونغط مثل هذه النعمة السنية (فعلية كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال (ولا يزيد الكافر من كفره عند ربهم الا مقننا) وهو أشد البغض (ولا يزيد الكافر من كفره الا خسارا) هلاكا وخسارا (قل أرأيتم شركاءكم) آلتهنكم التى أشركتموهم فى العبادة (الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض) أرونى بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم

الخبروني كانه قبل خبروني عن هؤلاء الشركاء وما استحقوا به الشركة أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركة في خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة من الله على ما فهم على بينة منه) أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاء فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل إن بعد ما بعد) (الظالمون بعضهم) يدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضاً) أي الاتباع (الأغروا) هو قولهم هؤلاء شفعوا وأعانوا عند الله (إن الله يسلك السموات والارض أن تزولا) لان الامساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (إن أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي بعد امساكهم من الاول فزيدة لنا كيد النفي والثانية للابتداء (انه كان حليماً غفوراً) غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكان تاجد برتين بان تهداه العظم كامة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي أقساماً بليغاً وعلى الحال أي جاهدن في أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى (٥٠٢) من احدى الامم) بلغ قريشاً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب كذبوا

رسولهم فقالوا عن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن آتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم أي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداية العظيمة هي احدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زادهم الا نفورا) أي ما زادهم محي الرسول صلى الله عليه وسلم الاتباعا عن الحق وهو اسناد مجازي (استكباراً في الارض) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى وما زادهم الانفور والاستكبار ومكر السيئ أو حال بمعنى مستكبرين وما كرين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيئ وأن مكروا

استبدوا بخلقه من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة من الله) أي على حجة وبرهان من ذلك (بل إن بعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضاً الاغروا) يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعوا وأعانوا عند الله (وقوله عز وجل) (إن الله يسلك السموات والارض أن تزولا) أي ليسى لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوف وكان تاجد برتين بأن تزولا وتهده العظم كامة الشرك (ولئن زالتا) أي ليس أمسكهما من أحد من بعده) أي ليس أمسكهما أحد سواهم (انه كان حليماً غفوراً) أي غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكان تاجد برتين بان تهداه العظم كامة الشرك (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسولهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى ديناً منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأترق الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من احدى الامم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (الانفوراً) أي تباعداً عن الهدى (استكباراً في الارض) يعني عتوا وتكبروا عن الايمان به (ومكر السيئ) يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحق المكر السيئ الا بأهله) أي لا يحل ولا يحيط الا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الاسنت الاولين) يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجدلسنت الله تبديلاً) أي تغييراً (ولن تجدلسنت الله تحويلاً) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكافوا أشد منهم قوتاً) وما كان الله ليجزئه) أي ليغوت عنه (من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليهما قدر اولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي ظهر الارض (من ذابية) أي من نسمة تدب عليها برديني آدم وغيرهم كأهلث من كان في زمن نوح بالطوفان الامن كان في السفينة (ولكن يؤخروهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيراً بمن يستحق العقوبة وبين يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم براده وأسرار كتابه

* (تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة نيس عليه الصلاة والسلام) *

السيئ أي المكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحق) يحيط وينزل (المكر السيئ الا بأهله) ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لحيه جبا وقع فيه مكاب (فهل ينظرون الاسنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا رسولهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الا أن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك انتظاراً لهم (فلن تجدلسنت الله تبديلاً ولن تجدلسنت الله تحويلاً) بين ان سنه التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدي لها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك مفعول لا تحالة (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسابرةم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكافوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اقتدارا فلم يفتكروا في الفرار (وما كان الله ليجزئه) ليس ببعو يفتوته (من شيء) أي شيء (في السموات ولا في الارض انه كان عليهما) بهم (قد روا) قادر عليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه سوى ذكر الارض في قوله ليجزئه من شيء في السموات ولا في الارض (من ذابية) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخروهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً) أي لم تحف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب

صفحة	موضوع	صفحة
٢	(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)	١٤٩
٨	ذكر قصة ذهاب أخوة يوسف بيوسف عليه	١٤٩
	الصلاة والسلام	١٥١
٤٨	(تفسير سورة الرعد)	١٥١
٥٦	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة	١٥٣
	(أى قوله تعالى والله يسجد من في السموات	١٦١
٦٩	(تفسير سورة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل	١٧٥
	الصلاة والسلام)	١٨٥
٨٧	(تفسير سورة الحجر)	١٨٥
٩١	فصل اختلاف العلماء هل كانت الشياطين	١٨٦
	ترعى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله	٢١٤
	عليه وسلم أم لا على قولين	٢٢٥
١٠٥	(تفسير سورة النحل)	٢٢٥
١٠٧	فصل احتجهم هذه الآية من يرى تحريم لحوم	٢٣٣
	الخيول (أى آية والخيل والبغال والحمير	٢٥٠
	أتركبوها وزينة)	٢٣٣
١١٨	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن	٢٥٠
	أى قوله تعالى (ولله يسجد من فى السموات	٢٥٤
	وما فى الأرض الآية)	٢٦٤
١٣٦	فصل فى حكم الآية (أى قوله تعالى من كفر	٢٦٨
	بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن	٢٧٩
	بالإيمان)	٢٨٤
١٤٣	فصل اختلاف العلماء هل هذه الآية	٢٧٩
	منسوخة أم لا على قولين (أى قوله تعالى	٢٨٤
	(وان عاقبتهم فعاقبوا الآية)	٢٩٨
١٤٤	(تفسير سورة الاسراء)	٢٩٨
١٤٥	فصل فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من	٣٠٠
	الاحكام وما قال العلماء فيه	٣١٣
١٤٩	فصل قال البغوى قال بعض أهل الحديث	٣٣٢
	ما وجدنا للخازنى ومسلم فى كتابيهما شيئاً	
	لا يحتمل تخرجا الاحديث شريك بن أبى	
	نمر عن أنس	

صفحة	صفحة
٤٤٤ (تفسير سورة السجدة)	٣٤٢ (تفسير سورة الفرقان)
٤٤٦ فصل في فضل قيام الليل والحث عليه	٣٥٤ فصل وهذه السجدة من عزائم السجود (أى)
٤٤٩ (تفسير سورة الاحزاب)	قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
٤٥٣ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب	(الآية)
٤٦١ ذكر غزوة بنى قريظة	٣٥٧ (تفسير سورة الشعراء)
٤٦٥ فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى يا أيها النبي	٣٧٤ فصل في مدح الشعر
قل لا زواج لنا ان كنتن تردن الحياة الدنيا	٣٧٥ (تفسير سورة النمل)
الآية	٣٨٢ فصل وهذه السجدة من عزائم السجود (أى)
٤٦٨ فصل فان قلت ماذا كروه في تفسير هذه	قوله تعالى الا يسجدوا لله الآية)
الآية (أى قوله تعالى واذا تقول للذي أنعم	٣٩٥ (تفسير سورة القصص)
الله عليه الخ)	٣٩٦ ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى وأوحينا
٤٧٦ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه	الى أم موسى الخ
وسلم وفضلها	٤١٣ ذكر قصة فارون
٤٨١ فصل في الامانة	٤١٥ (تفسير سورة العنكبوت)
(تفسير سورة سبأ)	٤٢٧ (تفسير سورة الروم)
٤٩٤ (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة	٤٣٠ فصل في فضل النسيح
الملائكة)	٤٣٧ (تفسير سورة لقمان)

* (تمت) *

المفتي
عبد السلام بن عبد الله